www.quranonlinelibrary.com

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

ترجيحات
الحافظ الرسعني(٦٦١هـ)
في كتابه رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز
جمعاً ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه

إعداد الطالبة
نورة بنت عبد العزيز بن محمد العلي

إشراف فضيلة الدكتور
أ.د. أحمد سعد الخطيب
الأستاذ الدكتور بقسم القرآن وعلومه

العام الجامعي: ١٤٣٢/١٤٣٣هـ

www.Quranonlinelibrary.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد قيض الله لهذه الأمة علماء أجلاء، وأئمة نجباء، فسروا آيات القرآن الكريم، وبينوا معانيه، وأظهروا أسراره وكنوزه، كلٌ بحسب علمه، وما أداه إليه اجتهاده، فتركوا لمن بعدهم ثروة علمية هائلة، تداولها العلماء وطلبة العلم جيلاً بعد جيل.

وقد صنف الحنابلة كغيرهم في تفسير القرآن العظيم، وأولوه اهتماماً كبيراً، وأول من عُرف عنه التصنيف فيه هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل – رحمه الله –[1].

وقد تكلم أتباع الإمام أحمد – رحمه الله – في التفسير، وصنَّفوا فيه المصنفات، لكن أكثر التفاسير لم يصل إلينا خبره، ومن الموجود منها: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي(٥٩٧هـ)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري(٦١٦هـ)، وتفسير العليمي(٩٢٨هـ)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل(نيف وثمانين وثمانمائة)،وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي(١٣٧٦هـ)، وتوفيق الرحمن في دروس القرآن للشيخ فيصل آل مبارك(١٣٧٧هـ)، ومن أجل هذه التفاسير كلها وأنفعها تفسير الإمام عبد الرّازق بن رزق الله الرسعني(٥٨٩- ٦٦١هـ)، الذي قمت – بعون الله تعالى – على دراسة ترجيحاته، فأحمد الله على تمامه، جعل الله العمل موصلاً لجنته ومرضاته وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) الفهرست لابن النديم١/٣٢٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١- المكانة العلمية المتميزة للرسعني – رحمه الله- فقد كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، فاضلاً في فنون من العلم والأدب.

٢- اهتمام الرسعني – رحمه الله – بالتفسير بالمأثور، فقد اعتمد في تفسيره على أصلين عظيمين هما: الكتاب والسنة.

٣- ندرة التفاسير الفقهية في المذهب الحنبلي.

٤- إبراز ما لتفسير الرسعني (رموز الكنوز) من قيمة علمية عظيمة، فهو من التفاسير المتوسطة الحجم العظيمة القدر.

٥- ندرة الكتب التي اعتنت بإبراز جهود الإمام الرسعني – رحمه الله – في التفسير، فلم أجد – فيما أعلم – من تطرَّق لترجيحاته في التفسير في كتاب مستقبل.

٦- تقدم العصر الذي عاش فيه الرسعني – رحمه الله -.

٧- ثناء العلماء على الكتاب وعلى مؤلفه، ومن هؤلاء:الذهبي، والسيوطي، وابن الجزري.

٨- القيمة العلمية الكبيرة للترجيحات؛ فهي خلاصة علم المفسر ونتاج معرفته.

٩- تنمية ملكة مناقشة الأقوال والترجيح بينها، ومعرفة أسباب الترجيح، فهو مجال رحب لبروز شخصية الطالب، لأن مبناها على الجمع والتحليل والنظر والموازنة بين الأقوال ومناقشتها، وكثرة الرجوع إلى كتب التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها، والتعرف على مناهج مؤلفيها وأساليبهم، ولا يخفى ما في ذلك من النفع والفائدة.

ثانياً: أهداف البحث:

١- إظهار جهود عالم من علماء التفسير، صحيح العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة.

٢- جمع ترجيحات الرسعني في تفسيره (رموز الكنوز)، ودراستها دراسة مقارنة، للوصول إلى الرأي الراجح في تفسير الآيات محل الدراسة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثاً: مجال البحث وحدوده:

يدور مجال البحث حول جمع ترجيحات الإمام الرسعني – رحمه الله – التفسيرية في كتابه، واستنباط منهجه في الترجيح.

رابعاً:الدراسات السابقة:

بعد البحث والتتبع لمراكز البحوث كمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، ومكتبة الملك عبد الله الرقمية، لم يظهر لي سوى بعض البحوث حول الرسعني وهي:

١- الإمام الرسعني الحنبلي وتفسيره رموز الكنوز،د.محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، وهو عبارة عن دورية من إصدارات جمعية علماء كردستان، تناول حياة الرسعني الشخصية، والعلمية، باختصار، ثم ذكر القيمة العلمية للكتاب.

٢- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الرازق بن رزق الله الرسعني،(سورة آل عمران)دراسة وتحقيق:محمد صالح البراك.

وهي رسالة دكتوراه، في قسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية والتفسير، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤١١هـ.

٣- الإمام عبد الرازق بن رزق الله الرسعني ومنهجه في كتابه "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز"، أحلام مصطفى الحربي، جامعة أم القرى.

رسالة ماجستير مسجلة عام ١٤٢٩هـ، بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، وهي مازالت قيد البحث.

٤- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الرازق بن رزق الله الرسعني، من سورة آل عمران إلى سورة الناس، دراسة وتحقيق:أ.د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، حقق التفسير وأخرجه في تسع مجلدات.

خامساً: خطة البحث:

المقدمة وتتضمن:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثانياً: أهداف البحث.

ثالثاً: مجال البحث وحدوده.

رابعاً: الدراسات السابقة.

خامساً: خطة البحث.

سادساً: منهج البحث.

التمهيد: ترجمة موجزة للمؤلف والتعريف بكتابه.

القسم الأول: منهج الإمام الرسعني في الترجيح

الفصل الأول:

المبحث الأول: تعريف الترجيح

المبحث الثاني: أهمية الترجيح

المبحث الثالث: شروط الترجيح

المبحث الرابع: صيغ الترجيح عند الرسعني

الفصل الثاني: وجوه الترجيح عند الرسعني

المبحث الأول: الترجيح بدلالة القرآن

المبحث الثاني: الترجيح بدلالة السنة

المبحث الثالث: الترجيح بدلالة الأثر

المبحث الرابع: الترجيح بالإجماع وقول الأكثرين

المبحث الخامس: الترجيح بدلالة اللغة العربية

المبحث السادس: الترجيح بدون ذكر سبب

المبحث السابع: الترجيح بدلالة السياق

المبحث الثامن: الترجيح بدلالة القواعد الأصولية

القسم الثاني: دراسة ترجيحات الرسعني في تفسيره (رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز)

- الخاتمة: وتشمل على أهم نتائج البحث والتوصيات.
- الفهارس العامة للبحث.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار

٤- فهرس الأبيات الشعرية

٥- فهرس غريب الألفاظ والمصطلحات.

٦- فهرس الأعلام.

٧- فهرس الفرق، والمذاهب،والأماكن، والبلدان.

٨- ثبت المصادر والمراجع.

٩- فهرس الموضوعات.

سادساً: منهج البحث

وسيكون منهجي فيه على النحو التالي:

١- ترتيب الآيات التي وقع فيها الترجيح حسب ورودها في المصحف.

٢- ذكر مجمل الأقوال التي ذكرها الرسعني في الآية وأتبعها بترجيحه.

٣- دراسة ترجيح الرسعني للمسألة من خلال:

أ- بيان قول الرسعني وأدلته.

ب- ذكر من قال بقوله من المفسرين والأدلة التي لم يذكرها.

ج- ذكر الأقوال الأخرى مع أدلتها

٤- بيان نتيجة الدراسة ملخصة مع المناقشة والترجيح.

٥- ذكر قاعدة الترجيح.

٦- توثيق المادة العلمية على النحو التالي:

أ- عزو الآيات إلى سورها.

ب- عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها الأصلية، مع بيان المتواتر منها والشاذ.

ج- تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان في كتب الصحاح أو أحدها اكتفيت بها، وإن كان في غيرها خرجته من مظانه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

د- تخريج الآثار من مصادرها.

هـ- توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء.

و- عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها، وتوثيقها من مصادرها.

ز- شرح غريب الألفاظ والمصطلحات.

ح- التعريف بالأعلام غير المشهورين.

ي- التعريف بالفرق، والمذاهب، والأماكن، والبلدان.

وفي ختام هذا البحث فإني ألهج إلى الله سبحانه بوافر الحمد، وعظيم الشكر، على ما يسَّر وأكرم، وأجزل وأنعم، فهو ولي الحمد ومستحقه، ذو النعمم الغزيرة، والمنن الوفيرة، فله الحمد أوله وآخره، وظاهره وباطنه.

ثم الشكر لوالديّ الكريمين اللذين دفعاني إلى العلم منذ نعومة أظافري، وبذلا لي من دعائهما واهتمامهما الكثير، أمد الله تعالى في عمرهما مع صالح أعمالهما، ومتعني بالإحسان إليهما في الدنيا والآخرة.

والشكر والتقدير بجميل الامتنان والعرفان إلى زوجي الشيخ الأستاذ خالد بن عبد العزيز آل سليمان الذي كان لي عوناً – بعد الله – في إتمام بحثي، وشد عضدي حتى أتممته، فلم يدخر وسعاً، ولم يضنّ بجهد على أن أنهي هذا العمل على أكمل وجه وأتمه.

والشكر الكبير لقائد هذه الرسالة والمشرف عليها فضيلة الشيخ أ.د.أحمد سعد الخطيب، الذي أسدى إليَّ من جميل توجيهاته وإرشاداته، ونصائحه القيمة الشيء الكثير، مما كان له أكبر الأثر في إخراج هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن أتاحت لي الفرصة لإكمال دراستي بها، وأخص بذلك كلية أصول الدين ممثلة في عميدها ووكيله، وقسم القرآن وعلومه، فجزاهم الله خيراً ووفقهم إلى ما يحبه ويرضاه.

ودعواتي الصادقة لمن كانوا لي خير معين لتحقيق حلمي من إخواني وأخواتي، فلهم مني كل الحب والثناء والتقدير.

والشكر لله أولاً وأخيراً، والحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التمهيد: ترجمة موجزة للمؤلف والتعريف بكتابه.

أ- حياته الشخصية

١- اسمه ونسبه:

هو عبد الرَّازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء.

هذا هو الصحيح في اسمه أنه عبد الرَّازق، بتقديم الألف على الزاي، خلافً لسائر المصادر المطبوعة التي ذكرته بعبد الرزاق، وهذا خطأ لعدة أمور منها:

١- جاء في السماع المثبت بآخر المجلد الثاني من النسخة أ[١]، ما نصه:

"سمع جميع هذا المجلد، وهو الثاني من كتاب رموز الكنوز، تأليف الشيخ الإمام عبد الرّازق بن رزق الله"[٢].

٢- ذكر ابن الفوطي في مخطوطة الجزء الرابع من تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب في باب عز الدين أن اسمه: عبد الرازق[٣].

٣- ذكر الذهبي في كتابه "العبر" في ترجمة ولد المؤلف أن اسمه: محمد بن عبد الرّازق[٤].

٤- نقل الذهبي في كتبه "تذكرة الحفاظ" عن الحافظ أحمد بن المجد قوله في اسمه: عبد الرّازق الرسعني[٥].

٥- ترجمه الأدنروي في كتابه "طبقات المفسرين" باسم عبد الرّازق الرسعني[٦].

٦- قال الزركلي: هو بتقديم الألف على الزاي، خلافاً لسائر المصادر المطبوعة.

والتصحيح من مخطوطة (التبيان) لابن ناصر الدين، وقد وضع فيها فوق (عبد الرازق) (لفظ) صح.

---

(١) رموز الكنوز ١/١١.

(٢) رموز الكنوز ١/٦٨٠.

(٣) معجم المفسرين لعادل نويهض١/٢٨١.

(٤) العبر ٥/٣٦٤.

(٥) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٥٤،١٤٥٣، وتاريخ الإسلام ٤٩/٧٢.

(٦) طبقات المفسرين ص٢٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فصح أن اسمه: عبد الرَّازق بن رزق الله بن أبي بكر بن أبي الهيجاء. كذا ذكرت عامة المصادر نسبه.

٢- كنيته ولقبه ونسبته[١]:

أجمعت المصادر على أنه يكنى أبا محمد.

كما اتفقوا على أنه يلقب: بعز الدين.

وأما نسبته: فيقال له الرَّسعني، والجزري، والموصلي.

أما الرَّسعني: بفتح الراء والعين المهملة وسكون السين المهملة، نسبة إلى رأس عين[٢]، مدينة بالجزيرة الفراتية.

وأما الجزري: فنسبة إلى جزيرة الفرات التي تقع فيها رأس العين[٣].

وأما الموصلي: فنسبة إلى الموصل، البلد المشهور في العراق؛ لأن المؤلف تولى التدريس بدار الحديث المهاجرية بها[٤].

٣- ولادته:

اتفقت المصادر على أن ولادة الإمام الرسعني-رحمه الله- كانت في رأس عين الخابور في سنة تسع وثمانين وخمسمائة من الهجرة النبوية.

وحدد بعضهم يوم ولادته، يوم الأحد، بين الظهر والعصر، الثالث والعشرين من رجب[٥].

٤. أسرته:

لم تذكر المصادر التي ترجمت للمؤلف بمعلومات مفصلة عن أسرة الرسعني، وهل

---

(١) رموز الكنوز تحقيق ابن دهيش ١/١٤.

(٢) رأس عين: مدينة بالجزيرة الفراتية على نهر الخابور، كانت تُعرف قديماً باسم "رسين تيودو بوليس"، وهي مدينة مشهورة تقع بين حران ونصيبين. وهي تقع حالياً في شمال شرقي سوريا قريباً من مدينة القامشلي، وهي مدينة جميلة تشتهر بمياهها وينابيعها الكبريتية. انظر: معجم البلدان ٣/١٣-١٤، و http://ar.wikipedia.org

(٣) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٥٢، وطبقات الحفاظ ص٥٠٨،

(٤) طبقات المفسرين للداوودي ١/٢٩٤.

(٥) ذيل مرآة الزمان ٢/٢٤٢، وتكملة إكمال الإكمال ١/٥٨،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كان ذلك بتقصير من الذين أوردوا أخباره فلم يعنوا بذكر سيرة أسرته، أم أن أسرته كانت عادية لم تعط حظّاً من الشهرة، فلم يظهر فيها ما يجعل تاريخها وسيرتها معروفة عند أهل عصره.

ومن خلال المعلومات القليلة التي ذكرتها المصادر يمكن الحديث عن أسرة الرسعني.

أنه قد تزوج امرأة من بيت علم ودين في بلده رأس عين، وهي ابنة الشيخ أبي الخطاب بن هلال الرسعني، كما صرح بذلك في كتابه "التفسير"، حيث قال: وسمعت الشيخ أبا الخطاب بن هلال الرسعني جد أولادي لأمهم يقول...اهـ[١].

وقد ولد له أربعة أولاد ثلاثة ذكور وأنثى، وفيما يلي ترجمة موجزة لمن وقفنا على ذكر له من أسرته:

١- ولده: محمد (بضع عشرة وستمائة -٦٨٩هـ)[٢]:

شمس الدين، محمد بن عبد الرازق، أبو عبد الله، وأبو الفضائل الفقيه، الشاعر، الأديب، المعدل، المحدث الحنبلي، نزيل دمشق، كان شيخاً أبيض مليح الشكل.

وهو أكبر أولاده، وبه يكنى.

ذكره أبوه في تفسيره مراراً، وسأل عن غوامض في التفسير، وتكلم فيه بكلام جيد[٣].

سافر إلى مصر في شهادة، ولما عاد دخل نهر الشريعة[٤]، من الغور، يسقي فرسه، فغرق ولم يظهر له خبر، وذلك في جمادى الآخرة، سنة تسع وثمانين وستمائة.

٢- ولده إبراهيم (٦٤٢-٦٩٥هـ)[٥]:

إبراهيم بن عبد الرازق، أبو إسحاق، كان حنفي المذهب، ويُعرف بابن المحدث.

---

(١) رموز الكنوز ٣٤١/٥،

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٣١٣/٢، والمقصد الأرشد٤٥٦/٢، والعبر٣٦٤/٥، والوافي بالوفيات ٢٠٦/٣، وفوات الوفيات ٣٧٠/٢، وشذرات الذهب ٤١٠/٥،

(٣) المقصد الأرشد٤٥٦/٢،

(٤) هو المعروف الآن بنهر الأردن. انظر: الأنس الجليل ٣٢٠/١،

(٥) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٦٣/١، والمقصد الأرشد ٤٥٦/٢، والجواهر المضية للقرشي ٤١/١،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولد في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة بالموصل.

سمع بالموصل من والده الإمام عز الدين، وتفقه عليه، وكان فقيهاً فاضلاً، عالماً، متنسكاً، ورعاً، حسنَ الأخلاق. وله منظوم ومنثور.

وشَرَح القُدوري، وكتب الإنشاء بديوان الموصل.

توفي في شهر رمضان، سنة خمس وتسعين وستمائة بدمشق، ودفن بسفح قاسيون.

٣- ولده: أحمد أبو صالح[١]:

ذكره في تفسيره، فقال:

ومثله قولي في أبيات ارثي بها ولدي أبا صالح أحمد:

على زينة الدنيا ولذّة عيشها السلام فهذا منهما آخر العهدِ

٤- ابنته: أمة الرحمن بنت عبد الرازق (٦٩٥هـ)[٢]:

فاضلة عالمة، توفيت سنة خمس وتسعين وستمائة، ذكرها البرزالي في ذيل الروضتين، فقال: وفي بكرة الأربعاء عاشر شعبان توفيت الشيخة الصالحة، أمة الرحمن، ست الفقهاء، بنت الشيخ الإمام العلامة، عز الدين أبي محمد، عبد الرازق بن رزق الله.

٥- سبط ابنه محمد (٧٥٤هـ)[٣]:

عبد الرحمن بن رزق الله بن عبد الرحمن ابن رزق الله الرسعني الدمشقي. سمع في الخامسة من ابن البخاري مشيخته، وسمع منه سنن أبي داود، وحدث، وكان رسولاً بباب القضاة. توفي ليلة الأربعاء ثالث جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وسبعمائة، ودفن بمقابر باب الصغير.

ب- حياته العلمية[٤]

١- نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الرسعني في بلدته رأس عين، وتلقى علومه الأولى فيها، حفظ القرآن

---

(١) رموز الكنوز ٥/٥٥٣.

(٢) تاريخ الإسلام ٥٢/٢٥٤.

(٣) الوفيات لابن رافع السلامي ٢/٢٣٩.

(٤) رموز الكنوز تحقيق ابن دهيش ١/٢٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الكريم،وسمع الحديث، ثم رحل إلى حواضر العالم الإسلامي لطلب العلم وسماع الحديث الشريف، وفيما يلي بعض رحلاته.

٢ – رحلاته:

رحل المؤلف سبع رحلات، عامتها في طلب العلم وسماع الحديث، وانضم إلى حلقات العلم في البلاد التي طافها، ودرس وتلقى على أكابر علمائها، وأفاضل شيوخها وهي:

الرحلة الأولى: إلى بغداد وكانت سنة ست وستمائة، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة، قرأ فيها القرآن بالروايات العشر، على أبي البقاء العكبري[١].

كما أنه دخلها مرة أخرى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وفيها قرأ على الشيخ أبي طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي القبيطي[٢].

الرحلة الثانية: إلى فلسطين، زار فيها بيت المقدس، سنة سبع وستمائة، وسمع فيها من الشيخ عبد الله بن محمد الدربندي، الصوفي بمسجد الخليل عليه السلام[٣].

الرحلة الثالثة: إلى دمشق، وقد زار دمشق مراراً ، سمع بدمشق سنة خمس، وسنة ست وسبع من الكندي[٤].

وسمع سنة ست وستمائة من أبي العباس الخضر المعبر الخاتوني[٥].

وسمع سنة سبع وستمائة، من أبي العباس أحمد بن عبد الواحد المعروف بالبخاري

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢٧٤/١، وتذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤.

(٢) ذكر الرسعني ذلك في إسنادٍ له عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن آية: ٦٠].

(٣) صرح الرسعني بأنه سمع منه إسنادٍ له عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [النساء آية: ١٧١].

(٤) تاريخ الإسلام ٧٤/٤٩.

(٥) ذكر الرسعني ذلك في إسنادٍ له عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ [المدثر آية: ٥٦].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفقيه الحنبلي[١]..

وسمع سنة تسع وستمائة من أبي القاسم السلمي، وابن الحرستاني، والموفق ابن قدامة، وتفقه عليه، وحفظه كتابه المقنع، وقرأ عليه كثيراً من كتبه الفقهية.

وسمع من أبي اليمن الكندي تاريخ بغداد كله.

الرحلة الرابعة: وكانت إلى حلب، سمع فيها من الشريف أبي هاشم، عبد المطلب بن الفضل الهاشمي[٢].

الرحلة الخامسة: إلى الموصل في شوال سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ونزل بدار الحديث المهاجرية، وعين مدرساً بها، فصار يُسمع بها أحاديث رسول الله ﷺ، ويفيد الناس[٣].

الرحلة السادسة: إلى تكريت ، في سنة عشر وستمائة. وسمع فيها من القاضي أبي الفرج يحيى بن سعد الله بن أبي تمام التكريتي[٤].

الرحلة السابعة: إلى حران. سمع فيها من الحافظ عبد القادر بن عبد الله الرهاوي، والإمام فخر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن تيمية الخطيب[٥].

الرحلة الثامنة: إلى دمشق، فقد قدم دمشق رسولاً، فقرأ عليه ابن الصابوني جزءاً. وهذه الرحلة بعد ما ذاع صيته[٦]..

الرحلة التاسعة ، إلى مصر، ولم يصرح أحد بهذه الرحلة، إلا أن ترجمة ابن تغري بردى له في النجوم الزاهرة، تدل على أنه دخلها، والذي يغلب على الظن أن هذا كان

---

(١) ذكر الرسعني ذلك في إسنادٍ له عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن آية: ٦٠].

(٢) تكملة إكمال الإكمال ١/٥٨.

(٣) عقود الجمان ٤/١٣٢/أ.

(٤) صرح الرسعني بذلك في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَا ﴾ [إبراهيم آية: ١٢].

(٥) صرح الرسعني بذلك في تفسيره الأول عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ ﴾ [الأعراف آية: ٨].

والثاني عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ﴾ [الأحزاب آية: ٣٥].

(٦) تكملة إكمال الإكمال ١/٥٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قبل أن يستقر بالموصل[١].

هذه هي البلاد التي طاف فيها المؤلف، ويلاحظ من تتبع هذه الرحلات أنه لم يدخل مكة ولا المدينة، ولم يذكر أحد أنه حج، إلا أن يكون في صغره قبل أن يشتهر.

وهذه الرحلات المتعددة تدل على كثرة سماعه، ووفرة علمه ومعرفته.

٣- شيوخه:

تتلمذ الرسعني -رحمه الله- على طائفة من شيوخ وقته في علوم متنوعة، وذلك في البصرة وبغداد ودمشق.

وفيما يلي نذكر أسماء الشيوخ الذين التقى بهم الرسعني:

١- حنبل الواسطي (٥١٠-٦٠٤هـ)[٢]:

حنبل بن عبد الله بن فرج بن سعادة، أبو علي، وأبو عبد الله الواسطي، ثم البغدادي، الرصافي، حدث الرسعني عنه بالمسند في تفسيره.

٢- الخضر الدلال (٥٢٣-٦٠٨هـ)[٣]:

الخَضِر بن كامل بن سالم بن سبيع، الدمشقي، السروجي، الدَّلال المعبر، الشيخ العالم المسند، أبو العباس.

٣- ابن منينا (٥٢٥-٦١٢هـ)[٤]:

عبد العزيز بن معالي بن غنيمة بن الحسن البغدادي، الأشناني، مسند العراق، أبو محمد.

٤- ابن الجلاجلي (٥٤١-٦١٢هـ)[٥]:

محمد بن المبارك البغدادي، التاجر الرئيس المقرئ، كمال الدين، أبو الفتوح.

٥- الكندي (٥٢٠-٦١٣هـ)[١]:

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٧٥-٢٧٦، وطبقات المفسرين للداوودي ١/٢٩٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٣١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٢/١١، وتاريخ الإسلام ٤٩/٧٢، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٥٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٣، وتكملة إكمال الإكمال ١/٥٨، وشذرات الذهب ٥/٣٠٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٢/٥٢، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٥٢، وتاريخ الإسلام ٤٩/٧٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير الكندي، البغدادي، الإمام العلامة، شيخ الحنفية، وشيخ العربية، وشيخ القراءات، أسند عنه الرسعني في كتابه التفسير بعض الأحاديث.

٦- ابن الحرستاني (٥٢٠-٦١٤هـ)[٢]:، سمع منه صحيح مسلم، وأسند عنه في تفسيره.

٧- السلمي (٥٤٦-٦١٥هت)[٣]:

أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن عبد الرزاق، الشيخ الأمير المسند، ابو القاسم، شمس الدين، السلمي، البغدادي، الصيدلاني، العطار.

حدث الرسعني عنه بصحيح البخاري.

٨- جمال الدين الياسري (٦١٦هـ)[٤]:

عثمان بن مقل بن قاسم الياسري، ثم البغدادي، الواعظ، الحنبلي، أبو عمرو، صنف كتاباً في طبقات الفقهاء.

أخذ الرسعني عنه علم القراءات ، وروى عنه مقروناً بأبي البقاء العكبري.

٩- العكبري (٥٣٨-٦١٦هـ)[٥]:

عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ثم البغدادي، الأزَجي الضرير، النحوي، الحنبلي، الفرضي.

أخذ الرسعني عنه القراءات، وتلا عليه بالعشر، وتعلم منه العربية، والأدب، وقد روى عنه كثيراً من القراءات في كتابه التفسير.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٤/٢٢، وتذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، وتاريخ الإسلام ٧٤/٤٩، والوافي بالوفيات ٢٤٨/١٨، والبداية والنهاية ٢٤١/١٣، والمقصد الأرشد ١٣٣/٢، وطبقات الحفاظ ٥٠٨/١، وشذرات الذهب ٣٠٥/٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨٠/٢٢، وتكملة إكمال الإكمال ٥٩/١، وتذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، وتاريخ الإسلام ٧٢/٤٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨٤/٢٢، والبداية والنهاية ٢٤١/١٣.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٢/١.

(٥) سير أعلام النبلاء٩١/٢٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٠- ابن قدامة، شيخ الإسلام موفق الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن قدامة، صاحب المغني(٥٤١-٦٢٠هـ)[١] ، أخذ عنه الفقه، وقرأ عليه كثيراً من كتبه، وسمع منه مسند الشافعي وغيره، وتفقه به، وأثنى عليه في كتابه. ولما توفي رثاه بمرثية بلغت ثمانية وعشرين بيتاً.

١١- المؤيد الطوسي (٥٢٤-٦١٧هـ)، روى الرسعني من صحيح مسلم عنه في تفسيره[٢].

١٢- محمد بن الحسين بن أبي المكارم أحمد بن حسين بن بهرام، القزويني (٥٥٤-٦٢٢هـ)[٣].

١٣- أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي المقدسي ثم الدمشقي المعروف بالبخاري (٦٢٣هـ)[٤].

١٤- عبد المطلب بن الفضل، الهاشمي، البلخي، ثم الحلبي، الحنفي، أبو هاشم (٦٢٦هـ)[٥].

١٥- عبد السلام بن عبد الله بن أحمد بن بكران الداهري، البغدادي (٦٢٨هـ)[٦].

١٦- عمر بن كرم بن علي بن عمر، أبو الحفص الدينوري، ثم البغدادي (٥٣٩-٦٢٩هـ)[٧].

١٧- علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الحسن، المعروف بابن الأثير، مصنف التاريخ الكبير الملقب(الكامل) ومصنف كتاب(معرفة الصحابة) (٥٥٥-

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢، وتذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، وتاريخ الإسلام ٧٢/٤٩.

(٢) سير أعلام النبلاء١٠٤/٢٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٤٩/٢٢، وتذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، وتاريخ الإسلام ١٣١/٤٥.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢٥١/١، والمقصد الأرشد ١٢٩/١-١٣٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٩٩/٢٢، وتكملة إكمال الإكمال ٥٩/١.

(٦) سير أعلام النبلاء ٣٠٤/٢٢، وتذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، وتاريخ الإسلام ٧٢/٤٩.

(٧) سير أعلام النبلاء ٣٢٥/٢٢، تذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، تاريخ الإسلام ٧٢/٤٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٦٣٠هـ)[١].

١٨- علي بن أبي بكر بن روزبة بن عبد الله البغدادي، القلانسي، العطار، الصوفي (٦٣٣هـ)[٢].

١٩- نصر بن عبد الرزّاق بن عبد القادر بن أبي صالح، الجيلي (٥٦٤-٦٣٣هـ)[٣].

٢٠- الشيخ أبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن علي القبيطي (٥٥٤-٦٤١هـ)[٤].

٢١- محمد بن سعيد بن أبي البقاء الموفق بن علي بن الخازن النيسابوري (٥٥٦-٦٤٣هـ)[٥].

٢٢- مبارك بن إسماعيل الحراني[٦].

٢٣- محمد بن داود بن عثمان الدربندي، أبو عبد الله الصوفي[٧].

٤-تلامذته:

أخذ العلم عن المؤلف جماعة، منهم من سمعه وشافهه، ومنهم من روى عنه بالإجازة، وفيما يلي البعض منهم:

١- المبارك بن أبي بكر بن حمدان الموصلي، كمال الدين، أبو البركات، المعروف بابن الشعّار (٥٩٣-٦٥٤هـ)، مؤلف عقود الجمان في شعراء الزمان[٨].

٢- علي بن وهب بن مطيع القشيري المالكي، مجد الدين (٦٦٧هـ)، والد ابن

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٥٣/٢٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٨٧/٢٢، وتاريخ الإسلام ١٥٦/٤٦، ٣٨٧/٥١، والمقصد الأرشد ٤٥٦/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٩٦/٢٢، وتاريخ الإسلام ٣٨٧/٥١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٨٧/٢٣، وتاريخ الإسلام ٣٨٧/٥١.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢٤/٢٣.

(٦) عقود الجمان ٤/ق١٣١/أ.

(٧) صرح الرسعني بأنه سمع منه إسناداً له عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء آية: ١٧١].

(٨) شذرات الذهب ٢٦٦/٥، وعقود الجمان ٤/ق١٣٢/أ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دقيق العيد[١].

٣- محمد بن علي بن محمود المحمودي بن الصابوني (٦٠٤-٦٨٠هـ)[٢].

٤- محمد بن عبد الرَّازق بن رزق الله الرسعني (٦٨٩هـ)[٣].

٥- أبو العلاء إدريس بن محمد بن عثمان العامري الشوشي (٦٩٤هـ)[٤].

٦- جابر بن محمد بن قاسم القيسين الوادي آشي، معين الدين(٦٩٤هـ)[٥].

٧- إبراهيم بن عبد الرَّازق بن رزق الله الرسعني (٦٤٢-٦٩٥هـ)[٦].

٨- مسند الوقت، أبو المعالي، أحمد بن إسحاق بن محمد بن الأبرقوهي (٦١٥-٧٠١هـ)[٧].

٩- ابن دقيق العيد، الإمام الفقيه المحدث العلامة، تقي الدين، أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري(٦٢٥-٧٠٢هـ)، صاحب التصانيف، صنف(شرح العمدة)، و(الإلمام في أحاديث الأحكام)[٨].

١٠- الإمام العلامة شرف الدين، أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الدمياطي(٦١٣-٧٠٥هـ)[٩].

١١- عبد الغني بن عروة بن عبد الصمد بن عثمان الرسغي (٧١٨هـ)[١٠].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٤٧٥/٤، والطالع السعيد ص٢٢٩.

(٢) المعين في طبقات المحدثين ٢١٧/١، وشذرات الذهب ٣٢٤/٥، وتذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، وتاريخ الإسلام ٧٢/٤٩، وتكملة إكمال الإكمال ٥٨/١.

(٣) سبق ذكره عند الكلام عن أسرة الرسعني.

(٤) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٧٥٩/٢.

(٥) برنامج ابن جابر الوادي آشي ص٥٩.

(٦) سبق ذكره عند الكلام عن أسرة الرسعني.

(٧) شذرات الذهب ٤/٦، وتذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، وتاريخ الإسلام ٧٢/٤٩، والوافي بالوفيات ٢٤٨/١٨، وطبقات المفسرين للسيوطي ٦٧/١، وطبقات الحفاظ ٥٠٨/١.

(٨) طبقات الحفاظ ٥١٦/١، وشذرات الذهب ٥/٦، والمعين في طبقات المحدثين ٢١٠/١.

(٩) طبقات الحفاظ ٥٠٨/١، وشذرات الذهب ١٢/٦، تاريخ الإسلام ٧٢/٤٩، تذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، والوافي بالوفيات ٢٤٨/١٨، وطبقات المفسرين للسيوطي ٦٧/١.

(١٠) الدرر الكامنة ١٨٧/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٢- علي بن محمد بن ممدود بن جامع بن عيسى البندنيجي الصوفي، أبو الحسن، (٧٣٦هـ)[١].

١٣- زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم المقدسية، المعروفة ببنت الكمال (٧٤٠هـ)[٢].

١٤- موسى بن علي بن وهب، سراج الدين، أخو ابن دقيق العيد[٣].

٥-مؤلفاته:

للمؤلف تصانيف في التفسير والفقه والعروض، غير تفسيره المشهور منها:

١- مختصر الفرق بين الفرق، اختصر به كتاب "الفرق بين الفِرَق" للبغدادي[٤].

٢- درّة القارئ في الفرق بين الضاد والظاء، وهي قصيدة جيدة تقع في اثنين وثلاثين بيتاً، من البسيط[٥].

٣- مطالع أنوار التنزيل، ومفتاح أسرار التأويل[٦].

٤- القمر المنير في علم التفسير[٧].

٥- المنزع الصافي من المين في مصرع الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين[٨].

٦- المنتصر في شرح المختصر[٩].

٧- أسنى المواهب في أحاديث المذاهب[١٠].

---

(١) الدرر الكامنة ١٤٢/٤.

(٢) شذرات الذهب ١٢٦/٦، والعبر ٢١/٦.

(٣) الطالع السعيد ص٣٨٠، وذيل طبقات الحنابلة ٢٩٤/١.

(٤) الأعلام ٢٩٢/٣، ومعجم المؤلفين ١٤٠/٢. مطبوع

(٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٧٤٣/١، والأعلام ٢٩٢/٣.

(٦) كشف الظنون ٤٥٢/١، ١٧١٥/٢.

(٧) عقود الجمان ٤/ق١٣٢/أ. وتلخيص مجمع الآداب ١٩٣/١.

(٨) تذكرة الحفاظ ١٤٥٢/٤، وتاريخ الإسلام ٧٢/٤٩، والوافي بالوفيات ٢٤٨/٨، وذيل طبقات الحنابلة ٢٩٤/١، وطبقات المفسرين للداوودي ٢٩٤/١، والأعلام ٢٩٢/٣، ومعجم المؤلفين ١٤٠/٢.

(٩) عقود الجمان ٤/ق١٣٢/أ.

(١٠) عقود الجمان ٤/ق١٣٢/أ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٨- عقود العروض[١].

٩- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز[٢].

٦- ثناء العلماء على المؤلف:

حظي المؤلف بثناء عاطر من معاصريه، ومن أتى بعدهم، ووصفوه بالحفظ والإمامة ومن وصف بعضهم:

١- قال ابن الشعار:" فقيه محدث، شاعر، فاضل، ذو قريحة في المنظوم والمأثور"[٣].

٢- وقال الذهبي:"كان إماماً محدثاً فقهياً، أديباً شاعراً، ديِّناً صالحاً وافر الحرمة"[٤].

٣- قال ابن كثير:" المحدث المفسر، سمع الكثير، وحدث، وكان من الفضلاء والأدباء"[٥].

٧-وفاته

مات رحمه الله سنة إحدى وستين وستمائة، وهذا قول عامة من ترجمه. ثم اختلفوا في أي شهر توفي، قيل: في ذي الحجة، وقيل: في الثاني عشر من ربيع الآخر ليلة الجمعة، وقيل في الثامن عشر من ربيع الآخر ليلة الجمعة ، عند العشاء الآخر.

وكانت وفاته بسنجار[٦]، ودفن في ظاهرها، شرقي البلد في مقبرة المشايخ[٧].

---

(١) عقود الجمان ٤/ق١٣٢/أ.

(٢) مطبوع.

(٣) عقود الجمان ٤/ق١٣٢/أ.

(٤) تاريخ الإسلام ٤٩/٧٤.

(٥) البداية والنهاية ١٣/٢٤١.

(٦) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. انظر: معجم البلدان ٣/٢٦٢.

(٧) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٥٣، والمقصد الأرشد ٢/١٣٥، والنجوم الزاهرة ٧/٢١١، وطبقات الحفاظ للسوطي ١/٥٠٨، وطبقات المفسرين للسيوطي١/٦٧، وكشف الظنون ١/٧٤٣، وشذرات الذهب ٥/٣٠٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التعريف بكتاب رموز الكنوز

١- اسم الكتاب:

هو "رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز"، هذا الاسم انفرد به صاحب كشف الظنون، وأما بقية من ترجم للمؤلف فقد ذكر الكتاب باسم:"رموز الكنوز"، وكذا جاء الاسم مكتوباً على طُرة بعض أجزاء الكتاب[١].

ولعل من ذكره باسم "رموز الكنوز" من غير إضافة هو من باب الاختصار في سرد الأسماء، وهذا ما نراه في المؤلفات التي تعرف بالأشخاص، والمؤلفات التي تعرف بالكتب.

٢- نسبة الكتاب للمؤلف:

- جاء اسم الكتاب مقروناً بنسبته إلى الإمام الرسعني – رحمه الله- على غلاف الكتاب.

- ذكر أكثر الذين ترجموا للمؤلف هذا الكتاب من جملة مصنفاته.

- جاء في السماع المثبت بآخر المجلد الثاني ما نصه:سمع جميع هذا المجلد وهو الثاني من كتاب "رموز الكنوز" تأليف الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل عز الدين عبد الرازق الرسعني.

- نقل عنه العلامة عبد الرحمن بن عمر الحنبلي(٦٨٤هـ)،في موضعين من تفسيره "منتهى العلوم"[٢].

كل هذا يؤكد بلا ريب من صحة نسبة كتاب "تفسير رموز الكنوز" للمؤلف.

٣- قيمة الكتاب العلمية:

أثنى الرسعني على كتابه"رموز الكنوز" في أثناء تفسيره، وذكر بعض مزايا كتابه:

- فقال عند تفسير الآية (١٤٤) من سورة آل عمران بعد أن ذكر اعتراضاً وجواباً عليه: وقل أن يُذكر مثل هذا التحرير في تفسير، ولكن هذا من السرِّ المكنون الذي لا يظهر إلا بالبحث والتقرير.

---

(١) كشف الظنون ١/٤٥٢.

(٢) رموز الكنوز ١/٥٨، ومنتهى العلوم ق٧٢/أ، و ق١٦٤/ب.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

– وقال عند تفسير الآية(٢٤) من سورة القمر، بعد أن ذكر دخلاً وجوابه: وقلّ أن ترى مثل هذا التدقيق والتحقيق في تفسير، فإذا قرأته فادعُ بالرحمة والمغفرة لمن أسهر فيه ناظره، وأتعب في استثماره خاطره.

واعلم أنني بعد ذلك رأيت بعض نَحارِير العلماء قد ألمّ بهذا المعنى، فحمدت الله على مماثلته في التوفيق، لإصابة جهة التحقيق.انتهى.

وقد أثنى العلماء على كتاب "تفسير رموز الكنوز"،ووصفوه بأوصاف تدل على قيمة الكتاب العلمية:

فقد قال الذهبي في تاريخ الإسلام:صنف تفسيراً حسناً، يروي فيه بإسناده[١].

وقال ابن رجب: وصنف تفسيراً حسناً في أربع مجلدات ضخمة ، سماه "رموز الكنوز"، وفيه فوائد حسنة، ويروي فيه الأحاديث بإسناده[٢].

قال ابن بدران:رموز الكنوز تفسير جليل ،يذكر فيه المؤلف أحاديث يرويها بالسند، ويناقش الزمخشري في كشافه، ويذكر فروع الفقه على الخلاف بدون دليل...وبالجملة هو تفسير مفيد جداً لمن طالعه.

وقال في موضع آخر عند حديثه عن تفاسير الحنابلة: وأجل هذه التفاسير كلها وأنفعها تفسير الإمام عبد الرازق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعني، الفقيه المحدث الحنبلي...إلى أن قال ولقد اطلعت عليه، وارتويت من مورده العذب الزلال، وشنفت مسامعي بتحقيقه، وارتويت من كوثر تدقيقه، فرحم الله مؤلفه[٣].

٤– عناية العلماء بكتاب"رموز الكنوز":

ظهرت عناية كبيرة للعلماء بكتاب الإمام الرسعني، وقد ظهر هذا جلياً من خلال الحلقات العلمية التي كان أهل العلم يعقدونها لإلقائه في مجالس، وبعضهم كان يلقيه من حفظه، وفيما يلي نذكر من كان يلقي كتاب "رموز الكنوز"على طلبة العلم:

---

(١) تاريخ الإسلام ٤٩/٧٣.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ١/٢٩٤.

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص٤٧٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- الإمام الرسعني نفسه يقوم بتدريس كتابه،وإملائه على طلبة العلم.

٢- الشيخ عبد الصمد بن إبراهيم بن خليل البغدادي المعروف بابن الحصري (٧٦٥هـ).

ألقى كتاب "رموز الكنوز" دروساً من لفظه بمسجد بالس ببغداد[١].

٣- القاضي جمال الدين عبد الصمد بن خليل الخضري الحنبلي(٧٦٥هـ). كان يحدث ويملي تفسير الرسعني من حفظه، ويحضره الخلق، منهم المدرسون والأكابر[٢].

٤- أبو بكر بن محمد بن قاسم بن عبد الله السنجاري ثم البغدادي ، شجاع الدين المقرئ المقانعي الحنبلي. كان يحدث بتفسير الرسعني[٣].

٥- منهج المؤلف في كتابه "رموز الكنوز":

من خلال الدراسات السابقة عن الرسعني لم يقف أحدٌ منهم على مقدمة المؤلف لكتابه رموز الكنوز، حيث إن الجزء الأول من المخطوط مفقود،فعادة المؤلفين يذكرون المنهج الذي سلكوه في المقدمة. ومن خلال النظر في تفسيره نتلمس المنهج الذي سلكه الرسعني في تفسيره[٤]:

١- يبدأ الرسعني- رحمه الله- بذكر طرف الآية ثم يذكر القراءات الواردة فيها، وينسبها إلى من قرأ بها من القراء، ثم يقوم بتوجيه القراءات لغوياً ، ومن ثم يعرض للمعاني المختلفة المأخوذة من القراءات المختلفة.

٢- يذكر المعاني اللغوية ومباحث الإعراب ونكت البلاغة المتعلقة باللفظ القرآني.

٣- امتاز لفظ المؤلف بالإيجاز وكان سهل العبارة، مما جعل تفسيره قريب المنال، سهل المأخذ.

---

(١) هو: عبد الصمد بن إبراهيم بن خليل البغدادي، جمال الدين، أبو أحمد، المعروف بابن الحصري، الحنبلي، اختصر تفسير الرسعني، أن ألقاه دروساً من لفظه، بمسجد بالس ببغداد، توفي سنة خمس وستين وسبعمائة. انظر: الدرر الكامنة ١٦٢/٣، وشذرات الذهب ٢٠٤/٦.

(٢) شذرات الذهب ٣١٣/٦.

(٣) الدرر الكامنة ٥٥٠/١، والمقصد الأرشد ١٥٤/٣.

(٤) الأمثلة، انظر: رموز الكنوز تحقيق ابن دهيش ٦٢/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤- اعتمد في بيان معاني الآيات أحسن طرق التفسير، فهو يفسر الآية بالقرآن وقراءاته ثم بالأحاديث الواردة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وإيراد أسباب النزول المروية، ثم باللغة العربية.

٥- ساق الأحاديث بأسانيده المتصلة إلى رسول الله ﷺ.

٦- ذكر الحكم على بعض الأحاديث التي يسوقها.

٧- يذكر الخلافات الواردة عن السلف في التفسير، ويعدد عنهم الروايات في ذلك.

٨- يورد إشكالات على ظاهر النظم ثم يجيب عليها.

٩- يعقب بعض الآيات بذكر فصول مهمة، تتضمن أحكاماً فقهية، أو مسائل من أصول الدين ، أو فوائد تتعلق بالآية،يطنب القول فيها، ويذكر الآراء المختلفة حولها،مع سرد الأدلة لكل رأي.

١٠- ذكر فوائد وطرائف رآها أو سمعها.

١١- جمع بين الروايات المتعارضة الواردة في الموضوع، والترجيح بين الأقوال، بألفاظ متعددة منها:

أ- الترجيح بألفاظ صريحة ،كقوله:وهو الصحيح، والأول أصح.

ب- وصف القول الراجح ببعض أوصاف المدح:كقوله:والأظهر، والذي يظهر في نظري، والأول أشهر وأكثر، هذا هو التأويل الذي يشهد العلم بصحته، أوجه، أقوى.

ج-وصف القول المرجوح بالضعف كقوله:وفيه بعد، رديء جداً، ليس بمختار في الكلام، هذا القول ليس بسديد، هذا قول ظاهر البطلان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القسم الثاني:
منهج الإمام الرسعني في الترجيح

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الأول:

المبحث الأول: تعريف الترجيح

الترجيح في اللغة:

مصدر رجّح، قال ابن فارس: "الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة. يقال: رجح الشيءُ، وهو راجح إذا رَزَن"[١]. وأرجح الميزان أي: أثقله حتى مال[٢].

الترجيح عند الأصوليين:

هو اقتران الأمارة بما تقوى به على معارضها[٣].

أو تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل[٤].

وقد عرفه بعض الأصوليين بقوله: الترجيح إظهار الزيادة لأحد المثلين على الآخر[٥].

الترجيح عند المفسرين:

استعمال المفسرين للترجيح في تفاسيرهم يدل على أنهم لا يسيرون على ما حده الأصوليون به، فهم يتوسعون في إطلاقه، فهو عندهم يشمل كلّ تقديم لقول على آخر، سواء كان تقديماً يلزم منه ردّ الأقوال الأخرى، أم كان تقديماً لا يلزم منه ذلك[٦].

فهو التغليب بالحجة لبعض الوجوه في التفسير على بعض عند الاختلاف الذي لا يمكن الجمع فيه بين الوجوه المتعددة[٧].

لذلك سيكون الترجيح الذي سأتولى جمعه، ودراسته في هذا البحث هو ما حده

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (رجح) ٢/٤٨٩.

(٢) انظر: لسان العرب مادة(رجح)٢/٤٤٥.

(٣) مفاتيح التفسير للخطيب١/٢٦٨.

(٤) انظر: شرح الكوكب المنير ٤/٦١٦.

(٥) انظر: البحر المحيط للزركشي ٤/٤٢٥.

(٦) انظر: ترجيحات ابن القيم واختياراته في التفسير ص٢٢ محمد القحطاني رسالة دكتوراه.

(٧) مفاتيح التفسير١/٢٦٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بعضهم بقوله: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل، أو قاعدة، أو لتضعيف، أو ردِّ ما سواه[١].

ويمكن أن يقال: الترجيح هو: تقوية أحد الأقوال، (أو بعضها) في تفسير الآية لدليل، أو قاعدة، أو لتضعيف، أو ردِّ ما سواه. ليشمل ما لو قُوِّيَ في المسألة قولان، وردَّ ما سواهما، أو نحو ذلك؛ لأن بعض المسائل تكون مشتملة على ثلاثة أقوال، أو أكثر، وإذا قدم قولين، أو أكثر دون غيرهما لكان هذا ترجيحاً لهذه الأقوال على غيرها من الأقوال الواردة في الآية.

وعلى هذا سأعتمد من العبارات ما كان الترجيح فيها صريحاً، سواءً كان ذلك بتقديم قول على غيره، أو اعتماده دون غيره، أو غير ذلك. أما ما كانت العبارة فيها تدل على قبول كل الأقوال، أو الاحتمالات في الآية دون تقديم لأحدها، أو بعضها على غيره فلن تكون من ضمن هذا البحث؛ لأن تقوية كل الأقوال الواردة في الآية يدل على أنها جميعاً محتملة وليس فيها مرجوحاً، والقول الراجح لا بد أن يقابله قول مرجوح.

---

(١) وهذا التعريف للدكتور حسين بن علي الحربي، انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين ١/٣٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني: أهمية الترجيح:

للترجيح أهمية بالغة في كلِّ علم من العلوم، وتتأكد أهمية الترجيح في علم التفسير أكثر من غيره؛ لتعلق هذا العلم بأفضل الكتب على الإطلاق، ومعلوم أن شرف العلم بشرف متعلقه، ولكثرة ما احتوت عليه كتب التفسير من الأقوال الباطلة، والحكايات المكذوبة، وغير ذلك حتى لا يكاد يخلو من ذلك كتاب من كتب التفسير. وتتجلى هذه الأهمية فيما يلي:

أولاً: إن دراسة، وموازنة، ومقارنة أقوال المفسرين في تفاسيرهم، ومعرفة الأقوال الصحيحة، والمختارة في تفسير الآيات له أهمية بالغة ذكرها العلماء الأجلاء ومنهم:

العلامة المفسر ابن جزي الكلبي [١]، قال في معرض حديثه في مقدمة تفسيره وهو يذكر السبب، والباعث له على تأليفه حيث قال:

" قصدت به أربعة مقاصد تتضمن أربع فوائد...

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح، وذلك أن أقوال الناس على مراتب، فمنها الصحيح الذي يعول عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً.."[٢].

وما ذكره –رحمه الله– يحتاج إلى دراسة وتأمل في مراتب الأقوال وهذا يتحقق في مثل هذه الدراسات.

ثانياً: كون هذا الموضوع لا يقف عند الموازنة فحسب، بل تعداها إلى الدراسة المتكاملة – قدر المستطاع– لكل مسألة حصل فيها خلاف بين المفسرين في المراد منها، وهذا بدوره يكسب الباحث ملكة علمية، وفائدة جيدة، نتيجة دراسته للمسائل، خاصة

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، وقد نبغ في علوم شتى، من مصنفاته: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، وتقريب الوصول إلى الأصول، والتسهيل لعلوم التنزيل، توفي سنة ٧٤١هـ. انظر: الدرر الكامنة٥/٨٨، والديباج المذهب ٣/٣٥٦.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إذا توسعت، وتشعبت المسألة بحثاً، واستدلالاً للوصول إلى الراجح بدليله، وقواعده الترجيحية لدى المفسرين.

قال ابن القيم[١]:

"كل أمرين طُلبت الموازنة بينهما، ومعرفة الراجح منهما على المرجوح؛ فإن ذلك لا يمكن إلا بعد معرفة كل منهما"[٢].

ثالثاً: من الفوائد المهمة لدراسة الترجيحات في التفسير أنها تُكسب الباحث خبرة بكتب التفسير المختلفة وقدرة على التعامل معها، وتعطيه تصوراً صحيحاً عنها؛ فيتعرف بذلك على قيمة كل كتاب وميزات كل تفسير، كما أن ذلك يفيد في معرفة مراتب المفسرين من حيث مكانتهم في التفسير، وقيمة ترجيحاتهم، ويفيده أيضاً عندما تكون الترجيحات متنوعة تشمل التفسير، والعقيدة، والفقه، والأصول، واللغة العربية، وغيرها من العلوم[٣].

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، أحد كبار تلاميذ ابن تيمية توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: الدرر الكامنة١/٦٥، وشذرات الذهب ٦/١٦٨.

(٢) عدة الصابرين ص١٢٢.

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين ص١٠وص٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث: شروط الترجيح

إن طلب أصح الأوجه في تفسير كلام الله تعالى من أهم مقاصد طلب العلم وتحصيله، ولا سيمّا في دراسة التفسير.

والترجيح لا يكون إلا عند تعذر الجمع، وإلا فإنه أولى من الترجيح، وللترجيح شروط ذكرها الشوكاني، للترجيح بين الأدلة المتعارضة إلا أنه يمكن تنزيل الآراء المتعارضة في التفسير عليها أيضاً وهي:

١- التساوي في الثبوت فلا –يجوز الترجيح – بحال بين الكتاب وخبر الواحد إلا من حيث الدلالة.

٢- التساوي في القوة فلا – يجوز الترجيح – بحال بين المتواتر والآحاد بل يقدم المتواتر بالاتفاق كما نقله إمام الحرمين.

٣- اتفاقهما في الحكم مع اتحاد الوقت والمحل والجهة فلا بحال –يجوز الترجيح– بين النهي عن البيع مثلاً في وقت النداء مع الإذن به في غيره[1].

والخلاف في تفسير آيات القرآن الكريم، ولا يخلو من أحد أربعة أمور:

الأمر الأول: أن تكون جميع الأقوال محتمَلة في الآية وبقوة الاحتمال نفسها أو قريباً منه، ومن نصوص القرآن والسنة ما يشهد لكل واحد منها.

فمثل هذا الخلاف محتمل، وكل الأقوال فيه حق، ولا يدخله ترجيح لكون الأقوال صحيحة، وجميعها مراد من الآية، والقرآن يشهد لكل واحد منها، إذ يستقيم حمل الآية على كل قول منها، وليس بعضها أولى من بعض.

الأمر الثاني: أن تكون الأقوال متعارضة مع بعضها يتعذر حمل الآية عليها جميعاً، فلا بد أن يكون المراد أحدها.

الأمر الثالث: أن تكون الأقوال ليست متعارضة مع بعضها، وإنما يكون بعضها معارضاً لدلالة آيات قرآنية، أو لنصوص صحيحة من السنة، أو لإجماع الأمة، فمثل هذه الأقوال يجب إطراحها، وسقوط حكمها.

---

(١) إرشاد الفحول ١/٤٥٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأمر الرابع: أن تكون الأقوال المختلفة في الآية ليس بينها تعارض – لا مع بعضها ولا مع آيات أو أحاديث أو إجماع – وهي مُحتَمَلَة، غير أن بعضها أولى من بعض، وهذا ما يسمى بتقديم الأَوْلَى[1].

(1) انظر: قواعد الترجيح لحسين الحربي ١/٤١-٥٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الرابع:صيغ الترجيح عند الرسعني

استعمل الإمام الرسعني صيغاً عديدة للدلالة على الأقوال الراجحة والمختارة في تفسير الآية.

والمراد بصيغ الترجيح عند الرسعني: الألفاظ التي استخدمها في تفسيره عند بيان ما يرجحه من الأقوال، كأن يقول بعد ذكره لعدة أقوال في معنى الآية: والأول أصح، أو والصحيح عندي...، وغير ذلك مما سيأتي بيانه قريباً – إن شاء الله –.

والناظر في هذه الصيغ يرى فيها تفاوتاً في الدلالة على الأقوال الراجحة والمرجوحة، وهذا راجع إلى تفاوت الأقوال من حيث القوة والضعف.

وفيما يلي جملة مما عبّر به الإمام الرسعني عند ترجيحه لأحد الأقوال، أو اختياره له.

أ- الترجيح بألفاظ صريحة، مثل:

١- والصحيح، والأول أصح، والصحيح عندي، وهذه الصيغة كثيرة عند الرسعني، وهي تدل في الغالب على ترجيح الرسعني لأحد الأقوال ورد ما سواه، أو أن هذا القول المختار هو الأصح والأقوى.

- **مثال ذلك**: ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ (النساء:٢٤).

قال الرسعني: قد ذهب جماعة إلى أن هذه الآية نزلت في المتعة وإباحتها ثم نُسِخت بعد. والصحيح: أنها محكمة، وأن المتعة إنما أبيحت بالسُّنَّة، ثم نُسِخت بالسُّنة، والأحاديث الناسخة لإباحتها مخرجة في الصحيحين[1].

- ومن ذلك أيضاً ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ (هود:٧٨).

قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ فِى ضَيْفِىٓ ﴾ أي: في حق ضيفي، وهو اسم يقع

---

(١) رموز الكنوز ١/٤٧٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

على الواحد والجمع، تقول: رجل ضيف، ورجلان ضيف، وقوم ضيف، وكذلك المؤنث، ويقال أيضاً في الجمع: أضياف، وضيوف، وضيفان، **والأول أصح** [١].

٢- الظاهر، والأول أظهر، والذي يظهر لي، وهذه صيغ تدل على ظهور القول الراجح.

- مثال ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (سورة الرعد:٢)

قال الرسعني: فإن قيل: ما محل (الذي رفع) من الإعراب؟

قلت: الرفع خبر المبتدأ، أو صفة.

فإن قيل: إذا جعلته صفة، فأين الخبر؟

قلت:"يدبر الأمر"، وقوله: "يفصل الآيات" خبر بعد خبر.

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ [٢].

- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأنعام:١٦٠)

قال الرسعني: والظاهر: عموم الآية في كل حسنة وسيئة.

وقال ابن مسعودﷺ، ومجاهد، والنخعي، "الحسنة": لا إله إلا الله، و"السيئة": الشرك [٣].

٣-المشهور، أو أشهر الأقاويل، وهذه صيغ تدل على شهرت القول الراجح على غيره.

---

(١) رموز الكنوز ٢٠٣/٣.

(٢) رموز الكنوز٤٣٨/٣.

(٣) رموز الكنوز ٦٦/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ (سورة الرعد:١)

بعد ذكر أوجه الإعراب لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ قال الفراء: "الذي": رفع بالاستئناف، خبره: "الحق".

قال الرسعني: وهذا هو المشهور في التفسير[١].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ (التوبة: ٣٧)

قال الرسعني: واختلفوا في أصل الكلمة؛ فذهب الأكثرون إلى أنها من التأخير.

قال الأخفش: ومنه: النسيء في البيع، ويُقال: أنسأَ الله في أجلك.

وقال قطرب: هو من الزيادة، فكل زيادة حدثت في شيء فهو نسيء، وقال: ومنه: قد نسأتُ الناقة وأنسأتُها؛ إذا زجرتها ليزداد سيرُها. قال الرسعني: **والأول أظهر وأشهر**[٢].

٤-الأولى: وهذه الصيغة من صيغ الترجيح عند الرسعني تدل على تقديم أحد الأقوال على غيره.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ (يوسف:٣٢)

﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا ﴾ وقرئ شاذاً:"وليكونن" بالتشديد.

والقراءة الأولى أولى؛ لأن جمهور القراء عليها[٣].

ب- وصف القول الراجح ببعض أوصاف المدح:

---

(١) رموز الكنوز ٣/٤٣٥.

(٢) رموز الكنوز ٢/٤٩٢.

(٣) رموز الكنوز ٣/٣٣٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- الأجود، وهذه صيغة تدل على اختيار الرسعني لأحد الأقوال دون رد لغيره.

مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (الأعراف:١١٠)

قال الرسعني: في توجيه من القائل في قوله: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ والأول- وهو اعتقاد كونه من قول فرعون- **أجود** [١].

- وعند قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ ﴾ (طه:٦٤)

قال الرسعني: مُصطفِّين مجتمعين ليكون أنظم لكم وأشدّ لهيبتكم. فنصب"صفاً" على الحال. وقيل: هو مفعول به، أي: إيتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم.

قال الزجاج: يقال: أتيتُ صفّاً، بمعنى: أتيتُ المصلَّى. قال الرسعني: **والأول أجود**[٢].

٢- الأحسن، وهذه الصيغة تدل في الغالب على اختيار الرسعني لأحد الأقوال دون رد غيره، أي أن هذا القول امتاز عن غيره من الأقوال.

مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ ﴾ (الأعراف:٥٧)

قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ﴾ أي: بالسحاب أو بالسوق أو بالبلد، ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ﴾ : يحتمل الوجوه المذكورة في الضمير الذي قبله.

والأحسن – والله أعلم- أن يكون المعنى: فأنزلنا بذلك البلد الماء، فأخرجنا بالماء[٣].

ج- وصف القول المرجوح بالضعف، حيث يفسر الرسعني الآية بقول: ثم يذكر قولاً

---

(١) رموز الكنوز ٢/٢١٧.

(٢) رموز الكنوز ٤/٥٣٤.

(٣) رموز الكنوز ٢/١٦٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أو أقوالاً، وينصُّ على ضعفها وهذا واضح، فإن الترجيح كما يكون بالنص على صواب قول وصحته، يكون - أيضاً- برد الأقوال الواردة في الآية المفسرة، وإن لم ينصّ المفسر على اختياره وترجيحه.

وهذه الطريقة معتبرة معروفة عند العلماء، والرسعني يذكر مثل هذا في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك:

١- وهذا خطأ فاحش، وهذه الصيغة تدل على بطلان هذا القول ورده، وترجيح القول الآخر في المسألة.

عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ (هود: ٧٨)

قال الحسن: كان تزويج المسلمات من الكفار جائز.

قال الزمخشري: وقد زوّج النبي ﷺ قبل الوحي ابنتيه من أبي العاص بن وائل وعتبة بن أبي لهب[١].

قال الرسعني: وهذا خطأ فاحش؛ لأن ابن وائل هو العاص، وزوج بنت رسول الله ﷺ: إنما هو أبو العاص بن الربيع[٢].

٢- وليس بصحيح، وهذه صيغة تدل على عدم صحة هذا القول في نظر الرسعني، وأن غيره أقوى منه، وأقرب إلى الصواب.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ ﴾ [٣]

"يوسف" اسم عبراني. وقيل: عربي. **وليس بصحيح**؛ لأنه لو كان عربياً لانصرف؛ لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف[٤].

٣- وفي هذا بعد، وهذه صيغة تدل على عدم قبول الرسعني لهذا القول وردّه

---

(١) الكشاف ٢/٣٩٠.

(٢) رموز الكنوز ٣/٢٠٢.

(٣) سورة يوسف آية: ٤.

(٤) رموز الكنوز ٣/٢٧٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وترجيح القول الآخر في المسألة.

قال تعالى: ﴿ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ (الأعراف: ١٤٨)

قوله: ﴿ جَسَدًا ﴾ ... بعد أن ذكر الرسعني الأقوال، قال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح. **قال الرسعني: وفي هذا بُعد** لوجوه[1].

(١) رموز الكنوز ٢/٢٦٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الثاني:وجوه الترجيح عند الرسعني

الوجوه: جمع وجه، ويطلق على معانٍ متعددة.

ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به[١].

وأوجه الترجيح: هي طرق الترجيح التي يسلكها المفسر لتقوية أحد الأقوال في تفسير الآية.

ويعبّر عنها بأدلة الترجيح، أو قواعد الترجيح.

وقواعد الترجيح عند المفسرين هي: ضوابط وأمور أغلبيّة يُتَوَصّل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله[٢].

وقد استند الرسعني إلى وجوه عدة عند ترجيحه لأحد المعاني في تفسير الآية.

وينقسم هذا الفصل الذي يُعنى بوجوه الترجيح عند الرسعني إلى ثمانية مباحث: على النحو التالي:

المبحث الأول:الترجيح بدلالة القرآن

المبحث الثاني:الترجيح بدلالة السنة

المبحث الثالث:الترجيح بدلالة الأثر

المبحث الرابع:الترجيح بالإجماع وقول الأكثرين

المبحث الخامس:الترجيح بدلالة اللغة العربية

المبحث السادس:الترجيح بدون ذكر سبب

المبحث السابع:الترجيح بدلالة السياق

المبحث الثامن: الترجيح بدلالة القواعد الأصولية

---

(١) لسان العرب لابن منظور١٣/٥٥٥، مادة وجه.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ١/٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول: الترجيح بدلالة القرآن:

اهتم الشيخ كثيراً بالترجيح بدلالة القرآن الكريم، حيث إنه أصح الطرق كما هو معلوم، وهذا أول ما يجب على المفسِّر أن ينظر فيه، وهو واضح في تفسيره، بدلالة الآية نفسها، أو بدلالة آية أخرى ومن أمثلة ذلك:

١- قول الرسعني:﴿ إِنَّهُۥ ﴾ يعني: القرآن ﴿ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ وهو محمد ﷺ، في قول جمهور المفسرين. وقال ابن السائب: جبريل عليه السلام.

والأول أصح؛ لقوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ ﴾ والمعنى: إنه لقول رسول كريم جاء به من عند الله[١].

٢- قول الرسعني: قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ أي: نُفخ في الصور. وهل المراد بذلك النفخة الأولى أو الثانية؟

فيه قولان: أظهرهما: أنها الثانية؛ لقوله: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴾[٢].

---

(١) رموز الكنوز٨/٢٦٧.

(٢) رموز الكنوز ٨/٣٥٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني: الترجيح بدلالة السنة

يعد تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية أصح طرق التفسير بعد القرآن الكريم، فهي شارحة وموضحة له. فإذا ثبت الحديث وصار نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[١]، أما لو كان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] – رحمه الله – " فإن أعياك ذلك – يعني تفسير القرآن بالقرآن، فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن"[٤].

ولذلك اعتمد الرسعني عليها في ترجيحه لبعض الأقوال في عدة مسائل:

١- قول الرسعني:﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ صرفه قوم عن ظاهره، وقالوا: يأتي يوم القيامة بإثم ما غلّ.

والصحيح: أنه يأتي به يوم القيامة يحمله على عنقه، لما أخرج من الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:" قام فِينَا النبي ﷺ يوماً، فذكر الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثم قال: لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يجيء يوم الْقِيَامَةِ على رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ له رُغَاءٌ، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة وَعَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لها ثُغَاءٌ، فيقول يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لك من الله شيئاً، قد أَبْلَغْتُكَ.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ١/١٩١.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ١/٢٠٦،

(٣) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، يلقب بتقي الدين، المكنى بأبي العباس، شيخ الإسلام، من تصانيفه: إثبات الصفات والعلو والاستواء، واقتضاء الصراط المستقيم، والصارم المسلول على شاتم الرسول، ومنهاج السنة. توفي معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ. انظر: شذرات الذهب ٦/٨٠-٨٦، و كشف الظنون ١/٢٧٧.

(٤) مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية، ص٥٧، وتفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، ص٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لها حَمْحَمَةٌ، فيقول: يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لك من الله شيئاً، قد أَبْلَغْتُكَ.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رَقَبَتِهِ نفس لها صياح، فيقول: يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لك شيئاً، قد أَبْلَغْتُكَ.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فيقول: يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لك شيئاً، قد أَبْلَغْتُكَ. لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامةَ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فيقول يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لك شيئاً قد أَبْلَغْتُكَ".

أخبرنا أبو علي بن سعادة في كتابه، أخبرنا أبو القاسم بن محمد بن عبد الواحد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر بن مالك، أخبرنا عبد اللّه بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا همام، وأبان قالا: حدثنا قَتَادَةَ عن سَالِمِ بن أبي الْجَعْدِ، عن مَعْدَانَ، عن ثَوْبَانَ مولى رسول اللَّهِ ﷺ، عن رسول اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال:" من فَارَقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ وهو بريء من ثَلَاثٍ دخل الْجَنَّةَ: الْكِبْرِ، وَالدَّيْنِ، وَالْغُلُولِ"[1].

٢- قول الرسعني: قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس ﷺ والأكثرون: نزلت في مانعي الزكاة.

وروي عن ابن عباس ﷺ ومجاهد: أنها نزلت في الأحبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ . اختاره الزجاج.

والذين آتاهم الله- على القول الأول-: المال، وعلى القول الثاني: العلم.

والصحيح هو القول الأول؛ لما أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :" مَن آتاه مالاً فلم يُؤدِّ زكاته مُثِّل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه- يعني شِدقيه- يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم

(١) رموز الكنوز ١/٣٥٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾

وفي حديث: أنه يستعيذ منه فيقول له مالهُ: لِمَ تستعذ مني؟ أنا مالك الذي كنت تبخل به في الدنيا، فيطوقه في عنقه، فلا يزال في عنقه حتى يدخله الله جهنم[1].

(1) رموز الكنوز ١/٣٩٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث: الترجيح بدلالة الأثر:

لا شك أن الآثار، وأقوال السلف إذا جاءت موافقة للقول المختار؛ تعطيه قوة، وقرباً على الصواب، فتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم،[١] وقد اعتمد الرسعني على أقوال للصحابة والتابعين في الترجيح بين الأقوال في مواضع من تفسيره، نذكر منها:

١- قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ أي: أزلنا الأحقاد التي كانت كامنة في صدورهم. قيل: المراد بذلك أحقاد الجاهلية أذهبها الله بالإسلام.

والأظهر في التفسير: أن المراد بذلك: الإعلام بصفة أهل الجنة. وإليه أشار علي -عليه السلام- بقوله فيما أخبرنا به الثقة العدل أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة بالموصل، أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني بثغر الإسكندرية، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين بن المهند بسلماس، أخبرنا جدي القاضي أبو بكر أحمد بن جرير بن خميس السلماسي، أخبرنا أبي- جرير بن أحمد-، حدثنا أبو سعيد عمران بن موسى بن هلال التميمي، حدثنا علي القصر، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا عبثر، عم مفضل بن مهلهل، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: قال علي ﷺ : "إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

وعلى هذا أيضاً أحمل قول علي -عليه السلام- :" فينا أهل بدر نزلت".

أخبر الله عنهم بما يؤول أمرهم إليه في الجنة، والصفة التي يكونون عليها، وأخبر عنه بصيغة الماضي لتحقق حصوله[٢].

٢- قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ اختلفوا

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ٢٧١/١.

(٢) رموز الكنوز ١٢٤/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

في المخاطبين بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون، وقد استنصروا الله تعالى على كفار قريش وسألوه الفتح. قاله أُبيّ بن كعب.

والثاني: وهو الأظهر-: أنهم المشركون.

قال ابن عباسﷺ : قال أبو جهل يوم بدر قبل القتال: اللهم أيهم كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فنزلت هذه الآية[١].

المبحث الرابع: الترجيح بالإجماع وقول الأكثرين:

عند استعراض تفسير الرسعني نجده أحياناً يبني ترجيحاته على الإجماع، وقول الأكثرين، ومن الأمثلة على ذلك:

١- قول الرسعني: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ " الظاهر أنه يريد به قرابة النسب، وهو قول ابن عباسﷺ، والأكثرين. أوصى سبحانه بذي القربى، ثم أكد الوصية به إذا كان جاراً لتأكيد حقه بالجوار منضماً على القرابة.

وقيل: المراد به: الجار القريب، وقيل: الجار المسلم"[٢].

٢- قول الرسعني: قال الإمام أحمد ويحيى بن معين: اسم أبي لبابة: رفاعة بن عبد المنذر.

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: اسمه: بشير بن عبد المنذر.

وقال مقاتل: اسمه: مروان بن عبد المنذر.

والمعول على القول الأول، وهو قول الإمام، وهو الأكثر والأشهر عند علماء النقل[٣].

---

(١) رموز الكنوز٢/٣٩٣.

(٢) رموز الكنوز ١/٥٠٠.

(٣) رموز الكنوز ٢/٥٨٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣- قال الرسعني: في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ إن جعلت الباء من صلة "ترونها" لم تقف على"عمد"، وإن جعلتها من صلة "رفع" وقفت على"عمد".

فعلى الأول هاء الكناية ترجع إلى "عمد" و"ترونها" صفة لها، التقدير: بغير عمد مرأية.

ويعضده قراءة أبيّ: "ترونه"، وهذا قول ابن عباسﷺ في رواية عطاء والضحاك، قال: لها عمد على قاف ولكنكم لا ترون العمد. وهذا قول مجاهد وعكرمة وعلي.

الثاني: "ترونها" كلام مستأنف، استشهاد برؤيتهم لها كذلك، وهاء الكناية ترجع إلى"السموات"، وهذا قول ابن عباسﷺ في رواية أبي صالح، وبه قال الحسن وقتادة وجمهور العلماء. وهو الصحيح؛ لأنها لو احتاجت إلى عمد لافتقر العمد إلى دعامة أيضاً وتسلسل إلى ما لانهاية له[١].

المبحث الخامس: الترجيح بدلالة اللغة العربية:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلسان عربي مبين قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢] ، وقال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾[٣]

من أجل هذا يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[٤]؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، والواجب حمله على أفخم المعاني وأعظمها دون المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي، وقد استدل بمفهوم هذه القاعدة الكثير من المفسرين قديماً وحديثاً، ومنهم الرسعني، فهو يورد في تفسيره كثيراً من مسائل اللغة ويناقشها، ويستدل بها على بعض ما يراه من أقوال، ومن ذلك:

---

(١) رموز الكنوز٣/٤٣٦.

(٢) سورة يوسف آية: ٢.

(٣) سورة الشعراء آية: ١٩٥.

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ٢/٣٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- قال الرسعني: كثر أقوال الصحابة في تفسير الكلالة:

فاختيار أبي بكر الصديق ﷺ: أنها عبارة عمَّن سوى الوالد والولد، وهو الصحيح. وبه قال عليّ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباسﷺ، والحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، والزهري، وقتادة، والفراء.

وأما عمر ﷺ فكان يقول: الكلالة: من سوى الولد. وهو قول طاووس.

وقال الحكم: الكلالة: ما عدا الولد، وقيل: بنو العم الأباعد.

وقال عطية: الإخوة من الأم.

وروي عن عمر: أنه قال – لما طُعِن-: كنت أرى أن الكلالة: مَن لا ولد له، وأنا أستحي أن أخالف أبا بكر، الكلالة: مَن عدا الوالد والولد.

وروي عن عمر أيضاً: التوقف، وكان يقول: ثلاثة لأن يكون بيَّنهن رسول الله لنا أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها: الكلالة، والخلافة، والربا.

والدليل على صحة قول أبي بكر وجوه:

الوجه الأول: التمسك باشتقاق لفظ الكلالة، وفيه وجوه:

الأول: يقال: كلَّت الرحم بين فلان وفلان؛ إذا تباعدت القرابة، وحمل فلان عن فلان، ثم كلَّ عنه؛ إذا تباعد، فسمِّيت القرابة البعيدة: كلالة من هذا الوجه.

الثاني: يقال: كلَّ الرجلُ كلالة وكلالاً؛ إذا أعيا وذهبت قوّته، ثم جعلوا هذا اللفظ استعارة من القرابة الحاصلة، لا من جهة الولاد، وذلك لأناَّ بيّنا أن هذه القرابة حاصلة بواسطة الغير، فيكون فيها ضعف، وبهذا يظهر أنه يبعد إدخال الوالد في الكلالة، لأن انتسابه على الميت بغير واسطة.

الثالث: الكلالة في أصل اللغة: عبارة عن الإحاطة، ومنه: الإكليل فحاطته بالرأس، ومنه: الكلّ، لإحاطته بما يدخل فيه، ويقال: تكلَّل السحاب؛ إذا صار محيطاً بالجوانب.

إذا عرفت هذا فنقول: مَن عدا الوالد والولد، إنما سمُّوا بالكلالة؛ لأنهم كالدائرة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المحيطة بالإنسان، وكالإكليل المحيط برأسه، أما قرابة الولاد فليست كذلك، فإن فيها يتفرع البعض عن البعض، ويتولد البعض من البعض؛ كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد، ولهذا قال الشاعر:

نسب تتابع كابراً عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب

فأما القرابة المغايرة لقرابة الولاد، وهي كالأخوة والأخوات والأعمام والعمّات، فإنما يحصل لنسبهم اتّصال، وإحاطة بالمنسوب إليه. فثبت بهذه الوجوه الاشتقاقية: أن الكلالة عبارة عمّن عدا الوالد والولد.

الحجة الثانية: أنه تعالى ما ذكر لفظ الكلالة في كتابه إلا في هذه السورة في موضعين: أحدهما في هذه الآية، والثاني في آخر السورة، وهو قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ ﴾ ، واحتج عمر بن الخطاب بهذه الآية على أن الكلالة: مَن لا والد له ولا ولد، وذلك لأن الله حكم بتوريث الإخوة والأخوات حال كون الميت كلالة، ولا شك أن الإخوة والأخوات لا يرثون حال وجود الأبوين، فوجب أن لا يكون الميت كلالة، حال وجود الأبوين.

الحجة الثالثة: أنه تعالى ذكر حكم الولد والوالد في الآيات المتقدمة، ثم اتبعها بذكر الكلالة. وهذا الترتيب يقتضي أن تكون الكلالة: من عدا الوالد والولد.

الحجة الرابعة: قول الفرزدق:

ورثتم قناة المجد، لا عن كلالة عن ابنَيْ مناف عبد شمس وهاشم

دلَّ هذا البيت على أنهم ما ورثوا الملك عن الكلالة، ودل على أنهم ورثوه عن آبائهم. وهذا يوجب أن لا يكون الأب داخلاً في الكلالة"[1].

٢- قال الرسعني: واختلفوا في أصل الكلمة؛ فذهب الأكثرون إلى أنها من التأخير.

قال الأخفش: ومنه: النسيء في البيع، ويُقال: أنسأَ الله في أجلك.

---

(١) رموز الكنوز ١/٤٤٠-٤٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقال قطرب: هو من الزيادة، فكل زيادة حدثت في شيء فهو نسيء، وقال: ومنه: قد نسأتُ الناقة وأنسأتُها؛ إذا زجرتها ليزداد سيرُها. والأول أظهر وأشهر[1].

المبحث السادس: الترجيح بدون ذكر سبب:

قد يميل الرسعني إلى رأي من الأراء ويرجحه بدون ذكر سبب للترجيح اعتماداً على القرائن، مثل الترجيح بقرينة الأَولَى، أو الدخول تحت عموميات الشريعة، أو حيث ينعدم المعارض ولا يوجد المانع، ومن الأمثلة على ذلك:

١- قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ قيل: إنهم النصارى اختلفوا في عيسى، هل هو إله أو لا؟ وهل قُتِل أو لا؟

والصحيح: أن المختلفين اليهود، اختلفوا في عيسى، هل قُتِل أم لا؟ والسبب في ذلك أنهم قالوا: إن كان المقتول عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟

وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى، والبدن بدن صاحبنا.

٢- قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴾ أي: عاقبتَها وتبعتَها.

قرأ نافع وابن عامر:"فلا يخاف" وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون: بالواو، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والكوفة والبصرة.

والمعنى: لا يخاف الله عقبى الدمدمة أو التسوية أو الفعلة.

قال ابن عباسﷺ والحسن: لا يخاف الله من أحد تَبعَةً في إهلاكهم.

فعلى هذا القول: الواو في "ولا يخاف" حالية، والحال من الضمير المرفوع في "فسواها" أو من "فدمدم".

وقال الضحاك والسدي وابن السائب: لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع.

فعلى هذا الحال: من الضمير المرفوع في "فعقروها" أي: عقرها غير خائف، ونسب

---

(١) رموز الكنوز ٤٩٢/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفعل إلى الجميع؛ لرضاهم به وتماليهم عليه، أو يكون التقدير: انبعث أشقاها وهو لا يخاف.

وقال قوم: المعنى: ولا يخاف رسول الله ﷺ صالح عقباها.

فعلى هذا الحال منه. ويجوز أن تكون الواو مقحمة.

ومن قرأ بالفاء كان التقدير – على قول ابن عباس رضي الله عنهما -: فسوّاها الله فلا يخاف عقباها.

وعلى قول الضحاك: فكذبوه فعقروها فلا يخاف العاقر عقباها.

وعلى القول الثالث: يكون قد تبع قول الرسول عدم خوفه من عقبى مقالته أو نذارته.

والوجه الأول: هو الوجه الصحيح. والله تعالى أعلم[١].

المبحث السابع: الترجيح بدلالة السياق:

السياق في اللغة مأخوذ من (سَوَقَ)، فالسين والواو والقاف أصل واحد وهو حَدْوُ الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقاً[٢].

وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه[٣].

والسياق اصطلاحاً: هو تتابع الكلام وانسجام التعبير في الدلالة على المعنى من خلال سابق يمهد، ولاحق يتمم أو يؤكد.

ودلالة السياق هي واحدة من أهم دلالات فهم النص القرآني.

وهي عبارة عن نتيجة دراسة النص الذي هو متتابع منسجم في تعبيره عن معناه باعتبار السابق واللاحق.

وقد اعتنى المفسرون بدلالة السياق أيما عناية فكم قدروا بها من محذوف، ورجحوا

---

(١) رموز الكنوز٨/٦٥١-٦٥٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (سوق): ١١٧/٣.

(٣) المعجم الوسيط، مادة (سوق): ٤٦٥/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وردوا من أقوال، وعللوا من آراء، واستخرجوا من هدايات الكتاب العزيز، واستنبطوا من أحكامه[١].

والناظر في تفسير الرسعني يرى أنه كثيراً ما يستدل بظاهر الآية على ما يختاره من أقوال ومن ذلك:

١- قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد: الشرك.

والأظهر في نظري: أنها سيئات المسلمين، لأن الكلام في الزانيين والإعراض عنهما. وهو قول سفيان الثوري، واحتج بقوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾" [٢].

٢- قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ قال الحسن: يريد: نفس آدم.

وقال عطاء: يريد: جمع ما خلق من الجن والإنس. وهو الصحيح؛ لدلالة ما بعده من التفصيل بقوله: "قد أفلح"، "وقد خاب"عليه[٣].

٣- قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ قال الماوردي: وفي ذلك قولان:

أحدهما: أنه يلقى ذلك في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً؛ لأن الآخرة هي دار الجزاء.

والثاني: أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا، وجزاء حسناته في الآخرة، حتى يصير إليها وليس عليه سيئة.

قلت: والقول الأول هو الأصح، وهو أشبه بسياق السورة ودلالة اللفظ. والله تعالى

---

(١) مفاتيح التفسير ١/٤٧٢.

(٢) رموز الكنوز ١/٤٥٦.

(٣) رموز الكنوز ٨/٦٤٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أعلم[١].

المبحث الثامن: الترجيح بدلالة القواعد الأصولية:

من القواعد الترجيحية عند المفسرين وجوب حمل نصوص الوحي على العموم، ما لم يرد نص بالتخصيص[٢]، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٣]

١- قال الرسعني: في قوله تعالى:﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ أي: أفضل جزاء وخير أملاً من الآمال المتعلقة بالأموال والبنين.

واختلفت الرواية عن ابن عباسﷺ في الباقيات الصالحات؛ فروى ابن أبي طلحة عنه: أنها جميع أعمال الحسنات. وبه قال قتادة وابن زيد.

وروى العوفي عنه: أنها الكلام الطيب. وروى سعيد بن جبير: أنها الصلوات الخمس.

والمشهور في التفسير: أنها ما روى علي عليه السلام عن النبي ﷺ :" أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله".

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال:" إن عجزتم عن الليل أن تُكابدوه، وعن العدو أن تُجاهدوه، فلا تعجزوا عن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، فقولها فإنها الباقيات الصالحات".

وسُئل عنها عثمان بن عفان فقال هذه الكلمات وزادها:" ولا حول ولا قوة إلا بالله".

وقد ذكرتُ فيما مضى أن هذا وأمثاله ليس على سبيل الحصر، وإنما هو لبيان جنس المراد بذكر بعض أنواعه.

---

(١) رموز الكنوز٨/٧٠٥.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ٢/٥٢٧.

(٣) القواعد الحسان ص١٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ٢/٥٤٥، وقواعد التفسير لخالد السبت ٢/٥٩٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ويدل على ذلك قول ابن عباسﷺ – وقد سُئل عنها-: هي الأعمال الصالحة، لا إله إلا الله، استغفر الله، وصلى الله على محمد، والصيام، والصلاة، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة، وجميع الحسنات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض[١].

٢- قال الرسعني: في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ جاء في أثناء حديث كعب بن مالك أنها نزلت فيهم، فيكون أمراً لجميع المؤمنين بأن يَنظُمُوا أنفسهم في سلك الثلاثة ومن ضاهاهم من الصادقين الذين استثمروا من الإخلاص في إيمانهم والصدق في مقالهم وإيمانهم مقالاً جميلاً وثواباً جزيلاً.

قال ابن عمر: " الصادقين": محمد وأصحابه. وقال سعيد بن جبير: أبو بكر وعمر.

ويؤيده قراءة ابن السميفع وأبي المتوكل ومعاذ القارئ: "الصادِقَين" بفتح القاف وكسر النون على التثنية[٢].

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباسﷺ في قوله: الصادقين": مع علي وأصحابه.

وقال ابن جريج:" مع الصادقين" أي: المهاجرين[٣].

ويروى: أن أبا بكر احتج بهذه الآية يوم السقيفة فقال: يا معشر الأنصار! إن الله يقول في كتابه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [٤] من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم. قال: فإن الله يقول: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ

---

(١) رموز الكنوز ٤/٢٩٧.

(٢) زاد المسير ٢/٣٠٨.

(٣) النكت والعيون ٢/٤١٤.

(٤) سورة الحشر آية:٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وقال السدي: "الصادقين": الثلاثة الذين خلفوا.

والصحيح: ما ذكرته أولاً من القول بعمومه في جميع الصادقين، وهو قول قتادة.

وسائر الأقوال المذكورة لا تنافي ما ذكرته؛ لأنه ليس مقصود القائل حصر الصادقين فيما خصه بالذكر، بل مقصوده بيان الصادقين وتعريفهم بذكر الأشهر منهم والأظهر في نظره[1].

(١) رموز الكنوز ٢/٦٣٠-٦٣٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القسم الثاني:
دراسة ترجيحات الرسعني في تفسيره
(رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز)

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (١)

١- مسألة: اختلف العلماء في القنطار هل هو محدود؟ أم غير محدود؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: القنطار محدود، مع الاختلاف في حده(٢).

القول الثاني: القنطار ليس بمحدود(٣).

قال الرسعني:

"القناطير: جمع قنطار.

قال ابن دريد(٤): أحسب أنه فارسي معرّب.

وقد رُوي عن أُبيِّ بن كعب(٥) عن النبي ﷺ: أنه ألفٌ ومائتا أوقية(٦).

وروى أبو هريرة(١) عن النبي ﷺ : أنه اثنا عشر ألف أوقية(٢).

---

(١) سورة آل عمران الآية:١٤.

(٢) تفسير الضحاك ٢٤١/١، وجامع البيان ٢٥٤/٥-٢٥٥، وتفسير ابن أبي حاتم٦٠٨/٢، والبحر المحيط ٦٣٩/٢، والتحرير والتنوير ١٢٦/٣.

(٣) تفسير الضحاك ٢٤٠/١، وجامع البيان ٢٦٠/٥، وزاد المسير ٢٦٥/١، ولباب التأويل ٣٢٧/١، وروح المعاني ٩٩/٣.

(٤) جمهرة اللغة ١١٨٣/٢ . وابن دريد هو: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر البصري، إمام عصره في اللغة والآداب والشعر، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٩٦/١٥، ووفيات الأعيان ٣٢٣/٤.

(٥) هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، أبو المنذر، صحابي أنصاري، سيد القراء، من كُتّاب الوحي، توفي سنة ٢١هـ. انظر: أسد الغابة ٧٨/١، والإصابة ٢٧/١.

(٦) أخرجه الطبري ٢٥٥/٥، وابن أبي حاتم ٦٠٨/٢، عن معاذ، قال ابن كثير:"وهذا حديث منكر أيضاً، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب ". انظر: تفسير القرآن العظيم ٢٨/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وروى الحسن البصري[٣] عن النبي ﷺ : أنه ألف ومائتا دينار[٤].

وفيه أقاويل متعددة عن الصحابة والتابعين[٥].

والذي يظهر في نظري: أن المنقول عن النبي ﷺ، وعنهم في ذلك: ليس على سبيل التحديد لزنة القنطار، وإنما هو على سبيل التنظير للمال الكثير، صيانة لروايات الثقات، ولأقوال العلماء الأثبات عن التناقض والتهافت.

والذي يؤيد ما ذكرته، ويوضح ما اخترته، قول أبي عبيدة[٦]: هو مِلء مسك[٧] ثورٍ ذهباً، ومعلوم أن هذا غير محدود.

وحكي أبو عبيدة عن بعض العرب: أن القنطار وزن لا يُحدّ[٨].

وقال الربيع بن أنس[٩]: هو المال الكثير بعضه على بعض"[١][٢].

---

(١) هو: اختلف في اسمه، فقيل: عبد الرحمن، وقيل: عبد الله، وقيل غير ذلك، الدوسي الأزدي، أسلم في السنة السابعة للهجرة، شهد خيبر وسكن الصفة، وأجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً، توفي سنة ٥٧هـ، وقيل: بعد ذلك، وله من العمر ٧٨سنة، انظر: الاستيعاب٤/١٧٧١، والإصابة ٤/٣١٦.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٦٣ (٨٧٥٨)، وابن ماجه(٣٦٦٠) وقال الألباني عنه في تعليقه على سنن ابن ماجه ص٦٠٨:" ضعيف"، وصوب ابن كثير في تفسيره ٣/٢٨ الوقف فيه على أبي هريرة.

(٣) هو: الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، الإمام أبو سعيد، ولد في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، كان من قراء القرآن الماهرين به، توفي سنة ١١٠هـ ، وعمره ثمانية وثمانون سنة، وقيل تسعة وثمانون سنة. انظر: التاريخ الكبير٢/٢٨٩، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣.

(٤) أخرجه الطبري ٥/٢٥٥، وابن أبي حاتم ٢/٦٠٩(٣٢٦٣).

(٥) انظر: جامع البيان ٥/٢٥٤-٢٦٠، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٠٧-٦٠٩.

(٦) مجاز القرآن ١/٥٩.

وهو: أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري اللغوي العلامة الأخبار، صاحب التصانيف، روى عن هشام ابن عروة وأبي عمرو بن العلاء، وكان أحد أوعية العلم، توفي سنة ٢١٠، وقيل:٢١١هـ. انظر: العبر في خبر من غبر ١/٢٨٢، وتهذيب التهذيب ١٠/٢٢١.

(٧) المِسك-بالفتح-: الجلد .انظر: لسان العرب، مادة(مسك)١٠/٤٨٦.

(٨) مجاز القرآن ١/٥٩.

(٩) هو: الربيع بن أنس البكري البصري ثُمَّ الخراساني، روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري، وروى عنه: الأعمش، ومقاتل بن حيّان، وابن المبارك وغيرهم، توفي سنة تسع وثلاثين ومائة للهجرة أو

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: القنطار محدود، مع الاختلاف في حده.

ومن روي عنه أو قال به[٣]:

١- رواه أبي بن كعب عن النبي ﷺ ، وبه قال معاذ بن جبل[٤]، وابن عمر[٥]، وعاصم بن أبي النجود[٦]، وعن أبي هريرة والحسن في رواية، أنه ألف ومائتا أوقية[٧].

٢- ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه اثنا عشر ألف أوقية[٨].

٣- وذكر الحسن عن النبي ﷺ، أنه ألف ومئتا دينار، ورواه العوفي[١] عن ابن

أربعين ومائة للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء١١/٢١٥، وتهذيب التهذيب ٣/٢٠٧.

(١) أخرجه الطبري ٥/٢٥٩.

(٢) رموز الكنوز١/١٣٤.

(٣) ولمزيد من التفصيل انظر: تفسير الضحاك ١/٢٤١، وجامع البيان ٥/٢٥٤-٢٦٠.

(٤) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، أعلم الأمة بالحلال والحرم، وأحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، توفي سنة ١٨هـ. انظر: الاستيعاب ٣/١٤٠٢، وأسد الغابة ٥/٢٠٤.

(٥) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي ثم العدوي، أبو عبد الرحمن المكي، هاجر مع أبيه وشهد الخندق وبيعة الرضوان توفي سنة أربع وسبعين، وعمره سبعاً وثمانين سنة. انظر: التاريخ الكبير ٥/٢، والإصابة ٤/١٨١.

(٦) هو: عاصم بن بهذلة بن أبي النجود الأسدي، مولاهم الكوفي أبو بكر المقرئ، الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي في موضعه، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، قال الذهبي: كان عاصم ثبتاً في القراءة، صدوقاً في الحديث، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام، حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين، توفي آخر سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٠، وغاية النهاية ١/١٥٣.

(٧) أخرجه الطبري جامع البيان ٥/٢٥٤-٢٥٥. ابن أبي حاتم٢/٦٠٨. قال ابن كثير في تفسيره عن أبي بن كعب:" وهذا حديث منكر أيضاً، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب كغيره من الصحابة" ٣/٢٨. وشدة الاختلاف في ذلك يدل على عدم صحة المرفوع أصلاً.

(٨) سبق تخريجه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عباسرضي الله عنه [٢]، وروي عن الضحاك[٣].

٤- ورواه ابن أبي طلحة عن ابن عباسرضي الله عنه، أنه اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار، ورُوي عن الحسن، والضحاك، كهذا القول[٤].

٥- وروي عن ابن عمررضي الله عنه، ومجاهد[٥]، أنه سبعون ألف دينار[٦].

٦- وروي عن سعيد بن المسيب[٧]، وقتادة[٨]، وأبي صالح[٩]، والسدي[١٠]ثمانون

---

(١) هو: عطية بن سعد بن بكر بن هوازن، أبو الحسن العوفي الكوفي، توفي سنة ١١١هـ. انظر: لسان الميزان ٥١٥/٧، والوافي بالوفيات ٥٥/٢٠.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير الضحاك ٢٤١/١، وجامع البيان ٢٥٦/٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٠٩/٢.

هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، يكنى: أبا محمد، وقيل: أبا القاسم، صاحب التفسير كان من أوعية العلم، وكان ممن عنى بعلم القرآن عناية شديدة، لقى سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير، توفي سنة ١٠٥هانظر: مشاهير علماء الأمصار ١٩٤/١، وسير أعلام النبلاء ٥٩٨/٤.

(٤) تفسير الضحاك ٢٤١/١، وجامع البيان ٢٥٦/٥-٢٥٧، وتفسير ابن عباس ص١٢٥.

(٥) هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج، المكي، المخزومي مولاهم، شيخ القراء والمفسرين من كبار التابعين، توفي سنة ١٠٠هـ، وقيل بعد ذلك، وعمره ثلاثة وثمانون سنة. انظر: التاريخ الكبير ٤١١/٧، وسير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤.

(٦) جامع البيان ٢٥٨/٥، وتفسير مجاهد ص١٢٣.

(٧) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو القرشي، المخزومي، يكنى: أبا محمد المدني، رأس علماء التابعين، والفقهاء الكبار، قال قتادة: ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه، توفي سنة ثلاثة وتسعين للهجرة، وقد ناهز الثمانين. انظر: الطبقات الكبرى ١١٩/٥، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٤٣/١.

(٨) هو: قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري، ولد أعمى، إمام أهل البصرة في التفسير والحديث والفقه، أحد علماء التابعين والأئمة العاملين، توفي سنة ١١٧هـ.. انظر: طبقات الفقهاء ٩٤/١، والبداية والنهاية ٣١٣/٩.

(٩) هو: باذان، ويقال: باذام، أبو صالح، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، روى عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وغيرهم. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٧/٥، وتهذيب التهذيب ١٤٦/١.

(١٠) جامع البيان ٢٥٧/٥-٢٥٨.

وهو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد القرشي الكوفي، وهو السدي الكبير كان يقعد في سدة باب الجامع فسمّي السدي، توفي سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٥، وتهذيب التهذيب ٢٧٣/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ألف درهم، أو مائة رطل من الذهب، وهو ما رجحه ابن عاشور[١].

٧- وقال السدي: ثمانية آلاف مثقال[٢].

٨- وقال الكلبي: أنه ألف مثقال ذهب أو فضة[٣].

القول الثاني:

القنطار ليس بمحدود، فهو العقدة الكبيرة من المال، أو المال الكثير بعضه على بعض[٤].

وممن قال به:

١- الربيع بن أنس، وابن كيسان، قالوا: القنطار: المال الكثير، بعضه على بعض[٥].

٢- عن الضحاك: المال الكثير من الذهب والفضة[٦].

٣- وروي عن أبي عبيدة أنه ذكر عن العرب أن القنطار وزنٌ لا يُحد[٧]، وهذا اختيار ابن جرير الطبري[٨].

---

(١) التحرير والتنوير ٣/١٢٦.

هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتيين المالكين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وهو من أعضاء المجمعين العربين في دمشق والقاهرة، توفي سنة١٣٩٣هـ. انظر: الأعلام ٦/١٧٤.

(٢) جامع البيان ٥/٢٥٨.

(٣) البحر المحيط ٢/٦٣٩.

هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث، أبو النضر الكوفي المفسر من عبد ود، قال ابن حجر: متهم بالكذب، ورمي بالرفض، توفي سنة ١٤٠هـ. انظر: الضعفاء الصغير ١/١٠١، وتهذيب التهذيب ٩/١٥٧.

(٤) لسان العرب مادة (قنطر) ٥/١١٩.

(٥) جامع البيان ٥/٢٥٩، والبسيط٥/٩٥.

(٦) تفسير الضحاك ١/٢٤٠، وجامع البيان ٥/٢٦٠.

(٧) مجاز القرآن ١/٥٩.

(٨) جامع البيان ٥/٢٦٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤- قال ابن الأنباري [١]قال بعض اللغويين القنطار العقدة الوثيقة المحكَمَة من المال[٢].

٥- أنه ملءُ مسك ثور ذهباً، قاله أبو نضرة، وأبو عبيدة، والفراء[٣] [٤].

٦- قال الحاكم: القنطار ما بين السماء والأرض من المال[٥].

٧- قال أبو بكر السجستاني[٦]: بعد ذكر بعض الأقوال: "وجملته أنه عدد كثير من المال"[٧]

وممن اختاره من المفسرين: ابن جرير، والزجاج[٨]، والرازي[٩]، وابن كثير[١]،

هو: الإمام المفسر الفقيه المؤرخ، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، من أئمة العلماء، صاحب" التفسير الكبير" و "التاريخ الكبير" كان إماماً في فنون كثيرة منها: التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكتب الله لها القبول في حياته وبعد مماته، توفي ببغداد سنة ٣١٠هـ. انظر: تذكرة الحفاظ٢/٧١٠، ووفيات الأعيان ١٩١/٤.

(١) هو: أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد ابن بشار الأنباري، النحوي، صاحب التصانيف في النحو والأدب، كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسنايدها، من مؤلفاته: الوقف والابتداء، وكتاب المشكل، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ٦٧/١، وسير أعلام النبلاء ٢٧٤/١٥.

(٢) زاد المسير ٢٦٥/١.

(٣) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة، وفنون الأدب، ومن مؤلفاته: المقصور والممدود، توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: الثقات ٢٥٦/٩، وبغية الوعاة ٣٣٣/٢.

(٤) جامع البيان ٢٥٩/٥-٢٦٠، ومجاز القرآن ٨٩/١، ومعاني القرآن للفراء ١٩٥/١، والبسيط٥/٩٥.

(٥) لباب التأويل ٣٢٧/١، وروح المعاني ٩٩/٣.

(٦) هو: محمد بن عزيز السجستاني العالم الفاضل، أبو بكر المعروف بالعزيزي، صنف كتاباً فسر فيه غريب القرآن العظيم، توفي سنة ٣٣٠هـ. انظر: طبقات المفسرين للآدنه وي ص٤٢٥.

(٧) غريب القرآن ٣٧٤/١

(٨) هو: إبراهيم بن السّري الزجاج، أبو إسحاق، علم النحو، واللغة والتفسير، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: بغية الوعاة ٤١١/١، وطبقات المفسرين للأدنه وي ٥٢/١.

(٩) مفاتيح الغيب ٢٧١/٧ .

هو: محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين، كان عالماً في التفسير وعلم الكلام والفلك

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والألوسي[٢].

ومن أقوالهم:

١- قال ابن جرير:" فالصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير. كما قال الربيع بن أنس، ولا يُحدُّ قدرُ وزنه بحد على تعنُّف، وقد قيل ما قيل مما روينا"[٣].

٢- قال الزجاج:"هو الجملة من المال التي تكُون عقدة وثيقة منه"[٤].

٣- قال ابن كثير:" اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال، وحاصلها أنه المال الجزيل، كما قال الضحاك وغيره"[٥].

٤- قال الألوسي[٦]:" لعل الأولى: ما روى عن الضحاك- المال الكثير من الذهب والفضة-، ويحمل التنصيص على المقدار المعين في هذه الأقوال على التمثيل لا التخصيص، والكثرة تختلف بحسب الاعتبارات والإضافات[٧].

ومن المفسرين من لم يذكر إلا هذا القول مما يدل على أنه قوله مثل:

والفلسفة وعلم الأصول، توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ١١٥/١، والأعلام ٣١٣/٦.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٨/٣.

وهو: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ، مفسر، مؤرخ، فقيه، توفي سنة ٧٧٤هـ. انظر: الدرر الكامنة ٩/١، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٢٦٠.

(٢) جامع البيان ٢٦٠/٥، ومعاني القرآن للزجاج ٣٨٢/١، ومفاتيح الغيب ٢٧١/٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٨/٣، وروح المعاني ٩٩/٣.

(٣) جامع البيان ٢٦٠/٥.

(٤) معاني القرآن ٣٨٢/١.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٨/٣.

(٦) هو: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، البغدادي، أبو الثناء، شهاب الدين، مفسر محدث أديب، من مؤلفاته: روح المعاني في التفسير، وهو من التفاسير الكبيرة الجامعة، ودقائق التفسير، توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام ١٧٦/٧.

(٧) روح المعاني ٩٩/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مقاتل[١]، والنحاس[٢]، وابن أبي زمنين[٣]، والواحدي[٤]، والزمخشري[٥]، والقاسمي[٦].

حاصل الدراسة:

ذكر أهل اللغة أن القنطار هو: المعيار[٧]. ومعنى القناطير عند العرب الشيءُ الكثير من المال وهو جمع قنطار[٨]. أو هو مأخوذ من عقد الشيء، وأحكامه، فهو الجملة من

(١) هو: مقاتل بن سليمان الأزدي، الخرساني، أبو الحسن البلخي، كبير المفسرين، قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقال الشافعي: الناس عيال عليه في التفسير. انظر: تهذيب الكمال٢٨/٤٣٤، وسير أعلام النبلاء ٧/٢٠١.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر المصري النحوي، المعروف بالنحّاس، العلامة، إمام العربية، من كتبه: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة ٣٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٤٠١-٤٠٢.

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن عيسى المريّ، المعروف بابن زمنين، فقيهٌ مفسر مالكي، توفي سنة ٣٩٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/١٨٨، وطبقات المفسرين للأدنه وي ١/٩٣.

(٤) هو: الإمام العلامة الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل من أولاد التجار، توفي سنة ٤٦٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٩- ٣٤٢، والأعلام ٤/٢٥٥.

(٥) تفسير مقاتل ١/٢٦٦، ومعاني القرآن للنحاس ١/٣٦٧، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين١/٢٧٨، والوجيز ١/٢٠١، والكشاف١/٣٧٠.

الزمخشري هو: العلامة كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الخوارزمي، النحوي، صاحب الكشاف والمفصل، حج وجاور، توفي سنة ٥٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/١٥١-١٥٦، والأعلام ٧/١٧٨.

(٦) محاسن التأويل ٢/٢٩١.

هو: محمد بن جمال الدين أبو الفرج بن محمد بن سعيد القاسمي الدمشقي، شيخ الشام في وقته، بدأ طلب العلم منذ الصغر، وشغل عدة مناصب في التدريس والدعوة، توفي سنة١٣٣٢هـ. انظر: حلية البشر١/٢٩٦، وترجمته في مقدمة محاسن التأويل ١/ب.

(٧) لسان العرب ٥/١١٨.

(٨) معاني القرآن للزجاج ١/٣٨٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المال التي تكون عقدة وثيقة منه[١].

فأما أهل التفسير فقالوا أقوالاً وذكروا اختلافاً كثيراً، غير خارج عن مذهب العرب: فقال بعضهم القنطار ملءُ مسك ثورٍ ذهباً أو فضة وقال بعضهم القنطار ثمانون ألف درهم. وقال بعضهم: القنطار ألف دينار، وقال بعضهم ألف رطل ذهباً أو فضة.فهذه جملة ما قال الناس في القنطار.

ذهب الأكثرون إلى تحديده، ومن قالوا بتحديده استدلوا بروايات وأقوال ضعيفة أو في إسنادها ضعف، ثم اختلفوا على ما سبق ذكره[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن القناطير ليس له حد، وهو قول الرسعني.

القاعدة: تعتبر بأقوال أهل اللغة، فيجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب[٣].وفي المعنى اللغوي ما يشهد له قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾[٤] أي: مالاً كثيراً.[٥]

والقائلون بالتحديد استدلوا بأحاديث والمرفوع منها مرسل، كحديث الحسن، وعليه فلم يثبت شيء مما ذكر من الروايات في حد القنطار، بل الأحاديث الواردة فيه ضعيفة. . أو قد يكون القصد ذكر أمثلة فقط.

قلت: ولو صح رفعه ما اختلف الصحابة والمفسرون والله أعلم.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٨٣/١.

(٢) تهذيب الأسماء ٢٨٢/٣-٢٨٣.

(٣) جامع البيان٣٣٧/٦، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز٣٤٠/١، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

(٤) سورة النساء آية :٢٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣١/٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ (١)

٢- مسألة: اختلف النحاة في الميم المشددة من آخر لفظة "اللهم"، وهل يجوز دخول "يا" النداء عليها؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول:

زيدت الميم المشددة عوضاً من حرف النداء. ولذلك لا يجوز الجمع بينهما في اختيار الكلام، فلا يقال "يا اللهم" إلا فيما ندر(٢).

القول الثاني:

الميم عوض عن جملة محذوفة. والتقدير: يا ألله أمناً بخير، أي: اقصدنا، ثم حذف الجار والمجرور، وحذف المفعول. فبقي في التقدير: يا الله أُمَّ. ثم حذفت الهمزة، لكثرة دوران هذا الاسم في الدعاء على ألسنتهم، فبقى"يا اللهم". ولما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء، فصاحب هذا القول يجوز دخول "يا" عليه(٣).

قال الرسعني:

""اللهم" بمعنى: يا الله، والضمة التي في الهاء: ضمة المنادى المفرد، والميم المشددة عوض من "يا"، فلذلك لا يجتمعان. وقوله:"يا اللهم" شاذ،

(١) سورة آل عمران:٢٦.

(٢) المحرر الوجيز٣/٢١٢، ومفاتيح الغيب ٣/٨، والإتقان ٢/٤٤٥، وفتح القدير ٣٢٩، والتحرير والتنوير ٣/٢١٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٩٣، والجامع لأحكام القرآن٤/٥٣، ومفاتيح الغيب ٣/٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهذا قول الخليل[١] [٢]، وسيبويه[٣] [٤].

وقال الفراء: المعنى: يا الله أُمَّ بخير، فألقيت الهمزة، وطرحت حركتها على ما قبلها[٥].

ويلزم على قول الفرّاء جواز دخول "يا" عليها، **وليس بمختار في الكلام**[٦][٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول:

زيدت الميم المشددة عوضاً عن حرف النداء. ولذلك لا يجوز الجمع بينهما في اختيار الكلام، فلا يقال "يا اللهم" إلا فيما ندر.وهو مذهب البصريين، وجمهور النحويين.

وممن قال به:

١- الخليل، وسيبويه، والزجاج، وابن السراج[٨]، وابن عطية، وأبو علي الفارسي،

---

(١) هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري. منشئ علم العروض.وهو أستاذ سيبويه. له كتاب العين وهو أوّل معجم في العربية؛ كتاب النّغم؛ كتاب العروض؛ كتاب الشواهد؛ النقط والشّكل؛ كتاب الإيقاع. توفي سنة ١٧٠هـ. انظر: تقريب التهذيب١/١٩٥، ومعجم الأدباء ٣/٣٠٠..

(٢) الجمل في النحو ١/١٣٦.

(٣) هو: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. رائد النحو العربي وعالم اللغة، وأول مُنظّر في قواعد العربية وإمام هذا المجال وصاحب المؤلف الشهير الكتاب. وهو فارسي الأصل من مدينة البيضاء، ومنشؤه بالبصرة. توفي سنة ١٨٨هـ.مع اختلاف في مولده ووفاته. انظر: تاريخ بغداد ١٢/١٩٥، ومعجم الأدباء ٤/٤٩٩.

(٤) الكتاب لسيبويه٢/١٩٦.

(٥) معاني القرآن للفراء ١/٢٠٣.

(٦) بل عدّه ابن مالك من الشاذ، كما قال في الخلاصة:

والأكثر اللهم بالتعويض وشذ يا للهم في قريض

قال ابن عقيل: لا يجوز الجمع بين حرف النداء وأل في غير اسم الله تعالى وما سمى به من الجمل إلا في الشعر . انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣/٢٦٤.

(٧) رموز الكنوز١/١٤٧.

(٨) وهو: الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران السراج الثقفي، أحد

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والزمخشري، والقرطبي، والسيوطي[١]، وابن عاشور[٢].

حجة الأولين على فساد قول الفرّاء وجوه:

الأول: لو كان الأمر على ما قاله الفراء لما صحّ أن يقال: اللّهم افعل كذا إلا بحرف العطف؛ لأن التقدير: يا الله أمنا واغفر لنا، ولم نجد أحداً يذكر هذا الحرف العاطف.

والثاني: وهو حجة الزجاج أنه لو كان الأمر كما قال، لجاز أن يتكلم به على أصله، فيقال: (اللَّهِ إِمَّا)، كما يقال :(ويلم)، ثم يتكلم به على الأصل فيقال:(وَيْلٌ أُمُّهُ).

الثالث: لو كان الأمر على ما قاله الفراء لكان حرف النداء محذوفاً، فكان يجوز أن يقال: يا اللّهم، فلما لم يكن هذا جائزاً علمنا فساد قول الفراء، بل نقول: كان يجب أن يكون حرف النداء لازماً، كما يقال: يا الله اغفر لي[٣].

واستدلوا:

استدل البصريون والخليل وسيبويه القائلون بأن زيادة الميم المشددة عوضاً من حرف النداء **بأدلة منها:**

١- القرآن: قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾[٤]،

تلاميذ الزجاج، له كتاب التاريخ، والأخبار. انظر: السراج ٣/١، وتاريخ بغداد ٢٤٨/١.

(١) هو: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد السيوطي، بلغت مؤلفاته نحو ٦٠٠ مصنف، منها: الإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر، همع الهوامع في النحو، توفي سنة ٩١١هـ. انظر: شذرات الذهب ٥١/٨-٥٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٩٣/١، والمحرر الوجيز ٢١٢/٣، والجامع لأحكام القرآن ٥٣/٤، والإتقان ٤٤٥/٢، وفتح القدير ٣٢٩ ، والتحرير والتنوير ٢١٢/٣.

(٣) مفاتيح الغيب ٣/٨.

(٤) سورة الأنفال آية:٣٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[١]

٢- الإجماع: إجماع النحويين.

٣- مما ورد في ديوان العرب.

ومن أقوالهم:

١- قال الزجاج: محال أن يترك الضم الذي هو دليل على النداء المفرد وأن يجعل في اسم الله ضمة أم هذا إلحاد في اسم الله تعالى[٢].

٢- وقال ابن عطية:"وزعم الفراء أنّ اللهم مختزل من اسم الجلالة وجملة أصلها (يا الله أمّ) أي: أقبل علينا بخير، وكل ذلك تكلّف لا دليل عليه[٣].

٣- وقال أبو علي الفارسي:" وما قاله سيبويه أصوب وأبين"[٤]

٤- قال القرطبي: قال بعض النحويين: ما قاله الكوفيون خطأ لأنه لو كان كما قالوا كان يجب أن يقال: اللهم ويقتصر عليه لأنه معه دعاء وأيضا فقد تقول: أنت اللهم الرزاق فلو كان كما ادعوا لكنت قد فصلت بجملتين بين الابتداء والخبر"[٥].

٥- وقال ابن عاشور: "وقال جمهور النحاة: إنّ الميم عوض عن حرف النداء المحذوف وإنّه تعويض غير قياسي: وإنّ ما وقع على خلاف ذلك شذوذ[٦].

القول الثاني:

الميم عوض عن جملة محذوفة. والتقدير: يا ألله أمناً بخير، أي: اقصدنا، ثم حذف الجار والمجرور، وحذف المفعول. فبقي في التقدير: يا الله أُمَّ. ثم حذفت الهمزة، لكثرة دوران هذا الاسم في الدعاء على ألسنتهم، فبقي"يا اللهم". ولما كثر في الكلام حذفوا

---

(١) سورة الزمر آية: ٤٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٩٣.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢١٢.

(٤) فتح القدير ٣٢٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن٤/٥٣.

(٦) التحرير والتنوير ٣/٢١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حرف النداء. وهو مذهب الكوفيين.

وممن قال به: الفراء.

وهو يحتج بقول الشاعر: يا اللهم ما أردد علينا شيخنا مسَلمَّا[١]

واحتج الفراء على فساد قول البصريين من وجوه:

الأول: أنا لو جعلنا الميم قائماً مقام حرف النداء لكنا قد أخرنا النداء عن ذكر المنادى، وهذا غير جائز ألبتة، فإنه لا يقال ألبتة (الله يا) وعلى قولكم يكون الأمر كذلك.

الثاني: لو كان هذا الحرف قائماً مقام النداء لجاز مثله في سائر الأسماء، حتى يقال: زيدم وبكرم، كما يجوز أن يقال: يا زيد ويا بكر.

والثالث: لو كان الميم بدلاً عن حرف النداء لما اجتمعا، لكنهما اجتمعا في الشعر الذي رويناه[٢].

الرابع: لم نجد العرب يزيدون هذه الميم في الأسماء التامة لإفادة معنى بعض الحروف المباينة للكلمة الداخلة عليها، فكان المصير إليه في هذه اللفظة الواحدة حكماً على

---

(١) قال البطليوسي: "من أيْنَما وَحيْثُمَا وكيفما هذا الرجز: لا أعلم قائله".انظر: الحلل في شرح أبيات ١١٧/١.

(٢) قال الفراء: وقد أنشدني بعضهم:

وما عليك أن تقولي كُلَّما صلَّيتِ أو سبَّحتِ يا اللهم ما

أُرِدُد علينا شيخنا مسلما

قال البغدادي: "وهذا أيضاً مما لا يعرف قائله". انظر: خزانة الأدب٢/٢٥٩.

وهو يريد بذلك الرد على الرأي السابق. وذلك أن الميم المشددة لو كانت خلفا من حرف النداء لما جمع بينهما في هذا الرجز. ويجعل أصحاب هذا الرأي الرجز من الشاذ الذي لا يعوّل عليه.انظر: شرح الرضي على الكافية ٣٨٤/١.

لم يذكر أحد ممن كتب على هذا الشاهد نسبة إلى قائل معين.

إني إذا ما حدثٌ ألما أقول : يا اللهم يا اللهما

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المتداولة في كتب العربية ولا يعرف قائله ولا بقيته . قال البغدادي: العيني أنه لأبي خراش الهذلي.انظر: خزانة الأدب ٢٥٨/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خلاف الاستقراء العام في اللغة وأنه غير جائز، فهذا جملة الكلام في هذا الموضع[١].

واستدلوا:

استدل الفراء والكوفيون القائلون بأن الميم عوض عن جملة محذوفة، وأن (يا) يقال مع (اللهم)، ولا يروي أحد عن العرب هذا غيره زعم أن بعضهم أنشده، وهي أبيات لم يعرف قائلها.

حاصل الدراسة:

لا خلاف أن لفظ " اللهم" معناه: يالله. ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب. فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني.

والخلاف بين النحويين في الميم المشددة في آخر الاسم خلاف طويل، فقد ساق كل فريق أدلتهم، وأكثروا من ذكر الاستشهادات التي تؤيد قولهم، والحقيقة أن عرض الخلاف بينهم، وما استدل به كل فريق، وما أجاب به الفريق المخالف؛ يطول جداً [٢].

المناقشة والترجيح:

ليس يُعارَض الإجماع، وما أوتي به كتاب الله تعالى، ووجد في جميع ديوان العرب، بقول قائل أنشدني بعضهم، وليس ذلك البعض بمعروف ولا بمسمّى.

قال القاسمي: وكثيراً أرى النحويين يتحيرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم. فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلاً على صحته كان أولى. [٣]

وعلى هذا، فالراجح قول الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوقُ بعلمهم: أن

---

(١) مفاتيح الغيب ٣/٨.

(٢) الدر المصون٣/٩٧-٩٨.

(٣) محاسن التأويل٢/٤٤٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

"اللهم" بمعنى يا الله، وأن الميم المشدّدة عوض من "يا"[١]. وهذا التعويض من خصائص الاسم الجليل[٢].

والاستعمال الشائع الفصيح يدل على أن العرب لم يجمعوا بين "يا" و "اللهم" ولو كان أصله ما ذكره الفراء لم يمتنع الجمع. بل كان استعماله فصيحاً شائعاً. والأمر بخلافه[٣].

والقاعدة في هذا: كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد[٤].

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٣٩٤.

(٢) الكشاف ١/٣٧٨، وإرشاد العقل السليم٢/٢١، والوسيط لسيد طنطاوي ١/٥٨١.

(٣) الأصول في النحو ١/٣٣٨، والتفسير القيم ص٢٠٤.

(٤) مجموع الفتاوى ١٣/٢٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١)

٣- مسألة: ما المقصود بآل عمران؟

مجمل الأقوال الواردة:

وفي عمران قولان: القول الأول: أنه والد مريم(٢). و"آله" مريم وعيسى عليه السلام(٣).

القول الثاني: أنه والد(٤) موسى، وهارون. و"آله" موسى وهارون، و أتباعهما من الأنبياء(٥).

قال الرسعني:

""﴿ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾ قال الحسن ووهب(٦): هو عمران والد مريم، فعلى هذا "آله" مريم، وعيسى.

وقال مقاتل: هو عمران بن قاهث، فآله: موسى وهارون، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة. **والأظهر**: أنه عمران بن ماثان، لقوله عقيب ذلك:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ (٧)"(١).

---

(١) سورة آل عمران الآية (٣٣).

(٢) عمران بن ماثان، وقيل: اسمه عمران بن أشهم.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠/٨، والبحر المحيط ٢٩٤/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٣/١، وروح المعاني ١٣١/٣، والتحرير والتنوير ٢٣١/٣.

(٤) عمران بن قاهث.

(٥) تفسير مقاتل ٢٧١/١، وبحر العلوم ٢٣٢/١، والبسيط٥/١٨٥، ومفاتيح الغيب ٢٠/٨.

(٦) هو: وهب بن منبه الأنباري الصنعاني، أبو عبد الله، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بالإسرائيليات، توفي سنة ١١٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى ٥٤٣/٥، وطبقات الفقهاء٦٦/١.

(٧) سورة آل عمران الآية(٣٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: هو عمران بن ماثان[٢]، والد مريم،[٣] وآله: مريم وعيسى.وهو ترجيح الرسعني.

وممن قال به:

١- روي عن الحسن، ووهب بن منبه، والكلبي، وابن إسحاق، والسهيلي[٤].

٢- الرازي، وأبو حيان، وابن كثير، والألوسي، وابن عاشور[٥].

ومن قال بهذا القول استدلوا: بقوله عقيب ذلك:﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ ﴾ [٦]"

ومن أقوالهم:

أ- عن قتادة في قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ

(١) رموز الكنوز ١٥٦/١.

(٢) قال ابن كثير:" قال محمد بن إسحاق بن يسار هو: عمران بن ياشم بن ميشا بن حزقيا بن إبراهيم ابن غرايا بن ناوش بن أجر بن بهوا بن نازم بن مقاسط بن إيشا بن إياز بن رخيعم بن سليمان بن داود عليهما السلام.

وقال أبو القاسم بن عساكر مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن اخنر بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن ايبود بن زربابيل بن شالتال بن يوحينا بن برشا بن امون بن ميشا بن حزقا بن احاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط بن ايشا بن ايبا بن رحبعام بن سليمان بن داود عليه السلام،

وفيه مخالفة كما ذكره محمد بن اسحاق ولا خلاف انها من سلالة داود عليه السلام". فعيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم. تفسير ابن كثير ٤٨/٣، والبداية والنهاية ٥٦/٢، والكشف والبيان ٥٣/٣. قال عماد زهير حافظ:" ولا خلاف في أنها من سلالة داود عليه السلام".القصص القرآني ص٣٩٤.

وقال ابن عاشور:" قال المفسّرون : هو من نسل سليمان بن داود، وهو خطأ ، والحق أنه من نسل هارون أخي موسى. وفي كتب النصارى : أنّ اسمه يوهاقيم ، فلعله كان له اسمان ومثله كثير". التحرير والتنوير ٢٣١/٣.

(٣) الكشف والبيان ٥٣/٣.

(٤) بحر العلوم٢٣٢/١، والكشف والبيان٥٣/٣، وزاد المسير ٣٧٥/١، والروض الأنف ١٥/٣.

(٥) مفاتيح الغيب ٢٠/٨، والبحر المحيط ٢٩٤/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٣/١، وروح المعاني ١٣١/٣، والتحرير والتنوير ٢٣١/٣.

(٦) سورة آل عمران الآية(٣٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ قال: ذكر الله أهل بيتين صالحين، ورجلين صالحين، ففضّلهم على العالمين، فكان محمد ﷺ من آل إبراهيم[١].

ب- الأعمش[٢] عن أبي وائل[٣]، قال: قرأت في مصحف عبد اللَّه ابن مسعود[٤]: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ ﴾، فقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل: هو عمران بن مايان وليس هو بعمران أبو موسى وبينهما ألف وثلاثمائة سنة، وكان بنو مايان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم[٥].

القول الثاني: هو عمران بن قاهث، أبو موسى وآله: موسى وهارون. وأتباعهما من الأنبياء، وإنما خصَّ هؤلاء بالذكر؛ لأنَّ الأنبياء بأسرهم من نسلهم.

وممن قال به: مقاتل، والواحدي، والرازي[٦].

حاصل الدراسة:

ذكره المفسرون بلفظ "ماثان" غير الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ "مايان".

واحتج من قال بأن المراد عمران بن ماثان والد مريم ، على صحته بأمور:

أولاً: أن المذكور عقيب قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ [١] هو: عمران بن ماثان

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١١٨/١، وتفسير ابن أبي حاتم ٦٣٥/٢(٣٤١٣) ، وجامع البيان ٣٢٩/٥.

(٢) هو: الأعمش بن سليمان بن مهران الأسدي، أبو محمد، تابعي مشهور، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، توفي سنة ١٤٨هـ. انظر: معرفة القراء الكبار ٩٤/١، وغاية النهاية ١٣٨/١.

(٣) هو: شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي، يكنى أبي وائل، مخضرم من العلماء العاملين، سمع عمر ومعاذاً، وعنه منصور والأعمش، قال: أدركت سبع سنين من سني الجاهلية، توفي سنة ٨٢هـ. انظر: الكاشف ٤٨٩/١، وصفوة الصفوة ٢٨/٣.

(٤) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمة وأمره عمر على الكوفة، توفي سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. انظر: الكاشف ٥٩٧/١، وتقريب التهذيب ٣٢٣/١.

(٥) الكشف والبيان ٥٣/٣.

(٦) تفسير مقاتل ٢٧١/١، وبحر العلوم ٢٣٢/١، والبسيط٥/١٨٥، ومفاتيح الغيب ٢٠/٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

جد عيسى – عليه السلام- ، فكان صرف الكلام إليه أولى.

أولاً: المقصود هنا التمهيد لذكر مريم وابنها عيسى بدليل قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾[٢] [٣].فذكر قصة مريم وابنها عيسى، ونص على أن الله اصطفاها بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾[٤] فقوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾[٥]كالشرح لكيفية الاصطفاء، لقوله: ﴿ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾، وصار نظير تكرار الاسم في جملتين، فيسبق الذهن إلى أن الثاني هو الأول، نحو: أكرم زيداً رجل صالح. وإذا كان المراد بالثاني غير الأول، كان في ذلك إلباس على السامع.[٦]

ثانياً: أن المقصود من الكلام أن النصارى كانوا يحتجون على إلهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يديه، فالله تعالى يقول: إنما ظهرت على يده إكراماً من الله تعالى إياه بها؛ وذلك لأنه تعالى اصطفاه على العالمين وخصه بالكرامات العظيمة، فكان حمل هذا الكلام على عمران بن ماثان أولى في هذا المقام من حمله على عمران والد موسى وهارون. وقالوا وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة.

ثالثاً: أن هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٧][٨]

(١) سورة آل عمران آية:٣٣.

(٢) سورة آل عمران آية ٣٤.

(٣) التحرير والتنوير ٣/٢٣١.

(٤) سورة آل عمران الآية(٤٢).

(٥) سورة آل عمران الآية (٣٥).

(٦) البحر المحيط ٢/٢٩٤، وروح المعاني ٣/١٣١.

(٧) سورة الأنبياء الآية(٩١).

(٨) مفاتيح الغيب ٨/٢٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المناقشة والترجيح:

والظاهر هو القول الأول، أنه عمران بن ماثان، والد مريم، وآله: مريم وعيسى. وهو موافق لترجيح الرسعني، مع أن أصل الاحتمال لغيره قائم.

١- السورة تسمى آل عمران ولم تُشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة، وأما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما فيها طرف فدل ذلك على أن عمران المذكور هو أبو مريم.

٢- يرجح كون المراد به أبا مريم أن الله تعالى ذكر اصطفاءها بعد ونص عليه.

الآل عند العرب الشخص، والظاهر أن الآل من يؤول إلى الشخص في قرابة أو مذهب، والذي يظهر أنه نص على هؤلاء هنا في الاصطفاء للمزايا التي جعلها الله تعالى فيهم[١].

(١) البحر المحيط ٢/٢٩٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى:﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١)

٤- **مسألة:** هل مريم تكلمت وهي صغيرة؟

مجمل الأقوال الواردة:

١- تكلمت وهي صغيرة(٢).

٢- لم تذكر ضمن من تكلم في المهد وهو صغير(٣).

قال الرسعني:

" ويروى: أنها تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى في المهد. وفيه بُعد،-ثم استدل في موضع آخر بحديث أبي هريرة في الصحيحين، وحديث ابن عباس في مسند أحمد."(٤)

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنها تكلمت وهي صغيرة كعيسى -عليه السلام-.

وممن قال به:

١-الحسن(٥).

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٧.

(٢) الكشاف ٣٨٧/١، وزاد المسير ٢٧٧/١، وأنوار التنزيل ٣٤/٢، ومدارك التنزيل ١٥٢/١، ولباب التأويل ٣٤٢/١، وإرشاد العقل السليم٣٤/٢، وروح المعاني١٤٠/٣.

(٣) تفسير مقاتل٢٧٣/١، ومعاني القرآن للزجاج ٤٠٤/١، وجامع البيان ٣٥٨/٥، وتفسير القرآن العظيم ٥٣،٦٤/٣.

(٤) رموز الكنوز ١٦٦/١ وأحال على الآية (٤٦)

(٥) معالم التنزيل٣٤٦/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- الزمخشري، وابن الجوزي[١]، والبيضاوي[٢]، والنسفي[٣]، والخازن[٤]، والألوسي، وأبو السعود[٥].

واستدلوا بما روى القفال عن الحسن أنه قال: إن مريم تكلمت في صباها كما تكلم المسيح ولم تلتقم ثدياً قط، وإن رزقها كان يأتيها من الجنة[٦].

ومن أقوالهم:

١- وقد تكلم جماعة في المهد نظمهم الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في قوله:

تكلم في المهد النبي محمد[٧] ويحيى وعيسى والخليل ومريم

ومبريء جريج ثم شاهد يوسف وطفل لذي الأخدود يرويه مسلم

وطفل عليه مر بالأمة التي يقال لها تزني ولا تتكلم

وماشطة في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادي المبارك[١] يختم[٢]

---

(١) هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي، الحنبلي، الواعظ صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد وغير ذلك، توفي سنة ٥٩٧هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ٦١/١، والأعلام ٣١٦/٣.

(٢) هو: عبد الله بن عمر بم محمد الشيرازي الشافعي، الملقب ناصر الدين، كان إماماً مبرزاً نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً، ولي قضاء القضاة بشيراز، توفي سنة ٦٩١هـ. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ٢٥٤/١، والأعلام ١١٠/٤.

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين، فقيه حنفي، مفسر توفي ستة ٧١٠هـ. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ٢٦٣/١، والأعلام ٦٧/٤.

(٤) هو: علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي البغدادي، يكنى أبو الحسن، من مصنفاته: لباب التأويل في معاني التنزيل. توفي سنة ٧٤١هـ. انظر: الوفيان ٣٧١/١، والأعلام ٥/٥.

(٥) الكشاف ٣٨٧/١، وزاد المسير ٢٧٧/١، وأنوار التنزيل ٣٤/٢، ومدارك التنزيل ١٥٢/١، ولباب التأويل ٣٤٢/١، وإرشاد العقل السليم ٣٤/٢، وروح المعاني ١٤٠/٣.

(٦) مفاتيح الغيب ٢٦/٨-٩٠/٢٣، واللباب في علوم الكتاب ١٧٩/٥.

(٧) وهذا لم يثبت.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- وقال أبو السعود، قال: عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها المحكي[٣].

القول الثاني:

أن مريم لم تذكر ضمن من تكلم في المهد. وهو ترجيح الرسعني.

وممن قال به:

١- أبو هريرة، وابن عباس ﷺ.

٢-أبو حيان، قال: والذي ورد في الصحيح أن الذي تكلم في المهد ثلاثة: عيسى، وصاحب جريج، وابن المرأة. وورد من طريق شاذ صاحب الأخدود. والأغرب أن مريم منهم[٤].

٣- وكثير من المفسرين لم يذكروا هذا القول والخلاف فيه، مثل: مقاتل، والطبري، والزجاج، وابن كثير[٥].

واستدلوا بما يلي:

١- الحديث الذي رواه أبو هريرة في الصحيحين، عن النبي ﷺ قال: لم يَتَكَلَّمْ في الْمَهْدِ إلا ثَلَاثَةٌ عِيسَى ابن مريم وصاحبُ جُرَيجٍ... ثم ساق الحديث على آخره"[٦].

٢- وفي مسند أحمد: عَنِ ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ:" لَمَّا كانت اللَّيْلَةُ

---

(١) يريد الصحابي المشهور والد عبد الله بن المبارك التابعي المشهور. انظر: سمط النجوم العوالي ٢٨٢/١.

(٢) السيرة الحلبية ١٢٤/١، وروح المعاني١٤٠/٣.

(٣) إرشاد العقل السليم٣٤/٢.

(٤) البحر المحيط٤٦١/٢.

(٥) تفسير مقاتل٢٧٣/١، ومعاني القرآن للزجاج ٤٠٤/١، وجامع البيان ٣٥٨/٥، وتفسير القرآن العظيم ٥٣/٣، ٦٤.

(٦) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ ح(٣٤٣٦)، ومسلم كتاب البر والصلة والأدب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها، ح(٢٥٥٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التي أُسْرِيَ بي فيها أَتَتْ علي رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ فقلت: يا جِبْرِيلُ ما هذه الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فقال: هذه رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلاَدِهَا قال ... قال: فَأَمَرَ بِأَوْلاَدِهَا فَأُلْقُوا بين يَدَيْهَا وَاحِداً وَاحِداً إلى أن انْتَهَى ذلك إلى صبي لها مُرْضَعٍ وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ من أَجْلِهِ! قال: يا أُمَّهْ اقتحمي فإن عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ من عَذَابِ الآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ"، قال: قال ابن عَبَّاسٍ: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ عِيسَى بن مَرْيَمَ -عليه السَّلاَمُ-، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وابن مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ[١].

حاصل الدراسة:

أصحاب القول الأول: لم يستدلوا إلا بقول الحسن ولم نعرف له تخريجاً، بينما القول الثاني استدلوا بما في الصحيحين، ومسند أحمد، مع أن ظاهر حديث ابن عباسﷺ يتعارض مع حديث أبي هريرة: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة"، ولا معارضة بينهما فإنه في حديث أبي هريرة أخبر بما كان في علمه ﷺ مما أوحي إليه في تلك الحال، ثم بعد هذا أعلمه الله تعالى بما شاء من ذلك فأخبر به[٢].

وقام ابن حجر[٣] بالجمع بين الأقوال فقال:" ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مقيداً بالمهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد"[٤].

وهذا توجيه حسن، يزول به الإشكال. اللهم إلا أن تكون المجاوبة بين زكريا ومريم في حالة كبرها.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه لم تتكلم في المهد لأن العبرة بما نص في الصحيحين، ومسند أحمد.

---

(١) أخرجه أحمد ١/٣٠٩ ح(٢٨٢٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤/٩١.

(٣) هو: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المصري الشافعي، شهاب الدين، عرف بابن حجر لقب لبعض آبائه، من مصنفاته: فتح الباري في شرح البخاري، وتهذيب التهذيب، والإصابة في تمييز الصحابة، توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: نظم العقيان ١/٤٥، وذيل طبقات الحفاظ ١/٣٨٠.

(٤) فتح الباري ٦/٤٨٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة : إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[١].

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾[١]

٥- مسألة: طلب زكريا من ربه آية عندما بشره بيحيى، فاعُتُقِلَ لسانه! فما سبب اعتقال لسانه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: اعتقال لسانه آية على وجود الحمل، فيتفرغ لذكر الله وشكر نعمته[٢].

القول الثاني: كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية والأمارة بعد مشافهة الملائكة له بالبشارة، فأخذ الله عليه لسانه فجعل لا يقدر على الكلام[٣].

قال الرسعني:

"قال ابن عباسﷺ: "جعل يكلّم الناس بيده[٤]"، وإنما عُقِلَ لسانه عن مخاطبة الناس، ولم يُعقَل عن ذكر الله.

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي: جمهور العلماء على أنه إنما اعتقل لسانه آية على وجود الحمل[٥].

وقال قتادة والربيع بن أنس: كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية والأمارة بعد مشافهة

---

(١) سورة آل عمران الآية(٤١).

(٢) زاد المسير ٢٨١/١، وتفسير البيضاوي ٣٧/٢، والتسهيل١٠٦/١، ولباب التأويل١٥٣/١، وتفسير البحر المحيط١٠٦/٢، ونظم الدرر٧٨/٢، وإرشاد العقل السليم٣٤/٢، والتحرير والتنوير٣٣٩/٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٣٠.

(٣) تفسير الصنعاني١٢٠/١، وجامع البيان٣٨٥/٥، وتفسير ابن أبي زمنين ٢٨٨/١، والجامع لأحكام القرآن٨٠/٤، والكشف والبيان٦٦/٣، ومعالم التنزيل ٣٠٠/١، وتفسير الثعالبي٦٦/٣.

(٤) أخرجه الطبري ٣٨٥/٥.

(٥) زاد المسير ٢٨١/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الملائكة له بالبشارة[١].

قال الثعلبي[٢]: قول قتادة هو قول أكثر المفسِّرين[٣]. قلت: وهو قول يخالف ظاهر القرآن.

فإن قيل: ما الحكمة في اختصاص الآية باعتقال لسانه عن مخاطبة الناس فقط؟

قلت: ليوفّر زمانه على شكر هذه النعمة العظيمة، والمنة الجسيمة"[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول:

اعتقل لسانه آية على وجود الحمل. كأنه طلب آية على الحمل فقال: ألاّ تكلم الناس، آية على العلوق وبداية الحمل، فتتفرغ لذكر الله وشكر نعمته. وهو قول جمهور العلماء والمفسرين، وترجيح الرسعني.

وممن قال به من المفسرين:

ابن الجوزي، والبيضاوي، وابن جزي الكلبي، والخازن، وأبو حيان، وأبو السعود، وابن عاشور، والسعدي[٥].

---

(١) أخرجه الطبري٥/٣٨٦، وابن أبي حاتم ٢/٦٤٥(٣٤٧٨).

(٢) الكشف والبيان ٣/٦٦.

والثعلبي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، أبو إسحاق الثعلبي، صاحب التفسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن. توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ص١٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/٤٣٥.

(٣) لم أجد المفسرين قالوا بهذا القول. انظر: زاد المسير ١/٢٨١، وتفسير البيضاوي ٢/٣٧، والتسهيل١/١٠٦، ولباب التأويل١/١٥٣، والبحر المحيط٢/١٠٦، ونظم الدرر٢/٧٨، وإرشاد العقل السليم٢/٣٤، والتحرير والتنوير٣/٣٣٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٣٠.

(٤) رموز الكنوز١/١٧٣.

قال البراك: هذا فيه نظر؛ لأن هذه الآية وقعت بغير اختياره، وهو اعتقال لسانه عن مخاطبة الناس، ولم يعتقل عن ذكر الله تعالى، فقد يقال: إن هذا كان لأجل أن يقوم بشكر هذه النعمة بملازمة ذكر الله تعالى. ص١١٠.

(٥) زاد المسير١/٢٨١، وتفسير البيضاوي ٢/٣٧، والتسهيل١/١٠٦، ولباب التأويل١/١٥٣، والبحر

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن أقوالهم:

أ- قال السعدي: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ ﴾ أي: علامة على وجود الولد قال: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ ﴾ أي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي أمه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام، وأمره الله أن يشكره ويكثر من ذكره بالعشي والإبكار[١].

ب- قال ابن عاشور في تعليل ذلك: قوله: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ ﴾ جعل الله حُبْسة لسانه عن الكلام، لا عن غيره من الأذكار، آية على الوقت الذي تحمل فيه زوجته؛ لأنّ الله صرف ما لَه من القوة في أعصاب الكلام المتصلة بالدمَاغ إلى أعصاب التناسل بحكمة عجيبة يقرب منها ما يذكر من سقوط بعض الإحساس لمن يأكل البَلاذر[٢] لقوة الفكر[٣].ووجه جعل الآية هذا لتخلص تلك الأيام لذكر الله سبحانه شكراً على ما أنعم به عليه[٤].

ج- قال ابن كثير: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ ﴾ أي: علامة أستدل بها على وجود الولد مني ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ ﴾ أي إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح كما في قوله: ﴿ ثَلَٰثَ لَيَالٖ

المحيط٢/١٠٦، ونظم الدرر٢/٧٨، وإرشاد العقل السليم٢/٣٤، والتحرير والتنوير٣/٣٣٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٣٠.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٣٠.

(٢) هو: نوع من الثمر ، يسمى ثمر الفهم؛ مشهور. انظر: تاج العروس للزبيدي١٠/٢٤٩.

(٣) التحرير والتنوير٣/٣٣٩.

(٤) التحرير والتنوير٣/٣٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾ [١] ثم أمر بكثرة الذكر والتكبير والتسبيح في هذه الحال فقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [٢]

د- قال النيسابوري[٣]: قال المفسرون: أي لا تقدر على التكلم.حبس لسانه عن أمور الدنيا وأقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مشتغلاً بذكر الله وبالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسمية، فيصير الشيء الواحد علامة على المقصود وأداء لشكر النعمة فيكون جامعاً للمقاصد[٤].

القول الثاني:

كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية والأمارة بعد مشافهة الملائكة له بالبشارة، فأخذ الله عليه لسانه قال أبو عبد الرحمن السلمي[٥]، وعطاء بن السائب[٦] من غير آفة أو مرض فجعل لا يقدر على الكلام. وقال جبير بن نفير[٧]: ربا لسانه في فيه حتى ملأه ثم

---

(١) سورة مريم آية: ١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/٥٨.

(٣) هو: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، مفسر لغوي، له إيجاز البيان في معاني القرآن، وجمل الغرائب في غريب الحديث، توفي سنة ٥٥٠هـ. انظر: كشف الظنون ١/٢٠٥، والأعلام ٧/١٦٧.

(٤) تفسير غرائب القرآن٢/١٥٣.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٢/٦٤٥(٣٤٧٦).

هو: أبو عبد الرحمن السلمى، واسمه عبد الله بن حبيب، أبو إسحاق السبيعى، أقرأ أبو عبد الرحمن السلمى القرآن في المسجد أربعين سنة، وكان يقرئ القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج وقدم المدائن في حياة حذيفة، وتوفى في سنة خمس ومائة وله تسعون سنة.انظر: صفوة الصفوة ٣/٥٨، وتقريب التهذيب ١/٢٩٩.

(٦) تفسير مجاهد ص١٢٦، وزاد المسير ١/٢٨١.

وعطاء هو: عطاء بن السائب بن زيد أبو يزيد الثقفي ويقال بن السائب بن مالك الكوفي، توفي سنة ثلاثين ومائة للهجرة. انظر: المعارف ١/٤٧٤، والتاريخ الكبير ٦/٤٦٥.

(٧) هو: جبير بن نفير بن مالك بن عامر الإمام الكبير، أبو عبد الرحمن الخضرمي الحمصي، أدرك حياة النبي ﷺ وكان جبير من علماء أهل الشام، توفي سنة ثمانين للهجرة بالشام. انظر: رجال مسلم ١/١١٨، وسير أعلام النبلاء ٤/٧٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أطلقه الله بعد ثلاث[١].

وممن قال أنها عقوبة:

١- قتادة، والربيع بن أنس[٢].

٢- الصنعاني، والطبري، وابن أبي زمنين، والقرطبي، والثعلبي، والبغوي[٣]، والثعالبي[٤].

واستدلوا بما يلي:

١- أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ قال: إنما عوقب بذلك؛ لأن الملائكة شافهته بذلك مشافهة فبشرته بيحيى فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه فأخذ عليه بلسانه[٥].

٢- أخرج ابن جرير عن الربيع في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ ﴾ قال: ذكر لنا والله أعلم أنه عوقب؛ لأن الملائكة شافهته مشافهة فبشرته بيحيى فسأل الآية بعد فأُخذ بلسانه[٦].

قال الربيع: جعل الله ذلك له عقوبة لتردّده في صحة ما أخبره به المَلَك، وبذلك صرح في إنجيل لوقا، فيكون الجواب على هذا الوجه من قبيل أسلوب الحكيم؛ لأنه سأل

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢/٦٤٦(٣٤٨٢) ، وجامع البيان ٥/٣٨٧.

(٢) جامع البيان٥/٣٨٦، المحرر الوجيز ١/٤٣٢.

(٣) هو: الإمام الفقيه المجتهد محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، كان محدثاً مفسراً، جامعاً بين العلم والعمل، من مصنفاته: معالم التنزيل، وشرح السنة، والتهذيب، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٧-١٢٥٩، وطبقات الشافعية الكبرى٥/٥٧.

(٤) تفسير الصنعاني١/١٢٠، وجامع البيان٥/٣٨٥، وتفسير ابن أبي زمنين ١/٢٨٨، والجامع لأحكام القرآن٤/٨٠، والكشف والبيان٣/٦٦، ومعالم التنزيل ١/٣٠٠، وتفسير الثعالبي٣/٦٦.

(٥) تفسير الصنعاني ١/١٢٠، وجامع البيان٥/٣٨٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٢/٦٤٥(٣٤٧٨).

(٦) جامع البيان ٥/٣٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

آيةً فأعطي غيرها[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ ﴾

فعاقبه الله - فيما ذُكر لنا - بمسألته الآية، بعد مشافهةِ الملائكة إيَّاه بالبشارة، فجعل آيتَه على تحقيق ما سمع من البشارة من الملائكة بيحيى أنه من عند الله، آية من نفسِه، جمع تعالى ذكرُه بها العلامة التي سألها ربَّه، على ما يُبَيِّنُ له حقيقة البشارة أنها من عند الله، وتمحيصاً له من هفوته، وخطأِ قِيلِه ومسألتِه[٢].

ب- قال القرطبي، أكثر المفسرين قالوا: وكذلك إن لم يكن من مرض خرس أو نحوه ففيه على كل حال عقاب ما[٣].

حاصل الدراسة:

رد الرسعني قول الثعلبي عن قتادة؛ لمخالفته الظاهر. وهذا قول مرغوب عنه؛ لأن الله عز وجل لم يخبرنا أن زكريا أذنب ولا أنه نهاه عن هذا. ولم يكن عقوبة لكن كرامة حين جعلت له علامة لظهور الحبل ومعجزة له.

ومن قال أنها آية على العلوق وبداية الحمل، ليتفرغ لذكر الله وشكر نعمته، هو قول أكثر المفسرين، وسياق الآية تدل عليه؛ حيث إن الجواب مشتق من السؤال، ولأنها نعمة فأتبعها بالشكر،﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ ﴾ أي: علامة تدلني على تحقق المسئول ووقوع الحبل.

وإنما سألها؛ لأن العلوق أمر خفي لا يوقف عليه؛ فأراد أن يطلعه الله تعالى ليتلقى

---

(١) التحرير والتنوير٣/٣٣٩.

(٢) جامع البيان٥/٣٨٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن٤/٨٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره إلى أن يظهر ظهوراً معتاداً.

كانت الآية حبس اللسان، وإنما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الأيام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشغل لسانه بشيء آخر توقيراً منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة، وشكراً لله على إجابته فيما طلب الآية من أجله، وأن يكون ذلك دليلاً على وجود الحمل ليتم سروره بذلك[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: قول ابن عباسﷺ وهو قول جمهور العلماء وترجيح الرسعني، وهو ظاهر الآية، وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقاً من السؤال، ومنتزعاً منه فكان الإعجاز في هذه الآية من جهة قدرته على ذكر الله، وعجزه عن تكليم الناس، مع سلامة البنية واعتدال المزاج، ومنه جهة وقوع العلوق وحصوله على وفق الأخبار[٢]،كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له: آيتك أن يحبس لسانك إلاَّ عن الشكر على النعمة فاحمد ربك على ذلك.

ويؤيده القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٣]. والله أعلم.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٧٥/١، وبحر العلوم ٢٣٧/١، ولباب التأويل ١٥٣/١.

(٢) البحر المحيط١٠٦/٢، ونظم الدرر٧٨/٢، وتفسير البيضاوي ٣٧/٢، وإرشاد العقل السليم٣٤/٢.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [١]

٦- مسألة: فيمن نزلت الآية؟[٢]

مجمل الأقوال الواردة

القول الأول: أنها نزلت في رؤوس اليهود وأحبارهم[٣].

القول الثاني: فيمن حرّف نعته ﷺ من اليهود ، وكتموا اسمه[٤].

القول الثالث: نزلت في خصومة الأشعث بن قيس مع يهودي. أو مع بعض قرابته[٥].

القول الرابع: في رجل حلف على سلعة مساءً لأُعطي بها أول النهار كذا، يميناً كاذبة[٦].

القول الخامس: نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا: إنه ليس علينا في الأميين سبيل، وكتبوا ذلك بأيديهم وحلفوا أنه من عند الله[٧].

قال الرسعني:

"أخرجا في الصحيحين: أن الْأَشْعَثُ بن قَيْسٍ قال:"كان بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ من الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إلى النبي ﷺ، فقال لي رسول اللَّهِ ﷺ: أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قلتُ: لَا، فقال لِلْيَهُودِيِّ: احْلِفْ، قُلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ إذاً يَحْلِفَ فيَذْهَبَ بِمَالِي، فَأَنْزَلَ الله: إِنَّ

(١) سورة آل عمران: ٧٧.

(٢) ذكرها دون ترجيح أغلب المفسرين، انظر على سبيل المثال: معالم التنزيل١/٣٧٢، والمحرر الوجيز ١/٤٥٩، وزاد المسير١/٢٩٧، ومفاتيح الغيب٨/٩٢، وأنوار التنزيل ١/٤٧٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/٩٢-٩٦.

(٣) جامع البيان٥/٥١٦، والعجاب في بيان الأسباب ٢/٦٩٩، ولباب النقول ص٥٤، والدر المنثور٣/٦٣٤.

(٤) جامع البيان ٣/٦٥، والبحر المحيط٢/٥٢٦.

(٥) جامع البيان ٥/٥٢٠.

(٦) جامع البيان ٥/٥١٩، وزاد المسير ١/٢٩٧، والبحر المحيط٢/٥٢٦.

(٧) لباب التأويل ١/٣٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا الْآيَةِ [١].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي أُمَامَةَ قال: كنا عند رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال:" من اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ الله له النَّارَ، وَحَرَّمَ عليه الْجَنَّةَ، فقال رَجُلٌ:يا رسول الله؛ وَإِنْ كان شيئا يَسِيرًا. قال: وَإِنْ قَضِيبًا من أَرَاكٍ".[٢]

هذا هو المشهور في التفسير.

وقال عكرمة ومقاتل[٣]: نزلت في الذين كتموا صفة النبي ﷺ من اليهود، لما كانوا يأخذونه من سفلتهم من الدنيا.

فالعهد – على القول الأول- ما أخذه عليهم من لزوم الطاعة.

وعلى القول الثاني: ما أخذه عليهم من بيان صفة النبي محمدﷺ[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنها نزلت في رؤوس اليهود وأحبارهم: أبي رافع، وكنانة بن أبي الحقيق، وكعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب.كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في تبيين صفة النبي ﷺ فجحدوا وخالفوا وحلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التي كانوا يأخذونها من أتباعهم وسفلتهم من الدنيا.

وممن قال به: عكرمة، ومقاتل، والكلبي، والحسن، وأبو حيان [٥].

واستدلوا بما يلي:

بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ

(١) أخرجه البخاري كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ،ح(٢٤١٧)، ومسلم كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ح (١٣٨).

(٢) أخرجه مسلم،كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ح(١٣٧).

(٣) تفسير مقاتل ١٧٨/١.

(٤) تفسير الرسعني ٢٢٢/١.

(٥) تفسير مقاتل ٢٨٦/١، وجامع البيان٥١٦/٥، والبسيط٣٧١/٥، والبحر المحيط ٥٢٦/٢، والعجاب في بيان الأسباب ٦٩٩/٢، ولباب النقول ص٥٤، والدر المنثور٦٣٤/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [١]، وهذه الآية نزلت في اليهود.

ومن أقوالهم:

قال أبو حيان:"والظاهر أنها في أهل الكتاب، لما احتفّ بها من الآيات التي قبلها والآيات التي بعدها"[٢].

القول الثاني: فيمن حرّف نعته ﷺ من اليهود، وكتموا اسمه.

وممن قال به: الحسن، والسدي[٣].

القول الثالث:

في خصومة الأشعث بن قيس مع يهودي، أو مع بعض قرابته، أو من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، وهو ترجيح الرسعني.

وممن قال به: الأشعث بن قيس[٤]، وأبو أمامة بن ثعلبة[٥]، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين[٦].

واستدلوا بما يلي:

---

(١) سورة البقرة آية: ١٧٤.

(٢) البحر المحيط ٥٢٦/٢.

(٣) جامع البيان ٦٥/٣، والبحر المحيط٥٢٦/٢.

(٤) هو: الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي، يكنى أبا محمد، وفد على النبي ﷺ سنة عشر في سبعين راكباً من كندة، وكان من ملوك كندة، وكان اسمه معد يكرب وإنما لقب بالأشعث؛ لأنه كان أبداً أشعث الرأس، توفي بعد قتل علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن علي. انظر: الاستيعاب ١٣٣/١، والإصابة ٨٧/١.

(٥) هو: أبو أمامة بن ثعلبة الحارثي الأنصاري الخزرجي، اسمه إياس بن ثعلبة، وقيل: اسمه ثعلبة، وقيل: سهل ولا يصح فيه غير إياس بن ثعلبة، وهو ابن أخت أبي بردة بن نيار ولم يشهد بدراً وكان قد أجمع على الخروج إليها مع النبي ﷺ وكانت أمه مريضة فأمره رسول الله ﷺ بالمقام على أمه فرجع رسول الله ﷺ من بدر وقد توفيت عليها. انظر: الإصابة ١٩/٧، والاستيعاب ١٦٠١/٤.

(٦) جامع البيان ٥٢٠/٥.

هو: عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد،صاحب رسول الله ﷺ أسلم عام خيبر،كان فاضلاً بالكوفة، توفي سنة اثنتين وخمسين بالبصرة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٠٨/٢، وتقريب التهذيب ٤٢٩/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- حديث الأشعث بن قيس مع اليهودي في الصحيحين.:أن الْأَشْعَثُ بن قَيْسٍ قال:"كان بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ من الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إلى النبي ﷺ، فقال لي رسول اللَّهِ ﷺ: أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قلتُ: لَا، فقال لِلْيَهُودِيِّ: احْلِفْ، قُلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ إذاً يَحْلِفَ فيَذْهَبَ بِمَالِي، فَأَنْزَلَ الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ الْآيَةِ[١].

ذكر ابن حجر روايات متعددة في العجاب في بيان الأسباب، ثم قال: وهكذا في أكثر الطرق أن النبي ﷺ تلا الآية عقب الحديث وصرح في بعض الروايات بقوله: فأنزل الله تعالى[٢].

٢- في صحيح مسلم من حديث أبي أُمَامَةَ قال: كنا عند رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال:" من اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ الله له النَّارَ، وَحَرَّمَ عليه الْجَنَّةَ، فقال رَجُلٌ:يا رسول الله؛ وَإِنْ كان شيئا يَسِيرًا. قال: وَإِنْ قَضِيبًا من أَرَاكٍ".[٣]

٣- عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:" قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان" فأنزل الله تصديق ذلك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ الآية . فدخل الأشعث بن قيس الكندي، فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا كذا وكذا، فقال: صدق فيَّ نزلت، كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: "شاهداك أو يمينه" قلت: إنه إذا يحلف لا يبالي، فقال رسول الله ﷺ : "من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان" ونزلت

(١) أخرجه البخاري كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ،ح(٢٤١٧)، ومسلم كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ح (١٣٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/٩٦.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ح(١٣٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ إلى آخر الآية[١].

القول الرابع:

أن رجلا أقام سلعته في السوق أول النهار فلما كان آخره جاء رجل يساومه فحلف لقد منعها أول النهار من كذا ولولا المساء لما باعها به فنزلت هذا الآية.[٢]

وممن قال به:

عبد الله بن أبي أوفى[٣]، ومجاهد، وعامر الشعبي[٤].

واستدلوا بما يلي:

عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلاً أقام سلعة له في السوق، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه؛ ليوقع فيها رجلا من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾[٥].

القول الخامس:

نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا: إنه ليس علينا في الأميين سبيل وكتبوا ذلك بأيديهم وحلفوا أنه من عند الله[٦].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ ﴾ ،ح(٤٥٥٠)، ومسلم كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ح(١٣٧).

(٢) زاد المسير ٢٩٧/١.

(٣) هو: عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي صحابي شهد الحديبية وعمر بعد النبي ﷺ دهراً توفي سنة سبع وثمانين وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٢٨/٣، وتقريب التهذيب ٢٩٦/١.

(٤) جامع البيان ٥١٩/٥، وزاد المسير ٢٩٧/١، والبحر المحيط٥٢٦/٢.

(٥) أخرجه البخاري ،كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ الآية، ح(٤٥٥١).

(٦) لباب التأويل ٣٦٩/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهذا القول لم يذكره أحد من المفسرين، إلا الخازن ذكره وبصيغة التمريض من ضمن الأقوال.

حاصل الدراسة:

لقد استوعب ذكر الروايات واختلافها وطرقها ابن جرير الطبري، وابن حجر العسقلاني في كتاب (العجاب في بيان الأسباب)(١).

والعبرة بالأحاديث الصحيحة، وأصحها حديثان:

الأول:حديث عبد الله بن مسعود، وفيه عن الأشعث.

الثاني:حديث عبد الله بن أبي أوفى.

وبالتأمل في لفظ الحديثين نجد أن صيغتهما صريحة في السببية، ولذا حكم الحُفّاظ بحَملِه على تعدد النزول، كما قال ابن حجر بعد ذكر الحديثين :"ولا تعارض بينهما؛ لاحتمال أن تكون نزلت في كلٍّ من القصتين"(٢).

وقال في موضعٍ آخر:" لا منافاة بينهما، ويحمل على أن النزول كان بالسببين جميعاً، ولفظ الآية أعمّ من ذلك"(٣).

وعن الروايتين الأخريين في سبب النزول، عن عكرمة أنها نزلت في حيي بن أخطب وكعب الأشرف وغيرهما من اليهود، وفي الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة من صفة النبي ﷺ ، قال الحافظ:" وهي محتملةٌ أيضاً، لكن المعتمد في ذلك ما ثبت في الصحيح"(٤).

فيما ذهب بعض المفسرين إلى إمكان حمل الآية على الجميع:

١- قال الرازي:" والأقرب الحمل على الكل"(٥).

---

(١) جامع البيان ٥/٥١٧-٥٢٠، والعجاب في بيان الأسباب ٢/٦٩٨-٧٠١.

(٢) فتح الباري ٥/٢٨٧.

(٣) فتح الباري ٨/٢١٣.

(٤) فتح الباري ٨/٢١٣.

(٥) مفاتيح الغيب ٨/٩٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- قال الخازن:" وقيل: الأقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به" [١].

٣- قال الألوسي:" ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حقّقوه"[٢].

٤- قال السيوطي، وإليه يشير قوله:" ونزل في اليهود لما بدلوا نعت النبي ﷺ وعهد الله إليهم في التوراة، وفيمن حلف كاذباً في دعوى، أو في بيع سلعة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴾ "[٣].

المناقشة والترجيح:

المعتمد ما نص على السببية، وكان إسناداً صحيحاً وتحمل الأخرى على دخولها في أحكام الآية[٤]. فكل الأقوال لها وجه من الصحة، ما عدا الأخير. فوجود الآية مع آيات قبلها وبعدها في سياق ذمّ أهل الكتاب يجعل للقول الآخر وجهاً من حيث المعنى. والله أعلم.

القاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٥]، فالآية أعمّ من السبب، وإن نزلت فيه.

القاعدة: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٦].

---

(١) لباب التأويل ١/٣٦٩.

(٢) روح المعاني ٤/٦٠.

(٣) تفسير الجلالين ص٦٨.

(٤) مباحث في علوم القرآن ص٨٧.

(٥) القواعد الحسان ص١٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي ٢/٥٤٥، وقواعد التفسير لخالد السبت ٢/٥٩٣.

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١/٤٤٨، وأحكام القرآن لابن العربي ١/١٤٣، والمحرر الوجيز ٢/٤٩٨، والجامع لأحكام القرآن٥/١٢١، وفتح القدير ٤/١٦، وأضواء البيان ١/٢٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

.٢٤١/١

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١]

٧- مسألة: ما المراد باليوم الذي عنى الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يوم أحد[٢].

القول الثاني: يوم الأحزاب[٣].

القول الثالث: يوم بدر[٤].

قال الرسعني:

" قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ أي: واذكر إذ أصبحت ذاهباً من بيت عائشة، وذلك يوم أُحُد، وقال مجاهد ومقاتل: يوم الأحزاب. وروى عن الحسن أنه يوم بدر.

والأول أصح لقوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾[١] وكان

---

(١) آل عمران آية(١٢١).

(٢) جامع البيان ٧/٦، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين١/٣١٥، والكشف والبيان ١٣٧/٣، والوجيز ٢٢٩/١، وتفسير القرآن للسمعاني ٣٥٢/١، ومعالم التنزيل ٤١٠/١، والكشاف ٤٣٦/١، والمحرر الوجيز ٤٩٩/١، وزاد المسير١/٣٢٠، ومفاتيح الغيب١٨٠/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٨٤/٤، وتفسير النسفي ١٧٥/١، والتسهيل لعلوم التنزيل١/١١٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٩/٣، واللباب في علوم الكتاب٥٠٧/٥، والفتوحات الإلهية ٤٧٢/١، وإرشاد العقل السليم ٧٧/٢، والتحرير والتنوير ١٤٤/٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان١/١٤٥.

(٣) تفسير مقاتل ٢٩٨/١، وجامع البيان ٧/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٧٤٨/٣، والنكت والعيون١/٤١٩، والجامع لأحكام القرآن١٨٤/٤، وفتح القدير١/٣٧٩.

(٤) الكشف والبيان ١٣٧/٣، ومعالم التنزيل ٤١٠/١، والجامع لأحكام القرآن/١٨٠، وفتح القدير١/٣٧٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ذلك يوم أحد[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أن المراد به يوم أُحد وهو ترجيح الرسعني.

وذلك أنه خرج يوم أُحد من بيت عائشة –رضي الله عنها– إلى أُحد، فجعل يصفُّ أصحابه للقتال.

وممن قال به:

١– روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعبد الرحمن بن عوف[٣]، وابن مسعود ، وجابر بن عبد الله ﷺ [٤][٥].

٢– مجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، وابن إسحاق، والزهري[٦]، والحسن[٧].

---

(١) آل عمران آية(١٢٢).

(٢) رموز الكنوز للرسعني١/٢٧٩.

(٣) هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب، أبو محمد، أحد العشرة، صلى نبينا ﷺ خلفه في غزوة تبوك، تصدق بأربعين ألف دينار وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وعلى خمسمائة راحلة وعامة ماله من التجارة، توفي سنة ٣٢ وله خمس وسبعون سنة. انظر: الكاشف ١/٦٣٨، وتهذيب التهذيب ٦/٢٢١.

(٤) هو: جابر بن عبد الله ابن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي السلمي المدني الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً، روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ، توفي سنة ٧٣ للهجرة، وقيل: بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/١٨٩، وتهذيب التهذيب ٢/٣٧.

(٥) جامع البيان ٦/٦، وزاد المسير ١/٣١٩، والدر المنثور٢/٣٠٣.

(٦) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي، الزهري، الفقيه، أبو بكر الحافظ المدني، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام، توفي سنة ١٢٣هـ، وقيل: في رمضان سنة ١٢٥هـ. انظر: التعديل والتجريح ٢/٦٣٩، وصفوة الصفوة٢/١٣٦.

(٧) جامع البيان٦/٦–٧، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٧٤٨، والبسيط٥/٥٦٠، وزاد المسير١/٣١٩، ومفاتيح الغيب٨/١٨٠، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري ٢/٢٤٧، والبحر المحيط٣/٤٨،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣- قول جمهور المفسرين: الطبري، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن جزي الكلبي، وابن كثير، وابن عادل[١]، والسيوطي، وأبو السعود، وابن عاشور، والسعدي[٢].

واستدلوا بما يلي:

١- قال ابن جرير الطبري بعد ذكر القول الأول والثاني: "وأولى هذين القولين بالصواب قول من قال عنى بذلك يوم أُحد؛ لأن الله عز وجل يقول في الآية التي بعدها ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[٣] ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عُنى بالطائفتين بنو سلمة، وبنو حارثة، ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازي رسول الله ﷺ أن الذي ذكر الله من أمرهما إنما كان يوم أُحد دون يوم الأحزاب[٤].

٢- قال القرطبي: هذه غزوة أُحد وفيها نزلت هذه الآية كلها، والجمهور على أنها غزوة أُحد يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾[٥].

وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٦٩.

(١) هو: أبو حفص، عمر بن علي الشهير بابن عادل الدمشقي الحنبلي، يلقب بسراج الدين، صنف تفسير اللباب في علوم الكتاب، توفي سنة ٨٨٠هـ. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ١/٤١٩.

(٢) جامع البيان ٦/٧، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين١/٣١٥، والكشف والبيان ٣/١٣٧، والوجيز ١/٢٢٩، وتفسير القرآن للسمعاني ١/٣٥٢، ومعالم التنزيل ١/٤١٠، والكشاف ١/٤٣٦، والمحرر الوجيز ١/٤٩٩، وزاد المسير١/٣٢٠، ومفاتيح الغيب٨/١٨٠، والجامع لأحكام القرآن ٤/١٨٤، وتفسير النسفي ١/١٧٥، والتسهيل لعلوم التنزيل١/١١٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٦٩، واللباب في علوم الكتاب٥/٥٠٧، والفتوحات الإلهية ١/٤٧٢، وإرشاد العقل السليم ٢/٧٧، والتحرير والتنوير ٣/١٤٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان١/١٤٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٢.

(٤) جامع البيان٦/٧.

(٥) الجامع لأحكام للقرطبي ٤/١٨٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤- واستدلوا بسبب النزول ما أخرجه البخاري في باب غزوة أُحد، من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما- قال: "نزلت هذه الآية فينا ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ [١] بني سلمة، وبني حارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾[٢].

٥- أخرج أبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم عن المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف يا خال أخبرني عن قصتكم يوم أُحد قال : اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾[٣].

القول الثاني: أن المراد به يوم الأحزاب.

وممن روي عنه: مجاهد، والحسن البصري، ومحمد بن السائب الكلبي، ومقاتل[٤].

ومن أقوالهم:

ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ قال : يعني محمدا ﷺ يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب[٥].

القول الثالث: أن المراد به يوم بدر.

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٢٢.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ح(٤٠٥١)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب٤٢، ح (٢٥٠٥).

(٣) مسند أبي يعلى ١٤٨/٢ (٨٣٦)، وتفسير القرآن لابن المنذر ٣٥٠/١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٧٤٩/٣ (٤٠٧٤)، ومجمع الزوائد ١١١/٦.

(٤) تفسير مقاتل ٢٩٨/١، وجامع البيان ٧/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٧٤٨/٣، والنكت والعيون٤١٩/١، والجامع لأحكام القرآن١٨٤/٤، وفتح القدير٣٧٩/١.

(٥) جامع البيان ٧/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٧٤٨/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهي رواية عن الحسن[١].

والمشهور عن الحسن أنه يوم الأحزاب[٢].

حاصل الدراسة:

حجة من قال هذا اليوم هو يوم أُحد وجوه:

الأول: أن أكثر العلماء بالمغازي ذكروا أن هذه الآية نزلت في وقعة أُحد[٣].

ويشهد لقول الجمهور: ما ثبت في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-.

الثاني: أنه تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ ﴾[٤]، والظاهر أنه معطوف على ما تقدم، ومن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه، وأما يوم الأحزاب، فالقوم إنما خالفوا أمر الرسول ﷺ يوم أُحد لا يوم الأحزاب، فكانت قصة أُحد أليق بهذا الكلام؛ لأن المقصود من ذكر هذه القصة تقرير قوله: ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ ﴾ فثبت أن هذا اليوم هو يوم أُحد[٥]. وأن غزوة الأحزاب وبدر كان فيها نصر للمسلمين بخلاف أُحد فناسب الكلام أُحد.

كما يدلّ عليه سياق الآيات قبلها وبعدها[٦] المشار إليه في كلام ابن جرير الطبري. والله أعلم.

الثالث: أن الانكسار واستيلاء العدو كان في يوم أحد أكثر منه في يوم الأحزاب؛ لأن في يوم أُحد قتلوا جمعاً كثيراً من أكابر الصحابة، ولم يتفق ذلك يوم الأحزاب فكان

---

(١) الكشف والبيان ١٣٧/٣، ومعالم التنزيل ٤١٠/١، والجامع لأحكام القرآن/١٨٠، وفتح القدير ٣٧٧/١.

(٢) أخرجه ابن جرير ٧/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧٤٨/٣(٤٠٧٠).

(٣) مفاتيح الغيب١٨٠/٨.

(٤) سورة آل عمران الآية(٢٣).

(٥) مفاتيح الغيب ١٨٠/٨.

(٦) معالم التنزيل ٤١٠/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حمل الآية على يوم أُحد أولى[١].

الرابع: رواية ابن عباسﷺ الصريحة في تفسير الآية، والآثار وأقوال التابعين تؤيده، وأغلب المفسرين رجحوا أن المقصود يوم أحد.

وأما من قال بأنها يوم الأحزاب فهو قول ضعيف رده واستنكره أكثر المفسرين:

١- قال ابن عطية، بعد ذكره لقول الحسن أنها في غزوة الأحزاب:" وخالفه الناس والجمهور على أن ذلك كان في غزوة أُحد وفيها نزلت هذه الآيات كلها"[٢].

٢- قال أبو حيان، بعد حكايته لقول الحسن:" وهو ضعيف؛ لأن يوم الأحزاب كان فيه ظفر المؤمنين، ولم يجر فيه شيءٌ مما ذكر في هذه الآيات، بل قصتاهما متباينتان"[٣].

٣- قال ابن كثير:" وعن الحسن البصري: المراد يوم الأحزاب...، وهو غريب لا يعول عليه"[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها يوم أُحد لما سبق ذكره والله أعلم.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٥].

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨٠/٨.

(٢) المحرر الوجيز ٤٩٩/١.

(٣) البحر المحيط ٤٨/٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١٧٠/٣.

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس٦٥٧/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٠/١، والمحرر الوجيز ٢١/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٥/١٢، وروح المعاني ٨٢/٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢٠٦/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التفسير[١].

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك، إلا بدليل يجب التسليم إليه[٢].

(١) المحرر الوجيز ٣٩٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/٧، والبحر المحيط ٩٤/٨، والتسهيل ٥٤/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٥٨/١.

(٢) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قوله تعالى:﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (١)

٨- **مسألة:**اختلف المفسرون في هذا الوعد بالمدد هل حصل يوم بدر، أو يوم أُحد.

مجمل الأقوال الواردة

القول الأول: يوم بدر(٢).

القول الثاني: يوم أُحد(٣).

قال الرسعني:

"قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وذلك يوم بدر **على الصحيح**.

وقال الضحاك ومقاتل: يوم أُحد(٤).

فعلى الأول: "إذ" ظرف ل"نصركم"، وعلى الثاني: هو بدل ثاني من "إذ غدوت".

فإن قيل: القصة – على هذا القول الصحيح- واحدة، فكيف قال هاهنا: ﴿ بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ ﴾ ، ﴿ بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ ﴾ وقال في الأنفال في قصة بدر أيضاً: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

(١) سورة آل عمران: ١٢٤.

(٢) جامع البيان ٢٠/٦، والنكت والعيون ٤٢١/١، والوجيز ٢٣٠/١، والمحرر الوجيز ٥٠٢/١، وزاد المسير ٤٥١/١، ومفاتيح الغيب ١٣٨/٨، والبحر المحيط٥١/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧٥/٣، واللباب في علوم الكتاب ٥١٤/٥، والتحرير والتنوير ٧٢/٤.

(٣) تفسير الضحاك ٢٥٦/١، وتفسير مقاتل ٢٩٩/١، وجامع البيان ٢٧/٦، وتفسير القرآن لابن المنذر ٣٦٧/١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧٥٢/٣ (٤٠٩٧)،(٤٠٩٨)، وزاد المعاد ١٧٧/٣، ومفاتيح الغيب ١٣٨/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧٥/٣، وروح المعاني٤٤/٤، والدر المنثور ٧٥٣/٣.

(٤) زاد المسير ٤٥١/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾ [١]

قلت:قال قتادة: أمدّهم الله بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف.

فإن قيل: كيف ساغ لهذين العالمين أن يقولا: كان ذلك يوم أُحد، والآية قد صرحت بإمداد الملائكة، وكان ذلك يوم بدر، بغير خلاف[٢]، ثم إنهم يوم أُحد قد كُسروا وانهزموا، فكيف يكون ذلك مع وجود الملائكة ونزولهم لنصرتهم؟

قلت: نزول الملائكة- على هذا القول- كان مشروطاً بالصبر والتقوى، قال الله تعالى:﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم ﴾ فانتفى لانتفائهما.[٣]

دراسة الأقوال في المسألة:

قوله: ﴿ إِذْ ﴾ هذه ظرف، واختُلف في متعلقها، هل هو قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [٤] أو هو قوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ [٥]، وبناء على هذا الاختلاف في المتعلق؛ وقع الخلاف في المدد المذكور في الآية على قولين:

القول الأول:

أن قوله: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ فيكون الوعد بالمدد وقع يوم بدر، وإلى هذا القول ذهب جمهور المفسرين، وهو ترجيح الرسعني.

---

(١) سورة الأنفال:٩.

(٢) يعني قوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾ الأنفال:٩ ولا خلاف أن هذا كان يوم بدر.

(٣) رموز الكنوز١/ ٢٨٧.

(٤) سورة آل عمران:١٢٣.

(٥) سورة آل عمران:١٢١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به:

١- ابن عباس -رضي الله عنهما-، وروي عن مجاهد، وعامر الشعبي ، وقتادة، والحسن البصري، والربيع بن أنس[١].

٢- من المفسرين: ابن جرير، الماوردي، الواحدي، ابن عطية، ابن الجوزي، الرازي، وأبو حيان، وابن كثير، وابن عادل، وابن عاشور[٢].

ومن أقوالهم:

١- ابن حجر: "فمنهم من قال هي متعلقة بقوله: "نصركم" فعلى هذا هي في قصة بدر وعليه عمل المصنف، وهو قول الأكثر، وبه جزم الداودي وأنكره بن التين فذهل"[٣].

٢- ابن عاشور:"وخصّ هذا الوقت بالذكر لأنَّه كان وقت ظهور هذه المعجزة، وهذه النِّعمة، فكان جديراً بالتذكير والامتنان. والمعنى: إذ تعِد المؤمنين بإمداد الله بالملائكة، فما كان قول النَّبي ﷺ لهم تلك المقالة إلاّ بوعد أوحاه الله إليه أن يقوله"[٤].

٣- ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ ﴾ فبلغت

(١) تفسير مجاهد ١٣٥/١، وجامع البيان ٢١/٦-٢٥، وتفسير القرآن لابن المنذر٣٦٦/١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧٥٢/٣ (٤٠٩٢)،(٤٠٩٦)، وزاد المعاد ١٧٧/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧٥/١، والدر المنثور ١٧٥/٣، وسبل الهدى والرشاد٨٢/٤.

(٢) جامع البيان ٢٠/٦، والنكت والعيون ٤٢١/١، والوجيز ٢٣٠/١، والمحرر الوجيز ٥٠٢/١، وزاد المسير ٤٥١/١، ومفاتيح الغيب ١٣٨/٨، والبحر المحيط٥١/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧٥/٣، واللباب في علوم الكتاب ٥١٤/٥، والتحرير والتنوير ٧٢/٤.

(٣) فتح الباري٢٨٦/٧.

(٤) التحرير والتنوير ٧٢/٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين.[١]

٤- ما أخرجه ابن جرير عن قتادة قال: أمد الله المسلمين بخمسة آلاف من الملائكة[٢].

٥- عن الربيع بن أنس قال: أمد الله المسلمين يوم بدر بألف، ثم زادهم فصاروا ثلاثة آلاف، ثم زادهم فصاروا خمسة آلاف. وكأنه جمع بذلك بين آيتي آل عمران والأنفال[٣].

ومما يؤيده:

١- أن الله تعالى قال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ ﴾[٤]كذا وكذا، فظاهر هذا الكلام؛ يقتضي أن الله تعالى نصرهم ببدر حينما قال الرسول ﷺ للمؤمنين هذا الكلام، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا الكلام يوم بدر[٥].

٢- أن قلة العَدد، والعُدد كانت يوم بدر أكثر منها في أُحد[٦]، وكان الاحتياج إلى تقوية القلب ذلك اليوم أكثر ، فكان صرف هذا الكلام إلى ذلك اليوم أولى[٧].

٣- أن الوعد بإنزال ثلاثة آلاف من الملائكة كان مطلقاً غير مشروط بشرط، فوجب أن يحصل، وهو إنما حصل يوم بدر لا يوم أُحد، ولا يكون المدد بمجرد الإنزال — كما يدعيه من يقول: أنهم حضروا في أُحد لكنهم لم يشاركوا بسبب إخلال المسلمين بالشرط وذلك بما حدث من الرماة-، بل لا بد من الإعانة ، والإعانة حصلت يوم بدر

---

(١) جامع البيان ٢٠/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن المنذر ٣٦٧/١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧٥٢/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧٤/٣، والدر المنثور ٧٥٢/٣.

(٢) جامع البيان ٢٥/٦.

(٣) جامع البيان ٢٥/٦.

(٤) آل عمران آية: ٢٣-٢٤.

(٥) مفاتيح الغيب ١٣٨/٨.

(٦) كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر، وعدد المشركين تسعمائة وخمسين. انظر: جامع البيان

(٧) مفاتيح الغيب ١٣٨/٨، والبحر المحيط٥٢/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولم تحصل يوم أُحد[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الحافظ ابن كثير:" فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية... وبين قوله في قصة بدر: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ ﴾ [٢] فالجواب: أن التنصيص على الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله: ﴿مُرْدِفِينَ ﴾ بمعنى يردفهم غيرهم، ويتبعهم ألوف أخر مثلهم. وهذا السياق شبيهٌ بهذا السياق في سورة آل عمران، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر، كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر. والله أعلم"[٣].

ب- قال العلامة ابن عاشور بعد ذكره آية الأنفال:" وذكر هنا أنّ الله وعدهم بثلاثة آلاف ثُمّ صيّرهم إلى خمسة آلاف، ووجه الجمع بين الآيتين: أنّ الله وعدهم بألف من الملائكة، وأطمعهم بالزّيادة بقوله: ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ أي مردَفيْن بعدد آخر، ودلّ كلامه هنا على أنَّهم لم يزالوا وجلين من كثرة عدد العدوّ، فقال لهم النبي ﷺ: ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ۝١٢٤ ﴾ أراد الله بذلك زيادة تثبيتهم، ثمّ زادهم ألفين إن صبروا واتّقوا. وبهذا الوجه فسّر الجمهور، وهو الذي يقتضيه السياق"[٤].

القول الثاني:

أن هذا الوعد متعلق بقوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ

(١) مفاتيح الغيب ١٣٨/٨، والبحر المحيط٥٢/٣.

(٢) سورة الأنفال الآية:٩-١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٧٥/٣.

(٤) التحرير والتنوير ٧٣/٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لِلۡقِتَالِۖ ﴾ [١]فيكون الوعد بالمدد وقع يوم أُحد، لكن قالوا كان إمداد معلقاً على شرط، فلما فات شرط فات الإمداد.

وممن قال به:

١- عن ابن عباس- رضي الله عنهما-[٢]، والضحاك، و(عكرمة، وقتادة) في إحدى الروايتين عنهما، والزهري، وموسى بن عقبة، ومقاتل، ومحمد بن إسحاق[٣].

٢- الواقدي، وابن زمنين، والكلبي، والسمرقندي، وابن عثيمين[٤].

وممن قال بأن هذا الوعد بالمدد كان يوم أُحد استدل بالأدلة التالية:

١- أن الله أمدهم يوم بدر بألف من الملائكة كما هو صريح، قال تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩ ﴾ [٥] فكيف يمكن حمل الإمداد بثلاثة آلاف، وخمسة آلاف، بيوم بدر[٦].

٢- أن الكفار كان عددهم في بدر ألفاً، والمسلمون على الثلث منهم تقريباً؛ فأمدهم الله بألفٍ من الملائكة، بعدد الكفار، مع زيادة عدد المسلمين، وفي يوم أُحد كان عدد الكفار ثلاثة آلاف، والمسلمين ثلثهم، فوعدهم الله أن يمدهم بثلاثة آلاف بعدد الكفار، مع زيادة المسلمين، فيصير ذلك دليلاً على أن المسلمين يهزمونهم في هذا اليوم كما هزموهم يوم بدر، ثم جعل الثلاثة آلاف؛ خمسة آلاف لتقوى قلوب المسلمين،

---

(١) سورة آل عمران:١٢١.

(٢) مفاتيح الغيب ١٣٨/٨.

(٣) تفسير الضحاك ٢٥٦/١، وتفسير مقاتل ٢٩٩/١، وجامع البيان ٢٧/٦، وتفسير القرآن لابن المنذر ٣٦٧/١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧٥٢/٣ (٤٠٩٧)،(٤٠٩٨)، وزاد المعاد ١٧٧/٣، ومفاتيح الغيب ١٣٨/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧٥/٣، وروح المعاني٤٤/٤، والدر المنثور ٧٥٣/٣.

(٤) المغازي للواقدي ٢٧٢/١، وبحر العلوم ٢٦٨/١، ومفاتيح الغيب ١٣٨/٨، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣١٦/١، وتفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ١٣٠/٢و١٣٣-١٣٤.

(٥) سورة الأنفال آية: ٩.

(٦) مفاتيح الغيب ١٣٨/٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وعزائمهم في هذا اليوم ويزول الخوف عن قلوبهم[١].

٣- أنه تعالى قال في هذه الآية: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[٢] والمراد ويأتوكم أعداؤكم من فورهم، ويوم أُحد هو اليوم الذي كان يأتيهم الأعداء، فأما يوم بدر فالأعداء ما أتوهم، بل هم ذهبوا إلى الأعداء[٣].

٤- أن المدد في الآية مشروط بشرط؛ وهو تحقيق الصبر، والتقوى، وهذا كان في أُحد فلما لم يحصل الشرط لم يتحقق المدد، بخلاف المدد في بدر فلم يكن مشروطاً[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أنه يوم الأحزاب، وهو قول عبد الله بن أبي أوفى، أنه وعدهم يوم بدر أن يمدَّهم إن صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه، واتقوه باجتناب محارمه، أن يمدهم في حروبهم كلها، فلم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب، فأمدَّهم حين حاصروا قريظة[٥].

حاصل الدراسة:

كل فريق من الفريقين أجاب على أدلة الفريق الآخر بما يراه مناسباً، وحاول تفنيدها، وإثبات ما يراه في المدد، حتى طال الخلاف، وكثرت التعليلات، ويبدوا أن عدم وجود نصٍ واضح في وقت المدد المذكور في الآية؛ أدى إلى ما يجده الباحث في هذه المسألة من الصعوبة في تحديد وقت المدد عند كثير من المفسرين[٦].

وما أجمل ما قاله ابن جرير الطبري – رحمه الله- بعد عرضه الأقوال، والآثار الواردة

---

(١) مفاتيح الغيب ١٣٨/٨، والبحر المحيط٥٢/٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٥.

(٣) مفاتيح الغيب ١٣٨/٨.

(٤) تفسير البضاوي ٨٨/٢.

(٥) جامع البيان ٢٦/٦.

(٦) مفاتيح الغيب ١٣٨/٨، والبحر المحيط ٥٢/٣-٥٣، واللباب في علوم الكتاب ٥١٥/٥-٥١٦، وانظر: مجموع الفتاوى ٣٧/١٥-٣٨، وزاد المعاد ١٧٧/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

في وقت المدد حيث قال:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله أخبر عن نبيه محمد أنه قال للمؤمنين: ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لهم، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله. ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف، ولا بالخمسة آلاف، ولا على أنهم لم يمدوا بهم.

وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم، على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم، وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك. ولا خبر عندنا صحَّ من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف، ولا بالخمسة الآلاف. وغير جائز أن يقال في ذلك قولٌ إلا بخبر تقوم الحجة به، ولا خبر به كذلك، فنسلم لأحد الفريقين قوله. غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة، وذلك قوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [١] فأما في يوم أُحد، فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبينُ منها في أنهم أمدوا. وذلك أنهم لو أمدوا؛ لم يهزموا، وينال منهم ما نيل منهم. فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره"[٢].

مال ابن القيم إلى أنها في أُحُد لأن السياق في ذكر أُحُد، وإنما أدخل ذكر بدر اعتراضاً في أثنائها، وفيها أن الإمداد بثلاثة آلاف، ثم وعدهم أنهم إن صبروا واتقوا أمدهم بخمسة آلاف والإمداد ببدر بألف، وهذا معلَّق على شرط، وذلك مطلق، والقصة في آل عمران قصة أُحُد مستوفاة مطوّلة، وفي الأنفال بدر مستوفاة مطوَّلة، ويوضح هذا أن قوله: ﴿ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ ، قد قال مجاهد: إنه يوم أُحُد، وهذا يستلزم أن يكون الإمداد فيه فلا يصح قوله: إن الإمداد بهذا العدد كان يوم بدر،

(١) سورة الأنفال: ٩.

(٢) جامع البيان ٦/٢٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وإتيانهم من فورهم هذا يوم أُحُد.[١]

وبالنسبة للقول أنه يوم الأحزاب: فقد ضعفه أبو حيان في تفسيره[٢]. والسياق يرد هذا القول؛ فالآيات الواردة قبل هذه الآية التي معنا، وبعدها كلها في ذكر غزوتي أُحد وبدر، ولا ذكر للأحزاب، أو غيرها فيها.

وأقربها قول الجمهور، وهو ترجيح الرسعني.

ومما يؤيد أن هذه الآية وما بعدها كانت مما حدث يوم بدر ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[٣]؛ لأن الله تعالى قال قبلها:﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ وإرجاع الكلام إلى ما قبله أولى من الخروج به إلى غيره إلا بدليل يجب التسليم له، وليس ثمة دليل هنا على أن هذه الآية راجعة إلى غير يوم بدر.

والإمداد بالملائكة يوم بدر جاء مصرّحاً به في سورة الأنفال في قوله تعالى:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[٤] وهنا جاء الإمداد بثلاثة آلاف، وبخمسة آلاف، فلزم التغاير.

المناقشة والترجيح:

يتبين مما سبق، إن الراجح ما اختاره الرسعني ومن وافقه من أن وعده ﷺ لأصحابه بالإمداد بثلاثة آلاف وبخمسة قد وقع في غزوة بدر، وذلك لصحة ما استدلوا به، ولأن ما استشكله أصحاب القول الثاني من تعارض الوعد في (آل عمران) عنه في آية (الأنفال) مما يوجب حمل كلٍّ منهما على حادثة، مرفوعٌ بما أجاب به الحافظ ابن كثير،

(١) انظر: بتصرف زاد المعاد ١٧٨/٣.

(٢) البحر المحيط ٥٢/٣-٥٣.

(٣) سورة آل عمران آية: ١٢٤.

(٤) سورة الأنفال آية: ٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وابن عاشور.

كما يشهد لصحته: أن الله – عزّ وجلّ- قد وعد المؤمنين أن يمدّهم بخمسة آلاف من الملائكة إن تحققت ثلاثة أمور، ووعده سبحانه لا يتخلف ولا يتبدل، وقد تحققت هذه الأمور الثلاثة، وهي: صبر الصحابة، واتقاؤهم الله تعالى، ومجيء المشركين من (فورهم) أي من نهضتهم، أو من غضبهم، كما جاء في السيرة من خروج قريش مُسرعةً لإنقاذ عِيرِها ورِجالها[١]. والله أعلم.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٢].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢١٩.

(٢) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير ٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (١)

٩- مسألة: كم عدد الملائكة يوم بدر؟

مجمل الأقوال الواردة

القول الأول: ألف(٢).

القول الثاني :أربعة آلاف(٣).

القول الثالث: خمسة آلاف(٤).

القول الرابع: ثمانية آلاف(٥).

القول الخامس: تسعة آلاف(٦).

القول السادس: ستة عشر ألفاً(٧).

قال الرسعني

---

(١) سورة آل عمران آية :١٢٤-١٢٥

(٢) جامع البيان ٧٩/٤، وزاد المسير ٣٢٢/١، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ٣٧/١٥، والبداية والنهاية ٢٧٥/٣.

(٣) جامع البيان ٢٠/٦، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم٧٥٢/٣ (٤٠٩٥)، والدر المنثور ٧٥٢/٣، وتفسير ابن المنذر ٣٦٩/١.

(٤) جامع البيان ٢٥/٦، وتفسير القرآن لابن المنذر٣٦٦/١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٧٥٢/٣-٧٥٤، والنكت والعيون ٤٢٢/١، وزاد المسير٣٢٢/١، وزاد المعاد ١٧٨/٣، والبحر المحيط٥١/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧٥/٣، وتفسير الجلالين ص٧٥، والتحرير والتنوير٧٦/٤-٧٧.

(٥) النكت والعيون ٤٢٢/١.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤٠٤/٢، ولباب التأويل ٤١٥/١.

(٧) روح المعاني ٧٥/١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

"اختلفوا في عدد الملائكة يوم بدر:

فقال علي ﷺ وأكثر المفسرين: كانوا خمسة آلاف[١].

وقال الشعبي: أربعة آلاف[٢].

وقال مجاهد: ألفاً[٣].

وذكر الزجاج قولاً ولم ينسبه لأحد: تسعة آلاف[٤]

ونقل بعض المفسرين: ثمانية آلاف[٥].

والأول أشهر وأكثر، ولعل مجاهداً أخذ بقوله:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ ...الآية[٦]، ولعل الشعبي احتج بها، وبقوله:﴿ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَثَةِ ءَالَفٍ ﴾. وما حكاه الزجاج مستفاد من مجموع الأعداد في الآيات، الألف، والثلاثة الآلاف، والخمسة الآلاف.

ولعل صاحب القول الأخير نظر إلى العدد المذكور في الآيتين هاهنا، والله أعلم[٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ألف، فرُجح الاعتماد على النص في الإمداد في الأنفال وأنه ألف، والآيات في آل عمران لم يحتاجوا إليها.

وممن قال به: مجاهد، وابن جرير، وابن تيمية[٨].

---

(١) النكت والعيون ٤٢٢/١، وزاد المسير ٣٢٢/١.

(٢) زاد المسير ٣٢٢/١.

(٣) زاد المسير ٣٢٢/١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤٠٤/٢.

(٥) النكت والعيون ٤٢٢/١، وزاد المسير ٣٢٢/١.

(٦) سورة الأنفال الآية:٩.

(٧) رموز الكنوز ٢٩٣/١.

(٨) جامع البيان ٧٩/٤، وزاد المسير ٣٢٢/١، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ٣٧/١٥، والنهاية ٢٧٥/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن أقوالهم:

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله أخبر عن نبيه محمد أنه قال للمؤمنين ﴿ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله. ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ولا على أنهم لم يمدوا بهم ... ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف، وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به، ولا خبر به كذلك، فنسلم لأحد الفريقين قوله؛ غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة، وذلك قوله: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ ﴾[١].

القول الثاني :أربعة آلاف.

وممن قال به: الشعبي[٢].

ومن أقوالهم:

قال الشعبي: حدث المسلمون يوم بدر أن كُرز بن جابر المحاربيَّ يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين فقيل لهم﴿ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ ﴾[٣]الآيات قال فبلغت كُرزا الهزيمة فرجع ولم يُمَدَّوا بالخمسة، وأُمدوا بعد ذلك بألف، فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين[٤].

---

(١) جامع البيان ٤/٢٨.

(٢) جامع البيان ٦/٢٠، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم٣/٧٥٢ (٤٠٩٥)، والدر المنثور ٣/٧٥٢، وتفسير ابن المنذر ١/٣٦٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٤.

(٤) أخرجه ابن جرير ٦/٢٠، وابن أبي حاتم٣/٧٥٢ (٤٠٩٥) من طريق داود به، وعزاه السيوطي في الدر

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الثالث: خمسة آلاف.

أمد أصحاب النبي ﷺ بألف، ثم زاد فيهم ألفين، فصاروا ثلاثة آلاف، ثم زاد ألفين آخرين، فصاروا خمسة آلاف.

أو أمدهم بثلاثة آلاف، ثمّ زادهم ألفين إن صبروا واتَّقوا، فيكونون خمسة آلاف للآية الثانية، والثلاثة الأولى داخلة في هذه الخمسة، وبهذا الوجه فسّر الجمهور(١).

وممن قال به:

١- علي رضي الله عنه، والربيع بن أنس، وقتادة، والحسن.

٢- وابن الجوزي، وأبو حيان، وابن كثير، والسيوطي، وابن عاشور(٢).

واستدلوا:

بما روى جبير بن مطعم عن علي رضي الله عنه قال بينما أنا أمتح(٣) من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة وكان مع رسول الله ﷺ وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله، وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله وكنت عن يساره وهزم الله أعداءه(٤).

المنثور ٣/٧٥٢ إلى ابن المنذر ١/٣٦٩.

(١) التحرير والتنوير ٤/٧٥.

(٢) جامع البيان ٦/٢٥، وتفسير القرآن لابن المنذر١/٣٦٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٧٥٢-٧٥٤، والنكت والعيون ١/٤٢٢، وزاد المسير١/٣٢٢، وزاد المعاد ٣/١٧٨، والبحر المحيط٣/٥١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٧٥، وتفسير الجلالين ص٧٥، والتحرير والتنوير٤/٧٦-٧٧.

(٣) الماتح: المستقي، ومتح: جذب الدلو من البئر مستقياً. انظر: لسان العرب مادة (متح)٢/٥٨٨.

(٤) أخرجه أبو يعلى في المغازي ١/٣٨٠(٤٨٩) من طريق موسى بن يعقوب عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن علي، وإسناده ضعيف.زاد المسير ١/٣٢٢، ولباب التأويل ١/٤١٥،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن الجوزي: " قال هؤلاء فلما استغاثوا أمدهم بتمام ثلاثة آلاف، ثم أمدهم بتمام خمسة آلاف لما صبروا واتقوا؛ فكان هذا التدريج ومتابعة الإمداد أحسن موقعاً وأقوى لنفوسهم وأسر لها من أن يأتي به مرة واحدة، وهو بمنزلة متابعة الوحي ونزوله مرة بعد مرة"(١).

ب- قال ابن عاشور: أحسب أنّ الأعداد المذكورة هنا مناسبة لجيش العدوّ لأنّ جيش العدوّ يوم بدر كان ألفاً فوعدهم الله بمدد ألف من الملائكة فلمَّا خشُوا أن يلحق بالعدوّ مدد من كُرْز المحاربي. وعدهم الله بثلاثة آلاف أي بجيش له قلب وميمنة وميسرة كلّ ركن منها ألف، ولما لم تنقشع خشيتهم من إمداد المشركين لأعدائهم وعدهم الله بخمسة آلاف، وهو جيش عظيم له قلب وميمنة وميسرة ومقدّمة وساقة، وذلك هو الخميس، وهو أعظم تركيباً وجعل كُلّ ركن منه مساوياً لجيش العدوّ كلّه(٢).

القول الرابع: ثمانية آلاف.ومن قال ثمانية جمع الآيتين في آل عمران.

وممن قال به: الماوردي ذكره عن غير الحسن من المفسرين ولم يحدد، ولم أجده عن المفسرين غيره(٣).

القول الخامس: تسعة آلاف. جمع الأعداد ألف في الأنفال مع الثلاثة والخمسة في آل عمران.

وممن قال به: ذكره الزجاج ولم ينسبه لأحد، والخازن(٤).

ومن أقوالهم:

قال الخازن:"ومن الناس من ضم العدد القليل إلى الكثير؛ لأن الله تعالى ذكر الألف

---

(١) زاد المعاد ١٧٨/٣.

(٢) التحرير والتنوير ٧٦/٤-٧٧.

(٣) النكت والعيون ٤٢٢/١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤٠٤/٢، ولباب التأويل ٤١٥/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

في سورة الأنفال وذكر هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف"[١].

القول السادس: ستة عشر ألفاً.

نقل الألوسي قولاً لم يذكره غيره، قيل: ستة عشر ألفاً بعدد العسكرين اثنا عشر ألفاً عسكر المسلمين وأربعة آلاف عسكر المشركين[٢].

حاصل الدراسة:

أن من الناس من ضم العدد الناقص إلى العدد الزائد، فإن حملنا الآية على قصة بدر كان عدد الملائكة تسعة آلاف، وإن حملناها على قصة أُحد فليس فيها ذكر الألف، والمجموع ثمانية آلاف.

ومنهم من أدخل العدد الناقص في العدد الزائد، فقالوا عدد الملائكة خمسة آلاف[٣].

وقد حكى بعض المفسرين أنه أمد أهل بدر بألف، والزائد على الألف ما جاء المسلمين[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: لا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ولا على أنهم لم يمدوا بهم، فهذه وجوه كلها محتملة والله أعلم بمراده.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٥].

---

(١) لباب التأويل ١/٤١٥.

(٢) روح المعاني ١٠/٧٥.

(٣) مفاتيح الغيب٨/١٨٥، والبحر المحيط ٣/٥٢، وتفسير القرآن العظيم ٣/١٧٥، وسبل الهدى والرشاد٤/٨٣، والتحرير والتنوير ٤/٧٥.

(٤) مفاتيح الغيب ٨/١٨٥.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[١]

١٠- مسألة: ما معنى (تنظرون) في قوله: ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: توكيد على معنى وأنتم بصراء[٢].

القول الثاني: أي: تنظرون ماتمنيتم[٣].

القول الثالث: تنظرون إلى السيوف[٤].

القول الرابع: تنتظرون الموت وتترقبونه[٥].

قال الرسعني:

"قال ابن عباسﷺ وغيره: لما أخبرهم عز وجل على لسان نبيه ما لقي به شهداء بدر من الكرامة، رغبوا في ذلك، فتمنّوا قتالاً يستشهدون فيه، فلما كان يوم أُحُد ألحَّوا على النبي ﷺ في الخروج حرصاً على الشهادة، ورغبة فيها، فلم يلبثوا أن انهزموا، إلا مَن شاء الله منهم، فأنزل الله فيهم هذه الآية[٦].

والمعنى: فقد رأيتم أسبابه[٧].

﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ توكيد، على معنى: وأنتم بصراء.

---

(١) سورة آل عمران آية:١٤٣.

(٢) معاني القرآن للأخفش ص٣٥٣، ومعاني القرآن للزجاج١/٤٧٣، ومعاني القرآن للنحاس ١/٤٨٥، والبحر المحيط ٣/٧٤.

(٣) المحرر الوجيز ١/٥١٦، وزاد المسير ١/٣٣٠، وروح المعاني ٤/٧١، وفتح القدير١/٣٨٥.

(٤) المغازي ١/٢٧٣، والسيرة النبوية لابن هشام ٤/٦٣، وتفسير ابن أبي زمنين١/٣٢٢.

(٥) رموز الكنوز١/٣١٧.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٣/٧٧٦(٤٢٥٤)، وانظر: لباب النقول ص٥٨.

(٧) جامع البيان ٦/٩٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقيل: وأنتم تنظرون ما تمنيتم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: وأنتم تنظرون إلى السيوف[١].

والذي يظهر لي، ويشهد بصحته سبب النزول – والله أعلم – أن المعنى: ولقد كنتم تمنون الموت رغبة في الشهادة فقد رأيتموه، وبلغتم ما كنتم تحبون وتتمنون، وحالكم أنكم قوم تنتظرون الموت، وترتقبونه رغبة في كرامة الله وما أعده للشهداء، فَلِمَ انهزمتم، وأسلمتم نبيكم، وخذلتم دينكم؟[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: توكيد على معنى وأنتم بصراء، وإخراجه الرؤية من الاشتراك الذي بين رؤية القلب ورؤية العين في اللفظ. وليعلم أن المراد بالرؤية: هي البصرية، فهو تحقيق لإرادة الحقيقة[٣].

وممن قال به: سعيد الأخفش[٤]، والزجاج، وأبو جعفر النحاس، وأبو حيان[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابنُ الأنْبَارِي: ﴿ رَأَيتُمُوهُ ﴾، أي: قابلتموه ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ بعيونكم[١].

(١) زاد المسير ١/٣٣٠.

(٢) رموز الكنوز ١/٣١٧.

(٣) نظم الدرر ٢/١٦١.

(٤) هو: أبو الحسن الأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي أخذ النحو عن سيبوية وصنف كتبا كثيرة منها كتاب في معاني القرآن وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك، توفي سنة ٢١٥هـ. انظر: الوافي بالوفيات ١٥/١٦١، والأعلام ٣/١٠١.

(٥) معاني القرآن للأخفش ص٣٥٣، ومعاني القرآن للزجاج ١/٤٧٣، ومعاني القرآن للنحاس ١/٤٨٥، والبحر المحيط ٣/٧٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ب-قال الأخفش: قال تعالى: ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ توكيداً كما تقول: "قَدْ رأيتُه واللّهِ بِعَيْنِي" و"رَأَيْتُهُ عِيانا"[٢].

ج-قال الزجاج:"معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء، كما تقول رأيت كذا وكذا وليس في عينك علة، أي: رأيته رؤية حقيقة[٣].

د- قال أبو حيان: وأنتم تنظرون جملة حالية للتأكيد، ورفع ما يحتمله رأيتموه من المجاز، أو من الاشتراك الذي بين رؤية القلب ورؤية العين، أي: معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا، فعلى هذا يكون متعلق النظر متعلق الرؤية، وهذا قول الأخفش، وهو الظاهر[٤].

هـ- قال البقاعي: ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ بمعنى رؤية العين، فهو تحقيق لإرادة الحقيقة[٥].

و- قال أبو السعود: وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له[٦].

القول الثاني: تنظرون ما تمنيتم وهو عائد على الموت.

أن يكون قد وقفهم على تمنيهم ومعاهدتهم، وعلى أنهم رأوا ذلك الذي تمنوا ثم قال على جهة التوبيخ والعتب ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ في فعلكم الآن بعد انقضاء الحرب هل وفيتم أم خالفتم؟ كأنه قال وأنتم حسباء أنفسكم فتأملوا قبيح فعلكم وفي هذا التوبيخ على هذا الوجه ضرب جميل من الإبقاء والصون والاستدعاء. [٧]

وممن قال به: ابن فورك[٨] [١].

---

(١) البحر المحيط ٣/٧٤، واللباب في علوم الكتاب ٥/٥٦٦.

(٢) معاني القرآن للأخفش ص٣٥٣.

(٣) معاني القرآن ١/٤٧٣.

(٤) البحر المحيط ٣/٧٤.

(٥) نظم الدرر ٢/١٦١.

(٦) إرشاد العقل السليم٢/٩٢.

(٧) روح المعاني ٤/٧١، وفتح القدير١/٣٨٥.

(٨) هو: أبو بكر ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي، الأديب النحوي، الواعظ الأصبهاني،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن فورك: المعنى وأنتم تتأملون الحال في ذلك وتفكرون فيها كيف هي[٢].

القول الثالث: تنظرون إلى الموت بالسيوف في أيدي الرجال.

وممن قال به: الواقدي، وابن هشام، وابن أبي زمنين[٣].

القول الرابع: تنتظرون الموت وتترقبونه. وهو ترجيح الرسعني.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون في تقديرات متعلق النظر هنا:

١- قيل: تنظرون إلى محمد ﷺ وما فعل به وهو محكي عن مكي [٤]. - قال ابن عطية: وهذا قول ضعيف إلا أن ينحى به إلى هذا القول الذي ذكرته أنه النظر في أمره هل قتل والاضطراب بحسب ذلك[٥] -.

٢- قيل: تنظرون نظر تأمل بعد الرؤية[٦].

٣- قيل: تنظرون في أسباب النجاة والفرار ، وفي أمر رسول الله ﷺ هل قتل أم لا؟ وذلك كله نقض لما كنتم عاهدتم الله عليه [٧].

٤- قيل: تنظرون في فعلكم الآن بعد انقضاء الحرب، هل وفيتم أو خالفتم؟[٨]

٥- قال الطحاوي: فكان ذلك على رؤية القلوب وتعينها، لا على رؤية

أقام بالعراق مدة يدرس العلم ثم توجه إلى الري ، وورد نيسابور فبنى له بها مدرسة وداراً وأحيى الله تعالى به أنواعا من العلوم، بلغت مصنفاته في أصول الفقه، والدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنف، دعي إلى مدينة غزنة وجرت له بها مناظرات كثيرة، توفي سنة ٤٠٦هـ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢٧٢/٤.

(١) المحرر الوجيز ٥١٦/١، وزاد المسير ٣٣٠/١.

(٢) المحرر الوجيز ٥١٦/١، وزاد المسير ٣٣٠/١.

(٣) المغازي ٢٧٣/١، والسيرة النبوية لابن هشام ٦٣/٤، وتفسير ابن أبي زمنين ٣٢٢/١.

(٤) البحر المحيط ٧٤/٣.

(٥) المحرر الوجيز ٥١٦/١، واللباب في علوم الكتاب ٥٦٦/٥.

(٦) البحر المحيط ٧٤/٣.

(٧) البحر المحيط ٧٤/٣، وروح المعاني ٧١/٤، وفتح القدير ٣٨٥/١.

(٨) البحر المحيط ٧٤/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأبصار[١].

٦- قال ابن عاشور: وجملة ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ حال مؤكّدة لمعنى ﴿ رَأَيْتُمُوهُ ﴾ أو هو تفريع أي: رأيتم الموت وكان حظّكم من ذلك النظر، دون الغَناء في وقت الخطر، فأنتم مبهوتون[٢].

حاصل الدراسة:

القول الأول قول الأغلب من المفسرين. وخالفه بعضهم؛ لأن الكلام إذا دار بين التوكيد، والتأسيس وجب حمله على التأسيس، وهذه قاعدة معتبرة عند المفسرين[٣]. وهو اختيار ابن جرير وابن عثيمين[٤].

قال ابنُ الأنْبَارِي: ﴿ رَأَيْتُمُوهُ ﴾ ، أي: قابلتموه ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ بعيونكم، ولهذه العلة ذكر النظر بعد الرؤية حيث اختلف معناهما؛ لأن الأول بمعنى: المقابلة والمواجهة، والثاني بمعنى: رؤية العين. وهذا - أعني: إطلاق الرؤية على المقابلة والمواجهة - غير معروف عند أهل اللسان، وعلى تقدير صحته، فتكون الجملة من قوله: ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ جملة حالية مبيِّنة - لا مؤكِّدة - لأنها أفادت معنًى زائداً على معنى عاملها.[٥]-.

قال ابن جرير: ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ يعني: قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر، أي بقُرب منكم، وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل: ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ على وجه التوكيد للكلام، كما يقال: رأيته عياناً ورأيته بعيني وسمعته بأُذُني[٦].

القول الثاني والثالث وهو النظر لأمنيتهم وهي الشهادة، والنظر لأسبابها وهي الموت

---

(١) شرح مشكل الآثار ٢٦١/١.

(٢) التحرير والتنوير ١٠٨/٤.

(٣) كالطبري، وأبي بكر بن العربي، وابن القيم، والشوكاني، والشنقيطي. انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين ٤٧٥/٢-٤٧٧.

(٤) تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران ٢٣٥/٢.

(٥) البحر المحيط ٧٤/٣، واللباب في علوم الكتاب ٥٦٦/٥.

(٦) جامع البيان ٩٣/٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بالسيوف على أيد الرجال، فالموت لا يرى وهو محسوس إنما يدرك عمل الموت[١].

والقول الرابع:"أنكم قوم تنتظرون الموت" وهو ترجيح الرسعني علق عليه البراك:" قول المؤلف هذا فيه نظر ظاهر، وذلك أن الآية لفظها:﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ وفرق بين نظر، وانتظر، فعلى هذا لا يستقيم ما ذكره"[٢].

وترجيح الرسعني لم يقل به أحد من المفسرين، وذكر الرسعني أنه الذي يظهر له يشهد له سبب النزول، وسبب النزول ليس فيه معنى الانتظار إنما النظر للموت بالسيوف في أيدي الرجال.

المناقشة والترجيح:

الراجح أن هذه الجملة ليست للتأكيد كما ذهب إليه بعض أهل التفسير بل هي للتأسيس، فهي أفادت معنىً زائداً.

القاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى[٣].

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد ١/١٩٣.

(٢) رموز الكنوز ١/٢٥٦، تحقيق: البراك.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١/٢٣٢، وفتح القدير ٢/٤٧، وروح المعاني ٣/١٥٥، وأضواء البيان ٥/٥٥١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٤٧٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (١)

١١- مسألة: ما نوع "لا" في قوله: ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "لا" زائدة(٢).

القول الثاني: "لا" على أصلها، ليست زائدة.

قال الرسعني:

"﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ قيل: إن "لا" زائدة، كقوله تعالى:﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (٣)

فالمعنى: فأثابكم غمّاً، عقوبة لكم، لكي تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، وما نالكم من القتل والهزيمة.

فعلى هذا اللام في"لكي" متعلقة بقوله: ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ ﴾ .

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٥٣.

(٢) قال الزركشي: تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل، مرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها لا أنه لا فائدة فيه أصلاً فإن ذلك لا يحتمل من متكلم فضلاً عن كلام الحكيم.
وقال ابن الخشاب في المعتمد اختلف في هذه المسألة فذهب الأكثرون إلى جواز إطلاق الزائد في القرآن نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم وهو كثير؛ لأن الزيادة بإزاء الحذف هذا للاختصار والتخفيف، وهذا للتوكيد والتوطئة، ومنهم من لا يرى الزيادة في شيء من الكلام ويقول هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها فلا أقضى عليها بالزيادة. وكثير من القدماء يسمون الزائد صلة. انظر: البرهان علوم القرآن ١/٣٠٥.

(٣) سورة الحديد آية: ٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والأظهر: أن "لا" على أصلها، ومعناها النفي"[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف أهل التفسير في (اللام) في قوله:﴿ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ ﴾ على قولين:

القول الأول: أن اللام زائدة، فيكون المعنى: لكي تحزنوا على ما فاتكم، وما أصابكم.

وممن قال به: المفضل[٢]، وأبو البقاء[٣].

واستدلوا أنها نظير:

١- قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ ﴾[٤] أي: أن تسجد[٥].

٢- قوله تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[٦] أي: ليعلم.

ومن أقوالهم:

قال المفضل: (لا) صلة معناه: لكي تحزنوا على ما فاتكم، وما أصابكم عقوبة لكم في خلافكم إياه، وترككم المركز[٧].

---

(١) رموز الكنوز ٣٣٥/١.

(٢) هو: المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي، أبو العباس: علامة بالشعر والدب وأيام العرب، من أهل الكوفة، توفي سنة ١٦٨هـ. انظر: تاريخ بغداد١٢١/١٣، والأعلام ٢٨٠/٧.

(٣) البسيط٨٧/٦، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب ١٥٤/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٤١/٤، والبحر المحيط ٩١/٣، والدر المصون٤٤٣/٣، واللباب في علوم الكتاب ٦٠٨/٥.

وأبو البقاء هو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، محب الدين، كان عالماً بالأدب واللغة والفرائض والحساب، توفي سنة ٦١٦هـ. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي٢١٩/١، والأعلام ٨٠/٤.

(٤) سورة الأعراف آية: ١٢.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ٩٠١/٢.

(٦) سورة الحديد آية:٢٩.

(٧) الكشف والبيان ١٨٦/٣، وفتح القدير ٣٩٠/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الثاني: "لا" على أصلها، ليست زائدة. بل هي ثابتة على معناها من النفي، وعلى هذا يكون الكلام متصلاً بقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ والمعنى: ولقد عفا عنكم لكيلا ﴿ تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ﴾ ؛ لأن عفوه يذهب كل هم وحزن، وقيل: معناه فأثابكم غماً أنساكم الحزن على ما فاتكم ولا ما أصابكم، وقد روي أنهم لما سمعوا بأن النبي ﷺ قد قتل نسوا ما أصابهم وما فاتهم.

وممن قال به:

الطبري، والزمخشري، والقرطبي، ونسبه أبو حيان للجمهور، والألوسي، وابن عاشور، وهو ما اختاره ابن عثيمين[١].

ومن أقوالهم:

١- قال القرطبي بعد ذكر الأقوال:"والأول أحسن"[٢].

٢- قال الألوسي: لا يخفى أن تأكيد ﴿ لَا ﴾ وتكريرها يبعد القول بزيادتها[٣].

٣- قال ابن عثيمين: "وأما قول صاحب الجلالين[٤]: إن (لا) زائدة هنا، والمعنى لكي تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم؛ فهذا قول بعيد جداً، بل إن الله عز وجل يحب من المؤمنين ألا يحزنوا، بل ويسليهم إذا وجدت أسباب الحزن...الخ)[٥]

حاصل الدراسة:

اختار أصحاب القول الأول زيادة اللام في الآية فيكون المعنى:(لكي تحزنوا على ما

---

(١) جامع البيان ١٥٩/٦، والكشاف٤٥٤/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٤١/٤، والبحر المحيط ٩١/٣، والدر المصون٤٤٣/٣، وروح المعاني٩٢/٤، والتحرير والتنوير ١٣٢/٤، وتفسير القرآن الكريم سورة آل عمران ٣٢٢/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/٤.

(٣) روح المعاني ٩٢/٤.

(٤) تفسير الجلالين ص٧٨. والجلالين نسبة إلى صاحبيه: الجلال المحلي، والجلال السيوطي.

(٥) تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران ٣٢٢/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فاتكم وأصابكم عقوبة لكم في خلافكم)[١]، واستدلوا بأن الاغتمام لا يزيل الحزن، قال أبو حيان:"فقيل: لا زائدة؛ لأنه لا يترتب على الاغتمام انتفاء الحزن. فالمعنى: على أنه غمهم ليحزنهم عقوبة لهم على تركهم موافقتهم"[٢].

وأجاب أصحاب القول الثاني وهم القائلون بثبوت اللام، بأجوبة منها ما ذكره الزمخشري حيث قال: " لكيلا تحزنوا لتتمرّنوا على تجرع الغموم، وتضروا باحتمال الشدائد، فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع، ولا على مصيب من المضار"[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح في هذه الآية هو أن اللام على أصلها، ثابتة على معناها من النفي، لأن الأصل عدم الزيادة، كما أن المعنى في الآية يستقيم بلا دعوى زيادة اللام فلا حاجة لهذه الدعوى. والله أعلم.

القاعدة: إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل فحمله على التأصيل أولى[٤].

(١) زاد المسير ١/٣٣٦.

(٢) البحر المحيط٣/٩١، وإرشاد العقل السليم ٢/١٠٠، وروح المعاني ٤/٩٢.

(٣) الكشاف ١/٤٥٤.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١/٧١، ومفاتيح الغيب ٢٨/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٦/٧٣، وشرح الكوكب المنير ١/٢٩٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٤٩٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[١]

١٢- مسألة: هل القراءة في (متم) بالضم، أو بالكسر؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: تقرأ (مُتُّم) بالضم[٢].

القول الثاني: تقرأ (مِتُّم) بالكسر[٣].

قال الرسعني:

"قرأ نافع وأهل الكوفة إلا أبا بكر: "مِتُّم" "مِتْنا" بكسر الميم حيث وقع، وقرأ الباقون بضم الميم، غير أن حفصاً ضم الميم في هذه السورة خاصة. فمَن ضَمَّ فلأنه من مات يموتُ؛ كقال يقُول.

ومن كسر فعلى لغة من قال: مات يَمَاتُ، مثل: دام يَدَامُ. **والقراءة الأولى أوجه**[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف في (متم) ،(ومتنا ومت) الماضي المتصل بضمير التاء أو النون أو الميم، على قولين:

القول الأول: تقرأ (مُتُّم) بضم الميم.وهو ترجيح الرسعني.

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٥٧.

(٢) الحجة لابن زنجلة ١/١٧٨، والنشر في القراءات العشر ٢/١٨٧، وإتحاف فضلاء البشر١/٢٣٠، والسبعة في القراءات ص٢١٨، والتحرير والتنوير ٤/١٤٣.

(٣) الحجة لابن زنجلة ١/١٧٨، والنشر في القراءات العشر ٢/١٨٧، وإتحاف فضلاء البشر١/٢٣٠، والسبعة في القراءات ص٢١٨، واللباب في علوم الكتاب ٦/١٣، والتحرير والتنوير ٤/١٤٣.

(٤) رموز الكنوز ١/٣٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ووجه الضم أنه من فعل بفتح العين من ذوات الواو، وقياسه الضم للفاء إذا أسند إلى تاء المتكلم وأخواتها، إما من أول وهلة أو بأن تبدل الفتحة ضمة ثم تنقل إلى الفاء، نحو قلت، أصله قولت بضم عينه نقلت ضمة العين إلى الفاء فبقيت ساكنة، وبعدها ساكن فحذفت وحفص جمع بين اللغتين(١).

وممن قال به: الجمهور من العلماء :

١- ابن كثير، وابن عامر، وأبو عَمرو، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وبه قرأ حفص هنا(٢).

٢- الخليل، وأبو علي الفارسي، والعكبري، وأبو حيان، والقاسمي(٣).

ومن أقوالهم:

١- قال أبو علي الفارسي:" الأشهر الأقيس: مُتُّ تموتُ ... والكسر شاذ في القياس، وإن لم يكن في الاستعمال كشذوذ"(٤).

٢- قال العكبري :"والجمهور على ضم الميم، وهو الأصل؛ لأن الفعل منه يموت"(٥).

٣- قال أبو حيان: " والضم أقيس وأشهر. والكسر مستعمل كثيراً، وهو شاذ في القياس"(٦).

---

(١) إتحاف فضلاء البشر١/٢٣٠.

(٢) الحجة لابن زنجلة ١/١٧٨، النشر في القراءات العشر ٢/١٨٧، إتحاف فضلاء البشر١/٢٣٠، السبعة في القراءات ص٢١٨، والدر المصون٣/٤٥٨، والتحرير والتنوير ٤/١٤٣.

(٣) كتاب سيبويه ٤/٣٤٣-٣٤٥، والكشف ١/٣٦٢، والبسيط٦/١١٢، والحجة للفارسي ٣/٩٣، والتبيان في إعراب القرآن١/٣٠٥، والبحر المحيط ٣/١٠٢، ومحاسن التأويل ١/٤٤٦، والدر المصون٣/٤٥٨، والتحرير والتنوير ٤/١٤٣.

(٤) الحجة للفارسي ٣/٩٣.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ١/٣٠٥.

(٦) البحر المحيط ٣/١٠٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤- قال القاسمي: "وهو الأصل لأن الفعل منه يموت"[١].

وحجتهم:

١- أنها من مات يموت، فعل يفعل، مثل دام يدوم، وقال يقول، وكان يكون، ولا يقال كنت ولا قلت.

٢- وحجة أخرى وهو قوله: ﴿ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾[٢] ﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾ [٣]ولو كانت على اللغة الأخرى لكانت تماتون، ويوم أمات؛ لأن من مت تمات يجيء فعل يفعل، ومن فعل يفعل، يجيء قال يقول[٤].

القول الثاني: تقرأ (مِتُّم) بكسر الميم، على لغة الحجاز.

ووجه الكسر أنه من لغة من يقول مَات يَمَات، كخاف يخاف، والأصل موت بكسر عينه كخوف، فمضارعه بفتح العين فإذا أسند إلى التاء أو إحدى أخواتها، قيل: مِت بالكسر، ليس إلا وهو أنا نقلنا حركة الواو إلى الميم بعد سلب حركتها دلالة على الأصل ثم حذفت الواو للساكنين[٥].

وممن قال به:

١- قرأه نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، ووافقهم الأعمش وابن محيصن[٦].

٢- المبرد، وشهابُ الدينِ[٧].

---

(١) محاسن التأويل ١/٤٤٦.

(٢) سورة الأعراف آية:٢٥.

(٣) سورة مريم آية: ٣٣.

(٤) الحجة لابن زنجلة ١/١٧٨.

(٥) إتحاف فضلاء البشر ١/٢٣٠.

(٦) الحجة لابن زنجلة ١/١٧٨، والنشر في القراءات العشر ٢/١٨٧، وإتحاف فضلاء البشر ١/٢٣٠، والسبعة في القراءات ص٢١٨، والدر المصون٣/٤٥٨، واللباب في علوم الكتاب ٦/١٣، والتحرير والتنوير ٤/١٤٣.

(٧) اللباب في علوم الكتاب ٦/١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وأما من قرأ (مِتم) بالكسر له حجتان:

إحداهما: ذكرها الخليل، قال يقال مت تموت، ودمت تدوم، فعل يفعل، مثل فضل يفضل.

وكان الأصل عنده موت على فعل، ثم استثقل الكسرة على الواو فنقلت إلى الميم فصارت موت، ثم حذفت الواو لما اتصلت بها تاء المتكلم لاجتماع الساكنين فصارت مت.

والثانية: قال الفراء مت مأخوذة من يَمَات على فعل يفعل مثل سمع يسمع وكان الأصل يموت ثم نقلوا فتحة الواو إلى الميم وقلبوا الواو ألفا لانفتاح ما قبلها فصارت يمات، إلا أنه لم يجئ يمات في المستقبل والعرب قد تستعمل الكلمة بلفظ ما ولا تقيس ما تصرف منها على ذلك القياس، من ذلك قولهم: رأيت همزته في الماضي، ثم أجمعوا على ترك الهمزة في المستقبل فقالوا: ترى ونرى بغير همز فخالفوا بين لفظ الماضي والمستقبل، فكذلك خالفوا بين لفظ مت وتموت ولم يقولوا تمات[١].

ومن أقوالهم:

قال شهابُ الدينِ، قال: وهو الصحيحُ من قول أهل العربية[٢].

حاصل الدراسة:

الكسر مستعمل كثيراً وهو شاذ في القياس، وإن لم يكن في الاستعمال كشذوذ. جعله المازني من فعل يفعل، نظير دمت تدوم، وفضلت تفضل، وكذا أبو علي، فحكما عليه بالشذوذ. وقد نقل غيرهما فيه لغتين إحداهما: فعل يفعل ، فتقول مات يموت. والأخرى: فَعَلَ يَفْعُل نحو مَاتَ يَمَاتُ، أصله موت. فعلى هذا ليس بشاذ، إذ هو مثل خاف يخاف، فأصله موت يموت. فمن قرأ بالكسر فعلى هذه اللغة ولا شذوذ فيه، وهي لغة الحجاز يقولون: متم من مات يمات قال الشاعر:

---

(١) الحجة لابن زنجلة ١/١٧٩.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٦/١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

..... عيشي ولا تومي بأن تماتي[١]

ومن كسر، فهو من مَاتَ يَمَاتُ مِتُّ، مثل: هَابَ يَهَابُ هِبْتُ، وخَافَ يَخَافُ خِفْتُ. روى المبرِّدُ هذه اللغة. قال شهابُ الدينِ: وهو الصحيحُ من قول أهل العربية، والأصل: مَوْتَ – بكسر العين – كخَوِفَ، فجاء مضارعه على يَفْعَل – بفتح العين – . قال الشاعر:

بُنَيَّتِي يَا أَسْعَدَ الْبَنَاتِ عِيشي ، وَلاَ نأمَنُ انْ تَمَاتِي

فجاء بمضارعِهِ على يَفْعَل – بالفتح – فعلى هذه اللغة يلزم أن يقال في الماضي المسند إلى التاء، أو إحدى أخواتها: مِتُّ – بالكسر ليس إلا – وهو أنا نقلنا حركة الواو إلى الفاء بعد سلب حركتها، دلالة على بنية الكلمة في الأصل، هذا أوْلَى من قول من يقول: إن مِتُّ – بالكسر – مأخوذة من لغة من يقول يموت – بالضم في المضارع – وجعلوا ذلك شاذاً في القياس كثيراً في الاستعمال، كالمازني وأبي علي الفارسي، ونقله بعضُهُمْ عن سيبويه صريحاً، وإذا ثبت ذلك لغةً، فلا معنى إلى ادَّعاء الشذوذ فيه[٢].

المناقشة والترجيح:

رجح أكثر القراء الضم. وهو ترجيح الرسعني. ووجه القراءة عندهم:

أن أصل الكلمة عند أهل البصرة موت على وزن فعل، مثل قول ثم ضموا الواو فصارت موت، وإنما ضموا الواو؛ لأنهم أرادوا أن ينقلوا الحركة التي كانت على الواو إلى الميم وهي الفتحة، ولو نقلوها إلى الميم لم تكن هناك علامة تدل على الحركة المنقولة إلى الميم؛ لأن الميم كانت مفتوحة في الأصل ويقع اللبس بين الحركة الأصلية وبين المنقولة.

وأيضاً لم تكن هناك علامة تدل على الواو المحذوفة فضموا الواو لهذه العلة، ثم نقلوا ضمة الواو إلى الميم فصار موت واتصل بها اسم المتكلم فسكنت التاء فاجتمع

(١) الحجة للفارسي ٩٣/٣، والبحر المحيط ١٠٣/٣.
وهو عجز بيت في اللسان ولم يعزه ٢٣/١.
(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٣/٦

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ساكنان الواو والتاء فحذفت الواو وأدغمت التاء في التاء فصارت مُتم[١].

فنقول: لا معنى لترجيح قراءة على قراءة في هذا الموضع، وكلاهما متواترة. والله أعلم.

القاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٢].

(١) الحجة لابن زنجلة ١/١٧٨.

(٢) مجموع الفتاوى١٣/٣٩١، والنشر ١/١٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٨٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (١)

١٣- مسألة: على ماذا يعود الضمير في قوله: ﴿ مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: من بعد الله.وفيه حالتان:

أ- تقدير حذف مضاف(٢). ب- لا يحتاج إلى تقدير هذا المحذوف(٣).

القول الثاني: من بعد الخذلان(٤).

قال الرسعني:

﴿ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ أي: من بعد الله.

وقيل: من بعد خذلانه.

والأظهر: الأول، بتقدير حذف المضاف، أي: من بعد خذلان الله"(٥).

دراسة الأقوال في المسألة:

والضمير في من بعده: له حالتان ١- عائد على الله تعالى. وله وجهان:

أ- إمّا على حذف مضاف، أي: من بعد خذلانه، أي: من بعد ما يخذل من الذي ينصر. وهو ترك المعونة.

وممن قال به:

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٦٠.

(٢) الكشف والبيان٣/١٩٥، ومعالم التنزيل١/٤٣٨، وزاد المسير١/٣٤١، ولباب التأويل١/٤٣٩.

(٣) مفاتيح الغيب ٩/٥٦.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ١/٣٠٦، والمحرر الوجيز ١/٥٣٤، والبحر المحيط ٣/١٠٥، واللباب في علوم الكتاب ٦/٢١، وفتح القدير ١/٣٩٤.

(٥) رموز الكنوز ١/٣٤٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الثعلبي، والبغوي، وابن الجوزي، والخازن[١].

ب- وإما أنْ لا يحتاج إلى تقدير هذا المحذوف، بل يكون المعنى: إذا جاوزته إلى غيره وقد خذلك فمن ذا الذي تجاوزه إليه فينصرك؟ أو أنه مثل قولك: ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان.

وممن قال به: الرازي[٢].

وممن رجح القول الأول، ولم يحدد:

ابن جرير، والسمين الحلبي[٣]، وابن عادل، وابن عاشور، والألوسي[٤].

ومن أقوالهم:

أ- ابن جرير، قال: ﴿ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ يقول فيأسوا من نصرة الناس فإنكم لا تجدون أمراً من بعد خذلان الله إياكم أن خذلكم، يقول فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخذلاني إياكم[٥].

ب- قال ابن عادل: "أنها تعود على الله وهو الأظهر"[٦].

ج- قال ابن عاشور: "فالضّمير ضمير اسم الجلالة لا محالة"[٧].

د- قال الألوسي: وهو الأصل فيها[٨].

---

(١) الكشف والبيان٣/١٩٥، ومعالم التنزيل١/٤٣٨، وزاد المسير١/٣٤١، ولباب التأويل١/٤٣٩.

(٢) مفاتيح الغيب ٩/٥٦.

(٣) هو: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي السمين، صاحب الإعراب المشهور شهاب الدين نزيل القاهرة، قال ابن حجر كان ماهراً في النحو، لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، وله تفسير القرآن الكريم وإعرابه وشرح التسهيل وشرح الشاطبية وكانت وفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي ١/٢٨٧.

(٤) جامع البيان ٦/١٩٣، والدر المصون ٣/٤٦٤، واللباب في علوم الكتاب ٦/٢١، والتحرير والتنوير ٤/١٥٣، وروح المعاني ٤/١٠٨.

(٥) جامع البيان ٦/١٩٣.

(٦) اللباب في علوم الكتاب ٦/٢١.

(٧) التحرير والتنوير ٤/١٥٣.

(٨) روح المعاني ٤/١٠٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على المصدر المفهوم من قوله: (وإن يخذلكم)، أي: من بعد الخذلان، أو الخذل الذي تضمنه قوله: ﴿ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ ﴾ .

وهذا القول لم يرجحه أحد من المفسرين[١].

وأكثر المفسرين ذكروا أنه عائد على الله مع الاختلاف في الوجهان التي تناولتها الآية، ولم يرجحوا بينهما، ومنهم:

البيضاوي، والنسفي، وأبو السعود[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- ذكر النيسابوري قولاً لم يذكره غيره: "وقيل: إن ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية، وإن يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم بعده من الأنبياء والأولياء ؟ فإنه القادر على الإخراج عن هذا الوجود، كما أنه هو القادر على الإدخال فيه"[٣].

٢- قال ابن عطية: والضمير في ﴿ بَعۡدِهِۦ ﴾ يحتمل العودة على المكتوبة[٤].

حاصل الدراسة:

وكلمة ﴿ مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ هنا مستعملة في لازم معناها وهو المغايرة والمجاوزة: أي فمن الَّذي ينصركم دونَه أو غيرَه أي دون اللَّه، فالضّمير ضمير اسم الجلالة، واستعمال (بعد) في مثل هذا شائع في القرآن قال تعالى: ﴿ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ ﴾ [٥]، وأصل هذا الاستعمال أنه كالتمثيلية المكنية: بأن مثلت الحالة الحاصلة من تقدير الانكسار بحالة من أسلم الذي استنصر به وخذله فتركه وانصرف عنه؛ لأن المقاتل معك إذا ولى عنك فقد

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ٣٠٦/١، والمحرر الوجيز ٥٣٤/١، والبحر المحيط ١٠٥/٣، واللباب في علوم الكتاب ٢١/٦، وفتح القدير ٣٩٤/١.

(٢) تفسير البضاوي ١٠٩/٢، وتفسير النسفي١٨٨/١، وإرشاد العقل السليم ١٠٦/٢.

(٣) تفسير غرائب الفرقان ٢٩٥/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥٣٤/١.

(٥) سورة الجاثية آية: ٢٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خذلك، فحذف ما يدل على الحالة المشبه بها ورمز إليه بلازمه وهو لفظ ﴿ مِّنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾[١].

وفي الآية تنبيه على أن الأمر كله لله، وعلى وجوب التوكل عليه[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح أن الضمير يعود على الله تعالى بوجهيه المراد منه. لا اختلاف بين المفسرين في ذلك.

والرسعني عندما ذكر الأقوال ذكر القول الأول بوجهيه (من بعد الله) على تقدير عدم حذف المضاف، و(من بعد خذلان الله) على تقدير حذف مضاف، ورجح الوجه الأول، في حين أنه ذكر تقدير الحذف والذي يكون للوجه الثاني، فهنا إشكال في ترجيحه.

القاعدة: إعادة الضمير على المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره[٣].

القاعدة: التقدير الموافق لغرض الآية وأدلة الشرع مقدم على غيره[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ١٥٣/٤.

(٢) تفسير النسفي١٨٨/١، وتفسير البضاوي ١٠٩/٢.

(٣) جامع البيان ٢٩١/١٤، والبحر المحيط ٤٥٩/٥، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وروح المعاني ٨٧/١٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٠٣/٢.

(٤) البحر المحيط ٣٨٤/١، ومحاسن التأويل ١٦٣/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٤٤٤/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ (١)

١٤- مسألة: ما هو الغل الذي يأتي به يوم القيامة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه يأتي بما غل يوم القيامة يحمله على عنقه(٢).

القول الثاني: يأتي يوم القيامة بإثم ما غلّ(٣).

قال الرسعني:

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ صرفه قوم عن ظاهره، وقالوا: يأتي يوم القيامة بإثم ما غلّ.

والصحيح: أنه يأتي به يوم القيامة يحمله على عنقه، لما أخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال:" قام فِينَا النبي ﷺ يوماً، فذكر الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثم قال: لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يجيء يوم الْقِيَامَةِ على رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ له رُغَاءٌ، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة وَعَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لها ثُغَاءٌ، فيقول يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لك من الله شيئاً، قد أَبْلَغْتُكَ.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لها حَمْحَمَةٌ، فيقول: يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لك من الله شيئاً، قد أَبْلَغْتُكَ.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رَقَبَتِهِ نفس لها صياح، فيقول: يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لك شيئاً، قد أَبْلَغْتُكَ.

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٦١.

(٢) زاد المسير ١/٣٤٣، ومفاتيح الغيب٩/٦٠، والبحر المحيط٣/١٠٦، وروح المعاني٤/١١٠.

(٣) زاد المسير ١/٣٤٣، ومفاتيح الغيب٩/٦٠، والبحر المحيط٣/١٠٦، وروح المعاني٤/١١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فيقول: يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لك شيئاً، قد أَبْلَغْتُكَ.

لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامةَ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فيقول يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لك شيئاً قد أَبْلَغْتُكَ"[(١)].

أخبرنا أبو علي بن سعادة في كتابه، أخبرنا أبو القاسم بن محمد بن عبد الواحد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر بن مالك، أخبرنا عبد اللّه بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا همام، وأبان قالا: حدثنا قَتَادَةَ عن سَالِمِ بن أبي الْجَعْدِ، عن مَعْدَانَ، عن ثَوْبَانَ مولى رسول اللَّهِ ﷺ، عن رسول اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال:" من فَارَقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ وهو بريء من ثَلَاثٍ دخل الْجَنَّةَ: الْكِبْرِ، وَالدَّيْنِ، وَالْغُلُولِ"[(٢)].[(٣)]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: : إجراء هذه الآية على ظاهرها، أنه يأتي به يوم القيامة يحمله على عنقه، وهو قول أكثر المفسرين[(٤)]، وترجيح الرسعني.

وممن قال به:

ابن الجوزي، والرازي، وأبو حيان، والألوسي[(٥)].

استدلوا بما يلي:

١- بما أخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال:" قام فِينَا النبي ﷺ يوماً، فذكر الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثم قال: لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يجيء يوم الْقِيَامَةِ على

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد، باب الغلول، ح(٢٩٠٨)، ومسلم كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول، ح(١٨٣١).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب السير، باب ما جاء في الغلول، ح(١٥٧٢)، وأحمد (٢٢٤٨٠).

(٣) رموز الكنوز ١/٣٥٠.

(٤) تفسير غرائب القرآن ٢/٣٠١

(٥) زاد المسير ١/٣٤٣، ومفاتيح الغيب٩/٦٠، والبحر المحيط٣/١٠٦، وروح المعاني٤/١١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ له رُغَاءٌ ... الحديث"[١].

٢- عن عبد اللَّه بن الإمام أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا همام، وأبان قالا: حدثنا قَتَادَةَ عن سَالِمِ بن أبي الْجَعْدِ، عن مَعْدَانَ، عن ثَوْبَانَ مولى رسول اللَّهِ ﷺ، عن رسول اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال:" من فَارَقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ وهو بريء من ثَلاَثٍ دخل الْجَنَّةَ: الْكِبْرِ، وَالدَّيْنِ، وَالْغُلُولِ"[٢].

٣- قال المفسرون إنه نظير قوله في مانع الزكاة: ﴿ يَوْمَ تُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا ﴾ (٣)(٤)

٤- ونظير هذه الفضيحة التي يوقعها الله تعالى بالغال نظير الفضيحة التي توقع بالغادر في أن ينصب له لواء عند أسته بقدر غدرته[٥].ومثله قوله ﷺ: " لكل غادر لواء يوم القيامة"[٦]. قال أبو مسلم: هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله وتبعته والمراد أنه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويعزره عليه يوم القيامة ويجازيه؛ لأنه لا يخفى عليه خافية[٧].

ومن أقوالهم:

١- قال ابن الجوزي" والقول الأول أصح، لمكان الأثر الصحيح"[٨].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد، باب الغلول، ح(٢٩٠٨)، ومسلم كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول، ح(١٨٣١).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب السير، باب ما جاء في الغلول، ح(١٥٧٢)، وأحمد (٢٢٤٨٠).

(٣) سورة التوبة آية: ٣٥.

(٤) تفسير غرائب القرآن ٣٠١/٢

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/٤

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر، ح(٣١٨٧).

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/٤، وتفسير غرائب القرآن ٣٠١/٢.

(٨) زاد المسير ٣٤٣/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- قال الرازي بعد ذكره للقول الثاني:" واعلم أن هذا التأويل يحتمل إلا أن الأصل المعتبر في علم القرآن أنه يجب إجراء اللفظ على الحقيقة، إلا إذا قام دليل يمنع منه، وههنا لا مانع من هذا الظاهر، فوجب إثباته[١].

٣- قال أبو حيان: "ظاهر هذا أنه يأتي بعين ما غل"[٢].

٤- قال الألوسي: "وظاهر الآثار يدل على أن الإتيان على ظاهره"[٣].

القول الثاني: أنه يأتي بإثم ما غله فيجازى به يوم القيامة.

ذكروه المفسرون ولم يرجحه أحد[٤].

واستدلوا بما يلي:

أنه نظير قوله تعالى :﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾[٥]يعني: من خير أو شر، والمعنى أن كل كاسب خيراً كان ذلك الكسب، أو شراً فهو مجزى به يوم القيامة وهو في جزاء عمله[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها بعض المفسرين:

أ- أنه يرد عوض ما غل من حسناته.[٧]

ب- قال الرازي: ليس المقصود منه ظاهره، بل المقصود تشديد الوعيد على سبيل التمثيل والتصوير. ونظيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي

(١) مفاتيح الغيب٩/٦٠.

(٢) البحر المحيط ٣/١٠٦.

(٣) روح المعاني ٤/١١٠.

(٤) زاد المسير ١/٣٤٣، ومفاتيح الغيب٩/٦٠، والبحر المحيط٣/١٠٦، وروح المعاني٤/١١٠.

(٥) سورة البقرة آية: ٢٨١.

(٦) لباب التأويل ١/٤٤١.

(٧) زاد المسير ١/٣٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ [١] فإنه ليس المقصود نفس هذا الظاهر: بل المقصود إثبات أن الله تعالى لا يعزب عن علمه وعن حفظه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فكذا ههنا المقصود تشديد الوعيد، ثم القائلون بهذا القول ذكروا وجهين: الأول: قال أبو مسلم: المراد أن الله تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويعزره عليه يوم القيامة ويجازيه؛ لأنه لا يخفى عليه خافية. الثاني: قال أبو القاسم الكعبي[٢]: المراد أنه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشيء[٣].

ج- قال الخازن: أنه يمثل ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة. وقيل يمثل ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع ذلك الشيء في النار فيكلف أن ينزل إليه ليخرجنه يفعل به ذلك ما شاء الله[٤].

د- قال ابن عاشور: أنَّه يأتي به مشهَّراً مفضوحاً بالسرقة[٥].

حاصل الدراسة:

القول الأول: هو القول بظاهر الآية، والذي يثبته الأحاديث الصحيحة، والفائدة فيه أنه إذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته[٦].

بينما القول الثاني فيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة[٧].

---

(١) سورة لقمان آية: ١٦.

(٢) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي أبو القاسم الكعبي من كبار المعتزلة وله تصنيف في الطعن على المحدثين يدل على كثرة اطلاعه وتعصبه وتوفي سنة تسع عشرة وثلاث مائة.انظر: لسان الميزان ٢٥٥/٣.
ويحتمل أنه: علي بن أيوب، أبو القاسم الكعبي، روى عن محمد يحي الزهري. انظر: لسان الميزان ٢٠٧/٤.

(٣) مفاتيح الغيب٦٠/٩.

(٤) لباب التأويل ٤٤١/١

(٥) التحرير والتنوير ١٥٥/٤.

(٦) مفاتيح الغيب٦٠/٩، وتفسير غرائب القرآن ٣٠١/٢.

(٧) تفسير غرائب القرآن ٣٠١/٢

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المناقشة والترجيح:

الراجح أنه يأتي بما غل يوم القيامة يحمله على عنقه، لما نص عليه في الصحيحين، وهو الظاهر من الآية، وبه قال جميع المفسرين، لأن بقية الأقوال ذكرت ولم يرجحها أحد.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[١].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (١)

١٥- مسألة:

ما معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لا تبعناكم(٢).

القول الثاني: لو كنا نحسن القتال لاتبعناكم(٣).

القول الثالث: لو نعلم قتالاً يجري اليوم لقاتلنا معكم(٤).

قال الرسعني:

﴿ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ ﴾ كلام يلوح منه اللوم على ترك القوم ما اقتضاه رأي عبد الله بن أُبيّ من الاعتصام بحدود المدينة.

المعنى: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لا تبعناكم، وإنما أنتم على شفا من استئصال شافتكم، فعلام نجعل أنفسنا فرائس الفوارس، وأغراض الحُتُوف، وجزر السيوف.

وهذا هو التأويل الذي يشهد العلم بصحته، لا ما ذكره الماوردي من أن المعنى: لو كنا نحسن القتال لاتبعناكم، ولا ما ذكره ابن إسحاق أن المعنى: لو نعلم قتالاً يجري

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٦٧.

(٢) تفسير النسفي ١/١٩٠.

(٣) نسبة ابن الجوزي للماوردي، زاد المسير ١/٣٤٦، وإرشاد العقل السليم ٢/١١٠.

(٤) جامع البيان ٦/٢٢١-٢٢٣، والوجيز ١/٢٤٢، والبسيط ٦/١٦١، والمطالب العالية ١٧/٣٨٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

اليوم لقاتلنا معكم، وهذا الذي ذكره الواحدي، وجمهور المفسرين.

والقول الذي ذكره الماوردي **رديء جداً**.

والذي قاله ابن إسحاق **قولٌ تشهد العقول الرصينة بتفاهته**؛ لأن أهل النفاق رجعوا حين تراءت الفئتان، وقامت الحرب على ساق، فكيف يقولون ذلك بهذا الاعتبار في معرض الاعتذار، والكفار قد اقبلوا بقَضِّهم وقَضِيضهم، يطلبون الأخذ بالثأر، من المهاجرين والأنصار[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم، يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم ليس بشيء، ولا يقال لمثله قتال، إنما هو إلقاء النفس في التهلكة، لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة، وما كان يستصوب الخروج.

وممن قال به: ذكره النسفي[٢].

القول الثاني:

لو نحسن القتال، ونقدر عليه لاتبعناكم، وإنما قالوه دغلاً واستهزاء.

وإنما عبر عن نفى القدرة على القتال بنفي العلم به؛ لما أن القدرة على الأفعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها.

وممن ذكره: ابن الجوزي عن الماوردي[٣].

القول الثالث:

لو نعلم أنكم تقاتلون اليوم، وأن هناك قتالاً لسرنا معكم إليهم ولقاتلنا معكم، ولم نرجع. فكأن رأيهم أن الفريقين لا يقتتلان ألبتة.

---

(١) رموز الكنوز ١/٣٥٧.

(٢) تفسير النسفي ١/١٩٠.

(٣) نسبة ابن الجوزي للماوردي، زاد المسير ١/٣٤٦، وإرشاد العقل السليم ٢/١١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به: ابن إسحاق، وابن جرير، والواحدي، وابن حجر[١].

واستدلوا بما يلي:

١- ما أخرجه الطبري بسنده قال: خرج رسول الله ﷺ يعني حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس، فقال: أطاعهم فخرج وعصاني والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة، يقول: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم ومضى رسول الله ﷺ.

٢- عن ابن إسحاق قوله: ﴿ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ ﴾ يقول: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ولدفعنا عنكم ولكن لا نظن أن يكون قتال فظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم".

٣- أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾[٢].

٤- ثم قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾[٣] أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود، وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل[٤].

ومن أقوالهم:

---

(١) جامع البيان ٦/٢٢١-٢٢٣، والوجيز ١/٢٤٢، والبسيط ٦/١٦١، والمطالب العالية ١٧/٣٨٤.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٦٧.

(٣) سورة آل عمران آية: ١٦٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٥٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال الواحدي: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنَّا لا نرى أن يكون قتال؛ يعنون: لا يكون اليوم قتالٌ[١].

حاصل الدراسة:

أصحاب القول الأول: الذين قالوا لو نعلم ما يصلح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم، إمّا على سبيل التخطئة لهم في ظنهم أن ذلك قتال في سبيل الله. وليس كذلك، إنما هو رمي النفوس في التهلكة، إذ لا مقاومة لهم بحرب الكفار لكثرتهم وقلة المؤمنين؛ لأن رأى عبد الله بن أبي كان في الإقامة بالمدينة وجعلها ظهراً للمؤمنين، وما كان يستصوب الخروج[٢].وفي جعلهم التالي مجرد الإتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبيطهم عن القتال حيث لا ترضي نفوسهم بجعله تاليا لمقدم مستحيل الوقوع[٣].

وأبطل الرازي هذا الرأي؛ لأن الله تعالى لما وعدهم بالنصرة والإعانة لم يكن الخروج إلى ذلك القتال إلقاء للنفس في التهلكة [٤].

أصحاب القول الثاني قالوا: لو نحسن القتال لاتّبعناكم، فالعِلم بمعنى المعرفة، وقولهم حينئذ تهكّم وتعذُّر[٥].

أصحاب القول الثالث: الذين قالوا لو نعلم قتالاً يجري اليوم لقاتلنا معكم، أرادوا أنّ قريشاً لا ينوون القتال.

وقد أفسد الرازي أيضاً هذا القول؛ لأن الظن في أحوال الدنيا قائم مقام العلم، وأمارات حصول القتال كانت ظاهرة في ذلك اليوم، بل الحق أن الجهاد واجب عند ظهور أمارات المحاربة، ولا أمارات أقوى من قربهم من المدينة عند جبل أحد، فدل ذكر

---

(١) البسيط٦/١٦١.

(٢) البحر المحيط٣/١١٥.

(٣) إرشاد العقل السليم ٢/١١٠.

(٤) مفاتيح الغيب ٩/٧٠.

(٥) التحرير والتنوير ٤/١٦٣

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

هذا الجواب على غاية الخزي والنفاق، وإنه كان غرضهم من ذكر هذا الجواب إما التلبيس وإما الاستهزاء [١].

ومضمون هذا الجواب أنهم علقوا الإتباع على تقدير وجود علم القتال، وعلمهم للقتال منتف، فانتفى الإتباع وإخبارهم بانتفاء علم القتال منهم إمّا على سبيل المكابرة والمكاذبة، إذ معلوم أنه إذا خرج عسكران وتلاقيا أنه سينشب بينهم قتال لا محالة، فأنكروا علم ذلك رأساً لما كانوا عليه من النفاق والدغل والفرح بالاستيلاء على المؤمنين[٢].

ولم يرد الألوسي الأقوال بل أشار لاحتمال تقديرها، قال: ولا يخفى أن هذا الكلام على جميع تقاديره يصلح وقوعه جواباً لما قيل لهم على جميع تقاديره، ما عدا من قال لا نحسن القتال ولا نقدر عليه[٣].

ورد ابن عاشور هذا القول، قال أرادوا أنّ قريشاً لا ينوون القتال، وهذا لا يصحّ إلاّ لو كان قولُهم هذا حاصلاً قبل انخزالهم[٤].

وذكر مجاهد قولاً انفرد به، أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها، فلا بد من حذف قدره مجاهد -رحمه الله- مكان قتال، أي: أنكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه، ويدل عليه أنهم أشاروا على النبي ﷺ ألا يخرج من المدينة[٥].أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: لو نعلم أنا واجدون معكم قتالاً، لو نعلم مكان قتالٍ لاتبعناكم[٦].

المناقشة والترجيح:

كل هذه الأقوال ممكن أن تدخل في المعنى، إذا علمنا أنهم قالوه كذباً، ويقولون

---

(١) مفاتيح الغيب ٩/٧٠.

(٢) البحر المحيط٣/١١٥.

(٣) روح المعاني ٤/١١٨

(٤) التحرير والتنوير ٤/١٦٣

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة ١/١٨٥، والإتقان في علوم القرآن ٣/١٥٨.

(٦) أخرجه الطبري ٦/٢٢٣، وابن المنذر٢/٤٨٣، وفتح القدير ١/٣٩٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول ولا يعتقدون صحته، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾ [١]. والله أعلم.

والآثار عند ابن جرير ترجح القول الثالث.

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٢].

(١) سورة آل عمران آية: ١٦٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣-٣٦٢، والتسهيل ٩/١، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح المفسرين ٢٧١/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (١)

١٦- مسألة: فيمن نزلت قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: نزلت في مانعي الزكاة(٢).

القول الثاني: نزلت في الأحبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ(٣).

قال الرسعني:

"قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس ﷺ والأكثرون: نزلت في مانعي الزكاة(٤).

وروي عن ابن عباس ﷺ ومجاهد: أنها نزلت في الأحبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ (٥). اختاره الزجاج(٦).

والذين آتاهم الله- على القول الأول-: المال، وعلى القول الثاني: العلم.

والصحيح هو القول الأول؛ لما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :" مَن آتاه مالاً فلم يُؤدِّ زكاته مُثِّل له ماله شجاعاً أقرع له

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٨٠.

(٢) جامع البيان ٦/٢٧٠، وأسباب نزول القرآن ص٢٦٣، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٣٩٧، ومفاتيح الغيب ٩/٩٢، والبحر المحيط ٣/١٣٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٧٦، وفتح الباري ٨/٢٣٠، واللباب في علوم الكتاب ٦/٨٥، وروح المعاني ٤/١٤٠.

(٣) جامع البيان ٦/٢٧٠، وابن أبي حاتم ٣/٨٢٦ (٤٥٧٥)، وزاد المسير ١/٣٥٢.

(٤) أخرجه ابن جرير ٦/٢٧٢، وابن أبي حاتم ٣/٨٢٧ كلاهما عن السدي.

(٥) أخرجه ابن جرير ٦/٢٧٠، وابن أبي حاتم ٣/٨٢٦.

(٦) معاني القرآن ١/٤٩٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

زبيبتان[١]، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزِمتيه- يعني شِدقيه- يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ [٢]

وفي حديث: أنه يستعيذ منه فيقول له مالهُ: لِمَ تستعذ مني؟ أنا مالك الذي كنت تبخل به في الدنيا، فيطوقه في عنقه، فلا يزال في عنقه حتى يدخله الله جهنم[٣][٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أن الآية نزلت في مانعي الزكاة، وقوله:﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ على حقيقته.

وممن قال به:

١- ابن مسعود، وأبي هريرة ، وابن عباسﷺ في رواية أبي صالح، والشعبي ومجاهد، والسدي[٥].

٢- الطبري، والواحدي، وابن العربي[٦]، والرازي، وأبو حيان، وابن كثير، وابن

(١) الشجاع: الحية، والأقرع: الذي تمرّط جلد رأسه، والزبيبتان: النُّكتتان السَّوداوان فوق عينيه. انظر: لسان العرب، ١/٤٤٤ مادة: زبب.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، (١٤٠٣).

(٣) رواه الطبراني بأسناد ورجال أحدها ثقات، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. انظر: مجمع الزوائد ٦/٣٢٩، وأخرجه الثعلبي ٣/٢٢٠ بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

(٤) رموز الكنوز ١/٣٧٦.

(٥) جامع البيان٦/٢٦٩، والكشف والبيان٣/٢٢٠، والنكت والعيون ١/٤٤٠، والبسيط٦/٢١٧، وزاد المسير ١/٣٥٢.

(٦) هو: محمد بن عبد الله المعروف بابن المغربي، ويقال ابن العربي، القاضي أبو بكر المعازي الأشبيلي الأندلسي، من مصنفاته: أحكام القرآن، والمحصول في أصول الفقه. توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: كشف الظنون١/٥٥٩، وفيات الأعيان ٤/٢٩٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حجر، وابن عادل، والألوسي[١].

واستدلوا بما يلي:

١- حديث أبي هريرة ﷺ.

٢- حديث ابن مسعود ﷺ.

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري:"وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية التأويل الأول وهو أنه معني بالبخل في هذا الموضع منع الزكاة لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه تأول قوله: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ قال البخيل الذي منع حق الله منه أنه يصير ثعبانا في عنقه ولقول الله عقيب هذه الآية: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ ﴾ فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة أن الله فقير" [٢].

٢- قال الواحدي:" أجمع جمهور المفسرين على أنها نزلت في مانعي الزكاة[٣].

٣- قال ابن العربي:" في المختار الصحيح أن هذه الآية دليل على وجوب الزكاة؛ لأن هذا وعيد لمانعها"[٤].

٤- قال الرازي:" واعلم أن القول الأول أولى، ويدل عليه وجهان: الأول: أنه تعالى قال: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾ ولو فسرنا الآية بالعلم احتجنا إلى تحمل المجاز[٥] في

---

(١) جامع البيان ٦/٢٧٠، وأسباب نزول القرآن ص٢٦٣، والبسيط٦/٢١٧، وأحكام القرآن لابن العربي١/٣٩٧، ومفاتيح الغيب ٩/٩٢، والبحر المحيط ٣/١٣٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/٢٧٦، وفتح الباري ٨/٢٣٠، واللباب في علوم الكتاب٦/٨٥، وروح المعاني ٤/١٤٠.

(٢) جامع البيان ٦/٢٧٠.

(٣) أسباب نزول القرآن ص٢٦٣.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي١/٣٩٧.

(٥) المجاز ضد الحقيقة عند من قسّم الكلام على حقيقة ومجاز، والمراد به عندهم : اللفظ المستعمل في غير ما وضع له مع قرينة. انظر: أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص٣٠٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تفسير هذه الآية، ولو فسرناها بالمال لم نحتج إلى المجاز فكان هذا أولى. الثاني: أنا لو حملنا هذه الآية على المال كان ذلك ترغيباً في بذل المال في الجهاد فحينئذ يحصل لهذه الآية مع ما قبلها نظم حسن، ولو حملناها على أن اليهود كتموا ما عرفوه من التوراة انقطع النظم، إلا على سبيل التكلف، فكان الأول أولى[١].

٥- وقال ابن حجر:" قال الواحدي:" أجمع جمهور المفسرين على أنها نزلت في مانعي الزكاة" قال ابن حجر:" وفي صحة هذا النقل نظر، فقد قيل: إنها نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد، قاله بن جريج، واختاره الزجاج. وقيل: فيمن يبخل بالنفقة في الجهاد، وقيل: على العيال وذي الرحم المحتاج، نعم الأول هو الراجح وإليه أشار البخاري قوله: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ ﴾ كقولك: طوقته بطوق[٢]".

٦- وقال الألوسي بعد ذكره الأقوال:" وكيفما كان فالآية نزلت في مانعي الزكاة، وهو الظاهر" [٣].

القول الثاني:

أنه في اليهود، حيث كتموا نعت محمدﷺ ونبوته، وبخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله إليهم في التوراة من صفته؛ فعلى هذا معنى قوله: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾[٤]أي: إثم ما بخلوا به يوم القيامة.فهي على هذا للتمثيل أي: سيطوقون الإثم[٥].

ووجه هذا القول أن البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم، كما يقال بخل فلان بعلمه[٦].

وممن قال به:

رواه عطية العوفي عن ابن عباسرضي الله عنه، وابن جريج عن مجاهد، والزجاج، وجماعة من

---

(١) مفاتيح الغيب ٩٢/٩.

(٢) فتح الباري ٢٣٠/٨.

(٣) روح المعاني ١٤٠/٤.

(٤) سورة آل عمران آية:١٨٠.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٥١٥/١.

(٦) لباب التأويل ٤٥٧/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أهل التفسير[١].

واستدلوا بما يلي:

قال ابن عباسﷺ الآية إنما نزلت في أهل الكتاب وبخلهم ببيان ما علمهم الله من أمر محمد ﷺ[٢].

ومن أقوالهم:

١- قال الزجاج:" هذا يعني به علماء اليهود الذين بخلوا بما آتاهم الله من علم نبوة النبي ﷺ[٣].

٢- وقال الكلبي:" يمنعون الزكاة وغيرها"[٤].

واستدلوا بما يلي:

١- روى عطية العوفي عن ابن عباسﷺ: أن الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمدﷺ ونبوته، وأراد بالبخل: كتمان العلم الذي آتاهم الله تعالى"[٥].

٢- على أن المراد كتمان العلم فهو كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾[٦][٧]

٣- قيل ويعضده أن كثيراً من آيات بقية السورة فيهم[٨].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنها نزلت في البخل بالمال، والإنفاق في سبيل الله، وأداء الزكاة المفروضة، وهذه

---

(١) جامع البيان ٦/٢٧٠، وتفسير ابن أبي حاتم ٣/٨٢٦ (٤٥٧٥)، وزاد المسير ١/٣٥٢.

(٢) أخرجه ابن جرير ٦/٢٧٠، وابن أبي حاتم٣/٨٢٦، والمحرر الوجيز١/٥٤٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/٤٩٢.

(٤) التسهيل١/١٢٥.

(٥) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٦٣.

(٦) سورة النساء آية: ٣٧.

(٧) النكت والعيون ١/٤٤٠، ومعالم التنزيل١/٤٥٦.

(٨) روح المعاني ٤/١٤٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كقوله: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [١]، روي عن الحسن والسدي[٢].

٢- قال القاسمي:" اعلم أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد في الآيات المتقدمة ، شرع ههنا في التحريض على بذل المال في سبيل الله، وبيّن الوعيد الشديد لمن يبخل ببذله فيه، وإيراد ما بخلوا بعنوان:(إيتاء الله تعالى إياه من فضله) للمبالغة في بيان سوء صنيعهم، فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [٣][٤]

٣- وقيل: في النفقة على العيال وذوي الأرحام [٥].

٤- القول أنه يعم المال ، والعلم، والجاه.

وممن قال به:

محمد رشيد رضا، والسعدي[٦].

ومن أقوالهم:

١- وقال محمد رشيد رضا: " القول المختار أنه يعم المال، والعلم، والجاه، وكل فضل من الله – تعالى- على العبد، يمكنه أن ينفع به الناس.. ويؤيد العموم في قوله: ﴿ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ العموم في الجزاء على ذلك البخل في قوله: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ولم يقل: سيطوقون زكاتهم، أو المال الذي منعوه"[٧].

٢- وقال السعدي:" أي ولا يظن الذين يبخلون، أي يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله

---

(١) سورة التوبة آية: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨٢٦/٣ (٤٥٧٦)(٤٥٧٧)، وجامع البيان٢٦٩/٦.

(٣) سورة الحديد آية: ٧.

(٤) محاسن التأويل ٤٦٧/٢.

(٥) البحر المحيط ١٣٣/٣.

(٦) تفسير المنار ٢١٢/٤، وتيسير الكريم الرحمن ٤٦٢/١.

(٧) تفسير المنار ٢١٢/٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

من فضله، من المال، والجاه، والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله – تعالى- ، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل مالا يضرهم منه لعباده"[١].

حاصل الدراسة:

القول الأول الذي قال أن الآية نزلت في المانعين الزكاة هو قول ابن عباس، وابن مسعودﷺ فيما رووه عن النبي ﷺ ، حيث إن قراءة النبي ﷺ للآية الكريمة بعد ذكره الوعيد لمانع زكاة ماله، دليل على أن المراد من لفظة ﴿ يَبۡخَلُونَ ﴾ البخل بعدم إخراج زكاة المال.

كما أن هذا المعنى هو الذي يؤيده ما جاء بعدُ في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾ [٢]، وبيان ذلك -كما أشار الطبري – أن الله تعالى وصف المشركين بالله تعالى بالفقر، بسبب أمره إياهم بتزكية أموالهم، وبيان الوعيد المترتب على منعهم هذا الزكاة بقوله: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۖ ﴾ .

كما أشار إليه من أننا إذا حملنا هذه الآية على المال، يكون ذلك متوافقاً مع ما تقدم من آيات الجهاد، حيث إن الله تعالى لما ذكر الجهاد، وحث عليه نبه على أمر عظيم يخدم الجهاد، ويرفع رايته، وهو الإنفاق[٣].

كما أشار إليه الرازي كذلك من أننا لو فسرنا الآية بالعلم احتجنا إلى تحمل المجاز في تفسير الآية، ولو فسرناها بالمال لم تحتج إلى المجاز، وبيان ذلك أن تفسير البخل بأنه البخل بالمال بعدم إخراج زكاته تفسير بالحقيقة؛ لأن الذي يطوقه هو هذا المال لكن يأتي على شكل ثعبان، بخلاف تفسير البخل بأنه البخل بالعلم، فإنه تفسير بالمجاز، لأن الذي يطوقه ليس هو العلم ذاته، بل هو شيء آخر مشبَّهٌ به، وهو اللجام من النار كما

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٦٢/١.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٨١.

(٣) نظم الدرر ١٨٨/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

صُرح بذلك في حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال:" من سُئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجامٍ من نار"[١].

المناقشة والترجيح:

القول أنه للعموم لعله هو الراجح، لأنه ليس بين القولين الأول والثاني تعارض، والحديث لا يحصر معنى الآية بالبخل بالمال.

(١) أخرجه ابن ماجه، باب من سئل عن علم فكتمه، ح(٢٦٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (١)

١٧- مسألة: علام يعود الضمير في قوله: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الضمير يعود على الكتاب(٢).

القول الثاني: الضمير يعود على محمد ﷺ(٣).

قال الرسعني:

﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ والضمير فيها يعود على الكتاب، وقيل: على محمد ﷺ.

والأول أظهر، وأصح"(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

في هاء الكناية في (لتبيننه) و(تكتمونه) قولان:

القول الأول: الضمير يعود على الكتاب.

---

(١) سورة آل عمران آية:١٨٧.

(٢) الكشاف ٤٧٨/١، المحرر الوجيز ٥٥١/١، زاد المسير ٣٥٧/١،البحر المحيط١٤٢/٣، تفسير الجلالين ص٨٤، إرشاد العقل السليم ١٢٤/٢، فتح القدير ٤٠٨/١.

(٣) تفسير مقاتل ٣٢٠/١، وتفسير الصنعاني ١٤١/١، والكشف والبيان ١٨٦/١، والوجيز ٢٤٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٥/٤، والتسهيل ١٢٦/١.

(٤) رموز الكنوز ٣٨٨/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به:

١- الحسن، وقتادة[١].

٢- الزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، وأبو حيان، وجلال الدين المحلي، وأبو السعود، والشوكاني[٢][٣].

ومن أقوالهم:

١- قال ابن الجوزي: " أنها ترجع إلى الكتاب قاله الحسن وقتادة وهو أصح، لأن الكتاب اقرب المذكورين، ولأن من ضرورة تبيينِهم ما فيه، إظهار صفة محمدﷺ"[٤].

٢- قال أبو حيان:" والظاهر عود الضمير على الكتاب"[٥].

٣- قال الزمخشري: " الضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه، كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له: آلله لتفعلن"[٦].

٤- قال الألوسي:" والضمير للكتاب، أي: بالله لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التي من جملتها أمر نبوة محمد ﷺ وهو المقصود

---

(١) النكت والعيون ٤٤٢/١، وزاد المسير ٣٥٧/١، ومفاتيح الغيب ١٠٦/٩، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٥/٤.

(٢) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، نشأ بصنعاء وولي قضاءها، من مصنفاته: نيل الأوطار في أسرار منتقى الأخبار، وفتح القدير في التفسير، والسيل الجرار، وإرشاد الفحول، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: الأعلام ٢٩٨/٦، ومقدمة نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ١٤/١.

(٣) الكشاف ٤٧٨/١، والمحرر الوجيز ٥٥١/١، وزاد المسير ٣٥٧/١، والبحر المحيط ١٤٢/٣، وتفسير الجلالين ص٨٤، وإرشاد العقل السليم ١٢٤/٢، وفتح القدير ٤٠٨/١.

(٤) زاد المسير ٣٥٧/١.

(٥) البحر المحيط ١٤٢/٣.

(٦) الكشاف ٤٧٨/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بالحكاية"[١].

واستدل له بدليلين:

الأول: أنه أقرب المذكورين.

الثاني: أنه متضمّنٌ للمعنى الآخر، فمن ضرورة تبينهم ما في الكتاب إظهار صفة محمدﷺ.

القول الثاني: الضمير يعود على النبي ﷺ وصفته.

وعلى هذا التقدير يكون الضمير عائداً إلى معلوم غير مذكور، وإن لم يصرح باسمه الشريف عليه الصلاة والسلام[٢].

وممن قال به:

١- سعيد بن جبير، والسدي[٣].

٢- مقاتل، وعبد الرزاق، والثعلبي، والواحدي، والقرطبي، وابن جزي الكلبي[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- الضمير يعود على كتمان العلم[٥].

٢- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا[٦].

٣- قال ابن كثير:" هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا

---

(١) روح المعاني ١٤٩/٤.

(٢) مفاتيح الغيب ١٠٦/٩، وروح المعاني ١٤٩/٤.

(٣) جامع البيان ٢٩٥/٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٨٣٦/٣.

(٤) تفسير مقاتل ٣٢٠/١، وتفسير الصنعاني ١٤١/١، والكشف والبيان ١٨٦/١، والوجيز ٢٤٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٥/٤، والتسهيل ١٢٦/١.

(٥) جامع البيان ٢٩٦/٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٨٣٦/٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥٢٠/١.

(٦) زاد المسير ٣٥٧/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

على أهبة من أمره فإذا أرسله الله تابعوه فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف والحظ الدنيوي السخيف فبئست الصفقة صفقتهم وبئست البيعة بيعتهم. وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئا فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال:" من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار[١]"[٢].

حاصل الدراسة:

القائلون إن الضمير يعود للكتاب، وجه القول عندهم؛ لأن الكتاب أقرب المذكورين، ولأن من ضرورة تبيينهم ما فيه إظهار صفة محمد ﷺ ، وهذا قول من ذهب إلى أنه عام في كل كتاب[٣].

والقولان كما هو ظاهر متقاربان من حيث المعنى، فمن قال بأن الضمير عائدٌ إلى الكتاب أراد ما تضمنه من أمر النبي ﷺ وصفته ونعته أراد ما تضمنه الكتاب من ذلك.

وقد لحظ هذا المعنى بعض أئمة التفسير فجاءت عباراتهم جامعة بين القولين.

قال ابن جرير:" واذكر أيضاً من أمر هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد، إذ أخذ الله ميثاقهم ليبيّنن للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم، وهو التوراة والإنجيل"[٤].

وقال ابن أبي زمنين:" هذا ميثاقٌ أخذه الله على العلماء من أهل الكتاب أن يبينوا للناس في كتابهم، وفيه رسول الله والإسلام"[٥].

ويقول الرازي:" أخذنا ميثاقهم بأن يبينوا للناس ما في التوراة والإنجيل من الدلالة

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي هريرة ﷺ، ح(٨٥١٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٩٠.

(٣) زاد المسير ١/٣٥٧.

(٤) جامع البيان ٦/٢٩٣.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين ١/٣٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

على صدق نبوة محمد ﷺ "[١]

قال القرطبي:"ترجع إلى الكتاب، ويدخل فيه بيان أمر النبي ﷺ لأنه في الكتاب"[٢].

المناقشة والترجيح:

لا يمنع من حمله على القولين لعدم وجود معارض، ولكن من اختار عودة الضمير إلى الكتاب أحسن لموافقته للقاعدة.

القاعدة: إعادة الضمير إلى مذكورٍ أولى من إعادته على مقدر[٣].

(١) مفاتيح الغيب٩/١٠٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤/٣٠٥.

(٣) الكشاف ٤/٨، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١٣٨، ومجموع الفتاوى ١٥/٨٨، وأضواء البيان ٧/١٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٥٩٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

١٨- مسألة: ما معنى: ﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: رابطوا أعداءكم، وهو الجهاد في سبيل الله(٢).

القول الثاني: رابطوا على الصلوات(٣).

قال الرسعني:

﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ في سبيل الله، وهو لزوم الثغر للجهاد، وأصله من ارتباط الخيل.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم، وأبو الحسن البغداديان، قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا عبد الله بن منير، سمع أبا النضر، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال:" رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما فيها"(٤).

وأخرج مسلم منه ذكر الغدوة والروحة فقط(٥).

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠.

(٢) جامع البيان٦/٣٣٧، ومعاني القرآن للزجاج١/٥٠١، والكشاف ١/٤٩١، والمحرر الوجيز ١/٥٦٠، ومدارك التنزيل ١/٢٠١، والتسهيل ١/١٢٨، ونظم الدرر ٢/٢٠٣، وتفسير الجلالين ص٨٥، وإرشاد العقل السليم ٢/١٣٦، وروح المعاني٤/١٧٥، ومحاسن التأويل١/٤٩٠، وتيسير الكريم الرحمن ١/١٦٣.

(٣) مفاتيح الغيب ٩/١٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٤/٣٢٣، وتفسير القرآن العظيم٣/٣١٤، وأنوار التنزيل ٢/١٣٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله ، ح(٢٨٩٢).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله،ح(١٨٨١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وفي أفراد مسلم من حديث سلمان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتَّان"(١).

وهذا الذي أشرتُ إليه ودللت عليه، قول ابن عباسﷺ، والحسن، وجمهور العلماء، **وهو المتبادر على الأفهام.**

وقد أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أنه قال – في هذه الآية- :" لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يُرابط فيه، ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة"(٢).

ويوضح هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"(٣)(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: رابطوا أعداءكم، وهو الجهاد في سبيل الله.

وممن قال به: ١- عمر، وابن عباسﷺ، والحسن، وقتادة، وابن جريج، والضحاك، وزيد بن أسلم(٥)، و محمد بن كعب القرظي، ومقاتل(٦).

٢-الطبري، والزجاج، والزمخشري، وابن عطية، والنسفي، وابن جزي الكلبي،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة،باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل، ح(١٩١٣).

(٢) أخرجه الطبري٦/٣٣٥ ، والحاكم ٢/٣٢٩ح(٣١٧٧)، والقائل هو أبو هريرة.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ، ح(٢٥١).

(٤) رموز الكنوز١/٤٠٣.

(٥) هو: زيد بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، كنيته: أبو أسامة، توفي سنة ١٣٦هـ. انظر: الثقات ٤/٢٤٦، والجرح والتعديل ٣/٥٥٥.

(٦) جامع البيان ٦/٣٣٢-٣٣٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والبقاعي، والسيوطي، وأبو السعود، والألوسي، والقاسمي، والسعدي[١].

واستدلوا بما يلي:

١- بقوله تعالى:﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٢]

٢- وعن رسول الله ﷺ قال:" رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما فيها"[٣].

٣- أنه الأغلب المعروف في اللغة، قال الأزهري:" وأصل الرباط من مرابطة الخيل، أي ارتباطها بإزاء العدو في بعض الثغور"[٤].

وقال ابن منظور:" والرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، واصله: أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطاً"[٥].

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري:" وإنما قلنا: معنى: ﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ : ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم؛ لأن ذلك هو المعنى المعروف من معاني الرباط، وإنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفي، حتى تأتي بخلاف ذلك - مما يوجب صرفه إلى الخفي من معانيه- حجة يجب التسليم لها، من كتاب الله عز وجل، أو خبر عن الرسول ﷺ، أو إجماع من أهل التأويل"[٦].

---

(١) جامع البيان٦/٣٣٧، ومعاني القرآن للزجاج١/٥٠١، والكشاف ١/٤٩١، والمحرر الوجيز ١/٥٦٠، ومدارك التنزيل ١/٢٠١، والتسهيل ١/١٢٨، ونظم الدرر ٢/٢٠٣، وتفسير الجلالين ص٨٥، وإرشاد العقل السليم ٢/١٣٦، وروح المعاني٤/١٧٥، ومحاسن التأويل١/٤٩٠، وتيسير الكريم الرحمن ١/١٦٣.

(٢) سورة الأنفال آية: ٦٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله ، ح(٢٨٩٢).

(٤) تهذيب اللغة ٣/٢٣٠، مادة (ربط).

(٥) لسان العرب ٧/٣٠٢، مادة(ربط)، القاموس المحيط ص٨٦١ مادة(ربط).

(٦) جامع البيان ٦/٣٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- قال الزجاج:" أقيموا على جهاد عدوكم بالحرب،والحجة"[١].

٣- قال الزمخشري:" وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها، مترصدين مستعدين للغزو. قال الله تعالى: ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٢] ، وعن النبي ﷺ:" من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر، وقيامه، لا يفطر، ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة[٣]"[٤].

٤- قال ابن عطية:" والقول الصحيح هو: أن الرباط هو الملازمة في سبيل الله، أصلها من ربط الخيل، ثم سُمي كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطاً، فارساً كان أو راجلاً، واللفظة مأخوذة من الربط"[٥].

القول الثاني: رابطوا على الصلوات.

وممن قال به:

١- أبو سلمة بن عبد الرحمن[٦].

استدلوا : بما أخرج الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أنه قال – في هذه الآية- :" لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يُرابط فيه، ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة"[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- حمل اللفظ على الكل.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١/٥٠١.

(٢) سورة الأنفال آية: ٦٠.

(٣) أخرجه بنحوه عن أبي هريرة مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط، ح(١٩١٣).

(٤) الكشاف ١/٤٩١.

(٥) المحرر الوجيز ١/٥٦٠.

(٦) جامع البيان ٦/٣٣٥.

(٧) أخرجه الطبري٦/٣٣٥ ، والحاكم ٢/٣٢٩ح(٣١٧٧)، والقائل هو أبو هريرة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به: الرازي، والقرطبي[١].

ومن أقوالهم:

قال الرازي بعد ذكره القولين:" واعلم أنه يمكن حمل اللفظ على الكل، وأصل الرباط من الربط، وهو الشد، يقال لكل من صبر على أمر ربط قلبه عليه، وقال آخرون: الرباط هو اللزوم والثبات، وهذا المعنى أيضاً راجع على ما ذكرناه من الصبر، وربط النفس، ثم هذا الثبات والدوام يجوز أن يكون على الجهاد، ويجوز أن يكون على الصلاة"[٢].

حاصل الدراسة:

قول من يقول: الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة، فإنه وإن كان صحيحاً إلا أنه جاء على غير الأغلب، والمشهور من لغة العرب، فكان حمل ألفاظ القرآن على الأغلب والمشهور من لغة العرب أولى من القليل الذي لم يدل عليه دليل.

وأما قوله ﷺ عن انتظار الصلاة بعد الصلاة:"فذلكم الرباط"، فإنما أراد به التشبيه بالرباط في سبيل الله تعالى لعظم أجره.

قال ابن حجر:" وحمل الآية على الأول أظهر، وما احتج به أبو سلمة لا حجة فيه، ولا سيما مع ثبوت حديث الباب[٣]، فعلى تقدير تسليم أنه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ رباط فلا يمنع ذلك من الأمر به والترغيب فيه، ويحتمل أن يكون المراد كلا من الأمرين، أو ما هو أعم من ذلك[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح في معنى: ﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ الإقامة في الثغور، لأجل مجاهدة أعداء الله تعالى، وهو الأغلب المعروف في الاستعمال اللغوي، ولا شك أن حمل ألفاظ القرآن على

(١) مفاتيح الغيب ١٢٧/٩، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٣/٤.

(٢) مفاتيح الغيب ١٢٧/٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله ، ح(٢٨٩٢).

(٤) فتح الباري ٨٦/٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأغلب المعروف في لغة العرب أولى من الخفي الذي لم يدل عليه دليل.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[١].

القاعدة: القول الذي تؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية[٢].

(١) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

(٢) الكشاف ٦٣٧/٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٤٨/١، ٢١٠/٤، ومجموع الفتاوى ٢٢٦/١٧، والبحر المحيط ١٠٤/٦، والتسهيل ٩/١، وقواعد التفسير عند المفسرين ٥١١/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٩- مسألة: هل سورة النساء مكية أو مدنية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: سورة النساء مدنية إلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [١][٢].

القول الثاني: أنها مكية[٣].

قال الرسعني:

"اختلفت الرواية عن ابن عباسﷺ هل هي مكية أو مدنية. **والصحيح**: أنها مدنية، إلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ فإنها نزلت بمكة، حين أراد النبي ﷺ أن ينزع مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي[٤] فيسلمها إلى العباس[٥].

وغير بعيد أن تكون مشتملةً على آيات نزلت بمكة، لكن معظمها نزل على أسباب دل النقل والعقل على أن ذلك كان بالمدينة.

فما أدري ما وجه قول الحسن ومجاهد، وإحدى الروايتين عن ابن عباسﷺ: أنها مكية.

أتراه يشك أحد أن تحريم الخمر كان بالمدينة، وأن قصة طعمة بن أبيرق[٦] سارق

---

(١) سورة النساء آية:٥٨.

(٢) تفسير مقاتل ٣٥٣/١، وتفسير السمعاني٣٩٢/١، وتفسير العز بن عبد السلام٣٠١/١، والمحرر الوجيز٢/٣، وزاد المسير ٣٦٦/١، والجامع لأحكام القرآن ١/٥، واللباب في علوم الكتاب١٣٨/٦، وفتح القدير٤١٦.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٧/٢، وزاد المسير ٣٦٦/١.

(٤) هو: عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عثمان بن عبد الدار الحجبي، الصحابي المعروف. أسلم في هدنة الحديبية، توفي سنة اثنتين وأربعين للهجرة. انظر: الإصابة ٤٥٠/٤، والتقريب ص٣٨٤.

(٥) انظر هذه القصة في آية(٥٨).

(٦) هو: طعمة بن أبيرق بن عمير النصاري، شهد المشاهد كلها إلا بدراً، وقد تُكلّم في إيمان طعمة. انظر:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الدرع، وقد نزلت فيه آيات كثيرة في هذه السورة كانت بالمدينة[١].

وأن قصة الزبير مع الأنصاري، حين ترافعا إلى النبي ﷺ ، فقال للزبير:" اسق ثم أرسل إلى جارك، فقال: أن كان ابن عمتك؟...الحديث، ونزل فيه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ كانت بالمدينة[٢].

وأن قصة المنافق الذي أراد أن يحاكم اليهودي على الطاغوت، واليهودي يريد رفعه على النبي ﷺ كانت بالمدينة[٣].

وقوله: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [٤]، وأن الآيات التي نزلت في الجهاد، والهجرة، وصلاة الخوف، كان ذلك كله بالمدينة.

وفي أفراد البخاري عن عائشة رضي الله عنها، أنها قال:" ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عند النبي ﷺ "[٥]، وكان دخولُه بها في المدينة[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

اختلفوا في نزولها:

القول الأول: مدنية إلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي بمكة.

وممن قال به:

الإصابة ٥١٨/٣.

(١) انظر هذه القصة في آية(١٠٥).

(٢) انظر هذه القصة في آية(٦٥).

(٣) انظر هذه القصة في آية(٦٠).

(٤) سورة النساء الآية:٩٤.

(٥) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ح(٤٩٩٣).

(٦) رموز الكنوز ٤٠٦/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو قول مقاتل[١].

٢- السمعاني، والعز بن عبد السلام، وابن عطية، والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني[٢].

ومن أقوالهم:

١- قال ابن عطية: "قال بعض الناس إن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ حيث وقع إنما هو مكي، فيشبه أن يكون صدر هذه السورة مكياً، وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني وإن نزل في مكة أو في سفر من أسفار النبي ﷺ [٣].

ولا خلاف أن فيها ما نزل بالمدينة وفي البخاري آخر آية نزلت: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ [٤].

وفي البخاري عن عائشة أنها قالت:" ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله ﷺ" تعني قد بنى بها"[٥].

٢- قال القرطبي:"والصحيح الأول، ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها، وأما من قال: إن قوله: يا أيها الناس مكي حيث وقع فليس بصحيح فإن البقرة مدنية وفيها قوله: يا أيها الناس في موضعين. والله أعلم.ونقل قوله ابن عادل والشوكاني[٦].

استدلوا بما يلي:

١- ما أخرجه البخاري عن عائشة أنها قالت:" ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند

---

(١) تفسير مقاتل ٣٥٣/١، وزاد المسير ٣٦٦/١.

(٢) تفسير السمعاني٣٩٢/١، وتفسير العز بن عبد السلام٣٠١/١، والمحرر الوجيز٢/٣، والجامع لأحكام القرآن ١/٥، واللباب في علوم الكتاب١٣٨/٦، وفتح القدير٤١٦.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢.

(٤) سورة النساء آية: ١٧٦.

(٥) سبق تخريجه. المحرر الوجيز ٣/٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١/٥، واللباب في علوم الكتاب ١٣٨/٦، وفتح القدير ٤١٦/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

رسول الله ﷺ " تعني: قد بنى بها. ولا خلاف بين العلماء أن النبي ﷺ إنما بنى بعائشة بالمدينة.

٢- من تبيّن أحكام سورة النساء علم أنها مدنية لا شك فيها[١].

القول الثاني: مكية.

وممن قال به:

١-رواه عطية عن ابن عباسرضي الله عنه، وهو قول الحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقتادة[٢].

٢-النحاس[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن السورة كلها مدنية.

وهو قول: ابن أبي زمنين، والثعلبي، والزمخشري، والرازي، وأبي حيان، والسيوطي، وأبي السعود، والألوسي، وابن عثيمين[٤].

واستدلوا :

بما أخرجه ابن الضريس في "فضائله"، والنحاس في "ناسخه"، وابن مردويه، والبيهقي في "الدلائل"، من طرق عن ابن عباسرضي الله عنه قال نزلت سورة النساء بالمدينة[٥]. وكذا أخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير وزيد ابن ثابترضي الله عنهم[٦]. وأخرجه ابن المنذر عن قتادة[١].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٥.

(٢) زاد المسير ٣٦٦/١.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٧/٢.

(٤) تفسير ابن زمنين ٣٤٤/١، والكشف والبيان ٢٤١/٣، والكشاف ٤٩١/١، ومفاتيح الغيب ١٢٨/٩، والبحر المحيط ١٥٨/٣، والدر المنثور ٢٠٧/٤، وإرشاد العقل السليم ١٣٧/٢، وروح المعاني ١٧٨/٤، وتفسير القرآن العظيم (سورة النساء)لابن عثيمين ٧/١.

(٥) الدر المنثور ٢٠٧/٤. وفي إسناده العوفي وهو ضعيف.

(٦) فتح القدير ٤١٦/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن أقوالهم:

قال الألوسي:"مدنية على الصحيح"[٢].

٣- وقيل: نزلت عند هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

وهو قول النقاش[٣].

حاصل الدراسة:

تحديد السورة هل هي مكي أو مدني مبني على الخلاف في تحديد ما هي ضوابط المكي والمدني. فمن قال إن السورة مدنية إلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ ، هذا على القول بأن المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.

أما على قول من قال: إن المكي ما نزل قبل الهجرة، ولو نزل بغيرها، والمدني ما نزل بعد الهجرة، ولو نزل بغيرها، فالسورة كلها مدنية، ولا يستثنى منها شيء ألبتة وهو الراجح[٤].

وقد قال بعض الناس: إن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ حيث وقع إنما هو مكي، قاله علقمة وغيره، فيشبه أن يكون صدر السورة مكياً وما نزل بعد الهجرة فإنما هو مدني.

وهذا ليس بصحيح فإن البقرة مدنية وفيها قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ في موضعين[٥].

وزعم النحاس أنها مكية مستنداً إلى أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ ﴾ الآية نزلت بمكة اتفاقاً في شأن مفتاح الكعبة.

وتعقبه العلامة السيوطي:

١- بأن ذلك مستند واه؛ لأنه لا يلزم من نزول آية أو آيات بمكة من سورة

---

(١) الدر المنثور٤/٢٠٧.

(٢) روح المعاني ١٧٨/٤.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ١/٥، واللباب في علوم الكتاب ١٣٨/٦.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٣٥/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١/٥، واللباب في علوم الكتاب ١٣٨/٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

طويلة نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية، خصوصاً أن الأرجح أن ما نزل بعد الهجرة مدني، ومن راجع أسباب نزول آياتها عرف الرد عليه.

٢- ومما يرد عليه أيضاً ما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح أنها مدنية؛ لأن العلماء تنازعوا في المراد بالمكي والمدني، غير أن المشهور والصحيح في تحديد المكي والمدني هو: ما نزل قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، فهو مكي، وما نزل بعدها، فهو مدني، وإن نزل بمكة[٢].

وحديث عائشة -رضي الله عنها- صحيح في البخاري.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجَّح له على ما خالفه[٣].

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٤].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/٤١.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/١٨٧، والإتقان في علوم القرآن ١/٣٥، ومناهل العرفان ١/١٤٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٥٩.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٠٦.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٣٩٥، والجامع لأحكام القرآن ٧/٧٣، والبحر المحيط ٨/٩٤، والتسهيل ٤/٥٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٥٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ (١)

٢٠- مسألة: هل الآية محكمة أو منسوخة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنها منسوخة بآية الميراث، والوصية (٢).

القول الثاني: أنها محكمة (٣).

قال الرسعني:

"ذهب قوم إلى أنها منسوخة بآية الميراث.

والصحيح: أنها محكمة.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: أنه قال: هي محكمة وليست بمنسوخة(٤)، ولكنها مما تهاون الناس بها.

وقال سعيد بن جبير: والله ما نُسخت، ولكنها مما تهاون به الناس(٥).

دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

---

(١) سورة النساء آية: ٨.

(٢) جامع البيان ٦/ ٤٣٨، وتفسير الصنعاني ١/ ٤٩، وزاد المسير ١/ ٣٧٥، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤٨، وفتح القدير ١/ ٤٢٨، والتحرير والتنوير ٤/ ٤٢٨، ومحاسن التأويل ٥/ ١١٣٢.

(٣) جامع البيان ٦/ ٤٣٥، والناسخ والمنسوخ للسدوسي ١/ ٣٨، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص٣٠٢، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٣١، وزاد المسير ١/ ٣٧٥، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١/ ١١٥، والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ١/ ١٠، والناسخ والمنسوخ للكرمي ١/ ٨٣، والتحرير والتنوير ٤/ ٤٢٨.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ ﴾ ، ح(٤٥٧٦).

(٥) أخرجه الطبري ٦/ ٤٣٣، سعيد بن منصور(٢) ٣/ ١١٦٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الأول: أنها محكمة. على اختلاف هل الأمر للاستحباب، أو الوجوب.

وممن قال به:

١- أبو موسى الأشعري[١]، وابن عباس، وعروة بن الزبير، والحسنﷺ، وأبو العالية، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والنخعي، والشعبي، وقتادة، والزهري، وأبو صالح، وقد ذكرنا أن ما تضمّنته من الأمر مستحبٌّ عند الأكثرين، وواجب عند بعضهم[٢].

٢- الطبري، والقرطبي، والشوكاني، والزرقاني، والقاسمي[٣].

واستدلوا بما يلي:

١- في الصحيحين عن ابن عباسﷺ، أنه قال: أنه قال: هي محكمة وليست بمنسوخة، ولكنها مما تهاون الناس بها.

٢- قال سعيد بن جبير: والله ما نُسخت، ولكنها مما تهاون به الناس.

ومن أقوالهم:

١- قال ابن جرير:" وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال هذه الآية محكمة غير منسوخة"[٤].

٢- قال القرطبي:" والأول أصح فإنها مبينة استحقاق الورثة لنصيبهم واستحباب

---

(١) هو: عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري، مشهور باسمه وكنيته معاً، استعمله النبي ﷺ مع معاذ على اليمن، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، توفي سنة ٥٠هـ وقيل بعدها. انظر: الإصابة ٢١١/٤، وتذكرة الحفاظ ٢٣/١.

(٢) الآثار عند ابن جرير جامع البيان ٤٣٢/٦-٤٣٥، وتفسير الصنعاني ٤٩/١، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص٣٠٢، والبسيط٣٤٣/٦، وزاد المسير ٣٧٥/١، والجامع لأحكام القرآن٤٨/٥، والتحرير والتنوير ٤٢٨/٤.

(٣) جامع البيان ٦/ ٤٣٨، والجامع لأحكام القرآن ٤٨/٥، وفتح القدير٤٢٨/١، ومحاسن التأويل١١٣٢/٥.

(٤) جامع البيان ٤٣٨/٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المشاركة لمن لا نصيب له ممن حضرهم"[١].

٣- قال الشوكاني: ذهب قوم إلى أن الآية محكمة، وأن الأمر للندب، وذهب آخرون إلى أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾: والأول أرجح؛ لأن المذكور في الآية للقرابة غير الوارثين[٢].

٤- قال الزرقاني: "قيل إنها منسوخة بآيات المواريث، والظاهر أنها محكمة؛ لأنها تأمر بإعطاء أولي القربى والمساكين الحاضرين لقسمة التركة شيئا منها، وهذا الحكم باق على وجه الندب ما دام المذكورون غير وارثين ولا تعارض ولا نسخ.

نعم لو كان حكم إعطاء هؤلاء هو الوجوب ثم رفع بآيات المواريث، وتقرر الندب بدليل آخر بدلاً من الحكم الأول، فلا مفر من القول بالنسخ؛ ولكن المأثور عن ابن عباسﷺ أن الآية محكمة، غير أن الناس تهاونوا بالعمل بها، وهذا يجعلنا نرجع أن في الآية كان للندب لا للوجوب من أول الأمر حتى يتأتى القول بإحكامها فتأمل"[٣].

والأمر فيها للاستحباب لعدة أمور:

١- أن الشارع جعل لهم نصيباً غير مقدَّر، ولو كان واجباً لحد كسائر الواجبات من الزكاة ونحوها.

٢- أنه علَّقه على حضورهم، ولو كان واجب للزم دفعه، حضروا أو لم يحضروا.

٣- أن ما يقسم قد يتعذر إعطاء هؤلاء منه كما إذا كانت التركة رقيقاً أو من بهيمة الأنعام ونحوها.

قال ابن عاشور:" وعن ابن عباس وأبي موسى الأشعري ﷺ... أنّ ذلك كان فرضاً قبل نزول آية المواريث، ثم نسخ بآية المواريث، ومآل هذا القول إلى موافقة قول جمهور

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥/٤٨.

(٢) فتح القدير ١/٤٢٨.

(٣) مناهل العرفان ٢/١٨٨٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أهل العلم[١].

القول الثاني:

أنها منسوخة، نسخها قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ [٢]

وممن قال به:

١- رواه مجاهد عن ابن عباسﷺ في رواية، وهو قول سعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وعكرمة، والضحاك، وقتادة في آخرين[٣].

٢- علماء الناسخ والمنسوخ: السدوسي، والنحاس، وابن حزم[٤]، وابن الجوزي، ومكي بن أبي طالب، وابن سلامة، والكرمي[٥].

ومن أقوالهم:

١- الكرمي: قال: أجمع المفسرون على نسخها بآية الميراث، واختلفوا في تقريرها، قال مجاهد: كأن يجعل لجميع الأقارب في المال حظ، وقال آخرون: كانت القسمة لأولي القربى الوارثين خاصة، وأمروا أن يقولوا لليتامى والمساكين قولاً معروفاً، وأن يرزقوهم ما طابت به أنفسهم، قال الحسن: كانوا يعطون التابوت والأواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحي من قسمته[٦].

---

(١) التحرير والتنوير ٤/٤٢٨.

(٢) سورة النساء آية: ١١.

(٣) الآثار عند ابن جرير جامع البيان ٦/٤٣٥، وزاد المسير ١/٣٧٥، والتحرير والتنوير٤/٤٢٨.

(٤) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، كان عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام فقيهاً حافظاً، من أشهر مصنفاته: المحلى، والناسخ والمنسوخ، والإحكام لأصول الأحكام، توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر: شذرات الذهب ٣/٢٩٩، وكشف الظنون١/٦٠٥.

(٥) الناسخ والمنسوخ للسدوسي ١/٣٨، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص٣٠٢، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٣١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١/١١٥، والإيضاح لمكي ص٢١٠، والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ١/١٠، والناسخ والمنسوخ للكرمي ١/٨٣.

(٦) الناسخ والمنسوخ للكرمي ١/٨٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حاصل الدراسة:

قال الطبري: قول من أن من قال هذه الآية محكمة غير منسوخة، هو أولى الأقوال بالصحة، وإنما عنى بها الوصية لأولي قربى الموصي، وعنى باليتامى والمساكين أن يقال لهم قول معروف.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره؛ لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره أن شيئا من أحكام الله تبارك وتعالى التي أثبتها في كتابه، أو بينها على لسان رسوله غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر، أو منسوخ بحكم آخر إلا والحكمان اللذان قضى لأحدهما بأنه ناسخ والآخر بأنه منسوخ، ناف كل واحد منهما صاحبه، غير جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه، وإن كان جائزاً صرفه إلى غير النسخ أو يقوم بأن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ حجة يجب التسليم لها، وإذ كان ذلك كذلك لما قد دللنا في غير موضع وكان قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ محتملاً أن يكون مراداً به وإذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية أولو قرابته واليتامى والمساكين ﴿ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ يراد فأوصوا لأولي قرابتكم الذين لا يرثونكم منه وقولوا لليتامى والمساكين قولاً معروفاً كما قال في موضع آخر: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ولا يكون منسوخاً بآية الميراث لم يكن لأحد صرفه إلى أنه منسوخ بآية الميراث إذ كان لا دلالة على أنه منسوخ بها من كتاب أو سنة ثابتة، وهو محتمل من التأويل ما بينا[1]

المناقشة والترجيح:

الراجح أنها محكمة، لقوة ما استدل به القائلون بالإحكام، ولما صح عن ابن عباس رضي الله عنه في الصحيحين.

---

(١) جامع البيان ٦/٤٣٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولأنها تدعوا إلى فضيلة، والفضائل لا تنسخ؛ لكن على أن يكون الأمر للندب.

وإذا تنازع المفسرون في آية من كتاب الله تعالى، فمُدِّعٍ عليها النسخ، ومانع منه، فأصح الأقوال المنع منه، إلا بثبوت التصريح بنسخها، أو انتفاء حكمها من كل وجه، وامتناع الجمع بينها وبين ناسخها. أو كان انتفاء الحكم في بعض الأوجه دون بعض، كالتخصيص ونحوه(١).

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه(٢).

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره(٣).

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين ١/٧٢.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١/٢٠٠، والإحكام ٤/٤٨٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٨، وفتح القدير ٢/٨٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٧١.

(٣) جامع البيان١٦/٤٤٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١١٣، والمحرر الوجيز ٢/٢٤٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٦٢، ومجموع الفتاوى ١٣/٢٧، والبحر المحيط ١/١٢٨، والتسهيل ١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٥٦، وفتح القدير ١/١٢، وروح المعاني ١/٩٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٩١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ ﴾ (١)

٢١- مسألة: اختلاف الصحابة في تفسير الكلالة.

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عبارة عمن سوى الوالد والولد(٢).

القول الثاني: الكلالة من لا ولد له(٣).

القول الثالث: ما عدا الوالد(٤).

القول الرابع: بنو العم الأباعد(٥).

القول الخامس: الإخوة من الأم. (٦)

قال الرسعني:

"كثر أقوال الصحابة في تفسير الكلالة:

فاختيار أبي بكر الصديق ﷺ: أنها عبارة عمَّن سوى الوالد والولد، **وهو الصحيح**. وبه قال عليّ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباسﷺ، والحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، والزهري، وقتادة، والفراء.

وأما عمر ﷺ فكان يقول: االكلالة: من سوى الولد. وهو قول طاووس.

---

(١) سورة النساء آية: ١٢.

(٢) الآثار في جامع البيان ٦/ ٤٧٥-٤٧٩، وسنن سعيد بن منصور(٢) ١١٧٨/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٧/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨٨٧/٣، ومعاني القرآن للفراء ٢٥٧/١، والكشف والبيان٢٦٩/٣، والمحرر الوجيز ١٨/٢.

(٣) الكشف والبيان٢٦٩/٣، والنكت والعيون٤٦٠/١، والمحرر الوجيز ١٨/٢.

(٤) جامع البيان ٤٧٩/٦، والكشف والبيان٢٦٩/٣، والنكت والعيون٤٦/١، والبحر المحيط ١٩٦/٣.

(٥) زاد المسير ٣٨٠/١.

(٦) الكشف والبيان٢٦٩/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقال الحكم: الكلالة: ما عدا الولد[١]، وقيل: بنو العم الأباعد.

وقال عطية: الإخوة من الأم.

وروي عن عمر: أنه قال – لما طُعِن–: كنت أرى أن الكلالة: مَن لا ولد له، وأنا أستحي أن أخالف أبا بكر، الكلالة: مَن عدا الوالد والولد.

وروي عن عمر أيضاً: التوقف، وكان يقول: ثلاثة لأن يكون بيَّنهن رسول الله لنا أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها: الكلالة، والخلافة، والربا[٢].

والدليل على صحة قول أبي بكر وجوه:

الوجه الأول: التمسك باشتقاق لفظ الكلالة، وفيه وجوه:

الأول: يقال: كلَّت الرحم بين فلان وفلان؛ إذا تباعدت القرابة، وحمل فلان عن فلان، ثم كلَّ عنه؛ إذا تباعد، فسمِّيت القرابة البعيدة: كلالة من هذا الوجه.

الثاني: يقال: كلَّ الرجلُ كلالة وكلالاً؛ إذا أعيا وذهبت قوّته[٣]، ثم جعلوا هذا اللفظ استعارة من القرابة الحاصلة، لا من جهة الولاد، وذلك لأنَّا بيّنا أن هذه القرابة حاصلة بواسطة الغير، فيكون فيها ضعف، وبهذا يظهر أنه يبعد إدخال الوالد في الكلالة، لأن انتسابه على الميت بغير واسطة.

الثالث: الكلالة في أصل اللغة: عبارة عن الإحاطة، ومنه: الإكليل[٤] فحاطته بالرأس، ومنه: الكلّ، لإحاطته بما يدخل فيه، ويقال: تكلَّل السحاب؛ إذا صار محيطاً بالجوانب[٥].

---

(١) الذي يظهر لي أن هنا سقط عند الرسعني وأن المقصود الوالد، لما ثبت عند ابن جرير.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨٨٧/٣، وسنن البيهقي الكبرى ٢٢٥/٦.

(٣) لسان العرب مادة(كلل)٥٩٠/١١.

(٤) الإكليل: شبه عصابة تزين بالجوهر، ويسمى التاج إكليلاً، وكلله تكليلاً: ألبسه الإكليل. انظر: مختار الصحاح مادة(كلل) ٢٤٠/١.

(٥) لسان العرب مادة (كلل) ٥٩٠/١١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إذا عرفت هذا فنقول: مَن عدا الوالد والولد، إنما سمُّوا بالكلالة؛ لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان، وكالإكليل المحيط برأسه، أما قرابة الولاد فليست كذلك، فإن فيها يتفرع البعض عن البعض، ويتولد البعض من البعض؛ كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد، ولهذا قال الشاعر:

نسب تتابع كابراً عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب[١]

فأما القرابة المغايرة لقرابة الولاد، وهي كالأخوة والأخوات والأعمام والعمّات، فإنما يحصل لنسبهم اتّصال، وإحاطة بالمنسوب إليه. فثبت بهذه الوجوه الاشتقاقية: أن الكلالة عبارة عمّن عدا الوالد والولد.

الحجة الثانية: أنه تعالى ما ذكر لفظ الكلالة في كتابه إلا في هذه السورة في موضعين: أحدهما في هذه الآية، والثاني في آخر السورة، وهو قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ ﴾[٢]، واحتج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذه الآية على أن الكلالة: مَن لا والد له ولا ولد، وذلك لأن الله حكم بتوريث الإخوة والأخوات حال كون الميت كلالة، ولا شك أن الإخوة والأخوات لا يرثون حال وجود الأبوين، فوجب أن لا يكون الميت كلالة، حال وجود الأبوين.

الحجة الثالثة: أنه تعالى ذكر حكم الولد والوالد في الآيات المتقدمة، ثم اتبعها بذكر الكلالة. وهذا الترتيب يقتضي أن تكون الكلالة: من عدا الوالد والولد.

الحجة الرابعة: قول الفرزدق[٣]:

ورثتم قناة المجد، لا عن كلالة عن ابنَيْ مناف عبد شمس وهاشم[١]

---

(١) البيت للبحتري، وهو في: خزانة الأدب، الشاهد الثالث والعشرون ١٢٩/١٠، والمنتحل للثعالبي، باب التهاني والتهادي وما يجري مجراهما.

(٢) سورة النساء آية :٧٦.

(٣) هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، أبو فراس البصري، الشهير بالفرزدق، شاعر، من النبلاء، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب. توفي سنة عشر ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء٥٩٠/٤، والأعلام ٩٣/٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دلَّ هذا البيت على أنهم ما ورثوا الملك عن الكلالة، ودل على أنهم ورثوه عن آبائهم. وهذا يوجب أن لا يكون الأب داخلاً في الكلالة"[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

كثر أقوال الصحابة في تفسير الكلالة:

القول الأول: عبارة عمن سوى الوالد والولد، وهو قول أكثر الصحابة، والجمهور[٣]، وترجيح الرسعني.

وممن قال به:

أبي بكر، وعمر، وعلي، ويزيد، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وجابر بن زيدﷺ ، وقتادة والزهري، وابن إسحاق[٤].

٢- وهو المشهور والصحيح عن ابن عباسﷺ[٥].

٣- روي عن سليم بن عبيد، وقتادة، والحكم، وابن زيد، والزهري، وأبي إسحاق السبيعي، والشعبي، والنخعي، والحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، والفراء[٦].

٣- وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ومالك[٧].

---

(١) البيت للفرزدق من قصيدته في قتل مسلم بن قتيبة. وليس في ديوانه. والبيت في لسان العرب مادة(كلل)، والجامع لأحكام القرآن ٥/٧٦، والبحر المحيط ٣/١٩٧، والدر المصون ١/١٦٤٣.

(٢) رموز الكنوز ١/٤٤٠-٤٤٣.

(٣) الحاوي الكبير للماوردي ٨/٩٢.

(٤) الآثار في جامع البيان ٦/ ٤٧٥-٤٧٩، وسنن سعيد بن منصور ٣/١١٧٨، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٨٨٧، ومعاني القرآن للفراء ١/٢٥٧، والكشف والبيان٣/٢٦٩، والحاوي الكبير ٨/٩٢، والبسيط٦/٣٦٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/٣٧٧.

(٥) النكت والعيون١/٤٦٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/٣٧٨.

(٦) الآثار في جامع البيان ٦/ ٤٧٥-٤٧٩، وسنن سعيد بن منصور(٢) ٣/١١٧٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٧٧، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٨٨٧، ومعاني القرآن للفراء ١/٢٥٧، والكشف والبيان٣/٢٦٩، والمحرر الوجيز ٢/١٨.

(٧) الحاوي الكبير ٨/٩٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤- قول أهل المدينة والكوفة والبصرة[١]. وقول جمهور المفسرين، منهم: الفراء، وابن قتيبة، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن العربي، وابن عطية، والنيسابوري، والرازي، والقرطبي، وابن جزي، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والقاسمي، وابن عاشور، والسعدي، وابن عثيمين[٢].

٥- وهكذا قال صاحب كتاب العين، وأبو منصور اللغوي، وابن عرفة، والقتبي، وأبو عبيد، وابن الأنباري[٣].

واستدلوا بما يلي:

١- بحديث جابر كان مريضاً؛ فدخل عليه رسول اللهﷺ يعوده، فقال: "إنما يرثني كلالة". ولم يكن في ورثته ولد ولا والد[٤].

٢- أصل اللغة: الكلالة مصدر من تكلله النسب، أي: أحاط به، وبه سمى الإكليل وهي منزلة من منازل القمر لإحاطتها بالقمر إذا احتل بها، ومنه الإكليل أيضاً وهو التاج والعصابة المحيطة بالرأس فإذا مات الرجل وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة[٥].

٣- الاشتقاق: ويدل على صحته أن اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان

---

(١) تفسير السمعاني ١/٤٠٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٧٧.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/٢٥٧، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبةص١٢١، وجامع البيان ٦/٤٨١، ومعاني القرآن للزجاج ٢/٢٦، وبحر العلوم ١/٣١٢، والوسيط ٢/٢٣، والبسيط ٦/٣٦٧، ومعالم التنزيل ١/٤٩١، والكشاف ١/٥١٦، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤٤٨، والمحرر الوجيز ٢/١٩، وإيجاز البيان ٢/٤٥٣، ومفاتيح الغيب ٩/١٧٩، والجامع لأحكام القرآن ٥/٧٦، والتسهيل ١/١٣٣، والبحر المحيط ٣/١٩٧، والدر المصون ١/١٦٤٣، وتفسير القرآن العظيم ٣/٣٧٧، وإرشاد العقل السليم ٢/١٥١، وفتح القدير ١/٤٣٤، ومحاسن التأويل ٥/١١٤٦، والتحرير والتنوير ٤/٢٦٤، وتيسير الكريم الرحمن ص١٦٨، وتفسير القرآن الكريم(سورة النساء) لابن عثيمين ١/٩٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥/٧٦، وفتح القدير ١/٤٣٤.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، ح(١٦١٦)، جامع البيان ٦/٤٨١، وتفسير السمعاني ١/٤٠٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٧٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٥/٧٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وفلان إذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه[١].

ومن أقوالهم:

١- قال السمعاني: "والصحيح فيه قولان[٢]... وفي أصح الروايتين عن ابن عباسﷺ: أن الكلالة: اسم للميت الذي ليس له ولد ولا والد، وهو ظاهر الآية[٣].

٢- قال ابن عطية: "خلو الميت عن الولد والوالد وهذا هو الصحيح"[٤].

٣- قال الطبري:" الصواب أن الكلالة هم الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده"[٥].

٤- قال الخازن: "وهذا القول هو الصحيح المختار"[٦].

٥- قال الشنقيطي:" التحقيق أن المراد بالكلالة عدم الأصول والفروع، وهذا قول أبي بكر الصديق ﷺ وأكثر الصحابة وهو الحق إن شاء الله تعالى"[٧].

القول الثاني: الكلالة من سوى الولد.

وممن روي عنه:

١- أبي بكر الصديق وعن عمرﷺ ثم رجعا عنه[٨].

٢- ابن عباسﷺ في إحدى الروايتين عنه، من طريق طاووس[٩].

٣- قول طاووس[١].

---

(١) لباب التأويل ١/٤٩٢.

(٢) تفسير السمعاني١/٤٠٤.

(٣) تفسير السمعاني ١/٤٠٥.

(٤) المحرر الوجيز ٢/١٨.

(٥) جامع البيان ٦/٤٨١.

(٦) لباب التأويل ١/٤٩٢.

(٧) أضواء البيان ١/٢٢٨.

(٨) المحرر الوجيز ٢/١٨.

(٩) النكت والعيون١/٤٦٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

واستدلوا بما يلي:

١- بقوله تعالى :﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ (٢)(٣).

القول الثالث: ماعدا الولد.

وممن قال به: الحكم بن عيينة. وروي عنه أنه من عدا الوالد(٤).

وقد أجمعت الأمة الآن على أنَّ الأخوة لا يرثون مع ابن ولا أب، وعلى هذا مضت الأعصار والأمصار(٥).

القول الرابع: بنو العم الأباعد.

وممن ذكره: ابن الجوزي عن ابن فارس(٦)، وعن ابن الأعرابي(٧).

القول الخامس: الإخوة من الأم.

وممن قال به: عطية(٨).

واستدلوا بما يلي:

قال قوم: الكلالة ولد الأم تعلقاً بقوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ

(١) الكشف والبيان٣/٢٦٩.

(٢) سورة النساء آية: ١٧٦.

(٣) الحاوي الكبير ٨/٩٢.

(٤) جامع البيان ٦/٤٧٩، والكشف والبيان٣/٢٦٩، والنكت والعيون١/٤٦٠.

(٥) البحر المحيط ٣/١٩٦.

(٦) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي أبو الحسين اللغوي المالكي الهمذاني، من أئمة اللغة والأدب، من تصانيفه: معجم مقاييس اللغة، وفقه اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: كشف الظنون ٢/١٢٧٩، ومعجم الأدباء ١/٥٣٣-٥٤٥.

(٧) مقاييس اللغة٥/١٢١، وزاد المسير ١/٣٨٠.

(٨) الكشف والبيان٣/٢٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾ [١] يعني: في أم، فاقتضى أن يكون هو الكلالة[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قول: عبيد بن عمير: هم الأخوة للأب[٣].

٢- وقيل: هم الأخوة والأخوات[٤].

٣- قال أبو عمرو: ما لم يكن لحا من القرابة فهو كلالة يقال هو ابن عمي لحا وهو ابن عمي كلالة[٥].

٤- وهو في معنى السابق أن الكلالة من بعد يقال كلت الرحم إذا بعد من خرج منها[٦].

٥- أن الكلالة من لا ولد له ولا والد ولا أخ[٧].

واستدلوا بما يلي:

بما روى أبو حاتم والأثرم عن أبي عبيدة أنه قال: الكلالة كل من لم يرثه أب أو ابن أو أخ فهو عند العرب كلالة[٨].

ورد عليه أبو عمر ابن عبد البر[٩] قال: ذكر أبو عبيدة الأخ هنا مع الأب والابن في شرط الكلالة غلط لا وجه له، ولم يذكره في شرط الكلالة غيره[١٠].

---

(١) سورة النساء آية:١٢.

(٢) الحاوي الكبير ٩٢/٨.

(٣) الكشف والبيان٢٦٩/٣.

(٤) الكشف والبيان٢٦٩/٣.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤٤٨/١.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤٤٨/١.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤٤٨/١.

(٨) فتح القدير ٤٣٤/١.

(٩) هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها، من أهل قرطبة، من مصنفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار بمذهب علماء الأمصار، والاستيعاب في معرفة أسماء الصحابة، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: وفيات الأعيان٦٦/٧.

(١٠) فتح القدير ٤٣٤/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حاصل الدراسة:

والتحقيق أن المراد بالكلالة عدم الأصول والفروع[١].

قال ابن عاشور:" وسياق الآية يرجح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأن ذكرها بعد ميراث الأولاد والأبوين مُؤذن بأنها حالة مخالفة للحالين"[٢].

والكلالة من ليس له ولد ولا والد، وبيانه عند العامة مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله؛ لأن الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن؛ لأن أباه عبد الله بن حزام قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي ﷺ، فصار شأن جابر بياناً لمراد الآية لنزولها فيه[٣].

وأما القول بأن المراد بالكلالة هي من لا ولد له فلا يخلو من نظر، وكذلك القول بأن المراد بها من عدا الوالد، وقد ضعف القول بهما بعض المفسرين كابن عطية، وأبي حيان، والسمعاني.

قال ابن عطية: "وهذان القولان ضعيفان؛ لأن من بقي والده أو ولده فهو موروث بجزم نسب لا بتكلل، وأجمعت الأمة على أن الأخوة لا يرثون مع ابن ولا مع أب، وعلى هذا مضت الأمصار والأعصار"[٤].

قال السمعاني:" الكلالة: اسم لميت لا ولد له، وورث الأخوة مع الوالد، وهما قولان في شواذ الخلاف"[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح أن المراد بالكلالة: من سوى الوالد والولد، وهو قول الصحابة والعلماء وعليه جمهور المفسرين.

---

(١) أضواء البيان ١/٢٢٨.

(٢) التحرير والتنوير ٤/٢٦٤.

(٣) معالم التنزيل ١/٤٩١.

(٤) المحرر الوجيز ٢/١٨، والبحر المحيط ٣/١٩٦.

(٥) تفسير السمعاني ١/٤٠٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[١].

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٢].

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[٣].

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

(٢) جامع البيان ٢/٢٣١، والتسهيل ١/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢/٣٥٤، وأضواء البيان ١/٣٨٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٨٨.

(٣) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ٥/١٣٢، والكشاف ٤/٢٤٥، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٣/٥٣٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٣٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِى ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (١)

٢٢- مسألة: كان حد الزانيين الأذى لهما، والحبس للمرأة خاصة، فنسخ الحُكمان جميعاً، واختلفوا بماذا وقع نسخهما.

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: نسخ بحديث عبادة بن الصامت-رضي الله عنه-(٢).

القول الثاني: نسخ في حق البكر بقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٍۖ ﴾ (٣)(٤).

القول الثالث: نسخ في حق البكر بقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ﴾ ، وفي حد الثيب بقرآن، رفع رسمه وبقي حكمه (٥).

قال الرسعني:

"كان حكم الزانية في صدر الإسلام أن تُحبس في البيت حتى تموت، وحكم الزاني أن يُؤذى، كما قال ابن عباس رضي الله عنه، فنسخ الحكمان في حقهما.

---

(١) سورة النساء آية: ١٦.

(٢) زاد المسير ١/٣٨٢.

(٣) سورة النور آية: ٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٨٩٦، والناسخ والمنسوخ للنحاس١/٣٠٦.

(٥) تفسير مجاهد١/١٤٩، وتفسير الصنعاني ١/١٥١، وجامع البيان٦/٥٠٤-٥٠٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٨٩٦، والكشف والبيان ٣/٢٧٢، ومعالم التنزيل ١/٤٠٦، والبحر المحيط ٣/٢٠٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/٣٨٤، وروح المعاني ٤/٢٣٥، ومناهل العرفان٢/١٨٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

واختلفوا في الناسخ:

فذهب جماعة من المفسرين إلى أنه نسخ بحديث عبادة بن الصامت،

وهو ما أخبرنا به الشيخان، شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي بدمشق، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن[١] ببغداد، قال كل واحد منهما: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي[٢]، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان الكَرجي[٣]، أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري[٤]، أخبرنا أبو العباس الأصم[٥]، أخبرنا الربيع[٦]، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الوهاب[٧]، عن يونس[٨]، عن الحسن، عن عبادة بن الصامت، أن النبي ﷺ قال:" خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد

(١) هو: محمد بن سعيد بن أبي البقاء الموفق الخازن النيسابوري البغدادي من رواة مسند الشافعي، كان من جلة الصوفية. توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٢٤/٢٣، وشذرات الذهب٥/٢٢٦.

(٢) هو: طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي الرازي، أبو زرعة الشيباني. المحدث، تفرد بالكتب والجزاء. توفي سنة ست وستين وخمسمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٠٣/٢٠، وشذرات الذهب٤/٢١٧.

(٣) هو: مكي بن منصور بن محمد بن علان، أبو الحسن الكرجي، المعروف بالسلار، كان جليل القدر نافذ محبوباً. توفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٧١/١٩، والتقييد ص٤٥١.

(٤) هو: أحمد بن الحسن النيسابوري، أبو بكر الحيري، الشافعي، المحدث الفقيه. توفي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٥٦/١٧، وشذرات الذهب ٢١٧/٣.

(٥) هو: محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل النيسابوري، أبو العباس الورَّاق، المعروف بالأصم، الإمام المحدث مسند العصر رحلة الوقت. توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٥٢/١٥، وتذكرة الحفاظ ٨٦٠/٣.

(٦) هو: الربيع بن سليمان بن عبد الجبار، أبو محمد المرادي، المؤذن بجامع الفسطاط، صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه. توفي سنة سبعين ومائتين. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٣١/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٨٧/١٢.

(٧) هو: عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت الثقفي، أبو محمد البصري، يروي عن يحي بن سعيد الأنصاري وحميد الطويل. توفي سنة أربع وتسعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣٧/٩، والثقات ١٣٢/٧.

(٨) هو: يونس بن عبيد بن دينار العبدي، أبو عبد الله البصري، مولاهم، من صغار التابعين وفضلائهم. توفي سنة تسع وثلاثين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٨٨/٦، والثقات ٦٤٧/٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مائة والرجم"[١].

قال الشافعي[٢]: وقد حدثني الثقة[٣]: أن الحسن كان يُدخل بينه وبين عبادة، حطان الرقاشي[٤]، ولا أدري ادخله عبد الوهاب فزلَّ كتابي أو لا.

قلت: الحديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه[٥]، عن يحيى بن يحيى، عن هشيم، عن منصور، عن الحسن، عن حِطَّان بن عبد الله الرقاشي، عبادة.

وهذا القول ليس بسديد؛ لأن أخبار الآحاد لا تنسخ القرآن الثابت بالتواتر[٦].

وقد اختلفوا في خبر التواتر هل ينسخ القرآن؟

فذهب أكثر الفقهاء من الشافعية والحنابلة وأهل الظاهر إلى امتناع ذلك[٧].

قال الإمام أحمد: لا ينسخ القرآن إلا قرآن يجيء بعده[٨].

وإلى هذا أشار عمر بن الخطاب ﷺ :" لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت"[٩]، وكانت روت عن النبي ﷺ حديثاً يخالف ظاهر القرآن[١٠].

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده ص١٦٤.

(٢) مسند الشافعي ص١٦٤.

(٣) هو: يحيى بن حسان.

(٤) هو: حطان بن عبد الله الرقاشي، بصري تابعي ثقة. انظر: معرفة الثقات ١٨٩/٤، والجرح والتعديل ٣٠٣/٣.

(٥) أخرجه مسلم كتاب الحدود، باب حد الزنا، ح١٦٩٠.

(٦) البرهان للجويني ٨٤٣/٢، التبصرة للشيرازي ص١٤٠.

(٧) انظر: الرسالة للشافعي ص١٠٨، والبرهان للجويني ٨٥١/٢، والأحكام للآمدي٢٠٣/٢، والتبصرة ص٢٦٤، والمحصول للرازي٥١٩/٣، والأحكام لابن حزم ١٢٦/١.

(٨) العدة لأبي يعلى ٧٨٨/٣.

(٩) كنز الوصول إلى معرفة الأصول، للبزدوي ١٦٣/١، التلخيص في أصول الفقه للجويني١١٤/٢. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(١٠) وهو حديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها طلاقاً بائناً، فذهبت إلى النبي ﷺ تطالب زوجها بالنفقة، فقال لها النبي ﷺ :" ليس لكِ عليه نفقة". أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة البائن لا نفقة لها، ح ١٤٨٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وذهب أبو حنيفة ومالك على جواز ذلك[١].

والصحيح: أن حديث عبادة مبيّن للسبيل لا ناسخ.

وقال قوم: المراد بقوله: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾ : البكران، ثم نُسخ بقوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ﴾ [٢] [٣]

والذي يقتضيه البحث الصحيح: ظهور العموم في الثّيب والأبكار، فنُسخ في حق البكر بقوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ ، ونُسخ في حق الثيّب بوحي رفع رسمه، وبقي حكمه.

وإلى هذا أشار عمر بن الخطابﷺ بقوله على المنبر يوم الجمعة مع توافر المهاجرين والأنصار:" إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلُّوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على مَن زنا، إذا أُحصن من الرجال والنساء[٤].

والذي يدُلُّك على أن هذا هو الصحيح، وأن الحبس والأذى كان حكماً للبكر والثيب، قوله عليه السلام:" خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهنَّ سبيلاً..."[٥]، فبيَّن السبيل في حق البكر والثيِّب، فدلَّ على أن الحكم المنسوخ كان متناولاً لهما"[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) اللمع في أصول الفقه للشيرازي ٥٩/١، والفصول في الأصول ٣٢١/٢.

(٢) سورة النور آية:٢.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٣٠٦ وما بعدها، الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص٦٨-٦٩، ونواسخ القرآن لابن ا لجوزي١/١٢٠-١٢٢.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا، ح(٦٨٣٠)، وأخرجه مسلم كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنا، ح١٦٩١.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) رموز الكنوز ٤٥٠/١-٤٥٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الأول: نسخ بحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. وهذا على قول من يرى نسخ القرآن بالسنة[١].

وممن قال به: ابن قدامة[٢].

واستدلوا بما يلي:

قال ابن قدامة: ذكر عقوبتين إحداهما أغلظ من الأخرى فكانت الأغلظ للثيب والأخرى للأبكار كالرجم والجلد ثم نسخ هذا بما روى عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال:" خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم".[٣]

فإن قيل: فكيف ينسخ القرآن بالسنة؟ قلنا: قد ذهب بعض أصحابنا إلى جوازه؛ لأن الكل من عند الله وإن اختلفت طرقه"[٤].

القول الثاني: نسخ في حق البكر بقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[٥].

وممن قال به: سعيد بن جبير، وقتادة، والنحاس[٦].

واستدلوا بما يلي:

عن سعيد بن جبير قوله: ﴿ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ ﴾ يعني: لا تسمعوهما الأذى بعد التوبة أن الله كان تواباً رحيماً، فكان هذا يفعل بالبكر والثيب في أول الإسلام، ثم نزل

---

(١) زاد المسير ١/٣٨٢.

(٢) زاد المسير ١/٣٨٢.

وهو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الأصل ثم الدمشقي الصالحي، شيخ الإسلام، من مصنفاته: المغني، والعمدة والروضة في أصول الفقه. انظر: ذيل طبقات الحنابلة ١/٢٣٩، والمقصد الأرشد٢/١٥.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الحدود، باب حد الزنا، ح١٦٩٠.

(٤) المغني ٩/٣٩.

(٥) النور آية: ٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٨٩٦، والناسخ والمنسوخ للنحاس١/٣٠٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حد الزاني، فصار الحبس والأذى منسوخاً نسخته هذه الآية التي في السورة التي يذكر فيها النور: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ﴾ الآية[١].

أخبرنا أبو جعفر قال حدثنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾ قال: نسختها الحدود[٢].

القول الثالث: نسخ بقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ﴾ [٣] كان قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا ﴾ للبكرين، فنُسخ حكمها بالجلد، ونسخ حكم الثيب بالرجم، بقرآن، رفع رسمه وبقي حكمه [٤]. الذي دلت عليه تلك الآية المنسوخة التلاوة وهي الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة، ودلت عليه السنة أيضاً[٥]،وهو قول الجمهور، وترجيح الرسعني.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وعطاء الخرساني، وأبي صالح، والسدي، والضحاك، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابن زيد[٦].

٢- ابن أبي حاتم، والثعلبي، والبغوي، وأبو حيان، والألوسي، والزرقاني [٧].

واستدلوا بما يلي:

١- حديث العسيف وفيه "واغد يا أنيس إلى امرأة هذا- أي أمر أنيسا الأسلمي

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨٩٦/٣

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس٣٠٦/١.

(٣) سورة النور آية: ٢.

(٤) زاد المسير ٣٨٣/١.

(٥) مناهل العرفان١٨٩/٢.

(٦) تفسير مجاهد١٤٩/١، وتفسير الصنعاني ١٥١/١، والآثار عند ابن جرير جامع البيان٥٠٤/٦-٥٠٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٤/٣.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨٩٦/٣، والكشف والبيان ٢٧٢/٣، ومعالم التنزيل ٤٠٦/١، والبحر المحيط ٢٠٧/٣، وروح المعاني ٢٣٥/٤، ومناهل العرفان١٨٩/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أن يأتي امرأة الآخر- فإن اعترفت فارجمها" فغدا عليها فاعترفت فرجمها [١]

٢- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله تعالى آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، وأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله تعالى؛ فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى في كتابه[٢].

ومن أقوالهم:

١- قال ابن كثير: السبيل الذي جعله الله هو الناسخ؛ لذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحكم لذلك حتى أنزل الله سورة النور، فنسخها بالجلد أو الرجم وهو أمر متفق عليه"[٣].

٢- قال ابن الجوزي: ويمتنع أن يقع النسخ بحديث عبادة، لأنه من أخبار الآحاد، والنسخ لا يجوز بذلك؛ لأن في حديث عبادة ﴿ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ والظاهر: أنه جعل بوحي لم تستقر تلاوته. قال القاضي أبو عبادة: وهذا وجه صحيح، يخرج على قول من لم ينسخ القرآن بالسنة[٤].

٣- قال ابن العربي:" الجلد بالآية والرجم بالحديث نسخ هذا الإيذاء في الرجال لأنه لم يكن ممدودا إلى غاية، وقد حصل التعارض وعلم التاريخ ولم يمكن الجمع، فوجب القضاء بالنسخ، وأما الجلد فقرآن نسخ قرآنا وأما الرجم فخبر متواتر نسخ قرآنا ولا خلاف فيه بين المحققين"[٥].

حاصل الدراسة:

بالنسبة للقول الأول وهو أنها منسوخة بحديث عبادة، فهو قول مرجوح، إما لأن

---

(١) معالم التنزيل ١/٤٠٦. أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على جور، ح(٢٦٩٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٨٤.

(٤) زاد المسير ١/٣٨٣.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٦٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الحديث بيان للآية، أو لأن خبر الآحاد لا ينسخ القرآن، ثم ورد بالخبر المتواتر أن رسول الله ﷺ رجم ولم يجلد. وبهذا قال الرسعني.

قال الشيخ أبو سليمان الخطابي: "إنه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث، وذلك أن الآية تدل على أن إمساكهن في البيوت ممدود إلى غاية أن يجعل الله تعالى لهن سبيلاً، ثم إن ذلك السبيل كان مجملاً فلما قال ﷺ: خذوا عني إلى آخر ما في الحديث، صار ذلك بياناً لما في تلك الآية لا ناسخاً له، وصار مخصصاً لعموم آية الجلد"(١).

وقال ابن قدامة: ومن منع ذلك قال: ليس هذا نسخاً إنما هو تفسير للقرآن وتبيين؛ لأن النسخ رفع حكم ظاهره الإطلاق، فأما إن كان مشروطاً بشروط وزال الشرط، لا يكون نسخاً، وها هنا شرط الله تعالى حبسهن إلى أن يجعل لهن سبيلاً فبينت السنة السبيل فكان بياناً لا نسخاً(٢).

وقال ابن الجوزي: ويمتنع أن يقع النسخ بحديث عبادة، لأنه من أخبار الآحاد، والنسخ لا يجوز بذلك(٣).

وأجمع العلماء على أن هاتين الآيتين (الحبس والتعيير)منسوختان بآية الجلد في سورة النور، عامة في الزناة محصنهم وغير محصنهم وكذلك عممه رسول الله ﷺ في حديث حطان بن عبد الله الرقاشي.

وهذا الحكم المذكور منسوخ، بعضه بالكتاب وبعضه بالسنة. قال الشافعي بعد ذكره هاتين الآيتين: ثم نسخ الله الحبس والأذى في كتابه فقال: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾.

فدلت السنة على أن جلد المائة للزانيين البكرين: لحديث عبادة بن الصامت المتقدم.

ثم قال: فدلت سنة رسول الله ﷺ أن جلد المائة ثابت على البكرين الحرّين،

---

(١) معالم السنن٣/٧٨٦، وروح المعاني٤/٢٣٥.

(٢) المغني ٩/٣٩.

(٣) زاد المسير ١/٣٨٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومنسوخ عن الثيبين. وأن الرجم ثابت على الثيبين الحرين.

ثم قال: لأن قول رسول اللهﷺ: خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم- أوّلُ ما نزل. فنُسخ به الحبس والأذى عن الزانيين.

فلما رجم رسول اللهﷺ ماعزاً[١] ولم يجلده، وأمر أُنيساً أن يغدوا على امرأة الأسلميّ، فإن اعترفت رجمها – دل على نسخ الجلد عن الزانيين الحرين الثيبين. وثبت الرجم عليهما. وهذا من السنة المتواترة التي تنسخ القرآن وهذا الذي عليه الأئمة [٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن حديث عبادة مبين وليس ناسخ للآية.

وظهور العموم في الثيب والبكر فنسخ في حق البكر بآية النور، وفي حق الثيب الرجم بلا جلد، وهذا قول جماعة من العلماء، ويروى عن عمر بن الخطابﷺ، وهو قول الزهري، والنخعي، ومالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، ولفعل النبي ﷺ في ماعز والغامدية، وبقوله عليه السلام لأنيس:" أغد على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها" ولم يذكر الجلد[٣].

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه[٤].

قاعدة: كل حكم ورد في خطاب مشعرٍ بالتوقيت، أو رُبط بغاية مجهولة، ثم انقضى بانقضائها، فليس بنسخ[٥].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، ح(١٦٩١).

(٢) الرسالة للشافعي ص٢٤٦-٢٥١، والمحرر الوجيز ٢٣/٢، ومحاسن التأويل٥/١١٥٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن٥/٨٧.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢٠٠/١، والإحكام ٤٨٤/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦، وفتح القدير ٨٦/٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٧١/١.

(٥) المسودة ص٢١٩، والإتقان ٦١/٣، وقواعد التفسير للسبت ٧٤١/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ (١)

٢٣- مسألة: ما المقصود بالسيئات؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الشرك(٢).

القول الثاني: النفاق(٣).

القول الثالث: سيئات المسلمين(٤).

قال الرسعني:

"قوله: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ قال ابن عباسﷺ: يريد: الشرك(٥).

وقال أبو العالية(٦) وسعيد بن جبير: النفاق(٧).

والأظهر في نظري: أنها سيئات المسلمين، لأن الكلام في الزانيين والإعراض

---

(١) سورة النساء آية: ١٨.

(٢) تفسير مقاتل ٢٢١/١، والناسخ والمنسوخ للقاسم ابن سلام ص٢٦٢، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩٠٠/٣ (٥٠١٦)، وتفسير ابن زمنين ٣٥٥/١، وزاد المسير ٣٨٤/١.

(٣) جامع البيان ٥١٨/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩٠٠/٣ (٥٠١٥)، والنكت والعيون ٤٦٤/١، وزاد المسير ٣٨٤/١، والجامع لأحكام القرآن٥/٩٣، وفتح القدير ٤٣٩/١.

(٤) جامع البيان ٥١٩/٦، والكشف والبيان ٢٧٤/٣، والنكت والعيون ٤٦٤/١، ومعالم التنزيل٤٩٧/١، وتفسير العز بن عبد السلام٣١٠/١، والبحر المحيط٢١١/٣، واللباب في علوم الكتاب٢٥٣/٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٩٠١/٣، والوسيط٢٧/٢، وزاد المسير ٣٨٤/١.

(٦) هو: رُفيع بن مهران، أبو العالية الرِّياحي البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، من كبار التابعين. توفي سنة تسعين. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠٧/٤، والإصابة٥١٤/٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٩٠٠/٣، وزاد المسير ٣٨٤/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عنهما. وهو قول سفيان الثوري[١]، واحتج بقوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ ﴾" [٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الشرك[٣].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وعكرمة، وسفيان الثوري، ومقاتل، وابن أبي زمنين[٤].

القول الثاني: أنها النفاق.

وممن قال به:

١- أبو العالية، وسعيد بن جبير، والربيع بن أنس، وسفيان الثوري[٥].

٢- الشوكاني[٦].

واستدلوا بما يلي:

بما ذهب إليه أبو العالية الرياحي وسفيان الثوري: إلى أن قوله: ﴿ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ في حق المنافقين، واختاره المروزي[٧]. قال: فرق بالعطف، ودل على أنَّ المراد بالأول المنافقون. كما فرق بينهم في قوله: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا

(١) أخرجه الطبري٦/٥١٨، وزاد المسير١/٣٨٤.

(٢) رموز الكنوز ١/٤٥٦.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم٣/٩٠٠، وزاد المسير١/٣٨٤.

(٤) تفسير مقاتل ١/٢٢١، والناسخ والمنسوخ للقاسم ابن سلام ص٢٦٢، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٩٠٠ (٥٠١٦)، وتفسير ابن زمنين ١/٣٥٥، والبسيط٦/٣٩١، وزاد المسير ١/٣٨٤.

(٥) جامع البيان ٦/٥١٨، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٩٠٠ (٥٠١٥)، والنكت والعيون ١/٤٦٤، والبسيط٦/٣٩١، وزاد المسير ١/٣٨٤، والجامع لأحكام القرآن٥/٩٣.

(٦) فتح القدير ١/٤٣٩.

(٧) هو: محمد بن عبد العزيز، أبو عمرو المروزي ، توفي سنة٢٤١هـ. انظر: الكاشف ٢/١٩٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[١] ؛ لأن المنافق كان مخالفاً للكافر بظاهره في الدنيا[٢].

القول الثالث: أنها سيئات المسلمين. وهو قول الجمهور[٣]وترجيح الرسعني.

وممن قال به:

١- سفيان الثوري[٤].

٢- الطبري، والثعلبي، والماوردي، والبغوي، والعز بن عبد السلام، وأبو حيان، وابن عادل، وابن عثيمين[٥].

واستدلوا بما يلي:

١- احتجوا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ ﴾[٦]

٢- أنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٧]فحرم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته، فلم يؤيسهم من المغفرة[٨].

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، ما ذكره الثوري أنه بلغه أنه في الإسلام، وذلك أن المنافقين كفار فلو كان معنياً به أهل النفاق لم يكن لقوله: ﴿

---

(١) سورة الحديد آية:١٥.

(٢) البحر المحيط ٣/٢١١.

(٣) النكت والعيون ١/٤٦٤، وتفسير العز بن عبد السلام ١/٣١٠.

(٤) زاد المسير ١/٣٨٤.

(٥) جامع البيان ٦/٥١٩، والكشف والبيان ٣/٢٧٤، والنكت والعيون ١/٤٦٤، ومعالم التنزيل١/٤٩٧، وتفسير العز بن عبد السلام١/٣١٠، والبحر المحيط٣/٢١١، واللباب في علوم الكتاب٦/٢٥٣، وتفسير القرآن الكريم (سورة النساء) ١/١٤١.

(٦) زاد المسير ١/٣٨٤.

(٧) سورة النساء آية: ١١٦.

(٨) جامع البيان ٦/٥١٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ ﴾ معنى مفهوم؛ لأنهم إن كانوا هم والذين قبلهم في معنى واحد من أن جميعهم كفار، فلا وجه لتفريق أحد منهم في المعنى الذي من أجله بطل أن تكون توبة واحد مقبولة. وفي تفرقة الله جل ثناؤه بين أسمائهم وصفاتهم بأن سمى أحد الصنفين كافراً، ووصف الصنف الآخر بأنهم أهل سيئات، ولم يسمهم كفاراً ما دل على افتراق معانيهم. وفي صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا وفساد ما خالفه[١].

٢- قال أبو حيان: والذي يظهر أنها في عصاة المؤمنين الذين يتوبون حال اليأس من الحياة؛ لأن المنافقين مندرجون في قوله: ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ ﴾ فهم قسم من الكفار لا قسيم لهم[٢].

١- قال البراك[٣]:" والصواب عموم السيئات للشرك فما دونه، وهذا هو الأظهر؛ لأن السيئات تشمل جميع المعاصي، الشرك وما دونه"[٤].

حاصل الدراسة:

قال الرازي:" تعلقت الوعيدية بهذه الآية على صحة مذهبهم من وجهين: الأول: قالوا إنه تعالى قال: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ ﴾ فعطف الذين يعملون السيئات على الذين يموتون وهم كفار، والمعطوف مغاير للمعطوف عليه، فثبت أن الطائفة الأولى ليسوا من الكفار، ثم إنه تعالى قال في حق الكل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ فهذا يقتضي شمول هذا الوعيد للكفار والفساق.

الثاني: أنه تعالى أخبر أنه لا توبة لهم عند المعاينة، فلو كان يغفر لهم مع ترك

(١) جامع البيان ٥١٩/٦.

(٢) البحر المحيط ٢١١/٣.

(٣) محمد بن صالح البراك، محقق سورة آل عمران والنساء من رموز الكنوز.

(٤) رموز الكنوز ص٤١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التوبة، لم يكن لهذا الإعلام معنى[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها سيئات المسلمين. وهو قول الجمهور، وترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى[٢].

القاعدة: حمل ألفاظ الوحي على التباين أرجح من حملها على الترادف[٣].

(١) مفاتيح الغيب ٨/١٠.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٢٣٢/١، وفتح القدير ٤٧/٢، وروح المعاني ١٥٥/٣، وأضواء البيان ٥٥١/٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٤٧٣/٢.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٤١/١٣، والبرهان في علوم القرآن ٧٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٤٨١/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

٢٤- مسألة: ما المراد بالمحصنات؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ذوات الأزواج(٢).

القول الثاني: العفائف(٣).

القول الثالث: الحرائر (٤).

قال الرسعني:

"أصل الإحصان: المنع، ومنه: الحصن، والحصان، ويطلق على ذوات الزواج، والعفائف، والحرائر، وكل ذلك مذكور في تفسير" المحصنات" هاهنا.

فإن كان المراد: ذوات الأزواج – **وهو الأظهر في التأويل** لما ذكرناه من سبب

(١) سورة النساء آية: ٢٤.

(٢) أحكام القرآن للشافعي ٣١١/١، ومعاني القرآن للفراء ٢٦٠/١، ومعاني القرآن للنحاس ٥٦/٢، وأحكام القرآن للجصاص ٧٥/٣، وتفسير ابن أبي زمنين ٣٥٩/١، وبحر العلوم ٣١٨/١، والوجيز ٢٥٩/١، وتفسير السمعاني ٤١٤/١، ومعالم التنزيل ٥٠٤/١، والكشاف ٥٢٩/١، ومفاتيح الغيب ٣٣/١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٢٠/٥، والبحر المحيط ٢٢٢/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٤/٣، وتفسير الجلالين ١٠٤/١، وإرشاد العقل السليم ١٦٣/٢، وفتح القدير ٤٤٨/١، وروح المعاني ٢/٥، وأضواء البيان ٢٣٢/١.

(٣) تفسير الصنعاني ١٥٣/١، وجامع البيان ٥٦٩،٥٧٣/٦، وزاد المسير ٣٩١/١.

(٤) جامع البيان ٥٧٣/٦، وزاد المسير ٣٩١/١، وأضواء البيان ٢٣٣/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التنزيل- فيكون المعنى: وحرمت عليكم المحصنات إلا ما ملكت أيمانكم من السبايا[١] في الحروب فإنهن بعد الوضع إن كنّ حوامل، أو بعد الإستبراء إن كن حوائل، وإن لم يُطلَّقن لاختلاف الدار، وإلى هذا المعنى نظر الفرزدق في قوله:

وذاتُ حَليلٍ أنكحتها رِمَاحُنا حلالٌ لَمِن يبني بها لم تُطلّق[٢]

فإن اشترى أَمَة محصنة بزوج، ففي انقطاع النكاح بذلك اختلافٌ بين الصحابة. والصحيح المشهور: أنه لا ينقطع.

وإن كان المراد: العفائف، فالمعنى: هنّ حرام عليكم إلا ما ملكت أيمانكم منهن بالنكاح أو غيره.

وإن كان المراد: الحرائر، فالمعنى: وحُرِّمت عليكم الحرائر بعد الأربع إلا ما ملكت أيمانكم فإنهن غير محصورات بعدد"[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ذوات الأزواج.

وممن قال به:

١- ابن عباس، وأبو سعيد الخدري[٤]ﷺ، وسعيد بن المسيب، وابن جبير[٥]،

(١) السبايا: جمع سبية، وهي المرأة المنهوبة. النهاية لابن الأثير ٢/٣٤٠ مادة (سبا).

(٢) محاضرات الأدباء١/٥٦٣، والبحر المحيط ٣/٢٢٢.

(٣) رموز الكنوز ١/٤٧٣.

(٤) هو: الإمام المجاهد مفتي المدينة، سعد بن مالك بن سنان ابن عبد بن ثعلبة بن عبيد بن خُدرة الخدري، بايع تحت الشجرة وشهد ما بعد أحد، وكان من علماء الصحابة، مات سنة ٧٤هـ. انظر: التاريخ الكبير ٤/٤٤، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/١٣٥.

(٥) هو: سعيد بن جبير الوالبي، مولاهم الكوفي المقرئ الفقيه أحد الأعلام، قال ميمون بن مهران: مات سعيد وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج على علمه، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ،وعمره ٤٩ سنة على الشهر. انظر: تذكرة الحفاظ ١/٧٦، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/١٣٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والنخعي[١]، وأبو قلابة[٢]، والحسن، ومكحول[٣]، والزهري، وابن زيد[٤]، وابن قتيبة[٥]، والزجاج[٦].

٢- الشافعي، والفراء، والنحاس، والجصاص[٧]، وابن أبي زمنين، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، وابن كثير، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، والشنقيطي[٨].

واستدلوا بما يلي:

١- بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى

(١) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن السود النخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه، ولد سنة ٤٧هـ بعد موت الحجاج بأربعة أشهر، وكانت أمه مليكة بنت قيس أخت علقمة بن قيس، مات سنة ٩٦هـ. انظر: الثقات ٨/٤، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٣/١.

(٢) هو: عبد الله بن زيد، أبو قلابة الجرمي، من أئمة التابعين حديثه في الصحاح، والنسائي، هرب من القضاء، توفي ١٠٤ وقيل: ١٠٧ للهجرة. انظر: صفوة الصفوة ٢٣٨/٣، والكاشف ٥٥٤/١.

(٣) هو: مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله الشافي، فارسي الأصل، فقيه الشام في عصره ومحدثها، توفي سنة ١١٢هـ. انظر: حلية الأولياء١٧٧/٥، وسير أعلام النبلاء ١٥٥/٥.

(٤) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري العَدَوِيّ مولاهم، المدني، كان صاحب قرآن وتفسير، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٨، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص١١.

(٥) هو: أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدَّينورِي، عالم فقيه وأديب وناقد ولغوي موسوعيُّ المعرفة، ويعد من أعلام القرن الثالث للهجرة، مات سنة ٢٧٦هـ. انظر: لسان الميزان ٣٥٧/٣، والأعلام ١٣٧/٤.

(٦) جامع البيان ٥٦٢/٦، ومعاني القرآن للزجاج ٣٥/٢، وزاد المسير ٣٩١/١، والبحر المحيط ٢٢٢/٣، وفتح القدير ٤٤٨/١.

(٧) هو: أحمد بن علي الرازي الجصاص، أبو بكر الحنفي، انتهت إليه رئاسة مذهب أبي حنيفة في بغداد، توفي سنة ٣٧٠هـ. انظر: تاريخ بغداد ٣١٤/٤، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٨٤.

(٨) أحكام القرآن للشافعي ٣١١/١، ومعاني القرآن للفراء ٢٦٠/١، ومعاني القرآن للنحاس ٥٦/٢، وأحكام القرآن للجصاص ٧٥/٣، وتفسير ابن أبي زمنين ٣٥٩/١، وبحر العلوم ٣١٨/١، والوجيز ٢٥٩/١، وتفسير السمعاني ٤١٤/١، ومعالم التنزيل ٥٠٤/١، والكشاف ٥٢٩/١، ومفاتيح الغيب٣٣/١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٢٠/٥، والبحر المحيط ٢٢٢/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٢٤/٣، وتفسير الجلالين١٠٤/١، وإرشاد العقل السليم١٦٣/٢، وفتح القدير ٤٤٨/١، وروح المعاني ٢/٥، وأضواء البيان ٢٣٢/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ الآية[١] أي: فإذا تزوجن..

٢- بما صحّ في سبب نزولها: " أن رسول الله ﷺ سبى أهل أوطاس[٢]، قيل له: يا رسول الله؛ كيف نقع على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن؟ فنزلت هذه الآية، ونادى منادي رسول الله: ألا لا توطأ حامل حتى تضع، ولا حائل حتى تُستبرأ بحيضة"[٣].

٣- قول الفرزدق:

وذات حليل أنكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق [٤]

ومن أقوالهم:

١- قال الشوكاني: ومعنى الآية والله أعلم، واضح لا سترة به، أي: وحرمت عليكم المحصنات من النساء، أي: المزوجات أعم من أن يكن مسلمات، أو كافرات إلا ما ملكت أيمانكم منهن أما بسبي فإنها تحل، ولو كانت ذات زوج أو بشراء فإنها تحل ولو كانت مزوجة وينفسخ النكاح الذي كان عليها بخروجها عن ملك سيدها الذي زوجها- يدل عليه-... سبب نزول الآية، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٥].

٢- قال الشنقيطي:"وحرمت عليكم المتزوجات؛ لأن ذات الزوج لا تحل لغيره إلا ما ملكت أيمانكم بالسبي من الكفار، فإن السبي يرفع حكم الزوجية الأولى في الكفر، وهذا القول هو الصحيح، وهو الذي يدل على القرآن لصحته[٦].

القول الثاني: العفائف، فإنهم حرامٌ على الرجال إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين.

ومعنى الآية: والعفائف من النساء حرام أيضاً عليكم، إلا ما ملكت أيمانكم، أي:

---

(١) سورة النساء آية: ٢٥.

(٢) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين بين مكة والطائف. انظر: معجم البلدان ٢٨١/١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب جواز وطء المسبية، ح(١٤٥٦. والنسائي في الكبرى ٣٢١/٦.

(٤) أضواء البيان ٢٣٣/١.

(٥) فتح القدير ٤٤٨/١.

(٦) أضواء البيان ٢٣٣/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تملكون عصمتهن بالنكاح، وتملكون الرقبة بالشراء[١].

وممن قال به:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، وأبي العالية، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعبيدة السلماني، والسدي[٢].

واستدلوا بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ ﴾ [٣]

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [٤]، أي: غافلات عن الزنا، ولم يطرأ لهن على بال، فهن عفيفات.

٣- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [٥] أي: أعفته.

القول الثالث: الحرائر، أي: أنهن حرامٌ بعد الأربع اللواتي ذُكرن في أول السورة. وأحل لكم ما ملكت أيمانكم من الإماء وعليه فالاستثناء منقطع[٦].

وممن قال به: ابن عباس رضي الله عنهما في رواية، وعبيدة، وعزرة[٧].

واستدلوا بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ

---

(١) فتح القدير ١/٤٤٨.

(٢) تفسير الصنعاني ١/١٥٣، وجامع البيان٦/٥٧٣،٥٦٩، وزاد المسير١/٣٩١.

(٣) سورة النساء آية: ٢٥.

(٤) سورة النور آية: ٢٣.

(٥) سورة الأنبياء آية: ٩١.

(٦) أضواء البيان ١/٢٣٣

(٧) جامع البيان ٦/٥٧٣، وزاد المسير ١/٣٩١.

هو: عروة ويقال عزرة بن سعيد الأنصاري، عن أبي وعنه سعيد بن عثمان، مجهول من السادسة. انظر: الكاشف٢/١٩، وتقريب التهذيب ١/٣٨٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ [١]، فالمحصنات غير مملوكات، فهن حرائر.

ومن الأقوال التي ذكرها العلماء

١- قال بعض المفسرين: المراد بالمحصنات هنا أعم من العفائف، والحرائر، والمتزوجات، أي: حرمت عليكم جميع النساء إلا ما ملكت أيمانكم بعقد صحيح، أو ملك شرعي بالرق.

فمعنى الآية على هذا القول: تحريم النساء كلهن إلا بنكاح صحيح أو تسر شرعي[٢].

وممن قال به:

١- سعيد بن جبير، وعطاء، والسدي، وحكي عن بعض الصحابة. واختاره مالك في الموطأ[٣].

٢- الطبري، وابن العربي[٤].

واستدلوا بما يلي:

١- أن رجلاً قال لسعيد بن جبير: أما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية فلم يقل فيها شيئاً، فقال: كان ابن عباس لا يعلمها[٥].

٢- عن مجاهد أنه قال: لو أعلم من يفسر لي هذه الآية لضربت إليه أكباد الإبل انتهى[٦].

٣- أن لفظ (المحصنات) تدل لغةً على الامتناع، وهو صالحٌ في جميع المعاني

---

(١) سورة النساء آية: ٢٥.

(٢) روح المعاني ٢/٥.

(٣) روح المعاني ٢/٥.

(٤) جامع البيان٥٧٦/٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٨٩/١.

(٥) جامع البيان ٥٧٦/٦.

(٦) جامع البيان ٥٧٦/٦، وفتح القدير ٤٤٨/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المتقدمة، فلا يخص معنىً دون آخر بغير دليل[١]. والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٢].

وأعله الشنقيطي؛ لأن هذا القول فيه حمل ملك اليمين على ما يشمل ملك النكاح، وملك اليمين لم يرد في القرآن إلا بمعنى الملك بالرق كقوله: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِۚ [٣]﴾[٤].

حاصل الدراسة:

لفظ المحصنات أطلق في القرآن ثلاثة اطلاقات:

الأول: أن يراد بالإحصان التزوج ومنه على التحقيق قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَـٰحِشَةٖ ﴾ الآية أي: فإذا تزوجن. وهو قول جمهور المفسرين.

فمعنى المحصنات هنا: المتزوجات اللاتي يسبين في الجهاد في قتال الكفار، فإذا سبين في الجهاد صرن ملكاً للسابي، وحينئذ تحل له.

الثاني: المحصنات العفائف، ومنه قوله تعالى: ﴿ مُحۡصَنَـٰتٍ غَيۡرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ ﴾ أي: عفائف غير زانيات. ولم يرجح هذا القول أحد من المفسرين.

الثالث: المحصنات الحرائر، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَـٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ﴾ أي: على الإماء نصف ما على الحرائر من الجلد.

وهذا الوجه غير ظاهر من معنى الآية؛ لأن المعنى عليه: وحرمت عليكم الحرائر إلا ما ملكت أيمانكم. هذا القول مردود لفظاً ومعنى عند ابن القيم[٥].

وأيضاً: مما يرجح القول أنها في المتزوجات، أن التفسير به لم يلجئنا إلى تقدير

---

(١) جامع البيان٦/٥٧٨.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٤٥.

(٣) سورة النساء آية:٢٥.

(٤) أضواء البيان ١/٢٣٣.

(٥) بدائع الفوائد٣/٥٨٠، وأضواء البيان ١/٢٣٣، وتفسير القرآن العظيم (سورة النساء) لابن عثيمين١/١٩٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

محذوف فقوله: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ معطوف على قوله: ﴿ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ أي: وحرم عليه نكاح المحصنات كما حرم عليكم نكاح أمهاتكم، وهي بهذا لا يمكن أن تنصرف إلا إلى المتزوجات، إذا لا يحرم نكاح العفيفات ولا الأحرار.

ولذلك اضطر القائلون بهما إلى تقدير محذوف فقالوا: وحرم عليكم العفائف أو الأحرار إلا بنكاح صحيح.

المناقشة والترجيح:

الراجح أنها المتزوجات، فهو قول الصحابة والمفسرين؛ لصحة وصراحة ما استدلوا به من سبب النزول. وقد أجمع القراء على القراءة في (المحصنات) بفتح الصاد في هذا الآية؛ لأن معناها اللاتي أحُصن بالأزواج. وهو ترجيح الرسعني

القاعدة: معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة[١].

القاعدة: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير[٢].

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٣].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٤].

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٠٤.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٤١.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/٣٦١-٣٦٢، والتسهيل ١/٩، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح المفسرين ١/٢٧١.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ١٣-٢٠٧/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

٢٥- مسألة: قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ هل الآية محكمة أو منسوخة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أن الآية نزلت في المتعة(٢)، وإباحتها، لا في عقد النكاح ثم نسخت(٣).

القول الثاني: أن الآية محكمة، والمراد النكاح بعينه، وأن الاستمتاع في النكاح بالمهور(٤).

قال الرسعني:

" قد ذهب جماعة إلى أن هذه الآية نزلت في المتعة وإباحتها ثم نُسِخت بعد(٥).

والصحيح: أنها محكمة، وأن المتعة إنما أبيحت بالسُّنَّة، ثم نُسِخت بالسُّنة،

---

(١) سورة النساء آية:٢٤.

(٢) هو نكاح المتعة وهو أن تنكح امرأة إلى مدة فإذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق، ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث. لسان العرب ٣٢٨/٨ مادة(متع).

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ٧١/١، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ٣٣/١، ومفاتيح الغيب ٤١/١٠، وناسخ القرآن ومنسوخة لابن البارزي ٣٠/١، والتسهيل ١٣٧/١، واللباب في علوم الكتاب ٣٠٩/٦، والناسخ والمنسوخ للكرمي ٨٩/١.

(٤) معالم التنزيل ٥٠٥/١، والمحرر الوجيز ٣٦/٢، ونواسخ القرآن ١٢٤/١، وزاد المسير ٣٩٢/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٨/٣.

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣٢٥/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١٢٤/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والأحاديث الناسخة لإباحتها مخرجة في الصحيحين[١].

وقد روي أن ابن عباسﷺ: كان يفتي بإباحتها، ويقرأ: "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى"، فرجع عن ذلك عند موته، وقال: اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة، وقولي في الصرف[٢].[٣]

دراسة الأقوال في المسألة:

المتعة عند العرب اسم لكل شيء استمتع به لا يخص به شيء دون آخر ثم نقلت عن ذلك واستعملت في الشريعة على ضربين:

أحدهما: في المتعة التي كانت مباحة في أول الإسلام، ثم نهي عنها ونسخت.

والثاني: ما تمتع به المرأة من مهرها كقوله تعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾[٤] ولأجل هذا الذي ذكرناه وقع الخلاف في قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾[٥]

القول الأول: أن الآية نزلت في المتعة وإباحتها، لا في عقد النكاح، ثم نسخت.

وممن قال به:

١- روي عن علي، وابن عباس، وعائشة، وابن مسعودﷺ، وسعيد بن جبير،

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب نهي النبي ﷺ عن نكاح المتعة أخيراً، ح(٤٨٢٥)، وأخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، ح١٤٠٧.

(٢) أما رجوعه عن المتعة؛ فرواه الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم نكاح المتعة،ح(١١٢٢)، وأما رجوعه عن الصرف؛ فرواه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب من قال لا ربا إلا في النسيئة، ح(٢٢٥٨).

(٣) رموز الكنوز ١/٤٧٥.

(٤) سورة البقرة آية :٢٣٦.

(٥) الإنصاف للبطليوسي ١/١٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومجاهد، والقاسم بن محمد[١]، والسدي[٢].

١- ابن سلامة المقري، وابن حزم، والرازي، وابن البارزي[٣]، والكلبي، وابن عادل، والكرمي[٤].

واستدلوا بما يلي:

١- بما رُوي عن النبي ﷺ أنه: نهى عن متعة النساء، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل الحمر الإنسية[٥].

٢- عن سبرة الجهني[٦] أنه كان مع رسول الله ﷺ ، فقال:" يأيها الناس! إني قد كنت أذنتُ لكم في الاستمتاع من النساء. وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة. فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله. ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً".[٧]

٣- قراءة ابن عباس، وأبي بن كعب رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، والسدي: (فما

---

(١) هو: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي ثقة أحد الفقهاء بالمدينة قال أيوب ما رأيت أفضل منه من كبار الثالثة توفي سنة ست ومائة على الصحيح. انظر: الكاشف ١٣١/٢، وحلية الأولياء ١٨٣/٢.

(٢) جامع البيان ٥٨٦/٦، والمحرر الوجيز ٣٦/٢، واللباب في علوم الكتاب٣٠٩/٦، والجامع لأحكام القرآن ١٣٠/٥.

(٣) هو: هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم، شرف الدين، أبو القاسم بن قاضي القضاة نجم الدين بن القاضي شمس الدين المعروف بابن البارزي الحموي، قاضي حماة صاحب التصانيف الكثيرة، توفي سنة ٧٣٨هـ. انظر: الوفيات ٢٥٨/٢، وطبقات الشافعية لابن شهبة ٢٩٨/٢.

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة٧١/١، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ٣٣/١، ومفاتيح الغيب٤١/١٠، وناسخ القرآن ومنسوخة لابن البارزي٣٠/١، والتسهيل ١٣٧/١، واللباب في علوم الكتاب ٣٠٩/٦، والناسخ والمنسوخ للكرمي ٨٩/١.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب نهي النبي ﷺ عن نكاح المتعة أخيراً، أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة،ح(١٤٠٧).

(٦) هو: سبرة بن معبد الجهني، كنيته أبو ثرية، له صحبة نزل ذا المروة ، عنه ابنه الربيع. انظر: الثقات ١٧٦/٣، والكاشف ٤٢٦/١.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب النهي عن نكاح المتعة،ح(١٤٠٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)، وهذا يدل على أن الآية في نكاح المتعة[١].

٤- عن ابن عباسﷺ في قوله: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ قال: نسختها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [٢] [٣]

القول الثاني: أن الآية محكمة، والمراد النكاح بعينة، وأن الاستمتاع في النكاح بالمهور. وهو ترجيح الرسعني، وقول الجمهور.

والله عز وجل ما أحل المتعة قط في كتابه[٤]،إنما أحلت المتعة بالسنة ونسخت بالسنة، من حديث سلمة بن الأكوع[٥].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، والحسن، وابن زيد[٦].

٢- البغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، وابن كثير[٧].

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري: "وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوَّله: فما نكحتموه منهنّ فجامعتُموهن، فآتوهنّ أجورهن. لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح، على لسان رسوله ﷺ"[٨].

٢- قال ابن الجوزي ، رداً على القول بأنها منسوخة:" وهذا تكلف لا يحتاج

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٦١/٢، وأضواء البيان ٢٣٦/١.

(٢) سورة الطلاق آية:١.

(٣) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام ١٢٤/١.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣٢٥/١.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة،ح (١٤٠٥).

(٦) جامع البيان ٥٨٥/٦، وزاد المسير ٣٩٢/١.

(٧) معالم التنزيل ٥٠٥/١، والمحرر الوجيز ٣٦/٢، ونواسخ القرآن ١٢٤/١، وزاد المسير ٣٩٢/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٨/٣.

(٨) جامع البيان ٥٨٩/٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إليه؛ لأن النبي ﷺ أجاز المتعة، ثم منع منها، فكان قوله منسوخاً بقوله. وأما الآية، فإنها لم تتضمن جواز المتعة؛ لأنه تعالى قال فيها: ﴿ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ فدل ذلك على النكاح الصحيح"(١).

٣- قال ابن كثير: "وقال مجاهد نزلت في نكاح المتعة، ولكن الجمهور على خلاف ذلك، والعمدة ما ثبت في الصحيحين(٢) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،... وعن سبرة "(٣).

٤- قال ابن عاشور:" ونحن نرى أن هذه الآية بمعزلٍ عن أن تكون نازلة في نكاح المتعة، وليس سياقها سامحاً بذلك "(٤).

٥- قال الشنقيطي:" قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ يعني: كما أنكم تستمتعون بالمنكوحات فأعطوهن مهورهن في مقابلة ذلك، وهذا المعنى تدل له آيات من كتاب الله ... فالآية في عقد النكاح لا في نكاح المتعة، كما قال به من لا يعلم معناها"(٥).

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن المتعة جائزة، واستدلوا بما يلي:

- عن عمران بن الحصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى، ولم ينزل بعدها آية تنسخها وأمرنا بها رسول الله ﷺ وتمتعنا بها، ومات ولم ينهنا عنه، ثم قال رجل برأيه ما شاء(٦).

---

(١) زاد المسير ٣٩٢/١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر،خ(٤٢١٦)، ومسلم، كتاب النكاح، باب النهي عن نكاح المتعة،ح(١٤٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٨/٣.

(٤) التحرير والتنوير ١١/٥.

(٥) أضواء البيان ٢٣٦/١.

(٦) البسيط ٤٤٦/٦، ومفاتيح الغيب ٤١/١٠، واللباب في علوم الكتاب ٣٠٩/٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- وعن ابن عباسﷺ ثلاث روايات:

إحداها: القول بالإباحة المطلقة، قال عمارة: سألت ابن عباسﷺ عن المتعة: أسفاح هي أم نكاح؟ قال: لا سفاح ولا نكاح، قلت: فما هي؟ قال: هي متعة كما قال تعالى، قلت: هل لها عدة ؟ قال: نعم عدتها حيضة، قلت: هل يتوارثان ؟ قال: لا.

الرواية الثانية عنه: أن الناس لما ذكروا الأشعار في فتيا ابن عباس في المتعة، قال ابن عباسﷺ: قاتلهم الله إني ما أفتيت بإباحتها على الإطلاق، لكني قلت: إنها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له.

الرواية الثالثة: أنه أقر بأنها صارت منسوخة. روى عطاء الخرساني عن ابن عباسﷺ في قوله: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ قال: صارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [١][٢].

حاصل الدراسة:

المراد بالاستمتاع في الآية: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ هو الاستمتاع في النكاح بالمهور، وعليه فالآية في عقد النكاح لا في نكاح المتعة، فهي محكمة، كما عليه جمهور المفسرين، وهو ترجيح الرسعني.

ويدل عليه ظاهر السياق القرآني؛ فإن الله تعالى ذكر المحرمات التي لا يجوز نكاحها بقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ [٣]، ثم بين أن غير تلك المحرمات حلال بالنكاح بقوله: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ﴾ [٤]، ثم بين أن من نكحتم منهن، واستمتعتم بها يلزمكم أن تعطوها

(١) سورة الطلاق آية:١.

(٢) مفاتيح الغيب ١٠/٤١.

(٣) سورة النساء آية: ٢٣.

(٤) سورة النساء آية:٢٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مهرها، مرتباً لذلك بالفاء على النكاح بقوله: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ [١].

قال الزجاج:" ومعنى قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ فما نكحتموهن على الشريطة التي جرت، وهو قوله: ﴿ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ أي: عاقدين التزويج ﴿ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: مهورهن. والمتاع في اللغة كل ما انتفع به، فهو متاع. وقوله عز وجل، في غير هذا الموضع: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾ [٢] ليس بمعنى زوجُوهُن المتع، إنما المعنى أعطوهن ما يستمتعن به. ومن ذهب في الآية على غير هذا، فقد أخطأ، وجهل اللغة[٣].

والجواب أن الآية في نكاح المتعة على قراءة ابن عباس وأبي بن كعبﷺ وسعيد بن جبير والسدي: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ إلى أجل مسمى، من أربعة أوجه:

الأول: أن قولهم: (إلى أجل مسمى) لم يثبت قرءاناً؛ لإجماع الصحابة على عدم كتبه في المصاحف العثمانية.

الثاني: أن جمهور العلماء على خلافه؛ ولأن الأحاديث الصحيحة الصريحة قاطعة بكثرة بتحريم نكاح المتعة.

الثالث: أنا لو سلمنا تسليماً جدلياً أن الآية تدل على إباحة نكاح المتعة؛ فإن إباحتها منسوخة كما صح نسخ ذلك في الأحاديث المتفق عليها عنه ﷺ.

الرابع : أنه تعالى صرح بأنه يجب حفظ الفرج عن غير الزوجة والسرية في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ [٤] في الموضعين ثم صرح بأن المبتغى وراء ذلك من العادين بقوله: ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾

(١) معاني القرآن للنحاس ٦١/٢، والإنصاف للبطليوسي ١٥٣/١.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه٣٨/٢، وأحكام القرآن للجصاص ٩٧/٣.

(٤) سورة المؤمنون آية:٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الآية[١] .

ومعلوم أن المستمتع بها ليست مملوكة ولا زوجة فمبتغيها إذن من العادين بنص القرآن، كما هو ظاهر في هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ ﴾[٢] فمن ثم بين أن غير تلك المحرمات حلال بالنكاح بقوله: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ ، ثم بين أن من نكحتم منهن، واستمتعتم بها يلزمكم أن تعطوها مهرها مرتباً؛ لذلك بالفاء على النكاح بقوله: ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ ﴾ كما بيناه واضحاً والعلم عند الله تعالى"[٣].

المناقشة والترجيح:

القول بأن الآية في نكاح المتعة لا يظهر، وهو بعيد عن ظاهر الآية. والراجح أنها محكمة، وأنها في النكاح لشرعي المؤبد. لما ورد في الصحيحين، وتشهد له آيات من القرآن، وإجماع الصحابة والمفسرين.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٤].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٥].

---

(١) سورة المؤمنون آية: ٧.

(٢) سورة المؤمنون آية٥-٦.

(٣) الناسخ والمنسوخ للكرمي ٨٩/١، وأضواء البيان ٢٣٦/١-٢٣٨.

(٤) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة: كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد[١].

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٢].

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٢٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢١٤.

(٢) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (١)

٢٦- مسألة: اختلفوا في المراد بالهجر في المضجع.

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: اهجروهن في الفُرُش(٢).

القول الثاني: اهجروهن في البيوت(٣).

قال الرسعني:

﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أي: في الفُرُش، وقيل: في البيوت.

فإن قلنا: في الفُرُش، فيكون كناية عن ترك الجماع، وهو قول سعيد بن جبير(٤) ومقاتل(٥).

أو يكون أمراً بهجر الفراش والمضاجعة فيه، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة. وهذان قولان عن ابن عباس رضي الله عنه (٦).

وإن قلنا: في البيوت، فالمعنى: لا تُبايتوهن في البيوت التي يضجعن فيها.

وقيل: "في" للسببية لا للظرفية، فالمعنى: اهجروهن بسبب تخلفهن عن المضاجع إذا

---

(١) سورة النساء آية:٣٤.

(٢) جامع البيان ٦/٧٠٠، وزاد المسير ١/٤٠٢، والوجيز ١/٢٦٣، وتفسير السمعاني ١/٤٢٢، وتفسير الجلالين ١/١٠٦، وإرشاد العقل السليم ٢/١٧٤، وتفسير الكريم الرحمن ١/١٧٧.

(٣) فتح الباري ٩/٣٠١، وعون المعبود٦/١٢٩.

(٤) جامع البيان٦/٧٠٠، وزاد المسير ١/٤٠٢.

(٥) تفسير مقاتل ١/٢٢٨.

(٦) أخرجه الطبري٦/٧٠٣،٧٠١، وتفسير مجاهد ص١٥٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دعوتموهن إليها[١].

والأول أشهر وأظهر.

قال ابن عباسﷺ: تهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مُبَرِّح[٢].[٣]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: اهجروهن في الفُرُش. فيكون :

أ- كناية عن ترك الجماع.

وممن قال به:

١- رواه سعيد بن جبير، وابن أبي طلحة، والعوفي عن ابن عباسﷺ[٤]، وبه قال مقاتل[٥].

٢- أبو السعود، والسعدي[٦].

ب- أمراً بهجر الفراش والمضاجعة فيه.

وممن قال به:

١- روي عن الحسن، والشعبي، ومجاهد، والنخعي، ومُقسِم[٧]، وقتادة[٨].

٢- الزجاج، والواحدي، والسمعاني، والسيوطي، وابن عثيمين[١].

---

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ١٩٧/١، وروح المعاني ٢٥/٥.

(٢) جامع البيان ٧١١/٦، وزاد المسير ٤٠٢/١.

(٣) رموز الكنوز ٤٩٦/١

(٤) جامع البيان ٧٠٠/٦، وزاد المسير ٤٠٢/١.

(٥) جامع البيان ٧٠٠/٦.

(٦) إرشاد العقل السليم ١٧٤/٢، وتفسير الكريم الرحمن ١٧٧/١.

(٧) هو: مقسم بن بجرة بن حارثة بن قنيرة، أو بن نجدة عن بن عباس وعائشة وعنه الحكم وخصيف الكريم الجزريان، توفي سنة ١٠١. انظر: الكاشف ٢٩٠/٢، والإصابة ٢٠٥/٦.

(٨) جامع البيان ٧٠٢/٦، وزاد المسير ٤٠٢/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الثاني: اهجروهن في البيوت.

وممن قال به :

ابن حجر، وأبو داود.

قالا: "الجمهور على أنه ترك الدخول عليهن، والإقامة عندهن على ظاهر الآية، وهو من الهجران وهو البعد. وظاهره أنه لا يضاجعها"[٢].

استدلوا : بهجر النبي ﷺ نساءه فلم يدخل عليهن شهراً[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- ترك الكلام لا ترك الجماع.

وممن روي عنه:

رواه أبو الضحى[٤] عن ابن عباسرضي الله عنه، وخصيف[٥]عن عكرمة، وبه قال السدي، والثوري، والضحاك، والصنعاني[٦].

٢-قول الهجر من الكلام في المضاجع، والمعنى: قولوا لهن في المضاجع هُجْر من القول.

وقال ابن عباسرضي الله عنه أيضاً:" معناه: وقولوا لهن هجرا من القول، أي: إغلاظاً حتى يراجعن المضاجع".

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤٧/٢، والوجيز ٢٦٣/١، وتفسير السمعاني ٤٢٢/١، وتفسير الجلالين ١٠٦/١، وتفسير القرآن الكريم (سورة النساء) ٢٩٢/١.

(٢) فتح الباري ٣٠١/٩، وعون المعبود١٢٩/٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب هجرة النبي ﷺ نساءه في غير بيوتهن، ح(٥٢٠٢). انظر: المبدع ٢١٥/٧.

(٤) هو: مسلم بن صُبيح، أبو الضحى الهمداني العطار، مشهور بكنيته، توفي سنة مائة للهجرة، في خلافة عمر بن عبد العزيز. انظر: الكاشف ٢٥٩/٢، وتقريب التهذيب ٥٣٠/١.

(٥) هو: خصيف بن عبد الرحمن، أبو عون الخضرمي، الأموي، مولاهم الجزري الحراني، توفي سنة ١٣٧هـ. انظر: التاريخ الكبير ٢٢٨/٢، وسير أعلام النبلاء ١٤٥/٦.

(٦) تفسير الضحاك ٢٨٥/١، وتفسير الصنعاني١٥٨/١، وجامع البيان ٧٠١/٦، والبسيط٤٩١/٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال ابن عطية:"وهذا لا يصح تصريفه إلا على من حكى هجر وأهجر بمعنى واحد"[١].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، والحسن، وعكرمة، وسفيان بن عيينة، والكلبي[٢].

٣- أن يربطها بالهجار، وهو حبل يربط به البعير ليقرها على الجماع.

وممن قال به: الطبري[٣].

واستدلوا : براوية ابن المبارك عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال:"حَرثَكَ فَأْتِ حَرْثَكَ أَنَّى شِئْتَ غَيرَ أَلاَّ تَضْرِبَ آلْوَجْهَ وَلاَ تُقَبِّحْ إلاَّ في البَيْتِ، وأطْعِمْ إذا طَعِمْتَ وَاكْسِ إذّا اكْتَسَيْتَ، كَيْفَ وَقْدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إلَى بَعْضٍ"[٤]. قال الماوردي: وليس في هذا الخبر دليل على تأويله دون غيره[٥].

حاصل الدراسة:

معنى الهجر في كلام العرب: هجر الرجل كلام الرجل وحديثه، وذلك رفضه وتركه، وأعرض عنه، يقال منه: هجر فلان أهله يهجرها هجراً وهِجراناً. ابتعد عنه ولم يصله، واعتزل عن زوجته ولم يطلقها[٦].

والهِجْرانُ يكون بالبَدَنِ وباللسان وبالقلب، وقولُه تعالى:﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾أي: بالأبْدان[٧]

(١) المحرر الوجيز٢/٤٨.
(٢) جامع البيان ٦/٧٠٤، والبسيط٦/٤٩٢.
(٣) جامع البيان ٦/٧٠٧.
(٤) أخرجه أحمد ٥/٣،ح(٢٠٠٤٢).
(٥) النكت والعيون١/٤٨١.
(٦) المعجم الوسيط٢/٩٧٢.
(٧) تاج العروس١٤/٣٩٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والذي قال لا يكلمها وإن وطئها، فصرفه نظره إلى أن جعل الأقل في الكلام، وإذا وقع الجماع فترك الكلام سخافة هذا[١].

والذي قال يكلمها بكلام فيه غلظ إذا دعاها إلى المضجع، جعله من باب ما لا ينبغي من القول، وهذا ضعيف من القول في الرأي[٢].

ورأي الطبري الذي أخذه من المعنى اللغوي، أنه يربطها في الهجار: رد عليه القاضي أبو بكر بن العربي، فقال: "يا لها من هفوة من عالم بالقرآن والسنة[٣].

وتعقبه الزمخشري وقال: بأنه من تفسير الثقلاء[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح قول الجمهور والظاهر من الآية: هجرها في المضجع، المراد أن يهجر فراشها فلا يضاجعها فيه؛ لأن القرآن مطلق فلا يقيد بغير دليل[٥]. ويهجرها في المضجع. فإذا هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك عليها فتترك النشوز، وإن كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران، فكان ذلك دليلاً على كمال نشوزها، ومنه حمل ذلك على الهجران في المباشرة، لأن إضافة ذلك إلى المضاجع يفيد ذلك، ثم عند هذه الهجرة إن بقيت على النشوز ضربها[٦].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٧].

القاعدة: ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه[٨].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٥٣٥/١.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٥٣٥/١.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٥٣٣/١.

(٤) الكشاف ٥٣٩/١.

(٥) المبدع٢١٤/٧.

(٦) الأم للشافعي ١٩٤/٥، وتفسير غرائب القرآن ٤٨٢/٢، ومفاتيح الغيب٧٣/١٠.

(٧) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(٨) الكشاف ٣٢٦/٣، والمحرر الوجيز ٣٠٠/٣، والجامع لأحكام القرآن٣٤/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[١].

.٣٦٣/٢

(١) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾[١]

٢٧- مسألة: هل الحكمين يكونان من الأهل أو أجنبيين؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أن يكونا من أهلهما[٢].

القول الثاني: أن يكونا أجنبيين[٣].

قال الرسعني:

"**والأَولى** أن يكونا من أهلهما، لما ذكرناه- لأنهما إذا كانا من أهلهما عرفا باطن أمرهما، وحرصاً على صلاح حالهما-.

ويجوز أن يكونا أجنبيين؛ لأنهما إما حاكمان وإما وكيلان، وأيما كان فلا يُشترط له قرابة"[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أن يكونا من أهلهما. وهو قول جمهور المفسرين، وترجيح الرسعني.

وممن قال به: الواحدي، والزمخشري، والنسفي، والشوكاني، والألوسي[٥].

واستدلوا بصريح لفظ الآية.

ومن أقوالهم:

---

(١) سورة النساء آية: ٣٥.

(٢) الكشاف ١/٥٤٠، وتفسير النسفي ١/٢٢١، وفتح القدير ١/٤٦٣، وروح المعاني ٥/٢٦.

(٣) روح المعاني ٥/٢٦، ومفاتيح الغيب ١٠/٧٥.

(٤) رموز الكنوز ١/٤٩٨.

(٥) البسيط ٦/٤٩٦، والكشاف ١/٥٤٠، وتفسير النسفي ١/٢٢١، وفتح القدير ١/٤٦٣، وروح المعاني ٥/٢٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- قال الرازي: الأولى أن يكون واحد من أهله وواحد من أهلها؛ لأن أقاربهما أعرف بحالهما من الأجانب، وأشد طلباً للصلاح، فان كانا أجنبيين جاز[١].

٢- قال الآلوسي: "هذا على وجه الاستحباب وإن نصبا من الأجانب جاز"[٢].

القول الثاني: أن يكونا أجنبيين.

حاصل الدراسة:

نص الله سبحانه على أن الحكمين يكونان من أهل الزوجين؛ لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصلاح وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض، وإرادة الصحبة والفرقة، وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الأجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه[٣].

بل أغلب المفسرين لم يذكروا في ذلك أقوالاً، لورود النص الصريح في الآية على ذلك[٤].

المناقشة والترجيح:

لم يختلف المفسرون في أن يكون الحكمين من أهلهما، وأباحوا أن يكونا أجنبيين في حال تعذر الأقارب. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب ١٠/٧٥.

(٢) روح المعاني ٥/٢٦.

(٣) الكشاف ١/٥٤٠، وتفسير النسفي ١/٢٢١، وفتح القدير ١/٤٦٣.

(٤) جامع البيان ٦/٧٢٦، وتفسير السمعاني ١/٤٢٤، ومعالم التنزيل/٥٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣١، وتفسير الكريم الرحمن ١/١٧٧.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (١)

٢٨- مسألة: ﴿ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ ما المقصود بالجار ذي القربى؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الجار الذي بينك وبينه قرابة بالنسب(٢).

القول الثاني: الجار القريب(٣).

القول الثالث: الجار المسلم(٤).

قال الرسعني:

"قوله: ﴿ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ " **الظاهر** أنه يريد به قرابة النسب، وهو قول ابن عباسرضي الله عنه، والأكثرين(٥).

أوصى سبحانه بذي القربى، ثم أكد الوصية به إذا كان جاراً لتأكيد حقه بالجوار منضماً على القرابة.

وقيل: المراد به: الجار القريب، وقيل: الجار المسلم"(٦).

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة النساء آية: ٣٦.

(٢) الوجيز ١/٢٦٤، ومعالم التنزيل ١/٥٢٣، وبحر العلوم١/٣٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٥/١٨٣، والتسهيل ١/١٤١، وفتح القدير ١/٤٦٤، وتفسير الكريم الرحمن ١/١٧٨.

(٣) تفسير النسفي ١/٢٢١، والكشاف ١/٥٤١، وروح المعاني ٥/٢٨، ومفاتيح الغيب١٠/٧٨.

(٤) تفسير النسفي ١/٢٢١، والكشاف ١/٥٤١، وروح المعاني ٥/٢٨، ومفاتيح الغيب١٠/٧٨.

(٥) جامع البيان٧/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٩٤٨(٥٢٩٦)، وشعب الإيمان للبيهقي٧/٧٣.

(٦) رموز الكنوز ١/٥٠٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الأول: الجار الذي بينك وبينه قرابة بالنسب.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، وعكرمة[١]، والضحاك، وقتادة، وميمون بن مهران[٢]، وابن زيد، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان[٣][٤].

٢- الواحدي، والبغوي، والسمرقندي، والقرطبي، والكلبي، والشوكاني، والسعدي، وابن عثيمين[٥].

واستدلوا بحديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ :" الجيران ثلاثة؛ جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقاً، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل الجيران حقاً؛ فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الجار الذي له حقّان: فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق: فجار مسلم ذو رحم، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم"[٦].

---

(١) هو: عكرمة، مولى ابن عباس -رضي الله عنهما- ، العلامة الحافظ المفسر، أبو عبد الله القرشي مولاهم المدني البربري الأصل، أحد الأئمة الأعلام، توفي سنة ١٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٢/٥، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٧٠/١.

(٢) هو: ميمون بن مهران، يكنى أبا أيوب، مولى بني نصر، وقيل بني أسد، إمام أهل الجزيرة ،وعالم الرقة، توفي سنة ١١٧هـ. انظر: صفوة الصفوة ١٩٣/٤، والكاشف ٣١٢/٢.

(٣) هو: مقاتل بن حيان النبطي البلخي الخزاز، الإمام العالم المحدث الثقة، عالم خرسان، مولى لبكر بن وائل، كنيته أبو سطام، توفي بكابل سنة ١٥٠هـ. انظر: التاريخ الكبير ١٣/٨، وتهذيب التهذيب ٢٤٨/١٠.

(٤) جامع البيان٧/٧، وتفسير الصنعاني ١٥٩/١، والمحرر الوجيز ٥٠/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩٤٨/٣(٥٢٩٦)، وزاد المسير ٤٠٤/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٣/٤.

(٥) البسيط٥٠٢/٦، والوجيز ٢٦٤/١، ومعالم التنزيل ٥٢٣/١، وبحر العلوم٣٢٧/١، والجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٥، والتسهيل ١٤١/١، وفتح القدير ٤٦٤/١، وتفسير الكريم الرحمن ١٧٨/١، وتفسير القرآن الكريم(سورة النساء) ٣٠٦/١.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠/٤، ومجمع الزوائد١٦٤/٨.أخرجه البزار في مسنده، والطبراني في مسند الشاميين. قال ابن رجب:" وقد روي هذا الحديث من وجوه أخرى متصلة ومرسلة، ولا تخلو كلها من مقال".

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن أقوالهم:

قال ابن عثيمين: الجار القريب إما أن يكون قريباً منك في النسب أو بعيداً، وأشار الله تعالى على الصنفين، قال: ﴿ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: ذي القرابة، ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ أي: البعيد؛ لأن الجيم والنون والباء كلها مادة تدل على البعد، فالمعنى الجار البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة.

وقيل: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: القريب منك في السكن، ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ البعيد في السكن، ولكن المعنى الأول أصح[١].

القول الثاني: الجار القريب.

وممن قال به: الزمخشري، والرازي، والنسفي، والألوسي[٢].

واستدلوا: بحديث: قالت عائشة -رضي الله عنها-: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي، قال: "إلى أقربهما منك بابا"[٣].

القول الثالث: الجار المسلم.

وممن قال به: نوف الشامي[٤].

واستدلوا بما يلي:

عن نوف الشامي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ : المسلم[١].

---

(١) تفسير القرآن الكريم (سورة النساء لابن عثيمين ١/٣٠٦.

(٢) تفسير النسفي ١/٢٢١، والكشاف ١/٥٤١، وروح المعاني ٥/٢٨، ومفاتيح الغيب ١٠/٧٨.

(٣) البخاري في الأدب ١/٥١(١٠٧) وصححه الحاكم ٤/١٨٥(٧٣٠٩)، والمحرر الوجيز ٢/٥٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣/٩٤٨ (٥٢٩٨)، والمحرر الوجيز ٢/٥٠، وزاد المسير ١/٤٠٤.
هو: نوف بن فضالة البكالي، أبو يزيد، ويقال: أبو عمرو الشامي، كان نوف بن امرأة كعب أحد العلماء، كان إماماً لأهل دمشق، توفي ما بين ٩٠-١٠٠ هـ. انظر: التاريخ الكبير ٨/١٢٩، وتهذيب التهذيب ١٠/٤٣٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- هو جار ذي قرابتك.

وممن قال به: ميمون بن مهران.

عن ميمون بن مهران في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ قال: الرجل يتوسل إليك بجوار ذي قرابتك[٢].

قال الطبري: وهذا القول قول مخالف المعروف من كلام العرب وذلك أن الموصوف بأنه ذو القرابة في قوله: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الجار دون غيره، فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة، ولو كان معنى الكلام كما قال ميمون بن مهران، لقيل: وجار ذي القربى. ولم يقل: والجار ذي القربى. فكان يكون حينئذٍ - إذا أضيف الجار إلى ذي القرابة- الوصية بين جار ذي القرابة، دون الجار ذي القربى.

وأما ﴿ وَٱلْجَارِ ﴾ بالألف واللام، فغير جائز أن يكون ﴿ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ إلا من صفة الجار.

وإذا كان ذلك كذلك، كانت الوصية من الله في قوله: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ببر الجار ذي القربى، دون جار ذي القرابة، وكان بيِّناً خطأ ما قال ميمون بن مهران في ذلك[٣].

٢- الجار ذي القربى: المرأة.

وممن قال به: علي وابن مسعودﷺ. وروي عن الحسن وسعيد بن جبير نحو ذلك[٤].

حاصل الدراسة:

إذا كان معلوماً أن المتعارف من كلام العرب، إذا قيل: فلان ذو قرابة إنما يعني به:

---

(١) جامع البيان ٨/٧.

(٢) جامع البيان ٧/٧.

(٣) جامع البيان ٧/٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩٤٨/٣ (٥٢٩٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إنه قريب الرحم منه دون القرب بالدين، كان صرفه إلى القرابة بالرحم أولى من صرفه إلى القرب بالدين[١]

ولا معنى له، وذلك أن تأويل كتاب الله تبارك وتعالى، غير جائز صرفه إلا إلى الأغلب من كلام العرب الذين نزل بلسانهم القرآن المعروف فيهم، دون الأنكر الذي لا تتعارفه، إلا أن يقوم بخلاف ذلك حجة يجب التسليم لها[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: المشهور والمعروف من كلام العرب، أنه الجار القريب بالنسب، وهو قول أغلب المفسرين.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[٣].

(١) جامع البيان ٨/٧.

(٢) جامع البيان ٨/٧.

(٣) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (١)

٢٩- مسألة: ما معنى سكارى في هذه الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: سكارى من الخمر(٢).

القول الثاني: سكارى من النعاس(٣).

القول الثالث: سكارى من حب الدنيا(٤).

قال الرسعني:

"﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: مواضع الصلاة، وهي المساجد، كأنه نزَّه المساجد من السكارى؛ لأنه لا يؤمن تلويثهم للمساجد، كما قال ﷺ:" جنبوا مساجدكم الصبيان والمجانين"(٥). وقيل:" لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" من النعاس، فإنكم لا تعقلون ما تُصلُّون.

قال بعض أرباب الإشارات:" وأنتم سكارى" من حب الدنيا.

---

(١) سورة النساء آية: ٤٣.

(٢) جامع البيان ٤٨/٧/٧، ومعاني القرآن للنحاس ٩٤/٢، وتفسير السمعاني٤٣٠/١، ومعالم التنزيل ٥٣١/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٥٣/١، والمحرر الوجيز ٦٠/٥، وزاد المسير ٤٠٨/١، ومفاتيح الغيب٨٩/١٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠١/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٣/٤، وفتح القدير ٤٦٨/١، والتحرير والتنوير٦٠/٥.

(٣) جامع البيان ٤٨/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٩٥٩/٣(٥٣٥٦)، وروح المعاني٣٨/٥.

(٤) إحياء علوم الدين ١٥٠/١، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٦/٤.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٤٤٢/١، قال شعبة الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه ابن ماجه، باب ما يكره في المساجد،ح(٧٥٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال يحيى بن معاذ الرازي[١]: الدنيا خمر الشيطان، مَن سَكِرَ منها لا يُفيق إلا في عسكر الموتى[٢].

وكل هذا محتمل، غير أن التفسير الذي يُعتمد عليه ما اقتضاه سبب النزول، وهو السُّكْر المعروف، وهو المتبادر على الأفهام عند الإطلاق"[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: سكارى من الخمر. وهو قول الجمهور، وترجيح الرسعني.

وممن قال به:

١- علي، وابن عباسﷺ، وأبي رزين[٤]، وأبي وائل، والنخعي، ومجاهد، وقتادة[٥].

٢- الطبري، والنحاس، والسمرقندي، والسمعاني، والبغوي، وابن العربي، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وابن كثير، والشوكاني، وابن عاشور، وابن عثيمين[٦].

واستدلوا بما يلي:

١- بسبب النزول: عن علي بن أبي طالبﷺ ،قال صنع لنا عبد الرحمن بن

---

(١) هو: يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا، الواعظ الزاهد، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة. توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/١٥، والأعلام ٨/١٧٢.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/٣٨٢، وفيض القدير ٣/٣٦٨.

(٣) رموز الكنوز ١/٥١٦.

(٤) هو: مسعود بن مالك، أبو رزين صاحب أبو هريرة، مولى أبي وائل، توفي بعد سنة ستين، وقيل: بعد سنة ثمانين. انظر: الإصابة ٧/١٥٠، وتقريب التهذيب ١/٦٤٠.

(٥) جامع البيان ٧/٤٦-٤٨، وتفسير الثوري ص٦٩، وتفسير الصنعاني ١/١٦٣، وتفسير القرآن العظيم ابن أبي حاتم ٣/ ٩٥٨.

(٦) جامع البيان ٧/٧/٤٨، ومعاني القرآن للنحاس ٢/٩٤، وتفسير السمعاني ١/٤٣٠، ومعالم التنزيل ١/٥٣١، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٥٣، والمحرر الوجيز ٥/٦٠، وزاد المسير ١/٤٠٨، ومفاتيح الغيب ١٠/٨٩، والجامع لأحكام القرآن ٥/٢٠١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٦٣، وفتح القدير ١/٤٦٨، والتحرير والتنوير٥/٦٠، وتفسير القرآن الكريم (سورة النساء) ١/٣٤٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموا فلاناً، قال: فقرأ:(قل يا أيها الكافرون. ما أعبد ما تعبدون. ونحن نعبد ما تعبدون) فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[١]

ومن أقوالهم:

١- قال ابن جرير:" وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية، تأويل من قال: ذلك نهيٌ من الله المؤمنين عن أن يقربوا الصلاة وهو سكارى من الشراب قبل تحريم الخمر؛ للأخبار المتظاهرة عن أصحاب رسول الله ﷺ ، بأن ذلك كذلك نهي من الله، وأن هذه الآية نزلت فيمن ذكرت أنها نزلت فيه".[٢]

٢- قال البغوي:" المراد بالسُّكر : السُّكرُ من الخمر، عند الأكثيرين"[٣].

القول الثاني: سكر النوم، وغلبة النعاس.

وممن روي عنه: عن جعفرﷺ[٤]، وإحدى الروايتين عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، والضحاك[٥].

واستدلوا بما يلي:

حديث عائشة -رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ :" إذا نعِس أحدكم وهو يصلي فليرقُد حتى يذهب عنه النوم، فإنَّ أحدكم إذا صلى وهو ينعسُ لعله

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، ح(٣٦٧١)، الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء،ح(٣٠٢٦)، تفسير ابن أبي حاتم ٥٣٥٢/٣.

(٢) جامع البيان ٤٩/٧.

(٣) معالم التنزيل ٥٣١/١.

(٤) هو: جعفر بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، ذو الجناحين الصحابي الجليل بن عم رسول الله ﷺ، هاجر على الحبشة، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة. انظر: التاريخ الكبير ١٨٥/٢، والتهذيب ١٤٠/١.

(٥) جامع البيان ٤٨/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٩٥٩/٣(٥٣٥٦)، وروح المعاني٣٨/٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يذهب يستغفر فيسبُّ نفسه"[١].

القول الثالث: سكارى من حب الدنيا.

وممن قال به: وهب.

ومن أقوالهم:

قال وهب في المراد من الآية:" المراد به ظاهره، فيه تنبيه على سكر الدنيا؛ إذ بين فيه العلة، فقال: ﴿ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ وكم من مصل لم يشرب خمراً وهو لا يعلم ما يقول في صلاته"[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

المراد بقوله: ﴿ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ إذا كنتم حاقنين.

وممن قال به: عبيدة السلماني

واستدلوا بما يلي:

قال عبيدة السلماني: المراد بقوله: ﴿ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ إذا كنتم حاقنين،

لقوله ﷺ: "لا يصلين أحدكم وهو حاقن"[٣]. وفي رواية:" وهو ضام فخذيه".

حاصل الدراسة:

لفظ السكر حقيقة في السكر من شرب الخمر، والأصل في الكلام الحقيقة، فأما حمله على السكر من العشق، أو من الغضب أو من الخوف، أو من النوم، فكل ذلك مجاز، وإنما يستعمل مقيداً. قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ [٤]، وقال: ﴿

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم،ح(٢١٢)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته، ح(٧٨٦).

(٢) إحياء علوم الدين ١/١٥٠، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/٣٦.

(٣) مسند أحمد ٥/٢٥٠(٢٢٢٠٦).

(٤) سورة ق آية: ١٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾ (١)

وقد اتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن المراد بهذا السكر سكر الخمر، وأن ذلك إبان كانت الخمر حلالاً خلا الضحاك.وقد ضعف ابن عطية، ابن الجوزي، الرازي(٢).

واستضعف أبو حيان قول الضحاك، وعبيدة واستبعدها(٣).

ووجه القرطبي ما ذهب إليه الضحاك وعبيدة السلماني أن قولهما صحيح المعنى، وأنه من التوسع في المعنى، حيث عمّما الحكم على كل سببٍ يصرف المصلي عن صلاته، أو يقلل خشوعة فيها(٤).

قال ابن العربي: فإن كان أراد أن النهي عن سكر الخمر، نهي عن سكر النوم، فقد أصاب ولا معنى له سواه، ويكون من باب لا يقضي القاضي وهو غضبان، دل على أنه منهي عن كل قضاء في حال شغل البال بنوم، أو جوع، أو حقن، أو حزق فلا يفهم معه كلام الخصوم(٥).

أما ما قاله أهل الإشارات؛ فإنه ليس داخلاً في الآية، ولا يحتمله لفظها ولا كرامة، فالنهي في الآية يشمل السكر والجنون والنعاس؛ لأن من هذه حاله لا يعلم ما يقول، والله تعالى يقول: ﴿ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ .

المناقشة والترجيح:

الذي يعتمد عليه ما اقتضاه سبب النزول وهو السكر المعروف، وهو المتبادر على الأفهام عند الإطلاق. والآية إذا نزلت في واقعة معينة ولأجل سبب معين، امتنع أن لا يكون ذلك السبب مراداً بتلك الآية.

---

(١) سورة الحج آية: ٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥٦/٢، وزاد المسير ٤٠٨/١، ومفاتيح الغيب ٨٩/١٠.

(٣) البحر المحيط٣٦١/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن٢٠١/٥.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي٥٥٣/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[١].

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[٢].

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٤٤٨، وأحكام القرآن لابن العربي١/١٤٣، والجامع لأحكام القرآن٥/١٢١، وفتح القدير ٤/١٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٤١.

(٢) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ٥/١٣٢، والكشاف ٤/٢٤٥، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٣/٥٣٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٣٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧ ﴾ (١)

٣٠- مسألة: ما المراد بقوله: ﴿ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مسخهم قردة وخنازير(٢).

القول الثاني: طردهم في التيه(٣).

قول الرسعني:

المراد بلعنهم: مسخهم قردة وخنازير، بدليل قوله تعالى:﴿ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ ﴾.

وقيل: طردهم في التِّيه. **وفيه بعد**(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: مسخهم قردة وخنازير.

وممن قال به:

١- الحسن، والسدي، وقتادة، ومقاتل، وابن زيد(٥).

---

(١) سورة النساء آية: ٤٧.

(٢) معاني القرآن للنحاس٢/١٠٧، وبحر العلوم ١/٣٣٤، والكشف البيان٣/٣٢٤، والنكت والعيون١/٤٩٤، وتفسير السمعاني١/٤٣٤، ومعالم التنزيل ١/٥٤٣، والمحرر الوجيز ٢/٦٤، ومحاسن التأويل ٥/١٢٨٥.

(٣) زاد المسير ١/٤١٧، والبحر المحيط ٣/٢٧٨.

(٤) رموز الكنوز ١/٥٢٨.

(٥) جامع البيان ٧/١٢٠، وزاد المسير ١/٤١٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- النحاس، والسمرقندي، والثعلبي، والماوردي، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، والقاسمي[١].

واستدلوا بما يلي:

١- قول الحسن.

٢- ظاهر التشبيه في قوله: ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾.

ومن أقوالهم:

أ- قال القاسمي: " المتبادر من اللفظ الحقيقة، ولا يصار على المجاز إلا إذا تعذر إرادتها، ولا تعذر هنا، كما أن المتبادر من اللعن المشبه بلعن أصحاب السبت هو المسخ، وهو الذي يقتضيه بلاغة التنزيل، إذ فيه الترقي إلى الوعيد الأفظع"[٢].

القول الثاني: طردهم في التيه، حتى هلك فيه أكثرهم.

وممن قال به:

ذكره ابن الجوزي عن الماوردي، وأبي حيان ولم ينسبه لأحد، ولم أجده عن الماوردي في تفسيره، ولا غيره من المفسرين.[٣]

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن المراد: معناه الظاهر، وهو اللعن نفسه.

وممن قال به: الرازي، وأبو حيان[٤].

ومن أقوالهم:

١- قال الرازي: قال أكثر المحققين: الأظهر حمل الآية على اللعن المتعارف[١].

---

(١) معاني القرآن للنحاس٢/١٠٧، وبحر العلوم ١/٣٣٤، والكشف البيان٣/٣٢٤، والنكت والعيون١/٤٩٤، وتفسير السمعاني١/٤٣٤، ومعالم التنزيل ١/٥٤٣، والمحرر الوجيز ٢/٦٤، ومحاسن التأويل ٥/١٢٨٥.

(٢) محاسن التأويل ٥/١٢٨٥.

(٣) زاد المسير ١/٤١٧، والبحر المحيط ٣/٢٧٨.

(٤) مفاتيح الغيب ١٠/٩٨، والبحر المحيط ٣/٢٧٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- قال أبو حيان: ظاهر اللعنة هو المتعارف[٢].

حاصل الدراسة:

اللعنة في اللغة: الطرد والإبعاد والرجل الذي طرده قومه وأبعدوه لجناياته تقول له العرب رجل لعين.

وفي اصطلاح الشرع: اللعنة: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ومعلوم أن المسخ من أكبر أنواع الطرد والإبعاد[٣].

قال ابن عاشور: أريد باللعن هنا الخزي، فهو غير الطمس، فإن كان الطمس مراداً به المسخ فاللعن مراد به الذلّ، وإن كان الطمس مراداً به الذلّ فاللعن مراد به المسخ[٤].

وقيل المراد باللعن هنا المسخ؛ لأجل تشبيهه بلعن أصحاب السبت، ولم يبين هنا كيفية لعنه لأصحاب السبت؛ ولكنه بين في غير هذا الموضع أن لعنه لهم هو مسخهم قردة، ومن مسخه الله قرداً غضباً عليه، ملعون بلا شك وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [٥] وقوله: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [٦] [٧].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الأظهر حمل قوله : "أو نلعنهم" على اللعن المتعارف. قال ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ [٨]. ففصل تعالى بين اللعن

---

(١) مفاتيح الغيب ٩٨/١٠.

(٢) البحر المحيط ٢٧٨/٣.

(٣) أضواء البيان ٢٤٢/١، ولسان العرب ٣٨٧/١٣مادة(لعن)، ومختار الصحاح ٢٥٠/١.

(٤) التحرير والتنوير ٨٠/٥.

(٥) سورة البقرة آية: ٦٥.

(٦) سورة الأعراف آية: ١٦٦.

(٧) روح المعاني ٥٠/٥، وفتح القدير ٤٧٥/١، وأضواء البيان ٢٤٢/١.

(٨) سورة المائدة آية: ٦٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وبين مسخهم قردة وخنازير.

المناقشة والترجيح:

الراجح أن المراد به اللعن المتعارف عليه، لصريح لفظ الآية[١].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

القاعدة: كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد[٣].

(١) معاني القرآن للنحاس٢/١٠٧، وبحر العلوم ١/٣٣٤، والكشف البيان٣/٣٢٤، والنكت والعيون١/٤٩٤، وتفسير السمعاني١/٤٣٤، ومعالم التنزيل ١/٥٤٣، والمحرر الوجيز ٢/٦٤، ومحاسن التأويل ٥/١٢٨٥.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ١٣-٢٠٧/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/٢٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣ ﴾ (١)

٣١- مسألة: قوله تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ هل الأمر بالإعراض منسوخ أم لا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: منسوخ بآية السيف(٢).

القول الثاني: ليست منسوخة(٣).

قال الرسعني:

"ذهب جماعةٌ من المفسرين إلى أن الأمر بالإعراض منسوخ بآية السيف(٤).

وهذا ليس بصحيح؛ لأن آية السيف اقتضت إباحة دم المشركين، وحضت على قتلهم، والمنافق معصوم الدم؛ لإظهاره كلمة الحق(٥).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: منسوخ بآية السيف.

وممن قال به: ابن عباس ﷺ، ومقاتل، وابن سلامة المقري، وابن حزم، وابن

---

(١) سورة النساء آية: ٦٣.

(٢) تفسير مقاتل١/٢٣٩، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري ١/٧٤، والناسخ والمنسوخ لابن حزم١/٣٤، والمصفى من علم الناسخ والمنسوخ ١/٢٥، ونواسخ القرآن ١/١٣١.

(٣) الكشف والبيان ٣/٣٣٩، ومعالم التنزيل١/٥٥٦، وزاد المسير ١/٤٢٧، ولباب التأويل ١/٥٥٤، والجواهر الحسان ٣/٣٣٩، واللباب في علوم الكتاب٦/٤٦٢.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ ﴾ التوبة آية:٥.

(٥) رموز الكنوز١/٥٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الجوزي[١].

ومن أقوالهم:

١- قال ابن سلامة: قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾ فهذا مقدم ومؤخر، ومعناه: فعظهم وأعرض عنهم كان هذا في بدء الإسلام، ثم صار الوعظ والإعراض منسوخين بآية السيف[٢].

٢- قال ابن الجوزي: قوله تعالى﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾ قال المفسرون: في هذه الآية تقديم وتأخير تقديره: فعظهم فإن امتنعوا عن الإجابة فأعرض، وهذا كان قبل الأمر بالقتال، ثم نسخ ذلك بآية السيف[٣].

القول الثاني: ليست منسوخة. وهو ترجيح الرسعني

لم يناقش هذه المسألة المفسرون، إنما ذكروا المعنى للآية، ثم أشاروا كون الآية منسوخة في قول، ولم يرجحوه.

وممن قال به: الثعلبي، والضحاك، والبغوي، وابن الجوزي، والخازن، والثعالبي، وابن عادل[٤].

حاصل الدراسة:

حقيقة الإعراض عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه، مشتقّ من العُرْض بضم العين وهوَ الجانب[٥]. ثم استعمل استعمالاً شائعاً في التَّرك والإمساك عن المخالطة والمحادثة؛ لأنّه يتضمّن الإعراض غالباً، يقال: أعرض عنه كما يقال: صدّ عنه، كقوله

(١) تفسير مقاتل ٢٣٩/١، والبسيط٥٥٧/٦، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري ٧٤/١، والناسخ والمنسوخ لابن حزم٣٤/١، والمصفى من علم الناسخ والمنسوخ ٢٥/١، ونواسخ القرآن ١٣١/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري ٧٤/١.

(٣) نواسخ القرآن ١٣١/١، والمصفى من علم الناسخ والمنسوخ ٢٥/١.

(٤) الكشف والبيان ٣٣٩/٣، ومعالم التنزيل٥٥٦/١، وزاد المسير ٤٢٧/١، ولباب التأويل ٥٥٤/١، والجواهر الحسان ٣٣٩/٣، واللباب في علوم الكتاب٤٦٢/٦.

(٥) لسان العرب ١٨٢/٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ ﴾ [١] ولذلك كثر هذا اللفظ في أشعار المتيَّمين رديفاً للصدود، وهذا أقرب المعاني إلى المعنى الحقيقي، فهو مجاز مرسل بعلاقة اللزوم، وقد شاع ذلك في الكلام ثمّ أطلق على العفو وعدم المؤاخذة بتشبيه حالة من يعفو بحالة من لا يلتفت إلى الشيء فيوليه عُرض وجهه[٢].

لم يروى أنه منسوخ إلا عند ابن سلامه، وابن الجوزي في نواسخ القرآن، والمصفى من علم الناسخ والمنسوخ، ، في حين أن ابن الجوزي لم يرجح أنها منسوخة في تفسيره إنما أشار كبقية المفسرين أنه قول قوم، ولم يصرحوا بالقائل.

المناقشة والترجيح:

الراجح: ما ذهب إليه الرسعني، لأن آية السيف اقتضت إباحة دم المشركين، وحضت على قتلهم، والمنافق معصوم الدم؛ لإظهاره كلمة الحق.

ولعدم التصريح بمن قال بالنسخ.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها[٣].

(١) سورة الأنعام آية: ٦٨.

(٢) التحرير والتنوير ١٠٩/٥.

(٣) جامع البيان ١٨٦/١١، والناسخ والمنسوخ للنحاس٢٠٠/١، والإحكام لابن حزم ٤٨٤/٤، والتمهيد ٣٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦، ومحاسن التأويل ٥٣٧٥/١٥، وأضواء البيان ٧٢/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٧١/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤ ﴾ (١)

٣٢- مسألة: ما معنى مغانم كثيرة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ثواب الجنة(٢).

القول الثاني: أبواب الرزق(٣).

القول الثالث: البشارة بما سيُفتح من البلاد عليهم، ويُجبَى من الأموال إليهم(٤).

قال الرسعني:

"قال مقاتل: ثواب الجنة(٥).

وقال أبو سليمان الدمشقي(٦):

---

(١) سورة النساء آية:٩٤.

(٢) تفسير مقاتل ٢٥٠/١، والكشف والبيان ٣٦٩/٣، والوجيز٢٨٣/١، ومفاتيح الغيب ٥/١١، واللباب في علوم الكتاب ٥٧٩/٦، وتفسير الكريم الرحمن ١٩٤/١.

(٣) جامع البيان ٣٥١/٧، وزاد المسير ٤٥٣/١.

(٤) تفسير السمعاني٤٦٦/١، ومعالم التنزيل ٥٨١/١، والكشاف ٥٨٥/١، والمحرر الوجيز ٩٦/٢، ومفاتيح الغيب ٥/١١، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٠/٥، وتفسير النسفي ٢٤١/١، والتسهيل ١٥٣/١، ولباب التأويل ٥٧٩/١، والبحر المحيط ٣٤٣/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١٩/٤، وإرشاد العقل السليم ٢١٨/٢، وفتح القدير ٥٠١/١، وروح المعاني ١١٨/٥، والتحرير والتنوير ١٦٨/٥.

(٥) تفسير مقاتل ٢٥٠/١.

(٦) هو: إما ١- عبد الرحمن بن ميسرة الكلبي أو الحضرمي من الثامنة.

٢- علي بن حوشب السلمي من السابعة.

٣- سليمان بن عبد الرحمن بن بنت شرحبيل بن مسلم الخولاني.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أبواب الرزق[١].

وعندي: أن هذا الكلام خارجٌ مخرج البشارة بما سيُفتح من البلاد عليهم، ويُجبَى من الأموال إليهم، فيكون المعنى: لا يحملنكم حب إحراز الغنائم على المسارعة على القتل من غير تثبت، فلكم عند الله مغانم كثيرة[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ثواب الجنة الكثير، وما أعده تعالى لهم في الآخرة من جزيل الثواب، والنعيم الدائم الذي هو أجل المغانم.

وممن قال به: مقاتل، والثعلبي، والواحدي، والرازي، وابن عادل، والسعدي[٣].

واستدلوا بما يلي:

في الحديث: "الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة"[٤]. سماه غنيمة لما فيه من الأجر والثواب.

القول الثاني: أبواب الرزق في الدنيا، وفواضل نعمه.

وممن قال به: أبو سليمان الدمشقي، والطبري[٥].

٤- عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العبسي.

انظر: تقريب التهذيب ١/٤٤٠-٣٥١/١، وتهذيب التهذيب ٦/١٧١-٢٥٥/٦، وتذكرة الحفاظ ٢/٤٣٨.

(١) زاد المسير ١/٤٥٣.

(٢) رموز الكنوز ١/٥٩٤.

(٣) تفسير مقاتل ١/٢٥٠، والكشف والبيان ٣/٣٦٩، والوجيز١/٢٨٣، ومفاتيح الغيب ١١/٥، واللباب في علوم الكتاب ٦/٥٧٩، وتفسير الكريم الرحمن ١/١٩٤.

(٤) أخرجه الترمذي كتاب الصوم، باب ما جاء في الصوم في الشتاء، ح(٧٩٧). قال أبو عيسى: هذا حديث مرسل.

(٥) جامع البيان ٧/٣٥١، وزاد المسير ١/٤٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الثالث: البشارة بما سيُفتح من البلاد عليهم، ويُجبَى من الأموال إليهم، وبما يسني الله تعالى لهم من الغنائم على وجهها، من حل دون ارتكاب محظور بشبهة وغير تثبت، قاله الجمهور، وهو ترجيح الرسعني.

وممن قال به:

السمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والكلبي، والخازن، وأبو حيان، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي، وابن عاشور[١].

حاصل الدراسة:

من قال أنه الرزق أو الثواب وإن كان له وجه في معنى الغنائم؛ إلا أن المقصود هنا هو: الغنائم على وجهها، والظاهر من الآية، وعموم اللفظ في اللغة، وسبب النزول يرجحه.

والمغَانِم في اللغة: جمع مَغْنَم، وهو يصلح للمَصْدَر والزَّمَان والمكَان، ثم يُطْلَق على ما يُؤخَذُ من مال العَدُوِّ في الغَزْوِ؛ إطلاقاً للمَصْدَر على اسْمِ المفْعُول.[٢]

المناقشة والترجيح:

ما ذهب إليه الجمهور، وهو ترجيح الرسعني بأن المقصود هي الغنائم بما سيُفتح من البلاد عليهم.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٣].

---

(١) تفسير السمعاني١/٤٦٦، ومعالم التنزيل ١/٥٨١، والكشاف ١/٥٨٥، والمحرر الوجيز ٢/٩٦، ومفاتيح الغيب ١١/٥، والجامع لأحكام القرآن ٥/٣٤٠، وتفسير النسفي ١/٢٤١، والتسهيل ١/١٥٣، ولباب التأويل ١/٥٧٩، والبحر المحيط ٣/٣٤٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢١٩، وإرشاد العقل السليم ٢/٢١٨، وفتح القدير ١/٥٠١، وروح المعاني ٥/١١٨، والتحرير والتنوير ٥/١٦٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٦/٥٧٩، ولسان العرب ١٢/٤٤٦.

(٣) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب[١].

(١) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ (١)

٣٣- مسألة: فيمن نزلت قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنها من تمام قصة طُعمة بن أُبيرق(٢).

القول الثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول(٣).

قال الرسعني:

"**الظاهر- والذي عليه أكثر المفسرين**- أن قوله: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ﴾ متصل بقصة طُعمة، ومن تمام ما نزل فيه.

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في عبد الله بن أُبَيّ بن سلول حين رمى عائشة رضي الله عنها بالإفك(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنها من تمام قصة طُعمة بن أُبيرق. وهو قول جمهور العلماء(٥).

وممن قال به:

١- مقاتل(٦).

---

(١) سورة النساء آية:١١٢.

(٢) جامع البيان ٤٧٨/٧، والكشف والبيان ٣٨٣/٣، والوجيز ٢٨٩/١، وتفسير السمعاني ٤٧٧/١، ومعالم التنزيل ٥٩٧/١، وتفسير النسفي ٢٤٩/١، وفتح القدير ٥١٣/١.

(٣) زاد المسير ٤٦٨/١، والبحر المحيط ٣٦١/٣.

(٤) الكشف والبيان ٣٨٣/٣، وزاد المسير ٤٦٨/١.

(٥) زاد المسير ٤٦٨/١.

(٦) تفسير مقاتل ٢٥٦/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- الطبري، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، والنسفي، والشوكاني[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري:"واختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله ﴿ بَرِئَا ﴾ بعد إجماع جميعهم على أن الذي رمى البريء من الإثم الذي كان أتاه بن أبيرق"[٢].

القول الثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول، إذ رمى عائشة -عليها السلام- بالإفك.

وممن قال به: الضحاك عن ابن عباسﷺ[٣].

حاصل الدراسة:

القول بأنها من تمام قصة طعمة بن أبيرق هي القول الذي عليه جمهور المفسرين ويشهد له سبب النزول.

بينما القول الثاني لم يروَ إلا عن طريق الضحاك عن ابن عباسﷺ، قال عبد الرزاق المهدي في هذه الرواية بعد إيراد ابن الجوزي لها: "منكر جداً، ذكره المصنف عن الضحاك عن ابن عباسﷺ، والضحاك لم يلق ابن عباسﷺ، ورواية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك. والصواب ما ذهب إليه الجمهور"[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح قول الجمهور العلماء، وترجيح الرسعني، أنها من تمام قصة طُعمة بن أُبيرق.

القاعدة: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٥].

---

(١) جامع البيان ٤٧٨/٧، والكشف والبيان ٣٨٣/٣، والبسيط٨٢/٧، والوجيز٢٨٩/١، وتفسير السمعاني ٤٧٧/١، ومعالم التنزيل٥٩٧/١، وتفسير النسفي٢٤٩/١، وفتح القدير٥١٣/١.

(٢) جامع البيان ٤٧٨/٧.

(٣) زاد المسير ٤٦٨/١، والبحر المحيط٣٦١/٣.

(٤) زاد المسير ٤٦٨/١.

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٤٨/١، وأحكام القرآن لابن العربي ١٤٣/١، والمحرر الوجيز ٤٩٨/٢، والجامع

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[١].

القاعدة: إعادة الضمير على المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره[٢].

لأحكام القرآن٥/١٢١، وفتح القدير ٤/١٦، وأضواء البيان ١/٢٣٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٤١.

(١) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير ٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

(٢) جامع البيان ١٤/٢٩١، والبحر المحيط ٥/٤٥٩، والبرهان في علوم القرآن ٤/٣٩، وروح المعاني ١٣/٨٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٠٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ (١)

٣٤- مسألة: ما المراد بالسوء في قوله:﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: هو الشرك(٢).

القول الثاني: عام في جميع السيئات(٣).

قال الرسعني:

"قال ابن عباسﷺ: هو الشرك(٤).

والأظهر عمومه في جميع السيئات، يدل عليه ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال:" لما نزلت: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسدِّدُوا، ففي كُلِّ ما يُصابُ به المسلم كفارةٌ، حتى النكبة يُنكبُها، أو الشوكة يُشاكُها"(٥).

وفي الحديث:" أن أبا بكر الصديق ﷺ قال لما نزلت: يا رسول الله؛ كيف الصلاح بعد هذه الآية ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ ، فقال: غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ فذلك مما تُجزون به"(٦).

---

(١) سورة النساء آية: ١٢٣.

(٢) جامع البيان ٥١٨/٧-٥١٩، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠٧١/٤، وزاد المسير ٤٧٦/١.

(٣) تفسير الصنعاني ١٧٤/١، وجامع البيان ٥١٦/٧، وتفسير الثوري ٩٧/١، والمحرر الوجيز ١١٦/٢، وتفسير الكريم الرحمن ص٢٠٥.

(٤) أخرجه الطبري ٥١٨/٧، وابن أبي حاتم ١٠٧٠/٤،

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، ح(٢٥٧٤).

(٦) أخرجه أحمد ١١/١ ح٦٨، والحاكم في المستدرك ٧٨/٣ ح ٤٤٥٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" من يعمل سُوءاً يُجز به في الدنيا"[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: هو الشرك.

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، ويحيى بن أبي كثير[٢]، والضحاك[٣].

واستدلوا بما يلي:

يدل على أن المراد بهذه الآية الكفار دون المؤمنين قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجِدَ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[٤] ومن لم يكن له في القيامة ولي ولا نصير كان من جملة الكفار؛ لأن المؤمنين وعدوا النصر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ [٥].

القول الثاني: أن هذه الآية عامة في جميع السيئات، وهو قول الجمهور، وترجيح الرسعني.

وممن قال به:

١- أبي بن كعب، وعائشة-ﷺ-، ومجاهد، وابن زيد، وعطاء[٦].

٢- الصنعاني، والثوري، والطبري، وابن عطية، والسعدي[٧].

---

(١) أخرجه أحمد ١/٦ ح٢٣.

(٢) هو: يحيى بن أبي كثير اليمامي، الطائي، الراوي، الخبير، البصير، أبو نصر، توفي سنة١٢٩هـ. انظر: الكاشف ٣٧٣/٢، وحلية الأولياء ٦٦/٣.

(٣) جامع البيان ٥١٨/٧-٥١٩، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠٧١/٤، وزاد المسير ٤٧٦/١.

(٤) سورة النساء آية: ١٢٣.

(٥) سورة غافر آية: ٥١.

(٦) جامع البيان ٥١٦/٧-٥١٧، ٥٢٥.

(٧) تفسير الصنعاني ١٧٤/١، وتفسير الثوري٩٧/١، وجامع البيان٥١٩/٧، والمحرر الوجيز ١١٦/٢، وتفسير

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

واستدلوا بما يلي:

الحديث في صحيح مسلم عن أبي هريرةﷺ، وفي مسند أحمد عن أبي بكرﷺ[١].

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري:" وأولى التأويلات التي ذكرناها بتأويل الآية: التأويل الذي ذكرناه عن أبي بن كعب وعائشةﷺ، وهو أن كل من عمل سوءاً صغيراً أو كبيراً من مؤمن أو كافر جوزي به.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لعموم الآية كل عامل سوء من غير أن يخص أو يستثنى منهم أحد، فهي على عمومها إذ لم يكن في الآية دلالة على خصوصها، ولا قامت حجة بذلك من خبر عن الرسولﷺ" [٢].

٢- قال ابن كثير:" والصحيح أن ذلك عام في جميع الأعمال، لما تقدم من الأحاديث، وهذا اختيار ابن جرير والله أعلم"[٣].

٣- قال الشوكاني: بعد ذكره قول الشرك "وظاهر الآية أعم من ذلك فكل من عمل سوءاً أي سوء كان، فهو مجزى به ،من غير فرق بين المسلم الكافر، وفي هذه الجملة ما ترجف له القلوب من الوعيد الشديد، وقد كان لها في صدور المسلمين عند نزولها موقع عظيم كما ثبت في صحيح مسلم وغيره[٤]".

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

من يعمل سوءاً من أهل الكفر يجز به.

الكريم الرحمن ص٢٠٥.

(١) سبق تخريجه.

(٢) جامع البيان ٥١٩/٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٩١/٤.

(٤) فتح القدير ٥١٨/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به: الحسن[١].

واستدلوا: عن الحسن في قوله ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾. قال: الكافر، ثم قرأ :﴿ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾[٢][٣].

حاصل الدراسة:

من قال أنه عام في جميع السيئات، لأن السوء شامل، لأي ذنب كان، من صغائر الذنوب، وكبائرها. فاستدل بتفسير النبي ﷺ للآية. وظاهر الآية العموم وليس التخصيص بالشرك، من غير دليل، وهو يخالف الأحاديث الصحاح[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح أنه في جميع المعاصي والسيئات؛ لأن لفظ السيئات لفظ عام فلا يخصص إلا بدليل، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[٥].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٦].

---

(١) جامع البيان ٥١٧/٧-٥١٨، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠٧٢/٤.

(٢) سورة سبأ آية: ١٧.

(٣) الدر المنثور ٥٤/٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣٩٦/٥، وتفسير الكريم الرحمن ٢٠٥/١.

(٥) جامع البيان٤٤٩/١٦، وأحكام القرآن لابن العربي ١١٣/٣، والمحرر الوجيز ٢٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٢/٢٠، ومجموع الفتاوى ٢٧/١٣، والبحر المحيط ١٢٨/١، والتسهيل ٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٥٦/٢، وفتح القدير ١٢/١، روح المعاني ٩٦/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٩١/١.

(٦) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ﴾ (١)

٣٥- مسألة: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ من هم المختلفون في عيسى عليه السلام؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: النصارى(٢).

القول الثاني: اليهود(٣).

قال الرسعني:

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ قيل: إنهم النصارى اختلفوا في عيسى، هل هو إله أو لا؟ وهل قُتِل أو لا؟

والصحيح: أن المختلفين اليهود(٤)، اختلفوا في عيسى، هل قُتِل أم لا؟ والسبب في ذلك أنهم قالوا: إن كان المقتول عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟

وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى، والبدن بدن صاحبنا(٥).

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة النساء آية: ١٥٧.

(٢) تفسير مقاتل١/٢٦٩، وتفسير ابن أبي زمنين ١/٤١٩، ومفاتيح الغيب ١١/٨٠، والجامع لأحكام القرآن ٦/٩.

(٣) جامع البيان ٧/٦٦٠، وبحر العلوم ١/٣٧٩، والنكت والعيون ١/٥٤٣، والوجيز ١/٣٠١، وتفسير والبيضاوي ٢/٢٧٧، وتفسير غرائب القرآن ٢/٥٢٧، والتسهيل ١/١٦٣، ولباب التأويل ١/٦١٨، وإرشاد العقل السليم٢/٢٥٢، وروح المعاني٦/١١.

(٤) جامع البيان٧/٦٦٠.

(٥) رموز الكنوز ١/٦٦١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الأول: أن المختلفين النصارى، فعلى هذا في هاء"فيه" قولان: أحدهما: ترجع إلى قتلِه، هل قُتل أم لا؟ والثاني: أنها ترجع إليه، هل هو إلهٌ أم لا؟

أو الاختلاف بين العوام أنفسهم أو بين جهالهم والعلماء، فإن علماءهم كانوا يعلمون أنهم لم يصلبوا عيسى، وكان عند جهالهم أنهم قتلوا عيسى.

وقيل: قول بعضهم إنه إله وبعضهم هو ابن الله قاله الحسن.

وقيل اختلافهم أن قول عوامهم قتلنا عيسى، وقال من عاين رفعه إلى السماء: ما قتلناه(١).

وممن قال به:

١- مقاتل، والحسن، والسدي(٢).

٢- الزجاج، والرازي، وابن أبي زمنين(٣).

ومن أقوالهم:

١- قال مقاتل:" هم النصارى، فقال بعضهم: قتله اليهود، وقال بعضهم: لم يقتل"(٤).

٢- اختلافهم أن النسطورية من النصارى قالوا: صلب عيسى من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وقالت الملكانية: وقع الصلب والقتل على المسيح بكماله ناسوته ولاهوته(٥).

قال الرازي:"فهذا هو شرح مذاهب النصارى في هذا الباب، وهو المراد من قوله: ﴿

(١) تفسير السمعاني ٤٩٩/١، والجامع لأحكام القرآن ٩/٦.

(٢) أخرجه بمعناه الطبري٦٦٠/٧، وتفسير مقاتل٢٦٩/١، والكشف والبيان ٤١/٣، والجامع لأحكام القرآن ٩/٦

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٢٨/٢، وتفسير ابن أبي زمنين ٤١٩/١، ومفاتيح الغيب ٨٠/١١.

(٤) تفسير مقاتل ٢٦٩/١.

(٥) مفاتيح الغيب٨٠/١١، والجامع لأحكام القرآن ٩/٦، والبحر المحيط٤٠٦/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ ﴾ [١].

القول الثاني: أنهم اليهود، فعلى هذا في هاء"فيه" قولان:

الأول: أنها كناية عن قتله، فاختلفوا هل قتلوه أم لا؟ وفي سبب اختلافهم في ذلك قولان:

١- أنهم لما قتلوا الشخص المشبّه كان الشَّبه قد أُلقي على وجهه دون جسده، فقالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره.

٢- أنهم قالوا: إن كان هذا عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى.

الثاني: أن "الهاء" كناية عن عيسى، واختلافهم فيه قول بعضهم: هو ولد زنى، وقول بعضهم، هو ساحر.

وممن قال به:

١- ابن السائب، وقتادة[٢].

٢- الطبري، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والبيضاوي، والنيسابوري، والكلبي، والخازن، وأبو السعود، والألوسي[٣].

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري:" يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ . اليهود الذين أحاطوا بعيسى وأصحابه حين أرادوا قتله. وذلك أنهم كانوا قد عرفوا عِدَّة من في

(١) مفاتيح الغيب ١١/٨٠.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٤/١١١١(٦٢٣٥)، والكشف والبيان ٣/٤١، وزاد المسير ١/٤٩٥.

(٣) جامع البيان ٧/٦٦٠، وبحر العلوم ١/٣٧٩، والنكت والعيون ١/٥٤٣، والوجيز ١/٣٠١، وتفسير والبيضاوي ٢/٢٧٧، وتفسير غرائب القرآن ٢/٥٢٧، والتسهيل ١/١٦٣، ولباب التأويل ١/٦١٨، وإرشاد العقل السليم٢/٢٥٢، وروح المعاني٦/١١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

البيت قبل دخولهم، فيما ذُكر، فلما دخلوا عليهم، فقدوا واحداً منهم، فالتبس أمرُ عيسى بفقدهم واحداً من العِدَّة التي كانوا قد أحصوها، وقتلوا من قتلوا على شكٍّ منهم في أمرِ عيسى"[١].

٢- قال الماوردي: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم اختلفوا فيه قبل قتله، فقال بعضهم: هو إله، وقال بعضهم: هو ولد، وقال بعضهم: هو ساحر، والثاني: ما لهم بحاله من علم - هل كان رسولا أو غير رسول ؟ - إلا اتباع الظن[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنه يعم اليهود والنصارى:

أن الاختلاف عائد على اليهود والنصارى، فإن اليهود قالوا: هو ابن زنا. وقالت النصارى: هو ابن الله [٣].

أو اختلافهم من جهة أن النصارى قالوا: إن اليهود قتلته وصلبته، واليهود الذين عاينوا رفعه قالوا: رفع إلى السماء [٤].

وممن قال به:

١- ابن السائب الكلبي[٥].

٢- الألوسي[٦].

ومن أقوالهم:

أ-قال ابن السائب الكلبي: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ اختلافهم فيه فاليهود،

---

(١) جامع البيان ٧/٦٦٠.

(٢) النكت والعيون ١/٥٤٣.

(٣) البحر المحيط٣/٤٠٦.

(٤) البحر المحيط٣/٤٠٦.

(٥) الكشف والبيان ٣/٤١، والبسيط٧/١٨٣.

(٦) روح المعاني٦/١١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قالت: نحن قتلناه وصلبناه. وقالت طائفة من النصارى: بل نحن قتلناه، وقالت طائفة منهم: ماقتلوه هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله إليه، (ونحن ننظر إليه)، وقال الذين لما قتل طيطانوس: ألم تروا أنه قتل وصلب. فهذا اختلافهم وشكهم[١].

ب- قال الألوسي: فالمراد من الموصول ما يعم اليهود والنصارى جميعاً[٢].

٢- اختلاف المحلولين لأخذه.

قال ابن عطية: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ يعني: اختلاف المحلولين لأخذه؛ لأنهم حين فقدوا واحداً من العدد وتحدث برفع عيسى، اضطربوا واختلفوا[٣].

حاصل الدراسة:

الاختلاف لا يمنع من عودته على اليهود والنصارى، فإن اليهود قالوا: هو ابن زنا. وقالت النصارى: هو ابن الله. وقالت النصارى إن اليهود قتلته وصلبته، واليهود الذين عاينوا رفعه قالوا: رفع إلى السماء. وتعددت الأقوال عندهم؛ ولكن لا يوجد مخصص كون الاختلاف في النصارى، والآيات قبلها في اليهود، فعودة المراد من الاختلاف في اليهود أولى من تعميمه، أو تخصيص غيرهم به.

المناقشة والترجيح:

الراجح القول بأن المراد بالاختلاف هو اختلاف اليهود فيما زعموه من قتل عيسى عليه السلام؛ لسياق الآية قبلها عن اليهود، وهو قول الأغلب من المفسرين، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٤].

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٥].

---

(١) الكشف والبيان ٣/٤١٠.

(٢) روح المعاني ٦/١١.

(٣) المحرر الوجيز ٢/١٣٤.

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

(٥) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢٩١/٣، ومجموع الفتاوى ١٤/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٩٩/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ (١)

٣٦- مسألة: اختلاف الناس في قوله: ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ﴾ كيف خالف إعرابها، إعراب ما تقدم وتأخر؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه منصوب على المدح(٢).

القول الثاني: أنه نسق على (ما)(٣).

القول الثالث: أنه نسق على (الهاء)(٤).

القول الرابع: أنه خطأ من الكاتب(٥).

قال الرسعني:

"قوله: ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ نصب عل المدح، والاختصاص، وهو باب واسع.

وأنشدوا:

لا يبعدن قومي الذين همُ ... سمُّ العُداة وآفةُ الجُزر

النازلين بكلِّ مُعتركٍ ... والطيبون معاقد الأُزر(١)

---

(١) سورة النساء آية: ١٦٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٣١/٢، وإعراب القرآن للنحاس٥٠٥/١، والكشاف ٦٢٣/١، ومفاتيح الغيب ٨٤/١١، والمحرر الوجيز ٢٤٤/١، وزاد المسير ٤٩٨/١، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٦، والبحر المحيط ٤١١/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٦٩/٤.

(٣) جامع البيان ٦٨٣/٧، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٣٠/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤٧١/١، ٤٧٠، والبسيط١٩٠/٧.

(٥) الكشاف ٦٢٣/١، وزاد المسير ٤٩٨/١، والدر المصون١٥٥/٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهذا قول الخليل، وسيبويه[٢] والزجاج وحُذّاق البصريين.

وقيل: هو نسق على "ما"، المعنى: يؤمنون بما أُنزل إليك وبالمقيمين الصلاة، وهم الملائكة والأنبياء.

وقيل: هو نسق على الهاء والميم في"منهم"، المعنى: منهم ومن المقيمين الصلاة.

قال الزجاج[٣]: وهذا رديء عند النحويين، لا ينسق بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في الشعر.

وقد روي عن عائشة: أن ذلك خطأ من الكاتب[٤].

وروي عن عثمانﷺ أنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها[٥].

وهذا مستبعد جداً؛ لأن عائشة كانت من الفصاحة وحفظ أشعار العرب والاطلاع على افتنان أساليبها في خطابها بالمكانة التي لا تُدافع عنها ولا تُمانع منها، فكيف تحكم بخطأ الكاتب مع ظهور الصواب فيما ذكرناه من الإعراب.

وما نقل عن عثمان ﷺ فقال ابن الأنباري[١]: لا يصح؛ لأنه غير متصل.

---

(١) البيتان للخرنق بنت هفان القيسية من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعي، وابنها علقمة، وأخويها حسان وشرحبيل، ومن قتل معه من قومه. انظر: ديوانها ص٤، وخزانة الأدب ٥/٤٥،٤١.

(٢) الكتاب ٢/٦٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/١٣١.

(٤) أخرجه الطبري٧/٦٨٠، وسعيد بن منصور ٤/١٥٠٧، وفيه محمد بن حميد الرازي، ضعيف، لكن تابعه عمرو بن عبد الله الودي عند ابن أبي داود، في كتاب المصاحف١/١٢٩، إلا أن ابن أبي داود وهو عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ضعيف، بل كذبه أبوه، أبو داود رحمه الله.

قال ابن هشام: هذا خبر باطل لا يصح من وجوه: أحدها: أن الصحابة ﷺكانوا يتسارعون على إنكار المنكرات، فكيف يقرون اللحن في القرآن؟! والثاني: أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام فكيف في القرآن؟! ثم قال نقلاً عن المهدوي في شرح الهداية: ولم يوجد في القرآن حرف واحد إلا وله وجه صحيح في العربية، وقد قال الله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه). انظر: معالم التنزيل ١/٦٢١، والجامع لأحكام القرآن ٦/١٥، ومجموع الفتاوى ١٥/٢٥٥.

(٥) كتاب المصاحف لأبي داود ١/١٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال: ومحال أن يُؤخِّر عثمان شيئاً فاسداً ليصلحه من بعده.

قال الزجاج[٢]: الذين جمعُوا القرآن هم أهل اللغة والقدوة، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يُصلحه غيرهم، لا ينبغي أن يُنسب هذا إليهم.

وفي مصحف عبد الله:" والمقيمون"[٣]، وهي قراءة جماعة، منهم مالك بن دينار، والجُحدري[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف الناس في قوله: ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ﴾ كيف خالف إعرابها، إعراب ما تقدم وتأخر؟

القول الأول: أنه منصوب على المدح، والاختصاص. وهو قول حذاق البصريين.

وممن قال به:

الخليل، وسيبويه، والزجاج، والنحاس، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والعكبري، والقرطبي، والسمين الحلبي، وابن كثير، وابن عثيمين[٥].

واستدلوا بما يلي:

١- أنه كما جاء في قوله: ﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي

(١) زاد المسير ١/٤٩٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/١٣١.

(٣) البحر المحيط ٣/٤١١.

(٤) رموز الكنوز ١/٦٦٦.

(٥) الكتاب لسيبويه ٢/٦٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢/١٣١، وإعراب القرآن للنحاس١/٥٠٥، والكشاف ١/٦٢٣، ومفاتيح الغيب ١١/٨٤، والمحرر الوجيز ١/٢٤٤، وزاد المسير ١/٤٩٨، وإملاء ما من به الرحمن ١/٢٠٢، والجامع لأحكام القرآن ٦/١٥، والبحر المحيط ٣/٤١١، والدر المصون٤/١٥٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/٣٦٩، وتفسير القرآن الكريم (سورة النساء) لابن عثيمين ٢/٤٧٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ ﴾ (١)

٢- شعر الخرنق:

لا يبعدن قومي الذين همُ سمُّ العُداة وآفةُ الجُزر

النازلين بكلِّ مُعتركٍ والطيبون معاقد الأُزر

ومن أقوالهم:

١- قال النحاس: العطف على المدح وهذا أصح ما قيل في المقيمين(٢).

٢- قال ابن عطية: "قطع النعوت أشهر في لسان العرب"، وهو باب واسع ذكر عليه شواهد سيبويه وغيره ، وعلى القطع خرج سيبويه ذلك"(٣).

٣- قال الرازي: فهذا القول هو المعتمد في هذه الآية(٤) .

٤- قال ابن كثير: "وهذا سائغ في كلام العرب"(٥).

القول الثاني: أنه نسقٌ على"ما" والمعنى؛ يؤمنون بما أنزل إليك، وبالمقيمين الصلاة، فقيل: هم الملائكة، وقيل: الأنبياء.

وممن قال به: الكسائي، والقفال، والطبري(٦).

ومن أقوالهم:

قال الطبري:" وأولى الأقوال عندي بالصواب أن يكون ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ﴾ في موضع خفض، نسقاً على ﴿ وَمَآ ﴾ التي في قوله: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ وأن يُوجّه معنى المقيمين الصلاة إلى الملائكة. فيكون تأويل الكلام: والمؤمنون منهم يؤمنون بما أُنزل إليك

(١) سورة البقرة آية:١٧٧.

(٢) إعراب القرآن للنحاس١/٥٠٥.

(٣) البحر المحيط ٣/٤١١.

(٤) مفاتيح الغيب ١١/٨٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/٣٦٩.

(٦) جامع البيان ٧/٦٨٣، ومفاتيح الغيب ١١/٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٦/١٥، والدر المصون٤/١٥٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يا محمد من الكتاب، وبما أُنزل من قبلك من كُتبي، وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة. ثم يرجع إلى صفة الراسخين في العلم فيقول: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بالكتب والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر.

وإنما اخترنا هذا على غيره؛ لأنه قد ذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب: (والمقيمين). وكذلك هو في مصحفه فيما ذكروا، فلو كان ذلك خطأ من الكاتب لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابته، بخلاف ما هو في مصحفنا، وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك، ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ"[(١)].

القول الثالث: أنه نسق على الهاء والميم من قوله: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ فالمعنى: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك.

وممن قال به: أبو زيد[(٢)].

وهذا القول ضعفه الزجاج: قال: وهذا رديءٌ عند النحويين، لا ينسق بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في الشعر.

وضعفه ابن جرير قال: " وهذا الوجه متكرَّه عند العرب، ولا تكاد العرب تعطف بظاهر على مكنيٍّ في حال الخفض، وإن كان ذلك قد جاء في بعض أشعارها[(٣)].

القول الرابع: أن قراءة (المقيمين) بالياء خطأ من الكاتب، والصحيح (المقيمون) بالواو.

وممن قال به: عثمان، وعائشة -رضي الله عنهما-[(٤)].

واستدلوا بما يلي:

١- قول عائشة -رضي الله عنها-:" أنه خطأ من الكاتب".

---

(١) جامع البيان ٦٨٣/٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٣٠/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤٧١/١، ٤٧٠، والبسيط١٩٠/٧.

(٣) جامع البيان ٦٨٣/٧.

(٤) الكشاف ٦٢٣/١، وزاد المسير ٤٩٨/١، والدر المصون١٥٥/٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- ما روي عن عثمان بن عفان ﷺ أنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها.

وقد رد هذا القول بعض المفسرين:

- قال الزجاج: قول من قال إنه خطأ، بعيدٌ جداً؛ لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة، والقدوة، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يصلحه غيرهم؟! فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم. قال ابن الأنباري: حديث عثمان لا يصح؛ لأنه غير متصل، ومحال أن يُؤخر عثمان شيئاً فاسداً، ليصلحه من بعده[١].

- قال الزمخشري: "ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف؛ وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل، كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام، وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم"[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

القراءة بالواو، "والمقيمون الصلاة".

وممن قرأ بها ابن مسعود، وأُبي-ﷺ-، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومالك بن دينار[٣]، والجحدري[٤]، وعيسى بن عمر الثقفي[٥] [٦].

---

(١) زاد المسير ١/٤٩٨.

(٢) الكشاف ١/٦٢٣.

(٣) هو: مالك بن دينار، أبو يحيى السامي الناجي، البصري، الزاهد، توفي سنة ١٢٣هـ. انظر: الكاشف ٢/٢٣٥، وصفوة الصفوة ٣/٢٧٣.

(٤) هو: عاصم بن العجاج الجحدري، من عباد أهل البصرة، وقرائهم، كنيته أبو المجشر، توفي سنة ١٢٩هـ. انظر: التاريخ الكبير ٦/٤٨٦، والثقات ٥/٢٤٠.

(٥) هو: عيسى بن عمر الثقفي، أبو عمر، مولى خالد بن الوليد نزل في ثقيف، فنسب إليهم عالم بالنحو والعربية والقراءة مشهور بذلك أخذ عن عبد الله بن إسحاق الحضرمي وتوفي عيسى بن عمر سنة تسع وأربعين ومائة في المنصور. انظر: معجم الأدباء ٤/٥١٩.

(٦) المحرر الوجيز ٢/١٣٥، وزاد المسير ١/٤٩٨، ومفاتيح الغيب ١١/٨٤، والبحر المحيط ٣/٤١١، والدر

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال الزجاج: إذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت، على تقدير: أذكرُ الكريمَ، أو رفعت، على تقدير: هو الكريمُ[١].

وروي أنها في مصحف ابن مسعود، وأبي بن كعب (والمقيمون)، وقد روي أنها فيه ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ﴾ كما هي في مصحف عثمان[٢].

حاصل الدراسة:

في الآية إشكال من حيث الإعراب، حيث جاء قوله: ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ﴾ بالياء بين مرفوعات؛ مرفوع سابق، ومرفوع لاحق، فأشكل على بعض الناس كيف جاءت هذه الكلمة بين المرفوعات على أنها بالياء؟

ولسيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا باب يسمونه (باب المدح) قد بينوا فيه صحة النصب على المدح وجودته[٣].

والعرب تخرج من الرفع إلى النصب إذا كثُرَ الكلام، ثم تعود بعدُ إلى الرفع[٤].

قال الشيخ ابن عثيمين: ونصبت على المدح، فعاملها محذوف والتقدير وأمدح المقيمين الصلاة، وإنما جاء القطع حيث نصبت بفعل محذوف، لفائدتين:

الفائدة الأولى: معنوية، وهي بيان العناية بإقامة الصلاة.

الفائدة الثانية: الانتباه، وذلك لأن الكلام إذا كان على نسق واحد فإن الإنسان ينسجم معه، ولا يكون هناك شيء يوجب وقوفه، لكن إذا اختلف توقف، وتساءل: لماذا جاءت هذه الكلمة على هذا الوجه، مخالفة لغيرها من الكلمات؟

وهذا بلا شك خير ممن قال: إن هذا غلط من الكتاب، كما قال بعضهم – والعياذ بالله – حيث قال إن الذين كتبوا المصحف أخطأوا فقالوا: والمقيمين، وأنها على قراءة

المصون ٤/١٥٣.

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/١٣١.

(٢) المحرر الوجيز ٢/١٣٥، والبحر المحيط ٣/٤١١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/١٣١.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ابن مسعود "والمقيمون" وهي الصواب، لكن هذا لا يستقيم إطلاقاً، إذ كيف يمكن للأمة الإسلامية أن يبقى الغلط في القرآن الكريم ولا يغير، وكيف يلتئم هذا مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (١).

والحقيقة أن الغالط هو القائل بهذا، وأنه أبعد النجعة وأخطأ خطأ عظيماً.

وبالنسبة للقول بأنه نسق على الهاء والميم من قوله: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ ، قول ضعفه الكثير من المفسرين.

وقوله: ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ هكذا هو في جميع مصاحف الأئمة، والقول بالواو (والمقيمون)، قراءة لها وجه في العربية، وأصول ترجع إليها، قال الزجاج: إذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت، على تقدير: أذكرُ الكريمَ، أو رفعت، على تقدير: هو الكريمُ.

والصحيح قراءة الجميع، كما قال ابن كثير(٢).

المناقشة والترجيح:

ويظهر مما سبق ضعف القول أنه خطأ من الكتاب، وأن في القرآن المتواتر الذي نتعبد الله به لحناً هو من تصرف كتَّاب الوحي، ومع ذلك فقد تلقته الأمة بالقبول على ما فيه لحن ظاهر باعتراف أفاضل الصحابة. وهو قول مرجوح، وهذا قول الرسعني، والأرجح النصب على المدح وهو الذي اعتمده سيبويه في كتابه.

القاعدة: الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى(٣).

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة(٤).

---

(١) سورة الحجر آية: ٩.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٣١/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٦٩/٤، وتفسير القرآن الكريم (سورة النساء) لابن عثيمين ٤٦٩/٢، ومفاتيح التفسير ٧٢٠/٢.

(٣) جامع البيان ٣٤١/١٨، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩٨/٥، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٤/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين١١٠/١.

(٤) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٦٠/٩، والبحر المحيط ١٠٣/١، ومغني اللبيب ٧١٠/١، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٤/١، وروح المعاني ٣٤٣/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٤٥/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (١)

٣٨- مسألة: اختلفوا في انتصاب ثمانية في قوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ ﴾ على ماذا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: بدلاً من "حمولةً وفرشاً"(٢).

القول الثاني: بدل مما بعد "كلوا"(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ ﴾ بدلاً من "حمولةً وفرشاً"، أي: وأنشأ ثمانية أزواج، أو بدل مما بعد "كلوا" فإنه في موضع نصب، **والأول أوجه**(٤)(٥).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: بدلاً من "حمولةً وفرشاً"، منصوب بما نصبهما. والمعنى: وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج، وهو اختيار غير واحد من المفسرين، وهو ترجيح الرسعني.

---

(١) سورة الأنعام آية:١٤٢- ١٤٣.

(٢) جامع البيان ٦٢٤/٩، وتفسير السمعاني١٥١/٢، ومعالم التنزيل٧٢/٢، والمحرر الوجيز٣٥٤/٢، وزاد المسير٨٦/٢، والجامع لأحكام القرآن ١١٣/٧، وتفسير البيضاوي ٤٥٩/٢، وتفسير النسفي ٣٤٩/١.

(٣) المحرر الوجيز ٣٥٤/٢، والجامع لأحكام القرآن١١٣/٧، وتفسير البيضاوي٤٥٩/٢، وفتح القدير ١٧/٢، وروح المعاني ٤٠/٨.

(٤) التبيان ٥٤٤/١.

(٥) رموز الكنوز ٣٢/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به:

١- الفراء، والزجاج، وسعيد الأخفش[١].

٢- الطبري، والسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والكلبي، والبيضاوي، والنسفي، والسمين الحلبي[٢].

ومن أقوالهم:

أ-قال ابن عطية: "نصبت على البدل من قوله تعالى: ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ ، وهذا أصوب الأقوال وأجراها مع معنى الآية"[٣].

ب- قال السمين الحلبي: قوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾، في نصبه ستة أوجه، أحسنها: أن يكون بدلاً من "حَمولة وفرشاً"[٤].

القول الثاني: بدل مما بعد "كلوا"، من محل "مما رزقكم الله"[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنه منصوب بـ "كلوا" الذي قبله أي: كلوا ثمانية أزواج، ويكون قوله: "ولا تتبعوا" إلى آخره كالمعترض بين الفعل ومنصوبه [٦].

وممن قال به:

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/٣٥٩، ومعاني القرآن للزجاج ٢/٢٩٩، ومعاني القرآن للأخفش ص٤٢٥.

(٢) جامع البيان ٩/٦٢٤، وتفسير السمعاني٢/١٥١، والبسيط٨/٤٨٩، ومعالم التنزيل٢/٧٢، والمحرر الوجيز٢/٣٥٤، وزاد المسير٢/٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٧/١١٣، وتفسير البيضاوي ٢/٤٥٩، وتفسير النسفي ١/٣٤٩، والدر المصون ٥/١٩١.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٣٥٤.

(٤) الدر المصون٥/١٩١.

(٥) المحرر الوجيز٢/٣٥٤، والجامع لأحكام القرآن٧/١١٣، والدر المصون٥/١٩٣، وفتح القدير ٢/١٧٠.

(٦) إعراب القرآن للنحاس١/١٠٢، ومشكل إعراب القرآن١/٢٧٥، والمحرر الوجيز٢/٣٥٤، وتفسير البيضاوي٢/٤٥٩، وفتح القدير ٢/١٧، وروح المعاني ٨/٤٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- علي بن سليمان الأخفش[١].

تعقب هذا القول أبو السعود، قالا: بأنه يأباه جزالة النظم الكريم[٢].

٢- أنه منصوب على الحال، تقديره مختلفةً أو متعددة، وصاحب الحال "الأنعام" فالعامل في الحال ما تعلَّق به الجار وهو "من"[٣].

تعقب هذا القول أبو السعود، قالا: بأنه يأباه جزالة النظم الكريم[٤].

٣- أنه عطف على "جنات" أي: أنشأ جنات وأنشأ ثمانية أزواج، ثم حذف الفعلُ وحرفُ العطف، وهو مذهب الكسائي[٥].

وهذا القول ضعفه أبو البقاء.[٦]

٤- أنه منصوب بفعل محذوف مدلول عليه بما في اللفظ تقديره: كلوا المباح ثمانية أزواج[٧].

٥- وهذا القول ضعفه السمين الحلبي[٨].

حاصل الدراسة:

إنما نصبت الثمانية؛ لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها، كأن معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج، فلما قدم قبل الثمانية (الحمولة والفرش) بين ذلك

---

(١) هو: علي بن سليمان بن الفضل الأخفش، النحوي، أبو الحسن، يسمى الأخفش الصغير، توفي سنة ٣١٥هـ. انظر: معجم الأدباء ١٢٦/٤، وتاريخ بغداد ٤٣٣/١١.

(٢) إرشاد العقل السليم ١٩٢/٣، وروح المعاني٤٠/٨.

(٣) تفسير البضاوي ٤٥٩/٢، والدر المصون١٩٣/٥، وروح المعاني٤٠/٨.

(٤) إرشاد العقل السليم ١٩٢/٣، وروح المعاني٤٠/٨.

(٥) المحرر الوجيز٣٥٤/٢، والجامع لأحكام القرآن١١٣/٧، والدر المصون ١٩٢/٥، وفتح القدير ١٧٠/٢.

(٦) إملاء ما من به الرحمن ٢٦٣/١، وروح المعاني ٤٠/٨.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١٣/٧، وإملاء ما من به الرحمن ٢٦٣/١، والدر المصون١٩٣/٥.

(٨) الدر المصون١٩٢/٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بعد فقال: ثمانية أزواج، على ذلك المعنى[١].

وبقية الأقوال: ضعفها أبو البقاء العكبري، وأبو السعود، فهي مرجوحة.

المناقشة والترجيح:

الراجح أنه بدل من حمولة وفرشاً، لاختيار أكثر المفسرين وأهل اللغة، وتضعيفهم الأقوال الأخرى. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق[٢].

---

(١) جامع البيان ٩/٦٢٤.

(٢) ومشكل إعراب القرآن ٢/٥٤٧، والمحرر الوجيز٣/١٥٤، والبحر المحيط١/١٨٢، وبدائع الفوائد ٣/٥٣٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٣٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

٣٩- مسألة: هل الآية منسوخة بآية المائدة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الآية منسوخة(٢).

القول الثاني: الآية محكمة(٣).

قال الرسعني:

ذهب قوم من المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية المائدة المشتملة على تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع(٤)، وبالأحاديث التي وردت في تحريم الحُمر الأهلية وكلّ ذي ناب من السباع، ومخلب(٥) من الطير. **وهو مذهبٌ بعيدٌ من التحقيق والصواب**؛ لأن المنخنقة وما بعدها من جملة الميتة، وأخبار الآحاد لا تنسخُ القرآن، وإنما المعنى: لا أجد فيما أوحي إليّ من القرآن، أو لا أجد فيما أوحي إليّ من القرآن وغيره محرماً، إلا أن يكون ميتة(٦). وليس في هذا دلالة على إباحة ما عدا المحرمات في الآية، وإنما الآية اقتضت أمره ﷺ بإخبار الكفار أنه لم يجد مُحرماً سوى ما عيّن في الآية، ثم بعد ذلك حرّم عليه ما حرّم من المطاعم.

أو يكون المعنى: لا أجد شيئاً محرماً من المطاعم التي حرمتموها، فيكون

---

(١) سورة الأنعام آية: ١٤٥.

(٢) الناسخ والمنسوخ ١/٤٣٢.

(٣) نواسخ القرآن ١/١٦٠، ومعالم التنزيل٢/٧٤، ولباب التأويل٢/١٩٤.

(٤) سورة المائدة آية:٣.

(٥) المخلب: بكسر الميم، وهو للطائر والسباع بمنزلة الظفر للإنسان. انظر: لسان العرب١/٣٦٣مادة: خلب.

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١/٤٣٢، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١/١٦٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الاستثناء منقطعاً؛ لأنهم كانوا يستحلون الميتة والدم[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين:

القول الأول: الآية منسوخة. لأنه وجب منها ألا يحرم إلا ما فيها، فنسخت إما:

١- بالقرآن، بآية المائدة، المشتملة على تحريم المنخنقة، والموقوذة، والمتردية والنطيحة، وما أكل السبع.

٢- بالسنة، بالأحاديث التي وردت في تحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير.

وهذا قول مردود، قال أبو جعفر القول ... أنها منسوخة غير جائز؛ لأن الأخبار لا تنسخ[٢].

القول الثاني: الآية محكمة، غير منسوخة. ولم يحرم إلا ما فيها، على ظاهر الآية، وفي سبب إحكامها ثلاثة أقوال:

١- أنها خبر، والخبر لا يدخله النسخ.

٢- أنها جاءت جواباً عن سؤال سألوه؛ فكان الجواب بقدر السؤال، ثم حرم بعد ذلك ما حُرِّم.

٣- أنه ليس في الحيوان مُحَرَّمٌ إلا ما ذُكر فيها.

وممن قال به: ابن عباس، وعائشةﷺ، وسعيد بن جبير، والشعبي[٣]، وهو ظاهر

---

(١) رموز الكنوز ٣٦/٢.

(٢) الناسخ والمنسوخ ٤٣٢/١.

(٣) هو: عامر بن شراحيل ، أبو عمرو الشعبي، الكوفي، أحد الأعلام، توفي سنة ١٠٤هـ. انظر: التاريخ الكبير ٤٥٠/٦، وتقريب التهذيب ٦٦٠/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مذهب مالك[١].

واستدلوا بقول ابن عباسﷺ، والنحاس:

١- كان ابن عباسﷺ لا يرى بلحوم الحمر الأهلية بأساً، ويقرأ هذه الآية، ويقول: ليس بشيء حراماً إلا ما حرمه الله في كتابه[٢].

٢- قال النحاس والقول... أنها جامعة لكل ما حرم وإحلال الحمر الأنسية وغيرها قول جماعة من العلماء[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنها محكمة، وكل ما أضافه النبي ﷺ مضموم إليها. وهو قول أكثر أهل العلم[٤].

فلم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة، وزيد في المحرمات كالمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، فلما بين النص إلحاقها بالميتة كانت زيادة في المحرمات، ثم نزل النص على رسول الله ﷺ في تحريم الخمر بوحي غير منجز، وبتحريم كل ذي ناب من السباع، فهذه كلها زيادات في التحريم[٥].

وممن قال به:

١- الزهري، ومالك بن أنس[٦] في أحد قوليه[٧].

٢- النحاس، وابن العربي، والخازن، والشنقيطي [١].

---

(١) نواسخ القرآن ١/١٦٠، ومعالم التنزيل٢/٧٤، ولباب التأويل٢/١٩٤.

(٢) نواسخ القرآن ١/١٦٠.

(٣) الناسخ والمنسوخ ١/٤٣٢.

(٤) معالم التنزيل٢/٧٤.

(٥) المحرر الوجيز ٢/٣٥٦.

(٦) هو: مالك بن أنس بن مالك بن عمرو بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله المدني الفقيه، إمام دار الهجرة، توفي سنة ١٧٩هـ. انظر: الكاشف ٢/٢٣٤، وتقريب التهذيب ١/٥١٦.

(٧) الناسخ والمنسوخ ١/٤٣٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٢٩١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومن أقوالهم:

١- قال النحاس: "أن نضم إلى الآية ما صح عن النبي ﷺ قول حسن فيكون داخلاً في الاستثناء"[٢].

٢- قال ابن العربي:" لو ثبت بالسنة محرم غير هذه لما كان ذلك نسخاً؛ لأن زيادة محرم على المحرمات، أو فرض على المفروضات، لا يكون نسخاً بإجماع من المسلمين، لا سيما وما ورد عن النبيﷺ في الحمر الأهلية"[٣].

٣- قال الخازن:" وذهب جمهور العلماء إلى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الأشياء المنصوص عليها في هذه الآية، فإن المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية، وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بها: منها تحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب الطير[٤].

٤- قال الشنقيطي: هذا الخبر الصحيح [٥]لا تناقضه الآية؛ لأنه إنما أفاد حكماً[٦].

٥- وذهب الشافعي إلى أن الحصر في هذه الآية غير مقصود، واستعان على دفع توهمه بأنها نزلت بسبب أولئك الكفار الذين أبوا إلا أن يحرموا ما أحل الله، ويحلوا ما حرم الله، عناداً منهم ومحادة لله ورسوله، فنزلت الآية بهذا الحصر الصوري مشادة لهم ومحادة من الله ورسوله، لا قصداً إلى حقيقة الحصر[٧].

---

(١) الناسخ والمنسوخ ٤٣٧/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢٩١/٢، ولباب التأويل١٩٤/٢، وأضواء البيان ٣٥٩/٧.

(٢) الناسخ والمنسوخ ٤٣٧/١.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢٩١/٢.

(٤) لباب التأويل١٩٤/٢.

(٥) حديث تحريم الحمر الأهلية.

(٦) أضواء البيان٣٥٩/٧.

(٧) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٣٨/١، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٣٦٠/٢، ومناهل العرفان للزرقاني ٨٠/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حاصل الدراسة:

من قال: أنها نسخت بما ذكر في المائدة من المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة وما أكل السبع، فهذا ليس بصحيح، قد رد قوم هذا القول، بأن قالوا كل هذا داخل في الميتة في هذه الآية، وقد ذكرت الميتة ها هنا فلا وجه للنسخ.

وأما ما ورد في السنة فلا يجوز أن يكون ناسخاً؛ لأن مرتبة القرآن لا يقاومها أخبار الآحاد، ولو قيل: إن السنة خصت ذلك الإطلاق، أو ابتدأت حكماً كان أصلح[١].

وليس له وجه من قال إنها محكمة، ولم يحرم إلا ما فيها، لعدم وجود دليل يرد غيرها من النصوص.

والذي يرجح ما قاله ابن الجوزي: وإنما الصواب عندنا أن يقال هذه الآية نزلت بمكة ولم تكن الفرائض قد تكاملت ولا المحرمات اليوم قد تتامت، ولهذا قال:(في ما أوحي) على لفظ الماضي، وقد كان حينئذ من قال: (لا إله إلا الله) ثم مات دخل الجنة، فلما جاءت الفرائض، والحدود وقعت المطالبة بها، فكذلك هذه الآية؛ إنما أخبرت بما كان في الشرع من التحريم يومئذ، فلا ناسخ إذن ولا منسوخ، ثم كيف يدعى نسخها وهي خبر والخبر لا يدخله النسخ[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول بأنها محكمة، وكل ما حرم من القرآن والسنة مضموم إليها.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها[٣].

---

(١) نواسخ القرآن ١/١٦٠.

(٢) نواسخ القرآن ١/١٦٠.

(٣) جامع البيان ١١/١٨٦، والناسخ والمنسوخ للنحاس١/٢٠٠، والإحكام لابن حزم ٤/٤٨٤، والتمهيد ١/٣٠٧، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٨، ومحاسن التأويل ١٥/٥٣٧٥، وأضواء البيان ٦/٧٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٧١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[١].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٢].

(١) المحرر الوجيز ٣٩٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/٧، والبحر المحيط ٩٤/٨، والتسهيل ٥٤/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٥٨/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٦٥٧/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٠/١، والمحرر الوجيز ٢١/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٥/١٢، وروح المعاني ٨٢/٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٠٦/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (١)

٤٠- مسألة: هل (الحوايا، وما اختلط بعظم) داخل في الاستثناء أو المستثنى منه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه داخل في الاستثناء(٢).

القول الثاني: أنه نسقٌ على ما حُرم، لا على الاستثناء(٣).

قال الرسعني:

المراد: ما حملت الحوايا من الشحم أو ما اختلط بعظم.

قال جمهور المفسرين: يريد: الألية.

وقال ابن جريج: كل شحم في القوائم والجنب والرأس وفي العينين والأذنين فهو ما اختلط بعظم، وهو حلال لهم، وإنما حرم عليهم الثرب وشحم الكلية.

وقيل "الحوايا" عطف على "شحومهما".

والأول أكثر وأشهر وأوضح، و"أو" بمنزلتها، كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين.

وقيل: بمعنى الواو -كما سبق-(١).

---

(١) سورة الأنعام آية: ١٤٦.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٦٣/١، وجامع البيان٦٤٤/٩، وغرائب القرآن ١٨٢/٣، وتفسير الجلالين ١٨٩/١، وإرشاد العقل السليم ١٩٥/٣، وفتح القدير ١٧٤/٢.

(٣) جامع البيان٦٤٤/٩، والكشاف ٧١/٢، وغرائب القرآن ١٨٢/٣، وإرشاد العقل السليم ١٩٥/٣، وفتح القدير ١٧٤/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه داخل في الاستثناء، فهو مباح، والمعنى: وأبيح لهم ما حملت الحوايا من الشحم وما اختلط بعظم. وهذا قول الأكثرين، وترجيح الرسعني.

وممن قال به:

١- الكسائي[٢] والفراء، وثعلب[٣]، وأحمد بن يحي[٤][٥].

٢- الطبري، والنيسابوري، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني[٦].

ومن أقوالهم:

١- قال النحاس:" وفي هذا أقوال، هذا أصحها،...والنظر يوجبه أن يعطف الشيء على ما يليه إلا أن لا يصح معناه، أو يدل دليل على غيره"[٧].

٢- قال السمعاني:" والصحيح: أن الكل يدخل في الاستثناء، وهو ظاهر الآية"[٨].

٣- قال أبو حيان بعد القول أنها معطوفة على الشحوم:" وعلى هذا يدخل

---

(١) رموز الكنوز ٢/٤٠.

(٢) هو: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي، أبو الحسن الكسائي، أحد القراء السبعة، وإمام في اللغة والنحو، توفي سنة ١٨٩هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٩٥، ومعرفة القراء الكبار ١/١٢٠.

(٣) هو: أحمد بن يحي بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، الملقب بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، له كتاب المصون، واختلاف النحويين، توفي سنة ٢١٩هـ. انظر: البداية والنهاية ١١/٩٨، والبلغة ١/٦٦.

(٤) هو: أحمد بن يحي بن زيد بن أحمد بن زيد ابن ناقد المسكي، أبو العباس، كان له يد في النحو، توفي سنة ٥٥٩هـ. انظر: طبقات الحنفية ١/١٣١، والوافي بالوفيات ٨/١٥٠.

(٥) معاني القرآن للفراء ١/٣٦٣، وفتح القدير ٢/١٧٤.

(٦) جامع البيان٩/٦٤٤، وغرائب القرآن ٣/١٨٢، وتفسير الجلالين ١/١٨٩، وإرشاد العقل السليم ٣/١٩٥، وفتح القدير ٢/١٧٤.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٤.

(٨) تفسير السمعاني ٢/١٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الحوايا في التحريم وهذا قول لا يعضده اللفظ ولا المعنى بل يدفعانه"[١].

٤- قال الشوكاني:" ولا وجه لهذا التكلف ولا موجب له؛ لأنه يكون المعنى إن الله حرم عليهم إحدى هذه المذكورات[٢].

القول الثاني: أنه نسقٌ على ما حُرم، لا على الاستثناء. فالمعنى: حرمنا عليهم شحومهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت الظهور، فإنه غير محرم. فيكون ما بعد (إلا) استثناء على هذا القول، داخلاً في التحريم. و(أو) ها هنا بخلاف معنى الواو[٣].

وممن قال به: الزمخشري[٤].

واستدلوا بما يلي:

أنه مثل قوله تعالى:﴿ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ [٥]، أي لا تطع آثماً، وكفورا.

حاصل الدراسة:

العطف على المستثنى، هو مذهب جمهور النحويين، وترجيح الرسعني، فيكون قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ﴾ (ما) في موضع نصب على الاستثناء، (ظهورهما) رفع بحملت، (أو الحوايا) في موضع رفع عطف على الظهور، (أو ما اختلط بعظم) (ما) في موضع نصب عطف على ما حملت .

والنظر يوجب، أن يعطف الشيء على ما يليه، إلا أن لا يصح معناه، أو يدل

---

(١) البحر المحيط ٤/٢٤٦.

(٢) فتح القدير ٢/١٧٤.

(٣) البسيط ٨/٥٠٩.

(٤) الكشاف ٢/٧١.

(٥) سورة الإنسان آية:٢٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دليل على غيره[١].

وكون الحَوَايَا نَسَقاً على شُحُومهما، فقد رد هذا القول بعض المفسرين، قال ابن عطية: وعلى هذا تَدْخُل (الحَوَايَا) في التَّحْرِيم، وهذا قَوْلٌ لا يعضدُه لا اللَّفْظ ولا المعْنَى بل يَدْفَعَانه[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه داخل في الاستثناء، والمعنى: وأبيح لهم ما حملت الحوايا من الشحم وما اختلط بعظم. وهذا قول الأكثرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق[٣].

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٤].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٥].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٠٤/٢.

(٢) المحرر الوجيز٣٥٨/٢.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٥٤٧/٢، والمحرر الوجيز١٥٤/٣، والبحر المحيط١٨٢/١، وبدائع الفوائد ٥٣٧/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٣٥/٢.

(٤) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب ١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، البرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (١)

٤١- مسألة: ما المشار إليه بقوله: ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المشار إليه: موسى ﷺ(٢).

القول الثاني: المشار إليه: جنس المحسنين(٣).

القول الثالث: إحسان الله على أنبيائه(٤).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ تَمَامًا ﴾ مفعول له، المعنى: آتيناه الكتاب لأجل التمام على الذي أحسنه من كتب الله وشرائع دينه، وعلوم أنبيائه.

وقيل: تماماً للنعمة والكرامة على ما أحسن في طاعتي وتبليغ رسالتي، فتكون الذي بمعنى "ما".

وقيل: المعنى: آتيناه الكتاب تاماً جملة واحدة لم نفرق إنزاله، كالقرآن مضافاً إلى الذي أحسنه من العلم وزيادة عليه.

فعلى هذه الأقوال المشار إليه: موسى ﷺ.

وقيل: المعنى: تماماً للنعمة والكرامة على من كان محسناً صالحاً، يريد: جنس المحسنين، وهو اختيار أبي عبيدة وكثير من المحققين.

---

(١) سورة الأنعام آية: ١٥٤.

(٢) جامع البيان٩/٦٧٦، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥/١٤٢٣، زاد المسير ٢/٩٤.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٣٦٥، وجامع البيان٩/٦٧٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥/١٤٢٣، وتفسير السمعاني ٢/١٥٨، وزاد المسير ٢/٩٣، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٤٣، وفتح القدير ٢/١٨٠.

(٤) جامع البيان٩/٦٧٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود:" على الذي أحسنوا".

وقال ابن زيد: تماماً على إحسان الله على أنبيائه. **وفيه تعسف**[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: المشار إليه: موسى ﷺ.

وفي معنى الكلام أقوال:

١- قيل: آتيناه الكتاب لأجل التمام على الذي أحسنه من كتب الله وشرائع دينه، وعلوم أنبيائه.

٢- قيل: تماماً للنعمة والكرامة على ما أحسن في طاعتي وتبليغ رسالتي، فتكون الذي بمعنى "ما".

٣- قيل: المعنى: آتيناه الكتاب تاماً جملة واحدة لم نفرق إنزاله، كالقرآن مضافاً إلى الذي أحسنه من العلم وزيادة عليه.

وممن قال به:

الحسن، وقتادة، والربيع، والطبري، وابن الأنباري[٢].

ومن أقوالهم:

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معناه: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً لنعمنا عنده، على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا؛ لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام، وأن إيتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه، ومنة عظيمة، فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل، وحسن

---

(١) رموز الكنوز ٥٣/٢.

(٢) جامع البيان٦٧٦/٩، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٤٢٣/٥، والبسيط٥٤٠/٨، وزاد المسير ٩٤/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

طاعة"[١].

القول الثاني: المشار إليه: جنس المحسنين، أو كل محسن من الأنبياء.

والمعنى: تماماً للنعمة والكرامة على من كان محسناً صالحاً. وهو اختيار كثير من المحققين.

وممن قال به: مجاهد، والحسن، والفراء، والقتبي[٢]، وأبو عبيدة[٣].

واستدلوا بقراءة عبد الله بن مسعودﷺ:" على الذي أحسنوا".[٤]

القول الثالث: إحسان الله على أنبيائه. وهو القول الذي رده الرسعني.

وممن قال به: ابن زيد[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أنه إبراهيم الخليل عليه السلام؛ فالمعنى: تماماً للنعمة على إبراهيم الذي أحسن في طاعة الله، وكانت نبوة موسى نعمة على إبراهيم؛ لأنه من ولده[٦].

فهو مبني على ما زعم من اتصال الآية بقصة إبراهيم -عليه السلام-.

وممن قال به: أبو مسلم ابن بحر[٧].

---

(١) جامع البيان ٩/٦٧٧.

(٢) هو: يحي بن موسى القتبي، البصري، يكنى: أبي العلاء، وهو ابن أبي ليلى القتبي، سمع من نافع مولى عمر.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٣٦٥، وجامع البيان٩/٦٧٦، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥/١٤٢٣، وتفسير السمعاني ٢/١٥٨، والبسيط٨/٥٣٩، وزاد المسير ٢/٩٣، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٤٣، وفتح القدير ٢/١٨٠.

(٤) جامع البيان٩/٦٧٤، وفضائل القرآن لأبي عبيد٢/٦٠، ومختصر الشواذ لابن خالويه ص٤٧.

(٥) جامع البيان٩/٦٧٧.

(٦) النكت والعيون٢/١٨٩، وزاد المسير ٢/٩٣.

(٧) النكت والعيون٢/١٨٩، وروح المعاني ٨/٦٠.

هو: محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب أبو مسلم كان نحوياً كاتباً بليغاً، متكلماً معتزلياً، عالماً بالتفسير وغيره من صنوف العلم، وصار عالم أصبهان وفارس. له جامع التأويل لمحكم التنزيل، على مذهب المعتزلة، والناسخ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حاصل الدراسة:

لو كان التأويل على ما قاله ابن زيد، كان الكلام: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسنًا. أو ثم آتى الله موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن. وفي وصفه جل ثناؤه نفسه بإيتائه الكتاب، ثم صرفه الخبر بقوله: ﴿ أَحۡسَنَ ﴾ إلى غير المخبِر عن نفسه؛ بقُرب ما بين الخبرين- الدليل الواضح على أن القول غيرُ القول الذي قاله ابن زيد.

ورد هذا القول الألوسي، قال بعد أن ذكر قول: إحسان الله على أنبيائه، وإحسان الله على موسى -عليه السلام-:"وكلاهما خلاف ظاهر"[١].

وأما ما ذُكر عن مجاهد من توجيهه ﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾ إلى معنى الجميع، فلا دليل في الكلام يدلُّ على صحة ما قال، غير قراءة ابن مسعودﷺ ، وهي قراءة شاذة، لا يعول عليها.

بل ظاهر الكلام أن المشار به موسى-عليه السلام- .

المناقشة والترجيح:

يتبين مما تقدم أن الراجح القول بأنه موسى- عليه السلام-، فهو القول الذي سلم من الاعتراضات.

قاعدة: إذا تُنُوزع في تأويل الكلام، كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر، إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليلٌ واضح على أنه معنيٌّ به غير ذلك[٢].

القاعدة: معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة[٣].

والمنسوخ، وكتاب في النحو وجامع رسائله، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة. انظر: معجم الأدباء٥/٢٣٩، وبغية الوعاة ١/٥٩.

(١) روح المعاني ٨/٦٠.

(٢) جامع البيان ٩/٦٧٨.

(٣) جامع البيان ١٣/٥٨٧، والمحرر الوجيز ٢/٢٣٠، وأضواء البيان ٤/٤٢٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١٠٤/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (١)

٤٢- مسألة: ما معنى الحسنة والسيئة في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه عام في كل حسنةٍ وسيئةٍ(٢).

القول الثاني: أن الحسنة: قول لا إله إلا الله. والسيئة: الشرك. (٣)

قال الرسعني:

والظاهر: عموم الآية في كل حسنة وسيئة.

وقال ابن مسعودﷺ، ومجاهد، والنخعي، "الحسنة": لا إله إلا الله، و"السيئة": الشرك(٤). (٥)

دراسة الأقوال في المسألة:

وفي الحسنة والسيئة قولان:

القول الأول: أنه عام في كل حسنةٍ وسيئةٍ.

وممن قال به: ابن عطية، والرازي، والخازن(٦).

ومن أقوالهم:

---

(١) سورة الأنعام آية: ١٦٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣٦٨/٢، ومفاتيح الغيب ٨/١٤، ولباب التأويل ٢٠٦/٢.

(٣) جامع البيان ٣٩/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٣١/٥، ومعاني القرآن للنحاس ٥٢٤/٢، وبحر العلوم ٥١٦/١، والكشف والبيان ٢١١/٤، وزاد المسير ٩٧/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٥١/٧، وتفسير الجلالين ١٩١/١.

(٤) أخرجه الطبري ٤٠/١٠ ، وابن أبي حاتم ١٤٣١/٥(٨١٥٦).

(٥) رموز الكنوز ٦٦/٢.

(٦) المحرر الوجيز ٣٦٨/٢، ومفاتيح الغيب ٨/١٤، ولباب التأويل ٢٠٦/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- قال ابن عطية:"وقالت فرقة ذلك لفظ عام في جميع الحسنات والسيئات وهذا هو الظاهر[١].

٢- قال الخازن:" إن اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد أو سيئة، وهذا أولى؛ لأن حمل اللفظ على العموم أولى"[٢].

القول الثاني: أن الحسنة: قول لا إله إلا الله. والسيئة: الشرك.

وممن قال به:

١- عن ابن عباس، وأبي هريرة، وابن مسعودﷺ، وأبي وائل، وسعيد بن جبير، والنخعي، وعلي بن الحسين[٣]، ومجاهد، وأبي صالح[٤]، والضحاك، وعكرمة، ومحمد بن كعب القرظي[٥]، والحسن، وقتادة، والسدي، والقاسم بن أبي بزة[٦]، وعطاء، وزيد بن أسلم، والزهري [٧].

٢- السمرقندي، والثعلبي، والقرطبي، والسيوطي[٨].

واستدلوا بما يلي:

---

(١) المحرر الوجيز ٣٦٨/٢.

(٢) لباب التأويل ٢٠٦/٢.

(٣) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، زين العابدين، توفي سنة ٩٤هـ. انظر: الكاشف ٣٧/٢، وتقريب التهذيب ٤٠٠/١.

(٤) ذكوان هو: أبو صالح السمان الزيات، مولى جويرية بنت الأحمس، توفي بالمدينة سنة ١٠١هـ. انظر: الكاشف ٣٨٦/١، وتهذيب التهذيب١٨٩/٣.

(٥) هو: محمد بن كعب بن سليم القرظي، يكنى: أبا حمزة، حليف الأنصار، توفي سنة ١٠٨هـ وقيل غير ذلك. انظر: صفوة الصفوة ١٣٢/٢، والإصابة ٣٤٥/٦.

(٦) هو: القاسم بن أبي بزة، اسمه: نافع، مولى بني مخزوم، توفي سنة ١٢٤هـ. انظر: الكاشف ١٢٧/٢، وتهذيب التهذيب ٢٧٨/٨.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم ١٤٣١/٥، وجامع البيان٣٩/١٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥٢٤/٢، وزاد المسير ٩٧/٢.

(٨) بحر العلوم ٥١٦/١، والكشف والبيان ٢١١/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٥١/٧، وتفسير الجلالين ١٩١/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال ابن مسعودﷺ: "الحسنة": لا إله إلا الله، و"السيئة": الشرك[١].

حاصل الدراسة:

من قال أن (الحسنة والسيئة) عام في كل حسنةٍ وسيئةٍ، القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله أو خلقه. جعله محمولاً على العموم، إما تمسكاً باللفظ، وإما لأجل أنه حكم مرتب على وصف مناسب له، فيقتضي كون الحكم معللاً بذلك الوصف. فوجب أن يعم لعموم العلة[٢].

والقول أن الحسنة قول: لا إله إلا الله، والسيئة هي: الشرك، استبعد هذا القول الرازي، والألوسي، قالوا: أن من وافى ربه يوم القيامة في موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً، بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته، وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله فقال من جاء بها فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة يقول ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله، فلا يجزى إلا ما ساءه من الجزاء كما وافى الله به من عمله السيئ[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: العموم، وهو أن يشمل جميع الحسنات والسيئات.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٤].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٥].

---

(١) أخرجه الطبري١٠/٣٨ ، وابن أبي حاتم ٥/١٤٣١.

(٢) مفاتيح الغيب ١٤/٨.

(٣) جامع البيان١٠/٣٦، ومفاتيح الغيب ١٤/٨، وروح المعاني٨/٦٩.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١]

٤٣- مسألة: ما معنى حرج في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الحرج بمعنى: الشك[٢].

القول الثاني: الحرج بمعنى: الضيق[٣].

قال الرسعني:

قال ابن عباسرضي الله عنه ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين: الحرج هاهنا: الشك.

وقال الحسن والزجاج: الحرج: الضيق. **وهذا هو الأصل**، واستعماله بمعنى الشك لما يُخامر الشاكّ من الضيق والحرج[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الحرج بمعنى: الشك. وسمي الشك حرجاً؛ لأن الشاك ضيق الصدر حرج الصدر، كما أن المتقي منشرح الصدر منفسح القلب.

وممن قال به:

---

(١) سورة الأعراف آية: ٢.

(٢) تفسير مجاهد ٢٣١/١، وتفسير الصنعاني ٢٢٥/٢، وجامع البيان ٥٥/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٣٨/٥، وزاد المسير ١٠١/٢، وأضواء البيان ٥٤٩/١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٧٠/١، وجامع البيان ٥٥/١٠، والوجيز ٣٨٦/١، والتسهيل ٢٨/٢، وتفسير الجلالين ١٩٢/١، وفتح القدير ١٨٧/٢.

(٤) رموز الكنوز ٧٢/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والسدي، وابن قتيبة[١].

٢- الرازي، والنسفي، وأبو السعود[٢].

واستدلوا بما يلي:

١- أنه مثل: قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[٣].

٢- وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[٤].

القول الثاني: الحرج بمعنى: الضيق. والمعنى: لا يضق صدرك بسبب أن يكذبوك في التبليغ. أو يضق صدرك حيث لم يؤمنوا بك، ولم يستجيبوا لك.

وممن قال به:

١- أبو العالية، والحسن والزجاج[٥].

٢- الفراء، وأبو عبيدة، والطبري، والواحدي، وابن عطية، وابن جزي الكلبي، وأبو حيان، والسيوطي، والشوكاني[٦].

واستدلوا بما يلي:

١- قوله تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ

---

(١) تفسير مجاهد١/٢٣١، وتفسير مقاتل١/٣٨٣، وتفسير الصنعاني٢/٢٢٥، وتفسير غريب القرآن ١/٢٠١، وجامع البيان١٠/٥٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٤٣٨، وزاد المسير ٢/١٠١، وأضواء البيان ١/٥٤٩.

(٢) مفاتيح الغيب ١٤/١٥، وتفسير النسفي ٢/٣، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٠٩.

(٣) سورة البقرة آية: ١٤٧.

(٤) سورة آل عمران آية :٦٠.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢/٣١٥، وزاد المسير ٢/١٠١، ومعالم التنزيل ٢/٨٩.

(٦) معاني القرآن للفراء ١/٣٧٠، ومجاز القرآن لأبي عبيد ١/٣٨، وجامع البيان١٠/٥٥، والوجيز ١/٣٨٦، والبسيط٩/٩، والمحرر الوجيز٢/٣٧٢، والتسهيل ٢/٢٨، والبحر المحيط٤/٢٦٧، وتفسير الجلالين ١/١٩٢، وفتح القدير ٢/١٨٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴾[١].

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[٢].

٣- ويؤيد الوجه الأخير في الآية أن الحرج في لغة العرب: الضيق. وذلك معروف في كلامهم[٣]. ومنه قوله تعالى : ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ ﴾ [٤]

ومن أقوالهم:

قال الطبري:" وهذا الذي ذكرته من التأويل عن أهل التأويل هو معنى ما قلنا في الحرج؛ لأن الشك فيه لا يكون إلا من ضيق الصدر به، وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته التي هي وجهته الصحيحة، وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق؛ لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب"[٥].

حاصل الدراسة:

أصل الحرج: الضيق، ومنه الحرجة، الشجر الملتف الذي قد تضايق[٦].

والحرج ها هنا: يعم الشك، والخوف، والهم، وكل ما يضيق الصدر[٧].

وجمهور العلماء: على أن المراد بالحرج في الآية الضيق. أي: لا يكن في صدرك ضيق عن تبليغ ما أمرت به لشدة تكذيبهم لك؛ لأن تحمل عدواة الكفار، والتعرض لبطشهم مما يضيق به الصدر، وكذلك تكذيبهم له ﷺ مع وضوح صدقه بالمعجزات الباهرات مما يضيق به الصدر.

---

(١) سورة هود آية: ١٢.

(٢) سورة الحجر آية: ٩٧.

(٣) أضواء البيان ١/٥٤٩.

(٤) سورة الفتح آية : ١٧.

(٥) جامع البيان ١٠/٥٥.

(٦) لسان العرب ٢/٢٣٣، مادة(حرج).

(٧) المحرر الوجيز ٢/٣٧٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المناقشة والترجيح:

الراجح: ان المراد بالحرج في الآية الضيق؛ لأن ذلك هو الغالب من معناه في كلام العرب، وهو قول جمهور العلماء، وترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية[1].

(١) الكشاف ٦٣٧/٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٤٨/١، ٢١٠/٤، ومجموع الفتاوى ٢٢٦/١٧، والبحر المحيط ١٠٤/٦، والتسهيل ٩/١، وقواعد التفسير عند المفسرين ٥١١/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ (١)

٤٤- مسألة: كيف يقدم الإهلاك على البأس، والبأس أتاها قبل الإهلاك؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أي: أردنا إهلاكها(٢).

القول الثاني: أن الهلاك والبأس يقعان معاً(٣).

القول الثالث: أن الكون مضمر في الآية(٤).

القول الرابع: أن في الآية تقديماً وتأخير(٥).

قال الرسعني:

فإن قيل: نظم الآية يدل على تقدم الهلاك على البأس، وهو العكس؟

قلت: المراد: أردنا إهلاكها؛ كقوله: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ ﴾ (٦)، وقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ ﴾ (٧).

وقال الفراء: وقع الإهلاك والبأس معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسنت إليّ.

وذكر ابن الأنباري عن ذلك جوابين:

---

(١) سورة الأعراف آية: ٤.

(٢) تفسير غرائب القرآن ٢٠٠/٣، ومفاتيح الغيب ١٨/١٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦٣/٧، ومعالم التنزيل ٨٩/٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٧١/١، وجامع البيان ٥٩/١٠.

(٤) زاد المسير ١٠٢/٢.

(٥) زاد المسير ١٠٢/٢.

(٦) سورة المائدة آية: ٦.

(٧) سورة النحل آية: ٩٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أحدهما: أن الكون مضمر في الآية، تقديره: أهلكناها وكان بأسنا قد جاءها، كما أضمر في قوله: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ [١] أي: ما كانت تتلوه.

الثاني: أن في الآية تقديماً وتأخيراً، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون فأهلكناها، كقوله: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [٢]

والأول هو الجواب الذي ينبغي أن يُعتمد عليه[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

ظَاهِر الآية: أنَّ مجيءَ البَأسِ بعد الإهلاكِ وعقيبه؛ لأنَّ الفاءَ تعطي ذلك لكن الواقعَ إنما هو مجيءُ البَأسِ، وبعدَهُ يقعُ الإهلاك؟

القول الأول: أي: أردنا إهلاكها، أو حكمنا بهلاكها مجازاً، فجاءها بأسنا[٤]. وهو ترجيح الرسعني. ونسب ابن عادل هذا القول للجمهور[٥].

وممن قال به:

النيسابوري، ومكي، والسمين الحلبي، والسيوطي، والشوكاني، والألوسي[٦].

واستدلوا بما يلي :

١- أنه كقوله: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ ﴾ [٧].

---

(١) سورة البقرة آية: ١٠٢.

(٢) سورة آل عمران آية: ٥٥.

(٣) رموز الكنوز ٧٦/٢.

(٤) تفسير غرائب القرآن ٢٠٠/٣، ومفاتيح الغيب ١٨/١٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦٣/٧، ومعالم التنزيل ٨٩/٢.

(٥) اللباب في علوم الكتاب ١٤/٩.

(٦) تفسير غرائب القرآن ٢٠٠/٣، والمشكل ٢٨٢/١، والدر المصون٢٤٩/٥، وتفسير الجلالين ١٩٣/١، وفتح القدير١٨٨/٢، وروح المعاني ٧٨/٨.

(٧) سورة المائدة آية: ٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- وقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ ﴾[١].

ومن أقوالهم:

قال الشوكاني: قوله ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ معطوف على أهلكنا، بتقدير: الإرادة؛ لأن ترتيب مجيء البأس على الإهلاك لا يصح إلا بهذا التقدير، إذ الإهلاك هو نفس مجيء البأس[٢].

القول الثاني: أن الهلاك والبأس يقعان معاً، أو يكون الإهلاك هو البأس بعينه، فيكون في ذكر الإهلاك الدلالة على ذكر مجيء البأس، وفي ذكر مجيء البأس الدلالة على ذكر الإهلاك.

وممن قال به: الفراء، والطبري[٣].

ومن أقوالهم:

١- قال الفراء: يقال: إنما أتاها البأس من قبل الإهلاك، فكيف تقدم الهلاك؟ قيل: أن الهلاك والبأس يقعان معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسنت، فلم يكن الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله: إنما وقعا معاً[٤].

٢- قال الطبري عن هذا القول :" صحيح واضح منهجه"[٥].

القول الثالث: أن الكون مضمر في الآية. تقديره: أهلكناها وكان بأسنا قد جاءها.

وممن قال به: ابن الأنباري[٦].

---

(١) سورة النحل آية: ٩٨.

(٢) فتح القدير ١٨٨/٢.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٧١/١، وجامع البيان ٥٩/١٠.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣٧١/١.

(٥) جامع البيان ٥٩/١٠.

(٦) زاد المسير ١٠٢/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

واستدلوا بما يلي:

أنه كما أضمر في قوله: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ [١] أي: ما كانت تتلوه.

القول الرابع: أن في الآية تقديماً وتأخيراً، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون فأهلكناها.

وممن قال به: ابن الأنباري[٢].

واستدلوا بما يلي:

أنه كقوله تعالى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- إن الهلاك واقع ببعض القوم فيكون التقدير: وكم من قرية أهلكت بعضها، فجاءها بأسنا فأهلكنا الجميع[٤].

٢- أنَّ الفاء هاهنا ليست للتعقيب إنما هي تفسيرية نحو : ' تَوَضَّأ فغسل وجهه ثم يديه ' فليست للتعقيب[٥].

٣- ويحتمل أن فجاءها بأسنا استئنافاً على وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلى تكلف والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم[٦].

٤- أن يكون معنى الفاء في هذا الموضع: معنى الواو، ولا تعطى رتبة. وقال

---

(١) سورة البقرة آية: ١٠٢.

(٢) زاد المسير ١٠٢/٢.

(٣) سورة آل عمران آية: ٥٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦٣/٧.

(٥) البحر المحيط ٢٦٩/٤، واللباب في علوم الكتاب ١٥/٩.

(٦) التسهيل ٢٩/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تأويل الكلام وكم من قرية أهلكناها وجاءها بأسنا بياتاً[١].

٥- أن يكون معناه: وكم من قرية أهلكناها بخذلاننا إياها عن إتباع ما أنزلنا إليها من البينات والهدى، واختيارها إتباع أمر أوليائها المغويتها عن طاعة ربها، فجاءها بأسنا إذ فعلت ذلك بياتاً، أو هم قائلون. فيكون إهلاك الله إياها خذلانه لها عن طاعته، ويكون مجيء بأس الله إياهم جزاءً لمعصيتهم ربهم بخذلانه إياهم[٢].

حاصل الدراسة:

الفاء[٣] في قوله: ﴿ فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا ﴾ عاطفة جملة: ﴿ فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا ﴾ على

---

(١) جامع البيان ٦٠/١٠، و المحرر الوجيز ٣٧٣/٢.

(٢) جامع البيان ٥٩/١٠، وروح المعاني ٧٨/٨.

(٣) قال الزركشي: الفاء: ترد عاطفة وللسببية وجزاء وزائدة.

الأول: العاطفة ومعناها التعقيب، نحو: قام زيد فعمرو، أي: إن قيامه بعده بلا مهلة والتعقيب في كل شيء بحسبه نحو ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ سورة البقرة آية:٣٦.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا ﴾ و البأس في الوجود قبل الهلاك وبها احتج الفراء على إن ما بعد الفاء يكون سابقاً ففيه عشرة أوجه:

أحدها: أنه حذف السبب وأبقى المسبب أي أردنا إهلاكها.

الثاني: إن الهلاك على نوعين استئصال وبغير استئصال، والمعنى وكم قرية أهلكناها بغير استئصال للجميع فجاءها بأسنا باستئصال الجميع.

الثالث: إنه لما كان مجيء البأس مجهولاً للناس، والهلاك معلوم لهم، وذكره عقب الهلاك وإن كان سابقاً؛ لأنه لا يتضح إلا بالهلاك.

الرابع: إن المعنى قاربنا إهلاكها فجاءها بأسنا فأهلكناها.

الخامس: أنه على التقديم والتأخير، أي: جاءها بأسنا فأهلكناها.

السادس: إن الهلاك ومجيء البأس لما تقاربا في المعنى جاز تقديم أحدهما على الآخر.

السابع: إن معنى ﴿ فَجَآءَهَا ﴾ أنه لما شوهد الهلاك علم مجيء البأس وحكم به من باب الاستدلال بوجود الأثر.

الثامن: أنها عاطفة للمفصل على المجمل كقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦ ﴾ سورة الواقعة آية:٣٦.

التاسع: أنها للترتيب الذكري.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

جملة:﴿ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾ ، وأصل العاطفة أن تفيد ترتيب حصول معطوفها بعد حصول المعطوف عليه، ولما كان مجيء البأس حاصلاً مع حصول الإهلاك أو قبلَه، إذ هو سبب الإهلاك، عسر على جمع من المفسرين معنى موقع الفاء هنا، حتّى قال الفرّاء إنّ الفاء لا تفيد التّرتيب مطلقاً، وعنه أيضاً إذا كان معنى الفعلين واحداً أو كالواحد قدّمت أيّهما شئت مثل شتمني فأساء وأساء فشتمني.

وعن بعضهم أنّ الكلام جرى على طريقة القلب، والأصل: جاءها بأسنا فأهلكناها، وهو قلب خلي عن النّكتة فهو مردود.

والذي فسّر به الجمهور: أنّ فعل ﴿ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾ مستعمل في معنى إرادة الفعل كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1]وقوله :﴿ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ [2] أي: فإذا أردت القراءة، وإذا أردتم القيام إلى الصّلاة، واستعمال الفعل في معنى إرادة وقوع معناه من المجاز المرسل.

والتّعبير عن إرادة الفعل بذكر الصّيغة التي تدلّ على وقوع الفعل يكون لإفادة عزم الفاعل على الفعل، عزماً لا يتأخّر عنه العمل، بحيث يستعار اللّفظ الدّال على حصول المراد، للإرادة لتشابههما، وإمّا الإتيان بحرف التّعقيب بعد ذلك فللدّلالة على عدم التّريّث، فدلّ الكلام كلّه: على أنّه تعالى يريد فيخلق أسباب الفعل المراد فيحصل الفعل، كلّ ذلك يحصل كالأشياء المتقارنة، وقد استفيد هذا التّقارن بالتّعبير عن الإرادة بصيغة تقتضي وقوع الفعل، والتّعبير عن حصول السّبب بحرف التّعقيب، والغرض من ذلك تهديد السّامعين المعاندين وتحذيرهم من أن يحلّ غضب[3].

العاشر:وتجيء للمهلة: ثم كقوله تعالى:﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ﴾ [سورة المؤمنون آية:١٤]ولا شك إن بينها وسائط. انظر: البرهان في علوم القرآن ٤/٢٩٥.

(١) سورة النحل آية: ٩٨.

(٢) سورة المائدة آية:٦.

(٣) التحرير والتنوير٨/٢٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد أردنا إهلاكها، وهو قول جمهور المفسرين، وترجيح الرسعني. فقول الفراء أن الهلاك و اليأس يقعان معاً، ضعفه ابن عادل، وقول ابن الأنباري أن الكون مضمر، وقول أن الفاء بمعنى الواو رده الطبري، وقول الطبري أن المراد الخذلان عن طاعة الله، والذي نسبه ابن عادل للجمهور رده الألوسي.

القاعدة: القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير[١].

القاعدة: لا ينبغي حمل الآية على القلب ولها بدونه وجه صحيح[٢].

---

(١) الكشاف ٤٧٧/٢، ومفاتيح الغيب ٨٩/١٢، ومجموع الفتاوى٢١٨/١٦، والبحر المحيط ٣٢٥/٢، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٤٥١/٢.

(٢) المحرر الوجيز٢٨٧/١، ومفاتيح الغيب ١٤٩/٢٢، والبحر المحيط ٦٣/٨، وأضواء البيان ٢٢٨/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٤٦١/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

٤٥- مسألة: ما معنى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: نصب الميزان يوم القيامة مجاز عن إرصاد الحساب السوي(٢).

القول الثاني: أنه نصب ميزان حقيقي ذو لسان وكفتين(٣).

قال الرسعني:

ذهب قوم على أن نصب الميزان يوم القيامة مجاز عن إرصاد الحساب السوي، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة، فمثَّل ذلك بنصب الموازين تحقيقاً لمعنى العدل.

والصحيح الذي عليه علماء النقل وأئمة الحديث وأعلام الفقهاء من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة فمن بعدهم: أنه ميزان ذو لسان وكفتين(٤).

لما أخبرنا به الشيخان الحافظ عبد القادر بن عبد الله الرهاوي(٥) قراءة عليه وأنا

---

(١) سورة الأعراف آية: ٨.

(٢) جامع البيان ٦٨/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٤٠/٥(٨٢٢٣)، ومعالم التنزيل ٩٠/٢، ومفاتيح الغيب ٢٢/١٤.

(٣) جامع البيان ٧٠/١٠، ومعاني القرآن للزجاج ٣١٩/٢، وتفسير السمعاني ١٦٥/٢، ومعالم التنزيل ٩٠/٢، وزاد المسير ١٠٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٧، وتفسير البيضاوي ٦/٣، وإرشاد العقل السليم ٢١٢/٣.

(٤) أخرجه الطبري ٦٩/١٠.

(٥) هو: عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحنبلي، الإمام الحافظ الرحال، محدث الجزيرة، كان عالماً ثقةً مأموناً، صالحاً ناسكاً، توفي بحران سنة اثنتي عشرة وستمائة للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء ٧١/٢٢، وتذكرة الحفاظ ١٣٨٧/٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أسمع بحران، وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الدُّنبلي[١] بقراءتي عليه بالموصل غير مرة ولا مرتين، قالا: أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني[٢] بثغر الإسكندرية، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي[٣] المعدل بالإسكندرية، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن حمصة الحراني[٤] بمصر، حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكناني[٥] الحافظ إملاءً، أخبرنا عمران بن موسى الطبيب، حدثنا يحي بن عبد الله بن بكير[٦]، حدثني الليث بن سعد[٧]، عن عامر بن يحي المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ :" يُصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كُلُّ سِجِلٍّ منها مدَّ البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى له: أتنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول عز وجل: لك عذر أو حسنة؟! فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول عز وجل: بلى! إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظُلم عليك، فتُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلاّت؟ فيقول عز وجل: إنك لا تظلم، قال:

---

(١) هو: علي بن أبي بكر بن سليمان، أبو الحسن الحنبلي، قدم بغداد حاجاً، وحدث بها عن الحافظ أبي طاهر السلفي. كان مولده بالموصل سنة ثمان وأربعين وخمسمائة. انظر: تكملة الإكمال ٢/٥٩٥.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني الجرواني، أبو طاهر السلفي، الإمام العلامة الحافظ، المفتي، شيخ الإسلام، توفي سنة ست وسبعين وخمسمائة. انظر: سير أعلام النبلاء٢١/٥-٣٩.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازي الإسكندري، أبو عبد الله، المعروف بابن الحطاب، توفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٨٣- ٥٨٤.

(٤) هو: علي بن عمر بن حمصة الحراني الصواف، ما سمع شيئاً سوى مجلس البطاقة، وتفرد عن حمزة الكناني، توفي سنة إحدى وأربعين وأربعمائة للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٠١-٦٠٢.

(٥) هو: حمزة بن محمد بن علي بن العباس، أبو القاسم الكناني المصري، مملي مجلس البطاقة، كان حافظاً ثبتاً، توفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. انظر: طبقات الحفاظ ص٣٧٨.

(٦) هو: يحي بن عبد الله بن بكير، الإمام المحدث الحافظ الصدوق، أبو زكريا القرشي المخزومي. توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦١٢-٦١٥، وطبقات الحفاظ ص١٨٤.

(٧) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري، ثقة كثير الحديث، توفي سنة خمس وسبعين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ٨/٤١٢-٤١٧، وتقريب التهذيب ص٤٦٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فتوضع السجلات في كِفَّة، والبطاقة في كِفَّة، فطاشت السِّجلاَّت وثقلت البطاقة"[١].

قال حمزة: ولا نعلمه روى هذا الحديث غير الليث بن سعد، وهو من أحسن الحديث، وبالله التوفيق.

قال أبو الحسن الحراني: لما أملى علينا حمزة هذا الحديث صاح غريب من الحلقة صيحة فاضت نفسه معها، وأنا فيمن حضر جنازته وصلَّى عليه، رحمه الله.

وقال ابن عباسﷺ: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكِفَّتان، فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته. وأما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان، فيخف وزنه[٢].

وقال حذيفةﷺ: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل، فيقول له ربه: زِن بينهم، ورُدّ من بعضهم على بعض، فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة، فإن لم تكن له حسنة، أخذ من سيئات المظلوم فرد على سيئات الظالم[٣].

ويروى: أن داود -عليه الصلاة والسلام- سأل ربه أن يُريه الميزان، فلما رآه غشي عليه، ثم أفاق فقال: إلهي! من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال: يا داود، إني إذا رضيت عن عبدي، ملأتها بتمرة"[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: نصب الميزان يوم القيامة مجاز عن إرصاد الحساب السوي، والجزاء على حسب الأعمال بالقضاء السوي، والحكم العادل.

وممن قال به:

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ح(٢٦٣٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، ح(٤٣٠٠)، والحاكم ١/٧١٠، ح(١٩٣٦)وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ١/٢٦٣.

(٣) أخرجه الطبري١٠/٦٩.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير٢/١٠٣. ا.هـ.رموز الكنوز٢/٧٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- مجاهد، والضحاك، والأعمش[١].

٢- نسب الرازي القول لبعض المتأخرين[٢].

واستدلوا بما يلي:

١- قالوا: حمل لفظ الوزن على هذا المعنى سائغ في اللغة، والدليل عليه، فوجب المصير إليه.

٢- ومما يقوي ذلك أن الرجل إذا لم يكن له قدرة ولا قيمة عند غيره يقال: إن فلاناً لا يقيم لفلان وزناً قال تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾[٣].

ومن أقوالهم:

١- قال الرازي: إذا ثبت هذا فنقول: وجب أن يكون المراد من هذه الآية هذا المعنى فقط، والدليل عليه أن الميزان إنما يراد ليتوصل به إلى معرفة مقدار الشيء، ومقادير الثواب والعقاب لا يمكن إظهارها بالميزان؛ لأن أعمال العباد أعراض وهي قد فنيت وعدمت، ووزن المعدوم محال، وأيضاً فبتقدير بقائها كان وزنها محالاً[٤].

٢- قال ابن فورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزان، بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها[٥].

القول الثاني: أنه ميزان ذو لسان وكفتين، توزن به صحائف الأعمال، وظاهر القرآن ينطق به. وهو ترجيح الرسعني، وقول الأكثرين.

وممن قال به:

---

(١) جامع البيان ٦٨/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٤٠/٥(٨٢٢٣)، ومعالم التنزيل ٩٠/٢، ومفاتيح الغيب ٢٢/١٤.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٢/١٤.

(٣) سورة الكهف آية: ١٠٥.

(٤) مفاتيح الغيب ٢٢/١٤.

(٥) زاد المسير ٣٠١/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- ابن عباس، وحذيفةﷺ، والحسن[١].

٢- الطبري، والزجاج، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، والبيضاوي، وأبو السعود[٢].

واستدلوا بما يلي:

١- حديث البطاقة، عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ:" يُصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كُلُّ سِجِلٍّ منها مدَّ البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى له: أتنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول عز وجل: لك عذر أو حسنة؟! فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول عز وجل: بلى! إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظُلم عليك، فتُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يارب! ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلاّت؟ فيقول عز وجل: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كِفَّة، والبطاقة في كِفَّة، فطاشت السِّجلاَّت وثقلت البطاقة"[٣].

٢- قال حذيفةﷺ: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل، فيقول له ربه: زِن بينهم، ورُدّ من بعضهم على بعض، فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة، فإن لم تكن له حسنة، أخذ من سيئات المظلوم فرد على سيئات الظالم[٤].

٣- يروى: أن داود -عليه الصلاة والسلام- سأل ربه أن يُريه الميزان، فلما رآه غشي عليه، ثم أفاق فقال: إلهي! من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال: يا داود،

---

(١) جامع البيان ٦٩/١٠، وزاد المسير ١٠٣/٢

(٢) جامع البيان ٧٠/١٠، ومعاني القرآن للزجاج ٣١٩/٢، وتفسير السمعاني ١٦٥/٢، ومعالم التنزيل ٩٠/٢، وزاد المسير ١٠٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٧، وتفسير البيضاوي ٦/٣، وإرشاد العقل السليم ٢١٢/٣.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الطبري ٦٩/١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إني إذا رضيت عن عبدي، ملأتها بتمرة[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار، من أن ذلك هو الميزان المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾: موازين عمله الصالح، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ . يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات؛ لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بقوله: " ما وضع في الميزان شيءٌ أثقل من حسن الخلق". ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزان توزن به العمال على ما وصفت"[٢].

ب- قال الزجاج بعد ذكره للأقوال:، وهذا كله في باب اللغة- والاحتجاج سائغ، إلا أن الأولى من هذا، أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح.[٣]

ج- قال ابن عطية بعد ذكر الأقوال:"وهذا القول أصح من الأول"[٤].

د- قال ابن الجوزي: والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن ينطق به[٥].

هـ- قال الشوكاني: قيل المراد به: وزن صحائف أعمال العباد بالميزان وزناً حقيقياً، وهذا هو الصحيح، وهو الذي قامت عليه الأدلة[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢/١٠٣.

(٢) جامع البيان ١٠/٧٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٣١٩.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٣٧٥.

(٥) زاد المسير ٢/١٠٣.

(٦) فتح القدير ٢/١٩٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق[١].

حاصل الدراسة:

القول أنه ميزان ذو لسان وكفتين، توزن به صحائف الأعمال، له عدة أوجه:

أولاً: أن ظواهر كتاب الله عز وجل تقتضيه، وحديث الرسول ﷺ ينطق به، من ذلك قوله لبعض الصحابة: وقد قال له: يا رسول الله: أين أجدك في القيامة؟ فقال: "اطلبني عند الحوض، فإن لم تجدني فعند الميزان"[٢]. ولو لم يكن الميزان مرئياً محسوساً لما أحاله رسول الله ﷺ على الطلب عنده.

ثانياً: أن النظر في الميزان والوزن والثقل والخفة المقترنات بالحساب لا يفسد شيء منه، ولا تختل صحته وإذا كان الأمر، كذلك فلم نخرج من حقيقة اللفظ إلى مجازه دون علة.

ثالثاً: وهي أن القول في الميزان هو من عقائد الشرع الذي لم يعرف إلا سمعاً، وإن فتحنا فيه باب المجاز غمرتنا أقوال الملحدة والزنادقة في أن الميزان، والصراط، والجنة، والنار، والحشر، ونحو ذلك إنما هي ألفاظ يراد بها غير الظاهر[٣].

والقول أن نصب الميزان يوم القيامة مجاز عن إرصاد الحساب السوي، والحكم العادل. فهذا قول يخالف ظاهر القرآن، وهو قول المعتزلة، ونسبه الرازي لأكثر المتأخرين.

المناقشة والترجيح:

يتبين مما تقدم أن الراجح ما ذهب إليه أكثر المفسرين من أن المراد حقيقة اللفظ، كما أن حمل معاني كلام الله عز وجل على الحقيقة أولى من حملها على المجاز.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٧، فتح القدير ١٩٠/٢.

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط،ح(٢٤٣٣). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) المحرر الوجيز ٣٧٥/٢.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[١].

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/٤١٤، والمحرر الوجيز ٢/٣٧٥، ومجموع الفتاوى٢٠/٤٧٣، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٣٨٧.

٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ ﴾ (١)

٤٦- مسألة: ما المقصود بقوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: وجهوا وجوهكم حيث كنتم إلى الكعبة(٢).

القول الثاني: اجعلوا سجودكم لله خالصاً دون ما سواه من الآلهة(٣).

قال الرسعني:

قال مجاهد والسدي وابن زيد: وجهوا وجوهكم حيث كنتم على الكعبة(٤).

وفي هذا القول نظر؛ لأن الآية مكية، والأمر بالتوجه إلى الكعبة كان على رأس ستة عشر شهراً في المدينة، وقد ذكرنا ذلك في البقرة(٥).

---

(١) سورة الأعراف آية: ٢٩.

(٢) جامع البيان١٠/١٤٠، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٢٦، وبحر العلوم ١/٥٢٧، وأحكام القرآن للجصاص ٤/٢٠٤، والكشف والبيان ٤/٢٢٧، وتفسير السمعاني٢/١٧٦، ومعالم التنزيل ٢/٩٨، والمحرر الوجيز٢/٣٩٢، وزاد المسير٢/١١٢، ومفاتيح الغيب ١٤/٤٨، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٨٨، ولباب التأويل ٢/٢٢٢، واللباب في علوم الكتاب ٩/٢٠٩.

(٣) جامع البيان١٠/١٤٠، وأحكام القرآن للجصاص ٤/٢٠٤، والكشف والبيان ٤/٢٢٧، وتفسير السمعاني٢/١٧٦، ومعالم التنزيل ٢/٩٨، والمحرر الوجيز٢/٣٩٢، وزاد المسير٢/١١٢، ومفاتيح الغيب ١٤/٤٨، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٨٨، ولباب التأويل ٢/٢٢٢، واللباب في علوم الكتاب ٩/٢٠٩.

(٤) أخرجه الطبري١٠/١٤٠، وابن أبي حاتم ٥/١٤٦٢ (٨٣٦٢)، وتفسير مجاهد ص٢٣٤.

(٥) سورة البقرة مفقودة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقال الربيع: المعنى: اجعلوا سجودكم لله خالصاً دون ما سواه من الآلهة [١][٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: وجهوا وجوهكم حيث كنتم إلى الكعبة.

وممن قال به:

١- مجاهد، ومقاتل، والسدي، وابن زيد[٣].

٢- الواحدي، والرازي، والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني[٤].

ومن أقوالهم:

قال الرازي:" والأقرب هو الأول؛ لأن الإخلاص مذكور من بعد، ولو حملناه على معنى الإخلاص، صار كأنه قال: وأخلصوا عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين، وذلك لا يستقيم"[٥].

القول الثاني: اجعلوا سجودكم لله خالصاً دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

وممن قال به:

الربيع بن أنس، والطبري، وابن كثير، السيوطي، والسعدي[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) أخرجه الطبري ١٠/١٤١، والنكت والعيون ٢/٢١٦، وزاد المسير ٢/١١٢.

(٢) رموز الكنوز ٢/١٠٦.

(٣) تفسير مجاهد ص٢٣٤، وتفسير مقاتل ١/٣٨٨، وجامع البيان ١٠/١٤٠، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٤٦٢، والبسيط ٩/٩٠.

(٤) الوجيز ١/٣٩١، ومفاتيح الغيب ١٤/٤٨، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٨٨، واللباب في علوم الكتاب ٩/٢٠٩، وفتح القدير ٢/١٩٩.

(٥) مفاتيح الغيب ١٤/٤٨، واللباب في علوم الكتاب ٩/٢٠٩.

(٦) جامع البيان ١٠/١٤١، وزاد المسير ٢/١١٢، وتفسير القرآن العظيم ت سلامة ٣/٤٠٣، وتفسير الجلالين ص١٩٦، وتفسير السعدي ص٣٨٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال الطبري:" وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما قاله الربيع، وهو أن القوم أُمروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصاً، لا مُكاءً وتصدية"[١].

قال ابن كثير: "أي: أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله تعالى وما جاءوا به عنه من الشرائع، وبالإخلاص له في عبادتهن فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، وأن يكون خالصاً من الشرك"[٢]. وبهذا المعنى فسرها السعدي.[٣]

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قيل: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجدٍ، فصلوا فيه، ولا يقولنَّ أحدكم: أصلي في مسجدي[٤].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، والضحاك، والكلبي، واختاره ابن قتيبة[٥].

٢- قيل: اقصدوا المسجد في وقت كلِّ صلاة، أمراً بالجماعة لها[٦].

وممن قال به:

الماوردي، والزمخشري[٧].

---

(١) جامع البيان ١٠/١٤١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ت سلامة ٣/٤٠٣.

(٣) تفسير السعدي ص٣٨٦.

(٤) تفسير الضحاك ١/٣٦٤، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٢٦، وبحر العلوم ١/٥٢٧، والكشف والبيان ٤/٢٢٧، والنكت والعيون ٢/٢١٧، وتفسير السمعاني٢/١٧٦، ومعالم التنزيل ٢/٩٨، والمحرر الوجيز٢/٣٩٢، وزاد المسير٢/١١٢، ومفاتيح الغيب ١٤/٤٨، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٨٨، ولباب التأويل ٢/٢٢٢، والبحر المحيط ٤/٢٨٩، واللباب في علوم الكتاب ٩/٢٠٩، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٢٣، وروح المعاني ٨/١٠٧.

(٥) زاد المسير ٢/١١٢، وبحر العلوم ١/٥٢٧.

(٦) النكت والعيون ٢/٢١٧، والكشاف ٢/٩٥، وزاد المسير ٢/١١٢، والبحر المحيط ٤/٢٨٩.

(٧) الكشاف ٢/٩٥، وزاد المسير ٢/١١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣- قيل: معناه إذا كان في جواركم مسجد، فأقيموا الجماعة فيه ولا تتجاوزوا إلى غيره[١].

وممن قال به: ذكره التبريزي[٢].

٤- قيل: هو أمر بإحضار النيّة لله في كل صلاة، والقصد نحوه [٣]كما تقول ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ الآية[٤].

وممن قال به: الربيع بن أنس.

٥- وقيل: معناه إباحة الصّلاة في كل موضع من الأرض، أي: حيثما كنتم فهو مسجد لكم يلزمكم عنده الصّلاة وإقامة وجوهكم فيه لله. [٥] وفي الحديث: "جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيّما رجل أدركته الصلاة فليصل"[٦].

٦- قال الزمخشري: أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليه، غير عادلين إلى غيرها[٧].

حاصل الدراسة:

وجه الطبري القول؛ لأن الله جل ثناؤه إنما خاطب بهذه الآية قوماً من مشركي العرب لم يكونوا أهل كنائس وبيع، وإنما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين، فغير معقول أن يقال لمن لا يُصلي في كنيسة ولا بيعة: وجه وجهك إلى الكعبة في كنيسة كنت أو بيعة[٨].

---

(١) البحر المحيط ٤/٢٨٩.

(٢) البحر المحيط ٤/٢٨٩. هو: الشيخ يوسف بن الحسن التبريزي، العالم الفاضل، توفي سنة أربع وثمانمائة للهجرة. انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي١/٣٠٧.

(٣) البحر المحيط ٤/٢٨٩.

(٤) سورة الأنعام آية: ٧٩.

(٥) البحر المحيط ٤/٢٨٩.

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب التيمم، باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً، ح(٣٣٦).

(٧) الكشاف ٢/٩٥.

(٨) جامع البيان ١٠/١٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وحمل لفظ الآية على قول ابن عباسﷺ: إذا حضرت الصلاة عند مسجد فصلوا فيه، بعيد؛ لأن لفظ الآية يدل على وجوب إقامة الوجه في كل مسجد، ولا يدل على أنه لا يجوز له العدول من مسجد إلى مسجد[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: اجعلوا سجودكم لله خالصاً دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤/٤٨.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٣٩٥، والجامع لأحكام القرآن ٧/٧٣، والبحر المحيط ٨/٩٤، والتسهيل ٤/٥٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٥٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ ﴾ (١)

٤٧- مسألة: ما المعني في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الأحقاد التي كانت كامنة في صدورهم، أو أحقاد الجاهلية أذهبها الله بالإسلام(٢).

القول الثاني: الإعلام بصفة أهل الجنة(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ أي: أزلنا الأحقاد التي كانت كامنة في صدورهم. قيل: المراد بذلك أحقاد الجاهلية أذهبها الله بالإسلام.

والأظهر في التفسير: أن المراد بذلك: الإعلام بصفة أهل الجنة. وإليه أشار علي -عليه السلام- بقوله فيما أخبرنا به الثقة العدل أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة(٤) بالموصل، أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني بثغر الإسكندرية، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين بن المهند بسلماس، أخبرنا جدي

---

(١) سورة الأعراف آية: ٤٣.

(٢) زاد المسير ١٢٠/٢.

(٣) جامع البيان ١٩٨/١٠، وتفسير السمعاني ١٨٣/٢، والكشاف ١٠٠/٢، ومعالم التنزيل ١٠٣/٢، والمحرر الوجيز ٤٠١/٢، وإرشاد العقل السليم ٢٢٨/٣.

(٤) هو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة، أبو القاسم الأنصاري الحموي، سمع على الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي كتاب"السيرة" لابن إسحاق، وحدث، سمع منه الحافظ عبد العظيم المنذري، توفي سنة ست وأربعين وستمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦١، وذيل التقييد ٣٤/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القاضي أبو بكر أحمد بن جرير بن خميس السلماسي، أخبرنا أبي- جرير بن أحمد-، حدثنا أبو سعيد عمران بن موسى بن هلال التميمي، حدثنا علي القصر، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا عبثر، عم مفضل بن مهلهل، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: قال علي ﷺ : "إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١) (٢)

وعلى هذا أيضاً أحمل قول علي -عليه السلام- :" فينا أهل بدر نزلت"(٣).

أخبر الله عنهم بما يؤول أمرهم إليه في الجنة، والصفة التي يكونون عليها، وأخبر عنه بصيغة الماضي لتحقق حصوله(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الأحقاد التي كانت كامنة في صدورهم، أو أحقاد الجاهلية أذهبها الله بالإسلام(٥).

وممن قال به: الحسن، وذكره ابن الجوزي ولم يرجحه(٦).

واستدلوا بما يلي:

روى كثير النواء(٧) عن أبي جعفر قال: نزلت هذه الآية في عليٍّ، وأبي بكر، وعمر، قلت لأبي جعفر: فأيُّ غِلٍّ هو؟ قال: غل الجاهلية، كان بين بني هاشم وبني تيم

---

(١) سورة الحجر آية: ٤٧.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٤٤/٧ ح(٣٧٨٢١)، و البيهقي في سننه ١٧٣/٨.

(٣) أخرجه الطبري١٩٨/١٠، وابن أبي حاتم ١٤٧٨/٥ (٨٤٦٦).

(٤) رموز الكنوز ١٢٤/٢.

(٥) زاد المسير ١٢٠/٢.

(٦) النكت والعيون٢٢٤/٢، والبسيط١٣٩/٩، وزاد المسير ١٢٠/٢، والبحر المحيط٢٩٨/٤.

(٧) هو: كثير النواء أبو إسماعيل، الكوفي، مولى بني تميم، عن عطية العوفي، شيعي جلد، ضعفوه. انظر: الكاشف ١٤٣/٢، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٢٢/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وبني عديٍّ في الجاهلية شيءٌ، فلما أسلم هؤلاء، تحابوا فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل عليٌّ يُسخِّن يده ويُكمِّد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية[١].

القول الثاني: الإعلام بصفة أهل الجنة. فأخبر الله عنهم بما يؤول أمرهم إليه في الجنة، والصفة التي يكونون عليها، وأخبر عنه بصيغة الماضي لتحقق حصوله.

وممن قال به:

١- علي رضي الله عنه، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي[٢].

٢- الزجاج، والطبري، والسمعاني، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وأبو السعود، والشنقيطي[٣].

واستدلوا بما يلي:

١- روى الحسن عن علي أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[٤].

٢- عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال علي رضي الله عنه: "إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[٥]

٣- روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا، أُذن لهم في دخول الجنة، فو

---

(١) واهٍ بمرة. أخرجه ابن أبي حاتم كما في "أسباب النزول" للسيوطي ص١٤١ عن علي بن الحسين، وهذا مرسل وفيه كثير النواء، وهو ضعيف.

(٢) جامع البيان ١٠/١٩٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٤٧٨.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٣٩، وجامع البيان ١٠/١٩٨، وتفسير السمعاني ٢/١٨٣، والكشاف ٢/١٠٠، ومعالم التنزيل ٢/١٠٣، والمحرر الوجيز ٢/٤٠١، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٢٨.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/٥٤٤ ح(٣٧٨٢١)، و البيهقي في سننه ٨/١٧٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الذي نفسيي بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا"[١].

٤ – وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي قال: إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوها، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان، فيشربون من إحداهما فينزع ما في صدورهم من غل، فهو الشراب الطهور ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها أبدا[٢].

ومن أقوالهم:

قال ابن عطية:" وهذا هو المعنى الصحيح فإن الآية عامة في أهل الجنة والغل الحقد والإحنة الخفية في النفس"[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١– عني بهذه الآية: عشرة من الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم[٤].

وممن قال به: أبو صالح[٥].

٢– المراد طهرنا قلوبهم وحفظناها من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب؛ بحيث لا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة الرفيعة، حتى يكون هذا في مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبري بعض أهل النار من بعض، ولعن بعضهم بعضاً، ليعلم أن حال أهل الجنة في هذا المعنى أيضاً مفارقة لحال أهل النار. وأيا ما كان فالمراد ننزع لأنه في الآخرة؛ إلا أن صيغة الماضي للإيذان بتحققه[٦].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، ح(٦٥٣٥)و (٢٤٤٠).

(٢) جامع البيان ١٠/١٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٤٠٢.

(٤) زاد المسير ٢/١٢٠.

(٥) زاد المسير ٢/١٢٠. وهو غير ثقة في التفسير. انظر: الجرح والتعديل ٢/٤٣١.

(٦) مفاتيح الغيب ١٤/٦٦، وفتح القدير ٢/٢٠٦، وروح المعاني ٨/١٢٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به: الزمخشري.

ومن أقوالهم:

قال الزمخشري:" هذا التأويل أولى من الوجه الأول"[١].

حاصل الدراسة:

ظاهر الآية يدل على أن المقصود به ما يكون يوم القيامة لأهل الجنة، لدلالة ما بعدها، وضعف ما استدل به الباقون. فمعنى قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ أي: قلعنا مافي قلوبهم من حقد مخفي فيها وعداوة، كانت بمقتضى الطبيعة لأمور جرت بينهم في الدنيا، وهذا من جملة ما ينعم الله به على أهل الجنة أن ينزع الله ما في قلوبهم من الغل على بعضهم بعضاً، حتى تصفوا قلوبهم ويود بعضهم بعضاً، فإن الغل لو بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة؛ لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر.[٢]

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المقصود الإعلام بصفة أهل الجنة، على اختلاف مراتبهم فيها، كأكابر الصحابة وغيرهم، وهو ما ثبت في الحديث الصحيح، وهو قول جمهور المفسرين. وإن كان من قال بعموم الآية كابن الجوزي له وجهه.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٣].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما

---

(١) نسبه الرازي للزمخشري ولم أجده عنه في تفسيره.

(٢) فتح القدير ٢٠٦/٢.

(٣) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خالفه[١].

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١)

٤٨- مسألة: اختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف.

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فتجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة(٢).

القول الثاني: هم قوم كانوا قتلوا في سبيل الله، عصاة لآبائهم في الدنيا(٣).

القول الثالث: هم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم(٤).

القول الرابع: أنهم أولاد الزنا(٥).

القول الخامس: إنهم أولاد المشركين(٦).

القول السادس: إنهم قوم عملوا لكنهم راءوا في أعمالهم(٧).

القول السابع: أصحاب الأعراف رجال صالحون(٨).

---

(١) سورة الأعراف آية: ٤٦.

(٢) جامع البيان ٢٢١/١٠، والكشاف ١٠٢/٢، والمحرر الوجيز ٤٠٤/٢، وروح المعاني١٢٣/٨.

(٣) جامع البيان٢١٨/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٥/٥، ومعالم التنزيل١٠٦/٢، والمحرر الوجيز ٤٠٤/٢، والتسهيل٣٣/٢، وفتح القدير٧٠٢/٢.

(٤) زاد المسير ١٢٤/٢، ومعالم التنزيل١٠٦/٢.

(٥) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٦) زاد المسير ١٢٤/٢، ومعالم التنزيل١٠٦/٢.

(٧) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٨) جامع البيان٢١٩/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٦/٥، وزاد المسير ١٢٤/٢، ومعالم التنزيل١٠٦/٢، والمحرر الوجيز ٤٠٤/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الثامن: هم ملائكة[١].

القول التاسع: أنهم أنبياء[٢].

قال الرسعني:

﴿ رِجَالٌ ﴾ قال ابن مسعود وحذيفة وابن عباسﷺ وجمهور العلماء: هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة[٣]. **ويشهد بصحة هذا** ما روي عن النبي ﷺ " أنهم قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم"[٤].

ويندرج فيه قول إبراهيم: هم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم[٥].

وروي عن ابن عباسﷺ: أنهم أولاد الزنا[٦].

وقيل: إنهم أولاد المشركين[٧].

وقيل: إنهم قوم عملوا لله لكنهم راؤوا في أعمالهم[٨].

وقال الحسن ومجاهد: أصحاب الأعراف رجال صالحون[٩].

---

(١) جامع البيان ٢٢١/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٦/٥، وزاد المسير ١٢٤/٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٤٣/٢، والمحرر الوجيز ٤٠٤/٢.

(٣) أخرجه الطبري٢١٢/١٠، وابن أبي حاتم ١٤٨٦/٥.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه(٢) ١٤٣/٥ ح٩٥٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣/٧. وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ،وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف، وقال ابن حجر:" والاضطراب فيه من أبي معشر، وهو نجيح بن عبد الرحمن، فإنه ضعيف". انظر: الإصابة ٣٧١/٤.

(٥) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٦) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٧) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٨) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٩) أخرجه الطبري٢١٩/١٠، وابن أبي حاتم ١٤٨٦/٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فعلى هذا القول يكون الله تعالى قد أكرمهم بالإشراف على الأعراف ليعرفوا تفاوت ما بين المنزلتين ويتعجلوا السرور بالنجاة من العذاب والفوز بالثواب.

وقال أبو مجلز[١]: هم ملائكة، فقيل له: إنهم رجال، فقال: إن الملائكة ذكور وليسوا إناث[٢].

وحكى ابن الأنباري والزجاج: أنهم أنبياء[٣].

والأول أظهر وأكثر في التفسير.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فتجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يُدخلهم الجنة بفضل رحمته، وهم آخر من يدخل الجنة.

وممن قال به:

١- ابن مسعود، وحذيفة[٤]، وابن عباس، وأبو هريرةﷺ، وسعيد بن جبير، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وجمهور العلماء[٥].

٢- الطبري، والزمخشري، وابن كثير، والألوسي، وابن القيم،واختيار الفراء[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) هو: لاحق بن حميد بن سعيد، أبو مجلز، السدوسي، البصري، من كبار الثالثة، توفي سنة ست ومائة للهجرة. انظر: الكاشف ٢/٣٥٩، وتقريب التهذيب ١/٥٨٦.

(٢) أخرجه الطبري١٠/٢٢٠، ورد الطبري هذا القول بقوله: هو قول لا معنى له١٠/٢٢١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٤٣.

(٤) هو: حذيفة بن حُسيل بن جابر العبسي، أبو عبد الله حليف الأنصار، واليمان لقب: حسيل، صاحب سر النبي ﷺ، توفي سنة ٣٦هـ. انظر: الاستيعاب ١/٣٣٤، وسير أعلام النبلاء٢/٣٦١.

(٥) جامع البيان ١٠/٢١٢-٢١٧، والمحرر الوجيز٢/٤٠٤، والتسهيل٢/٣٣، وروح المعاني ٨/١٢٣.

(٦) معاني القرآن للفراء١/٣٧٩، وجامع البيان١٠/٢٢١، والكشاف ٢/١٠٢، والمحرر الوجيز ٢/٤٠٤، وبدائع التفسير٢/٣٩٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٦/٣٠٦، وروح المعاني٨/١٢٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أ- قال ابن كثير: واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب العراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم[١].

ب- قال ابن القيم: وهذا هو الثابت عن الصحابة، وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا تكاد تثبت أسانيدها وآثار الصحابة في ذلك المعتمدة[٢].

القول الثاني: هم قوم كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا.

وممن قال به:

أبو سعيد الخدري، وعبد الرحمن المزني[٣]، وشرحبيل بن سعد[٤]، والقشيري[٥].

واستدلوا بما روي عن النبي ﷺ " أنهم قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم"[٦].

القول الثالث: هم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم، يحبسون على الأعراف إلى أن يقضي الله بين الخلق، ثم يدخلون الجنة.

وممن روي عنه: عبد الوهاب بن مجاهد عن إبراهيم، ومجاهد[٧].

القول الرابع: أنهم أولاد الزنا.

وممن قال به: ابن عباس رضي الله عنه[١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٣٠٦.

(٢) بدائع التفسير ٢/٣٩٣.

(٣) هو: عبد الرحمن المزني، والد محمد، وقيل: عمر، روى عن النبي ﷺ في أصحاب الأعراف. انظر: الاستيعاب ٢/٨٥٦، والإصابة ٤/٣٧٢.

(٤) هو: شرحبيل بن سعد بن عبادة الأنصاري، الخزرجي، أبو سعد، المدني، من التابعين المدنيين. انظر: الثقات ٤/٣٦٤، والتاريخ الكبير ٤/٢٥١.

(٥) جامع البيان ١٠/٢١٨، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٤٨٥، ومعالم التنزيل ٢/١٠٦، والمحرر الوجيز ٢/٤٠٤، والتسهيل ٢/٣٣، وفتح القدير ٢/٧٠٢.

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه(٢) ٥/١٤٣ ح٩٥٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٣. وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف، وقال ابن حجر:" والاضطراب فيه من أبي معشر، وهو نجيح بن عبد الرحمن، فإنه ضعيف". الإصابة ٤/٣٧١.

(٧) زاد المسير ٢/١٢٤، ومعالم التنزيل ٢/١٠٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الخامس: إنهم أولاد المشركين[٢].

وممن قال به: ذكره المنجوفي[٣] في تفسيره[٤].

القول السادس: إنهم قوم عملوا لله تعالى، لكنهم راءوا في أعمالهم[٥].

وممن قال به: نسبه ابن الجوزي لبعض العلماء[٦].

القول السابع: أصحاب الأعراف رجال صالحون، فقهاء، علماء، فعلى هذا يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النزهة، فعلوا على الأعراف يطلعون على أهل الجنة وأهل النار.

وممن قال به: الحسن، ومجاهد[٧].

القول الثامن: هم ملائكة، وليسوا ببني آدم.

وممن قال به: أبو مجلز[٨].

واعترض عليه، فقيل: إنهم رجال، فكيف تقول: ملائكة؟ فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث[٩].

القول التاسع: أنهم أنبياء.

---

(١) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٢) زاد المسير ١٢٤/٢، ومعالم التنزيل١٠٦/٢.

(٣) هو: أحمد بن عبد الله بن علي بن سويد، أبو بكر المنجوفي السدوسي البصري، روى عنه البخاري، توفي أبوه سنة ٢٥٢هـ. انظر: الهداية والإرشاد ٣٨/١، وتهذيب الكمال ٣٦٥/١.

(٤) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٥) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٦) زاد المسير ١٢٤/٢.

(٧) جامع البيان٢١٩/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٦/٥، وزاد المسير ١٢٤/٢، ومعالم التنزيل١٠٦/٢، والمحرر الوجيز ٤٠٤/٢.

(٨) جامع البيان ٢١٩/١٠.

(٩) جامع البيان ٢٢١/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٦/٥، وزاد المسير ١٢٤/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به: ابن الأنباري، والزجاج[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنهم الذين ماتوا في الفترة ولم يُبدلوا دينهم.

وممن قال به:

عبد العزيز بن يحيى الكناني[٢].

٢- قوم كان عليهم دين.

وممن قال به: مسلم بن يسار[٣].

٣- فقراء أهل الجنة.

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل[٤].

٤- أنهم قوم فيهم عجب.

وممن قال به: الحسن[٥].

حاصل الدراسة:

والقول في الرجال الذين على الأعراف ما قاله ابن جرير: قال: والصواب من القول في أصحاب الأعراف، أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم. ولا خبر عن رسول اللهﷺ يصح سنده، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يُدرك قياساً، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم، ودون سائر الخلق غيرهم.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٤٣/٢، والمحرر الوجيز ٤٠٤/٢.

(٢) زاد المسير ١٢٤/٢.

هو: عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن ميمون الكناني، المكي، الذي ينسب إليه كتاب الحيدة، كان يلقب بالغول، من صغار العاشرة، مات بعد الثلاثين. انظر: الكاشف ٦٥٩/١، وتقريب التهذيب ٣٥٩/١.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٦/٥.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٦/٥.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٦/٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كان بيِّناً، أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قول لا معنى له، وقد رده أكثر أهل التفسير. وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره، هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول اللهﷺ، ومع ما روي عن رسول اللهﷺ في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيدها ما فيها.

وهو ترجيح ابن عطية، قال: "قال الجمهور هم رجال من البشر ثم اختلفوا"[١].

واستدل ابن جرير بما أخرجه عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، قال: سئل رسول اللهﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال:" هم آخر من يفصل بينهم من العباد، وإذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد، قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلكم الجنة، فأنتم عتقائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم"[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: قول الرسعني، وجمهور العلماء والمفسرين، أنهم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة.

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٠٤.

(٢) جامع البيان ١٠/٢٢١.

(٣) جامع البيان ٢/٢٣١، والتسهيل ١/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢/٣٥٤، وأضواء البيان ١/٣٨٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٨٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [١]

٤٩- مسألة: ما مقدار الستة أيام؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مقدار ستة أيام؛ كأيام الدنيا؛ لأن اليوم عبارة عن الزمان الكائن من طلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن إذ ذاك شمس ولا سماء، ولا فلك دوار، ولا ليل ولا نهار[٢].

القول الثاني: أن مقدار كل يوم من الستة: ألف سنة[٣].

قال الرسعني:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ في مقدار ستة أيام؛ لأن اليوم عبارة عن الزمان الكائن من طلوع الشمس على غروبها، ولم يكن إذ ذاك شمس ولا سماء، ولا فلك دوار، ولا ليل ولا نهار.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن مقدار كل يوم من الستة: ألف سنة. وإليه ذهب كعب، ومجاهد، والضحاك[٤].

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه: ولو قال قائل إنها كأيام الدنيا كان قوله بعيداً، من وجهين:

---

(١) سورة الأعراف آية:٥٤.

(٢) بحر العلوم ٥٣٦/١، والوجيز٣٩٧/١، والمحرر الوجيز ٤٠٨/٢، وتفسير الجلالين٢٠١/١، وإرشاد العقل السليم٢٣٢/٣، وتفسير الكريم الرحمن ٢٩١/١.

(٣) جامع البيان ٢٤٥/١٠، وبحر العلوم ٥٣٦/١، وتفسير القرآن العظيم ٣١٩/٦، وروح المعاني ١٣٣/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٦١/٧(٣٥٨٩٤)، والطبري ٢٤٥/١٠ كلاهما عن مجاهد، وابن أبي حاتم ١٤٩٦/٥ عن ابن عباس رضي الله عنه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أحدهما: خلاف الآثار.

والثاني: الذي يتوهمه من الإبطاء في ستة آلاف سنة يتوهمه في ستة أيام عند تصفح قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [١].

قلت: وقد قيل: أنها كأيام الدنيا، **وهو الذي يقوى في نظري. ويدل على صحته وجوه:**

أحدها: ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال:" أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الأثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل"[٢].

وجه الحجة من الحديث: أنه ﷺ أخبر بأن الله تعالى خلق المخلوقات المذكورة في هذه الأيام، فإما أن يريد هذه الأيام التي نعرفها أو زماناً يماثلها في قدرها، على معنى: خلق الله التربة في مثل يوم السبت، وكذلك التقدير في سائر الأيام، وأياً ما كان فمقصودنا حاصل.

الثاني: أن الذي ذكرناه هو المتبادر إلى الأذهان والأفهام عند إطلاق الأيام، **وهو الظاهر فيجب المصير إليه** ما لم يُصرف عنه دليل نقلي أو عقلي. وقول بعض العلماء معارض بمثله.

الثالث: أن المقصود تعريف العباد مقدار زمن الخلق بما يتعارفونه من الأزمان المعبّر عنها بالأيام، فوجب صرف اللفظ إلى ما يعرفونه.

الرابع: أنه سبحانه وتعالى نبّه عباده بما ذكره على عظيم قدرته جلّت عظمته. ومعقولٌ أن حمل الأيام على ما نتعارفه أدل على القدرة العظيمة من حملها على ستة

---

(١) سورة يس آية:٨٢.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام، ح(٢٧٨٩). ٤/٢١٤٩

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

آلاف سنة.

الخامس: قوله تعالى في موضع آخر: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [١] أي نصب وتعب، نفى سبحانه وتعالى عن نفسه اللغوب حين ذكر ما دلّ على عظيم اقتداره وبديع صنعته من خلق السموات والأرض في ستة أيام، **ولا مرية أن هذا المعنى بالأيام المعلومة أشبه**[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا؛ لأن اليوم عبارة عن الزمان الكائن من طلوع الشمس إلى غروبها[٣].

وأما وجه الحكمة في ذلك: فمما انفرد الله عز وجل بعلمه، كسائر أحوال الشرائع[٤].

وممن قال به:

١- الحسن البصري[٥].

٢- الواحدي، والسيوطي، وأبو السعود، والسعدي[٦].

واستدلوا بما يلي :

أ- أنه كقوله: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [٧] على مقادير البكرة

---

(١) سورة ق آية: ٣٨.

(٢) رموز الكنوز ٢/١٤٥-١٤٧.

(٣) معالم التنزيل ٢/١٠٨، وفتح القدير٢/٢١١، والجامع لأحكام القرآن ٧/٢١٩.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٤٠٨.

(٥) بحر العلوم ١/٥٣٦.

(٦) الوجيز١/٣٩٧، وتفسير الجلالين١/٢٠١، وإرشاد العقل السليم٣/٢٣٢، وتفسير الكريم الرحمن ١/٢٩١.

(٧) سورة مريم آية: ٦٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والعشي في الدنيا[١].

ب- ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال:" أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الأثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل"[٢].

القول الثاني: أن مقدار كل يوم من الستة: ألف سنة.

وممن قال به:

ابن عباس رضي الله عنه، وزيد بن أرقم[٣]، وعبد الله بن سلام رضي الله عنه[٤]، ومجاهد،

وكعب الأحبار[٥]، ومجاهد، والضحاك، والإمام أحمد بن حنبل[٦][٧].

---

(١) البسيط٩/١٦٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام، ح(٢٧٨٩). ٤/٢١٤٩

(٣) هو: زيد بن أرقم من بني الحارث الخزرجي، سكن الكوفة، يكنى: أبو عمرو، توفي سنة٨٦ هـ، وقيل:٦٦هـ. انظر: التاريخ الكبير ٣/٣٨٥، والإصابة ٢/٥٨٩.

(٤) هو: عبد الله بن سلام الحبر، شهد له النبي ﷺ بالجنة، يكنى: أبو يوسف، توفي بالمدينة، سنة ٤٣هـ. انظر: الكاشف ١/٥٦٠، وتقريب التهذيب ١/٣٠٧.

(٥) هو: كعب الحبار بن ماتع، يكنى: أبا إسحاق الحميري، توفي أيام عثمان. انظر: الكاشف ٢/١٤٨، وصفوة الصفوة ٤/٢٠٣.

(٦) هو: الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله الشيباني، انتشر مذهبه الحنبلي في نجد وبعض جهات أخرى في الجزيرة العربية، وأشهر تأليفه: المسند، توفي سنة ٢٤١هـ. انظر: الوافي بالوفيات٦/٢٢٥، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/٥.

(٧) جامع البيان ١٠/٢٤٥، وبحر العلوم ١/٥٣٦، والبسيط٩/١٦٧، وتفسير القرآن العظيم ٦/٣١٩، وروح المعاني ٨/١٣٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

استدلوا : بما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن مقدار كل يوم من الستة: ألف سنة. وإليه ذهب كعب، ومجاهد، والضحاك[١].

حاصل الدراسة

قال أهل التفسير: قوله: ﴿ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ، أراد: في مقدار ستة أيام؛ لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فكيف يكون يوم ولا شمس ولا سماء؟

وإلى حمل اليوم على المتعارف، هو المتبادر إلى الأذهان والأفهام عند إطلاق الأيام، لقوة أدلة القائلين به، ولما ورد في صحيح مسلم، وقوة ما أجاب به الرسعني على المخالفين.

المناقشة والترجيح:

الراجح: قول أنه كأيام الدنيا وهو قول الرسعني وجمهور المفسرين.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٣].

القاعدة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٦١/٧(٣٥٨٩٤)، والطبري ٢٤٥/١٠ كلاهما عن مجاهد، وأبن أبي حاتم ١٤٩٦/٥ عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل ٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٦٥٧/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٠/١، والمحرر الوجيز ٢١/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٥/١٢، وروح المعاني ٨٢/٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٠٦/١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٥، والمحرر الوجيز ١٢٨/١، ومفاتيح الغيب ١١٥/٣، وأضواء البيان ٢٠٦/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٢٥/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١)

٥٠- مسألة: ما معنى قوله تعالى:﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يلبس الليل النهار حتى يذهب بضيائه(٢).

القول الثاني: يلبس النهار الليل حتى يذهب بظلامه(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ والمعنى: يلبس الليل النهار حتى يذهب بضيائه، أو يلبس النهار الليل حتى يذهب بظلامه، فإن اللفظ يحتمل المعنيين، **والأول أكثر وأشهر** عند علماء التفسير(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: يلبس الليل النهار حتى يذهب بضيائه.

وممن قال به:

١- السدي، والطبري، والزجاج، وابن أبي حاتم، والسمرقندي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، وأبو السعود،

---

(١) سورة الأعراف آية:٥٤.

(٢) جامع البيان١٠/٢٤٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٤٩٧، وبحر العلوم ١/٥٣٧، والوجيز١/٣٩٧، وتفسير السمعاني٢/١٨٨، ومعالم التنزيل٢/١٦٥، وزاد المسير٢/١٢٩، والجامع لأحكام القرآن٧/٢٢١، وإرشاد العقل السليم٣/٢٣٢، وفتح القدير٢/٢١١.

(٣) الكشاف٢/١٠٤، والتسهيل٢/٣٤، وتفسير القرآن العظيم٦/٣٢٠.

(٤) رموز الكنوز ٢/١٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والشوكاني[١].

القول الثاني: يلبس النهار الليل حتى يذهب بظلامه.

لم يقل أحد من العلماء أو المفسرين أن الآية فيه خاصة.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أنه يحتمل الوجهين، يلبس الليل النهار حتى يذهب بضيائه، ويلبس النهار الليل حتى يذهب بظلامه.

وممن قال به: الزمخشري، وابن جزي الكلبي، وابن كثير[٢].

استدلوا بما يلي:

إن الليل يأتي على النهار فيغطيه، ولم يقل يغشى النهار الليل؛ لأن في الكلام دليلاً عليه وقد بين في آية أخرى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾ [٣] فكذلك هاهنا معناه: يغشى النهار الليل، ويغشى الليل النهار يعني: إذا جاء النهار يذهب بظلمة الليل، وإذا جاء الليل يذهب بنور النهار[٤].

حاصل الدراسة:

أصل اللفظة من الغشاء أي يجعل أحدهم غشاء للآخر يغطيه فتغطي ظلمة الليل ضوء النهار.

ورجح المفسرون القول الأول بأن التغشية بمعنى الستر، وهي أنسب بالليل من النهار[٥]. وإن كان حمل الآية على القولين ممكن؛ لأن في الآية دليلاً عليه بينه في قوله

---

(١) جامع البيان١٠/٢٤٥، ومعاني القرآن للزجاج٢/٣٤٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٤٩٧، وبحر العلوم ١/٥٣٧، والوجيز١/٣٩٧، وتفسير السمعاني٢/١٨٨، ومعالم التنزيل٢/١٦٥، وزاد المسير٢/١٢٩، والجامع لأحكام القرآن٧/٢٢١، وإرشاد العقل السليم٣/٢٣٢، وفتح القدير٢/٢١١.

(٢) الكشاف٢/١٠٤، والتسهيل٢/٣٤، وتفسير القرآن العظيم٦/٣٢٠.

(٣) سورة الزمر آية ٥.

(٤) بحر العلوم١/٥٣٧، والبسيط٩/١٧٢.

(٥) روح المعاني ٨/١٣٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المعنى: يلبس الليل النهار حتى يذهب بضيائه. لصريح لفظ الآية، وهو قول جميع المفسرون، وترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[١].

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٢].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣-٣٦٢، والتسهيل ٩/١، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٧١/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

٥١- مسألة: علام يعود الضمير في قوله تعالى:﴿ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ﴾؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنها تعود إلى السحاب(٢).

القول الثاني: أنها تعود إلى السوق(٣).

القول الثالث: أنها تعود إلى البلد(٤).

قال الرسعني:

﴿ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ﴾ أي: بالسحاب أو بالسوق أو بالبلد، ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ﴾ : يحتمل الوجوه المذكورة في الضمير الذي قبله.

والأحسن – والله أعلم- أن يكون المعنى: فأنزلنا بذلك البلد الماء، فأخرجنا بالماء(٥).

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الأعراف آية:٥٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٤٥/٢، وبحر العلوم ٥٣٩/١، ومعالم التنزيل١١٢/٢، وزاد المسير ١٣١/٢، والتسهيل٣٥/٢، وفتح القدير ٢١٤/٢، وروح المعاني ١٤٦/٨.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٤٥/٢، وزاد المسير ١٣١/٢، وروح المعاني ١٤٦/٨.

(٤) بحر العلوم ٥٣٩/١، ومعالم التنزيل١١٢/٢، والتسهيل ٣٥/٢، ولباب التأويل ٢٤٣/٢، وفتح القدير ٢١٤/٢.

(٥) رموز الكنوز ١٦٠/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الأول: أنها تعود إلى السحاب، أي: فأنزلنا بالسحاب الماء، فأخرجنا به من كل الثمرات [١]؛ لأن السحاب آلة لنزول الماء.

ثم في "البَاءِ" وجهان: أحدهما: هي بمعنى (مِنْ)، أي: فأنزلنا من السَّحَابِ الماء. والثاني: أنَّهَا سببيَّةٌ، أي: فأنزلنا الماء بسبب السَّحَابِ[٢].

وممن قال به: الزجاج[٣].

ومن أقوالهم: قال الزجاج: جائز أن يكون: فأنزلنا بالسحاب الماء، فأخرجنا به من كل الثمرات[٤].

القول الثاني: أنها تعود إلى السوق. [٥]و"الباءُ" سببية، أي: فأنزلنا بسبب سَوْقِ السَّحابِ.

ولم يرجحه أحد؛ إنما ذكره بعض المفسرين من ضمن الأقوال[٦].

وضعفه ابن عادل، قال ابن عادل: وهو ضعيفٌ لعَوْد الضَّمير على غير مذكور، مع إمكان عَوْدِهِ على مذكُور[٧].

القول الثالث: أنها تعود إلى البلد، أي: فأنزلنا بذلك البلد الميت الماء، فأخرجنا بالبلد من كل الثمرات[٨].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٤٥/٢، وبحر العلوم ٥٣٩/١، ومعالم التنزيل١١٢/٢، وزاد المسير ١٣١/٢، والتسهيل٣٥/٢، وفتح القدير ٢١٤/٢، وروح المعاني ١٤٦/٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب١٦٩/٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٤٥/٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٤٥/٢.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٤٥/٢، وزاد المسير ١٣١/٢، وروح المعاني ١٤٦/٨.

(٦) زاد المسير ١٣١/٢، والدر المصون٣٥١/٥، وروح المعاني ١٤٦/٨.

(٧) اللباب في علوم الكتاب١٦٩/٩.

(٨) بحر العلوم ٥٣٩/١، ومعالم التنزيل١١٢/٢، والتسهيل ٣٥/٢، ولباب التأويل ٢٤٣/٢، والبحر المحيط٣٢١/٤، والدر المصون٣٥١/٥، وفتح القدير ٢١٤/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به: الزجاج، وابن الأنباري، والواحدي، وأبو حيان، والسيوطي[١].

ومن أقوالهم:

قال الزجاج: وجائز أن يكون فأخرجنا بالبلد من كل الثمرات؛ لأن البلد ليس يُخصَّ به ههنا بلدٌ سوى سائر البلدان[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن هاء الكناية في قوله: ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ﴾ :

١- تعود على المطر، أو الماء.

وممن قال به:

٢- الطبري، والزجاج، وابن عطية[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: ويحتمل أن يعود على الماء وهو أظهرها[٤].

٣- تعود على الريح[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون :

أن هاء الكناية في قوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾

---

(١) البسيط٩/١٩١، وزاد المسير ١٣١/٢، ولباب التأويل٢/٢٤٣، وروح المعاني ١٤٦/٨، وتفسير الجلالين ٢٠٢/١.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٤٥/٢،

(٣) جامع البيان ٢٥٤/١٠، ومعاني القرآن للزجاج٢/٣٤٥، و المحرر الوجيز ٤١٣/٢، وزاد المسير ١٣١/٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤١٣/٢.

(٥) جامع البيان١٠/٢٥٤، وفتح القدير٢/٢١٤، روح المعاني ١٤٦/٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تعود على الماء؛ لأن إنزال الماء كان سبباً لإخراج الثمرات[١].

وممن قال به: الزجاج، وابن عطية، والألوسي، والسمرقندي، والواحدي، والسيوطي، والشوكاني[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: الأحسن – والله أعلم- فأخرجنا بالماء من كل الثمرات[٣].

ب- قال ابن عادل: الخلافُ في هذه الآيةِ كالَّذِي في قبلها، ونزيد عليه وجهاً أحْسَنَ منها، وهو العودُ على الماء، ولا ينبغي أن يُعْدَلَ عنه[٤].

ج- قال الألوسي: ويحتمل أن يعود الضمير إلى الماء، وهو الظاهر؛ لقربه لفظاً ومعنى، ومطابقة النظائر، وانفكاك الضمائر لا بأس به، إذا قام الدليل عليه، وحسن الملاءمة[٥].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ ﴾ الضَّميرُ في"به" يعود على أقرب مذكور، وهو بلدٍ مَيّت، وعلى هذا فلا بدَّ من أن تكون الباء ظرفيّة، بمعنى: أنزلنا في ذلك البلدِ الميِّتِ الماء، وهذا هو الظَّاهِرُ[٦].

وقول أنها تعود على السوق ضعفه ابن عادل لعَوْد الضَّمير على غير مذكور.

---

(١) لباب التأويل ٢/٢٤٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٤٥، وبحر العلوم ١/٥٣٩، والبسيط٩/١٩١، والوجيز ١/٣٩٨، والمحرر الوجيز ٢/٤١٣، وتفسير الجلالين١/٢٠٢، وفتح القدير ٢/٢١٤، وروح المعاني ٨/١٤٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٤٥.

(٤) اللباب في علوم الكتاب٩/١٦٩.

(٥) روح المعاني ٨/١٤٦.

(٦) اللباب في علوم الكتاب٩/١٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وفي قوله: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ﴾ رجح العلماء عود الضمير على الماء، وهو قول جمهور المفسرين؛ لقربه لفظاً ومعنى.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الضمير في (فأنزلنا به) يعود إلى البلد الميت؛ لأنه أقرب مذكور.

والضمير في (فأخرجنا به) يعود إلى الماء، لقول المفسرين وعدم اختلافهم في ذلك، لقربه لفظاً ومعنى. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[1].

(1) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب ١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (١)

٥٢- مسألة: هل اسم لوط عربي أو أعجمي؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أن اسم لوط من الأسماء العربية(٢).

القول الثاني: أن اسم لوط من الأسماء الأعجمية(٣).

قال الرسعني:

قال بعض أهل اللغة: هو مشتق من لطتُ الحوض؛ إذا ملَّسته بالطين(٤).

قال الزجاج: وهذا غلط؛ لأن لوطاً من الأسماء الأعجمية ليس من العربية. فأما لطت الحوض، وهذا ألوط بقلبي من هذا، فمعناه: ألصق بقلبي(٥).

واللِّيط: القشر، وهذا صحيح في اللغة. ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحاق، لا نقول إنه مشتق من السُّحق وهو البعد، وهو كتاب الله الذي لا ينبغي أن يقدم على تأويله إلا برواية صحيحة أو حجة واضحة(٦).

وقد ذكرنا في آل عمران(٧) أيضاً: أن نوحاً سمي بذلك؛ لنوحه، **والظاهر** أنهما

---

(١) سورة الأعراف آية:٨٠.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٣٧/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٥١/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٠٣/٩.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١٣٧/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٥١/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٠٣/٩، والنكت والعيون٤٩٠/٢.

(٤) لسان العرب ٣٩٤/٧ مادة(لوط).

(٥) لسان العرب٣٩٥/٧ مادة(لوط).

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣٥١/٢.

(٧) عند الآية: ٣٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

اسمان أعجميان، ولزمهما الصرف مع العجمة والتعريف لخفتهما[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أن اسم لوط من الأسماء العربية، هو مشتق من لطتُ الحوض؛ إذا ملَّسته بالطين[٢].

وممن قال به: الفراء[٣].

القول الثاني: أنه من الأسماء الأعجمية، ليس من العربية، والأسماء الأعجمية لا تشتق كإسحاق فلا يقال: إنه من السحق وهو البعد، وإنما صرف لوط لخفته؛ لأنه على ثلاثة أحرف وهو ساكن الوسط[٤].

وممن قال به: الزجاج، والنحاس[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال النحاس: قال أبو إسحاق: زعم بعض النحويين -يعني الفراء- أن لوطاً يكون مشتقاً من لطت الحوض، قال: وهذا خطأ؛ لأن الأسماء الأعجمية لا تشتق[٦].

ب- قال الماوردي: أنه اسم أعجمي، وهو قول الأكثرين[٧].

ج- قال النقاش: لوط من الأسماء الأعجمية وليس من العربية، فأما لطت الحوض وهذا أليط بقلبي من هذا، فصحيح؛ ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحاق[٨].

---

(١) رموز الكنوز ١٨٧/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ١٣٧/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٥١/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٠٣/٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٠٣/٩.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٥١/٢، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٧/٢.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١٣٧/٢.

(٧) النكت والعيون٤٩٠/٢.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

د- قال سيبويه : نوح ولوط أسماء أعجمية إلا أنها خفيفة فلذلك صرفت[١].

حاصل الدراسة

الأسماء الأعجميّة لا تشتق كإسْحَاق، فلا يقال: إنه من السُّحق وهو البعد؛ وإنَّمَا صرّف لوط لخفته؛ لأنَّه على ثلاثة أحْرُف، ساكن الوسط، فأمَّا لطتُ الحوضَ، وهذا أليط فصحيح، ولكن الاسم أعجميّ كإبراهيم وإسحاق. وهذا رأي الجمهور من المفسرين[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن لوط كان أعجمي نشأة وتسمية، ليس عربي، وهو قول سيبويه والزجاج، والجمهور.

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/٧.

(٢) زاد المسير ١٣٦/٢، واللباب في علوم الكتاب ٢٠٣/٩.

(٣) جامع البيان ٢٣١/٢، والتسهيل ٩/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/٢، وأضواء البيان ٣٨٥/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٨٨/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [١]

٥٣- مسألة: علام يعود الضمير في ﴿ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يعود الضمير في "آمن به" إلى "كل صراط" [٢].

القول الثاني: يعود الضمير في "آمن به" إلى الله تعالى[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ قال صاحب الكشاف: الضمير في "آمن به" يعود إلى "كل صراط"، تقديره: توعدون من آمن به وتصدون عنه، فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير؛ زيادة في تقبيح أمرهم، ودلالة على عظم ما يصدون عنه[٤].

ويجوز عندي- والله تعالى أعلم-: أن يعود الضمير إلى الله تعالى؛ لأنه أقرب المذكورين[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الأعراف آية: ٨٦.

(٢) الكشاف٢/١٢١، وتفسير البيضاوي٣/٤٠، وتفسير غرائب القرآن ٣/٢٨٥، واللباب في علوم الكتاب ٩/٢١٢.

(٣) جامع البيان١٠/٣١٥، والجامع لأحكام القرآن٧/٢٤٩، وتفسير البيضاوي٣/٤٠، والبحر المحيط٤/٣٤١، واللباب في علوم الكتاب ٩/٢١٢.

(٤) الكشاف ٢/٢١٢.

(٥) رموز الكنوز ٢/١٩٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القول الأول: يعود الضمير في "آمن به" إلى "كل صراط"، وتقديره: توعدون من آمن به وتصدون عنه. فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير، زيادة في التقبيح والتفظيع.

وممن قال به: الزمخشري [١].

ومن أقوالهم:

قال الزمخشري: الضمير في "آمن به" يعود إلى "كل صراط"، تقديره: توعدون من آمن به وتصدون عنه، فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير؛ زيادة في تقبيح أمرهم، ودلالة على عظم ما يصدون عنه[٢].

القول الثاني: يعود الضمير في "آمن به" إلى الله تعالى، لأنه أقرب المذكورين، وللعلم به[٣].

وممن قال به: عكرمة، والطبري[٤].

ومن أقوالهم:

قال الطبري: ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ تردون عن طريق الله من صدق بالله وحده[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- يعود الضمير على سبيل الله.

---

(١) الكشاف٢/١٢١، وتفسير البيضاوي٣/٤٠، وتفسير غرائب القرآن ٣/٢٨٥، والدر المصون٥/٣٧٧، واللباب في علوم الكتاب ٩/٢١٢.

(٢) الكشاف ٢/٢١٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٤٩، وتفسير البيضاوي ٣/٤٠، والبحر المحيط٤/٣٤١، واللباب في علوم الكتاب ٩/٢١٢.

(٤) جامع البيان ١٠/٣١٥، والبسيط٩/٢٢٩.

(٥) جامع البيان ١٠/٣١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وممن قال به:

أ- أبو حيان، وابن عادل[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال أبو حيان: والضمير في ﴿ بِهِۦ ﴾ الظاهر أنه على ﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وذكره؛ لأن السبيل تذكر وتؤنث[٢].

ب- قال ابن عادل: بعد ذكره للأقوال: وإما على سبيل الله، وجاز ذلك؛ لأَنَّهُ يذكَّر ويُؤَنَّثُ، وعلى هذا فقد جمع بين الاستعمالين هنا حيث قال: ﴿ بِهِۦ ﴾ فذكَّر، وقال: ﴿ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ فأنَّث[٣].

٢- يعود الضمير إلى شعيب في قول من رأى القعود[٤].

حاصل الدراسة:

وبالنظر إلى الأقوال وما رجحه المفسرون وما ردوه، نجد من قال أن الضمير يعود على كل الصراط، رده أبو حيان، بقوله: وهذا تعسّف في الإعراب لا يليق بأن يحمل القرآن عليه، لما فيه من التقديم والتأخير، ووضع الظاهر موضع المضمر من غير حاجة إلى ذلك، إذ الأصل خلاف ذلك كُلِّهِ، ولا ضرورة تَدْعُوا إليه، وعود الضمير على أبعد مذكور مع إمكان عوده على أقرب مذكور الإمكان السائغ الحسن الراجح[٥].

ولم يذكر أغلب المفسرين أن الضمير يعود على شعيب، وهذا يدل على عدم رجحانه.

ولم يرجح المفسرون إلا القول إنه سبيل الله، أو الله وكلاهما أقوال متقاربة، وهي أقرب المذكور.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٧، والبحر المحيط٣٤١/٤، واللباب في علوم الكتاب ٢١٢/٩.

(٢) البحر المحيط٣٤١/٤.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٢١٢/٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٧.

(٥) البحر المحيط٣٤١/٤، والدر المصون٣٧٧/٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المناقشة والترجيح:

الراجح: عودته إلى الله أو سبيل الله، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[١].

(١) جامع البيان١٢/٢٤٧، والإحكام لابن حزم ٤/٤٣٥، والمحرر الوجيز ١/٤٨٥، ومفاتيح الغيب ١٠/١٩، ومجموع الفتاوى ١٥/١١٢، والبحر المحيط ٢/٦، والتسهيل ٢/٩٧، والبرهان في علوم القرآن ٤/٣٩، وأضواء البيان ٣/٣٩٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٢١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [١]

٥٤- مسألة: من المتكلم هنا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه من تمام كلام فرعون[٢].

القول الثاني: أنه من تمام كلام الملأ لفرعون وخاصته، أو له وحده، أو لمن دونه[٣].

قال الرسعني:

﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أي: ماذا تشيرون به عليّ، من قولك: أمرته فأمرني بكذا، أي: استشرته فأشار عليّ بكذا. وهذا من تمام كلام فرعون.

وقيل: من تمام كلام الملأ لفرعون وخاصته، أو له وحده، على مذهب التعظيم، أو لمن دونه في الرتبة يستخرجون ما عندهم من الرأي.

والأول- وهو اعتقاد كونه من قول فرعون- **أجود**؛ توفيقاً ما بين هذا الموضع وبين ما في سورة الشعراء[٤]، ولقوله عقيبه: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه من تمام كلام فرعون[٦].أي: فإذا كان كذلك فماذا تشيرون

---

(١) سورة الأعراف آية:١١٠.

(٢) معالم التنزيل٢/١٣٥، وفتح القدير ٢/٢٣١، والمحرر الوجيز٢/٤٣٧، والتسهيل٢/٤١، وتفسير السمعاني٢/٢٠٣، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٥٩، ومعاني القرآن للنحاس٣/٦٤، والكشاف ٢/١٣١.

(٣) معاني القرآن للنحاس٣/٦٤، وتفسير السمعاني٢/٢٠٣، معالم التنزيل٢/١٣٥، والمحرر الوجيز٢/٤٣٧، والتسهيل٢/٤١، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٥٩، وفتح القدير ٢/٢٣١.

(٤) قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة الشعراء آية:٣٥.

(٥) رموز الكنوز ٢/٢١٧.

(٦) معالم التنزيل٢/١٣٥، وفتح القدير ٢/٢٣١، والمحرر الوجيز٢/٤٣٧، والتسهيل٢/٤١، وتفسير

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

علي في أمره؟

وممن قال به:

١- ابن عباسرضي الله عنه، ومقاتل [١].

٢- الطبري، والسمرقندي، والثعلبي، والواحدي، والرازي، والسمين الحلبي، والألوسي، وابن عاشور [٢].

واستدلوا بما يلي :

١- أن ذلك نظير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [٣] هو من تمام كلام يوسف، ولم يذكر يوسف [٤].

٢- توفيقاً ما بين هذا الموضع وبين ما في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٥]

واحتجوا على صحة هذا القول بوجهين :

أحدهما: أن قوله: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ خطاب للجمع لا للواحد، فيجب أن يكون هذا كلام فرعون للقوم.

والحجة الثانية: أنه تعالى لما ذكر قوله: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ قال بعده: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ فوجب أن يكون القائل لقوله: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ غير الذي قالوا

السمعاني٢/٢٠٣، والدر المصون٥/٤٠٩، وإرشاد العقل السليم٣/٢٥٩، ومعاني القرآن للنحاس٣/٦٤، والكشاف ٢/١٣١.

(١) تفسير مقاتل١/٤٠٦، والبسيط٩/٢٦٦، وزاد المسير٢/١٤٢، وروح المعاني٩/٢١.

(٢) جامع البيان١٠/٣٤٨، وبحر العلوم٢/٥٥٤، والكشف والبيان ٤/٢٦٨، والوجيز١/٤٠٦، ومفاتيح الغيب ١٤/٧٦، والدر المصون٥/٤٠٩، وروح المعاني٩/٢١، والتحرير والتنوير٤/١٥٠.

(٣) سورة يوسف آية:٥٢.

(٤) جامع البيان٩/١٦.

(٥) سورة الشعراء آية: ٣٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أرجه[١].

ومن أقوالهم:

قال الخازن: والقول الأول أصح لسياق الآية التي بعدها[٢].

القول الثاني: أنه من تمام كلام الملأ لفرعون وخاصته، أو له وحده، على مذهب التعظيم، أو لمن دونه في الرتبة يستخرجون ما عندهم من الرأي[٣].

وممن قال به: الزجاج، وابن عطية[٤].

واحتجوا على هذا القول بوجهين:

الأول: أنه منسوق على كلام القوم من غير فاصل، فوجب أن يكون ذلك من بقية كلامهم.

والثاني: أن الرتبة معتبرة في الأمر، فوجب أن يكون قوله: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ خطاباً من الأدنى مع الأعلى[٥].

ومن أقوالهم:

١- قال ابن عطية: الظاهر أنه من كلام الملأ بعضهم إلى بعض[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤/١٦٠.

(٢) لباب التأويل ٢/٢٧٠.

(٣) معاني القرآن للنحاس٣/٦٤، وتفسير السمعاني٢/٢٠٣، والبسيط٩/٢٦٦، ومعالم التنزيل٢/١٣٥، والمحرر الوجيز٢/٤٣٧، والتسهيل٢/٤١، والدر المصون٥/٤٠٩، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٥٩، وفتح القدير ٢/٢٣١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٦٤، والمحرر الوجيز٢/٤٣٧، وزاد المسير ٢/١٤٢.

(٥) مفاتيح الغيب ١٤/١٦١.

(٦) المحرر الوجيز٢/٤٣٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- قال الشوكاني: وخاطبوه بما تخاطب به الجماعة تعظيماً له كما يخاطب الرؤساء أتباعهم[١].

حاصل الدراسة:

بالنظر إلى القولين، وما استدل به أصحابها من أدلة، وما أجاب كل فريق على الآخر يتبين، أن القول الأول أنه من تمام كلام فرعون، هو الأحظى بالأدلة سواء من القرآن أو من حجتهم، وهو القول الذي اختاره ابن عباسﷺ ومقاتل، وجمهور المفسرين.

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول أنه من تمام كلام فرعون. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٢].

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٣].

---

(١) فتح القدير ٢/٢٣١.

(٢) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

(٣) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾ (١)

٥٥- مسألة: ما المقصود بالأرض في قوله: ﴿ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول:أرض مصر(٢).

القول الثاني: أرض الشام(٣).

القول الثالث:جنس الأرض(٤).

قال الرسعني:

قال ابن عباسﷺ: أرض مصر.

وقيل: أرض الشام.

ويجوز عندي: أن يريد جنس الأرض، على معنى: يجعلكم أيها المؤمنون خلفاً فيها(٥).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أرض مصر، وقد حقّق الله هذا الرجاء بوقوع متعلقه فأغرق

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٢٩.

(٢) جامع البيان١٠/٣٧٣، وبحر العلوم١/٥٥٦، والكشف والبيان ٤/٢٧٢، والوجيز ١/٤٠٨، ومعالم التنزيل ٢/١٣٩، والمحرر الوجيز٢/٤٤٢، وتفسير البيضاوي٣/٥١، وتفسير النسفي ٢/٣١، وغرائب القرآن ٣/٣٠٦، ولباب التأويل٢/٢٧٤، وإرشاد العقل السليم٣/٢٦٣، وفتح القدير ٢/٢٣٦، وروح المعاني ٩/٣٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٦٣، والبحر المحيط ٤/٣٦٨.

(٤) رموز الكنوز ٢/٢٢٩.

(٥) رموز الكنوز ٢/٢٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فرعون، وملكهم مصر، ومات داود وسليمان[١].

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، والطبري، والسمرقندي، والثعلبي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والبيضاوي، والنسفي، والنيسابوري، والخازن، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي[٢].

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري: ويجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم[٣].

٢- قال الواحدي: يملككم ما كان يملك فرعون[٤].

القول الثاني: أرض الشام، فقد استخلفوا في مصر زمان داود وسليمان عليهما السلام، وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون[٥].

وممن قال به: ذكره الماوردي[٦].

القول الثالث: جنس الأرض. ولم تحدد ما هي. أي يجعلكم أيها المؤمنون خلفاً فيها.وهو ترجيح الرسعني.

حاصل الدراسة:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/٧، والبحر المحيط ٣٦٨/٤

(٢) جامع البيان ٣٧٣/١٠، وبحر العلوم٥٥٦/١، والكشف والبيان ٢٧٢/٤، والبسيط٢٩٥/٩، والوجيز ٤٠٨/١، ومعالم التنزيل ١٣٩/٢، والمحرر الوجيز٤٤٢/٢، وزاد المسير ١٤٦/٢، وتفسير البيضاوي٥١/٣، وتفسير النسفي ٣١/٢، وغرائب القرآن ٣٠٦/٣، ولباب التأويل٢٧٤/٢، وإرشاد العقل السليم٢٦٣/٣، وفتح القدير ٢٣٦/٢، وروح المعاني ٣٠/٩.

(٣) جامع البيان ٣٧٣/١٠.

(٤) الوجيز ٤٠٨/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/٧، والبحر المحيط ٣٦٨/٤.

(٦) زاد المسير ١٤٦/٢. ولم أجده عنه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لعل الرسعني رجح القول بأنها جنس الأرض وهو قول محتمل، لقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (١)

ولكن لا يمكن الانصراف عن ظاهر الآية الصريح، وليس في الآية أو غيرها دليل يصرفه عن أرض مصر، فسياق الآيات قبلها وبعدها في قصة فرعون وقومه، وكانت أرضهم مصر، والله أعلم.

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول الأول أنها أرض مصر، هو قول جمهور المفسرين.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك(٢).

---

(١) سورة النور آية:٥٥.

(٢) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [١]

٥٦- مسألة: ما المقصود بمشارق الأرض ومغاربها في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أرض الشام ومصر[٢].

القول الثاني: الأرض كلها شرقها وغربها[٣].

قال الرسعني:

﴿ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ﴾ يعني: أرض الشام ومصر.

وقال الزجاج[٤]: كان منهم داود وسليمان صلى الله عليهما، ملكوا الأرض.

يريد بذلك: أن الألف واللام في الأرض للاستغراق، **والأول أظهر** لقوله: ﴿ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ يعني: بالماء والشجر والزرع، وسعة الأرزاق، وهي أرض العمالقة والفراعنة، وليس كل موضع من الأرض قد بارك فيه بذلك[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أرض الشام ومصر، وجميع جهاتها ونواحيها[٦]. فأرض مصر؛

---

(١) سورة الأعراف آية:١٣٧.

(٢) الكشف والبيان ٢٧٢/٤، وتفسير السمعاني ٢٠٩/٢، ومعالم التنزيل ١٤٤/٢، وزاد المسير ١٥٠/٢، والكشاف١٤٠/٢، واللباب في علوم الكتاب٢٩٠/٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج٣٧١/٢، ومفاتيح الغيب١٨١/١٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج٣٧١/٢.

(٥) رموز الكنوز ٢٤٠/٢.

(٦) تفسير السمعاني ٢٠٩/٢، وزاد المسير ١٥٠/٢، واللباب في علوم الكتاب٢٩٠/٩.

لأنها هي كانت تحت تصرف فرعون، والشام؛ لأن المراد باركنا فيها بالخصب وسعة الأرزاق، وذلك لا يليق إلا بأرض الشام، وهو ترجيح الرسعني.

وممن قال به: الحسن، وقتادة، والثعلبي، والبغوي، والزمخشري[١].

القول الثاني: جميع جهات الأرض، شرقها وغربها؛ لأن داود بن سليمان كان من بني إسرائيل وقد ملك الأرض[٢].

وهذا يدل على أن الأرض ههنا اسم الجنس[٣].

وممن قال به: الزجاج[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- مشارق الشام ومغاربها[٥]. ومن المفسرين من ذكر أنها الأرض المقدسة بيت المقدس، وما يليه من الشرق والغرب، وقيل: الأردن وفلسطين[٦]. ومعلوم أنها كلها داخلة في الشام وما حولها.

وممن قال به:

١- الحسن، وقتادة، وزيد بن أسلم[٧].

٢- الصنعاني، والطبري، وابن أبي حاتم، وابن أبي زمنين، والواحدي، وابن

---

(١) جامع البيان ٤٠٤/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٥٥١/٥، والكشف والبيان ٢٧٢/٤، والبسيط٣٢٠/٩، ومعالم التنزيل ١٤٤/٢، والكشاف١٤٠/٢.

(٢) المحرر الوجيز٤٤٦/٢، وزاد المسير ١٥٠/٢، ومفاتيح الغيب١٨١/١٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٩٠/٩، وروح المعاني٣٧/٩.

(٣) مفاتيح الغيب١٨١/١٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج٣٧١/٢.

(٥) تفسير السمعاني ٢٠٩/٢، واللباب في علوم الكتاب ٢٩٠/٩.

(٦) تفسير مقاتل ٤١٢/١، وتفسير السمعاني ٢٠٩/٢، ولباب التأويل ١٣٧/٥.

(٧) جامع البيان ٤٠٤/١٠، وزاد المسير ١٥٠/٢، وروح المعاني ٣٧/٩.

عطية، والألوسي، وابن عاشور[١].

واستدلوا بما يلي:

١- الآية بعدها، قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ والمقصود بها قرى الشام.

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ وهي أرض الشام.

ومن أقوالهم:

قال ابن عطية: وهذا يتجه إما على المجاز؛ لأنه ملكهم بلادا كثيرة، وإما على الحقيقة في أنه ملك ذريتهم، وهو سليمان بن داود.

ولكن الذي يليق بمعنى الآية وروي فيها، هو أنه ملك أبناء المستضعفين بأعيانهم مشارق الأرض ومغاربها، لا سيما بوصفه الأرض بأنها التي بارك فيها، ولا يتصف بهذه الصفة وينفرد بها أكثر من غيرها إلا أرض الشام، لما بها من الماء، والشجر، والنعم، والفوائد[٢].

٢- مشارق أرض مصر ومغاربها.

وممن قال به: الجبائي[٣]، ورواه أبو الشيخ[٤] عن الليث بن سعد، والسعدي[١].

---

(١) تفسير الصنعاني ٢/٢٣٥، وجامع البيان ١٠/٤٠٤، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٥٥١(٨٨٩٥)، وتفسير ابن أبي زمنين، والوجيز، والمحرر الوجيز٢/٤٤٦، وروح المعاني ٩/٣٧، والتحرير والتنوير ١٩/١٣٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٤٤٦.

(٣) هو: محمد بن عبد الوهاب، أبو علي الجبائي، شيخ المعتزلة، توفي سنة ثلاث وثلاث مائة للهجرة. انظر: لسان الميزان٥/٢٧١، وطبقات المفسرين للسيوطي١/١٠٢.

(٤) هو: أبو الشيخ الحافظ، أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهاني، صاحب التصانيف، صنف في التفسير وغيره، توفي سنة تسع وستين وثلاثمائة للهجرة. انظر: تذكرة الحفاظ ٣/٩٤٥، وطبقات الحفاظ١/٣٨٢.

٣- الذين يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها.

وممن قال به: الفراء[٢].

وضعفه الطبري، قال: وذلك بعيد من المفهوم في الخطاب، مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير[٣].

حاصل الدراسة:

لا يخفى أنها أرض مصر خلاف المتبادر؛ لأن أرض مصر بعد أن فتحت في زمن داود -عليه السلام- لم يكن لبني إسرائيل تمكن فيها واستقرار وإنما كان ملك وتصرف وكان التمكن في الأرض المقدسة والسوق على ما قيل يقتضي ذكر ما تمكنوا فيه لا ما ملكوه[٤].

وبوصفه الأرض بأنها التي بارك فيها، ولا يتصف بهذه الصفة وينفرد بها أكثر من غيرها إلا أرض الشام، لما بها من الماء، والشجر، والنعم، والفوائد. فيتحقق أن المراد هي يعينها لا غيرها.

وهي الأرض التي طلب موسى -عليه السلام- من فرعون بني إسرائيل ليذهب بهم إليها، فإنها موطن آبائهم، فيكون موسى -عليه السلام- قد وعدهم هلاك عدوهم المانع لهم من الذهاب إليها، وجعل الله تعالى إياهم خلفاء فيها بعد آبائهم وأسلافهم، وأورثناهم الأرض التي منعوهم عنها ومكناهم فيها. [٥]

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها أرض الشام وما حولها، وهي التي وصفها الله في آيات كثيرة بأنه بارك فيها، وهو قول الجمهور من المفسرين. وهذا قول يخالف ترجيح الرسعني.

---

(١) روح المعاني ٣٧/٩، وتفسير الكريم الرحمن٣٠٢/١.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٩٧/١.

(٣) جامع البيان ٤٠٦/١٠، والمحرر الوجيز٤٤٦/٢.

(٤) روح المعاني ٣٧/٩.

(٥) روح المعاني ٣٧/٩.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[١].

(١) جامع البيان ٥٠٧/١٩، ومعالم التنزيل٣٥/١، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، ومفاتيح الغيب٣٤/١٠، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٣١٢/١.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (١)

٥٧- مسألة: ما معنى: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: خرّ مغشياً عليه(٢).

القول الثاني: خرّ ميتاً(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ يعني: مغشياً عليه من هول ما رأى. قاله ابن عباس رضي الله عنه(٤).

وقال قتادة: خرّ ميتاً(٥).

والأول أصح؛ لقوله: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ يعني: من غشيته(٦).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: خرّ مغشياً عليه(٧).

---

(١) سورة الأعراف آية:١٤٣.

(٢) جامع البيان ٤٣٢/١٠، وتفسير ابن زمنين ١٤١/٢، وبحر العلوم٥٦٢/١، وتفسير السمعاني٢١٣/٢، ومعالم التنزيل ١٤٩/٢، وزاد المسير ١٥٢/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/٧، ولباب التأويل٢٨٥/٢، والبحر المحيط٣٨٣/٤، واللباب في علوم الكتاب٣٠٣/٩، والنكت والعيون٢٥٨/٢.

(٣) تفسير ابن زمنين ١٤١/٢، وبحر العلوم٥٦٢/١، ومعالم التنزيل ١٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/٧، والنكت والعيون٢٥٨/٢.

(٤) أخرجه ابن جرير٤٣٢/١٠، وابن أبي حاتم ١٥٦١/٥.

(٥) أخرجه ابن جرير ٤٣٢/١٠، وابن أبي حاتم ١٥٦١/٥.

(٦) رموز الكنوز ٢٥١/٢.

(٧) تفسير ابن أبي زمنين ١٤١/٢، وبحر العلوم٥٦٢/١، ومعالم التنزيل ١٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، والحسن، وابن زيد[١].

٢- الطبري، والسمعاني، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والخازن، وأبو حيان، وابن عادل[٢].

واستدلوا:

بقوله تعالى بعده: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ وذلك لا يقال للميت. وقيل: بقي في غشيته يوماً وليلة[٣].

ومن أقوالهم:

١- قال السمعاني: خر مغشيا عليه، وهذا أليق بالنظم[٤].

٢- قال الخازن: والأول أصح لقوله: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ والميت لا إفاقة له إنما يقال أفاق من غشيته[٥].

القول الثاني: خرّ ميتاً[٦].

وممن قال به: ابن جريج، وقتادة، ومقاتل، والزجاج[٧].

٢٧٩/٧، والنكت والعيون٢٥٨/٢.

(١) جامع البيان ٤٢٧/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٥٦١/٥، والنكت والعيون ٢٥٨/٢، والبسيط٣٤٠/٩، ومعالم التنزيل ١٤٩/٢، والمحرر الوجيز٤٥١/٢، وزاد المسير ١٥٢/٢.

(٢) جامع البيان ٤٣٢/١٠، وتفسير السمعاني٢١٣/٢، وزاد المسير ١٥٢/٢، ومفاتيح الغيب ٨٠/٣، ولباب التأويل٢٨٥/٢، والبحر المحيط٣٨٣/٤، واللباب في علوم الكتاب٣٠٣/٩.

(٣) زاد المسير ١٥٢/٢.

(٤) تفسير السمعاني ٢١٣/٢.

(٥) لباب التأويل ٢٨٥/٢.

(٦) تفسير ابن أبي زمنين ١٤١/٢، وبحر العلوم٥٦٢/١، ومعالم التنزيل ١٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/٧، والنكت والعيون٢٥٨/٢.

(٧) تفسير مقاتل ٤٨/١، وجامع البيان ٤٢٧/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٥٦١/٥، ومعاني القرآن

واستدلوا: أنه كقوله تعالى: ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [١]، يعني: مات.

ومن أقوالهم:

قال الزجاج: ولا يكاد يقال للميت: قد أفاق من موته، ولكن يقال للذي يغشى عليه والذي قد ذهب عقله: قد أفاق من علته؛ لأن الله عز وجل قال في الذين ماتوا: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [٢] [٣].

حاصل الدراسة

قوله تعالى: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ ، فإنما هو غشي لا موت لقوله تعالى بعده: فلما أفاق، ولم يقل فلما نشر[٤]؛ لأنه يقال للذي غشي عليه، والذي يذهب عقله: قد أفاق. وقال تعالى في الذين ماتوا : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [٥].ولو كانت الصاعقة هي الموت؛ لامتنع كونهم ناظرين إلى الصاعقة، وقد ضعف القول بالموت بعض المفسرين[٦].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول الأول: أن المراد مغشياً عليه، لدلالة الآية بعدها.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٧].

للزجاج٢/٣٧٣، والبسيط٩/٣٤٠، وزاد المسير ١٥٢/٢.

(١) سورة الزمر آية:٦٨.

(٢) سورة البقرة آية: ٥٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج٢/٣٧٣.

(٤) لسان العرب ١٩٨/١٠.

(٥) سورة البقرة آية:٥٥-٥٦.

(٦) تهذيب اللغة ١٢٣/١، ومفاتيح الغيب ٨٠/٣، واللباب في علوم الكتاب ٨٧/٢.

(٧) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩،

ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (١)

٥٨- مسألة: لم قيل: واتخذ قوم موسى عجلاً، والمتخذ هو السامري؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه نُسب إليهم لرضاهم به وإرادتهم له، فإن الفعل ينسب إلى الراضي به كما ينسب إلى فاعله(٢).

القول الثاني: أنه نسب إليهم لكون المتخذ منهم داخلاً في غمارهم(٣).

القول الثالث: أن المعنى: واتخذوه إلهاً وعبدوه(٤).

قال الرسعني:

فإن قيل: المتخذ السامري وحده، فكيف نسب الفعل إلى الجميع؟

قلت: عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه نُسب إليهم لرضاهم به وإرادتهم له، فإن الفعل ينسب إلى الراضي به كما ينسب إلى فاعله، كما عيّر سبحانه اليهود الموجودين في عصر النبي ﷺ بقتل الأنبياء ونسب الفعل إليهم بقوله: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٥).

الثاني: أنه نسب إليهم لكون المتخذ منهم داخلاً في غمارهم، كما تقول: فعلت بنو تميم كذا، وإن كان الفعل واحداً.

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٤٨.

(٢) الكشاف ١٥١/٢، ومفاتيح الغيب٦/١٥، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري٣١٩/٣.

(٣) الكشاف ١٥١/٢، ومفاتيح الغيب ٦/١٥، ولباب التأويل ٢٩٠/٢، والبحر المحيط٣٥٨/١.

(٤) الكشاف ١٥١/٢، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري٣١٩/٣، وأضواء البيان ٤٠/٢.

(٥) سورة البقرة آية: ٨٧.

الثالث: أن المعنى: واتخذوه إلهاً وعبدوه، **وهو الجواب المعتمد**؛ لأنهم لم يصنعوا عجلاً جسداً خائراً؛ لأن هذا لا يدخل تحت وسعهم، إنما اتخذوه إلهاً.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه نُسب إليهم لرضاهم به وإرادتهم له، فإن الفعل ينسب إلى الراضي به كما ينسب إلى فاعله، فكأنهم شاركوه[١].

وممن قال به: الخازن، والبقاعي[٢].

ومن أقوالهم:

قال الخازن: المتخذ هو واحد، فنسب الفعل إلى الكل؛ لأنه كان برضاهم، فكأنهم أجمعوا عليه[٣].

القول الثاني: أنه نسب إليهم لكون المتخذ منهم داخلاً في غمارهم، ووجد فيما بين ظهرانيهم. كما يقال: بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا، والقائل والفاعل واحد[٤].

وممن قال به: أبو حيان[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الخازن: المتخذ هو واحد، فنسب الفعل إلى الكل؛ لأنه كان برضاهم، فكأنهم أجمعوا عليه[٦].

ب- قال أبو حيان: وذلك عادة العرب في كلامها تذم وتمدح القبيلة بما

---

(١) الكشاف ١٥١/٢، ومفاتيح الغيب٦/١٥، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري٣١٩/٣.

(٢) لباب التأويل ٢٩٠/٢، ونظم الدرر ١١٢/٣.

(٣) لباب التأويل ٢٩٠/٢.

(٤) الكشاف ١٥١/٢، ومفاتيح الغيب ٦/١٥، ولباب التأويل ٢٩٠/٢، والبحر المحيط٣٥٨/١.

(٥) البحر المحيط٣٥٨/١.

(٦) لباب التأويل ٢٩٠/٢.

صدر عن بعضها[١].

القول الثالث: أن المعنى: واتخذوه إلهاً وعبدوه[٢].

وممن قال به: الشنقيطي[٣].

حاصل الدراسة:

الأقوال الثلاثة لها وجه من الناحية البلاغية، وإن كان القول الثالث أنهم اتخذوا إلهاً وعبدوه أقرب لمعنى الآية، والمراد بها.

المناقشة والترجيح:

الراجح: الأوجه الثلاثة صحيحة لا تعارض بينها، فيمكن حمل الآية عليها جميعاً.

لأن من شأن العرب أن تنتقل من خطاب الواحد أو الأثنين، أو الجمع إلى خطاب الآخر، وهو تنوع في ضروب الخطاب، والتصرف فيها[٤].

---

(١) البحر المحيط١/٣٥٨.

(٢) الكشاف ١٥١/٢، وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري٣١٩/٣، وأضواء البيان ٤٠/٢.

(٣) أضواء البيان ٤٠/٢.

(٤) الإتقان ٢٣٣/٣، وقواعد التفسير للسبت٢٧١/١.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (١)

٥٩- مسألة: هل العجل الذي صنعه السامري جسد لا روح فيه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه جسد ذو لحم ودم(٢).

القول الثاني: أنه جسد لا روح فيه(٣).

قال الرسعني:

قوله: ﴿ جَسَدًا ﴾ بدل من المفعول(٤). يريد: جسداً ذا لحم ودم، وهذا قول ابن عباسﷺ والحسن وقتادة ووهب وعامة المفسرين(٥). ويؤيده قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ وهو صوت البقر.

وقرأ علي عليه السلام: "له جُؤَار" بالجيم مهموزاً(٦)، من جَأَرَ يجأَر؛ إذا صاح(٧).

---

(١) سورة الأعراف آية:١٤٨.

(٢) تفسير الصنعاني٢/٢٣٦، والوجيز١/٤١٣، ومعالم التنزيل٢/١٥٣، والكشاف٢/١٥١، وتفسير الجلالين١/٢١٥، وروح المعاني٩/٦٣.

(٣) تفسير مقاتل ٢/٣٣٨، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٥٦٨، وبحر العلوم ١/٥٦٥، وزاد المسير ٢/١٥٥، وتفسير البيضاوي٣/٦٠، والبحر المحيط٤/٣٩٠، وإرشاد العقل السليم٣/٢٧٣، وأضواء البيان ٢/٤٠، والتحرير والتنوير ٩/١١٠، ومجموع الفتاوي٥/٢٢١.

(٤) الدر المصون ٥/٤٦٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/١٥٦٨.

(٦) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط ٤/٣٩٠، والدر المصون ٥/٤٦٠.

(٧) لسان العرب٤/١١٢ مادة(جأر).

قال ابن عباسﷺ: كان العجل إذا خار سجدوا[١].

ويروى عن ابن عباسﷺ: أنه خار خورة واحدة[٢].

وقال مجاهد: خواره: حفيف الريح فيه[٣]، يشير إلى أنه كان لا روح فيه.

قال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح[٤].

وفي هذا بُعد لوجوه:

أحدها: أنه خلاف الظاهر من قوله:"خوار"، أو "جؤار" على قراءة علي عليه السلام.

الثاني: افتتانهم إنما كان بانفعاله عجلاً خائراً من الحلي، ولو كان ذهباً مصوغاً تجري الريح في منافذه فيظهر له صوت لم يكن ذلك فتنة ولا عجباً.

الثالث: قوله: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ﴾ [٥] فإنه كان رأى جبريل حين أتى موسى-عليه السلام- فقال: إن لهذا شأناً، فقبض القبضة من أثر حافر فرسه فألقاها على الحلي، فظهر العجل، فلو لم يكن فيه روح وله خوار حقيقة لم يحتج في وجوده إلى القبضة؛ لأن كل أحد من الصاغة يقدر على ذلك[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه بدن ذو لحم ودم كسائر الأجساد[٧].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ١٥٦٨/٥.

(٢) زاد المسير ١٥٥/٢.

(٣) أخرجه الطبري ١٥٠/١٦.

(٤) زاد المسير١٥٥/٢.

(٥) سورة طه آية:٩٦.

(٦) رموز الكنوز ٢٦٢/٢.

(٧) البسيط٣٥٨/٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٩٤/٦.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، والحسن، وقتادة، ووهب، والسدي، وعامة المفسرين[١].

٢- الواحدي، والزمخشري، والبغوي، والسيوطي، والألوسي، والصنعاني[٢].

واستدلوا :

بقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي له صوت البقر، وعلى قراءة علي ﷺ جؤار.

القول الثاني: جسداً لا روح فيه[٣].

وممن قال به:

١- سعيد بن جبير، ومجاهد، ومقاتل.

٢- الزجاج، وابن الأنباري، والبيضاوي، وأبو السعود، والشنقيطي، وابن عاشور، وابن تيمية[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما معنى الجسد معنى الجثة فقط[٥].

ب- قال ابن عطية: بعد ذكره لقول: إن الله جعل له لحماً ودماً، وهذا

---

(١) تفسير الصنعاني٢/٢٣٦، وتفسير ابن أبي حاتم ١٥٦٨/٥، والبسيط٩/٣٥٨، والوجيز١/٤١٣، ومعالم التنزيل ١٥٣/٢، والكشاف١٥١/٢، وتفسير الجلالين١/٢١٥، وروح المعاني٩/٦٣.

(٢) تفسير الصنعاني٢/٢٣٦، والبسيط٩/٣٥٨، والوجيز١/٤١٣، ومعالم التنزيل١٥٣/٢، والكشاف١٥١/٢، وتفسير الجلالين١/٢١٥، وروح المعاني٩/٦٣.

(٣) زاد المسير ١٥٥/٢، وتفسير البيضاوي٦٠/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٩٤/٦، وإرشاد العقل السليم٢٧٣/٣، وأضواء البيان ٤٠/٢.

(٤) تفسير مقاتل ٣٣٨/٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١٥٦٨/٥، وبحر العلوم ٥٦٥/١، وزاد المسير ١٥٥/٢، وتفسير البيضاوي٦٠/٣، والبحر المحيط٣٩٠/٤، وإرشاد العقل السليم٢٧٣/٣، وأضواء البيان ٤٠/٢، والتحرير والتنوير ١١٠/٩، ومجموع الفتاوي٢٢١/٥.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٧٧/٢.

ضعيف؛ لأن الآثار في أن موسى برده بالمبارد تكذب ذلك، والخوار صوت البقر، ويروى أن هذا العجل إنما خار مرة واحدة وذلك بحيلة صناعية من السامري، أو بسحر تركب له من قبضه القبضة من أثر الرسول، أو بأن الله أخار العجل لفتن بني إسرائيل[١].

ج- قال الشنقيطي: عجلاً مصطنعاً من جماد[٢].

د- قال ابن عاشور: والجسد الجسم الذي لا روح فيه، فهو خاص بجسم الحيوان إذا كان بلا روح، والمراد أنه كجسم العجل في الصورة والمقدار إلاّ أنه ليس بحي وما وَقع في القصص: إنه كان لحماً ودماً ويأكل ويشرب، فهو من وضع القصاصين، وكيف والقرآن يقول: ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾، ويقول: ﴿ لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ ، فلو كان لحماً ودماً لكان ذكره أدخل في التعجيب منه[٣].

هـ- قال ابن تيمية: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [٤] والمقصود إنما أخرجه كان جسداً مصمتاً لا روح فيه حتى تبين نقصه، وأنه كان مسلوب الحياة والحركة[٥].

و- قال أكثرُ المفسِّرينَ من المعتزلة: إنَّهُ جعل ذلك العجلَ مجوفاً، وجعل في جوفه أنابيب على شكل مخصوص. وكان قد وضع ذلك التمثال في مهبِّ الرِّيح، فكانت تدخل في تلك الأنابيبِ فيظهرُ منه صوت مخصوص يشبه خُوار العجل[٦].

حاصل الدراسة

وقد اختلف المفسرون في هذا العجل هل صار لحماً ودماً له خوار، أو استمر على كونه من ذهب، إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر على قولين، وظاهر قوله له

---

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٥٥، والبحر المحيط٤/٣٩٠.

(٢) أضواء البيان ٢/٤٠

(٣) التحرير والتنوير ٩/١١٠.

(٤) سورة طه آية:٨٨.

(٥) مجموع الفتاوى ٥/١٩.

(٦) تفسير غرائب القرآن٣/٣١٩، واللباب في علوم الكتاب٩/٣١٦.

خوار يدلّ على أنه فيه روح؛ لأنه لا يخور إلا ما فيه روح[١].

وقد ذكر الرسعني بعض الأوجه للرد على من قال أنه جسد بلا روح، لنص الآية الظاهر أن للعجل خواراً، وجعل فيه الروح سبحانه لفتنة بني إسرائيل. ولكنه مخالفة للمعنى اللغوي للجسد.

والجسد في اللغة: جسم الإنسان ولا يقال لغيره من الأجسام المغتذية. والجسد: البدن، قال ابو إسحاق: الجسد هو الذي لا يعقل ولا يُميز، إنما معنى الجسد معنى الجُثّة فقط[٢].

. وكان عجل بني إسرائيل جسداً يصيح لا يأكل ولا يشرب وكذا طبيعة الجن[٣].

والجسد أيضاً الزعفران ونحوه من الصبغ، وهو الدم أيضاً[٤]. وهو هنا المقصود به: أي أحمر من ذهب[٥].

قال ابن تيمية: وهو في القرآن يراد به الجسد المصمت المتلاصق المتكاثف أو الذي لا حياة فيه[٦].

وإنما قال: ﴿ جَسَدًا ﴾ ؛ لأنه يمكن أن يتخذ مخطوطاً، أو مرقوماً في حائط، أو حجر أو غير ذلك، كالتماثيل المصوّرة بالرقم والخط والدّهان والنقش، فبين تعالى أنه ذو جسد[٧].

المناقشة والترجيح:

الراجح: هو رأي من قال إنه جسد لا روح فيه، ولا اعتبار لما أورده الرسعني

---

(١) البحر المحيط٤/٣٩٠.

(٢) تهذيب اللغة ٢٩٩/١٠.

(٣) لسان العرب ١٢٠/٣ مادة(جسد).

(٤) لسان العرب ١٢١/٣، والعين ٤٨/٦، ومجموع الفتاوى ١٨/٥.

(٥) مختار الصحاح١/٤٤.

(٦) مجموع الفتاوى ١٨/٥.

(٧) البحر المحيط٤/٣٩١.

من اعتراض على هذا الرأي، بأن العجل كان له خوار ، فإن هذا كان نتيجة مرور الهواء في تجويفه

كما أنه لا اعتبار لما علل به رفضه للرأي السابق أيضا من كونهم افتتنوا به، فكيف يفتنون به إن لم تكن به حياة ؟

والجواب أنه كان لديهم الاستعداد لعبادة عجل من ذهب تماماً كما كان نفس الاستعداد متوفراً لدى من يعبد صنماً من حجر

ولا ننسى أنهم هم الذين طلبوه بعد أن رأوا قوماً يعبدون أصناماً فقالوا ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ ﴾ [1] ولم تكن آلهة هؤلاء إلا أصناماً صامتة، لا أجسادا بها حراك وحياة، وهم طلبوا آلهة مثلها، فكان لهم ما طلبوا.

والأهم من ذلك كله: أنى للسامري أن يخلق حياة في جسم من معدن ؟ فهل يهب الحياة أحد إلا الله ؟

القاعدة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة[2].

---

(1) سورة الأعراف آية:١٣٨.

(2) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٥، والمحرر الوجيز ١٢٨/١، ومفاتيح الغيب ١١٥/٣، وأضواء البيان ٢٠٦/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٢٥/١.

قال تعالى:﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾ (١)

٦٠- مسألة: هل هارون أخو موسى من أمه فقط؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كان أخاه لأبيه وأمه(٢).

القول الثاني: كان أخاه من أمه فقط (٣).

قال الرسعني:

قال ابن عباسﷺ: كان أخاه لأبيه وأمه، وإنما قال:﴿ ٱبْنَ أُمَّ ﴾ ليرققه عليه(٤).

وحكى الثعلبي: أنه كان أخاه من أمه فقط (٥).

وليس بصحيح ولا مرضي من القول(٦).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كان أخاه لأبيه وأمه(٧).

وممن قال به:

١- ابن عباس ﷺ، والكلبي(١).

---

(١) سورة الأعراف آية:١٥٠.

(٢) جامع البيان ٤٦٠/١٠، وبحر العلوم ٥٦٦/١، والكشاف ١٥٣/٢، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، والتسهيل ٤٦/٢، وتفسير القرآن العظيم ٣٩٦/٦.

(٣) الكشف والبيان ٢٥٨/٦، والوجيز٤١٤/١، ومعالم التنزيل ١٥٤/٢، وفتح القدير ٢٤٨/٢.

(٤) زاد المسير١٥٧/٢.

(٥) الكشف والبيان ٢٥٨/٦.

(٦) رموز الكنوز ٢٦٧/٢.

(٧) معالم التنزيل ١٥٤/٢، وفتح القدير ٢٤٨/٢.

٢- الطبري، والسمرقندي، وابن عطية، والزمخشري، وابن جزي الكلبي، وابن كثير[٢].

ومن أقوالهم:

١- قال النيسابوري: وإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أن أمهما واحدة، على ما روي أنه كان أخاه لأمه؛ ليكون أدعى إلى العطف، والرقة؛ لأنها كانت مؤمنة فافتخر[٣].

٢- قال أبو السعود: ﴿ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ ﴾ خص الأم بالإضافة استعظاماً لحقها وترقيقاً لقلبه، لا لما قيل من أنه كان أخاه لأم، فإن الجمهور على أنهما كانا شقيقين[٤].

القول الثاني: كان أخاه من أمه فقط[٥].

وممن قال به: الزجاج، والحسن[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قيل: لأن كون الولد من الأُمّ على التحقيق، والأب من جهة الحكم[٧].

---

(١) الكشف والبيان ٢٥٨/٦، وزاد المسير ١٥٧/٢.

(٢) جامع البيان ٤٦٠/١٠، وبحر العلوم ٥٦٦/١، والكشاف ١٥٣/٢، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، والتسهيل ٤٦/٢، وتفسير القرآن العظيم ٣٩٦/٦.

(٣) تفسير غرائب القرآن ٣٢٢/٣.

(٤) إرشاد العقل السليم٣٨/٦.

(٥) الكشف والبيان ٢٥٨/٦، والوجيز٤١٤/١، ومعالم التنزيل ١٥٤/٢، وفتح القدير ٢٤٨/٢.

(٦) فتح القدير ٢٤٨/٢، ولم أجده عن الزجاج في معاني القرآن، والنكت والعيون ٢٦٤/٢.

(٧) الكشف والبيان ٢٥٨/٦.

حاصل الدراسة

قال هارون لموسى (ابن أم)، ولم يقل له: (ابن أب). وهما لأبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ، استعطافاً له على نفسه برحم الأم، وتأكيداً؛ لأن أمهما واحدة، واستعظاماً لحقها وترقيقاً لقلبه؛ ولأنها كانت مؤمنة. وهو ما ذكره جمهور المفسرين، ولم أجد القول أنه أخاه لأم رجحه أحد من المفسرين.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه شقيقه من الأم والأب، وهو قول الجمهور، وهو ترجيح الرسعني.
القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[1].

(1) جامع البيان ٢٣١/٢، والتسهيل ٩/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/٢، وأضواء البيان ٣٨٥/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٨٨/١.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢ ﴾ (١)

٦١- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الجزية(٢).

القول الثاني: ما أمروا به من قتلهم أنفسهم(٣).

القول الثالث: ما لا بسهم من العار والشنار بسبب عبادة العجل(٤).

قال الرسعني:

﴿ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ قال ابن عباسﷺ : هي الجزية(٥).

وقال الزجاج: هي قتلهم أنفسهم(٦).

والذي يظهر لي أن المراد بالذلة: ما لابسهم من العار والشنار بسبب عبادة العجل، فإنه حين سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا، ذلوا واستحيوا لقبيح ما ارتكبوه(٧).

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٥٢.

(٢) بحر العلوم ٥٦٧/١، وتفسير السمعاني ٢١٨/٢، ومعالم التنزيل ١٥٥/٢، والكشاف ١٥٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٧، وتفسير البيضاوي ٦٢/٣.

(٣) بحر العلوم ٥٦٧/١، ومعالم التنزيل ١٥٥/٢، ولباب التأويل ٢٩٢/٢، وتفسير الجلالين ٢١٥/١، وروح المعاني٦٩/٩.

(٤) مفاتيح الغيب ١٢/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٧/٦، واللباب في علوم الكتاب ٣٢٨/٩.

(٥) الوسيط ٤١٣/٢، وزاد المسير١٥٧/٢.

(٦) معاني القرآن للزجاج٣٧٩/٢.

(٧) رموز الكنوز ٢٦٨/٢.

القول الأول: الجزية، وهو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير، من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء، ومن الذلة بضرب الجزية؛ لأن أولئك قتلوا ولم يؤدوا جزية[١].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وعطية العوفي، والواحدي[٢].

القول الثاني: ما أمروا به من قتلهم أنفسهم، وبالذلة إسلامهم أنفسهم لذلك واعترافهم بالضلال والخطأ[٣].

وممن قال به: أبو العالية، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والسيوطي[٤].

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري: فكان قتل بعضهم بعضاً هواناً لهم، وذلة أذلهم الله بها في الحياة الدنيا، وتوبة منهم إلى الله قبلها[٥].

٢- قال الزجاج: لحقتهم الذلة أنهم رأُوا أنهم قد ضلوا وذلُّوا، والذلةُ هو: ما أمروا به من قتل أنفسهم[٦].

القول الثالث: ما لابسهم من العار والشنار بسبب عبادة العجل، فإنه حين سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا، فذلوا واستحيوا لقبيح ما ارتكبوه[٧].

وممن قال به: الرازي، وابن كثير، وابن عادل[٨].

---

(١) بحر العلوم ٥٦٧/١، وتفسير السمعاني ٢١٨/٢، ومعالم التنزيل ١٥٥/٢، والكشاف ١٥٣/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٧، وتفسير البيضاوي ٦٢/٣.

(٢) الوجيز ٤١٥/١، وزاد المسير ١٥٧/٢، ومعالم التنزيل ١٥٥/٢، ولباب التأويل ٢٩٢/٢، واللباب في علوم الكتاب ٣٢٨/٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٧، ولباب التأويل ٢٩٢/٢، وروح المعاني٦٩/٩.

(٤) بحر العلوم ٥٦٧/١، ومعالم التنزيل ١٥٥/٢، ولباب التأويل ٢٩٢/٢، وتفسير الجلالين ٢١٥/١، وروح المعاني٦٩/٩.

(٥) جامع البيان٤٦٣/١٠.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣٧٩/٢.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٧/٦، واللباب في علوم الكتاب ٣٢٨/٩.

(٨) مفاتيح الغيب ١٢/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٧/٦، واللباب في علوم الكتاب ٣٢٨/٩.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- الذلة التي اختص بها السامري من الإنفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس[١].

٢- الذلة التي عرتهم عند تحريق إلههم ونسفه في اليم نسفاً، مع عدم القدرة على دفع ذلك عنه[٢].

٣- الذلة: خروجهم من ديارهم؛ لأنّ ذل الغربة مثل مضروب[٣].

حاصل الدراسة

من قال إنها هي الجزية فيه نظر؛ لأنها لم تؤخذ منهم وإنما أخذت من ذراريهم.

والأولى أن يقيد الغضب والذلة بالدنيا لقوله: ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ وإن ذلك مختص بالمتخذين للعجل إلهاً، لا لمن بعدهم من ذراريهم، ومجرد ما أمروا به من قتل أنفسهم هو غضب من الله عليهم وبه يصيرون أذلاء، وكذلك خروجهم من ديارهم هو من غضب الله عليهم، وبه يصبرون أذلاء، وأما ما نال ذراريهم من الذلة فلا يصح تفسير ما في الآية به، إلا إذا تعذر حمل الآية على المعنى الحقيقي، وهو لم يتعذر هنا[٤].

وبعّدَ القول بالجزية القرطبي، وأبو حيان؛ لأن الجزية لم تؤخذ من الذين عبدوا العجل؛ لأن الله عز وجل، تاب عليهم بقتلهم أنفسهم، وإنما أخذت من ذرياتهم، وهم اليهود الذين كانوا في زمن النبي رسول الله ﷺ[٥].

والقول أن ما أمروا به من قتلهم أنفسهم، وبالذلة إسلامهم أنفسهم لذلك واعترافهم بالضلال والخطأ، قريب من القول الذي يليه، وهو ما لابسهم من العار والشنار بسبب عبادة العجل، فإنه حين سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا، فذلوا

---

(١) روح المعاني٩/٦٩، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٧٥.

(٢) روح المعاني٩/٦٩.

(٣) الكشاف ٢/١٥٣، وتفسير البيضاوي ٣/٦٢، وفتح القدير ٢/٢٥٠، وروح المعاني٩/٦٩.

(٤) فتح القدير ٢/٢٥٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن٧/٢٩٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢/٣٧٩.

واستحيوا لقبيح ما ارتكبوه، وهو الأقرب للصواب والله أعلم.

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول أن المراد بالذلة في الدنيا أمرهم بقتل أنفسهم، وما لابسهم من العار حين رأوا أنهم ضلوا فذلوا.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[1].

(1) أحكام القرآن لابن العربي٤/٤١٤، والمحرر الوجيز٢/٣٧٥، ومجموع الفتاوى٢٠/٤٧٣، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٣٨٧.

قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [١]

٦٢- مسألة: هل الوقف على تأتيهم أو كذلك؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الوقف على قوله: لا تأتيهم، على معنى مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم[٢].

القول الثاني: الوقف على قوله: كذلك، على معنى: لا تأتيهم الحيتان في غير يوم السبت شُرَّعاً كما تأتيهم في يوم السبت[٣].

قال الرسعني:

الذي عليه أكثر العلماء: أن الوقف على قوله: ﴿ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ .

وقيل: الوقف على قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ ، على معنى: لا تأتيهم الحيتان في غير يوم السبت شُرَّعاً كما تأتيهم في يوم السبت.

والأول أظهر وأشهر. على معنى مثل ذلك البلاء الشديد، ﴿ نَبْلُوهُم ﴾ أي نختبرهم[٤].

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٦٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٨٥/٢، وجامع البيان٥١٠/١، وتفسير ابن أبي حاتم١٥٩٩/٥، والوجيز٤١٨/١، وتفسير السمعاني، والجامع لأحكام القرآن٣٠٦/٧، ولباب التأويل ٣٠٢/٢، والبحر المحيط ٤٠٨/٤، ونظم الدرر١٤٠/٣، وتفسير الجلالين٢١٨/١، وفتح القدير٢٥٧/٢، وروح المعاني١٠٩/٩.

(٣) تفسير مقاتل ٤٢١/١، ومعاني القرآن للزجاج ٣٨٥/٢، والبحر المحيط ٤٠٨/٤، واللباب في علوم الكتاب ٣٥٩/٩.

(٤) رموز الكنوز ٢٨٩/٢.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الوقف على قوله: لا تأتيهم، بأن لا يتهيأ لهم ما يريدونه، والمعنى: مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم، ومثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم بفسقهم. وهو قول أكثر العلماء، وترجيح الرسعني.

وممن قال به:

١- ابن عباس رضي الله عنه.

٢- والزجاج، وابن الأنباري، والواحدي، والسمعاني، والقرطبي، والخازن، وأبو حيان، والبقاعي، والسيوطي، والشوكاني، والألوسي[١].

ومن أقوالهم:

١- قال الزَّجَّاج: أي: مثل هذا الاختبار الشَّديد نختبرهم،... وذلك قول الناس وهو الجيد[٢].

٢- قال ابن الأنباري: ذلك إشارةٌ إلى ما بعده، يريد: ﴿ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ كذلك البلاء الذي وقع بهم في أمر الحيتان، وينقطع الكلام عند قوله ﴿ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾[٣].

٣- قال أبو حيان: كذلك أي: مثل ذلك البلاء بأمر الحوت نبلوهم، أي بلوناهم وامتحناهم[٤].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٨٥/٢، وجامع البيان٥١٠/١، وتفسير ابن أبي حاتم١٥٩٩/٥، والبسيط٤١١/٩، والوجيز٤١٨/١، وتفسير السمعاني، والجامع لأحكام القرآن٣٠٦/٧، ولباب التأويل ٣٠٢/٢، والبحر المحيط٤٠٨/٤، ونظم الدرر١٤٠/٣، والدر المصون٤٩٣/٥، وتفسير الجلالين٢١٨/١، وفتح القدير٢٥٧/٢، وروح المعاني١٠٩/٩.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٨٥/٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٨٥/٢.

(٤) البحر المحيط ٤٠٨/٤.

القول الثاني: الوقف على قوله: كذلك، والمعنى: لا تأتيهم الحيتان في غير يوم السبت شُرَّعاً كما تأتيهم في يوم السبت[١].

وممن قال به: قتادة، ومقاتل[٢].

حاصل الدراسة:

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ متعلق بما قبله، أي: ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك، أي: لا تأتيهم إتياناً مثل ذلك الإتيان، وهو أن تأتي شرّعاً ظاهرة كثيرة، بل يأتي ما أتى منها وهو قليل، وعلى هذا كان يغيب أكثره ولا يبقى منه إلاّ القليل الذي يتعب بصيده.

فعلى هذا في كذلك ينتفي إتيان الحوت مطلقاً، كما روي في القصص أنه كان يغيب بجملته[٣].

وكذلك صفة مصدر محذوف أي: نبلوهم بلاء كذلك[٤].

وبعّدَ الزجاج، وابن الجوزي القول بالوقف على ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ ، وقالوا: ويحتمل على بعدٍ أن يكون المعنى:﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ ﴾ ، أي: لا تأتيهم شرعاً؛ ويكون ﴿ نَبْلُوهُم ﴾ مستأنفاً[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول الأول: الوقف على قوله: لا تأتيهم، على معنى مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم، وهو قول أكثر العلماء والمفسرين، وترجيح الرسعني.

ويؤيد ذلك قول الإمام السيوطي: الإجماع على لزوم اتباع رسم المصاحف

---

(١) تفسير مقاتل ٤٢١/١، ومعاني القرآن للزجاج ٣٨٥/٢، والبحر المحيط ٤٠٨/٤، واللباب في علوم الكتاب ٣٥٩/٩، والدر المصون٤٩٣/٥.

(٢) تفسير مقاتل ٤٢١/١، والبسيط٤١١/٩، والبحر المحيط ٤٠٨/٤.

(٣) البحر المحيط ٤٠٨/٤.

(٤) تفسير غرائب القرآن٣٣٦/٣.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٣٨٥/٢، وزاد المسير ١٦٣/٢.

العثمانية في الوقف إبدالاً، وإثباتاً، وحذفاً، ووصلاً، وقطعاً[١].

القاعدة: الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى[٢].

(١) الإتقان ٢٣٩/١.

(٢) جامع البيان ٣٤١/١٨، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩٨/٥، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٤/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/١١٠.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾[1]

٦٣- مسألة: الفرقة التي قالت: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ هل كانت من الناجية أم من الهالكة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كانت من الفرقة الهالكة، فنجت الناهية وهلكت الفرقتان[2].

القول الثاني: كانت من الناجية، فلم يهلك إلا الفرقة الخاطئة الظالمة[3].

قال الرسعني:

فإن قيل: ما صنع الله بالذين لم يعتدوا ولم ينهوا؟

قلت: قد روي عن ابن زيد أنه قال: نجت الناهية وهلكت الفرقتان[4].

والصحيح: أنه لم يهلك إلا الفرقة الخاطئة الظالمة، وهو قول جماعة، منهم الحسن البصري[5].

فإن قيل: الآية دلت على إنجاء الذين ينهون عن السوء فقط، وهذه الفرقة لم

---

(١) سورة الأعراف آية:١٦٥.

(٢) معالم التنزيل ١٦٣/٢، ولباب التأويل ٣٥٢/٢.

(٣) جامع البيان٥١٢/١٠-٥١٩، ومعاني القرآن للنحاس٩٤/٣، ومعالم التنزيل١٦٣/٢، وتفسير النسفي ٤٣/٢، ومجموع الفتاوى٣٨٢/١٧، ولباب التأويل٣٥٢/٢، واللباب في علوم الكتاب٣٦٢/٩، وإرشاد العقل السليم٢٨٦/٣.

(٤) الوسيط٤٢١/٢.

(٥) الوسيط٤٢١/٢.

تنههم عن السوء؟

قلت: قد نهوهم عن السوء زماناً، ولم يسكتوا حتى يئسوا وعلموا أن الوعظ لا ينجع فيهم ولا ينفع، فسقط عنهم وجوبه، إذ لا فائدة فيه، ألا ترى أنك لو رأيت رجلاً مُصِرّاً على معصية قد خامرت عقله وأشربتها نفسه وصارت ديدناً له لا يراها عاراً وشناراً، بل ربما عدَّ تلبّسه بها شرفاً وفخاراً؛ لكونه يبسط ويقبض، ويرفع ويخفض، ويولي ويعزل، ويركب وينزل، على ما هي عادة الطغاة من الولاة الظلمة الفجرة المتلبسين بسخط الله المغمورين بغضبه، فأمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر مراراً فلم يعرج على عظتك، وأعارك أذناً صُماً، وعيناً عُمياً، فإن عامة العقلاء يعدونك بمعاودته بعد اليأس من صلاحه عابثاً، واضعاً للمواعظ في غير مواضعها، معرضاً نفسك لما لا يحل من العذاب والهوان والأذى، فإن أحسن إليك ذلك المستهتر المتهالك ولم يودك بذلك انخذل بتقبيحك له مالا مزيد على استحسانه عنده سفيهاً، كما قال قوم شعيب: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ (١)

فإن قيل: هل تجد في الكتاب العزيز ما يدلك على أنهم لم يعذبوا؟

قلت: نعم، قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ ﴾ (٢) وهذه الفرقة لم يكن عاتية. وقوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾ (٣) وهؤلاء لم يكونوا معتدين؛ لأن المعتدي هو الذي يتجاوز الحدّ في الظلم والمعصية.

وقد روي: أن ابن عباس ﷺ قال يوماً: ليت شعري ما فُعل بهؤلاء الذين قالوا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ ﴾ ؟ فقال له عكرمة: جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم

---

(١) سورة هود آية:٨٧.

(٢) سورة الأعراف آية: ١٦٦.

(٣) سورة البقرة آية:٦٥.

قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ ، فلم أزل به حتى عرّفته أنهم قد نجوا، فكساني حلة[١][٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

لفظ الآية يدل على أن الفرقة المتعدية هلكت، والفرقة الناهية عن المنكر نجت. أما الذين قالوا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ ﴾ فقد اختلف المفسرون في أنهم من أي الفريقين كانوا: على قولين:

القول الأول: كانت من الفرقة الهالكة، فنجت الناهية وهلكت الفرقتان. وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر[٣].

وممن قال به: عن ابن عباسﷺ في رواية، وابن زيد[٤].

واستدلوا بما يلي :

عن ابن عباسﷺ: هلكت الفرقتان ونجت النَّاهية، وكان ابنُ عباسﷺ إذا قرأ هذه الآية بكى وقال: إنَّ هؤلاء الذين سكتوا عن النَّهي عن المنكر هلكوا، ونحن نرى أشياء ننكرها، ثم نسكت، ولا نقول شيئاً[٥].

القول الثاني: كانت من الناجية؛ لأنها لم تشارك كالذين عصوا، فنجت الطائفتان الذين قالا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ﴾ والذين قالا: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ ، فلم يهلك إلا الفرقة الخاطئة الظالمة، الذين أخذوا الحيتان. وهو قول جماعة من المفسرين، وترجيح الرسعني[٦].

---

(١) أخرجه الطبري١٠/٥١٤.

(٢) رموز الكنوز ٢/٢٩٢.

(٣) معالم التنزيل ٢/١٦٣، ولباب التأويل ٢/٣٥٢.

(٤) معالم التنزيل ٢/١٦٣، ولباب التأويل ٢/٣٥٢.

(٥) اللباب في علوم الكتاب ٩/٣٦٢.

(٦) جامع البيان١٠/٥١٢-٥١٩، ومعاني القرآن للنحاس٣/٩٤، ومعالم التنزيل٢/١٦٣، وتفسير النسفي

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وعكرمة، والحسن البصري، ويمان بن رباب[١].

٢- ابن تيمية، وابن كثير[٢].

واستدلوا بما يلي:

أ-أنهم لما قالوا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ ﴾ دلَّ على أَنَّهُمْ أنكروا أشد الإنكار، وأَنَّهُمْ إنَّما تركوا وعظهم؛ لأنه غلب على ظنهم أنهم لا يلفتون إلى ذلك الوعظِ، ولا ينتفعون به[٣].

ب- قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ وهذه الفرقة لم يكن عاتية. وقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾[٤] لم يكونوا معتدين.

ج- قال ابن عباسﷺ: فأسمع الله أن يقول ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة؟ قال ابن عباسﷺ: فكم قد رأينا من منكر فلم ننه عنه! قال عكرمة: فقلت: ما ترى جعلني الله فداك إنهم قد أنكروا وكرهوا حين قالوا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ فأعجبه قولي ذلك، وأمر لي ببردين

٤٣/٢، ومجموع الفتاوى٣٨٢/١٧، ولباب التأويل٣٥٢/٢، واللباب في علوم الكتاب٣٦٢/٩، وإرشاد العقل السليم٢٨٦/٣.

(١) هو: يمان بن رباب خراساني، قال الدارقطني: ضعيف من الخوارج. انظر: لسان الميزان ٣١٦/٦.

(٢) جامع البيان٥١٢/١٠-٥١٩، ومعاني القرآن للنحاس٩٤/٣، ومعالم التنزيل١٦٣/٢، وتفسير النسفي٤٣/٢، ومجموع الفتاوى٣٨٢/١٧، ولباب التأويل٣٥٢/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٢٥/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٦٢/٩، وإرشاد العقل السليم٢٨٦/٣.

(٣) مفاتيح الغيب ٣٣/١٥، واللباب في علوم الكتاب ٣٦٢/٩.

(٤) سورة البقرة آية:٦٥.

غليظين فكسانيهما[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن تيمية: وأما أولئك الكارهون للذنب الذين قالوا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ﴾ فالأكثرون على أنهم نجوا؛ لأنهم كانوا كارهين فأنكروا بحسب قدرتهم[٢].

ب- قال ابن كثير: نص الله على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحاً فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيماً فيذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم فروي عن ابن عباسﷺ أنه قال: "ما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم"، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا لأنه تبين حالهم بعد ذلك[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

التوقف وهو قول نقل عن ابن عباسﷺ، نسبه إليه الطبرسي[٤][٥].

حاصل الدراسة:

من قال أن الفرقة هلكت، قالوا أن ترك الوعظِ معصية، والنَّهي عنه أيضاً معصية؛ فوجب دخول هؤلاء التَّاركين للوعظ النَّاهين عنه تحت قوله: ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ ، وهذا غير لازمٍ؛ لأنَّ النَّهي عن المنكر إنَّمَا يجب على

---

(١) أخرجه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انظر: المستدرك على الصحيحين ٣٥٢/٢.

(٢) مجموع الفتاوى٣٨٢/١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٢٥/٦.

(٤) هو: الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي: مفسر محقق لغوي. من الشيعة الإمامية. نسبته إلى طبرستان. له" مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان" طن وجوامع الجامع ط، في التفسير أيضاً. ومن كتبه "تاج المواليد" و "غنية العابد" و"مختصر الكشاف" و" إعلام الورى بأعلام الهدى". توفي سنة ٥٤٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١٤٨/٥.

(٥) جامع البيان ٥٢١/١٠، ومعاني القرآن للنحاس٩٤/٣، واللباب في علوم الكتاب ٣٦٢/٩، وروح المعاني ٩٢/٩.

الكفاية، ولو قام به البعض سقط عن الباقين[١].

ولأن قولهم: ﴿ ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ ﴾ يدل على أنهم كانوا منكرين على الموعوظين، وإنهم ما علموا أن الله مهلكهم إلاّ بعدَ أن مارسوا أمرهم، وسبروا غورهم، ورأوا أنهم لا تغني معهم العظات، ولا يكون ذلك إلاّ بعد التقدم لهم بالموعظة[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: هو قول ابن عباسﷺ، وعكرمة، والحسن البصري، وترجيح الرسعني، والمفسرين. ولأن الآية لم تنص إلا على الذين ظلموا.

القاعدة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة[٣].

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٤].

القاعدة: كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو ردّ على قائله[٥].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣٦٢/٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٥١/٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٥، والمحرر الوجيز ١٢٨/١، ومفاتيح الغيب ١١٥/٣، وأضواء البيان ٢٠٦/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٢٥/١.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣-٣٦٢، والتسهيل ٩/١، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٧١/١.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٥٥٠٣٦٠/١٣، والبحر المحيط١٠٤/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٤٩/٢.

قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾ [١]

٦٤- مسألة: على ماذا يعود الضمير في قوله: ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: على اليهود[٢].

القول الثاني: على قومك[٣].

القول الثالث: جميع الناس[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ أي: اقصص على اليهود. وقيل: على قومك. **والأول أظهر**؛ لأن المقصود من تلاوة هذا الخبر تحذيرهم وتقريعهم، وتشبيههم بالمنسلخ من آيات الله؛ لكونهم عرفوا الكتاب والعلم الأول، فانسلخوا من ذلك، كفراً بمحمد ﷺ وحسداً له.

ويجوز عندي-والله أعلم-: أن يراد بقوله:" واتل عليهم" جميع الناس، ويرجع الضمير في "عليهم" إلى بني آدم، وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الأعراف آية:١٧٥.

(٢) الكشاف٢/١٦٧، وتفسير البيضاوي٣/٧٢، وإرشاد العقل السليم٣/٢٩٢، وروح المعاني.

(٣) جامع البيان ١٠/٥٦٦، والوسيط٢/٤٢٧، ولباب التأويل ٢/٣١١، والتحرير والتنوير٩/١٧٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج٢/٣٩٠، والمحرر الوجيز ٢/٤٧٦، وزاد المسير ٢/١٦٨.

(٥) سورة الأعراف آية:١٧٢.

القول الأول: على اليهود[١].

وممن قال به: الزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، وأبو السعود[٢].

ومن أقوالهم:

أ-قال الزمخشري: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ على اليهود[٣].

ب- قال القرطبي: ذكّرَ أهل الكتاب قصة عرفوها في التوراة.

القول الثاني: على قومك.

وممن قال به: الطبري، والواحدي، والخازن، وابن عاشور[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ يا محمد على قومك[٥].

ب- قال ابن عاشور: فضمير (عليهم) راجع إلى المشركين الذين وجهت إليهم العبر والمواعظ من أول هذه السورة، وقصت عليهم[٦].

القول الثالث: على جميع الناس.

وممن قال به: الزجاج، وابن عطية، وابن الجوزي[٧].

ومن أقوالهم:

---

(١) الكشاف٢/١٦٧، وتفسير البيضاوي٣/٧٢، وإرشاد العقل السليم٣/٢٩٢، وروح المعاني.

(٢) الكشاف٢/١٦٧، والجامع لأحكام القرآن ٧/٣١٩، وتفسير البيضاوي٣/٧٢، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٩٢.

(٣) الكشاف ٢/١٦٧.

(٤) جامع البيان ١٠/٥٦٦، والوسيط٢/٤٢٧، ولباب التأويل ٢/٣١١، والتحرير والتنوير٩/١٧٣.

(٥) جامع البيان ١٠/٥٦٦.

(٦) التحرير والتنوير٩/١٧٤.

(٧) معاني القرآن للزجاج٢/٣٩٠، والمحرر الوجيز ٢/٤٧٦، وزاد المسير ٢/١٦٨.

أ- قال الزجاج، وابن الجوزي: هذا نسق على ما قبله، والمعنى: اتل عليهم إذ أخذ ربك من بني آدم[١].

ب- قال ابن عطية: الضمير في عليهم: عائد على حاضري محمدﷺ من الكفار وغيرهم[٢].

حاصل الدراسة:

المقصوص عليهم يحتمل الأمرين: إما أن يكونوا اليهود، فيكون المراد اتل يا محمد على بني إسرائيل العالمين بحال بلعام، وما جرى له، ليحذروا أن يكونوا مثله. أو المراد اتل يا محمد على قومك خبر الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم، وما جرى لهم.

وإن كان المراد باليهود أقرب للارتباط الآيات قبلها. إلا أنه لا يوجد دليل في تخصيصها فيهم فيمكن الجمع، ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلّي عام شامل، فهو أولى بتفسير الآية.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد جميع الناس الموجهة لهم الدعوة من النبي ﷺ، وهو ما رجحه الإمام الرسعني، وقال به بعض المفسرين.

---

(١) معاني القرآن للزجاج٢/٣٩٠، وزاد المسير ١٦٨/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٧٦/٢.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾ (١)

٦٥- مسألة: ما المشار إليه في قوله: ﴿ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: بلعام(٢).

القول الثاني: أمية بن أبي الصلت(٣) (٤).

القول الثالث: أبو عامر بن صيفي بن الراهب(٥).

القول الرابع: (البسوس) وهي زوجة رجل من بني إسرائيل(٦).

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٧٥.

(٢) تفسير الصنعاني٢/٢٤٣، وجامع البيان١٠/٥٦٦، ومعاني القرآن للزجاج٢/٣٩١، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٦١٦، وبحر العلوم١/٥٧٩، والوجيز١/٤٢١، وتفسير السمعاني٢/٢٣٢، ومعالم التنزيل٢/١٦٩، والكشاف٢/١٦٧، والمحرر الوجيز٢/٤٧٦، وزاد المسير٢/١٦٨، ومفاتيح الغيب١٥/٤٥، والجامع لأحكام القرآن ٧/٣١٩، وتفسير البيضاوي٣/٧٢، والتسهيل٢/٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٦/٤٤٨، وإرشاد العقل السليم٣/٢٩٢، وفتح القدير٢/٢٦٥، وروح المعاني٩/١١١.

(٣) هو: عبد الله بن أبي ربيعة، أمية بن أبي الصلت، أبو عثمان أو أبو الحكم الثقفي، الشاعر الجاهلي المشهور، وقد صدقه النبي ﷺ في بعض شعره. انظر: الإصابة ١/٢٤٩.

(٤) تفسير الصنعاني٢/٢٤٣، وجامع البيان١٠/٥٧٠، ومعاني القرآن للزجاج٢/٣٩١، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٦١٦، وبحر العلوم١/٥٧٩، والوجيز١/٤٢١، وتفسير السمعاني٢/٢٣٢، ومعالم التنزيل٢/١٦٩، والكشاف٢/١٦٧، والمحرر الوجيز٢/٤٧٦، وزاد المسير٢/١٦٨، ومفاتيح الغيب١٥/٤٥، والجامع لأحكام القرآن٧/٣١٩، وتفسير البيضاوي٣/٧٢، والتسهيل٢/٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٦/٤٤٨، وإرشاد العقل السليم٣/٢٩٢، وفتح القدير٢/٢٦٥، وروح المعاني٩/١١١.

(٥) هو: أبو عامر عبد عمرو بن صيفي ابن النعمان، وسماه رسول الله ﷺ الفاسق وهو الذي بنى مسجد الضرار. انظر: تهذيب الكمال ١٤/ ٤٨٦.

(٦) زاد المسير٢/١٦٩، والجامع لأحكام القرآن٧/٣٢-، واللباب في علوم الكتاب٩/٣٨٦.

قال الرسعني:

وفي المشار إليه أربعة أقوال:

أحدها: أنه بلعام. واختلف في اسم أبيه، فالمشهور في التفسير والمنصوص عن ابن عباس: أنه ابن باعوراء[١].

وروي عن ابن عباسﷺ: أنه من مدينة الجبارين، من الكنعانيين[٢].

وروى عنه عطية: أنه كان من بني إسرائيل[٣].

وروى عنه: أنه رجل من أهل اليمن[٤].

وكان من حديثه على ما ذكره ابن عباسﷺ ونقله محمد بن إسحاق والسدي وغيرهم: أن موسى -عليه السلام- لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام، وكان بلعام بقرية من قرى البلقاء، وكان أهلها كفاراً، وكان عنده الاسم الأعظم، فغزاهم نبي الله موسى -عليه السلام-، فأتاه قومه فقالوا: يا بلعام، هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا، وإنا قومك، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله عليهم، فقالوا: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، فكيف أدعو عليهم، وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون؟ فما زالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه، فركب حماره متوجهاً إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل، فسار قليلاً فربضت أتانه، فنزل عنها فضربها، فأذن الله لها في كلامه فقالت: ويحك يابلعام أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي؟ أتذهب إلى نبي الله والمؤمنون تدعوا عليهم؟ فلم يرتدع.

ويروى: أنه رجع، فقال ملكهم: إما أن تدعو عليهم وإما أن أصلبك، فدعا عليهم وعلى موسى بالاسم الأعظم أنهم لا يدخلوا المدينة، فوقع موسى وقومه في التيه

---

(١) أخرجه الطبري ١٠/٥٦٦-٥٦٩، وابن أبي حاتم ٥/١٦١٦-١٦١٧.

(٢) أخرجه الطبري١٠/٥٧٠، وابن أبي حاتم ٥/١٦١٦-١٦١٧.

(٣) أخرجه الطبري١٠/٥٦٦، وابن أبي حاتم ٥/١٦١٨.

(٤) أخرجه الطبري١٠/٥٦٩، وابن أبي حاتم ٥/١٦١٨.

بدعائه، فقال موسى: يارب كما استجبت دعاءه عليّ فاستجب دعائي عليه، فدعا الله تعالى أن ينزع منه الاسم الأعظم فنزعه منه[١].

ويروى: أن موسى قتله بعد ذلك[٢].

ويروى: أن بلعام لما أراد أن يدعو على بني إسرائيل، جعل لا يدعو عليهم بشيء إلا صرف لسانه إلى قومه، ولا يدعوا لقومه بشيء إلا صُرف إلى بني إسرائيل، فقيل له في ذلك، فقال: هذا شيء قد غلب الله عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والحيلة، وسأحتال لكم، جمّلوا النساء وأرسلوهن في عسكر بني إسرائيل، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها، فإنه إن زنى رجل واحد منهم كفيتموهم، فوقع رجل منهم على امرأة، فأرسل الله على بني إسرائيل الطاعون فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة واحدة.

وكان فنحاص بن العيزار صاحب أمر موسى -عليه السلام-، وكان قد أعطي في الخلق، وقوة في البطش، فأخبر خبر الزانيين، فدخل عليهما مضجعين فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، وقال: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك. وإلى هذا القول ذهب ابن مسعود وابن عباسﷺ وجمهور المفسرين[٣].

القول الثاني: أنه أمية بن أبي الصلت، وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولاً في ذلك الوقت، فلعبت به الأطماع الكاذبة ورجا أن يكون هو. فلما اصطفى الله تعالى محمداً ﷺ واختصه برسالته، حمله الحسد والبغي على الكفر به.

فلما مات أمية أتت أخته الفارعة رسول الله ﷺ فسألها عن وفاة أخيها فقالت: بينا هو راقد أتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا، فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: أوعى؟ قال: وعى. قال: أزكى، قال: أبى، فسألته عن ذلك فقال: خير أريد بي فصرف عني، ثم غشي عليه فلما

---

(١) أخرجه الطبري١٠/٥٧٩.

(٢) أخرجه الطبري١٠/٥٧٨، وزاد المسير٢/١٦٩.

(٣) أخرجه الطبري١٠/٥٦٨.

أفاق قال:

كلُّ عيش وإن تطاول دهراً صائرُ مرةً إلى أن يزولا

ليتني كنتُ قبلُ ما قد بدا لي في قلال الجبال أرعى الوعولا

إن يوم الحساب يومُ عظيم شابَ فيه الصغيرُ يوماً ثقيلا

ثم قال لها رسول الله ﷺ: أنشديني شعر أخيك، فأنشدته:

لك الحمدُ والنعماءُ والفضلُ ربنا ولا شيء أعلى منك جداً وأمجد

مليكٌ على عرشِ السماء مُهيمنٌ لعزته تعنُو الوجوه وتسجدُ

حتى أتت على آخر القصيد.

ثم أنشدته أيضاً:

عند ذي العرش تُعرضون عليه يعلم الجهر والسرار الخفيا

يوم نأتي الرحمن وهو رحيم إنه كان وعده مأتيا

يوم نأتيه مثل ما قال فرداً ثم لا بد راشداً وغويًّا

إلى أن قال:

ربِّ إن تعف والمعافاة ظني أو تعاقب فلم تعاقب بريّا

فقال النبي ﷺ :" آمن شعره وكفر قلبه". وأنزل الله فيه: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ...الآيات ﴾ [1]

وهذا قول جماعة منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب[2].

---

(1) أسباب النزول الواحدي ص٣٨٦.

(2) أخرجه الطبري١٠/٥٧٠، وابن أبي حاتم ٥/١٦١٦.

الثالث: أنه أبو عامر الراهب، وكان رجلاً من الأنصار قد ترهبن ولبس المسوح في الجاهلية وبني له مسجد الضرار؛ على ما سنذكره في سورة براءة إن شاء الله تعالى[١].

قال ابن عباسﷺ: الأنصار تقول في هذه الآية: هو أبو عامر الراهب، الذي بني له مسجد الشقاق. وروي عن سعيد بن المسيب نحوه.

الرابع: أنه البَسُوس، وهو رجل من بني إسرائيل[٢].

وكان من حديثه:

ما قرأته على الشيخ أبي القاسم علي بن أبي الفرج المعروف بابن الموصلي، أخبركم يحيى بن أسعد بن بوش فأقرَّ به، أخبرنا احمد بن عبيد الله بن كادش، أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري، أخبرنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري، حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي[٣]، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباسﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ قال: هو رجل كان في بني إسرائيل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن ما يدعو به، وكانت له امرأة له منها ولد، وكانت سَمِجة[٤]دميمة، فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله لها. فلما علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها رغبت عن زوجها وأرادت غيره، فلما رغبت عنه دعا الله أن يجعلها كلبة نباحة، فذهبت منه فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبر أن صارت أمنا كلبة نباحة يُعيّرنا الناس بها، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها أولاً، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات

---

(١) عند الآية ١٠٧.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١٦١٧/٥-١٦١٨، ومعالم التنزيل١٦٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٠/٧، وأسباب النزول للواحدي ص٣٨٦، وزاد المسير ١٦٩/٢، والدر المنثور٦٠٨/٣-٦٠٩.

(٣) هو: الحسين بن القاسم الكوكبي، أخباري مشهور، وفي أخباره مناكير كثيرة بأسانيد.

(٤) سَمُج الشيء: قبُح، يسمُجُ سماجةً: إذا لم يكن فيه ملاحة. وسميج: قبيح. انظر: لسان العرب٣٠٠/٢ مادة(سمج).

الثلاث[١].

قال أبو الفرج المعافى بن زكريا: سَمِجَة: بكسر الميم، مثل: بَطِرَة.

وحكى سيبويه عن العرب[٢]: رجل سَمْج، بتسكين الميم، مثل: سمح.

قال: وقالوا: سميج؛ كقبيح.

وقول الراوي في هذا الخبر:" يعيرنا الناس بها"، الفصيح من كلام العرب: عيرت فلاناً كذا وكذا. وأما عيرته بكذا فلغة مقصرة عن الأولى في الاستشهاد والفصاحة، وإن كانت هي الجارية على ألسنة العامة.

ومن اللغة الأولى قول النابغة:

وعيرتني بنو ذبيان وهبته وهل عليّ بأن أخشاك من عار؟[٣]

وقال المتلمِّس:

تُعيّرني أمي رجالٌ ولا أرى أخا كرمٍ إلا بأن يتكرّما[٤]

وقال المقنع الكندي في اللغة الأخرى:

يُعيّرني بالدَّين قومي وإنما تديّنت في أشياء تُكسبهم حمدا[٥]

والمشهور في التفسير: القول الأول: ومن أضاف نزولها إلى غيره، فلدخوله

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/١٦١٧-١٦١٨.

(٢) الكتاب٤/٣٠.

(٣) البيت للنابغة الذبياني، وهو في: ديوانه ص٣٧، ولسان العرب ٤/٦٢٠ ماد: عير.

(٤) انظر البيت في: أدب الكاتب لابن قتيبة ١/٣٢٤.

(٥) انظر البيت في: جمهرة الأمثال ٢/٢٠٦.

في عمومها وإن وردت على السبب الخاص. وإلى هذا أشار عكرمة بقوله: هو كل من انسلخ عن الحق بعد أن أعطيه[١].

وفي بعض الألفاظ: أن النبي ﷺ قال لفارعة[٢] حين أنشدت شعر أخيها أمية: "كان مَثلُ أخيك كمثل الذي آتاه الله آيته فانسلخ منها"[٣]، وإن الآية مكية، وقصة أبي عامر الراهب في المدينة، فدل مجموع ذلك على صحة القول الأول، وأن إضافتها على غيره لدخوله في عمومها[٤].

دراسة الأقوال في المسألة

القول الأول: بلعام، وهو أحد علماء بني إسرائيل على اختلاف في اسمه[٥].

وممن قال به:

١- ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما، ومجاهد، وعكرمة، والسدي[٦].

٢- الواحدي، والزمخشري، وابن حجر، وأبو السعود، والألوسي[٧].

ومن أقوالهم:

---

(١) زاد المسير ٢/١٦٩.

(٢) هي: الفارعة بنت أبي الصلت الثقفية، أخت أمية بن أبي الصلت. انظر: أسد الغابة ٧/٢٣٣.

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/١٨٩٠، والسيوطي في الدر ٣/٦٠٩ وعزاه لابن عساكر عن سعيد بن المسيب.

(٤) رموز الكنوز ٢/٣٠٣-٣١٠.

(٥) تفسير الصنعاني ٢/٢٤٣، وجامع البيان ١٠/٥٦٦، ومعاني القرآن للزجاج ٢/٣٩١، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٦١٦، وبحر العلوم ١/٥٧٩، والوجيز ١/٤٢١، وتفسير السمعاني ٢/٢٣٢، ومعالم التنزيل ٢/١٦٩، والكشاف ٢/١٦٧، والمحرر الوجيز ٢/٤٧٦، وزاد المسير ٢/١٦٨، ومفاتيح الغيب ١٥/٤٥، والجامع لأحكام القرآن ٧/٣١٩، وتفسير البيضاوي ٣/٧٢، والتسهيل ٢/٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٤٤٨، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٩٢، وفتح القدير ٢/٢٦٥، وروح المعاني ٩/١١١.

(٦) تفسير مجاهد ١/٢٥٠، وتفسير الصنعاني ٢/٢٤٣، وجامع البيان ١٠/٥٦٨.

(٧) الوجيز ١/٤٢١، والكشاف ٢/١٦٧، وفتح الباري ٧/١٥٤، وإرشاد العقل السليم ٣/٢٩٢، وروح المعاني ٩/١١١.

أ- قال القرطبي بعد ذكره الأقوال: والقول الأول أشهر وعليه الأكثر [١].

ب- قال ابن حجر: وروى من أوجه أخرى أنها نزلت في بلعام الإسرائيلي، وهو المشهور[٢].

ج- قال أبو السعود بعد أن ذكر قولين في المراد بلعم، وأمية بن أبي الصلت: والأول هو الأنسب بمقام التوبيخ اليهود بهناتهم[٣].

د- قال الألوسي: والأشهر أنه بلعام، أو بلعم، وكان قد أوتي علماً ببعض كتب الله تعالى[٤].

القول الثاني: أمية بن أبي الصلت الثقفي [٥].

وممن قال به:

عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وأبو روق[٦]، وزيد بن أسلم.

القول الثالث: أبو عامر بن صيفي بن الراهب.

وممن روي عنه: قتادة والشعبي عن ابن عباس ﷺ، وسعيد بن المسيب[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٢١/٧.

(٢) فتح الباري ١٥٤/٧.

(٣) إرشاد العقل السليم٢٩٢/٣.

(٤) روح المعاني ١١١/٩.

(٥) تفسير الصنعاني٢٤٣/٢، وجامع البيان٥٧٠/١٠، ومعاني القرآن للزجاج٣٩١/٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١٦١٦/٥، وبحر العلوم٥٧٩/١، والوجيز٤٢١/١، وتفسير السمعاني٢٣٢/٢، ومعالم التنزيل١٦٩/٢، والكشاف١٦٧/٢، والمحرر الوجيز٤٧٦/٢، وزاد المسير١٦٨/٢، ومفاتيح الغيب٤٥/١٥، والجامع لأحكام القرآن٣١٩/٧، وتفسير البيضاوي٧٢/٣، والتسهيل٥٤/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٤٨/٦، وإرشاد العقل السليم٢٩٢/٣، وفتح القدير٢٦٥/٢، وروح المعاني١١١/٩.

(٦) هو: عطية بن الحارث، أبو روق الهمداني الكوفي، ذكر ابن سعد في الطبقة الخامسة، وقال هو صاحب التفسير. انظر: التاريخ ١٣/٧، وتهذيب التهذيب٢٠٠/٧.

(٧) جامع البيان٥٧١/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم ١٦١٧/٥، وزاد المسير١٦٩/٢، ومفاتيح الغيب٤٥/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٤٨/٦.

القول الرابع: زوجة رجل من بني إسرائيل (البسوس).

وممن رواه: عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

منافقي أهل الكتاب.

وممن قال به: الحسن، والأصم، ابن كيسان[٢][٣].

قال ابن عطية: وصواب هذا أن يقال إلى كفار أهل الكتاب؛ لأنه لم يكن منهم منافق إنما كانوا مجاهرين[٤].

٢- أنه عام في كل من عرض عليه الحق فاعرض عنه، أوكل من انسلخ من الحق بعد أن أعطية من اليهود والنصارى والحنفاء.

وممن قال به:

أ- عكرمة، وقتادة، وأبو مسلم[٥][٦].

٣- نبي من أنبياء الله، دعا عليه موسى، فنزع اللَّهُ تعالى منه الإيمان، فصار كافراً[٧].

قال ابن عادل[٨]: وهذا بعيدٌ؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ

---

(١) زاد المسير ١٦٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٢/٧-، واللباب في علوم الكتاب ٣٨٦/٩.

(٢) هو: طاووس بن كيسان، أبو عبد الرحمن اليماني، الفقيه القدوة، عالم اليمن، ومن سادات التابعين. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨/٥، وطبقات المفسرين للأدنه وي ١٣/١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٩١/٢، وتفسير السمعاني ٢٣٢/٢، والمحرر الوجيز ٤٧٧/٢، وزاد المسير ١٦٩/٢، ومفاتيح الغيب ٤٥/١٥، واللباب في علوم الكتاب ٣٨٦/٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤٧٧/٢.

(٥) هو: محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهربزد، أبو مسلم الأصبهاني، الأديب المفسر النحوي المعتزلي، كان عارفاً بالتفسير والنحو والأدب، توفي سنة تسع وخمسين وأربعمائة. انظر: لسان الميزان ١٠٥/٧، وطبقات المفسرين للسيوطي ٩٨/١.

(٦) زاد المسير ١٦٩/٢، ومفاتيح الغيب ٤٥/١٥، واللباب في علوم الكتاب ٣٨٦/٩، فتح القدير ٢٦٥/٢.

(٧) تفسير السمعاني ٢٣٢/٢، واللباب في علوم الكتاب ٣٨٦/٩.

(٨) هو: أبو حفص عمر بن علي، الشهير بابن عادل، الدمشقي، الحنبلي، الإمام العالم الفاضل، سراج الدين. توفي سنة ٨٨٠هـ. انظر: تاريخ الإسلام ٤٢٤/٤٨، وطبقات المفسرين للأدنه وي ٤١٩/١.

﴾[١] فدلَّ على أنَّهُ تعالى لا يخصُّ عبداً بالرِّسالة، إلاَّ إذا علم امتيازه عن سائر العبيد بمزيد المناقب العظيمة، ومن كانت هذه حالهُ، كيف يليق به الكفر[٢] ؟

٤- قال مجاهد: الآية في نبي من الأنبياء بعثه الله - تعالى - إلى قومه، فرشاه قومه. قال السمعاني: وهذا أضعف الأقوال[٣].

حاصل الدراسة:

في هذه القصة روايات كثيرة، لم تذكر هنا لتعذر صحتها.

وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم، وجائز أن يكون أمية.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال لفارعة حين أنشدت شعر أخيها أمية: "كان مَثلُ أخيك كمثل الذي آتاه الله آيته فانسلخ منها". فيكون أمية ليس المراد بالآية. والآية مكية، وقصة أبي عامر الراهب في المدينة، فدل مجموع ذلك على صحة القول الأول، وأن إضافتها إلى غيره لدخوله في عمومها.

وتوجيه القول عند ابن جرير قال: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيهﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته، وهي الآيات.

... وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم، وجائز أن يكون أمية.

وكذلك الآيات؛ إن كانت بمعنى الحُجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه، فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية وعناه بها، فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعم، وجائز أن يكون أمية؛ لأن أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب.

وإن كانت بمعنى كتابٍ أنزله الله على من أُمر نبيُّ الله عليه الصلاة والسلام أن

---

(١) سورة الأنعام آية:١٢٤.

(٢) اللباب في علوم الكتاب٩/٣٨٦.

(٣) تفسير السمعاني٢/٢٣٢.

يتلو على قومه نبأه، أو بمعنى اسم الله الأعظم، أو بمعنى النبوة، فغير جائز أن يكون معنياً به أمية؛ لأن أمية لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أُوتى شيئاً من ذلك، ولا خبر بأيٍّ ذلك المراد، وأيِّ الرجلين المعنيُّ، يُوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعنيُّ به من أيٍّ.

فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ويُقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحيُ من الله[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول الأول أن المراد بلعم، وهو أرجح الأقوال، لوروده عن جماعة من الصحابة والتابعين. واستبعاد القول أنه أبو عامر الراهب لأن قصته في المدينة، وقول الرسول ﷺ لفارعة. فدل مجموع ذلك على صحة القول الأول.

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٢].

القاعدة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة[٣].

---

(١) جامع البيان ٥٧٤/١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٣٩٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/٧، والبحر المحيط ٩٤/٨، والتسهيل ٥٤/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٥٨/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٥، والمحرر الوجيز ١٢٨/١، ومفاتيح الغيب ١١٥/٣، وأضواء البيان ٢٠٦/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [1]

٦٦- مسألة: هل الآية محكمة أو منسوخة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الآية نسخ طرفاها، وبقي وسطها [2].

القول الثاني: الآية محكمة[3].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ أخرج البخاري في صحيحه:" أن عبد الله بن الزبير قال في هذه الآية: أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس"[4]، أي: الميسور من أخلاقهم، ولا يستقصي عليهم فينفرهم.

وقيل: المعنى: خذ ما تيسر من صدقاتهم، ثم نسخ بالزكاة المفروض.

وقيل: هو أمر بمساهلة الكفار، فيكون منسوخاً بآية السيف[5].

قوله تعالى: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ قال عطاء: لا إله إلا الله[6].

والمشهور في التفسير: عمومه في كل ما تعرف العقول حُسنه من مكارم الأخلاق.

﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ يعني: المشركين.

---

(1) سورة الأعراف آية:١٩٩.

(2) جامع البيان١٠/٦٤٠-٦٤٥، ومعالم التنزيل ٢/١٨٤، والتسهيل٢/٥٨، ومفاتيح الغيب١٥/٧٨.

(3) جامع البيان١٠/٦٤٠-٦٤٥، ومعالم التنزيل ٢/١٨٤، والتسهيل٢/٥٨، ومفاتيح الغيب١٥/٧٨.

(4) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب (خذ العفو وأمر بالعرف)، ح(٤٦٤٤).

(5) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ٩٠-٩١، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٣٨، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص١٦٢-١٦٣.

(6) معالم التنزيل٢/١٨٤، والجامع لأحكام القرآن٧/٣٤٥.

فعلى هذا: تكون منسوخة بآية السيف.

وقد يمتحن بهذه الآية فيقال: ما آية نسخ طرفاها وبقي وسطها؟ فيجاب بهذه.

والصحيح: أنها كلها محكمة، والمعنى: لا تكافئ الجاهلين بسفههم إكراماً لنفسك النفيسة عن الأخلاق الخسيسة.

وقال الربيع بن أنس: الناس رجلان: مؤمن وجاهل، فأما المؤمن فلا تؤذه، وأما الجاهل فلا تجاهله[١].

ويدل على إحكامها بالمعنى الذي ذكرت، ما أخرج البخاري بإسناده عن ابن عباسﷺ قال:" قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن عليه. فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: ها يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ أن يقع به. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين، فو الله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله"[٢].

ويروى:" أن النبي ﷺ سأل جبريل عن هذه الآية، فقال: لا أدري حتى أسأل، ثم رجع فقال: يا محمد! إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك"[٣].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ :" ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً، ولا تواضع أحد لله إلا رفعه

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٥٣/٦، وأبو نعيم في الحلية ١١١/٢ كلاهما من حديث الربيع بن خثيم.

(٢) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب (خذ العفو وأمر بالعرف)، ح(٤٦٤٢).

(٣) أخرجه الطبري ٦٤٣/١٠، وذكره ابن حجر في فتح الباري ٣٠٦/٨.

الله"[١].

وقال جعفر الصادق عليه السلام[٢]: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية[٣].

وقال عبد الرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ :" كيف يا رب؟ والغضب". فنزل: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ ﴾[٤][٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أن الآية نسخ طرفاها، وبقي وسطها[٦].

فقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ أي: ما عفا لك من أموالهم، أي: ما أتوك به عفواً فخذه، ولا تسأل عما وراء ذلك. وكان هذا قبل فريضة الصدقة، فلما نزلت آية وجوب الزكاة صارت هذه الآية منسوخة إلا قوله : ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ أي: بإظهار الدين الحق، وتقرير دلائله. ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ أي: المشركين قالوا: وهذا منسوخ بآية السيف فعلى هذه الطريقة جميع الآية منسوخة إلا قوله:﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾. [٧]

وممن قال به: ابن عباس ﷺ، والضحاك، والسدي، وعطاء، وعبد الرحمن بن

---

(١) أخرجه مسلم كتاب البر، باب استحباب العفو والتواضع، ح(٢٥٨٨).

(٢) هو: جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام العلم، أبو عبد الله الهاشمي، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة. انظر: الكاشف ٢٩٥/١، ووفيات الأعيان٣٢٧/١.

(٣) معالم التنزيل ١٨٤/٢، والجامع لأحكام القرآن٣٤٥/٧.

(٤) أخرجه الطبري٦٤٦/١٠. سورة فصلت آية: ٣٦.

(٥) رموز الكنوز ٣٤٣/٢-٣٤٥.

(٦) جامع البيان٦٤٠/١٠-٦٤٥، ومعالم التنزيل ١٨٤/٢، والتسهيل٥٨/٢، ومفاتيح الغيب٧٨/١٥.

(٧) مفاتيح الغيب ٧٨/١٥.

زيد بن أسلم، وأبو عبيدة[١].

واستدلوا بما يلي:

أن ذلك معنى قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [٢]

ومن أقوالهم:

١- قال ابن زيد في قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ إنما أمر النبي ﷺ بذلك مداراة لكفار قريش ثم نسخ ذلك بآية السيف[٣].

القول الثاني: الآية محكمة[٤]. وهو ترجيح الرسعني.

وممن قال به:

١- ابن الزبير، ومجاهد، وقتادة[٥].

٢- الطبري، والسمرقندي، والواحدي، وابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، والسيوطي، والسعدي[٦].

واستدلوا بما يلي:

١- أن ذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [٧].

---

(١) جامع البيان ٦٤١/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم١٦٣٩/٥، وفتح الباري ٣٠٦/٨، وفتح القدير٢٧٩/٢، وروح المعاني١٤٧/٩.

(٢) سورة البقرة آية:٢١٩.

(٣) المحرر الوجيز٤٩١/٢.

(٤) جامع البيان٦٤٠/١٠-٦٤٥، ومعالم التنزيل ١٨٤/٢، والتسهيل٥٨/٢، ومفاتيح الغيب٧٨/١٥.

(٥) جامع البيان ٦٤٠/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم١٦٣٩/٥.

(٦) جامع البيان٦٤٢/١٠، وبحر العلوم ٥٨٨/١، والوجيز٤٢٨/١، وزاد المسير١٨١/٢، والتسهيل ٥٨/٢، وتفسير الجلالين٢٢٥/١، وتيسير الكريم الرحمن٣١٣/١.

(٧) سورة الفرقان آية:٦٣.

٢- روي البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير في قوله:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ قال: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس[١].

٣- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على بن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا بن أخي، لك وجهٌ عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا بن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله[٢].

٤- روي سفيان بن عيينة عن الشعبي أنه قال: إن جبريل نزل على النبي ﷺفقال له النبي ﷺ: (ما هذا يا جبريل) فقال: (لا أدري حتى أسأل العالم) في رواية (لا أدري حتى أسأل ربي) فذهب فمكث ساعة ثم رجع فقال:(إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك)[٣] .

٥- وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق[٤].وقد ذكر غير واحد أنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية [٥].

ومن أقوالهم:

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب (خذ العفو وأمر بالعرف)، ح(٤٦٤٣).

(٢) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب (خذ العفو وأمر بالعرف)، ح(٤٦٤٢).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم٥/١٦٣٨، والكشاف ١٧٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٥/٧، وتفسير النسفي٥٢/٢، والتسهيل ٥٨/٢.

(٤) الكشاف ١٧٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٥/٧، وتفسير النسفي٥٢/٢، والتسهيل٥٨/٢.

(٥) روح المعاني١٤٧/٩.

أ- قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم. وقال: أُمر بذلك نبيُّ اللهﷺ في المشركين.

...فإن قال قائل: أفمنسوخ ذلك؟ قيل: لا دلالة عندنا على انه منسوخ، إذ كان جائزاً أن يكون مراداً به تأديب نبي الله والمسلمين جميعاً في عشرة الناس[١].

ب- قال ابن عطية:وقوله ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ حكم مترتب محكم مستمر في الناس ما بقوا، هذا قول الجمهور من العلماء [٢].

ج- قال الكلبي: وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح[٣].

د- قال الألوسي: وعن السدي أن هذا أمر بالكف عن القتال، ثم نسخ بآيته، ولا ضرورة إلى دعوى النسخ في الآية كما لا يخفى على المتدبر[٤].

حاصل الدراسة:

حديث الحر بن قيس حين أدخل عمه عيينة بن حصن على عمر، دليل على أنها محكمة مستمرة؛ لأن الحر احتج بها على عمر فقررها ووقف عندها[٥].

وتخصيص قوله: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ بما ذكره أصحاب القول بأنها منسوخة، تقييد للمطلق من غير دليل، فهذا الكلام إذا حملناه على أداء الزكاة لم يكن إيجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة منافياً لذلك، لأن آخذ الزكاة مأمور بأن لا يأخذ كرائم أموال الناس ولا يشدد الأمر على المزكى، فلم يكن إيجاب الزكاة سبباً لصيرورة هذه الآية منسوخة[٦].

وبين في قوله تعالى: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ ما ينبغي أن يعامل به الجهلة من شياطين الإنس والجن. فبين أن شيطان الإنس يعامل باللين، وأخذ العفو، والإعراض

---

(١) جامع البيان ١٠/٦٤٢-٦٤٣.

(٢) المحرر الوجيز٢/٤٩١.

(٣) التسهيل ٢/٥٩.

(٤) روح المعاني٩/١٤٧.

(٥) المحرر الوجيز٢/٤٩١.

(٦) مفاتيح الغيب ١٥/٧٨.

عن جهله وإساءته[١].

فالمقصود أمر الرسول ﷺ بأن يصبر على سوء أخلاقهم، وأن لا يقابل أقوالهم الركيكة ولا أفعالهم الخسيسة بأمثالها، وليس فيه دلالة على امتناعه من القتال؛ لأنه لا يمتنع أن يؤمر عليه السلام بالإعراض عن الجاهلين مع الأمر بقتال المشركين فإنه ليس من المتناقض أن يقال الشارع لا يقابل سفاهتهم بمثلها ؟ ولكن قاتلهم وإذا كان الجمع بين الأمرين ممكناً فحينئذ لا حاجة إلى التزام النسخ [٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول أنها محكمة؛ لقوة استدلالهم بالأحاديث الصحاح، وقوة توجيههم، وهو قول أكثر العلماء، وما تضمنة الآية هو من الأخلاق التي لا تنسخ إلا في عقل من أسرفوا في القول بالنسخ في آية السيف. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها[٣].

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٤].

---

(١) أضواء البيان٢/٤٧.

(٢) مفاتيح الغيب ١٥/٧٨.

(٣) جامع البيان ١١/١٨٦، والناسخ والمنسوخ للنحاس١/٢٠٠، والإحكام لابن حزم ٤/٤٨٤، والتمهيد ١/٣٠٧، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٨، ومحاسن التأويل ١٥/٥٣٧٥، وأضواء البيان ٦/٧٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٧١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٣/٣٦١-٣٦٢، والتسهيل ١/٩، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٧١.

قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ [١]

٦٧- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡتِكَ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مكة[٢].

القول الثاني: المدينة[٣].

القول الثالث: بيت النبي ﷺ بالمدينة[٤].

قال الرسعني:

وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡتِكَ﴾ يحتمل وجوهاً:

أحدها: مكة، فيراد بالإخراج: الهجرة إلى المدينة.

الثاني: المدينة؛ لأنها مهاجره ومسكنه، فهي لاختصاصها به كبيته الذي يسكنه.

الثالث: بيته بالمدينة، **وهذان الوجهان أصح من الأول**[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: في إخراجه من مكة إلى المدينة للهجرة[١].

---

(١) سورة الأنفال آية: ٥.

(٢) تفسير السمعاني ٢٤٨/٢، ومعالم التنزيل١٩٥/٢، ولباب التأويل ٧/٣، ومحاسن التأويل٢٥٩/٥.

(٣) الوجيز٤٣١/١، وتفسير البيضاوي٨٩/٣، وفتح القدير٢٨٧/٢، وتفسير الجلالين٢٢٨/١، وتفسير القرآن العظيم١٩/٧، وجامع البيان٣٦/١١، وتفسير ابن أبي حاتم ١٦٥٩/٥، وتفسير السمعاني٢٤٨/٢، ومحاسن التأويل٢٥٩/٥.

(٤) تفسير الكريم الرحمن ٣١٦/١، والمحرر الوجيز ٥٠٢/٢، والتسهيل ٦١/٢، ومحاسن التأويل٢٥٩/٥.

(٥) رموز الكنوز ٣٦٦/٢.

لم يرجح هذا القول أحد من المفسرين، بل رده بعضهم. كالألوسي، قال: وزعم بعضهم أن المراد به مكة وليس بذاك[٢].

القول الثاني: في خروجه من المدينة إلى قتال المشركين في بدر.

وممن قال به:

١- أبو بزه[٣]، وابن جريج، ومحمد بن عباد بن جعفر[٤]، ومجاهد، والحسن[٥].

٢- البيضاوي، والواحدي، والسيوطي، وابن كثير، والسمعاني، والشوكاني[٦].

واستدلوا بما يلي:

أ- عن أبي بزة:﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ المدينة إلى بدر[٧].

ب- عن محمد بن عباد بن جعفر في قوله: ﴿ كَمَآ

---

(١) البسيط١٠/٣٢، وتفسير السمعاني ٢/٢٤٨، ومعالم التنزيل٢/١٩٥، ولباب التأويل ٣/٧، ومحاسن التأويل٥/٢٥٩.

(٢) روح المعاني٩/١٦٩.

(٣) هو: أبو بزة، اسمه نافه أو يسار ، صحابي مولى عبد الله بن السائب، المخزومي المكي. انظر: الإصابة ٧/٣٩، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال١/٣١١.

(٤) هو: محمد بن عباد بن جعفر بن رفاعه بن أمية، النخزومي، المكي، من التابعين. انظر: الكاشف ٢/١٨٤، وتهذيب التهذيب ٩/٢١٦.

(٥) جامع البيان ١١/٣٦، ومعاني القرآن للنحاس٣/١٣٢.

(٦) الوجيز١/٤٣١، وتفسير البيضاوي٣/٨٩، وفتح القدير٢/٢٨٧، وتفسير الجلالين١/٢٢٨، وتفسير القرآن العظيم٧/١٩، وجامع البيان١١/٣٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٦٥٩، وتفسير السمعاني٢/٢٤٨.

(٧) أخرجه الطبري ١١/٣٦.

﴿أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ قال: من المدينة إلى بدر[١].

ومن أقوالهم:

١- قال السمعاني: الأكثرون على أنه في إخراجه من المدينة إلى بدر للقتال مع المشركين.[٢]

٢- قال الخازن: "قال جمهور المفسرين: المراد بهذا الإخراج هو خروجه من المدينة إلى بدر"[٣].

القول الثالث: من بيته ﷺ بالمدينة.

وممن قال به: ابن عطية، والكلبي، والسعدي[٤].

ومن أقوالهم:

١- قال الكلبي: يعني مسكنه بالمدينة إذ أخرجه الله لغزوة بدر[٥]

٢- قال السعدي: كذلك أخرج الله رسوله ﷺ من بيته إلى لقاء المشركين في بدر[٦].

ومن المفسرين من جمعوا بين القولين الثاني والثالث في تفسيرهم،

وممن قال بهذا:

١- النسفي، والنيسابوري، والرازي، والألوسي، والقاسمي[٧].

ومن أقوالهم:

---

(١) أخرجه الطبري ٣٦/١١.

(٢) تفسير السمعاني ٢٤٨/٢.

(٣) لباب التأويل ٧/٣.

(٤) تفسير الكريم الرحمن ٣١٦/١، والمحرر الوجيز ٥٠٢/٢، والتسهيل ٦١/٢

(٥) التسهيل ٦١/٢.

(٦) تفسير الكريم الرحمن ٣١٦/١.

(٧) الكشاف ٢٣٠/٢، وتفسير النسفي ٥٥/٢، وتفسير غرائب القرآن ٣٧٦/٣، ومعالم التنزيل١٩٥/٢، ومفاتيح الغيب ١٠٢/١٥، وروح المعاني١٦٩/٩، ومحاسن التأويل٢٥٩/٥.

١- قال النسفي: يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها؛ لأنها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت لساكنه[١].

٣- قال الرازي: يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها؛ لأنها موضع هجرته وسكناه بالحق[٢].

٤- قال القاسمي: أراد به بالمدينة، أو المدينة نفسها، لأنها مثواه. أي إخراجه إلى بدر. وزعم بعض أن المراد إخراجهﷺ من مكة إلى المدينة للهجرة. وهو ساقط، برده القصة البدرية في الآيات بعدُ[٣].

حاصل الدراسة

البيت بيته صلى الله عليه وآله بالمدينة، أو المدينة نفسها، هذا قول أكثر المفسرين؛ لأنها مهاجره ومسكنه، ومثواه عليه الصلاة والسلام، فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه[٤]. والآيات قبلها وبعدها عن المؤمنين وتقسيم غنائم بدر، فعودة الكلام إلى أقرب مذكور أولى. والقول بأنه هجرته من مكة إلى المدينة لم يرجحه أحد من المفسرين، بل استبعده بعضهم.

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول الثاني والثالث، أن المراد المدينة أو بيته في المدينة، لاستدلالهم، وقوة توجيههم.

القاعدة: إعادة الضمير على المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره[٥].

---

(١) الكشاف ٢/٢٣٠، وتفسير النسفي ٢/٥٥.

(٢) مفاتيح الغيب ١٥/١٠٢.

(٣) محاسن التأويل٥/٢٥٩.

(٤) تفسير غرائب القرآن ٣/٣٧٦.

(٥) جامع البيان ١٤/٢٩١، والبحر المحيط ٥/٤٥٩، والبرهان في علوم القرآن ٤/٣٩، وروح المعاني ١٣/٨٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٠٣.

قال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (١)

٦٨- مسألة: من المخاطب في قوله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنهم المسلمون(٢).

القول الثاني: أنهم المشركون(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ اختلفوا في المخاطبين بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون، وقد استنصروا الله تعالى على كفار قريش وسألوه الفتح. قاله أُبيّ بن كعب(٤).

والثاني: **وهو الأظهر**-: أنهم المشركون(٥).

قال ابن عباس رضي الله عنه : قال أبو جهل يوم بدر قبل القتال: اللهم أيهم كان أحب

---

(١) سورة الأنفال آية: ١٩.

(٢) الكشاف ١٩٨/٢، والمحرر الوجيز٥١٢/٢، وزاد المسير ١٩٧/٢، ومفاتيح الغيب ١١٤/١٥، وفتح القدير ٢٩٧/٢.

(٣) جامع البيان ٨٩/١١، وتفسير ابن أبي حاتم١٦٧٥/٥، وبحر العلوم ١٤/٢، وأسباب النزول للواحدي ص٣٩٥-٣٩٦، ومعالم التنزيل٢٠٨/٢، ومفاتيح الغيب١١٤/١٥، والتسهيل٦٣/٢، وأضواء البيان ٥١/٢.

(٤) زاد المسر١٩٧/٢.

(٥) أخرجه ابن جرير٩٤/١١، وابن أبي حاتم١٦٧٥/٥.

إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فنزلت هذه الآية[١].

وقال السدي: أخذ المشركون بأستار الكعبة قبل خروجهم على بدر وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين[٢].

وقال عكرمة: قالوا: اللهم لا نعرف ما جاء به محمد، فاتح بيننا وبينه بالحق[٣][٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه خطاب للمؤمنين، والمعنى إن تستنصروا الله فقد جاءكم النصر في يوم بدر[٥].

وممن قال به:

١- أبي بن كعب، وخباب[٦]، وعطاء الخرساني[٧]، وأبو علي الجبائي[٨].

٢- الرازي[٩].

واستدلوا بما يلي :

---

(١) الوسيط٢/٤٥٠، وزاد المسير٢/١٩٧.

(٢) أخرجه ابن جرير ٩٤/١١، وابن أبي حاتم ١٦٧٥/٥.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص٣٩٥-٣٩٦، وزاد المسير٢/١٩٧.

(٤) رموز الكنوز٢/٣٩٣.

(٥) الكشاف ١٩٨/٢، والمحرر الوجيز٢/٥١٢، وزاد المسير ١٩٧/٢، ومفاتيح الغيب ١١٤/١٥، وفتح القدير ٢٩٧/٢.

(٦) هو: خباب بن الأرت التميمي، السابق المفتتن، المعذب الممتحن، حليف بني زهرة، يكنى: أبو عبد الله، بدري، توفي سنة ٣٧هـ. انظر: الكاشف ٣٧١/١، وحلية الأولياء١/١٤٣.

(٧) هو: عطاء بن أبي مسلم الخرساني، البلخي نزيل الشام، مولى المهلب بن أبي صفرة، تابعي. انظر: تهذيب الكمال٢٠/١٠٦.

(٨) معالم التنزيل٢/٢٠٨، وزاد المسير ١٩٧/٢.

(٩) مفاتيح الغيب ١١٥/١٥.

١- كون الخطاب للمؤمنين بالآية بعدها، قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ ﴾ (١)

٢- عن خَبَّابِ بن الْأَرَتِّ قال: شَكَوْنَا إلى رسول اللَّهِ ﷺ، وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا له: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا؟ ألا تَدْعُو اللَّهَ لنا؟ قال: "كان الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرض، فَيُجْعَلُ فيه، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ على رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ من عَظْمٍ، أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، والله لَيُتِمَّنَّ هذا الْأَمْرَ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا اللَّهَ، أو الذِّئْبَ على غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"(٢).

٣- ما روي أنه عليه السلام لما رأى المشركين وكثرة عددهم استغاث بالله، وكذلك الصحابة وطلب ما وعده الله به من إحدى الطائفتين وتضرع إلى الله(٣).

ومن أقوالهم:

١- قال القاضي: وهذا القول أوْلَى؛ لأن قوله: ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ ﴾ لا يليق إلا بالمؤمنين، اللهم إلاَّ أن يحمل الفتحُ على الحكم والقضاء، فيمكن أن يراد به الكفار(٤).

٢- قال الرازي: واعلم أن أكثر المفسرين حملوا قوله : ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ ﴾ على أنه خطاب للكفار ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ ﴾ فظنوا أن ذلك لا يليق إلا بالقتال ، وقد بَيَّنَّا أن ذلك يحتمل الحمل على ما ذكرناه من أحوال المؤمنين ، فسقط هذا الترجيح

---

(١) سورة الأنفال آية: ٢٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٦١٢).

(٣) مفاتيح الغيب ١١٤/١٥.

(٤) اللباب في علوم الكتاب٤٨٥/٩، ومفاتيح الغيب١١٤/١٥.

.[١]

القول الثاني: أنه خطاب للمشركين، تهكما بهم، والمعنى: إن تستنصروا الله على محمد فقد جاءكم النصر، وقد كانوا عند خروجهم من مكة سألوا الله أن ينصر أحق الطائفتين بالنصر، فتهكم الله بهم، وسمى ما حل بهم من الهلاك نصراً[٢].

وممن قال به:

١- ابن عباس، وعبد الله بن ثعلبة بن صعير[٣]، وعروة بن الزبير رضي الله عنهم[٤]، ومجاهد، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، والحسن، والسدي، ويزيد بن رومان[٥]، والكلبي[٦].

٢- مجاهد، والطبري، والواحدي، وابن الجوزي[٧].

واستدلوا بما يلي:

١- عن عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير رضي الله عنه قال: كان المستفتح أبا جهل، فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أيُنا كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة. وكان ذلك استفتاحاً، فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ إلى قوله: ﴿

---

(١) مفاتيح الغيب ١١٥/١٥.

(٢) زاد المسير١٩٧/٢، ومفاتيح الغيب ١١٤/١٥، وفتح القدير ٢٩٧/٢.

(٣) هو: عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري، حليف بني زهرة، كنيته: أبو محمد، توفي سنة ٨٧هـ. انظر: الكاشف٥٤٢/١، والإصابة٣١/٤.

(٤) هو: عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله المدني، أمه أسماء بنت أبي بكر، فقيه مشهور، توفي سنة ٩٤هـ. انظر: الكاشف ١٨/٢، وتقريب التهذيب٧٣٥/١.

(٥) هو: يزيد بن رومان الأسدي، أبو روح المدني، مولى آل الزبير، القارئ، توفي سنة ١٣٠هـ. انظر: الكاشف٣٨٢/٢، وتهذيب التهذيب٢٨٤/١١.

(٦) جامع البيان ٨٩/١١، وتفسير ابن أبي حاتم١٦٧٥/٥، وبحر العلوم ١٤/٢، وأسباب النزول للواحدي ص٣٩٥-٣٩٦، والبسيط٧٦/١٠، ومعالم التنزيل٢٠٨/٢، ومفاتيح الغيب١١٤/١٥، والتسهيل٦٣/٢، وأضواء البيان ٥١/٢.

(٧) تفسير مجاهد٢٥٩/١، وجامع البيان ٨٩/١١، وأسباب النزول للواحدي ص٣٩٥٠٣٩٦، وزاد المسير ١٩٧/٢.

وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١].

٢- عن السدي قال: كان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة، واستنصروا الله وقالوا: اللهم انصر أعز الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين، فقال الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ يقول: نصرت ما قلتم وهو محمد ﷺ[٢].

ومن أقوالهم:

قال ابن الجوزي: المشركون وهو الأشهر"[٣].

حاصل الدراسة:

من قال أن الخطاب للمؤمنين، قال: المعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، وإن تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول ﷺ فهو خير لكم من كل شيء، لما أنه مدار لسعادة الدارين، وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار وتهييج العدو، ولن تغني عنكم حينئذ كثرتكم إذ لم يكن الله تعالى معكم بالنصر، والأمر أن الله سبحانه مع الكاملين في الإيمان [٤].

وجمهور المفسرين جعلوا الخطاب موجهاً إلى المشركين، فيكون الكلام اعتراضاً خوطب به المشركون في خلال خطابات المسلمين بمناسبة قوله:﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [٥]، والخطاب التفات من طريق الغيبة الذي اقتضاه قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ واستدل المفسرون بسبب نزولها، فخوطبوا

---

(١) أخرجه أحمد٥/٤٣١، والحاكم ٢/٣٥٧، والطبري١١/٩٤، والبيهقي في الدلائل٣/٧٤، ولباب النقول ص١١٦.

(٢) أخرجه الطبري١١/٩٢.

(٣) زاد المسير ٢/١٩٧.

(٤) روح المعاني٩/١٨٨.

(٥) سورة الأنفال آية: ١٨.

بأن قد جاءهم الفتح، على سبيل التهكم، أي: الفتح الذي هو نصر المسلمين عليهم. بقرينة مخالفته الواقع بمسمع المخاطبين ومرآهم[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه خطاب للمشركين، تهكماً بهم. لدلالة سبب النزول، وهو قول جمهور المفسرين وترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٢].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩٨/٩.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٤٨/١، وأحكام القرآن لابن العربي ١٤٣/١، والمحرر الوجيز ٤٩٨/٢، والجامع لأحكام القرآن١٢١/٥، وفتح القدير ١٦/٤، وأضواء البيان ٢٣٠/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٤١/١.

قال تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١]

٦٩- مسألة: اختلفوا في فتح الألف وكسرها في قوله:﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "أن الله" بالفتح[٢].

القول الثاني: "إن الله" بالكسر[٣].

قال الرسعني:

قرأ نافع وابن عامر وحفص:" وأن الله" بفتح الهمزة، وكسرها الباقون.

فمن فتح فعلى معنى: ولأن الله مع المؤمنون كان ذلك.

ومن كسر فعلى الاستئناف؛ **وهو الأظهر**. ويعضده قراءة ابن مسعود:" والله مع المؤمنين"[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "أن الله" بالفتح. والمعنى: ولأن الله مع المؤمنون كان ذلك.

---

(١) سورة الأنفال آية:١٩.

(٢) جامع البيان ٩٧/١١، والسبعة في القراءات ص٣٠٥، وحجة القراءات ٣١٠/١، وبحر العلوم١٣/٢، ومعالم التنزيل٢٠٩/٢، والمحرر الوجيز٥١٣/٢، ومفاتيح الغيب١١٥/١٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/٧، والبحر المحيط٤٧٣/٤.

(٣) جامع البيان ٩٧/١١، والسبعة في القراءات ص٣٠٥، وحجة القراءات ٣١٠/١، وبحر العلوم١٣/٢، ومعالم التنزيل٢٠٩/٢، والمحرر الوجيز٥١٣/٢، ومفاتيح الغيب١١٥/١٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/٧، والبحر المحيط٤٧٣/٤.

(٤) رموز الكنوز ٣٩٤/٢.

وممن قال به: نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم[١].

واستدلوا بما يلي :

١- أنه عطف بالواو على قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ ﴾[٢].

٢- عطف بـ"أن" على موضع "ولو كثرت" كأنه قال: لكثرتها، ولأن الله مع المؤمنين. ويكون موضع "أن" حينئذٍ نصباً على هذا القول[٣].

القول الثاني: "إن الله" بالكسر، على الاستئناف أو بالابتداء.

وممن قال به:

١- قراءة الكوفيين والبصريين، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم، والكسائي[٤].

٢- الفراء، والطبري، والزمخشري، وابن الجوزي[٥].

واستدلوا : بقراءة ابن مسعود:"والله مع المؤمنون".

ومن أقوالهم:

---

(١) جامع البيان ٩٧/١١، والسبعة في القراءات ص٣٠٥، وحجة القراءات ٣١٠/١، وبحر العلوم١٣/٢، ومعالم التنزيل٢٠٩/٢، والمحرر الوجيز٥١٣/٢، ومفاتيح الغيب١١٥/١٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/٧، والبحر المحيط٤٧٣/٤، والدر المصون٥٨٨/٥.

(٢) الحجة لابن خالوية١٧٠/١.

(٣) جامع البيان ٩٧/١١.

(٤) جامع البيان ٩٧/١١، والسبعة في القراءات ص٣٠٥، وحجة القراءات ٣١٠/١، وبحر العلوم١٣/٢، ومعالم التنزيل٢٠٩/٢، والمحرر الوجيز٥١٣/٢، ومفاتيح الغيب١١٥/١٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/٧، والبحر المحيط٤٧٣/٤.

(٥) معاني القرآن للفراء٤٠٧/١، وجامع البيان ٩٧/١١، والكشاف١٩٨/٢، وزاد المسير١٩٨/٢.

أ- قال الفراء: كسر ألفها أحب إليّ من فتحها[١].

ب- قال الطبري: وأولى القراءتين بالصواب قراءة من كسر "إن" على الابتداء؛ لتقضِّى الخبر قبل ذلك عمّا يقتضى قوله: (وإن الله مع المؤمنين) [٢].

ج- قال الزمخشري: وقرئ بالكسر وهذا أوجه[٣].

حاصل الدراسة:

من قرأ بفتح الألف، أي:" ولأن الله مع المؤمنين" فلما حذفت اللام جعلت (أن) في محل النصب كأنه قال: ولن تغني عنكم فئتكم لكثرتها؛ لأن الله مع المؤمنين.

وحجتهم في ذلك أنها مردودة على قوله قبلها: ﴿ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ و ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ ﴾ و ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيكون الكلام واحداً يتبع بعضه بعضاً[٤].

ومن قرأ بالكسر، حجتهم؛ لتقضِّى الخبر قبل ذلك عمّا يقتضى قوله: (وإن الله مع المؤمنين)[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: لا معنى لترجيح قراءة على قراءة في هذا الموضع، وكلاهما متواترة. والله أعلم.

القاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية

---

(١) معاني القرآن للفراء ٤٠٧/١.

(٢) جامع البيان ٩٧/١١.

(٣) الكشاف١٩٨/٢.

(٤) الحجة للفارس١٢٨/٤، والحجة لابن زنجلة٣١٠/١، والكشف ٤٩١/١، والنشر٢١١/٢، وإتحاف فضلاء البشرص٢٩٧، والسبعة في القراءات ص٣٠٥.

(٥) جامع البيان ٩٧/١١.

مستقلة[١].

(١) مجموع الفتاوى١٣/٣٩١، والنشر ١/٥٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٨٩.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [1]

٧٠- مسألة: على ماذا يُقسّم السهم الخامس في الغنيمة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مفوّض إلى اجتهاد الإمام يضعه حيث يرى[2].

القول الثاني: أنه يقسم على ما نطقت به هذه الآية على خمسة أسهم[3].

القول الثالث: يقسم على ستة أسهم، وجعل السهم المضاف إلى الله للكعبة[4].

قال الرسعني:

وأما السهم الخامس؛ فقال مالك: هو مفوّض إلى اجتهاد الإمام يضعه حيث يرى[5].

المشهور من قول مشاهير الأئمة وجماهير الأمة: أنه يقسم على ما نطقت به هذه الآية على خمسة أسهم.

وشذّ أبو العالية فقال: يقسم على ستة أسهم، وجعل السهم المضاف إلى الله للكعبة، والجمهور على خلافه.

والمعنى: فأن للرسول خُمُسه، وذكر اسم الله للتبرّك به، أو لإظهار شرف المكسبة

---

(1) سورة الأنفال آية: ٤١.

(2) التسهيل٢/٦٦، وفتح القدير٢/٣١٠.

(3) جامع البيان١١/١٨٩، والكشاف ٢/٢١٠، والمحرر الوجيز٢/٥٣٠، وزاد المسير ٢/٢١٢.

(4) جامع البيان ١١/١٩٠، وزاد المسير٢/٢١٢، ومفاتيح الغيب ١٥/١٣٣، وفتح القدير٢/٣١٠.

(5) المغني٦/٣٢٠.

وطيبها حيث أضيفت على الله تعالى[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: مفوّض إلى اجتهاد الإمام يضعه حيث يرى.

وممن قال به: الإمام مالك[٢].

ومن أقوالهم:

قال: الإمام مالك بن أنس -رحمه الله-: الأمر فيه مفوّض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء، وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض، وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم[٣].

القول الثاني: أنه يقسم على ما نطقت به هذه الآية على خمسة أسهم. وقوله: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ تزيين لافتتاح الكلام، ومصرف الخمس إلى حيث ذكر وهو قوله: ﴿ وَلِلرَّسُولِ ﴾ كان له خمس الخمس[٤].

وممن قال به:

ابن جريج، والنخعي، والحسن بن محمد[٥]، وقتادة، ويحيى الجزار[٦]، والشافعي، والرازي، وابن عاشور[٧].

---

(١) رموز الكنوز ٤٣٢/٢.

(٢) التسهيل٦٦/٢، وفتح القدير٣١٠/٢.

(٣) الاستذكار ٧٢/٥، والكشاف ٢١٠/٢، والمحرر الوجيز٥٢٩/٢، ومفاتيح الغيب١٣٢/١٥.

(٤) الوجيز ٤٤١/١، والمحرر الوجيز٥٣٠/٢.

(٥) هو: الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو محمد المدني، توفي سنة مائة أو قبلها بسنة. انظر: التاريخ الكبير٣٠٥/٢، وتهذيب التهذيب ٢٧٦/٢.

(٦) هو: يحيى بن الحكم الجزار. انظر: ذكر من تكلم فيه وهو موثوق١٩٤/١.

(٧) جامع البيان١٨٩/١١، والكشاف ٢١٠/٢، والمحرر الوجيز٥٣٠/٢، ومفاتيح الغيب١٣٢/١٥، وزاد المسير ٢١٢/٢، والتحرير والتنوير ٨/١٠.

واستدلوا بالآثار التي رواها الطبري[١].

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال قوله: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ افتتاح كلام؛ وذلك لإجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم، ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية، لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوماً على ستة أسهم.

وإنما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها، فأما على أكثر من ذلك فما لا نعلم قائلاً قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية، وفي إجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا [٢].

٢- قال الرازي: وهو المشهور أن ذلك الخمس يخمس، فسهم لرسول الله، وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل[٣]... قال الرازي: واعلم أن ظاهر الآية مطابق لقول الشافعي -رحمه الله- وصريح فيه ، فلا يجوز العدول عنه إلا لدليل منفصل أقوى منها[٤].

القول الثالث: يقسم الخمس على ستة أسهم، وجعل السهم المضاف إلى الله للكعبة[٥].

وممن قال به: أبو العالية.

واستدلوا بما يلي:

ما أخرجه ابن جرير عن أبو العالية قال: كان رسول الله ﷺ يُؤتى بالغنيمة،

---

(١) جامع البيان ١١/١٨٩-١٩١.

(٢) جامع البيان ١١/١٩١.

(٣) مفاتيح الغيب١٥/١٣٢.

(٤) مفاتيح الغيب١٥/١٣٣.

(٥) جامع البيان ١١/١٩٠، وزاد المسير٢/٢١٢، ومفاتيح الغيب ١٥/١٣٣، وفتح القدير٢/٣١٠.

فيقسمها على خمسة، تكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس، فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة، وهو سهم الله تعالى، ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم، فيكون سهمٌ للرسول، وسهمٌ لذوى القربى، وسهمٌ لليتامى، وسهمٌ للمساكين، وسهمٌ لابن السبيل[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن الخمس يُقسم على أربعة أسهم. فسهم الله عز وجل وسهم رسوله عائدٌ على ذوي القربى[٢].

وممن قال به: ابن عباسﷺ.

حاصل الدراسة:

القائلون بأنه يقسم خمسة أقسام، أجابوا عنه: بأن قوله: ﴿ لِلَّهِ ﴾ ليس المقصود منه إثبات نصيب لله. فإن الأشياء كلها ملك لله، وملكه وإنما المقصود منه افتتاح الكلام بذكر الله على سبيل التعظيم، كما في قوله: ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [٣].

وقيل: يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول، لرسول الله ﷺ، كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [٤] [٥].

وأما من قال سهم الرسول لذوي القربى فقد أوجب للرسول سهماً، وإن كان صرفه إلى ذوي قرابته فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم[٦].

ومن قال أنها ستة أقسام وسهم الله للكعبة، هو قول لا دليل عليه، ونسب ابن

---

(١) جامع البيان ١٩٠/١١، والكشاف ٢١١/٢، والمحرر الوجيز٥٣٠/٢، ومفاتيح الغيب١٣٣/١٥.

(٢) جامع البيان ١٩١/١١، وتفسير ابن أبي حاتم ١٧٠٤/٥-١٧٠٦، والمحرر الوجيز٥٣٠/٢، وزاد المسير ٢١٢/٢.

(٣) المحرر الوجيز٥٣٠/٢، ومفاتيح الغيب١٣٣/١٥.

(٤) سورة التوبة آية ٦٢.

(٥) الكشاف ٢١٠/٢.

(٦) جامع البيان ١٩١/١١.

عاشور قول أبو العالية بالشذوذ[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه يقسم خمسة أقسام على ما نطقت به الآية، وأنّ الابتداء باسم الله تعالى للإشارة إلى أنّ ذلك الخمس حقّ الله يصرفه حيث يشاء، وقد شاء فوكل صرفه إلى رسوله ﷺ ولمن يخلف رسوله من أئمّة المسلمين. أو ذكر اسم الله للتبرّك به، ولإظهار شرف المكسبة وطيبها حيث أضيفت على الله تعالى، وبهذا التأويل يكون الخمس مقسوماً على خمسة أسهم، وهذا قول عامّة علماء الإسلام[٢]، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٨/١٠.

(٢) التحرير والتنوير ٨/١٠.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [1]

٧١- مسألة: ما هو مصرف سهم ذوي القربى ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: بنو هاشم فقط[2].

القول الثاني: جميع قريش[3].

القول الثالث: بنو هاشم وبنو المطلب[4].

قال الرسعني:

فصل: وأما سهم ذوي القربى فاختلفوا في مصرفه، فقال مجاهد وعلي بن الحسين وأبو حنيفة: يصرف إلى بني هاشم فقط. وقيل: إلى قريش.

قال ابن عباس رضي الله عنه: كنا نقول: نحن هم، فأبى علينا قومنا وقالوا: قريش كلها ذوو قربى[5].

وقال الإمامان أحمد والشافعي: يصرف إلى بني هاشم وبني المطلب[6].

---

(1) سورة الأنفال آية: ٤١.

(2) جامع البيان ١٩٣/١١، ومعالم التنزيل٢٢٢/٢، وزاد المسير٢١٢/٢، ولباب التأويل٣٣/٣، واللباب في علوم الكتاب٥٢١/٩، وفتح القدير٣١٠/٢.

(3) جامع البيان ١٩٦/١١، ومعالم التنزيل٢٢٢/٢، وزاد المسير٢١٢/٢، ولباب التأويل٣٣/٣، واللباب في علوم الكتاب٥٢١/٩.

(4) جامع البيان١٩٦/١١، والوجيز٤٤١/١، والكشاف٢٠٩/٢، ومفاتيح الغيب ١٣٢/١٥، وتفسير النسفي ٦٥/٢، ولباب التأويل٣٣/٣، واللباب في علوم الكتاب٥٢١/٩.

(5) أخرجه الطبري١٩٤/١١، والنكت والعيون٣٢٠/٢، وزاد المسير٢١٢/٢.

(6) زاد المسير٢١٢/٢.

والدليل على صحته: ما أخبرنا به الشيخان أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق بن الخازن النيسابوري قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان الكرجي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي، أخبرنا الثقة، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن جبير بن مطعم قال: "لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب، أتيته أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله به منهم، أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا أو منعتنا، وإنما قرابتنا وقرابتهم واحدة؟! فقال رسول الله ﷺ: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا، وشبك بين أصابعه"[(١)].

وفي رواية:" لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام"[(٢)]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

وكان يحي بن معين يرويه:" سيء واحد" بالسين المهملة، أي مثلٌ واحد، تقول: هذا سيء هذا، أي: مثله ونظيره. قال الخطابي: وهو أجود.

قال الحافظ أبو الفضل بن ناصر[(٣)] –رحمه الله–: بنو المطلب دخلوا مع بني هاشم إلى الشعب لما حاصروهم المشركون، دون غيرهم[(٤)].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: بنو هاشم فقط.[(٥)]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح(٤٢٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود٣/١٤٦، والنسائي٣/٤٥، وأحمد ٤/٨١.

(٣) هو: أبو الفضل بن ناصر المرعشي الحسيني، القزويني، سيد زاهد. انظر: التدوين في أخبار قزوين٤/٣٥.

(٤) رموز الكنوز ٢/٤٣٤.

(٥) جامع البيان ١١/١٩٣، ومعالم التنزيل٢/٢٢٢، وزاد المسير٢/٢١٢، ولباب التأويل٣/٣٣، واللباب في علوم الكتاب٩/٥٢١.

وممن قال به:

علي بن الحسين، ومجاهد، وأبو حنيفة، والأوزاعي[١]، ومالك، والثوري[٢].

واستدلوا بما يلي:

عن مجاهد قال: قد علم الله أن في بني هاشمٍ الفقراء، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة[٣].

القول الثاني: قريش[٤].

وممن قال به: ابن عباس رضي الله عنه[٥].

واستدلوا بما يلي:

١- بما روي عن النبي ﷺ أنه لما صعد الصفا جعل يهتف ببطون قريش كلها قائلاً: يابني فلان، يابني فلان[٦].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنه، أن نجدة كتب إليه يسأله عن ذوي القربى، فكتب إليه: كنَّا نزعم أنا نحن هم، فأبى ذلك علينا قومنا[٧].

القول الثالث: بنو هاشم وبنو المطلب[٨].

---

(١) هو: عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي، أبو عمرو الأوزاعي، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، توفي سنة ١٥٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء٧/١٠٧، وتهذيب التهذيب١٢/٣٤١.

(٢) جامع البيان ١١/١٩٣، ومعالم التنزيل٢/٢٢٢، وزاد المسير٢/٢١٢، وفتح القدير٢/٣١٠.

(٣) أخرجه ابن جرير ١١/١٩٣.

(٤) جامع البيان ١١/١٩٦، ومعالم التنزيل٢/٢٢٢، وزاد المسير٢/٢١٢، ولباب التأويل٣/٣٣، واللباب في علوم الكتاب٩/٥٢١.

(٥) جامع البيان ١١/١٩٤، وفتح القدير٢/٣١٠.

(٦) فتح القدير ٢/٣١٠.

(٧) أخرجه أحمد ٣/٤٣٢(١٩٦٧)، والطبري ١١/١٩٤.

(٨) جامع البيان ١١/١٩٤، ومعالم التنزيل٢/٢٢٢، وزاد المسير٢/٢١٢، ولباب التأويل٣/٣٣، واللباب في علوم الكتاب٩/٥٢١.

وممن قال به:

١- مجاهد، وأبو ثور، وقتادة، وابن جريج، ومسلم بن خالد، وجبير بن مطعم، ويحيى بن معين، والحافظ أبو الفضل بن ناصر، والإمام أحمد، والشافعي[١].

٢- الطبري، والواحدي، والزمخشري، والرازي، والنسفي[٢].

واستدلوا بما يلي :

عن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قال: مَشَيْتُ أنا وَعُثْمَانُ بن عَفَّانَ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، فقال النبي ﷺ إنما بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ[٣].

ومن أقوالهم:

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: سهمُ ذي القربى كان لقرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب؛ لأن حليف القوم منهم، ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله ﷺ[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- سهم ذي القربى كان لرسول الله ﷺ، ثم صار من بعده لوليّ الأمر من بعده[٥].

---

(١) المسند للشافعي١/٣٢٤، ومعالم التنزيل٢/٢٢٢، ومفاتيح الغيب١٥/١٣٢.

(٢) جامع البيان١١/١٩٦، والوجيز١/٤٤١، والكشاف٢/٢٠٩، ومفاتيح الغيب ١٥/١٣٢، وتفسير النسفي٢/٦٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح(٤٢٢٩).

(٤) جامع البيان ١١/١٩٦.

(٥) جامع البيان ١١/١٩٥.

٢- قول مجاهد: قرابة رسول الله ﷺ وهم الذين لا تحل لهم الصدقة[١].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: أنَّ سَهْماً من الخمس لذوي القربى، وهم أقارب النبي ﷺ، واختلفوا فيهم هل هم جميع قريش، أو هم الذين لا تحل لهم الصَّدقة. أو بنو هاشم فقط، أو هم بنُو هاشمٍ وبنو المطلب، وليس لبني عبد شمس، ولا لبني نوفل منه شيء، وإن كانوا إخوة، وحديث جبير بن مطعم وعثمان بن عفان رضي الله عنهما مع الرسول ﷺ في صحيح البخاري، نص صريح في اختصاص بني هاشم وبني المطلب بسهم ذوي القربى.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن ذوي القربى هم بنو هاشم وبنو المطلب، لقوة استدلالهم بالنص في البخاري.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٢].

---

(١) جامع البيان ١٩٥/١١، ومعالم التنزيل٢٢٢/٢، والتسهيل٦٦/٢، ولباب التأويل٣٣/٣، واللباب في علوم الكتاب٥٢١/٩.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس٦٥٧/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٠/١، والمحرر الوجيز ٢١/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٥/١٢، وروح المعاني ٨٢/٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢٠٦/١.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [1]

٧٢- مسألة: هل الذي أشار عليهم إبليس نفسه بصورة سراقة[2]، أم بطريق الوسوسة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الذي أشار عليهم إبليس نفسه بصورة سراقة[3].

القول الثاني: الذي أشار عليهم إبليس بطريق الوسوسة[4].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي: واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداتك وإبطال ما جئت به، ﴿ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وذلك أنهم لما أجمعوا المسير خافوا بني كنانة، فتبدّا لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك- وكان من أشراف بني كنانة- فقال: لا غالب لكم اليوم من الناس، ﴿ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ﴾ أي: حافظ ومجير من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً، ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ ﴾ التقى الجمعان؛ المسلمون والمشركون

---

(1) سورة الأنفال آية: ٤٨.

(2) هو: سراقة بن مالك بن جعشم الكناني، المدلجي، أبو سفيان صحابي مشهور، توفي في خلافة عثمان ﷺ سنة ٢٤هـ، وقيل: بعدها. انظر: الكاشف ٤٢٦/١، وتقريب التهذيب ٢٢٩/١.

(3) تفسير الصنعاني ٢٦٠/٢، وبحر العلوم ٢٥/٢، والوجيز٤٤٣/١، ومعالم التنزيل٢٣٠/٢، والتسهيل ٦٧/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٦/٨.

(4) تفسير السمعاني٢٧١/٢، ومفاتيح الغيب١٤٠/١٥، واللباب٥٣٨/٩، وفتح القدير٣١٥/٢، وروح المعاني ١٥/١٠، وأضواء البيان ١٠٣/٢.

﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ أي: رجع القهقهري وذلك أن إبليس رأى جبريل عليه السلام ومعه الملائكة وكان إبليس آخذاً بيد الحارث بن هشام على صورة سراقة، فلما رأى الملائكة نكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فقال: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ ﴾ ، فانهزم وانهزم المشركون، فقال الناس: هزمهم سراقة. فلما بلغ ذلك سراقة قال: والله ما شعرت بمسيركم حتى تلقّتني هزيمتكم.

وقيل: إن قول الشيطان كان بطريق الوسوسة، وأن نكوصه مجاز عن بطلان كيده.

والأول هو التفسير الصحيح[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الذي أشار عليهم إبليس نفسه بصورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي[٢].

وممن قال به:

ابن عباسرضي الله عنه، وقتادة، وعروة بن الزبير، ويحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير[٣]، ومحمد ابن كعب، والسدي، والكلبي، وابن إسحاق[٤].

١- السمرقندي، والواحدي، والبغوي، والكلبي، والقرطبي[٥].

---

(١) رموز كنوز ٤٤٦/٢.

(٢) تفسير السمعاني٢٧١/٢، ومفاتيح الغيب١٤٠/١٥، واللباب في علوم الكتاب٥٣٨/٩، وفتح القدير ٣١٥/٢، وروح المعاني ١٥/١٠، وأضواء البيان١٠٣/٢.

(٣) هو: يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام، المدني، القرشي، الأسدي، توفي بعد المائة، وهو ابن ست وثلاثين. انظر: الكاشف ٣٦٨/٢، وتقريب التهذيب ٥٩٢/١.

(٤) تفسير ابن عباس ص٢٥٥، وجامع البيان ٢٢١/١١، وتفسير ابن أبي حاتم ١٧١٥/٥، وزاد المسير ٢١٦/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٠٠/٧.

(٥) تفسير الصنعاني ٢٦٠/٢، وبحر العلوم ٢٥/٢، والبسيط١٨٩/١٠، والوجيز٤٤٣/١، ومعالم التنزيل٢٣٠/٢،

واستدلوا: بالآثار عند الطبري[١].

القول الثاني: الذي أشار عليهم إبليس بطريق الوسوسة[٢]. فوسوس إليهم أنهما لا يغلبون ولا يطاقون، وأوهمهم أن إتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم، أي بطل كيده حين نزلت جنود الله[٣].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، والحسن، والأصم، والمهدوي[٤][٥].

ومن أقوالهم:

قال الحسن -رحمه الله-: كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن تزيين الشيطان للمشركين أعمالهم، إسناداً مجازياً، وإنّما المزيّن لهم سُراقة بإغراء الشيطان، بما سوّل إلى سراقة بن مالك من تثبيته المشركين على المضي في طريقهم لإنقاذ عيرهم، وأن لا يخشوا غَدْر كنانة بهم، فيجوز أن يكون اسم الشيطان أطلق على سراقة؛ لأنّه فعل الشيطان[٧].

حاصل الدراسة:

ليس تمثّل الشيطان وجنده بصورة سراقة وجيشه بمروي عن النبي ﷺ ؛ وإنّما روي

والتسهيل ٦٧/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٦/٨.

(١) جامع البيان ٢٢١/١١-٢٢٣.

(٢) تفسير السمعاني٢٧١/٢، ومفاتيح الغيب١٤٠/١٥، واللباب في علوم الكتاب٥٣٨/٩، وفتح القدير٣١٥/٢، وروح المعاني ١٥/١٠، وأضواء البيان ١٠٣/٢.

(٣) الكشاف ٢١٦/٢.

(٤) هو: أحمد بن عمار، أبو العباس المهدوي، المقرئ، صاحب التفسير كان مقدماً في لقراءات والعربية، صنف كتباً مفيدة، مات في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة. انظر: معرفة القراء الكبار ٣٩٩/١، وطبقات المفسرين للسيوطي ٣٠/١.

(٥) جامع البيان ٢٢٣/١١، والكشاف ٦١٢/٢، والمحرر الوجيز٥٣٨/٢، ومفاتيح الغيب١٤٠/١٥.

(٦) الكشاف ٢١٦/٢.

(٧) التحرير والتنوير ٣٤/١٠.

ذلك عن قول ابن عبّاس رضي الله عنه[١].

ورد ابن عطية من قال أن التزيين هو بالوسوسة والمحادثة في النفوس، قال: ويضعف هذا القول أن قوله ﴿ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ ليس مما يلقى بالوسوسة[٢].

وإن الله عز وجل أعطى الشيطان قوة وأقدره على أن يتصور بصورة البشر، كما أعطى الملائكة قوة أقدرهم على أن يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة، فيسمى شيطاناً[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه الشيطان تصور بصورة سراقة[٤]، وهو ترجيح الرسعني، والجمهور.

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٥].

---

(١) التحرير والتنوير ٣٤/١٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥٣٨/٢.

(٣) لباب التأويل٤١/٣.

(٤) وقد روى القصة ابن اسحاق في السيرة بسند صحيح، لكنه مرسل عن عروة بن الزبير. انظر: صحيح السيرة لإبراهيم العلي.

(٥) مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣-٣٦٢، والتسهيل ٩/١، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٧١/١.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

٧٣- مسألة: ما الناصب لقوله: ﴿ كَآفَّةً ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: منصوب على الحال من الفاعل[2].

القول الثاني: منصوب على الحال من المفعول[3].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾ يعني: جميعاً، ونصبه على الحال من الفاعل، أو المفعول. **والأول أظهر**[4].

دراسة الأقوال في المسألة:

(كافة) مصدر في موضع نصب الحال[5]، ولا يتصرف فيها بغير النصب على الحال، وأنها لا تدخلها أل وأنها لا تثنى ولا تجمع[6].

القول الأول: منصوب على الحال من الفاعل[7]. والمعنى: قاتلوهم بأجمعكم

---

(1) سورة التوبة آية: ٣٦.

(2) الكشاف٢/٢٥٧، وتفسير النسفي٢/٨٨، وتفسير غرائب القرآن٣/٤٦٤، والبحر المحيط٥/٤١، واللباب في علوم الكتاب١٠/٨٦.

(3) الكشاف٢/٢٥٧، وتفسير النسفي٢/٨٨، والبحر المحيط٥/٤١، واللباب في علوم الكتاب١٠/٨٦.

(4) رموز الكنوز ٢/٤٩١.

(5) معاني القرآن للزجاج٢/٤٤٦، والتبيان في إعراب القرآن ٢/٦٤٣، والدر المصون٦/٤٥.

(6) الدر المصون٦/٤٥.

(7) الكشاف٢/٢٥٧، وتفسير النسفي٢/٨٨، وتفسير غرائب القرآن٣/٤٦٤، والبحر المحيط٥/٤١، والدر

غير متفرقين في مقاتلة الأعداء ومقابلتهم[١].

وممن قال به: الزجاج، وابن عطية[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: فـ"كافة" منصوب على الحال، وهو مصدر على فاعله كما قالوا العاقبة والعافية[٣].

ب- قال ابن عطية: ﴿ كَآفَّةً ﴾ معناه جميعاً، وهو مصدر في موضع الحال، قال الطبري: كالعاقبة والعافية، فهو على هذا كما تقول خاصة وعامة، ويظهر أيضاً أنه من كف يكف أي: جماعة تكف من عارضها وكذلك نقل الكافة أي: تكف من خالفها. فاللفظة على هذا اسم فاعل، وقال: بعض الناس معناه يكف بعضهم بعضاً عن التخلف وما قدمناه أعم وأحسن[٤].

القول الثاني: منصوب على الحال من المفعول[٥]. والمعنى: قاتلوهم بكليتهم، ولا تحابوا بعضهم بترك القتال كما أنهم يستحلون قتال جميعكم[٦].

حاصل الدراسة:

(كافة) حال إما من الفاعل أو من المفعول، فمعنى قاتلوا المشركين كافة لا يتخلف أحد منكم عن قتالهم، أو لا تتركوا قتال واحد منهم، وكذا في جانب المشبه به واستدل بالآية على الاحتمال الأول على أن القتال فرض عين[٧].

المصون٦/٤٥، واللباب في علوم الكتاب١٠/٨٦.

(١) تفسير غرائب القرآن٣/٤٦٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج٢/٤٤٦، والمحرر الوجيز٣/٣١.

(٣) معاني القرآن للزجاج٢/٤٤٦.

(٤) المحرر الوجيز٣/٣١.

(٥) الكشاف٢/٢٥٧، وتفسير النسفي٢/٨٨، والبحر المحيط٥/٤١، واللباب في علوم الكتاب١٠/٨٦.

(٦) تفسير غرائب القرآن٣/٤٦٤.

(٧) روح المعاني ١٠/٩٣.

المناقشة والترجيح:

الراجح: كلا القولين صحيح، إلا أن القول الأول أنه منصوب على الحال من الفاعل، نص عليه بعض النحويين بأنه أحسن وأظهر عندهم.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة[1].

(1) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [١]

٧٤- مسألة: ما هو أصل كلمة (النسيء)؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنها من التأخير[٢].

القول الثاني: أنها من الزيادة[٣].

قال الرسعني:

واختلفوا في أصل الكلمة؛ فذهب الأكثرون إلى أنها من التأخير.

قال الأخفش[٤]: ومنه: النسيء في البيع، ويُقال: أنسأَ الله في أجلك.

وقال قطرب: هو من الزيادة، فكل زيادة حدثت في شيء فهو نسيء، وقال: ومنه: قد نسأتُ الناقة وأنسأتُها؛ إذا زجرتها ليزداد سيرُها. **والأول أظهر وأشهر**[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه التأخير، ونسأت الإبل عن الحوض أنسأها نسأ إذا أخرتها وأنسأته إنساء إذا أخرته عنه، والاسم النسيئة والنسء، ومنه: أنسأ الله فلاناً أجله، ونسأ

---

(١) سورة التوبة آية:٣٧.

(٢) معاني القرآن للفراء١/٤٣٧، ولسان العرب ١/١٦٧، والعين٧/٣٠٥، ومختار الصحاح ١/٢٧٣، ومفاتيح الغيب١٦/٤٥، وفتح القدير٢/٣٥٩.

(٣) معاني القرآن للفراء١/٤٣٦، ومفاتيح الغيب١٦/٤٥، وزاد المسير٢/٢٥٨، وفتح القدير٢/٣٥٩.

(٤) معاني القرآن للأخفش ص٤٦٥.

(٥) رموز الكنوز ٢/٤٩٢.

في أجله[١].

وممن قال به:

الكسائي، والأخفش، والطبري، وأبو حاتم، والجوهري[٢]، والزمخشري، والواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، وأبو حيان[٣].

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري: وكأن القول الأول أشبه بمعنى الكلام، وهو أن يكون معناه: إنما التأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحُرُم الأربعة، وتصييرهم الحرام منهن حلالاً، والحلال منهنَّ حراماً، زيادة في كفرهم وجُحُودِهم أحكام الله وآياته[٤].

٢- قال الواحدي: الصحيح القول الأول، وهو أن أصل النسيء التأخير، ونُسِئت المرأة: إذا حبلت؛ لتأخر حيضها، ونَسَأتُ الناقة معناه: زجرتها عن التأخير، ونسأتُ اللبن إذا أخرته حتى كثر الماء فيه[٥].

القول الثاني: أصله من الزيادة، يقال: نسأ في الأجل وأنسأ إذا زاد فيه، وكذلك قيل: للبن النسء لزيادة الماء فيه، ونسأت المرأة حبلت، جعل زيادة الولد فيها كزيادة الماء في اللبن، وقيل للناقة: نسأتها، أي زجرتها ليزداد سيرها وكل زيادة حدثت في شيء فهو نسيء[٦].

---

(١) معاني القرآن للفراء١/٤٣٧، ولسان العرب ١/١٦٧، والعين٧/٣٠٥، ومختار الصحاح ١/٢٧٣، ومفاتيح الغيب١٦/٤٥، وفتح القدير٢/٣٥٩.

(٢) هو: إسماعيل بن حماد، أبو نصر الفارابي، مصنف الصحاح، كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة، ويضرب به المثل في حفظ اللغة. انظر: البلغة١/٦٦، ولسان الميزان١/٤٠٠.

(٣) معاني القرآن للأخفش ص٤٦٤، وجامع البيان١١/٤٤٩، والصحاح٢/٨٧، والبسيط١٠/٤٢٦، والكشاف٢/٢٥٨، والمحرر الوجيز٣/٣٢، وزاد المسير٢/٢٥٨، والبحر المحيط٥/٤٢.

(٤) جامع البيان ١١/٤٤٩.

(٥) البسيط١٠/٤٢٦.

(٦) معاني القرآن للفراء١/٤٣٦، ومفاتيح الغيب١٦/٤٥، وزاد المسير٢/٢٥٨، وفتح القدير٢/٣٥٩.

وممن قال به: قطرب[١][٢].

حاصل الدراسة:

ذكر المفسرون أن (النسيء) إما أن يكون بمعنى التأخير، وإما أن يكون بمعنى الزيادة، وجمع بينهما السمين الحلبي فقال: لأنه تأخير في المدة فيلزم منه الزيادة؛ فيكون المعنى الأصلي للكلمة هو: التأخير في الشيء. ويطلق النسيء على ما يترتب على ذلك وهو الزيادة في المدة[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه التأخير، فهو من أنسأ أي: أخر، وهو ترجيح الرسعني وجمهور المفسرين.

القاعدة: القول الذي تؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية[٤].

---

[١] هو: محمد بن المستنير، الملقب قطرب، ويقال: محمد بن أحمد، أخذ النحو عن سيبويه، وهو الذي لقبه لبكوره في الطب، وإتيانه إليه بالسحار. توفي سنة ست ومائتين للهجرة. انظر: البلغة١/٢١٤، والوافي بالوفيات ١٤/٥.

[٢] الكشف والبيان٤٤/٥، ومفاتيح الغيب ٤٥/١٦، وزاد المسير ٢٥٨/٢

[٣] الدر المصون ٤٦/٦، والبحر المحيط ٤٢/٥، واللباب في علوم الكتاب ٨٧/١٠.

[٤] الكشاف ٦٣٧/٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٤٨/١، ٢١٠/٤، ومجموع الفتاوى ٢٢٦/١٧، والبحر المحيط ١٠٤/٦، والتسهيل ٩/١، وقواعد التفسير عند المفسرين ٥١١/٢.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [١]

٧٥- مسألة: من هم القاعدون؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: القاعدون بغير عذر[٢].

القول الثاني: القاعدون بعذر[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ إما أن يكون القول هاهنا مجازاً عن إلهامهم أسباب الخذلان، أو عن وسوسة الشيطان لهم، أو هو قول بعضهم لبعض.

وحكى الماوردي: أن النبي ﷺ قال ذلك غضباً عليهم[٤].

قال ابن السائب: يعني: مع القاعدين بغير عذر[٥].

وقيل: مع القاعدين بعذر؛ كالنساء والصبيان، **وهو أظهر**، لقوله تعالى: ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ ﴾ [٦]؛ ولأنه أبلغ في ذمهم[٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة التوبة آية:٤٦.

(٢) النكت والعيون ٣٦٨/٢، وزاد المسير ٢٦٤/٢.

(٣) جامع البيان ٤٨٢/١١، والوجيز٤٦٦/١، ومعالم التنزيل ٢٨٨/٢، ومفاتيح الغيب٦٤/١٦، والجامع لأحكام القرآن١٥٦/٨، والتسهيل٧٧/٢، وفتح القدير٣٦٦/٢.

(٤) النكت والعيون ٣٦٨/٢.

(٥) النكت والعيون ٣٦٨/٢، وزاد المسير ٢٦٤/٢، وتفسير العز بن عبد السلام٢٤/٢.

(٦) سورة التوبة آية: ٨٧.

(٧) رموز الكنوز ٥١١/٢.

القول الأول: القاعدون بغير عذر[١].

وممن قال به: ابن السائب الكلبي[٢].

القول الثاني: القاعدون بعذر، كالنساء والصبيان. وقيل: مع المرضى والزَّمْنَى، والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون.

وممن قال به:

١- ذكره عليُّ بن عيسى[٣][٤].

٢- الطبري، والواحدي، والبغوي، والرازي، والقرطبي، والكلبي، والشوكاني، والقاسمي[٥].

واستدلوا بما يلي:

أ-قوله تعالى: ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ ﴾. والخوالف النساء[٦].

ب- أنه أبلغ في الذم لهم، والإزراء عليهم، والتنقص بهم ما لا يخفى.

حاصل الدراسة:

من قال إنهم القاعدون بدون عذر لم يستدل لقوله، ولم يقل به إلا ابن السائب

---

(١) النكت والعيون ٣٦٨/٢، وزاد المسير ٢٦٤/٢.

(٢) النكت والعيون ٣٦٨/٢، وزاد المسير ٢٦٤/٢.

(٣) هو: علي بن عيسى بن يزيد البغدادي، الكراجكي، توفي سنة سبع وأربعين ومائتين. انظر: الكاشف ٤٥/٢، وتقريب التهذيب ٤٠٤/١.

(٤) زاد المسير ٢٦٤/٢.

(٥) جامع البيان ٤٨٢/١١، والوجيز ٤٦٦/١، ومعالم التنزيل ٢٨٨/٢، ومفاتيح الغيب ٦٤/١٦، والجامع لأحكام القرآن ١٥٦/٨، والتسهيل ٧٧/٢، وفتح القدير ٣٦٦/٢، ومحاسن التأويل ٤٢٨/٥.

(٦) البسيط ٤٦٣/١٠، ومعالم التنزيل ٢٨٨/٢.

الكلبي، وهو ضعيف في الرواية. فقوله لا يقوى عند من قال إنهم القاعدون بعذر من النساء والصبيان والعاجزين الذين من شأنهم القعود في البيوت، وهم القاعدون والخالفون، ولما فيه من الذم والتنقص ما لا يخفى. وهو قول المفسرين بلا خلاف.

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول أنهم القاعدون بعذر من النساء والصبيان والعاجزين. وهو قول جمهور المفسرون، وترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[1].

(1) جامع البيان١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ ﴾ [١]

٧٦- مسألة: ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿ مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: من الاستثناء المنقطع[٢].

القول الثاني: من الاستثناء المتصل[٣].

قال الرسعني:

﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ أي: شراً وفساداً.

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي ﷺ: فإن قيل: كأن الصحابة كان فيهم خبال حتى قيل: ما زادوكم إلا خبالاً؟

فالجواب: أنه من الاستثناء المنقطع. والمعنى: ما زادوكم قوة، لكن أوقعوا بينكم خبالاً[٤].

قلت: والذي يظهر في نظري: أن هذا ليس من الاستثناء المنقطع؛ لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، والمستثنى منه هاهنا غير مذكور، فيقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء، كأنه قيل: ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً، فيكون استثناء متصلاً[٥].

---

(١) سورة التوبة آية: ٤٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥٦/٨، والمحرر الوجيز٤٠/٣، والبحر المحيط٥٠/٥، وفتح القدير٣٦٦/٢.

(٣) الكشاف٢٦٤/٢، والمحرر الوجيز٤٠/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٥٦/٨، والبحر المحيط٥٠/٥، وفتح القدير٣٦٦/٢، وروح المعاني١١١/١٠.

(٤) زاد المسير٢٦٥/٢.

(٥) رموز الكنوز ٥١١/٢.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: من الاستثناء المنقطع، فكأن المعنى: ما زادوكم قوة ولا شدة ولكن خبالاً.[١]

القول الثاني: من الاستثناء المتصل، المفرّغ[٢].

وممن قال به: الزمخشري، وابن عطية، وأبو حيان[٣].

ومن أقوالهم:

١- قال الزمخشري: ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون؛ لأنَّ الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كقولك: ما زادوكم خيراً إلاّ خبالا، والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعمّ العام الذي هو الشيء، فكان استثناء متصلاً؛ لأنّ الخبال بعض أعمّ العام كأن قيل ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً والخبال الفساد والشر[٤].

٢- قال ابن عطية، وأبو حيان: يحتمل أن يكون غير منقطع، وذلك أن عسكر رسول الله في غزوة تبوك كان فيه منافقون كثير ولهم لا محالة خبال، فلو خرج هؤلاء لتألبوا مع الخارجين فزاد الخبال[٥].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ إِلَّا خَبَالاً ﴾ جوّزوا فيه أن يكون استثناء متصلاً وهو مفرَّغٌ؛ لأن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥٦/٨، والمحرر الوجيز٤٠/٣، والبحر المحيط٥٠/٥، وفتح القدير٣٦٦/٢.

(٢) الكشاف٢٦٤/٢، والمحرر الوجيز٤٠/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٥٦/٨، والبحر المحيط٥٠/٥، وفتح القدير٣٦٦/٢، وروح المعاني١١١/١٠.

(٣) الكشاف٢٦٤/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٥٦/٨، والبحر المحيط٥٠/٥،

(٤) الكشاف ٢٦٤/٢.

(٥) المحرر الوجيز٤٠/٣، والبحر المحيط٥٠/٥.

"زاد" يتعدى لاثنين، والمستثنى منه غير مذكور، فالاستثناء من أعمِّ العام الذي هو الشيء، فكان استثناء متصلاً فإن الخَبال بعضُ أعمِّ العام كأنه قيل: ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً".

وجوزوا فيه أن يكون منقطعاً، والمعنى: ما زادوكم قوة ولا شدةً ولكن خبالاً، وهذا يجيءُ على قول من قال إنه لم يكن في عسكر رسول الله ﷺ خبال. وفي هذا نظرٌ؛ لأنه إذا لم يكن في العسكر خبالُ أصلاً فكيف يُستثنى شيءٌ لم يكن ولم يُتوهم وجوده[١].

والذي يظهر لي: أنه حذف مفعول ﴿ زَادُوكُمْ ﴾ لدلالة الخروج عليه، أي: ما زادوكم قوة أو شيئاً ممّا تفيد زيادته في الغزو نصراً على العدوّ، ثم استُثني من المفعول المحذوف الخبالُ على طريقة التهكّم بتأكيد الشيء بما يشبه ضده، كما قال ابن عاشور. وهذا وارد في لغة العرب[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه من الاستثناء المتصل، كما رجحه بعض المفسرين، والرسعني. فلا يقدر في القرآن من المحذوفات إلا أفصحها وأحسنها وأشدها موافقة وملائمة للغرض والسياق.

القاعدة: التقدير الموافق لغرض الآية وأدلة الشرع مقدم على غيره[٣].

---

(١) الدر المصون ٥٩/٦، واللباب في علوم الكتاب ١٠٧/١٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢١٦/١٠.

(٣) البحر المحيط ٣٨٤/١، ومحاسن التأويل ١٦٣/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٤٤٤/٢.

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ [1]

٧٧- مسألة: هل انقطع حكم المؤلفة الكفار، أم لا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: انقطع حكمهم[2].

القول الثاني: بقاء حكمهم[3].

قال الرسعني:

اختلف العلماء في انقطاع حكم المؤلفة الكفار؛ فذهب الأئمة أبو حنيفة ومالك والشافعي والثوري وإسحاق على أن حكمهم انقطع؛ لأن الله تعالى أعزّ الإسلام وأغناه عن أن يتألف له الرجال.

وذهب الإمام أحمد ﷺ إلى بقاء حكمهم. **وهو الصحيح**؛ لأن سهمهم ثابت بكتاب الله وسنة رسوله، فلا يزول إلا بناسخ، ولا ناسخ، فيجب بقاء حكمهم، ولا نزاع في المقدمة الأولى.

وأما المقدمة الثانية فبيانها من وجهين:

أحدهما: أن الأصل عدم الناسخ، فيحتاج مدعيه على وجوده، وأنى له ذلك.

الثاني: أن الإمام أحمد كان أقومَ الناس بكتاب الله وأجمعهم لحديث رسول الله ﷺ فلو كان ثمَّ آية ناسخة أو حديث ناسخ لِحُكمهم لظفر به. ويؤيد ذلك قول الزهري:

---

(1) سورة التوبة آية: ٦٠.

(2) جامع البيان ٥٢٢/١١، وزاد المسير ٢٧١/٢، ولباب التأويل ١١٢/٣، وأحكام القرآن للجصاص ٣٢٦/٤.

(3) زاد المسير ٢٧١/٢، ولباب التأويل ١١٢/٣.

لا أعلم شيئاً نسخ حكم المؤلفة[١][٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: انقطع حكمهم؛ لأنه إنما كانوا في عهد رسول الله ﷺ في أول الإسلام في حال قلة عدد المسلمين، وكثرة عدوهم، وقد أعز الله الإسلام وأهله واستغنى بهم عن تألف الكفار فإن احتاجوا إلى ذلك فإنما ذلك لتركهم الجهاد، ومتى اجتمعوا وتعاضدوا لم يحتاجوا إلى تألف غيرهم بمال يعطونه من أموال المسلمين.

وممن قال به:

عمر، وابن عمر رضي الله عنهم، والشعبي، وعكرمة، أبو حنيفة[٣]، ومالك، والشافعي، والثوري[٤]، وإسحاق بن راهويه[٥][٦].

استدلوا بما يلي:

١- أن حكم المؤلفة قلوبهم قد نسخ، واختلفوا في تحديد الناسخ، فقيل: نُسخ بإجماع الصحابة؛ حيث لم يعط أبو بكر وعمر المؤلفة قلوبهم من الصدقات، ولم ينكر عليهم بقية الصحابة، فكان إجماعاً[٧].

٢- زوال العلة التي من أجلها شُرِع تأليف القلوب بالزكاة،

---

(١) المغني٢/٢٨٠، وزاد المسير٢/٢٧١، والتحقيق في أحاديث الخلاف٢/٦٢.

(٢) رموز الكنوز٢/٥٢٥.

(٣) هو: النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبه، إمام العراق وفقيه الأمة، توفي سنة ١٥٠هـ على الصحيح، وله ٧٠ سنة. انظر: سير أعلام النبلاء٦/٣٩٠، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال١/٤٠٢.

(٤) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، ولد بجرجان، كان من الحفاظ المتقنين، والفقهاء في الدين، توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. انظر: تذكرة الحفاظ١/٢٠٣، ومشاهير الأمصار١/١٦٩.

(٥) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب المعروف بابن راهويه، أحد الأئمة، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين بنيسابوري. انظر: طبقات الحنابلة ١/١٠٩، وتقريب التهذيب ١/١٠٠.

(٦) جامع البيان١١/٥٢٢، وزاد المسير ٢/٢٧١، ولباب التأويل٣/١١٢، وأحكام القرآن للجصاص٤/٣٢٦.

(٧) بدائع الصنائع ٢/٤٥، والدر المختار ٢/٣٤٢.

وهي ضعف الإسلام وأهله، فقد استغنى الإسلام والمسلمون عن ذلك بعد وفاة النبي ﷺ، فلا مقتضى لصرف الزكاة للمؤلفة قلوبهم[١].

القول الثاني: بقاء حكمهم، وسهمهم ثابت لم يسقط. وللإمام أن يتألف قوماً ويدفع إليهم سهم المؤلفة.

وممن قال به:

أبو جعفر الباقر[٢]، والحسن، والزهري، والإمام أحمد بن حنبل، وأبو ثور، والشوكاني[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزهري: لا أعلم شيئاً نسخ حكم المؤلفة قلوبهم[٤].

ب- قال الرازي: والصحيح أن هذا الحكم غير منسوخ وأن للإمام أن يتألف قوماً على هذا الوصف ويدفع إليهم سهم المؤلفة؛ لأنه لا دليل على نسخه البتة[٥].

ج- قال الشوكاني: فالتأليف شريعة ثابتة جاء بها القرآن، وجعل المؤلفة أحد المصارف الثمانية وجاءت بها السنة المتواترة، فإذا كان إمام المسلمين محتاجاً على التأليف لمن يخشى من ضرره على الإسلام وأهله، أو يرجوا أن يصلح حاله ويصير نصيراً له وللمسلمين كان ذلك جائزاً له[٦].

واستدلوا: بعموم لفظ "المؤلفة قلوبهم" في الآية يشمل المسلم والكافر،

---

(١) الدر المختار ٣٤٢/٢، والأم ٨٠/٢.

(٢) هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر الهاشمي، المدني، توفي سنة ١١٨هـ على الراجح. انظر: التاريخ الكبير ١٨٣/١، وتهذيب التهذيب ٥٩/١٢.

(٣) زاد المسير ٢٧١/٢، ولباب التأويل ١١٢/٣، والسيل الجرار ٥٧/٢.

(٤) زاد المسير ٢٧١/٢.

(٥) مفاتيح الغيب ٨٩/١٦.

(٦) السيل الجرار ٥٧/٢.

والسورة من آخر ما نزل، ولا دليل على النسخ، فيبقى الحكم محكماً[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أنهم يعطون إذا كان هناك مصلحة للمسلمين.

قال الواحديُّ: إنَّ الله تعالى أغنى المسلمين عن تألف قلوب المشركين، فإن رأى الإمامُ في ذلك مصلحة يعود نفعها على المسلمين إذا كانوا مسلمين جاز، ويعطون من الفيء لا من الزَّكاة[٢].

حاصل الدراسة:

اختلف في المؤلفة قلوبهم فقال بعضهم إن سهم المؤلفة قلوبهم كان مقصوراً على الحال التي كان عليها أهل الإسلام من قلة العدد وكثرة عدد الكفار، أما اليوم فقد أعز الله الإسلام وله الحمد على ذلك وأغناه عن أن يتألف عليه أحد من المشركين، فلا يعطى مشرك تألفاً بحال[٣].

وقال بعضهم: أن للإمام أن يتألف قوماً ويدفع إليهم سهم المؤلفة. وإنه لم ينسخ، ووجهوا القول أن الله تعالى سمي المؤلفة في الأصناف الذين سمي الصدقة لهم، والنبي ﷺ قال إن الله تعالى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء وكان يعطي المؤلفة كثيراً في أخبار مشهورة، ولم يزل كذلك حتى مات، ولا يجوز ترك كتاب الله وسنة رسوله إلا بنسخ. والنسخ لا يثبت بالاحتمال، ثم إن النسخ إنما يكون في حياة النبي ﷺ؛ لأن النسخ إنما يكون بنص ولا يكون النص بعد موت النبي ﷺ وانقراض زمن الوحي، ثم إن القرآن لا ينسخ إلا بقرآن وليس في القرآن نسخ كذلك ولا في السنة. فكيف يترك الكتاب والسنة بمجرد الآراء والتحكم، أو بقول صحابي أو غيره على أنهم لا يرون قول الصحابي في حجة يترك بها قياس فكيف يتركون به الكتاب والسنة[٤].

---

(١) المغني٢/٢٨٠.

(٢) مفاتيح الغيب١٦/٨٩، واللباب في علوم الكتاب١٠/١٢٥.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٤/٣٢٦.

(٤) المغني ٢/٢٨٠.

والعلل المقصودة من شرع هذا المصرف باقية على قيام الساعة من نصرة المسلمين، أو استنقاذ الكافرين من النار، وانتفاؤها أو خفاؤها في زمن لا يعني انتفاءها في سائر الأزمان.

والمقاصد الشرعية تؤيد بقاء هذا المصرف وعمومه، لما فيه من إعزاز للمسلمين، وهداية لغيرهم إلى الدين القويم[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: بقاء حكمهم، وأن للإمام أن يتألف قوماً، ويدفع إليهم سهم المؤلفة.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها[٢].

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٣].

---

(١) نوازل الزكاة ٣٩٣-٤٠٣.

(٢) جامع البيان ١٨٦/١١، والناسخ والمنسوخ للنحاس٢٠٠/١، والإحكام لابن حزم ٤٨٤/٤، والتمهيد ٣٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦، وأضواء البيان ٧٢/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٧١/١.

(٣) الرسالة للشافعي ص٢٠٧،٣٤١، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٠/١، والمحرر الوجيز ٩٤/١، والتسهيل ٩/١، وروح المعاني ١٥٤/٢٨، وأضواء البيان ٣٠٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [1]

٧٨- مسألة: ما المراد بالسورة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنها سورة براءة[2].

القول الثاني: كل سورة تشمل على الأمر بالإيمان والجهاد[3].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ ﴾ يجوز أن يراد السورة بتمامها، ويجوز أن يراد بعضها. والمعنى: وإذا أنزلت سورة تأمرهم بالإيمان والجهاد.

قال مقاتل: هي براءة[4].

والأظهر: إطلاقها في كل سورة تشمل على الأمر بالإيمان والجهاد[5].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنها سورة براءة[6].

وممن قال به:

السمرقندي، والزمخشري، والرازي، والخازن، وابن عادل، والشوكاني[7].

---

(1) سورة التوبة آية:٨٦.

(2) المحرر الوجيز٣/٦٨، وزاد المسير ٢/٢٨٧، والتسهيل ٢/٨٢، وروح المعاني١٠/١٥٦.

(3) الكشاف٢/٢٨٥، وزاد المسير ٢/٢٨٧، وتفسير النسفي٢/١٠٣، وفتح القدير٢/٣٩٠.

(4) تفسير مقاتل ٢/٦٤.

(5) رموز الكنوز ٢/٥٧١.

(6) المحرر الوجيز٣/٦٨، وزاد المسير ٢/٢٨٧، والتسهيل ٢/٨٢، وروح المعاني١٠/١٥٦.

(7) بحر العلوم٢/٨٠، والكشاف٢/٢٨٥، ومفاتيح الغيب١٦/١٢٤، ولباب التأويل ٣/١٣٣، واللباب في علوم

ومن أقوالهم:

قال الزمخشري: براءة؛ لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد.

القول الثاني: كل سورة تشمل على الأمر بالإيمان والجهاد[١].

وممن قال به:

الطبري، وابن جزي الكلبي، وأبو حيان، وأبو السعود، والألوسي، والسعدي، والشنقيطي[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جزي الكلبي: قيل يعني براءة، والأرجح أنه على الإطلاق[٣].

ب- قال الألوسي: المراد كل سورة ذكر فيها الإيمان والجهاد، وهو أولى وأفيد[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أنها بعض سورة، فأطلق عليه سورة، كما يطلق على بعض القرآن قرآن وكتاب[٥].

حاصل الدراسة:

نسب أبو حيان القول للجمهور على أنّ السورة هنا كل سورة كان فيها الأمر بالإيمان والجهاد. وليس في الآية دليل يخصص سورة براءة عن غيرها من السور، فهي

الكتاب ١٠/١٦٦، وفتح القدير ٢/٣٩٠.

(١) الكشاف ٢/٢٨٥، وزاد المسير ٢/٢٨٧، وتفسير النسفي ٢/١٠٣، وفتح القدير ٢/٣٩٠.

(٢) جامع البيان ١١/٦١٥، والتسهيل ٢/٨٢، والبحر المحيط ٥/٨٤، وإرشاد العقل السليم ٤/٩٠، وروح المعاني ١٠/١٥٦، وتفسير الكريم الرحمن ١/٣٤٧، وأضواء البيان ٢/١٤٧.

(٣) التسهيل ٢/٨٢.

(٤) روح المعاني ١٠/١٥٦.

(٥) الكشاف ٢/٢٨٥، وتفسير النسفي ٢/١٠٣، والبحر المحيط ٥/٨٤، وفتح القدير ٢/١٠٣.

داخلة في المراد وليست خاصة فيها فقط[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الآية عامة في كل سورة فيها أمر بالإيمان والجهاد. وبراءة سورة منها، وليس فيه دليل على تخصيصها بالذكر في الآية، والله أعلم. وهو قول جمهور المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

---

(١) البحر المحيط ٨٤/٥.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [1]

٧٩- مسألة: ماذا طلبوا من النبيﷺ أن يحملهم عليه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: سألوه الدواب[2].

القول الثاني: سألوه الزاد[3].

القول الثالث: سألوه النعال[4].

قال الرسعني:

قال ابن عباس رضي الله عنه: سألوه الدواب.

وقال أنس بن مالك: سألوه الزاد.

وقال الحسن: سألوه النعال.

ولا تنافي بين هذه الأقوال؛ لجواز أن يكون كل واحد سأل ما يحتاج إليه، ويتوقف خروجه عليه[5].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: سألوه الإبل أو الدواب.

---

(1) سورة التوبة آية:٩٢.

(2) تفسير السمعاني٢/٣٣٨، والمحرر الوجيز٣/٧١، والتسهيل٢/٨٣، وأبو السعود٤/٩٢، وروح المعاني ١٠/١٥٩.

(3) زاد المسير٢/٢٨٩.

(4) تفسير ابن أبي حاتم٦/١٨٦٣، وتفسير السمعاني٢/٣٣٨، ومعالم التنزيل٢/٣١٥، وزاد المسير٢/٢٨٩، ومفاتيح الغيب١٦/١٢٩.

(5) رموز الكنوز٢/٥٧٦.

وممن قال به:

١- ابن عباس رضي الله عنه[١].

٢- السمعاني، وابن عطية، وأبو السعود، والألوسي[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال السمعاني: وهو المعروف، طلبوا الإبل ليركبوها[٣].

ب- قال الألوسي: وظاهر الآية يقتضي أنهم طلبوا ما يركبون من الدواب[٤].

القول الثاني: سألوه الزاد.

وممن قال به: أنس بن مالك[٥].

القول الثالث: سألوه النعال، أو الخفاف المدبوغة، والنعال المخصوفة.

وممن قال به: مجاهد، وعلي بن صالح[٦]، والحسن بن صالح[٧]، وإبراهيم بن أدهم[٨][٩].

---

(١) الوجيز ١/٤٧٧، ومعالم التنزيل ٢/٣١٥، ومفاتيح الغيب ١٦/١٢٩، وزاد المسير ٢/٢٨٩.

(٢) تفسير السمعاني ٢/٣٣٨، والمحرر الوجيز ٣/٧١، والتسهيل ٢/٨٣، وإرشاد العقل السليم ٤/٩٢، وروح المعاني ١٠/١٥٩.

(٣) تفسير السمعاني ٢/٣٣٨.

(٤) روح المعاني ١٠/١٥٩.

(٥) زاد المسير ٢/٢٨٩.

(٦) هو: علي بن صالح بن صالح بن حي الكوفي الهمداني، أخو الحسن وهما توأمان، كان رأساً في العلم والعمل، توفي سنة ١٥٤هـ. انظر: التاريخ الكبير ٦/٢٨٠، وتهذيب الكمال ٢٠/٤٦٤.

(٧) هو: الحسن بن صالح بن صالح بن حي الكوفي الهمداني، ولد سنة مائة للهجرة وتوفي سن تسع وستين ومائة للهجرة. انظر: الكاشف ١/٣٢٦، وتقريب التهذيب ١/١٦١.

(٨) هو: إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي وقيل التميمي أبو إسحاق البلخي الزاهد صدوق، توفي اثنتين وستين للهجرة. انظر: التاريخ الكبير ١/٢٧٣، وتقريب التهذيب ١/٨٧.

(٩) تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٨٦٣، وتفسير السمعاني ٢/٣٣٨، ومعالم التنزيل ٢/٣١٥، وزاد المسير ٢/٢٨٩،

واستدلوا بما يلي:

أ- أخرج ابن المنذر عن علي بن صالح قال: حدثني مشيخة من جهينة قالوا: أدركنا الذين سألوا رسول الله ﷺ الحملان فقالوا: ما سألناه إلا الحملان على النعال[١].

ب- ومثل هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن إبراهيم بن أدهم عمن حدثه إنه قال: ما سألوه الدواب ما سألوه إلا النعال[٢].

حاصل الدراسة:

كل قول ذكر من الاسم العام بعض أنواعه، وهذا ليس على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه. فكل واحد من الصحابة سأل النبي ﷺ ما يحتاجه وينقصه لحمله والخروج والمشاركة معه.

فلا تنافي بين هذه الأقوال؛ ولا يوجد دليل لترجيح أحدها على الآخر، فهي من اختلاف التنوع.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه لا تنافي بين هذه الأقوال، وجواز حملها على الأقوال جميعها. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: أن غالب ما نقل عن السلف من الاختلاف في التفسير فهو من باب التنوع لا اختلاف التضاد[٣].

ومفاتيح الغيب١٦/١٢٩.

(١) روح المعاني ١٠/١٥٩

(٢) تفسير ابن أبي حاتم٦/١٨٦٣.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١١١، وقواعد التفسير للسبت١/٢٠٨.

قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [١]

٨٠- مسألة: ما هو اسم أبو لبابة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: رفاعة بن عبد المنذر[٢].

القول الثاني: بشير بن عبد المنذر[٣].

القول الثالث: مروان بن عبد المنذر[٤].

قال الرسعني:

قال الإمام أحمد ويحيى بن معين: اسم أبي لبابة: رفاعة بن عبد المنذر.

وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: اسمه: بشير بن عبد المنذر.

وقال مقاتل: اسمه: مروان بن عبد المنذر.

والمعول على القول الأول، وهو قول الإمام، **وهو الأكثر والأشهر** عند علماء النقل[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: رفاعة بن عبد المنذر[٦].

وممن قال به:

---

(١) سورة التوبة آية:١٠٢.

(٢) الجرح والتعديل ٣٧٥/٢، والإصابة ٣١٢/١، والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون٦٦٣/٢ .

(٣) الإصابة ٣١٢/١، وتاريخ مدينة دمشق٣٦٧/٣٤، والجرح والتعديل ٣٧٥/٢، والبداية والنهاية ٣٤٤/٣.

(٤) تفسير مقاتل٦٨/٢، والكشاف٢٩١/٢، ومفاتيح الغيب١٣٩/١٦، وتفسير غرائب القرآن٣٩٠/٣.

(٥) رموز الكنوز ٥٨٨/٢.

(٦) الجرح و التعديل ٣٧٥/٢، والإصابة ٣١٢/١، والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون٦٦٣/٢.

الإمام أحمد بن حنبل، وابن إسحاق، ويحيى بن معين، والذهبي، وابن حجر[١].

القول الثاني: بشير بن عبد المنذر[٢].

وممن قال به:

١- موسى بن عقبة[٣] عن ابن شهاب الزهري[٤].

٢- ابن حبان، وإبراهيم بن المنذر، وابن سعد[٥]، وابن هشام ، وخليفة[٦].

القول الثالث: مروان بن عبد المنذر.

وممن قال به: مقاتل، والزمخشري، والرازي، والنيسابوري[٧].

حاصل الدراسة:

أبو لبابة الأسلمي الأنصاري، لا يوقف له على اسم، له صحبة، مشهور بكنيته مختلف في اسمه، قيل: رفاعة، وقيل: بشير. ونسب ابن حجر، والزرقاني الوهم لمن سماه مروان[٨]. ولم يذكره أحد من المفسرين باسم رفاعة، ولا بشير، ولكن كتب التراجم ذكرت الخلاف، وقوة كونه رفاعة.

---

(١) الأسامي والكنى١/٢٨، والتاريخ الكبير ٣/٣٢١، وتقريب التهذيب١/٢١٠، والبداية والنهاية ٣/٣٤٤.

(٢) الإصابة ١/٣١٢، وتاريخ مدينة دمشق٣٤/٣٦٧.

(٣) هو: موسى بن عقبة ابن أبي عياش السدي، مولى آل الزبير، فقيه إمام في المغازي، توفي سنة ١٤١هـ. انظر: الكاشق٢/٣٠٦، وتقريب التهذيب١/٥٥٢.

(٤) الجرح والتعديل ٢/٣٧٥، والبداية والنهاية ٣/٣٤٤.

(٥) هو: محمد بن سعد بن منيع، أبو عبد الله البصري الزهري، مولى بني هاشم، توفي سنة ٢٣٠هـ. انظر: تاريخ بغداد ٥/٣٢١، ولسان الميزان٧/٣٥٩.

(٦) الطبقات الكبرى٣/٤٥٧، والإصابة ١/٣١٢، والبداية والنهاية ٣/٣٤٤.

(٧) تفسير مقاتل٢/٦٨، والكشاف٢/٢٩١، ومفاتيح الغيب١٦/١٣٩، وتفسير غرائب القرآن٣/٣٩٠.

(٨) شرح الزرقاني٣/٩٠، وتقريب التهذيب ١/٦٦٩.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن أبا لبابة: لا يوقف له على اسم صحيح ولكتب التراجم ترجيح كونه رفاعة. وهو موقوف على النقل.

القاعدة: علم المبهمات موقوف على النقل المحض ولا مجال للرأي فيه[1].

(1) مفحمات الأقران ١/٣٥، والإتقان ٤/٣٨٤، وقواعد التفسير للسبت٢/٧٢١.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (١)

٨١- مسألة: على أن الخطاب للمؤمنين، فما المراد بالصادقين؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عموم جميع الصادقين(٢).

القول الثاني: محمدﷺ وأصحابه(٣).

القول الثالث: أبو بكر وعمر(٤).

القول الرابع: عليرضي الله عنه وأصحابه(٥).

القول الخامس: المهاجرين(٦).

القول السادس: الثلاثة الذين خلفوا(٧).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ جاء في أثناء حديث كعب بن مالك أنها نزلت فيهم، فيكون أمراً لجميع المؤمنين بأن يَنظُمُوا

---

(١) سورة التوبة آية:١١٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٠٦، ومفاتيح الغيب١٦/١٧٥، وروح المعاني ١١/٤٥.

(٣) جامع البيان ١٢/٦٨، وتفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٠٦، والوجيز١/٤٨٥، وتفسير السمعاني٢/٣٥٨، ومعالم التنزيل٢/٣٤٠، وزاد المسير٢/٣٠٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/٣١٤، وفتح القدير٢/٤١٤.

(٤) جامع البيان١٢/٦٨، وتفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٠٦، وبحر العلوم٢/٩٧، وتفسير السمعاني٢/٣٥٨، ومعالم التنزيل٢/٣٤١، وزاد المسير٢/٣٠٨، والتسهيل٢/٨٧، ولباب التأويل٣/١٦٤، وفتح القدير ٢/٤١٤.

(٥) الدر المنثور٤/٣١٦، وفتح القدير٢/٤١٤، وروح المعاني١١/٤٥.

(٦) جامع البيان١٢/٦٨، والنكت والعيون٢/٤١٤، ومعالم التنزيل٢/٣٤١، وزاد المسير٢/٣٠٨، والتسهيل٢/٨٧، ولباب التأويل ٣/١٦٤.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٠٦، وتفسير السمعاني٢/٣٥٨، ومعالم التنزيل٢/٣٤١، والكشاف٢/٣٠٦، وزاد المسير٢/٣٠٨، والتسهيل٢/٨٧، ولباب التاويل٣/١٦٤، وفتح القدير٢/٤١٤.

أنفسهم في سلك الثلاثة ومن ضاهاهم من الصادقين الذين استثمروا من الإخلاص في إيمانهم والصدق في مقالهم وإيمانهم مقالاً جميلاً وثواباً جزيلاً.

قال ابن عمرﷺ: " الصادقين": محمد وأصحابه.

وقال سعيد بن جبير: أبو بكر وعمر.

ويؤيده قراءة ابن السميفع وأبي المتوكل ومعاذ القارئ: "الصادِقَين" بفتح القاف وكسر النون على التثنية[١].

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباسﷺ في قوله: "الصادقين": مع علي وأصحابه.

وقال ابن جريج:" مع الصادقين" أي: المهاجرين[٢].

ويروى: أن أبا بكرﷺ احتج بهذه الآية يوم السقيفة فقال: يا معشر الأنصار! إن الله يقول في كتابه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [٣] من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم. قال: فإن الله يقول: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وقال السدي: "الصادقين": الثلاثة الذين خلفوا.

والصحيح: ما ذكرته أولاً من القول بعمومه في جميع الصادقين، وهو قول قتادة.

وسائر الأقوال المذكورة لا تنافي ما ذكرته؛ لأنه ليس مقصود القائل حصر الصادقين فيما خصه بالذكر، بل مقصوده بيان الصادقين وتعريفهم بذكر الأشهر منهم

---

(١) زاد المسير ٢/٣٠٨.

(٢) النكت والعيون ٢/٤١٤.

(٣) سورة الحشر آية:٨.

والأظهر في نظره[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: عموم جميع الصادقين.

وممن قال به: قتادة، والرازي، والألوسي[٢].

واستدلوا بما يلي :

أ- قراءة ابن مسعودﷺ :(وكونوا من الصادقين).

ب- أن (مع) بمعنى (من)[٣].

ومن أقوالهم:

أ-قال الشوكاني: وظاهر الآية الأمر للعباد على العموم.

ب- قال الرازي: وذلك يدل على أن قول مجموع الأمة حق وصواب ولا معنى لقولنا الإجماع إلا ذلك[٤].

ج- قال الألوسي: والظاهر عموم الخطاب ويندرج فيه التائبون اندراجا أولياً، وكذا عموم مفعول (اتقوا)، ويدخل فيه المعاملة مع رسول الله ﷺ في أمر المغازي دخولا أوليا أيضاً، وكذا عموم (الصادقين) ويراد بهم ما تقدم على احتمال عموم الخطاب[٥].

القول الثاني: محمدﷺ وأصحابه، ويأمرهم أن يكونوا معهم في الجهاد والشدة والرخاء.

---

(١) رموز الكنوز ٢/٦٣٠-٦٣٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٠٦، ومفاتيح الغيب١٦/١٧٥، وروح المعاني ١١/٤٥.

(٣) زاد المسير٢/٣٠٨.

(٤) مفاتيح الغيب ١٦/١٧٥.

(٥) روح المعاني ١١/٤٥.

وممن قال به: ابن عمر، نافع، والطبري[١].

ومن أقوالهم:

قال الطبري: والصحيح من التأويل في ذلك هو التأويل الذي ذكرناه عن نافع والضحاك.[٢].

القول الثالث: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأصحابهما.

وممن قال به: سعيد بن جبير، والضحاك، والطبري[٣].

واستدلوا: بقراءة :(الصادِقَين)[٤].

القول الرابع: علي رضي الله عنه وأصحابه.

وممن قال به: ابن السائب الكلبي، وأبو جعفر[٥].

القول الخامس: المهاجرين[٦].

وممن قال به: ابن جريج[٧].

واستدلوا بما يلي:

---

(١) جامع البيان ٦٨،٧٠/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم١٩٠٦/٦، والوجيز٤٨٥/١، وتفسير السمعاني٣٥٨/٢، ومعالم التنزيل٣٤٠/٢، وزاد المسير٣٠٨/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣١٤/٧، وفتح القدير٤١٤/٢.

(٢) جامع البيان ٧٠/١٢.

(٣) جامع البيان٦٨،٧٠/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم١٩٠٦/٦، وبحر العلوم٩٧/٢، وتفسير السمعاني٣٥٨/٢، ومعالم التنزيل٣٤١/٢، وزاد المسير٣٠٨/٢، والتسهيل٨٧/٢، ولباب التاويل١٦٤/٣، وفتح القدير ٤١٤/٢.

(٤) زاد المسير٣٠٨/٢.

(٥) الدر المنثور٣١٦/٤، وفتح القدير٤١٤/٢، وروح المعاني٤٥/١١.

(٦) جامع البيان ٦٨/١٢، والنكت والعيون/٤١٤، ومعالم التنزيل٣٤١/٢، وزاد المسير٣٠٨/٢، والتسهيل ٨٧/٢، ولباب التأويل ١٦٤/٣.

(٧) جامع البيان ٦٨/١٢.

١- يروى: أن أبا بكر احتج بهذه الآية يوم السقيفة فقال: يا معشر الأنصار! إن الله يقول في كتابه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [١] من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم. قال: فإن الله يقول: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء.

القول السادس: الثلاثة الذين خُلفوا، أي: كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم؛ فإنهم صدقوا النبي ﷺ بالاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة مثل المنافقين عند تأخرهم.

وممن قال به: السدي، وأبو جعفر[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أي الذين صدقت نياتهم، واستقامت قلوبهم وأعمالهم، وخرجوا مع رسول الله إلى تبوك بإخلاص ونية. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه[٣].

حاصل الدراسة:

ثبت بالتواتر أن التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة على المكلفين إلى قيام القيامة، فكان الأمر في هذا التكليف كذلك. وهذا الأمر ليس مختص بزمان الرسول ﷺ، فقد أوجب تعالى على كل واحد من المؤمنين أن يكون مع الصادقين، فليس أمراً بالكون مع شخص معين، ولما بطل هذا بقي أن المراد منه الكون مع مجموع الأمة[٤].

وتوجيه الرسعني لسائر الأقوال المذكورة أنه لا تنافي بينها؛ لأنه ليس مقصود

---

(١) سورة الحشر آية:٨.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٠٦، وتفسير السمعاني٢/٣٥٨، ومعالم التنزيل٢/٣٤١، والكشاف٢/٣٠٦، وزاد المسير٢/٣٠٨، والتسهيل٢/٨٧، ولباب التأويل٣/١٦٤، وفتح القدير٢/٤١٤.

(٣) معالم التنزيل٢/٣٤١، ولباب التأويل٣/١٦٤.

(٤) مفاتيح الغيب ١٦/١٧٥.

القائل حصر الصادقين فيما خصه بالذكر، بل مقصوده بيان الصادقين وتعريفهم بذكر الأشهر منهم والأظهر في نظره.

المناقشة والترجيح:

الراجح: قول جمهور المفسرين أنه المراد عموم جميع الصادقين، وبعض المفسرين ذكر بعض الأمثلة، لا المراد تخصيصه فيهم، ما لم يرد دليل للتخصيص في أحد الأقوال.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[1].

(1) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١)

٨٢- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المراد بالأكثر الكل، والمعنى: أكثر الذين يدعون من دون الله شركاء، والظن في قولهم أنها آلهة(٢).

القول الثاني: المراد بالأكثر الكل، والمعنى: وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله ظناً(٣).

القول الثالث: ليس المراد بالأكثر الكل، إنما المراد البعض، أي وما يتبع أكثرهم وهم: الهمج الرعاع، والاتباع(٤).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ﴾ قال الثعلبي والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي وكثير من العلماء(٥): المراد بالأكثر: الكل، وقالوا: المعنى: وما يتبعون إلا الظن في قولهم أنها آلهة.

وقال صاحب الكشاف: المعنى: وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله إلا ظناً؛ لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم(٦).

---

(١) سورة يونس آية: ٣٦.

(٢) جامع البيان١٨١/١٢، والوسيط٥٤٧/٢، ومعالم التنزيل٣٦٢/٢، وزاد المسير٣٣٠/٢، ومفاتيح الغيب٧٥/١٧، وتفسير النسفي١٢٨/٢، وتفسير الجلالين٢٧٢/١، وفتح القدير٤٤٥/٢، وتفسير الكريم الرحمن٣٦٤/١.

(٣) بحر العلوم ١١٦/٢، ومفاتيح الغيب٧٥/١٧، وفتح القدير٤٤٥/٢، وروح المعاني١١٦/١١.

(٤) الوجيز٤٩٨/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٣/٨، ولباب التأويل ١٨٩/٣.

(٥) الكشف والبيان ١٣٢/٥، وزاد المسير٣٣٠/٢.

(٦) الكشاف ٣٣٠/٢.

والقولان بعيدان، فإن إطلاق الأكثر على الكل في غاية الشذوذ إن ثبت جواز استعماله.

وقول صاحب الكشاف **بعيد أيضاً؛** لأن البراهين على معرفة الله والاستدلال بالصنعة على الصانع أمر ظاهر لمن له أدنى مُسْكة من عقل، ولذلك احتجّ الله تعالى عليهم مُلزماً لهم باعترافهم وإقرارهم بالله، وأنه الذي خلقهم ورزقهم، ولم يجدوا بُدّاً من الانقياد إلى تسليم ما ألزموا به، مع استلزام تسليم ذلك بطلان ما انتحلوه ديناً، ولو كان منشأ إقرارهم-كما زعم صاحب الكشاف- لكانوا بسبيل من الإنكار على ما هو المتعارف المتعاهد من ذوي الخصام.

والذي يظهر في نظري: أن المعنى:" وما يتبع أكثرهم" وهم الهمج الرعاع، والإتباع في قولهم أن الأصنام آلهة، "إلا ظناً"؛ لأنه قول لا يقوم بصحته دليل نقلي ولا برهان عقلي.

وأما ذووا البصائر من قادتهم وسادتهم كلهم أو أكثرهم فكانوا على يقين من ضلالهم وبطلان ما هم عليه، لكن حملهم عليه البغي والحسد وحب الاقتداء بالآباء. هذا أبو جهل مع شِدَّة تمرُّده وكُفره يقول لرسول الله ﷺ وقد خلا به يوماً: والله إني لأعلم أنك على الحق، ولكن إذا ذهبتْ قصيٌّ بالسقاية والحجابة واللواء والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله فيه: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ [1]

والوليد بن المغيرة همّ بالدخول في الإسلام فمنعه أبو جهل، وقد ذكرنا كلامه في الأنفال[2].

وأبو طالب يقول[3]:

ألا ابلغا عني على ذات بيننا لؤياً وخُصّا من لؤيٍّ بني كعب

---

(1) سورة الأنعام آية: ٣٣.

(2) عند تفسير فوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا ﴾ سورة الأنفال آية: ٣١.

(3) انظر: ديوان أبو طالب ١٣/١، وسيرة ابن هشام ١٩٧/٢، ومعجم البلدان٣٤٥/٤.

بأنا وجدنا في الكتاب محمّداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

وأنّ عليه في العباد محبّة ولا خير ممن خصّه الله بالحبِّ

واضطره حب الاقتداء بالسلف، حتى قال عند موته: على ملة الأشياخ[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: المراد بالأكثر الكل، والمعنى: أكثر الذين يدعون من دون الله شركاء، والظن في قولهم أنها آلهة[٢].

وممن قال به:

الطبري، والثعلبي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي، والسيوطي، والشوكاني، والسعدي[٣].

واستدلوا بما يلي :

أنه ورد القليل بمعنى العدم في قوله تعالى : ﴿ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال البغوي: منهم يقولون إن الأصنام آلهة وإنها تشفع لهم في الآخرة ظناً منهم، لم يرد به كتاب ولا رسول، وأراد بالأكثر جميع من يقول ذلك[٥].

ب- قال الرازي: فيه وجهان: الأول: وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله تعالى إلا ظناً؛ لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم، بل سمعوه من أسلافهم. الثاني: وما يتبع

---

(١) رموز الكنوز ٣/٤٦-٤٧.

(٢) لباب التأويل٣/١٨٩، وروح المعاني١١/١١٦.

(٣) جامع البيان١٢/١٨١، والكشف والبيان ٥/١٣٢، والوسيط٢/٥٤٧، ومعالم التنزيل٢/٣٦٢، وزاد المسير٢/٣٣٠، ومفاتيح الغيب١٧/٧٥، وتفسير النسفي٢/١٢٨، وتفسير الجلالين١/٢٧٢، وفتح القدير٢/٤٤٥، وتفسير الكريم الرحمن١/٣٦٤.

(٤) سورة البقرة آية: ٨٨.

(٥) معالم التنزيل٢/٣٦٢.

أكثرهم في قولهم الأصنام آلهة وأنها شفعاء عند الله إلا الظن، والقول الأول أقوى؛ لأنا في القول الثاني نحتاج إلى أن نفسر الأكثر بالكل[١].

ج- قال الشوكاني: المعنى ما يتبع هؤلاء المشركون في إشراكهم بالله وجعلهم له أنداداً إلا مجرد الظن والتخمين والحدس،... وقيل: المراد بالآية إنه ما يتبع أكثرهم في الإيمان بالله والإقرار به، إلا ظناً، والأول أولى[٢].

القول الثاني: المراد بالأكثر الكل، والمعنى: وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله ظناً[٣].

وممن قال به: الزمخشري، وابن عادل[٤].

ومن أقوالهم:

قال ابن عادل: يقولون إنَّ الأصنامَ آلهة، وأنَّها تشفع لهم في الآخرة، (ظَنّاً): لمْ يردْ به كتابٌ ولا رسولٌ. وأراد بالأكثر، جميع من يقول ذلك. وقيل: وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله إلاَّ ظنّاً؛ لأنَّه قولٌ غير مسندٍ إلى برهانٍ عندهم، بل سمعُوه من أسلافهم، وهذا القول أولى؛ لأنَّا في الأول نحتاج إلى أن نُفَسِّر الأكثر بالكُلِّ[٥].

القول الثالث: ليس المراد بالأكثر الكل، أو الجميع، أي وما يتبع أكثرهم وهم: الهمج الرعاع، والاتباع[٦].

وممن قال به: الماوردي، والواحدي، والقرطبي، وأبو حيان[٧].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: يعني الرؤساء، لأن السفلة يتبعون قولهم[١].

---

(١) مفاتيح الغيب١٧/٧٥

(٢) فتح القدير٢/٤٤٥.

(٣) بحر العلوم ٢/١١٦، ومفاتيح الغيب١٧/٧٥، وفتح القدير٢/٤٤٥، وروح المعاني١١/١١٦.

(٤) الكشاف٢/٣٣٠، واللباب في علوم الكتاب١٠/٣٢٧.

(٥) اللباب في علوم الكتاب١٠/٣٢٧.

(٦) الوجيز١/٤٩٨، والجامع لأحكام القرآن ٨/٣٤٣، ولباب التأويل ٣/١٨٩.

(٧) النكت والعيون ٢/٤٣٥، والوجيز١/٤٩٨، والجامع لأحكام القرآن٨/٣٤٣.

ب- قال القرطبي: يريد الرؤساء منهم، أي: ما يتبعون إلا حدساً وتخريصاً في أنها آلهة، وأنها تشفع ولا حجة معهم، وأما أتباعهم فيتبعونهم تقليداً[٢].

ج- الظاهر أن أكثرهم على بابه؛ لأن منهم من تبصر في الأصنام ورفضها كما قال: أربّ يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب[٣].

حاصل الدراسة:

القول الأول والثاني: أن المراد بالأكثر الكل، أو الجميع والمعنى على القول الأول: وما يتبع أكثرهم في جعلهم الأصنام آلهة ، واعتقادهم أنها تشفع عند الله وتقرب إليه.

والمعنى على القول الثاني: ما يتبع أكثرهم في اعتقادهم في الله وفي صفاته إلا ظناً، ليسوا متبصرين ولا مستندين إلى برهان، إنما ذلك شيء تلقفوه من آبائهم. والظن في معرفة الله لا يغني من الحق شيئاً أي: من إدراك الحق ومعرفته على ما هو عليه، لأنه تجويز لا قطع [٤].

وردّ الرسعني على من قال بهذا القولين، ووجّه صحة كون القول الظاهر أن أكثرهم على بابه، والمراد هم الهمج الرعاع والاتباع، والسفلة يتبعون ساداتهم ورؤساءهم؛ لأن إطلاق الأكثر على الكل في غاية الشذوذ، واستشهد بقول أبي جهل، وشعر أبي طالب.

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول الثالث: أن المراد بالأكثر، على بابه، وليس الكل أو الجميع. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ

---

(١) الوجيز ٤٩٨/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٤٣/٨.

(٣) البحر المحيط ١٥٨/٥. الشاعر هو: غاوي بن عبد العزى، سماه النبي ﷺ راشد بن عبد ربه. انظر: شرح أدب الكاتب ٧٣/١.

(٤) البحر المحيط ١٥٨/٥.

والضعيف والمنكر[1].

(1) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [١]

٨٣- مسألة: هل الآية محكمة أم منسوخة بآية السيف؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: منسوخة بآية السيف[٢].

القول الثاني: محكمة[٣].

قال الرسعني:

قال ابن عباسﷺ ومقاتل والكلبي وجمهور سلف المفسرين: نسختها آية السيف[٤].

والصحيح: أنها محكمة؛ لإمكان العمل بالآيتين[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الآية منسوخة بآية السيف؛ وكأن ذلك لما فهموا منها الإعراض وترك التعرض بشيء[٦].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومقاتل، وابن السائب الكلبي، وابن زيد، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٧] [١].

---

(١) سورة يونس آية: ٤١.

(٢) غرائب القرآن ٥٤٨/٣.

(٣) غرائب القرآن ٥٤٨/٣.

(٤) جامع البيان١٨٥/١٢، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص١٠٣، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٤١، والوسيط٥٤٨/٢.

(٥) رموز الكنوز٥٣/٣.

(٦) روح المعاني١٢٢/١١.

(٧) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي، العدوي، المدني، مولى عمر بن الخطابﷺ، أخو عبد الله بن زيد

٢- ابن أبي حاتم، وابن سلامة المقري، وابن حزم، والواحدي، والبغوي ، وابن عطية، والقرطبي، والكلبي، والكرمي، والشوكاني[٢].

واستدلوا بما يلي :

١- عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قال: أمره بهذا، ثم نسخه فأمره بجهادهم[٣].

ومن أقوالهم:

قال ابن عطية: قال كثير من المفسرين منهم ابن زيد، هذه الآية منسوخة بالقتال؛ لأن هذه مكية وهذا صحيح[٤].

القول الثاني: الآية محكمة.

وممن قال به: ابن الجوزي، والنيسابوري، والبقاعي[٥].

واستدلوا بما يلي:

١- أنه كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ ﴾[٦].

بن أسلم، وأسامة بن زيد بن أسلم. انظر: تهذيب الكمال ١١٤/١٧، والجرح والتعديل ٢٣٣/٥.

(١) جامع البيان١٨٥/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم١٩٤٥/٦.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم١٩٥٤/٦ (١٠٣٩٦)، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة للمقري١٠٣/١، والناسخ والمنسوخ لابن حزم٤١/١، والبسيط٢٠٤/١١، والوجيز٤٩٩/١، ومعالم التنزيل٣٦٤/٢، والمحرر الوجيز١٢٢/٣، وزاد المسير٣٣٢/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٦/٨، والتسهيل٩٣/٢، والناسخ والمنسوخ للكرمي١٢٢/١، وفتح القدير٤٤٧/٢.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١٩٥٤/٦.

(٤) المحرر الوجيز١٢٢/٣.

(٥) زاد المسير٣٣٢/٢، ونواسخ القرآن لابن الجوزي١٨٠/١، وغرائب القرآن للنيسابوري٥٤٨/٣، ونظم الدرر للبقاعي٤٤٦/٣.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٢١٦.

٢- وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ ﴾ [١]

ومن أقوالهم:

أ- قال الرازي: قال مقاتل والكلبي: هذه الآية منسوخة بآية السيف، وهذا بعيد؛ لأن شرط الناسخ أن يكون رافعاً لحكم المنسوخ، ومدلول هذه الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب، وذلك لا يقتضي حرمة القتال، فآية القتال ما رفعت شيئاً من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلاً[٢].

ب- قال النيسابوري: والتحقيق أن آية القتال لا تدفع شيئاً من مدلولات هذه، فلا نسخ، والله أعلم[٣].

ج- قال البقاعي: ولا حاجة إلى ادعاء نسخ هذه الآية بآية السيف، فإنه لا منافاة بينهما؛ لأن هذه في رفع لحاق الإثم وهو لا ينافي الجهاد[٤].

حاصل الدراسة:

وجه ابن الجوزي القول بأنها محكمة من ثلاثة أوجه: الأول: أنه لا يصح عن ابن عباسﷺ، والثاني: أنه ليس بين الآيتين تناف والمنسوخ لا يصح اجتماعه مع الناسخ. والثالث: أنه لا يصح أن يدعي نسخ هذه الآية؛ بل إن قيل مفهومها منسوخ عندهم فقل لي عملي واقتصر على ذلك ولا تقاتلهم وليس الأمر كذلك إنما معنى الآية لي جزاء عملي؛ فإن كنت كاذباً فوباله علي ولكم جزاء عملكم في تكذيبكم لي وفائدة هذا لا يمنع من قتالهم، وهو أقرب إلى ما يفهم منها فلا وجه للنسخ[٥].

وعلى هذا فالآية محكمة غير منسوخة بآية السيف لما أن مدلولها اختصاص كل

---

(١) سورة الكافرون آية: ١-٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٨١/١٧.

(٣) غرائب القرآن٥٤٨/٣.

(٤) نظم الدرر٤٤٦/٣.

(٥) نواسخ القرآن لاين الجوزي١٨٠/١.

بأفعاله وثمراتها من الثواب والعقاب وآية السيف لم ترفع ذلك[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها محكمة، لأن شرط الناسخ أن يكون رافعاً لحكم المنسوخ، ومدلول هذه الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب، وذلك لا يقتضي حرمة القتال، فآية القتال ما رفعت شيئاً من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلاً.

القاعدة: إذا وقع التعارض بين احتمال النسخ واحتمال التخصيص، فالتخصيص أولى[٢].

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها[٣].

---

(١) روح المعاني١١/١٢٢.

(٢) قواطع الأدلة في الأصول ١/٢٠٢، والبحر المحيط في أصول الفقه ١/٥٩٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٨٥.

(٣) جامع البيان ١١/١٨٦، والناسخ والمنسوخ للنحاس١/٢٠٠، والإحكام لابن حزم ٤/٤٨٤، والتمهيد ١/٣٠٧، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٨، أضواء البيان ٦/٧٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٧١.

قال تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [1]

٨٤- مسألة: ما هي البشرى في الحياة الدنيا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنها الرؤيا الصالحة[2].

القول الثاني: بشارة الملائكة لهم عند الموت[3].

القول الثالث: ما بشر الله به في كتابه من جنته وثوابه[4].

القول الرابع: هي محبة الناس له، وعند ذكرهم إياه بالثناء الحسن[5].

قال الرسعني:

قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أخرج الإمام أحمد رحمه الله في مسنده والترمذي من حديث عبادة بن الصامت قال: "سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له"[6].

---

(1) سورة يونس آية: ٦٤.

(2) تفسير الصنعاني٢/٢٩٦، وجامع البيان١٢/٢١٤-٢٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٦٥، وبحر العلوم٢/١٢٣، ومعالم التنزيل٢/٣٦٩، والمحرر الوجيز٣/١٢٩، وزاد المسير٢/٣٣٨، ومفاتيح الغيب١٧/١٠٣، والجامع لأحكام القرآن٨/٣٥٨، وتفسير النسفي٢/١٣٤، والتسهيل٢/٩٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/٣٧٩-٣٨١، وإرشاد العقل السليم٤/١٦٠، وفتح القدير٢/٤٥٧.

(3) تفسير الصنعاني٢/٢٩٦، وجامع البيان١٢/٢٢٥، وزاد المسير٢/٣٣٩، ومفاتيح الغيب١٧/١٠٣، والجامع لأحكام القرآن٨/٣٥٨، وفتح القدير٢/٤٥٧.

(4) معاني القرآن للفراء ١/٤٧١، ومفاتيح الغيب١٧/١٠٤، وتفسير النسفي٢/١٣٤، والتسهيل٢/٩٥، وأبو السعود٤/١٦٠.

(5) معالم التنزيل٢/٣٦٩، والكشاف٢/٣٣٩، ومفاتيح الغيب١٧/١٠٣، وإرشاد العقل السليم٤/١٦٠.

(6) أخرجه الترمذي كتاب الرؤيا، باب قوله :﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ ح(٢٢٧٥)، وقال هذا

ويؤيد ذلك ما أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة"(١). وقال قتادة والضحاك والزهري: هي بشارة الملائكة لهم عند الموت(٢).

وقال الحسن: ما بشر الله به في كتابه من جنته وكريم ثوابه؛ كقوله:﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ﴾ (٤). وهذا اختيار الفراء والزجاج(٥).

والصحيح: أن جميع ما ذكروه مع ما يصدق عليه اسم البشارة داخل في الآية ومرادٌ منها.

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة الأنصاري الحموي بقراءتي عليه بالموصل، قال: أبنا الحافظ أبو طاهر السلفي بثغر الإسكندرية، أبنا الرئيس أبو عبد الله الثقفي رئيس أصبهان، ثنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم النيسابوري المزكي، أبنا أبو بكر أحمد بن سلمان، ثنا عبد الملك بن محمد(٦)، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث،(٧) ثنا شعبة، عن أبي عمران، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، أنهم قالوا:" يا رسول الله! الرجل يعمل لآخرته ويحبه الناس؟ قال: ذاك عاجل بشرى المؤمن"(٨). هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن محمد بن المثنى، عن عبد الصمد، عن شعبة. وأخرجه أيضاً عن بندار

حديث حسن. وصححه الألباني، وأحمد ٥/٣١٥ ح٢٢٧٣٩).

(١) أخرجه البخاري كتاب التعبير، باب المبشرات، ح(٦٩٩٠).

(٢) أخرجه الطبري١٢/٢٢٥، وابن أبي حاتم ٦/١٩٦٥-١٩٦٦، وابن أبي شيبة ٧/٢٢٠.

(٣) سورة التوبة آية:١١٢.

(٤) سورة فصلت آية:٣٠.

(٥) معاني القرآن للفراء١/٤٧١، ومعاني القرآن للزجاج٣/٢٦.

(٦) هو: عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد، أبو قلابة الرقاشي الضرير، كنيته أبو محمد، فغلب عليه أبو قلابة. توفي في شوال سنة ست وسبعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب٦/٣٧١، وتكملة الإكمال٤/٦٧٣.

(٧) هو: عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، أبو سهل التميمي مولاهم البصري، توفي سنة سبع ومائتين للهجرة. انظر: تذكرة الحفاظ١/٣٤٤، وتهذيب التهذيب ٦/٢٩١.

(٨) أخرجه مسلم كتاب البر، باب إذا أُثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره، ح(٢٦٤٢).

– واسمه محمد بن بشار – ، عن غندر–واسمه محمد بن جعفر–، عن شعبة. وكأنني سمعته من طريق مسلم من الفراوي[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو ترى له.

وممن قال به:

ابن مسعود، وأبو الدرداء[٢]، وعبادة بن الصامت[٣]، وعمران بن حصين، وأبو هريرة، وقيس بن سعد[٤]، وعبد الله بن عمرو[٥]، وجابر بن عبد الله، وعروة بن الزبير، وإبراهيم النخعي، ونافع بن جبير[٦]، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح[٧]، ويحيى بن أبي كثير[٨].

---

(١) رموز الكنوز ٣/٧٢-٧٣.

(٢) هو: عويمر، وقيل: عامر، واختلف في اسم أبيه، فقيل: عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله، ابن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب الخزرجي النصاري، توفي سنة ٣٢هـ. انظر: الاستيعاب٣/١٢٢٧، والإصابة٤/٧٤٧.

(٣) هو: عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري، أبو الوليد، شهد العقبتين وبدراً، وهو أحد النقباء، له صحبة، توفي بفلسطين سنة ٣٤هـ. انظر: التاريخ الكبير٦/٩٢، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/١٨٨.

(٤) هو: قيس بن سعد بن عبادة، أبو عبد الله الخزرجي، صحابي جليل، توفي في آخر خلافة معاوية بالمدينة سنة ٦٠ هـ. انظر: الكاشف ٢/١٤٠، وتقريب التهذيب ١/٤٥٧.

(٥) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم السهمي القرشي، أبو محمد ، بينه وبين أبيه إحدى عشرة سنة. توفي سنة ٦٥هـ. انظر: التاريخ الكبير٥/٥، والإصابة ٤/١٩٣.

(٦) هو: نافع بن جبير بن مطعم النوفلي، أبو محمد، أو أبو عبد الله القرشي المدني، الفقيه الإمام، توفي بالمدينة سنة ٩٩ للهجرة. انظر: الكاشف ٢/٣١٤، وتقريب التهذيب١/٥٥٨.

(٧) هو: أبو محمد، عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح أسلم القرشي، مولاهم المكي، توفي سنة أربع عشر ومائة للهجرة على المشهور. انظر: التاريخ الكبير٦/٤٦٣، وتقريب التهذيب١/٣٩١.

(٨) تفسير الصنعاني٢/٢٩٦، وجامع البيان١٢/٢١٤-٢٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٦٥، وبحر العلوم٢/١٢٣، والبسيط١١/٢٥٠، ومعالم التنزيل٢/٣٦٩، والمحرر الوجيز٣/١٢٩، وزاد المسير٢/٣٣٨، ومفاتيح الغيب١٧/١٠٣، والجامع لأحكام القرآن٨/٣٥٨، وتفسير النسفي٢/١٣٤، والتسهيل٢/٩٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/٣٧٩-٣٨١، وإرشاد العقل السليم٤/١٦٠، وفتح القدير٢/٤٥٧.

واستدلوا: بما رواه الترمذي وأحمد والطبري عن أبو الدرداء، وعبادة بن الصامت، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله عن النبي ﷺ.

عن عبادة بن الصامت قال: "سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له"[١].

القول الثاني: بشارة الملائكة لهم عند الموت.

وممن قال به: الضحاك، وقتادة، والزهري، والواحدي[٢].

واستدلوا بما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣].

ب- عن البراء[٤] عن رسول اللهﷺ أنه قال: "أن الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إذَا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا وإقبال من الْآخِرَةِ نَزَلَ إلَيْهِ من السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ حتى يَجْلِسُونَ منه مَدَّ الْبَصَرِ مَعَهُمْ كَفَنٌ من أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ من حَنُوطِ الْجَنَّةِ ثم يجيء مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَقْعُدُ عَنْدَ رَأْسِهِ فيقول أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أخرجي إلَى مَغْفِرَةٍ من اللهِ وَرِضْوَانٍ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كما تَسِيلُ الْقَطْرَةُ من في السِّقَاءِ..."[٥].

القول الثالث: ما بشر الله به عباده المتقين في كتابه وعلى ألسنة أنبيائه من جنته وكريم ثوابه.

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الرؤيا، باب قوله :﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ح(٢٢٧٥)، وأحمد ٣١٥/٥ ح(٢٢٧٣٩).

(٢) تفسير الصنعاني٢٩٦/٢، وجامع البيان٢٢٥/١٢، والوجيز٥٠٣/١، والبسيط٢٥٠/١١، وزاد المسير٣٣٩/٢، ومفاتيح الغيب١٠٣/١٧، والجامع لأحكام القرآن٣٥٨/٨، وفتح القدير٤٥٧/٢.

(٣) سورة فصلت آية: ٣٠.

(٤) هو: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري، الأوسي، يكنى أبو عمارة، صحابي توفي سنة اثنتين وسبعين للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء١٩٤/٣، وتقريب التهذيب١٢١/١.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٤/٣.

وممن قال به: الحسن، والفراء، والزجاج[١].

واستدلوا بما يلي:

أ- بقوله تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [٢]

ب- وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [٣]

ج- وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤]

القول الرابع: هي محبة الناس له، وعند ذكرهم إياه بالثناء الحسن.

وممن قال به:رأبو ذر[٥] [٦].

واستدلوا بما يلي:

عن أبي ذر، أنهم قالوا:" يا رسول الله! الرجل يعمل لآخرته ويحبه الناس؟ قال: ذاك عاجل بشرى المؤمن"[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن اللفظ عام لم يخصص في معنى دون معنى. فجميع ما ذكره المفسرون داخل في البشرى التي ذكرها الله سبحانه.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٤٧١/١، والبسيط٢٥٠/١١، ومفاتيح الغيب١٠٤/١٧، وتفسير النسفي١٣٤/٢، والتسهيل٩٥/٢، وإرشاد العقل السليم١٦٠/٤.

(٢) سورة التوبة آية: ٢١.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٥.

(٤) سورة الأحزاب آية: ٤٧.

(٥) هو: اختلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنه جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري، وهو أول من حيّا النبي ﷺ بتحية الإسلام، توفي بالربذة سنة ٣١هـ. انظر: الاستيعاب ٢٥٢/١، والإصابة١٢٥/٧.

(٦) معالم التنزيل٣٦٩/٢، والكشاف٣٣٩/٢، ومفاتيح الغيب١٠٣/١٧، وإرشاد العقل السليم١٦٠/٤.

(٧) أخرجه مسلم كتاب البر، باب إذا أُثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره، ح(٢٦٤٢).

وممن قال به: الطبري، والرازي[١].

ومن أقوالهم:

قال ابن جرير: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، منها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله كما روي عن النبيﷺ إن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه تقول لنفسه اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه، ومنها بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [٢]وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا، بشَّره بها. ولم يخصص الله من ذلك معنىً دون معنى، فذلك مما عمَّه جل ثناؤه أن ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ ، وأما في الآخرة فالجنة[٣].

حاصل الدراسة:

لفظ البشارة مشتق من خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه، فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية، ومجموع الأمور المذكورة مشتركة في هذه الصفة، فيكون الكل داخلاً فيه فكل ما يتعلق من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل تحت قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [٤].

وإن كان ذلك كله يعارضه قول النبي ﷺ هي الرؤيا، وقد تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن المراد بالبشرى الرؤيا؛ وهو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده وليس صحيحاً؛ بسبب غرابة المتن، إذ البشرى في الآية تدل على أنها أعم من الرؤيا الصالحة.

---

(١) مفاتيح الغيب١٧/١٠٤.

(٢) سورة البقرة آية:٢٥.

(٣) جامع البيان١٢/٢٢٥.

(٤) مفاتيح الغيب ١٧/١٠٤.

بل الصواب أن الرؤيا هي من البشرى. أي: بعض البشرى. إلا إن قلنا إن النبي ﷺ أعطى مثالاً من البشرى وهي تعم جميع الناس[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: جميع ما ذكره المفسرون وهو ترجيح الرسعني.

والحديث عن أبي هريرة بلفظ" إذا اقترب الزمان، لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المؤمن جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثة، والرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين"[٢]. في مسلم ليس فيه ذكر الآية، ولا استغراق الرؤيا الصالحة لجنس البشرى كما في الأحاديث في الترمذي والطبري وأحمد، والله أعلم بالصواب.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[٣].

---

(١) المحرر الوجيز٣/١٢٩.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الرؤيا، باب في كون الرؤيا من الله وأنها جزء من النبوة، ح(٢٢٦٣).

(٣) جامع البيان١٦/٤٤٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١١٣، والمحرر الوجيز ٢/٢٤٩، والجامع لأحكام القرآن٢٠/١٦٢، ومجموع الفتاوى ١٣/٢٧، والبحر المحيط ١/١٢٨، والتسهيل ١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٥٦، وفتح القدير ١/١٢، وروح المعاني ١/٩٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٩١.

قال تعالى: ﴿ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ١٠٢ ﴾ [١]

٨٥- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: قل فانتظروا هلاكي[٢].

القول الثاني: تهديداً لهم، أي: فانتظروا ما يجب أن تنتظروه من وقائع الله بكم[٣].

قال الرسعني:

﴿ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي ﷺ : المعنى قل فانتظروا هلاكي.

والأظهر عندي: أنه تهديد لهم، على معنى: انتظروا ما يجب أن تنتظروه من وقائع الله بكم[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: قل فانتظروا هلاكي.

وممن قال به: ابن الجوزي[٥].

ومن أقوالهم:

---

(١) سورة يونس آية: ١٠٢.

(٢) زاد المسير ٢/٣٥٣.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٩٩١، ومفاتيح الغيب ١٧/١٣٦، والجامع لأحكام القرآن ٨/٣٨٦، والتسهيل ٢/٩٩، ولباب التأويل ٣/٢١٤، وتفسير الجلالين ١/٢٨٢، وإرشاد العقل السليم ٤/١٧٨، وفتح القدير ٢/٤٧٧، وروح المعاني ١١/١٩٥.

(٤) رموز الكنوز ٣/١٠٩.

(٥) زاد المسير ٢/٣٥٣.

قال ابن الجوزي: المعنى: قل فانتظروا هلاكي[١].

القول الثاني: تهديداً لهم، أي: فانتظروا ما يجب أن تنتظروه من وقائع الله بكم.

وممن قال به:

الربيع، والرازي، والقرطبي، والكلبي، والخازن، والسيوطي، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي[٢].

واستدلوا بما يلي:

أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع في قوله:﴿ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ خوفهم عذابه وعقوبته ونقمته[٣].

ومن أقوالهم:

قال الشوكاني: أي: تربصوا لوعد ربكم إني معكم من المتربصين لوعد ربي، وفي هذا تهديد شديد ووعيد بالغ بأنه سينزل بهؤلاء ما نزل بأولئك من الإهلاك[٤].

حاصل الدراسة:

انفرد ابن الجوزي بقوله، فلم يذكره أحد من المفسرين أن المعنى فانتظروا هلاكي، وما أجمع عليه المفسرون هو الظاهر من الآية، أي قل لهم يا محمد، إن كانوا ذلك ينتظرون: فانتظروا عقاب الله إياكم، ونزول سخطه بكم، إني من المنتظرين هلاككم وبواركم بالعقوبة التي تحل بكم من الله.

---

(١) زاد المسير ٢/٣٥٣.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٩١، والبسيط١١/٣٣٠، ومفاتيح الغيب١٧/١٣٦، والجامع لأحكام القرآن٨/٣٨٦، والتسهيل٢/٩٩، ولباب التأويل٣/٢١٤، وتفسير الجلالين١/٢٨٢، وإرشاد العقل السليم٤/١٧٨، وفتح القدير٢/٤٧٧، وروح المعاني١١/١٩٥.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم٦/١٩٩١.

(٤) فتح القدير٢/٤٧٧.

المناقشة والترجيح:

الراجح: قول جمهور المفسرين: أن فيه تهديداً لهم، أي: فانتظروا ما يجب أن تنتظروه من وقائع الله بكم.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[1].

(1) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [١]

٨٦- مسألة: هل العرش أول ما خلق الله؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أول شيء خُلق العرش، وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً، فالعرش والماء مخلوقان قبل الأرض والسماء[٢].

القول الثاني: العرش مسبوق بخلق القلم[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ فيه دليل على أن العرش والماء مخلوقان قبل الأرض والسماء.

قال وهب بن منبه: أول شيء خلق العرش.

والصحيح: أن العرش مسبوق بخلق القلم.

قال ﷺ :"أول ما خلق الله القلم"،[٤] وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد.

---

(١) سورة هود آية: ٧.

(٢) تفسير الصنعاني٢/٣٠١، وجامع البيان١٢/٣٣١، وتفسير ابن أبي حاتم٦/٢٠٠٥، وبحر العلوم٢/١٣٩، والوجيز١/٥١٣، والكشاف ٢/٣٦١، وتفسير النسفي٢/١٤٦، والتسهيل٢/١٠١، وفتح القدير ٢/٤٨٢.

(٣) أخرجه الطبري١٢/٣٣٣، وابن أبي حاتم٦/٢٠٠٥، وعبد الرزاق٥/٩٠.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/٤٩٢ ح(٣٦٩٣)، والبيهقي في سننه ١/٢٠٤(٢٠٦٦٤)

وقيل لابن عباسﷺ: على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح[١][٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أول شيء خلق العرش، وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً، فالعرش والماء مخلوقان قبل الأرض والسماء[٣].

وممن قال به:

١- مجاهد، ووهب بن منبه، وقتادة، ومقاتل[٤].

٢- الصنعاني، والطبري، وابن أبي حاتم، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، والقرطبي، والكلبي، والشوكاني[٥].

واستدلوا بما يلي :

عن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رضي الله عنهما قال دَخَلْتُ على النبي ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ من بَنِي تَمِيمٍ فقال: "اقْبَلُوا الْبُشْرَى يا بَنِي تَمِيمٍ" قالوا: قد بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دخل عليه نَاسٌ من أَهْلِ الْيَمَنِ فقال:" اقْبَلُوا الْبُشْرَى يا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لم يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ"، قالوا: قد قَبِلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ، قالوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عن هذا الْأَمْرِ، "قال كان الله ولم يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وكان عَرْشُهُ على الْمَاءِ، وَكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السماوات وَالْأَرْضَ" فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يا بن الْحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ فإذا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كنت تَرَكْتُهَا[٦].

---

(١) أخرجه الطبري١٢/٣٣٣، وابن أبي حاتم٦/٢٠٠٥، وعبد الرزاق٥/٩٠.

(٢) رموز الكنوز٣/١٢٣.

(٣) لباب التأويل ٣/٢١٩.

(٤) تفسير مجاهد١/٣٠٠، وتفسير مقاتل٢/١٠٩، وزاد المسير ٢/٣٥٩.

(٥) تفسير الصنعاني٢/٣٠١، وجامع البيان١٢/٣٣١، وتفسير ابن أبي حاتم٦/٢٠٠٥، وبحر العلوم٢/١٣٩، والوجيز١/٥١٣، والكشاف ٢/٣٦١، وتفسير النسفي٢/١٤٦، والتسهيل٢/١٠١، وفتح القدير ٢/٤٨٢.

(٦) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن[١].

ب- قال الكلبي: دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض[٢].

القول الثاني: العرش مسبوق بخلق القلم.

وممن قال به: ابن عباسﷺ، ومجاهد[٣].

واستدلوا بما يلي:

حديث عبادة بن الصامتﷺ عن النبي ﷺ :" أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة"[٤].

حاصل الدراسة:

للعلماء قولان في أيهما خُلق أولاً العرش أو القلم، والذي عليه علماء التحقيق من أهل السنة والجماعة على سبق خلق العرش.

فقوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ معناه: أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء، وقد وقع في قصة نافع بن زيد الحميري[٥] بلفظ كان عرشه على الماء،

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ الروم:٢٧، ح(٣١٩١).

(١) جامع البيان ٣٣٠/١٢.

(٢) التسهيل ١٠١/٢.

(٣) أخرجه الطبري٣٣٣/١٢، وابن أبي حاتم٢٠٠٥/٦، وعبد الرزاق٩٠/٥.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك٤٩٢/٢(٣٦٩٣)، قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسنن البيهقي٢٠٤/١٠(٢٠٦٦٤). وأخرجه أبو داود، باب القدر، ح(٤٧٠٠)، وصححه الألباني.

(٥) هو: نافع بن زيد الحميري، ذكره بن شاهين في الصحابة، ونافع قدم وافداً على رسول الله ﷺ في نفر من حمير، فقالوا: أتيناك لنتفقه في الدين ونسأل عن أول هذا الأمر، قال: كان الله ليس شيء غيره وكان عرشه على الماء، ثم خلق القلم، فقال: اكتب ما هو كائن ثم خلق السماوات والأرض وما فيهن على عرشه.

ثم خلق القلم، فقال: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السماوات والأرض وما فيهن، فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش[١].

وأما ما رواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً :" أول ما خلق الله القلم، ثم قال: اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة" فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش. أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة، أي: أنه قيل له: اكتب أول ما خلق[٢]. وليس أن القلم أول المخلوقات.

المناقشة والترجيح:

الراجح: سبق خلق العرش على القلم، وهو قول الأكثر من العلماء، ولم يذكره أحد من المفسرين، وهو قول يخالف ترجيح الرسعني.

القاعدة: كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد[٣].

انظر: الإصابة٦/٤٠٦.

(١) أخرجه أبو داود باب القدرن ح(٤٧٧)، وصححه الألباني ص٧٠٥، وفتح الباري٦/٢٨٩.

(٢) فتح الباري ٦/٢٨٩.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣/٢٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢١٤.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [١]

٨٧- مسألة: من هم الذين نزلت فيهم الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: نزلت في المرائين بأعمالهم[٢].

القول الثاني: في الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ قال مجاهد: نزلت في المرائين بأعمالهم[٤].

وقال غيره: في الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث، **وهو الأظهر**؛ لقوله: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾ [٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: نزلت في المرائين بأعمالهم، من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا[٦].

وممن قال به:

---

(١) سورة هود آية: ١٥.

(٢) جامع البيان١٢/٣٥٢، وتفسير ابن أبي حاتم٦/٢٠١٠، وبحر العلوم٢/١٤١، ومعالم التنزيل٢/٣٩١، ولباب التأويل٣/٢٢٢.

(٣) معاني القرآن للنحاس٣/٣٣٥، والوجيز١/٥١٥، والتسهيل٢/١٠٢، والتحرير والتنوير١٢/٢٣.

(٤) زاد المسير٢/٣٦٢.

(٥) رموز الكنوز ٣/١٣١.

(٦) التسهيل٢/١٠٢، والكشاف ٢/٣٦٤، وزاد المسير٢/٣٦٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/٤٢٢

١- معاويةرضي الله عنه[١]، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والعوفي عن ابن عباسرضي الله عنه والضحاك[٢].

٢- ابن أبي حاتم، والسمرقندي، والبغوي، والخازن[٣].

واستدلوا بما يلي:

١- الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت. قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء. فقد قيل.

ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم. وقرأت القرآن ليقال هو قارئ. فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار"[٤].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إذا كان يوم القيامة يدعى برجل جمع القرآن، فيقال له ما عملت فيه؟ فيقول: يا رب قمت به آناء الليل والنهار، فيقول الله تعالى: كذبت بل أردت أن يقال: فلان قارئ، وقد

---

(١) هو: معاوية بن أبي سفيان، أبو عبد الرحمن الأموي الخليفة من مسلمة الفتح، توفي في رجب سنة ستين. وعمره ثمانية وسبعين سنة. انظر: الكاشف ٢/٢٧٥، وتقريب التهذيب١/٥٣٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧/١٩٥، وجامع البيان١٢/٣٥٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/٤٢٢

(٣) جامع البيان١٢/٣٥٢، وتفسير ابن أبي حاتم٦/٢٠١٠، وبحر العلوم٢/١٤١، والبسيط١١/٣٦٨، ومعالم التنزيل٢/٣٩١، ولباب التأويل٣/٢٢٢.

(٤) أخرجه مسلم كتاب الأمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ح(١٩٠٥).

قيل ذلك، ويؤت بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك فماذا عملت فيما آتيتك؟ فيقول: وصلت الرحم وتصدقت، فيقول الله تعالى: كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد، وقد قيل ذلك، ويؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول: قاتلت في الجهاد حتى قتلت، فيقول الله تعالى: كذبت بل أردت أن يقال فلان جريء وقد قيل ذلك" قال أبو هريرة ﷺ: ثم ضرب رسول الله ﷺ ركبتي وقال: "يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة" وروي أن أبا هريرة ﷺ ذكر هذا الحديث عند معاوية قال الراوي: فبكى حتى ظننا أنه هالك ثم أفاق وقال صدق الله ورسوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ [١].

ومن أقوالهم:

قال الخازن: نزلت في كل من عمل عملاً يبتغي به غير الله عز وجل[٢].

القول الثاني: في الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث.

وممن قال به:

١- الضحاك، وقتادة، وعطاء عن ابن عباس ﷺ، والأصم[٣].

٢- النحاس، والواحدي، والكلبي، وابن عاشور[٤].

واستدلوا بما يلي:

أ- بالآية بعدها قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾. إذ حصر أمرهم في استحقاق النار وهو معنى الخلود .

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه٤/١١٦، وجامع البيان١٢/٣٥٢.

(٢) لباب التاويل٣/٢٢٢.

(٣) تفسير السمعاني٢/٤١٨، والمحرر الوجيز ٣/١٥٦، وزاد المسير٢/٣٦٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/١٣، واللباب في علوم الكتاب١٠/٤٥١.

(٤) معاني القرآن للنحاس٣/٣٣٥، والوجيز١/٥١٥، والتسهيل٢/١٠٢، والتحرير والتنوير١٢/٢٣.

ب- أن نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [1] [2]

ومن أقوالهم:

١- قال الأصم: المرادُ مُنْكِرُو البعث فإنَّهم ينكرون الغنائم من غير أن يؤمنوا بالآخرة[3].

٢- قال ابن جزي الكلبي: والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن[4].

٣- قال ابن عاشور: فالمعنى من كان لا يطلب إلاّ منافع الحياة وزينتها. وهذا لا يصدر إلاّ عن الكافرين؛ لأنّ المؤمن لا يخلو من إرادة خير الآخرة، وما آمن إلاّ لذلك، فمورد هذه الآيات ونظائرها في حال الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة[5].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن الآية عامة في جميع الخلق، كافرهم الذين هذه صفته، ومسلمهم الذي يأتي بالطاعة رياء وسمعه.

وممن قال به: مجاهد، ونسب المفسرون القول للأكثرين[6].

ومن أقوالهم:

قال مجاهد: هي في الكفرة، وفي أهل الرياء من المؤمنين[7].

---

(1) سورة الإسراء ١٨-١٩.

(2) التحرير والتنوير١٢/٢٣.

(3) تفسير ابن أبي حاتم ٦/٢٠١٠، والكشاف ٢/٣٦٤، واللباب في علوم الكتاب١٠/٤٥١، والدر المنثور٤/٤٠٦.

(4) التسهيل ٢/١٠٢

(5) التحرير والتنوير١٢/٢٣.

(6) فتح القدير٢/٤٨٧، واللباب في علوم الكتاب١٠/٤٥١، وزاد المسير٢/٣٦٢

(7) المحرر الوجيز ٣/١٥٦، واللباب في علوم الكتاب١٠/٤٥١.

١- خصص بعض القائلين أن المراد من الكفار بعضهم كاليهود والنصارى.

وممن قال به: أنس رضي الله عنه.

ومن أقوالهم: قول أنس رضي الله عنه: المرادُ اليهود والنَّصارى[١].

٢- أهل القبلة[٢].

وممن قال به: أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

حاصل الدراسة:

الآية نزلت في المرائين بأعمالهم، من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا، وقالت فرقة الآية ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الكفرة، سواء منكري البعث، أو اليهود والنصارى؛ لأن قوله:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ يندرج فيه المؤمن والكافر والصديق والزنديق؛ لأن كل أحد يريد التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها ، إلا أن آخر الآية يدل على أن المراد من هذا العام الخاص وهو الكافر؛ لأن قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ لا يليق إلا بالكفار، فصار تقدير الآية: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فقط، أي تكون إرادته مقصورة على حب الدنيا وزينتها ولم يكن طالباً لسعادات الآخرة، كان حكمه كذا وكذا.

القول الثاني: وهو أن تجري الآية على ظاهرها في العموم، ونقول: إنه يندرج فيه المؤمن الذي يأتي بالطاعات على سبيل الرياء والسمعة، ويندرج فيه الكافر الذي هذا صفته[٣].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٢٠١٠/٦، والكشاف ٣٦٤/٢، واللباب في علوم الكتاب٤٥١/١٠، والدر المنثور٤٠٦/٤.

(٢) زاد المسير٣٦٢/٢.

(٣) مفاتيح الغيب ١٥٨/١٧-١٥٩.

المناقشة والترجيح:

الراجح : أن الآية عامة في جميع الخلق، كافرهم الذي هذه صفته، ومسلمهم الذي يأتي بالطاعة رياء وسمعه. وهو قول أكثر المفسرين.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[1].

(1) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [١]

٨٨- مسألة: هل قوله تعالى: ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ منسوخة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: منسوخة بقوله تعالى: ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [٢].

القول الثاني: لم تنسخ[٣].

قال الرسعني:

زعم مقاتل أن قوله: ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ الآية، نسخ بقوله: ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ .

وهذا ليس بصحيح؛ لأن الأخبار لا تنسخ[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: منسوخة بقوله تعالى: ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾[٥].

وممن قال به: مقاتل[٦].

ومن أقوالهم:

قال مقاتل: نسختها الآية التي في بني إسرائيل : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ [١].

---

(١) سورة هود آية ١٥.

(٢) سورة الإسراء آية: ١٨.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٥٣١، ونواسخ القرآن١/١٨٢.

(٤) رموز الكنوز ٣/١٣٢.

(٥) الناسخ والمنسوخ١/٥٣١، وزاد المسير ٢/٣٦٢.

(٦) تفسير مقاتل ٢/١١٢.

القول الثاني: لم تنسخ؛ لأن الأخبار لا تنسخ[٢].

وممن قال به: النحاس، وابن الجوزي[٣].

واستدلوا بما يلي:

أن هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال النحاس: محال أن يكون ههنا نسخ[٥].

ب- قال ابن الجوزي: زعم قوم منهم مقاتل بن سليمان أن هذه الآية اقتضت أن من أراد الدنيا بعمله، أعطي فيها ثواب عمله من الرزق والخير، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ وهذا القول ليس بصحيح؛ لأن الآيتين خبر، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [٦] [٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

من المفسرين من قال إنه تخصيص حصل بالإرادة، أو أن الآية قيدتها وفسرتها قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ [٨].

وممن قال به :

---

(١) تفسير مقاتل ١١٢/٢.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس٥٣١/١، وزاد المسير ٣٦٢/٢.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس٥٣١/١، ونواسخ القرآن١٨٢/١.

(٤) سورة آل عمران آية: ١٤٥.

(٥) الناسخ والمنسوخ٥٣١/١.

(٦) سورة آل عمران آية: ١٤٥.

(٧) نواسخ القرآن لابن الجوزي ١٨٢/١.

(٨) سورة الإسراء آية: ١٨.

١- القرطبي، والكرمي، والشوكاني[١].

حاصل الدراسة:

قال بعض المفسرين إن الآية منسوخة، ولو جاز النسخ فيها ما عُرِف حق من باطل ولا صدق من كذب، ولبطلت المعاني ولجاز لرجل أن يقول لقيت فلاناً ثم يقول نسخته ما لقيته[٢]. فالنسخ في الأخبار محال.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الآية ليست منسوخة؛ لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ. وهو ترجيح الرسعني، والمفسرين[٣].

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها[٤].

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٤٠، ونواسخ القرآن لابن الجوزي١م١٨٢، والجامع لأحكام القرآن٩/١٤، والناسخ والمنسوخ للكرمي١/١٢٥، وفتح القدير٢/٤٨٧.

(٢) الناسخ والمنسوخ١/٥٣١.

(٣) الموافقات ٣/١١٠، والبحر المحيط في أصول الفقه ٤/٤٤١، وإجابة السائل شرح بغية الآمل ١/٣٧٠.

(٤) جامع البيان ١١/١٨٦، والناسخ والمنسوخ للنحاس١/٢٠٠، والإحكام لابن حزم ٤/٤٨٤، والتمهيد ١/٣٠٧، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٨، وأضواء البيان ٦/٧٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٧١.

قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١]

٨٩- مسألة: هل كلمة جرم فعل ، أو أنها اسم ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "لا جرم" مركبة من لا النافية للجنس وجرم بعدها اسم[٢].

القول الثاني: "لا جرم" مركبة من لا النافية وجرم بعدها فعل ماض[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ قال الزجاج: "لا" نفيٌ لما ظنوا أنه ينفعهم، كأنه قيل: لا ينفعهم ذلك[٤].

وقال سيبويه عن الخليل: "لا" ردٌ لقولهم، و"جَرَمَ": فعل ماض، بمعنى: كسب، المعنى: كسب لهم ذلك الفعل الخسران، تقول: جرم فلان ذنباً، مثل: كسبه،وجرمته: كسبه إياه، ويقال أيضاً: أجرمته ذنباً.

وفي قراءة ابن مسعود:" لا يُجرمنكم شنآن" في المائدة بضم الياء، وكذلك: أكسبته ذنباً، وأنشد ابن الأعرابي:

..... وأكسبني مالاً وأكسبته أجرا

والأول أشهر وأكثر، ويقال: فلان جارم أهله، أي كاسبهم. قال الشاعر:

جريمةُ ناهضٍ في رأس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا[٥]

---

(١) سورة هود آية: ٢٢.

(٢) معاني القرآن للفراء٢/٩، ومعاني القرآن للزجاج٣/٤٥، والوسيط٢/٥٦٩، وزاد المسير٢/٣٦٦، والدر المصون٦/٣٠٣.

(٣) الكتاب لسيبويه٣/١٣٨، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٤٥، وزاد المسير٢/٣٦٦، والبحر المحيط٥/٢١٣، والدر المصون٦/٣٠٣.

(٤) معاني القرآن ٣/٤٦.

(٥) البيت لأبي خراش الهذلي. انظر: ديوان الهذليين٢/١٣٣، وتهذيب اللغة١١/٤٨، ولسان العرب مادة(صلب،

قال الأزهري: وهذا من أحسن ما قيل فيه.

قال الزجاج: وزعم سيبويه أن جرم بمعنى: حق.

قال: وقول الشاعر:

ولقد طعنتُ أبا عُيينةَ طعنةً جرمت فزارةُ بعدها أن يغضبوا[١].

معناه: أحقَّت الطعنة فزارة بالغضب.

وقال الفراء: "لا جَرَمَ" كلمة كانت في الأصل بمنزلة: "لا بُدّ" و"لا محالة". فكثر استعمالها حتى صارت بمنزلة:"حقاً". ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لآتينك، فتراها بمنزلة اليمين، فكذلك فسرها المفسرون.

قال ابن عباسﷺ: يريد: حقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون[٢] [٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "لا جرم" مركبة من لا النافية للجنس وجرم بعدها اسم[٤].

وممن قال به:

١- ابن عباس ﷺ، والفراء.

٢- الزجاج، وابن عاشور، ونسب الواحدي هذا القول لأكثر المفسرين[٥].

جرم) ٩٤/١٢، وشرح أشعار الهذليين ١٢٠٥/٣، والبحر المحيط ٢١٣/٥، والدر المصون ٣٠٤/٦.

(١) البيت لأبي أسماء بن الضريبة أو عطية بن عفيف، يرثى كرز ابن عامر، وكان طعن حصين بن حذيفة الفزاري طعنة مميتة يوم بني عقيل وهو يوم الحاجر. انظر: الكتاب لسيبويه١٣٨/٣، ولسان العرب مادة(جرم)٩٤/١٢.

(٢) الوسيط ٥٦٩/٢، وزاد المسير٣٦٦/٢.

(٣) رموز الكنوز١٤١/٣.

(٤) معاني القرآن للفراء٩/٢، ومعاني القرآن للزجاج٤٥/٣، والوسيط٥٦٩/٢، والبسيط٣٨٥/١١، وزاد المسير٣٦٦/٢، والدر المصون٣٠٣/٦.

(٥) معاني القرآن للفراء٩/٢، ومعاني القرآن للزجاج٤٥/٣، والوسيط٥٦٩/٢، والبسيط٣٨٤/١١. وزاد المسير٣٦٦/٢.

ومن أقوالهم:

أ- قال الفراء: وقوله: كلمة كانت في الأصل بمنزلة لابُدَّ أنك قائم ولا محالة أنك ذاهب، فجرت على ذلك، وكثر استعمالهم إيَّاها، حتى صارت بمنزلة: حقّا.

ب- قال الزجاج: ومعنى"لا" نفي لما ظنُّوا أنه ينفعهم، كأن المعنى لا ينفعهم ذلك جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون، أي: كسب ذلك الفعل لهم الخسران[١].

ج- قال ابن عاشور: والأظهر أن جرم اسم لا فعل؛ لأنه لو كان فعلاً لكان ماضيا بحسب صيغته، فيكون دخول "لا" عليه من خصائص استعمال الفعل في الدعاء[٢].

القول الثاني: "لا جرم" مركبة من لا النافية وجرم بعدها فعل ماض. فـ"لا" ردٌّ لقولهم، وجرم بمعنى: كسب أو بمعنى حق[٣].

وممن قال به: الأخفش، والخليل، وسيبويه، وابن الأنباري[٤].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ في هذه اللفظة خلافٌ بين اللغويين والنحويين، ويتلخص ذلك في أوجه، أحدها: وهو مذهب الخليل وسيبويه وجماهير الناس- أنهما رُكبتا من "لا" النافية و"جرم"، وصار معناهما معنى فعلٍ وهو "حق" .

الوجه الثاني: أن "لا جرم" بمنزلة لا رجل، في كون "لا" نافيةً للجنس، و"جرم" اسمها مبنيٌّ معها على الفتح وهي واسمُها في محلِّ رفع بالابتداء وما بعدهما خبر "لا" النافية، وصار معناها: لا محالة ولا بُدَّ.

الوجه الثالث: -كالذي قبله- إلا أن "أن" وما بعدها في محل نصب أو جر بعد

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/٤٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/١٥٤.

(٣) الكتاب لسيبويه٣/١٣٨، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٤٥، وزاد المسير٢/٣٦٦، والبحر المحيط٥/٢١٣، والدر المصون٦/٣٠٣.

(٤) الكتاب لسيبويه٣/١٣٨، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٤٥، والبسيط١١/٣٨٦، وزاد المسير٢/٣٦٦، والبحر المحيط٥/٢١٣، والدر المصون٦/٣٠٣.

حذف الجار، إذ التقدير: لا محالة في أنهم في الآخرة، أي: في خسرانهم.

الوجه الرابع: أن "لا" نافية لكلامٍ متقدم تكلم به الكفرة، فردَّ الله عليهم ذلك بقوله:"لا"، ثم أتى بعدها بجملة فعليةٍ وهي "جرم أنَّ لهم كذا". وجرم فعلُ ماضٍ معناه كسب، وعلى هذا فالوقف على قوله: "لا" ثم يبتدأ بـ"جرم" بخلاف ما تقدم.

الوجه الخامس: أن معناها لا صدَّ ولا منع، وتكون "جرم" بمعنى القطع[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الظاهر أن "جرم" مركبة من لا النافية للجنس، وجرم بعدها اسم، لأنه لو كان فعلا لكان ماضياً بحسب صيغته، فيكون دخول لا عليه من خصائص استعمال الفعل في الدعاء والمعنى لا جرم بمعنى لا محالة ونحوه.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

---

(١) الدر المصون٦/٣٠٣-٣٠٤.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ [١]

٩٠- مسألة: ما معنى "وأهلك" ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: معطوف على قوله: "اثنين"، أي: واحمل اهلك[٢].

القول الثاني: فعل ماض مسند إلى الله تعالى، أي: أهلك الله تعالى كلهم إلا من سبق عليه القول[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَأَهۡلَكَ ﴾ معطوف على قوله: "اثنين"، أي: واحمل أهلك.

ومن الأقوال الشاذة قول بعضهم: أن "أهلك" فعل ماض مسند إلى الله تعالى، أي: أهلك الله تعالى كلهم إلا من سبق عليه القول.

والصحيح الأول.

والمعنى: إلا من سبق عليه القول أنه من أهل النار، يعني: امرأته واعلة، وابنه كنعان[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة هود آية: ٤٠.

(٢) جامع البيان١٢/٤٠٩، وبحر العلوم ٢/١٥٠، والنكت والعيون٢/٤٧١، والوجيز١/٥٢٠، ومعالم التنزيل ٢/٤٠٢، والكشاف٢/٣٧٣، وزاد المسير٢٣٧٣، ومفاتيح الغيب ١٧/١٨٢، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري٢/٦٩٨، والتسهيل٢/١٠٥، ولباب التأويل٣/٢٣٢، والدر المصون٦/٣٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/٤٣٧، واللباب في علوم الكتاب١٠/٤٨٧، وفتح القدير٢/٤٩٨، وروح المعاني١٢/٥٥.

(٣) رموز الكنوز ٣/١٥٨.

(٤) رموز الكنوز ٣/١٥٨.

القول الأول: معطوف على قوله: "اثنين"، أي: واحمل أهلك.

وممن قال به:

الطبري، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والرازي، والعكبري، والكلبي، والخازن، والسمين الحلبي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني، والألوسي[١].

واستدلوا بما يلي :

١- قال في ابنه الذي سبق عليه القول:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]

٢- وقال فيه أيضاً: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾[٣]

٣- وقال في امرأته: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾[٤].

ومن أقوالهم:

قال السمين الحلبي، وابن عادل: قوله: ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ نسقٌ على ﴿ ٱثْنَيْنِ ﴾ في قراءة من أضاف ﴿ كُلٍّ ﴾ لزَوْجَيْنِ، وعلى ﴿ زَوْجَيْنِ ﴾ في قراءة من نوَّن (كلاً) وقوله: ﴿ إِلَّا

---

(١) جامع البيان١٢/٤٠٩، وبحر العلوم ٢/١٥٠، والنكت والعيون٢/٤٧١، والبسيط١١/٤١٨، والوجيز١/٥٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٠٢، والكشاف٢/٣٧٣، وزاد المسير٢٣٧٣، ومفاتيح الغيب ١٧/١٨٢، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري٢/٦٩٨، والتسهيل٢/١٠٥، ولباب التأويل٣/٢٣٢، والدر المصون٦/٣٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/٤٣٧، واللباب في علوم الكتاب١٠/٤٨٧، وفتح القدير٢/٤٩٨، وروح المعاني١٢/٥٥.

(٢) سورة هود آية: ٤٢.

(٣) سورة هود آية: ٤٦.

(٤) سورة التحريم آية: ١٠.

مَن سَبَقَ﴾ استثناءٌ متصل في موجب، فهو واجب النَّصْبِ على المشهُور[١].

القول الثاني: "أهلك" فعل ماض مسند على الله تعالى، أي: أهلك الله تعالى كلهم إلا من سبق عليه القول.

وممن قال به:

لم يذكره أحد من المفسرين وحكم عليه الرسعني بالشذوذ.

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه أمر نوحاً أن يحمل في السفينة أهله إلا من سبق عليه القول، أي سبق عليه من الله القول بأنه شقى، وأنه هالك مع الكافرين . ولم يبين هنا من سبق عليه القول منهم، ولكنه بين بعد هذا أن الذي سبق عليه القول من أهله هو ابنه وامرأته.

قال في ابنه الذي سبق عليه القول:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [٢]وقال فيه أيضاً: ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ﴾ [٣]وقال في امرأته: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾ [٤]. [٥]

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن "وأهلك" معطوف على "اثنين"، وهو قول جمهور المفسرين بإجماع، وأهل اللغة، وترجيح الرسعني.

---

(١) الدر المصون٦/٣٢٤، واللباب في علوم الكتاب١٠/٤٨٧.

(٢) سورة هود آية: ٤٢.

(٣) سورة هود آية: ٤٦.

(٤) سورة التحريم آية: ١٠.

(٥) أضواء البيان ٢/١٨٣.

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[١].

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٢].

(١) جامع البيان ٢٣١/٢، والتسهيل ٩/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/٢، وأضواء البيان ٣٨٥/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٨٨/١.

(٢) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ ﴾ [1]

٩١- مسألة: هل زوج بنت الرسول ﷺ أبي العاص بن وائل، أو العاص بين الربيع؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: العاص بن وائل[2].

القول الثاني: أبو العاص بن الربيع[3].

قال الرسعني:

قال الزمخشري: وقد زوّج النبي ﷺ قبل الوحي ابنتيه من أبي العاص بن وائل وعتبة بن أبي لهب[4].

وهذا خطأ فاحش؛ لأن ابن وائل هو العاص، وزوج بنت رسول الله ﷺ : إنما هو أبو العاص بن الربيع[5].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(1) سورة هود آية: ٧٨.

(2) هو: العاص بن وائل السهمي، لعنه الله، عندما مات عبد الله ابن رسول الله ﷺ بمكة، فقال العاص بن وائل قد انقطع ولده، فهو ابتر، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ سورة الكوثر آية: ٣. انظر: تكملة الإكمال١/١٢٥، والمنتظم٢/٣١٧.

(3) هو: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى، أمه هاله بنت خويلد أخت خديجة، زوجه رسول الله ﷺ زينب وهي أكبر بنات الرسولﷺ، أسلم قبل الحديبية ، توفي سنة اثنتى عشرة للهجرة. انظر: أنساب الأشراف ١/١١٦، وتاريخ مدينة دمشق٦٧/٦.

(4) الكشاف ٢/٣٩٠.

(5) رموز الكنوز ٣/٢٠٢.

القول الأول: زوج بنت الرسول ﷺ أبو العاص بن وائل.

وممن قال به: الزمخشري[١].

ومن أقوالهم:

قال الزمخشري: وقد زوّج النبي ﷺ قبل الوحي ابنتيه من أبي العاص بن وائل وعتبة بن أبي لهب[٢].

القول الثاني: زوج بنت الرسول ﷺ زينب هو: العاص بين الربيع.

وممن قال به: الرازي، والألوسي[٣].

ومن أقوالهم:

قول الرازي: أنه عليه السلام زوج ابنته زينب من أبي العاص بن الربيع وكان مشركاً، وزوج ابنته من عتبة بن أبي لهب ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ ﴾ [٤] [٥].

حاصل الدراسة:

زوج النبي ﷺ ابنته زينب لأبي العاص بن الربيع، وابنته رقية لعتبة بن أبي لهب قبل الوحي، وكانا كافرين؛ إلا أن عتبة لم يدخل بها وفارقها بطلب أبيه حين نزل قوله تعالى: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [٦]فتزوجها عثمان رضي الله عنه، وأبو العاص كان قد دخل بها؛ لكن لما أسر يوم بدر وفادى نفسه، أخذ النبي ﷺ العهد عليه أن يردها إذا عاد، فأرسل عليه الصلاة والسلام زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار في طلبها فجاءا بها، ثم أنه أسلم

---

(١) الكشاف ٢/٣٩٠.

(٢) الكشاف ٢/٣٩٠.

(٣) مفاتيح الغيب١٨/٢٧، وروح المعاني١٢/١٠٦.

(٤) سورة البقرة آية: ٢٢١.

(٥) مفاتيح الغيب ١٨/٢٧.

(٦) سورة المسد آية: ١.

وأتى المدينة فردها عليه الصلاة والسلام إليه[١].

بينما العاص بن وائل السهمي، لم يذكره أحد من المفسرين والتراجم أنه تزوج أحد بنات الرسولﷺ.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ، اسمه أبو العاص بن الربيع، هكذا تواترت عليه كتب التراجم، والتاريخ، وليس العاص بن وائل السهمي الذي نزلت فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب١٨/٢٧، وروح المعاني١٢/١٠٦.

(٢) سورة الكوثر آية: ٣.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ ﴾ [١]

٩٢- مسألة: قوله تعالى: ﴿ فِي ضَيۡفِيٓ ﴾ هل كلمة (ضيف) تطلق على الجمع أو على المفرد فقط؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: اسم يقع على الواحد والجمع[٢].

القول الثاني: الجمع: أضياف، وضيوف، وضيفان[٣].

قال الرسعني:

﴿ فِي ضَيۡفِيٓ ﴾ أي: في حق ضيفي، وهو اسم يقع على الواحد والجمع، تقول: رجل ضيف، ورجلان ضيف، وقوم ضيف، وكذلك المؤنث، ويقال أيضاً في الجمع: أضياف، وضيوف، وضيفان، **والأول أصح**. قال الشاعر:

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيفِ ضيفَنٌ فأودى بما يُقرى الضيوفُ الضيافن[٤] [٥]

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة هود آية: ٧٨.

(٢) جامع البيان ٥٠٦/١٢، والمحرر الوجيز١٩٥/٣، وزاد المسير ٣٩٠/٢، ومفاتيح الغيب ٢٨/١٨، واللباب في علوم الكتاب٥٣٤/١٠، والدر المصون٣٦٢/٦، وفتح القدير٥١٤/٢، وروح المعاني١٠٧/١٢، والتحرير والتنوير١٢٩/١٢.

(٣) فتح القدير٥١٤/٢، وروح المعاني١٠٧/١٢، والتحرير والتنوير١٢٩/١٢.

(٤) انظر البيت في: لسان العرب٢٠٩/٩، مادة(ضيف، ضفن).

(٥) رموز الكنوز ٢٠٣/٣.

القول الأول: اسم يقع على الواحد والمثنى، والجمع.، والمذكر، والمؤنث .

وممن قال به:

الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والسمين الحلبي، وابن عادل، والشوكاني، والألوسي وابن عاشور[١].

واستدلوا بما يلي:

أن الضَّيف قائمٌ هنا مقام الأضياف، كما قام الطفل مقام الأطفال في قوله: ﴿ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ ﴾[٢][٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: والضيف في لفظٍ واحدٍ في هذا الموضع، بمعنى جميع، والعرب تُسمِّي الواحد والجمع ضيفاً، بلفظ واحدٍ، كما قالوا: رجلٌ عدلٌ، وقومٌ عدل[٤].

ب- قال ابن الجوزي: " قال ابن قتيبة: والضيف ها هنا: بمعنى الضياف، والواحد يدلُّ على الجميع، كما تقول: هؤلاء رسولي ووكيلي[٥].

ج- قال الشوكاني: ﴿ فِي ضَيۡفِيٓ ﴾ والضيف يطلق على الواحد والاثنين والجماعة؛ لأنه في الأصل مصدر. ومنه قول الشاعر:

لا تعدمي الدهر شفار الجازر للضيف والضيف أحق زائر

---

(١) جامع البيان ٥٠٦/١٢، المحرر الوجيز١٩٥/٣، زاد المسير ٣٩٠/٢، ومفاتيح الغيب ٢٨/١٨، واللباب في علوم الكتاب٥٣٤/١٠، والدر المصون٣٦٢/٦، فتح القدير٥١٤/٢، وروح المعاني١٠٧/١٢، والتحرير والتنوير١٢٩/١٢.

(٢) سورة النور آية: ٣١.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٨/١٨، واللباب في علوم الكتاب ٥٣٤/١٠، والدر المصون٣٦٢/٦.

(٤) جامع البيان ٥٠٦/١٢.

(٥) زاد المسير ٣٩٠/٢.

ويجوز فيه التثنية والجمع والأول أكثر[١].

د– قال الألوسي: والضيف مصدر ولذا إذا وصف به المثنى أو المجموع لم يطابق على المشهور، وسمع فيه ضيوف وأضياف وضيفان[٢].

القول الثاني: الجمع: أضياف، وضيوف، وضيفان[٣].

ولم يرجحه أحد من المفسرين، أو أهل اللغة.

واستدلوا بما يلي:

١– بقول عمرو بن كلثوم:

نزلتم منزل الأضياف منّا [٤] فعجلنا القرى أن تشتمونا [٥]

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ ﴾ : الضَّيفُ في الأصل مصدرٌ كقولك: رجالٌ صومٌ، ثم أطلق على الطَّارق لميلانه إلى المضِيف، ولذلك يقعُ على المفردِ والمذكر وضدِّيهما بلفظٍ واحدٍ، وقد يثنى فيقال: ضيفان، ويجمع فيقال: أضياف وضُيُوف كأبيات وبُيُوت وضيفان كحوض وحِيضان. والضَّيف قائمٌ هنا مقام الأضياف، كما قام الطفل مقام الأطفال في قوله:﴿ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ ﴾ [٦][٧].

ويمكن تخريجه أيضاً على أنه اسم جنس، واسم الجنس يطلق على المفرد والمثنى

---

(١) فتح القدير ٥١٤/٢

(٢) روح المعاني ١٠٧/١٢.

(٣) فتح القدير٥١٤/٢، وروح المعاني١٠٧/١٢، والتحرير والتنوير١٢٩/١٢.

(٤) التحرير والتنوير ١٢٩/١٢.

(٥) جمهرة أشعار العرب١٢٣/١، وديوان المتنبي ٢٣٢/٣، ومغني اللبيب٥٥/١.

(٦) سورة النور آية: ٣١.

(٧) مختار الصحاح ١٦٢/١، مادة(ضيف)، ولسان العرب ٢٠٩/٩، مادة(ضيف)، ومفاتيح الغيب ٢٨/١٨، واللباب في علوم الكتاب ٥٣٤/١٠، والدر المصون٣٦٢/٦.

والجمع.

المناقشة والترجيح:

الراجح: هو المشهور في اللغة: وهو أنه في الأصل مصدر، ويقع على المثنى والجمع، والمذكر، والمؤنث.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة[١].

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٢].

(١) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

(٢) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ ﴾ [١]

٩٣- مسألة: ما معنى ضعيفاً في قوله: ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كان أعمى[٢].

القول الثاني: مهيناً ذليلاً[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا ﴾ قال ابن عباسﷺ وقتادة: كان أعمى[٤].

وقال الزجاج: ويقال: إن حِمير تسمي المكفوف ضعيفاً[٥].

وقال الحسن:"ضعيفاً": مهيناً ذليلاً[٦].

وهذا هو التفسير الذي تشهد بلاغة القرآن بصحته؛ لأنهم لو أرادوا نعيه بالعمى ورميه به، لم يقل:"فينا"؛ لأن العمى أعمى فيهم وفي غيرهم[٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كان ضرير البصر، أعمى.

---

(١) سورة هود آية: ٩١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم٦/٢٠٧٦، وبحر العلوم٢/١٦٧، والوجيز١/٥٣٢، والكشاف٢/٣٩٩، وزاد المسير ٢/٣٩٨، واللباب في علوم الكتاب١٠/٥٥٢.

(٣) بحر العلوم٢/١٦٧، والكشاف ٢/٣٩٩، وزاد المسير٢/٣٩٨.

(٤) أخرجه الطبري١٢/٥٥٣، وابن أبي حاتم ٦/٢٠٧٦.

(٥) معاني القرآن ٣/٧٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/٢٠٧٦، والنكت والعيون٢/٤٩٩، وزاد المسير٢/٣٩٨.

(٧) رموز الكنوز ٣/٢١٩.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، وقتادة[١].

٢- الزجاج، والواحدي[٢].

ومن أقوالهم: قول الزجاج: يقال إن حمير تسمي المكفوف ضعيفاً[٣].

القول الثاني: مهيناً ذليلاً[٤].

وممن قال به: أبو روق، والحسن، ومقاتل[٥].

ومن أقوالهم: قول أبو روق: إن الله لم يبعث نبياً أعمى، ولا نبياً به زمانه[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- ضعيف البصر.

وممن قال به: سفيان، والبغوي[٧].

٢-عاجزاً عن التصرف في المكاسب.

وممن قال به: ابن الأنباري[٨].

٣- الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم٦/٢٠٧٦، وبحر العلوم٢/١٦٧، والوجيز١/٥٣٢، والكشاف٢/٣٩٩، وزاد المسير ٢/٣٩٨، واللباب في علوم الكتاب١٠/٥٥٢.

(٢) الوجيز١/٥٣٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٧٤.

(٣) معاني القرآن ٣/٧٤.

(٤) فتح القدير٢/٥٢٠.

(٥) بحر العلوم٢/١٦٧، والكشاف ٢/٣٩٩، وزاد المسير٢/٣٩٨.

(٦) المحرر الوجيز ٣/٢٠٢.

(٧) تفسير الثوري١/١٣٣، والبسيط١١/٥٣٥، وزاد المسير٢/٣٩٨، ومعالم التنزيل٢/٤٢١.

(٨) زاد المسير٢/٣٩٨.

وممن قال به:

ابن عادل، والخازن، وابن عاشور[١].

واستدلوا: أنه يدل على صحة هذا القول: ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ يعني: جماعتك.

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: وهذا كله ضعيف، ولا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنه، والظاهر من قولهم: ﴿ ضَعِيفًا ﴾ أنه ضعيف الانتصار والقدرة، وأن رهطه الكفرة كانوا يراعون فيه[٢].

ب- قال النسفي: لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا أن أردنا بك مكروها [٣]

ج- قال ابن عاشور: أي وإنّك فينا لضعيف، أي غير ذي قوّة ولا منعة. فالمراد الضعف عن المدافعة إذا راموا أذَاهُ وذلك ممّا يُرى لأنّه تُرى دلائله وسماته [٤].

٤- ضعيف في بدنه[٥].

وممن قال به: علي بن عيسى[٦].

٥- وحيداً، لم يوافقك من عظمائنا أحد.

وممن قال به: السدي[٧].

٦- قليل العقل[٨].

---

(١) لباب التأويل ٢٥٠/٣، واللباب في علوم الكتاب٥٥٢/١٠، والتحرير والتنوير ١٤٨/١٢.

(٢) المحرر الوجيز٢٠٢/٣.

(٣) تفسير النسفي ١٦٩/٢.

(٤) التحرير والتنوير ١٤٨/١٢.

(٥) المحرر الوجيز ٢٠٢/٣، والتسهيل١١١/٢.

(٦) فتح القدير٥٢٠/٢.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم٢٠٧٦/٦، وبحر العلوم١٦٧/٢.

(٨) النكت والعيون ٤٩٩/٢.

٧- قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها[١].

حاصل الدراسة:

﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ فيه وجهان: الأول: أنه الضعيف الذي يتعذر عليه منع القوم عن نفسه.

والثاني: أن الضعيف هو الأعمى بلغة حمير. ويدخل فيه ضعيف البصر، وهذا القول ضعيف لوجوه:

الأول: أنه ترك للظاهر من غير دليل[٢].

والثاني: أن قوله: ﴿ فِينَا ﴾ يبطل هذا الوجه؛ ألا ترى أنه لو قال: إنا لنراك أعمى فينا كان فاسداً؛ لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم.

الثالث: أنهم قالوا بعد ذلك ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ فنفوا عنه القوة التي أثبتوها في رهطه، ولما كان المراد بالقوة التي أثبتوها للرهط هي النصرة، وجب أن تكون القوة التي نفوها عنه هي النصرة، والذين حملوا اللفظ على ضعف البصر لعلهم إنما حملوه عليه؛ لأنه سبب للضعف[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الضعيف الذي يتعذر عليه منع القوم عن نفسه، ويدخل فيه الذليل المهين، أو الوحيد، فهي أقوال تعبر عن أمثله للضعف.

ويرجحه أيضاً أنهم علقوا سهولة رجمه على ضعفه، ولم يمنعهم إلا منعة قومه.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٤].

---

(١) النكت والعيون ٤٩٩/٢.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٥٥٢/١٠.

(٣) مفاتيح الغيب ٤٠/١٨، واللباب في علوم الكتاب ٥٥٢/١٠.

(٤) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[1].

عند المفسرين ١/١٢٥.

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [1]

٩٤- مسألة: ما اسم الرجل الذي ورد في حديث ابن مسعودﷺ:"أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: اسم الرجل: أبو اليسر الأنصاري[2][3].

القول الثاني: اسم الرجل: أبو مقبل عامر بن قيس الأنصاري[4].

قال الرسعني:

والسبب في نزولها: ما أخرج في الصحيحين من حديث ابن مسعود:" أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فنزلت:" ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ ...الآية. فقال الرجل: يا رسول الله: ألي هذه؟ قال: لمن عمل بها من أمتي"[5].

وفي لفظ مسلم:" قال: يا رسول الله أصبت منها ما دون أن أمسها"[6].

---

(1) سورة هود آية: ١١٤.

(2) هو: أبو اليسر كعب بن عمرو بن عبادة الأنصاري، السلمي، مات بالمدينة سنة خمس وخمسين، في ولاية معاوية، ويقال إنه آخر من مات من أهل بدر. انظر: الإصابة ٤٦٨/٧، ومشاهير الأمصار١٨/١.

(3) جامع البيان٦٢٤/١٢، والنكت والعيون٥١٠/٢، ولباب التأويل٢٥٦/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٨٢/٧، وعمدة القاري١٢/٥.

(4) زاد المسير٤٠٦/٢، والنكت والعيون٥١٠/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٨٢/٧.

(5) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ ، ح٤٦٨٧، ومسلم كتاب التوبة، باب فوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾، ح٢٧٦٣.

(6) أخرجه مسلم كتاب التوبة، باب فوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ ،ح٢٧٦٣.

قال الخطيب أبو بكر بن ثابت: واسم الرجل: أبو اليسر الأنصاري[١].

وقال مقاتل: أبو مقبل عامر بن قيس الأنصاري[٢].

والأول أثبت.

قرأتُ على أبي جعفر السدي محمد بن عبد الكريم، أخبركم عبد الحق بن عبد الخالق والحسن بن أحمد المعمر فأقَّر به قالا: أبنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان، أبنا أبو القاسم طلحة بن علي بن الصقر، أخبرنا أحمد بن عثمان، ثنا عباس الدوري، ثنا أحمد بن جميل المروزي، ثنا ابن المبارك، ابنا شريك، ثنا عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن أبي اليسر بن عمرو قال:" أتتني امرأة بدرهم، وزوجها بعثه النبي ﷺ في بعث، فقالت: بِعني بدرهم تمراً. قال: وأعجبتني، فقلت لها: إن في بيتي تمراً هو أطيب من هذا فالحقيني، فغمزتها وقبّلتها، فأتيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقلت: هلكت، فقال: ما شأنك؟ فقصصت عليه الأمر، فقلت: هل لي من توبة؟ قال: نعم، تُب ولا تعُد، ولا تخبرن به أحداً، فأتيت النبي ﷺ فقصصت عليه الأمر، فقال: خلفت رجلاً في سبيل الله عز وجل في أهله بهذا؟ ! قال: فأطرق عني، فظننت أني من أهل النار، وأن الله لا يغفر لي أبداً، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ قال: فأرسل إليّ النبيﷺ فتلاهن عليّ"[٣].

وقد أخرج الترمذي عن أبي اليسر قال:" أتتني امرأة تبتاع تمراً، فقلت: إن في البيت تمراً أطيب منه، فدخلت معي إلى البيت، فأهويت إليها فقبّلتها ... ثم ساق الحديث"[٤].

---

(١) النكت والعيون ٢/٥١٠، زاد المسير ٢/٤٠٦

(٢) تفسير مقاتل ٢/١٣٤.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، ح٣١١٥، والنسائي في الكبرى ح١١٢٤٨، والطبراني في الكبير ١٩/١٦٥، ح٣٧١ .

(٤) رموز الكنوز ٣/٢٥٢-٢٥٣.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أبو اليسر الأنصاري، كعب بن عمرو[١].

وممن قال به: موسى بن طلحة[٢]، وأبو موسى طمحان، والخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي، والخازن، وبدر الدين العيني، وابن كثير[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن حجر: وأقوى الجميع أنه أبو اليسر والله أعلم[٤].

ب- وقال الذهبي: أبو اليسر: كعب بن عمرو السلمي بدري[٥].

ج- قال بدر الدين العيني: واعلم أن في كون الرجل في الحديث المذكور: أبا اليسر، هو أصح الأقوال الستة[٦].

القول الثاني: أبو مقبل، عامر بن قيس الأنصاري[٧].

وممن قال به: مقاتل[٨].

ومن أقوالهم:

قول مقاتل: نزلت في أبي مقبل، واسمه عامر بن قيس الأنصاري، من بني النجار[٩].

---

(١) جامع البيان١٢/٦٢٤، والنكت والعيون٢/٥١٠، ومعالم التنزيل٢/٤٢٩، ولباب التأويل٣/٢٥٦، وزاد المسير٢/٤٠٦، وعون المعبود١٢/١٠٧.

(٢) هو: موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، كان يسمى المهدي في زمانه، يكنى: أبو عيسى، أو أبو محمد، توفي آخر سنة ١٠٣هـ. انظر: الكاشف٢/٣٠٥، وتقريب التهذيب١/٥٥١.

(٣) جامع البيان١٢/٦٢٤، والنكت والعيون٢/٥١٠، ولباب التأويل٣/٢٥٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/٤٨٢، وعمدة القاري٥/١٢.

(٤) فتح الباري ٨/٣٥٧.

(٥) عمدة القاري ٥/١٢.

(٦) عمدة القاري ٥/١٢.

(٧) زاد المسير٢/٤٠٦، والنكت والعيون٢/٥١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/٤٨٢.

(٨) تفسير مقاتل٢/١٣٤، والنكت والعيون٢/٥١٠.

(٩) تفسير مقاتل ٢/١٣٤.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١-عمرو بن غُزيَّة الأنصاري[١].

وممن قال به: أبو صالح عن ابن عباسﷺ، وابن عابس[٢]، والكلبي[٣].

٢- وقيل: عمرو بن غزية التمار، وقيل: يكنى أبو اليسر[٤].

وممن قال به: الثعلبي، والزمخشري، والنيسابوري[٥].

٣- ومن المفسرين من نسبه بكنيته أبو اليسر ولم يذكر اسمه[٦].

٤-ومنهم من ذكر أن اسمه عباد، وهو جد أبي اليسر.

وممن قال به: ابن عطية، والقرطبي[٧].

٥-أنه ابن معتب الأنصاري، أو معتب عند ابن خيثمة[٨].

وممن قال به:

ابن خيثمة، وإبراهيم النخعي[٩].

٦-نبهان التمار[١٠].

---

(١) هو: عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم النجار الأنصاري، المازني، يقال إنه شهد العقبة وبدراً،يكنى أبو حبة. انظر: الإصابة ٦٦٨/٤، والاستيعاب١١٩٧/٣.

(٢) هو: ابن عابس الجهني، صحابي. انظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٧٣/١.

(٣) زاد المسير ٤٠٦/٢، والنكت والعيون٥١٠/٢.

(٤) الكشف والبيان١٩٣/٥، والكشاف٤١٠/٢، وغرائب القرآن٥٧/٤، وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي١٥٢/٢.

(٥) الكشف والبيان١٩٣/٥، والكشاف٤١٠/٢، وغرائب القرآن٥٧/٤، وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي١٥٢/٢.

(٦) جامع الأصول١٩٨/٢، واللباب في علوم الكتاب ٥٩/١٠.

(٧) المحرر الوجيز٢١٣/٣، والجامع لأحكام القرآن١١٠/٩.

(٨) جامع البيان٦٢٤/١٢، وفتح الباري٣٥٦/٨.

(٩) جامع البيان٤٢٦/١٢.

(١٠) فتح الباري٣٥٦/٨، وهو: أبو مقبل ذكره أبو نعيم في الصحابة، وقال نزلت فيه: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٥ ، ونزلت فيه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا ﴾. انظر: تكملة الإكمال ٤٧٦/١، والإصابة٤١٨/٦.

٧-أبو عمرو زيد بن عمرو بن غزية[١].

حاصل الدراسة:

وجه ابن حجر في فتح الباري الأقوال: قال: ذكر بعض الشراح في اسم هذا الرجل نبهان التمار، وقيل: عمرو بن غزية، وقيل: أبو عمرو زيد بن عمرو بن غزية، وقيل: عامر بن قيس، وقيل: عباد.

قلت: وقصة نبهان التمار ذكرها عبد الغني بن سعيد الثقفي أحد الضعفاء في تفسيره عن ابن عباسﷺ وأخرجه الثعلبي وغيره من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباسﷺ أن نبهاناً التمار أتته امرأة حسناء جميلة تبتاع منه تمراً فضرب على عجيزتها، ثم ندم، فأتى النبي ﷺ فقال إياك أن تكون امرأة غاز في سبيل الله، فذهب يبكي ويصوم ويقوم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ الآية، فأخبره فحمد الله وقال: يا رسول الله هذه توبتي قبلت، فكيف لي بأن يتقبل شكرى؟ فنزلت: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ ﴾ الآية، قلت: وهذا أن ثبت حمل على واقعة أخرى لما بين السياقين من المغايرة.

وأما قصة بن غزية فأخرجها بن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباسﷺ في قوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ ﴾ قال: نزلت في عمرو بن غزية، وكان يبيع التمر فأتته امرأة تبتاع تمراً فأعجبته ..الحديث، والكلبي ضعيف فإن ثبت حمل أيضاً على التعدد وظن الزمخشري أن عمرو بن غزية اسم أبي اليسر فجزم به فوهم.

وأما قصة عامر بن قيس فذكرها مقاتل بن سليمان في تفسيره.

وأما قصة عباد فحكاها القرطبي ولم يعزها وعباد اسم جد أبي اليسر فلعله نسب ثم سقط شيء وأقوى الجميع أنه أبو اليسر، والله أعلم[٢].

---

(١) فتح الباري٨/٣٥٦.

(٢) فتح الباري ٨/٣٥٧، والإصابة ٤/٦٦٨.

واعلم أن في كون الرجل في الحديث المذكور: أبا اليسر، هو أصح الأقوال الستة[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول الأول: أنه أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٢].

---

(١) عمدة القاري ١٢/٥.

(٢) المحرر الوجيز ٣٩٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/٧، والبحر المحيط ٩٤/٨، والتسهيل ٥٤/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٥٨/١.

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [1]

٩٥- مسألة: هل الآيتان للتهديد والوعيد، أو منسوخة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: صيغة الأمر في الموضوعين للتهديد والوعيد، والآيتان محكمتان[2].

القول الثاني: الآيتان منسوختان[3].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ وعيد وتهديد.

وقول من قال أنها منسوخة **ليس بصحيح**[4]؛ لما ذكرناه من قبل.

﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ مواعيد الشيطان ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ ما وعدنا ربنا من ظهور الإيمان واستفحال أمر الإسلام.

وقيل: المعنى: وانتظروا الدوائر بنا، إنا منتظرون أن يفعل بكم نحو ما فعل بأشياعكم وأشباهكم في الكفر من الدين، اقتص الله تعالى أخبارهم وأراكم آثارهم.

وزعم بعضهم أن هذا أيضاً منسوخ بآية السيف.

---

(١) سورة هود آية:١٢١-١٢٢.

(٢) تفسير مقاتل١٣١/٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٠٩٧/٦، ومعاني القرآن للنحاس٣٩٢/٣، وتفسير ابن أبي زمنين٣١٤/٢، والوجيز٥٣٧/١، وتفسير السمعاني٤٦٩/٢، والمحرر الوجيز٢١٧/٣، ونواسخ القرآن ١٨٢/١-١٨٣، ومفاتيح الغيب٦٥/١٨، والجامع لأحكام القرآن ١١٧/٩، ولباب التأويل٢٥٩/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩١/٧ وفتح القدير٥٣٥/٢، والتحرير والتنوير١٩٤/١٢.

(٣) الناسخ والمنسوخ للمقري١٠٦/١، والناسخ والمنسوخ لابن حزم٤١/١، والناسخ والمنسوخ لهبة الله البازري٣٧/١

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ١٠٦/١، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٤١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١٨٢/١-١٨٣.

والصحيح: أنه تهديد، فلا نسخ[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: صيغة الأمر في الموضوعين للتهديد والوعيد، والآيتان محكمتان.[٢]

وممن قال به:

١- مقاتل، وابن أبي حاتم.

٢- النحاس، وابن أبي زمنين، والواحدي، والسمعاني، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والخازن، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني، وابن عاشور[٣].

واستدلوا بما يلي :

أ- لأن بعدها قوله تعالى: ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

ب- أنها كقوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾[٤]

ج- وكقوله تعالى لإبليس :﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾[٥]

---

(١) رموز الكنوز ٢٦٤/٣.

(٢) روح المعاني١٦٧/١٢، والناسخ والمنسوخ للكرمي١٢٥/١.

(٣) تفسير مقاتل١٣١/٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٠٩٧/٦، ومعاني القرآن للنحاس٣٩٢/٣، وتفسير ابن أبي زمنين٣١٤/٢، والوجيز٥٣٧/١، وتفسير السمعاني٤٦٩/٢، والمحرر الوجيز٢١٧/٣، ونواسخ القرآن ١٨٢/١-١٨٣، ومفاتيح الغيب٦٥/١٨، والجامع لأحكام القرآن ١١٧/٩، ولباب التأويل٢٥٩/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩١/٧ وفتح القدير٥٣٥/٢، والتحرير والتنوير١٩٤/١٢.

(٤) سورة فصلت آية: ٤٠.

(٥) سورة الإسراء آية: ٦٤.

د- وكقوله : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [١]

ومن أقوالهم:

أ- قال الرازي: وقوله: ﴿ ٱعۡمَلُواْ ﴾ وإن كانت صيغته صيغة الأمر، إلا أن المراد منها التهديد[٢].

ب- قال ابن الجوزي: وقال المحققون هذا تهديد ووعيد معناه اعملوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة أمركم وانتظروا ما يعدكم الشيطان إنا منتظرون ما يعدنا ربنا وهذا لا ينافي قتالهم فلا وجه للنسخ[٣].

القول الثاني: الآيتان للموادعة، واقتضتا تركهم على أعمالهم والاقتناع بإنذارهم، ثم نسختها بآية السيف [٤].

وممن قال به: المقري، وابن حزم ، وهبة الله البازري[٥].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٣٣ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٣٤ ﴾ قال بعض المفسرين: هاتان الآيتان اقتضتا تركهم على أعمالهم والاقتناع بإنذارهم ثم نسختها بآية السيف.

وقال المحققون هذا تهديد ووعيد، معناه: اعملوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة أمركم، وانتظروا ما يعدكم الشيطان إنا منتظرون ما يعدنا ربنا، وهذا لا ينافي قتالهم فلا

---

(١) سورة الكهف آية: ٢٩.

(٢) مفاتيح الغيب١٨/٦٥.

(٣) نواسخ القرآن١/١٨٢.

(٤) نواسخ القرآن١/١٨٢، وروح المعاني١٢/١٦٧، والناسخ والمنسوخ للكرمي١/١٢٥.

(٥) الناسخ والمنسوخ للمقري١/١٠٦، والناسخ والمنسوخ لابن حزم١/٤١، والناسخ والمنسوخ لهبة الله البازري١/٣٧.

وجه للنسخ[١].

وليس هناك دليل على النسخ، ولا يصح القول بأن آية منسوخة ما لم يرد دليل صريح في ذلك.

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول أنها للتهديد والوعيد، والآيتان محكمتان لا نسخ فيها. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه[٢].

---

(١) نواسخ القرآن ١/١٨٢.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١/٢٠٠، والإحكام ٤/٤٨٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٨، وفتح القدير ٢/٨٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٧١.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝ ﴾ [١]

٩٦- مسألة: ما أصل اسم "يوسف"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: اسم عبراني[٢].

القول الثاني: اسم عربي[٣].

قال الرسعني:

"يوسف" اسم عبراني. وقيل: عربي. **وليس بصحيح؛** لأنه لو كان عربياً لانصرف؛ لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: اسم عبراني، أعجمي[٥].

وممن قال به:

١- النحاس، وابن جنى، ومكي بن أبي طالب.

٢- الزمخشري، والقرطبي، وابن الجوزي، والشوكاني، والألوسي[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) سورة يوسف آية: ٤.

(٢) إعراب القرآن ٥٠٦/١، والخصائص١٧٨/١، ومشكل إعراب القرآن٣٥٥/١، والكشاف٤١٦/٢، والجامع لأحكام القرآن١٢٠/٩، وزاد المسير٥٠/٢، وفتح القدير ٥/٣، وروح المعاني١٧٧/١٢.

(٣) النكت والعيون٨/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٢٠/٩، وفتح القدير ٥/٣.

(٤) رموز الكنوز ٢٧٠/٣.

(٥) النكت والعيون٨/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٢٠/٩، وفتح القدير ٥/٣.

(٦) إعراب القرآن ٥٠٦/١، والخصائص١٧٨/١، ومشكل إعراب القرآن٣٥٥/١، والكشاف٤١٦/٢، والجامع لأحكام القرآن١٢٠/٩، وزاد المسير٥٠/٢، وفتح القدير ٥/٣، وروح المعاني١٧٧/١٢.

أ- قال ابن الجوزي: فأما يوسف فهو اسم أعجمي[١].

ب- قال الألوسي: و ﴿ يُوسُفُ﴾ علم أعجمي لا عربي[٢].

القول الثاني: اسم عربي مشتق من الأسف [٣].

لم يرجحه أحد، إنما ذكروه ضمن الأقوال.

حاصل الدراسة:

قرأ الجمهور ﴿ يُوسُفُ﴾ بضم السين، وقرأ طلحة بن مصرف بكسرها مع الهمز مكان الواو، وحكى ابن زيد الهمز وفتح السين وهو غير منصرف للعجمة والعلمية، وقيل: أنه هو عربي والأول أولى؛ بدليل عدم صرفه[٤].

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾ [٥] حيث جر يوسف بالفتح، نيابة عن الكسرة؛ لكونه ممنوعاً من الصرف للعلمية، والعجمة.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن اسم يوسف أعجمي، لإجماع العلماء، وهو ترجيح الرسعني.
القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٦].

---

(١) زاد المسير٢/٥٠.

(٢) روح المعاني١٢/١٧٧.

(٣) النكت والعيون٣/٨، والجامع لأحكام القرآن ٩/١٢٠، وفتح القدير ٣/٥.

(٤) فتح القدير ٣/٥

(٥) سورة يوسف آية: ٧.

(٦) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [1]

٩٧- مسألة: ما معنى ﴿ **يَٰبُشْرَىٰ** ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كأنه قال أبشروا[2].

القول الثاني: نادى صاحبه اسمه بُشرى[3].

القول الثالث: اسم امرأة[4].

قال الرسعني:

ومن قرأ:" يا بشرى" بغير إضافة، أمكن أن يكون أراد: يا أيتها البشرى، أو: يا من حضر هذه البشرى.

قال الزجاج: معنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل؛ إنما هو على تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصة. إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: اعجبوا، ويا أيها العجبُ هذا من حينك. وكذلك إذا قال: يابشرايَ، فكأنه قال: أبشروا، وكأنه قال: يا أيها البشرى هذا من إبَّانِكِ وزمانك.

وذكر السدي: أنه نادى بذلك صاحبه، وكان اسمه: بُشرى.

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون اسم امرأة.

---

(١) سورة يوسف آية: ١٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢١١٣/٧، وتفسير الصنعاني٣٢٠/٢، وجامع البيان٤٤/١٣، ومعاني القرآن للنحاس٤٠٦/٣، والوجيز٥٤١/١، ولباب التأويل٢٧٠/٣، وفتح القدير ١٣/٣.معاني الزجاج٩٧/٣.

(٣) جامع البيان ٤٤/١٣، وبحر العلوم١٨٥/٢، ومعالم التنزيل٤٤٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٥٣/٩، ولباب التأويل ٢٧٠/٣، وزاد المسير٤٢١/٢، والتسهيل١١٦/٢، واللباب في علوم الكتاب٤٧/١١-٤٨.

(٤) معاني القرآن للنحاس٤٠٦/٣، ومفاتيح الغيب ٨٥/١٨، وزاد المسير٤٢١/٢، واللباب في علوم الكتاب٤٧/١١-٤٨.

والأول هو وجه الكلام. وقول السدي وابن الأنباري **في غاية البعد**؛ لأن طريق ثبوته النقل، ولا سبيل لهما إليه[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كأنه قال أبشروا[٢].

وممن قال به:

١- أبو روق، قتادة.

٢- ابن أبي حاتم، والصنعاني، والنحاس، والواحدي، والخازن، والشوكاني[٣].

واستدلوا بما يلي :

أنَّها كلمةٌ تذكَّر عند البشارةِ، كقولهم: يا عجبا من كذا، وقوله :﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [٤] [٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال القرطبي، والشوكاني: ﴿ يَـٰبُشۡرَىٰ ﴾ غير مضاف، ومعنى مناداته للبشرى أنه أراد حضورها في ذلك الوقت، فكأنه قال هذا وقت مجيئك وأوان حضورك، وقيل: إنه نادى رجلاً اسمه بشرى، والأول أولى[٦].

ب- قال ابن عاشور: ونداء البشرى مجاز؛ لأنّ البشرى لا تنادى، ولكنها شبّهت

---

(١) رموز الكنوز٣/٢٩٩.

(٢) بحر العلوم٢/١٨٥، ومعالم التنزيل٢/٤٤٥، وزاد المسير٢/٤٢١، ومفاتيح الغيب ١٨/٨٥، والجامع لأحكام القرآن ٩/١٥٣، والتسهيل٢/١١٦.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٧/٢١١٣، وتفسير الصنعاني٢/٣٢٠، ومعاني الزجاج٣/٩٧، وجامع البيان١٣/٤٤، ومعاني القرآن للنحاس٣/٤٠٦، والوجيز١/٥٤١، ولباب التأويل٣/٢٧٠، وفتح القدير ٣/١٣.

(٤) سورة يوسف آية: ٨٤.

(٥) اللباب في علوم الكتاب١١/٤٧-٤٨.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٥٣، وفتح القدير ٣/١٣.

بالعاقل الغائب الذي احتيج إليه فينادى كأنه يقال له: هذا آن حضورك. ومنه: يا حسرتَا، ويا عجباً، فهي مكنية وحرف النداء تخييل أو تبعية. والمعنى: أنه فرح وابتهج بالعثور على غلام[١].

القول الثاني: الذي نادى كان اسمُ صاحبه بُشرى فناداه، فقال: يا بُشْرَاي، كما تقول: " يَا زَيْدُ ". بشر أصحابه بأنه وجد عبداً[٢].

وممن قال به: السدي[٣].

القول الثالث: اسم امرأة.

وممن قال به: الأعمش، وابن الأنباري[٤].

ومن أقوالهم: عن الأعمش أنه قال: دعا امْرأةً اسمها بُشْرَى[٥].

حاصل الدراسة:

قول السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوه، معلماً له أنه أصاب غلاماً، ليعينه على إخراجه، قول غريب؛ لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا[٦]. وضعفه النحاس، وابن كثير، والألوسي؛ لأنه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيراً وإنما يأتي بالكناية[٧].

وهنا نادى البشرى بشارة لنفسه، أو لقومه ورفقته، كأنه نزلها منزلة شخص فناداه،

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤١/١٢.

(٢) جامع البيان ٤٤/١٣، وبحر العلوم ١٨٥/٢، ومعالم التنزيل ٤٤٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٥٣/٩، ولباب التأويل ٢٧٠/٣، وزاد المسير ٤٢١/٢، والتسهيل ١١٦/٢، واللباب في علوم الكتاب ٤٧/١١-٤٨.

(٣) مفاتيح الغيب ٨٥/١٨.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤٠٦/٣، ومفاتيح الغيب ٨٥/١٨، وزاد المسير ٤٢١/٢، واللباب في علوم الكتاب ٤٧/١١-٤٨.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٤٠٦/٣، ومفاتيح الغيب ٨٥/١٨، واللباب في علوم الكتاب ٤٧/١١-٤٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢/٨.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٥٣/٩.

فهو استعارة مكنية وتخييلية، أي: يا بشرى تعالى فهذا أوان حضورك[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول أنَّها كلمةٌ تذكَّر عند البشارةِ. وهو ترجيح المفسرين، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة[٢].

---

(١) روح المعاني١٢/٢٠٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢١٠، والمحرر الوجيز ١/١٢٨، ومفاتيح الغيب ٣/١١٥، وأضواء البيان ٣/٢٠٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٢٥.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

٩٨- مسألة: ما هو الفاعل في قوله: ﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنهم واردوا الجُبّ، أسرُّوا ابتياعه عن باقي أصحابهم(٢).

القول الثاني: أن الضمير يعود إلى أخوة يوسف(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ﴾ قال الزجاج:" بضاعة" منصوب على الحال، كأنه قال: وأسرُّوه جاعِلِيه بضاعة.

وقال غيره: البضاعة: ما بُضعَ من مال التجارة، أي: قُطِع، وضمير الفاعل في قوله: "وأسرُّوه" عن باقي أصحابهم، على ما حكيناه عن ابن عباسﷺ.

وقيل: يعود الضمير إلى إخوة يوسف، والقولان عن ابن عباسﷺ.

والأول أظهر(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنهم واردوا الجُبّ، أسرُّوا ابتياعه عن باقي أصحابهم، وتواصوا أنه

---

(١) سورة يوسف آية ١٩.

(٢) معالم التنزيل٢/٤٤٥، والكشاف٢/٤٢٦، والجامع لأحكام القرآن٩/١٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٢٢.

(٣) معالم التنزيل٢/٤٤٥، والكشاف٢/٤٢٦، والجامع لأحكام القرآن٩/١٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٢٢.

(٤) رموز الكنوز٣/٣٠١.

بضاعةٌ استبضعهم إياها أهل الماء[١].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد.

٢- الطبري، وابن أبي حاتم، وابن عطية، والرازي، والخازن، وأبو حيان، وابن عادل، والشوكاني، وابن عاشور[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: وأسرَّ واردُ القوم المدلى دلوه ومن معه من أصحابه من رُفقتِه السيارة، أمر يوسُف أنهم اشترَوه؛ خيفةً منهم أن يستشرِكوهم، وقالوا لهم: هو بضاعةٌ أبضعها معنا أهلُ الماء. وذلك أنه عقِب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليه من الخبر خبراً عنه، أشبهُ من أن يكون خبراً عمَّن هو بالخبر عنه غيرُ متصلٍ[٣].

ب- قال الخازن: بعد ذكر القولين: والقول الأول أصح؛ لأن مالك بن ذعر هو الذي أسره بضاعة وأصحابه[٤].

ج- قال ابن عاشور: والضمير للسيارة لا محالة[٥].

القول الثاني: أن الضمير يعود إلى أخوة يوسف، أسروا أمره وباعوه، وقالوا: هو

---

(١) معالم التنزيل٢/٤٤٥، والكشاف٢/٤٢٦، والجامع لأحكام القرآن٩/١٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٢٢.

(٢) جامع البيان ١٣/٤٩، وتفسير ابن أبي حاتم٧/٢١١٤، والمحرر الوجيز٣/٢٢٩، ومفاتيح الغيب١٨/٨٦، وزاد المسير٢/٤٢٢، ولباب التأويل ٣/٢٧٠، والبحر المحيط٥/٢٩١، واللباب في علوم الكتاب١١/٤٩، وفتح القدير٣/١٣، وروح المعاني١٢/٢٠٤، والتحرير والتنوير١٢/٢٤٢.

(٣) جامع البيان ١٣/٤٩.

(٤) لباب التأويل ٣/٢٧٠.

(٥) التحرير والتنوير١٢/٢٤٢.

بضاعة لنا[١].

وممن قال به: ابن عباسرضي الله عنه[٢].

واستدلوا بما يلي:

عن ابن عباسرضي الله عنه قوله: ﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ﴾ يعني: أخوة يوسف أسروا شأنه، وكتموا أن يكون أخاهم، فكتم يوسف شأنه، مخافة أن تقتله إخوته، واختار البيع، فذكره إخوته لوارد القوم، فنادى أصحابه، قال: يا بشرى، هذا غلام يباع. فباعه إخوته[٣].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾ الظَّاهرُ أن الضمير المرفوع يعود على السَّيَّارة، وأن الوارد، وأصحابه أخفوا من الرفقةِ أنهم وجدوهُ في الجبّ، وقالوا: إن قلنا للسَّيَّارة التقطناه شاركونا، وإن قلنا: اشتريناه سألونا الشّركة، فلا يضرُّ أن نقول: إنَّ أهل الماءِ جعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه بمصر. ورجح هذا القول جمهور المفسرين. وذلك أنه عقِب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليه من الخبر خبراً عنه، أشبهُ من أن يكون خبراً عمَّن هو بالخبر عنه غيرُ متصلٍ.

ونقل عن ابنُ عبَّاسٍرضي الله عنه: ﴿ وَأَسَرُّوهُ ﴾ يعني: إخوة يوسف أخفوا كونه أخاهم، ولم يرجحه المفسرون[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الضمير يرجع للسيارة، لأنه اقرب مذكور. وهو ترجيح المفسرين، وترجيح الرسعني.

---

(١) معالم التنزيل٢/٤٤٥، والكشاف٢/٤٢٦، والجامع لأحكام القرآن٩/١٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٢٢.

(٢) زاد المسير ٢/٤٢٢.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/٤٩.

(٤) اللباب في علوم الكتاب١١/٤٩.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[1].

(1) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب ١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [١]

٩٩- مسألة: هل الياء ساكنة أو متحركة في قراءة "بشراي" على الإضافة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: تسكين الياء[٢].

القول الثاني: تحريك الياء[٣].

قال الرسعني:

﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ ﴾ قرأ أهل الكوفة "بُشُرى" غير مضاف، وأماله حمزة والكسائي، وقرأ الباقون "بُشُرَايَ" على الإضافة، وورش يُسكِّن الياء، **وفيه بُعد؛** لما فيه من التقاء الساكنين، ومن أجازه فلحيلولة المدَّة بينهما، وأماله بين اللفظين ورش من طريق المصريين[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: إسكان الياء وإثبات الألف، في قراءة "بشراي" على الإضافة.

وممن قال به: ورش عن نافع[٥].

القول الثاني: تفتح الياء في قراءة "بشراي" على الإضافة.

وممن قال به:

١- قراءة ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر[١].

---

(١) سورة يوسف آية:١٩.

(٢) زاد المسير٢/٤٢١.

(٣) زاد المسير٢/٤٢١.

(٤) رموز الكنوز٣/٢٩٧.

(٥) المحرر الوجيز٣/٢٢٨.

٢- ابن مجاهد، وابن زنجلة، والدمياطي[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن مجاهد:" وروى ورش عن نافع بسكون الياء، والباقون عن نافع بتحريك الياء إلا (محيآئ). ورأيت أصحاب ورش لا يعرفون هذا، ويروون عنه بفتح الياء في هذا كله"[٣].

ب- قال ابن زنجلة:" فتح الياء على أصلها؛ لئلا يلتقي ساكنان، فجرت مجرى عصاي وبشراي، كما تقول يا غلام زيد"[٤].

ج- قال الزمخشري: "وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حدِّه إلا أن يقصد الوقف"[٥].

حاصل الدراسة:

الحجة لمن طرح الألف أنه جعله اسم غلام مأخوذ من البشارة، مبني على وزن فعلى[٦].

والحجة لمن أثبت الألف أراد الإضافة إلى نفسه كقوله: ياحسرتي، وياويلتي[٧].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر يا بشراي بإضافة البشرى إلى المتكلم وبفتح الياء على ندائها كأنه يقول احضري فهذا وقتك. وروى ورش عن نافع يا بشراي بسكون الياء. قال أبو علي: وفيها جمع بين ساكنين على حد دابة وشابة؛ ووجه ذلك أنه يجوز أن تختص بها الألف لزيادة المد الذي فيها على المد الذي في أختيها، كما

---

(١) السبعة في القراءات ص٣٤٧، والمحرر الوجيز٣/٢٢٨، والدر المصون٦/٤٥٩.

(٢) السبعة في القراءات ص٣٤٧، وحجة القراءات لابن زنجلة١/٣٥٧، وإتحاف فضلاء البشر١/٣٣٠.

(٣) السبعة في القراءات ص٣٤٧.

(٤) حجة القراءات لابن زنجلة ١/٣٥٧.

(٥) الكشاف ٢/٤٢٦.

(٦) الحجة في القراءات لابن خالويه١/١٩٤.

(٧) الحجة في القراءات لابن خالويه١/١٩٤.

اختصت في القوافي بالتأسيس، واختصت في تخفيف الهمزة، نحو هبأة، وليس شيء من ذلك في الياء والواو[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: تحريك الياء، على قراءة الجمهور.

القاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٢].

---

(١) المحرر الوجيز٣/٢٢٨، والدر المصون٦/٤٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى١٣/٣٩١، والنشر ١/١٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٨٩.

قال تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[١]

١٠٠- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: بمعنى البيع[٢].

القول الثاني: بمعنى الشراء[٣].

قال الرسعني:

﴿ **وَشَرَوْهُ** ﴾ هو من الأضداد، بمعنى البيع وبمعنى الشراء. فإن أريد الأول – **وهو الأظهر في التفسير**– فضمير الفاعل يعود إلى إخوة يوسف.

وإن أريد الثاني؛ فالضمير للوارد ولأصحابه[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: بمعنى البيع، والضمير يعود إلى أخوة يوسف، أو إلى السيارة[٥].

---

(١) سورة يوسف آية ٢٠.

(٢) جامع البيان١٣/٥٣، ومعالم التنزيل٢/٤٤٥، والكشاف ٢/٤٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٩/١٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٢٣.

(٣) زاد المسير٢/٤٢٢، ولباب التأويل ٣/٢٧١، والدر المصون٦/٤٦١، واللباب في علوم الكتاب ١١/٤٩-٥٠، وروح المعاني١٢/٢٠٤.

(٤) رموز الكنوز ٣/٣٠١.

(٥) زاد المسير٢/٤٢٢، ولباب التأويل ٣/٢٧١، والدر المصون٦/٤٦١، واللباب في علوم الكتاب ١١/٤٩-٥٠، وروح المعاني١٢/٢٠٤.

وممن قال أن الضمير يعود إلى أخوة يوسف:

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، والضحاك، وعكرمة[١].

٢- الطبري، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، وابن كثير[٢].

واستدلوا بما يلي:

أ- قال ابن عباس ﷺ: إن إخوة يوسف لما طرحوا يوسف في الجب ورجعوا، عادوا بعد ثلاث يتعرفون خبره، فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا: هذا عبدنا أبق منا فقالوا لهم: فبيعوه منا فباعوه منهم[٣].

ب- قول الشاعر[٤]:

وشريتُ بُرداً ليتني من بعد بُردٍ كنتُ هامه

ومن أقوالهم:

١- قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: وشرى إخوة يوسف يوسف بثمن بخس. وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرُّوا شراء يوسف من أصحابهم، خيفة أن يستشركوهم بادعائهم أنه بضاعة، ولم يقولوا ذلك إلا رغبةً فيه أن يخلُص لهم دونهم، واسترخاصاً لثمنه الذي ابتاعوه به؛ لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه ﴿ بِثَمَنٍۭ بَخۡسٖ ﴾ . ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين لم يكن لقيلهم لرفقائهم هو بضاعة معنى ولا كان لشرائهم إياه وهم فيه من الزاهدين وجه إلا أن يكونوا كانوا مغلوبا على عقولهم؛ لأنه محال أن يشترى صحيح العقل ما هو فيه زاهد من غير إكراه مكره له عليه ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول هو بضاعة لم أشتره مع زهده فيه بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضنين؛ لنفاستها

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٢٣.

(٢) جامع البيان١٣/٥٣، ومعالم التنزيل٢/٤٤٥، والكشاف ٢/٤٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٩/١٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب١٨/٨٦.

(٤) الدر المصون٢/٣٥٧، (٩٠٤) قول يزيد بن مفرغ الحميري. جامع البيان١٣/٥١، والمحرر الوجيز ٣/٢٢٩.

عنده، ولما يرجو من نفيس الثمن لها وفضل الربح[١].

٢- قال ابن كثير: إن الضمير في قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ عائد على إخوة يوسف، وقال قتادة بل هو عائد على السيارة والأول أقوى؛ لأن قوله: ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ إنما أراد إخوته، لا أولئك السيارة؛ لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه، فترجح من هذا أن الضمير في ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ إنما هو لأخوته[٢].

وممن قال أن الضمير يعود إلى السيارة: الحسن، وقتادة[٣].

القول الثاني: بمعنى الشراء. والضمير يعود للوارد وأصحابه، والمعنى أن القوم اشتروه وكانوا فيه من الزاهدين[٤].

واستدلوا بما يلي:

أ- بقول الشاعر:

ولو أن هذا الموت يقبلُ فديةً شريتُ أبا زيدٍ بما ملكت يدي[٥]

ب- وقال آخر:

فلما شراها فاضت العين عبرة

أي: اشتراها[٦].

---

(١) جامع البيان ١٢/٥٢-٥٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٢٣.

(٣) زاد المسير٢/٤٢٢

(٤) زاد المسير٢/٤٢٢، ولباب التأويل ٣/٢٧١، والدر المصون٦/٤٦١، واللباب في علوم الكتاب ١١/٤٩-٥٠، وروح المعاني١٢/٢٠٤.

(٥) البحر المحيط ٥/٢٩١.

(٦) فتح القدير٣/١٣.

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ هذا حرف من حروف الأضداد، تقول شريت الشيء بمعنى بعته، وشريته بمعنى اشتريته، فإن كان بمعنى اشتروه فإنهم السيارة

وإن كان بمعنى باعه ففيهم قولان: أحدهما: أنهم إخوته، والثاني أنهم السيارة، ولم يبعه إخوته[١].

وإنما وجب حمل هذا الشراء على البيع؛ لأن الضمير في قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ وفي قوله: ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ عائد إلى شيء واحد لكن الضمير في قوله: ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ عائد إلى الإخوة فكذا في قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ يجب أن يكون عائداً إلى الإخوة ، وإذا كان كذلك فهم باعوه فوجب حمل هذا الشراء على البيع.

قال ابن عاشور: ومن فسر ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ باشتروه أخطأ خطأ أوقعه فيه سوء تأويل قوله: ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ . وما ادّعاه بعض أهل اللغة أن شرى واشترى مترادفان في معنييهما يغلب على ظني أنه وَهَم إذ لا دليل يدل عليه[٢].

وقال محمد بن إسحاق: وربُّك أعلمُ أن إخوته باعوه، أم السيارة[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه بمعنى البيع، وضمير الفاعل يعود إلى إخوة يوسف. وهو قول جمهور المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها[٤].

---

(١) زاد المسير ٢/٤٢٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٢/٥٠.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١١/٥٠، ومفاتيح الغيب ١٨/٨٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٨، ومفاتيح الغيب ٢٢/٤٦، والتسهيل ٢/٧٦، وروح المعاني ٣٠/٢١٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦١٣.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]

١٠١- مسألة: ما المراد بالبرهان؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة، ورأى جبريل في صورة يعقوب يتوعده[2].

القول الثاني: قامت على صنم لها في البيت فسترته بثوب، فهو البرهان الذي رأى[3].

القول الثالث: أن البرهان الذي رآه زواجر العقل والدين والحجج المأخوذة على المكلفين من اجتناب المحارم[4].

القول الرابع: أنه بدت بينهما كفٌّ ليس لها عضد ولا معصم.وفيها مكتوب بعض الآيات القرآنية[5].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ ﴾ فيه إضمار، تقديره: لفعل ما همَّ به.

قال ابن عباسﷺ وجمهور المفسرين: رأى جبريل صورة يعقوب عاضّاً على أصبعه، يقول: أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في الأنبياء فاستحيا منه[6].

---

(١) سورة يوسف آية: ٢٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣/١٠١، والكشاف٢/٤٣١، وفتح القدير ١٨/٣.

(٣) الكشاف٢/٤٣١، وفتح القدير ١٨/٣.

(٤) رموز الكنوز٣/٣١٣.

(٥) الكشاف٢/٤٣١، وفتح القدير ١٨/٣.

(٦) جامع البيان ٨٩/١٣، وابن أبي حاتم٧/٢١٢٤.

وقال علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين عليهما السلام: قامت إلى صنم لها في البيت فسترته بثوب، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي أن يراني على هذه السوأة. فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا استحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت، فهو البرهان الذي رأى[١].

والذي عليه جمهور أهل المعاني والنظر الصحيح: أن البرهان الذي رآه زواجر العقل والدين والحجج المأخوذة على المكلفين من اجتناب المحارم. **وقد نقلوا في تفسير البرهان أقوالاً يقطع العقل بفسادها.**

منها: أنه بدت بينهما كفٌّ ليس لها عضد ولا معصم، وفيها مكتوب: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[٢]، فقام هارباً وقامت، فلما ذهب عنهما الروع عادا، فلما قعدا إذا بكفٍّ قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٣] فقاما ثم عادا، فقال، فقال الله تعالى لجبريل: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحطّ جبريل عاضاً على كفه أو أصبعه يقول: أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء.

ورووا عن وهب أنه قال: ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[٤] ، فانصرفا، ثم عادا فظهرت وعليها مكتوب: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾[٥] فانصرفا، ثم عادا وظهر عليها مكتوب: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٦].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية٣/١٨١، وزاد المسير٢/٤٣١.

(٢) سورة الإسراء آية: ٣٢.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٨١.

(٤) سورة الرعد آية: ٣٣.

(٥) سورة الانفطار آية: ١٠-١١.

(٦) سورة البقرة آية: ٢٨١.

وهذه الوجوه وأمثالها لا تثبت على محك النقل ولا عند حاكم العقل، وإنما هي مما يروج بها القصَّاص مجالسهم ويجتلبون بها عقول العامة، **وليست من الصحة والتحقيق في شيء**.

والذي يصحح ما ذكرناه ويفسد قولهم: قول امرأة العزيز حين أفصحت بسرها: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ ﴾ [١] وهذا النبأ موضوع للمبالغة، ومثله: استمسك، واستفحل الخطب، واستوسع الفتق.

قال بعض العلماء: لو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدَّهم حدقة واصلبَهم وجهاً لقي بأدنى من هذا، لم يبق له عرق ينبض، ولا عضو يتحرك، خوفاً وفرقاً، فكيف بنبي الله تعالى ابن نبي الله تعالى، فيا لَهُ من قول ما أفحشه، وضلالٍ ما أبْيَنَه[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة، ورأى جبريل في صورة يعقوب يتوعده[٣].

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، ومجاهد، والضحاك، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وحميد بن عبد الرحمن[٤]، وجمهور المفسرين[٥].

ومن أقوالهم:

أ- عن الحسن في قوله: ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ ﴾ . قال: رأى يعقوب عاضّاً

---

(١) سورة يوسف آية: ٣٢.

(٢) رموز الكنوز ٣/٣١٣-٣١٥.

(٣) أخرجه الطبري١٣/٩٠، وابن أبي حاتم ٧/٢١٢٤، وفتح القدير ٣/١٨.

(٤) هو: حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أبو إبراهيم، توفي سنة ٩٥هـ. انظر: الكاشف١/٣٥٣، وتهذيب التهذيب٣/٤٠.

(٥) جامع البيان ١٣/٨٧-٩٥، وتفسير ابن أبي حاتم٧/١١٢٤.

على إصبعه يقول: يوسف[١].

ب- قال قتادة: رأى صورة يعقوب، فقال: يا يوسف، تعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في الأنبياء؟! فاستحيا منه[٢].

القول الثاني: قامت على صنم لها في البيت فسترته بثوب، فهو البرهان الذي رأى[٣].

وممن قال به:

علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين عليهما السلام، والضحاك[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين عليهما السلام: قامت إلى صنم لها في البيت فسترته بثوب، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: استحي من إلهي أن يراني على هذه السوأة. فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا استحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت، فهو البرهان الذي رأى[٥].

القول الثالث: أن البرهان الذي رآه زواجر العقل والدين والحجج المأخوذة على المكلفين من اجتناب المحارم[٦].

وممن قال به: ابن قتيبة، وابن الجوزي[٧].

ومن أقوالهم:

---

(١) جامع البيان ٩٥/١٣.
(٢) جامع البيان٩٥/١٣.
(٣) زاد المسير ٤٣١/٢.
(٤) زاد المسير ٤٣١/٢.
(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية١٨١/٣.
(٦) رموز الكنوز٣١٣/٣.
(٧) زاد المسير ٤٣١/٢.

قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح، وما تقدمه فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القُصَّاص[١].

القول الرابع: بعض الروايات الإسرائيلية:

١- أنه بدت بينهما كفٌّ ليس لها عضد ولا معصم.وفيها مكتوب: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [٢]، فقام هارباً وقامت، فلما ذهب عنهما الروع عادا، فلما قعد إذا بكفٍّ قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [٣] فقاما ثم عادا، فقال الله تعالى لجبريل: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحطّ جبريل عاضاً على كفه أو أصبعه يقول: أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء.

٢- ورووا عن وهب أنه قال: ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [٤]، فانصرفا، ثم عادا فظهرت وعليها مكتوب: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [٥]فانصرفا، ثم عادا وظهرت عليها مكتوب: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [٦].

وممن قال به:

وهب بن منبه، ومجاهد عن ابن عباسﷺ، والضحاك عن ابن عباسﷺ، ومحمد بن

---

(١) زاد المسير ٤٣١/٢.

(٢) سورة الإسراء آية: ٣٢.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٨١.

(٤) سورة الرعد آية: ٣٣.

(٥) سورة الانفطار آية:١٠-١١.

(٦) سورة البقرة آية: ٢٨١.

كعب القرظي[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الضحاك عن ابن عباسﷺ: أن الله تعالى بعث ملكاً، فكتب في وجه المرأة بالدم: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنه سيده العزيز دنا من الباب، فرأى ظل الملك.

ومن قال به أو روي عنه:

ابن عباسﷺ، ورواه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم[٣].

ومن أقوالهم:

قال ابن إسحاق: يقال: إن البرهان خيال سيده، رآه عند الباب فهرب[٤].

٢- أن يوسف رأى آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة.

ومن قال به: الطبري، والشوكاني.

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة.

وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنى، ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك من أي.

---

(١) جامع البيان ٩٨/١٣، وزاد المسير ٤٣١/٢.

(٢) زاد المسير ٤٣١/٢.

(٣) جامع البيان ٩٩/١٣.

(٤) زاد المسير ٤٣١/٢.

والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى والإيمان به وترك ما عدا ذلك إلى عالمه[١].

ب- قال الشوكاني: والحاصل أنه رأى شيئاً حال بينه وبين ما هم به[٢].

حاصل الدراسة:

البرهان في كلام العرب الشيء الذي يعطي القطع واليقين، كان مما يعلم ضرورة، أم بخبر قطعي، أو بقياس نظري، فهذه التي رويت فيما رآه يوسف براهين[٣].

والأقوال الإسرائيلية التي رويت عن وهب بن منبه وغيره وذكرها بعض المفسرين لم يذكروا آية يحتج بها، ولا حديثاً صحيحاً يعول عليه في تصحيح هذه المقالة، وقد جزم الرسعني بفساد هذه الأقوال؛ لعدم صحتها نقلاً وعقلاً[٤].

ثم يلاحظ هذا الاضطراب الفاحش في الروايات؟! الذي لا يمكن التوفيق بينه كهذا من العلل التي رد المحدثون بسببها الكثير من المرويات؟! لأنه أمارة من أمارات الكذب والاختلاق، والباطل الجلج، وأما الحق فهو أبلج.

ثم كيف يتفق ما حيك حول نبي الله يوسف -عليه الصلاة والسلام -وقول الحق - تبارك - عقب ذكر الهمّ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[٥]، فهل يستحق هذا الثناء من حل التكة، وخلع السروال، وجلس بين رجليها؟! ولا أدري أنصدق الله: تبارك وتعالى، أم نصدق كذبة بني إسرائيل ومخرفيهم؟!!

بل كيف ما روى هو وما حكاه الله -عز وجل- عن زليخا بطلة المراودة، حيث

---

(١) جامع البيان ٩٩/١٣.

(٢) فتح القدير ١٨/٣.

(٣) المحرر الوجيز٢٣٥/٣.

(٤) مفاتيح الغيب٩٢/١٨.

(٥) سورة يوسف آية: ٢٤.

قال: ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [١]وهو اعتراف صريح من البطلة التي أعيتها الحيل عن طريق التزين حيناً، والتودد إليه بمعسول القول، حيناً آخر، والإرهاب والتخويف حيناً ثالثاً، فلم تفلح: ﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [٢].

وللنظر ماذا كان جواب السيد العفيف، الكريم ابن الكريم، البن الكريم، ابن الكريم: يوسف بن يعقوب، بن إسحاق، ابن إبراهيم – عليهم صلوات الله وسلامه-: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [٣] وقصده – عليه السلام- بقوله: ﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ ﴾ تبرؤ من الحول والطول، وأن الحول والقوة إنما هما من الله، وسؤال منه لربه، واستعانة به على أن يصرف عنه كيدهن، وهكذا: شأن الأنبياء.

بل قد شهد الشيطان نفسه ليوسف – عليه السلام- في ضمن قوله: كما حكاه الله سبحانه عنه بقوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [٤]، ويوسف بشهادة الحق السالفة من المخلصين.

وكذلك شهد ليوسف شاهد من أهلها، فقال: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ

---

(١) سورة يوسف آية: ٥١.

(٢) سورة يوسف آية: ٣٢.

(٣) سورة يوسف آية: ٣٣-٣٤.

(٤) سورة ص آية: ٨٢-٨٣.

﴾[١]، وقد أسفر التحقيق عن براءة يوسف وإدانة زليخا: امرأة العزيز.

فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة الصادقة، وتلك الروايات المزورة؟!! وقد ذكر الكثير من هذه الروايات المفسرون من غير أن ينبهوا إلى زيفها.

وهي مرويات غثة مكذوبة يأباها النظم الكريم، ويجزم العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء- عليهم السلام-.

وهي إما إسرائيليات وخرافات وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء، الذين أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين، ثم حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا وتلقاها عنهم بعض الصحابة، والتابعين، بحسن نية، أو اعتماداً على ظهور كذبها وزيفها.

وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة، دسها عليهم أعداء الأديان، كي تروج تحت هذا الستار، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد، وتعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى أنه رأى شيئاً حال بينه وبين ما هم به، ولم يصرح به الله تعالى. فنؤمن به وترك ما عدا ذلك.

القاعدة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة[٣].

القاعدة: كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود[٤].

---

(١) سورة يوسف آية: ٢٦-٢٨.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢٢٠-٢٢٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٥، والمحرر الوجيز ١٢٨/١، ومفاتيح الغيب ١١٥/٣، وأضواء البيان ٢٠٦/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٢٥/١.

(٤) المحرر الوجيز٢٣٥/٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٧/٣، والبحر المحيط٢٩٤/٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين٣٢٨/١.

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1]

١٠٢- مسألة: ما القراءة في قوله تعالى: ﴿ وَلَيَكُونًا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "وليكوناً". بالتخفيف

القول الثاني: "وليكونن". بالتشديد.

قال الرسعني:

﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا ﴾ وقرئ شاذاً:"وليكونن" بالتشديد.

والقراءة الأولى أولى؛ لأن جمهور القراء عليها.

ولأن النون مكتوبة في المصحف ألفاً على حكم الوقف؛ لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف، تقول: اضربن زيداً، فإذا وقفت قلت: اضرباً، وعليه حمل قول أبي الطيب[2]:

باد هواكَ صبرتَ أم لم تصبرا .....

ومثل هذا قوله: ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [3] [4]

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة يوسف آية: ٣٢.

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي، وتكملة البيت: (وبُكاك إن لم يجر دمعكَ أو جَرَى)، انظر: زهر الآداب وثمر الألباب١/١٤٣، باب جملة من ألفاظ أهل العصر في صفة الكتب، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ١/٣٦٣.

(٣) سورة العلق آية: ١٥.

(٤) رموز الكنوز ٣/٣٣٤.

القول الأول: تقرأ بالتخفيف ﴿ وَلَيَكُونًا ﴾ ؛ لأن نونه هي النون الخفيفة، والوقف عليه بالألف. وهي شبيهة نون الإعراب في الأسماء في قول القائل: رأيت رجلاً عندك. فإذا وقف على الرجل قيل: رأيت رجلا. فصارت النون ألفاً[١].

وممن قال به:

أبو شامة، والزجاج، وابن الجوزي، والرازي، والشوكاني، والألوسي[٢].

واستدلوا بما يلي:

١- أن مثلها في القرآن قوله تعالى: ﴿ لَنَسْفَعًۢا ﴾ [٣].

٢- ومثلها قول الأعشى: [٤]

وصلِّ على حين العشيَّاتِ والضُّحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وإنما هو: فاعبدَنْ. ولكن إذا وقف عليه كان الوقف بالألف[٥].

٣- وكقول الشاعر:

وإياك والميتات لا تقربنَّها ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا [٦]

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ القراءةُ الجيدةُ تخفيف "وليكونن" والوقوف عليها بالألف؛ لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف، تقول: اضرباً زيداً، وإذا وقفت قلت: اضربا. وقد قُرئت "وليكونَّ" بتشديد

---

(١) جامع البيان١٣/١٤٣، والمحرر الوجيز ٣/٢٤١، والدر المصون ٦/٤٩٢.

(٢) إبراز المعاني من حرز الأماني٢/٧٢٤، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٠٨، وزاد المسير٢/٤٣٧، ومفاتيح الغيب، وفتح القدير٣/٢٣، وروح المعاني١٢/٢٣٤

(٣) سورة العلق آية: ١٥.

(٤) جامع البيان١٣/١٤٣، والمحرر الوجيز ٣/٢٤١.

(٥) جامع البيان١٣/١٤٣.

(٦) الدر المصون ٦/٤٩٢.

النون، وأكرهها، لخلاف المصحف؛ لأن الشديدة لا يُبدل منها شيءٌ. والصاغرون: المذلُّون[١].

ب- قال السمين الحلبي: وقرأت فرقةٌ بتشديدها، وفيها مخالفةٌ لسواد المصحف لكتبها فيه ألفاً؛ لأن الوقف عليها كذلك[٢].

ج- قال الشوكاني: قرئ "ليكونن" بالتثقيل والتخفيف، قيل: والتخفيف أولى؛ لأن النون كتبت في المصحف ألفاً على حكم الوقف، وذلك لا يكون إلا في الخفيفة[٣].

القول الثاني: القراءة بالتشديد "وليكونن".[٤]

وممن قال به: لم أقف على من رجحه من المفسرين، إنما ذكروه من ضمن الأقوال في القراءة فقط ولم ينسب لأحد هذا القول.

حاصل الدراسة:

قرأ العامة بتخفيف نون "وليكونن"، ويقفون عليها بالألف إجراءً لها مجرى التنوين، ولذلك يحذفونها بعد ضمةٍ أو كسرةٍ نحو: "هل تقومون" و "هل تقومين" في: "هل تقومن" و "هل تقومِن"، والنون الموجودة في الوقف نون الرفع رجعوا بها عند عدم ما يقتضي حذفها،

والقراءة بالتشديد فيها مخالفةٌ لسواد المصحف لكتبها فيه ألفاً؛ لأن الوقف عليها كذلك[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: قراءة العامة بتخفيف النون، وهي الموافقة لرسم المصحف.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١٠٨/٣، وزاد المسير ٤٣٧/٢.

(٢) الدر المصون ٤٩٢/٦.

(٣) فتح القدير ٢٣/٣.

(٤) جامع البيان ١٤٣/١٣، والمحرر الوجيز ٢٤١/٣، والدر المصون ٤٩٢/٦، وفتح القدير ٢٣/٣

(٥) جامع البيان ١٤٣/١٣، والدر المصون ٤٩٢/٦.

القاعدة: الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى[1].

(1) جامع البيان ٣٤١/١٨، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩٨/٥، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٤/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/١١٠.

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1]

١٠٣- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل[2].

القول الثاني: نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤيا على الإطلاق[3].

قال الرسعني:

﴿ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ ﴾ التي هذا شأنها ﴿ بِعَٰلِمِينَ ﴾ هذا قول عامة المفسرين[4].

ويجوز أن يكونوا نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤيا على الإطلاق. **وهذا هو الأظهر عندي؛** لأن الأخاليط لا تأويل لها، فتُعلم، ولأنهم لم يكونوا من أولي المهارة في العبارة ولا معروفين بالعلم بالتأويل، ولهذا قال: ﴿ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴾ [5]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل. وإنما التأويل للمنامات الصادقة، وهو إشارة إلى للعذر عن جهلهم،كأنهم قالوا هذه رؤيا باطلة وكل رؤيا كذلك لا نعلم تأويلها، أي: لا تأويل لها حتى نعلمه[6].

---

(١) سورة يوسف آية: ٤٤.

(٢) جامع البيان١٣/١٨١، ومعاني القرآن للزجاج٣/١١٣، والوجيز١/٥٤٨، والمحرر الوجيز٣/٢٤٨، ومفاتيح الغيب١٨/١١٨.

(٣) الكشاف٢/٤٤٨، وزاد المسير٢/٤٤٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٠٠، وتفسير النسفي٢/١٩١، والدر المصون٦/٥٠٧. فتح القدير ٣/٣١.

(٤) الوسيط٢/٦١٥، وزاد المسير٢/٤٤٢

(٥) رموز الكنوز ٣/٣٥١.

(٦) الكشاف٢/٤٤٨، وزاد المسير٢/٤٤٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٠٠، وتفسير النسفي٢/١٩١،

وممن قال به: الطبري، والزجاج، والواحدي، وابن عطية، والرازي[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وما نحن بما تئول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين[٢].

ب- قال الزجاج: أي: ليس للرؤية المختلطة عندنا تأويل[٣].

القول الثاني: نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤيا على الإطلاق[٤].

وممن قال به: الكلبي، وابن كثير، وابن المنير[٥].

واستدلوا بما يلي:

أ- بقول الملك لهم أولاً: ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ دليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها[٦].

ب- وقول الساقي: ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٧] فعلم أن القوم عجزوا عن التأويل لا أنهم ادعوا ألا تأويل لها[٨].

ومن أقوالهم:

أ- قال الكلبي: إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة، أو تأويل الأحلام على

والتسهيل٢/١٢٠، والدر المصون٦/٥٠٧، وفتح القدير ٣/٣١، وروح المعاني ١٢/٢٥٢.

(١) جامع البيان١٣/١٨١، ومعاني القرآن للزجاج٣/١١٣، والوجيز١/٥٤٨، والمحرر الوجيز٣/٢٤٨، ومفاتيح الغيب١٨/١١٨.

(٢) جامع البيان ١٣/١٨٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج٣/١١٣.

(٤) الكشاف٢/٤٤٨، وزاد المسير٢/٤٤٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٠٠، وتفسير النسفي٢/١٩١، والدر المصون٦/٥٠٧، وفتح القدير ٣/٣١.

(٥) التسهيل٢/١٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٤٧، وروح المعاني١٢/٢٥٢.

(٦) روح المعاني ١٢/٢٥٢.

(٧) سورة يوسف آية:٤٥-٤٦.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٠٠، وروح المعاني ١٢/٢٥٢.

الإطلاق، وهو الأظهر[١].

ب- قال ابن كثير: ولو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط، لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

إنهم قصدوا محوها من صدر الملك حتى لا يشتغل بها ولم يكن ما ذكروه من نفى العلم حقيقة[٣].

حاصل الدراسة:

يجوز أن يكون المراد من الأحلام الرؤى مطلقاً، وأل فيه للجنس والكلام اعتراف منهم بقصور علمهم وأنهم ليسوا بنحارير في تأويل الرؤى مع أن لها تأويلاً، وقول الملك لهم أولاً ﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ دليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها؛ لأنه أتى بكلمة الشك فجاء اعترافهم بالقصور مطابقاً لشك الملك الذي أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤيا على الإطلاق. لأنه الظاهر من إطلاق العلم بالرؤيا، ويدل عليه قول الملك قبله وقول الساقي بعده.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له[٥].

---

(١) التسهيل٢/١٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/٤٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٠٠، وفتح القدير ٣/٣١.

(٤) روح المعاني ١٢/٢٥٢.

(٥) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير ٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[1].

(1) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [١]

١٠٤– مسألة: ما المراد بقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّى ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أي إن الله[٢].

القول الثاني: أي إن سيدي[٣].

قال الرسعني:

﴿ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ أي: إن الله.

وقال ابن جرير: المعنى: إن سيدي العزيز بكيدهن عليم.

والأول أظهر. ومراده: أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله لبُعدِ غورِه[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه هو الله تعالى؛ لأنه تعالى هو العالم بخفيات الأمور[٥].

وممن قال به:

---

(١) سورة يوسف آية: ٥٠.

(٢) معالم التنزيل٢/٤٦٨، والكشاف٢/٤٥١، ولباب التأويل٣/٢٨٨، وفتح القدير٣/٣٤، وروح المعاني ١٢/٢٥٧.

(٣) جامع البيان ١٣/٢٠٣، وبحر العلوم ٢/١٩٦، والمحرر الوجيز ٣/٢٥٢، وزاد المسير٢/٤٤٥، ومفاتيح الغيب ١٨/١٢٢، واللباب في علوم الكتاب١١/١٢٧.

(٤) رموز الكنوز ٣/٣٥٨.

(٥) جامع البيان ١٣/٢٠٣، وبحر العلوم ٢/١٩٦، والمحرر الوجيز ٣/٢٥٢، وزاد المسير٢/٤٤٥، ومفاتيح الغيب ١٨/١٢٢، واللباب في علوم الكتاب١١/١٢٧.

البغوي، والزمخشري، والخازن، والشوكاني، والألوسي[١].

ومن أقوالهم:

قال الخازن: قوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ يعني: أن الله تعالى عالم بصنيعهن، وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة[٢].

القول الثاني: أن المراد الملك وجعله رباً لنفسه؛ لكونه مربياً وله وفيه إشارة إلى كون ذلك الملك عالماً بكيدهن ومكرهن[٣].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ أنه تعالى هو العالم بخفيات الأمور، فهو كيد عظيم لا يعلمه إلا الله؛ لبُعدِ غورِه. وفي الآية وعيد على هذا وتهديد. ومن قال أنه يحتمل أن يريد بالرب العزيز مولاه ففي ذلك استشهاد به وتقريع له، وهو ليس المراد هنا، ولم يرجحه المفسرون.

فالرب: رب كل شيء مالكه، والرب اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة. وقد قالوه في الجاهلية للملك و الرباني المتأله[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي ﴾ أنه هو الله تعالى. وهو ترجيح جمهور المفسرين، والرسعني.

القاعدة: إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى

---

(١) معالم التنزيل٢/٤٦٨، والكشاف٢/٤٥١، ولباب التأويل٣/٢٨٨، وفتح القدير٣/٣٤، وروح المعاني١٢/٢٥٧.

(٢) لباب التأويل٣/٢٨٨.

(٣) جامع البيان ١٣/٢٠٣، وبحر العلوم ٢/١٩٦، والمحرر الوجيز ٣/٢٥٢، وزاد المسير٢/٤٤٥، ومفاتيح الغيب ١٨/١٢٢، واللباب في علوم الكتاب١١/١٢٧.

(٤) مختار الصحاح ١/٩٦ مادة(رب)، وتاج العروس ٢/٤٥٩، مادة(الرب).

قدمت العرفية[1].

(1) النكت والعيون ٣٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ١٩٥/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين٤١٢/٢.

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (١)

١٠٥- مسألة: المراوِدة واحدة، فلم جمعهن في السؤال في قوله تعالى: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ليعلم عين المراوِدة(٢).

القول الثاني: كلهن مراودات، هي راودته لنفسها، وهن راودنه لأجلها(٣).

قال الرسعني:

قال المفسرون: فجمعهن الملك وفيهن إزليخا فقال: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ أي: ما شأنكن ﴿ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (٤).

إن قيل: المراوِدة واحدة، فلم جمعهنّ في السؤال؟

قلتُ: قال ابن الأنباري: جمعهن ليعلم عين المراوِدة(٥).

وليس هذا بشيء؛ لأنه من المستحيل في العادة أن تكون مثل هذه القصة خفيت على الملك مع اشتهارِها، وسجن يوسف لأجلها هذا الزمان الطويل.

---

(١) سورة يوسف آية: ٥١.

(٢) الوسيط٢/٦١٧، والتسهيل٢/١٢١، والتحرير والتنوير ١٢/٢٩٠.

(٣) تفسير السمعاني٣/٣٨، وزاد المسير٢/٤٤٦، ومعالم التنزيل٢/٤٦٨، ولباب التأويل٣/٢٨٨، واللباب في علوم الكتاب١١/١٢٧.

(٤) جامع البيان١٣/٢٠٣، والوسيط٢/٦١٧، وزاد المسير٢/٤٤٦.

(٥) الوسيط٢/٦١٧، وزاد المسير٢/٤٤٦.

وإنما الجواب الصحيح في نظري: هو أن يقال: كلهن مراودات، هي راودته لنفسها، وهُنَّ راودنه لأجلها؛ بتحسين ذلك له وتسهيله عليه، وكذلك جمعهن يوسف في قوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ليعلم عين المراوِدة[٢].

وممن قال به: ابن الأنباري، والواحدي، والكلبي، وابن عاشور[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: لأنه لم يعلم من كانت المراوِدة[٤].

ب- قال الكلبي: وأسند المراودة إلى جميعهن لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هي التي راودته وحدها[٥].

ج- قال ابن عاشور: وأسندت المراودة إلى ضمير النسوة لوقوعها من بعضهن غير معين[٦].

القول الثاني: كلهن مراودات، هي راودته لنفسها، وهن راودنه لأجلها[٧].

وممن قال به: البغوي، والخازن[٨].

ومن أقوالهم:

---

(١) رموز الكنوز ٣/٣٥٩.

(٢) الوسيط٢/٦١٧.

(٣) الوسيط٢/٦١٧، والتسهيل٢/١٢١، والتحرير والتنوير ١٢/٢٩٠.

(٤) الوجيز١/٥٥٠.

(٥) التسهيل٢/١٢١.

(٦) التحرير والتنوير ١٢/٢٩٠.

(٧) تفسير السمعاني٣/٣٨، وزاد المسير٢/٤٤٦، ومعالم التنزيل٢/٤٦٨، ولباب التأويل٣/٢٨٨، واللباب في علوم الكتاب١١/١٢٧.

(٨) معالم التنزيل٢/٤٦٨، ولباب التأويل٣/٢٨٨.

قال البغوي: امرأة العزيز راودته عن نفسه، وسائر النسوة أَمَرنَهُ بطاعتها؛ فلذلك خاطبهن[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أ- أنه جمعهن في الخطاب، والمعنى لواحدة منهن؛ لأنه قد يقع على النوع وصف الجنس إذا أُمن من اللبس[٢].

ب- إن المراودة إنما وقعت من امرأة العزيز دون النسوة اللاتي أعدّت لهن متكئاً، ففي الكلام إيجاز حذف[٣].

ج- أراد بنسبة ذلك إليهن وقوعه منهن في الجملة، كما كان من امرأة العزيز، تحاشياً عن التصريح منه بنسبة ذلك إليها؛ لكونها امرأة وزيره وهو العزيز[٤].

د- أنَّ كلَّ واحدة منهنَّ راودتْ يوسف عن نفسه لها، ومن جملة من شمله خطاب الملك امرأة العزيز [٥].

واستدلوا بما يلي:

١- أنها كقوله جلَّ ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ ﴾ [٦] [٧].

٢- وبقول النبي ﷺ للنساء: إنكن أكثر أهل النار[٨]. فجمعهن في الخطاب،

---

(١) معالم التنزيل٢/٤٦٨.

(٢) تفسير السمعاني٣/٣٨، وزاد المسير٢/٤٤٦، ولباب التأويل ٣/٢٨٨.

(٣) التحرير والتنوير١٢/٢٩٠

(٤) فتح القدير٣/٣٤

(٥) اللباب في علوم الكتاب١١/١٢٧، وفتح القدير٣/٣٤.

(٦) سورة آل عمران آية: ١٧٣.

(٧) اللباب في علوم الكتاب١١/١٢٧.

(٨) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان، باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان، ح(٢٦١٣).

والمعنى لبعضهن. ذكره ابن الأنباري[١].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ فيه وجهان: الأول: أن قوله: ﴿ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ وإن كانت صيغة الجمع، فالمراد منها الواحدة. والثاني: أن المراد منه خطاب الجماعة. ثم ههنا وجهان: الأول: أن كل واحدة منهن راودت يوسف عن نفسها. والثاني: أن كل واحدة منهن راودت يوسف لأجل امرأة العزيز[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن اللفظ محتمل لكل هذه الوجوه، وإن كان المراد امرأة العزيز وحدها؛ ليكون أستر لها.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٣].

---

(١) زاد المسير ٢/٤٤٦.

(٢) مفاتيح الغيب ١٨/١٢٢، واللباب في علوم الكتاب ١١/١٢٧.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِ بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (١)

١٠٦- مسألة: كيف جاز ليوسف أن يطلب أخاه، وهو يعلم ما في ذلك من إدخال الحُزن على أبيه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: بأمر من الله عن طريق الوحي(٢).

القول الثاني: قصد تنبيه يعقوب عليه السلام(٣).

قال الرسعني:

والظاهر: أن يوسف عليه السلام ما اجترأ على ما يستلزم طلبه لأخيه من حزن أبيه إلا بطريق الوحي.

وقيل: قصد تنبيه يعقوب عليه السلام بطلبه بنيامين(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: بأمر من الله عن طريق الوحي، زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه، فاتّبع أمره فيه(٥).

وممن قال به: ابن عطية، وابن الجوزي(٦).

واستدلوا بما يلي :

---

(١) سورة يوسف آية ٦١-٦٢.

(٢) النكت والعيون٣/٥٥.

(٣) النكت والعيون٣/٥٥.

(٤) رموز الكنوز ٣/٣٧٢.

(٥) النكت والعيون٣/٥٥.

(٦) المحرر الوجيز ٣/٢٥٨، وزاد المسير ٢/٤٥٣.

عن وهب بن منبه قال: لما جمع الله بين يوسف ويعقوب، قال له يعقوب: بيني وبينك هذه المسافة القريبة، ولم تكتب إليّ تُعرّفني؟! فقال: إن جبريل أمرني أن لا أُعرفك، فقال له: سل جبريل، فسأله، فقال: إن الله أمرني بذلك، فقال: سل ربّك، فسأله، فقال: قل ليعقوب: خفت عليه الذئب، ولم تُؤمنّي؟[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: وظاهر كل ما فعله يوسف معهم أنه بوحي وأمر وإلا فكان بر يعقوب يقتضي أن يبادر إليه ويستدعيه لكن الله تعالى أعلمه بما يصنع ليكمل أجر يعقوب ومحنته وتتفسر الرؤيا الأولى[٢].

ب- قال ابن الجوزي: يجوز أن يكون ذلك بأمر عن الله تعالى، زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه، وهذا الأظهر... وكل هذه الأجوبة مدخولة إلا الأول فإنه الصحيح[٣].

القول الثاني: قصد تنبيه يعقوب عليه السلام بذلك على حال يوسف[٤]. يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنه طلبه لا ليحبسه.

وممن قال به: كعب[٦].

ومن أقوالهم:

قال كعب: أنه طلبه لا ليحبسه، فلمّا عرفه قال: لا أُفارقُك يا يُوسف، قال: لا

---

(١) زاد المسير ٢/٤٥٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٥٨.
(٣) زاد المسير ٢/٤٥٣.
(٤) زاد المسير ٢/٤٥٣.
(٥) النكت والعيون ٣/٥٥.
(٦) زاد المسير ٢/٤٥٣.

يُمكنني حبسُك إلا أن أنسبك إلى أمر فظيع، قال: افعل ما بدا لك[١].

٢- لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه[٢].

٣- ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته لميله إليه[٣].

حاصل الدراسة:

ذكر بعض المفسرين كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه عدة أقوال، ولم يذكر بقية المفسرين شيئاً حول هذه المسألة، فحكم ابن الجوزي على هذه الأقوال بأنها أقوال مدخولة. إلا القول الأول الذي رجحه ابن الجوزي وابن عطية، أن ذلك بأمر من الله تعالى عن طريق الوحي، زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن يوسف طلب أخيه، بأمر من الله عن طريق الوحي، زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه، فاتّبع أمره فيه.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٤].

---

(١) زاد المسير ٤٥٣/٢.

(٢) النكت والعيون٥٥/٣، وزاد المسير ٤٥٣/٢.

(٣) النكت والعيون٥٥/٣، وزاد المسير ٤٥٣/٢.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [1]

١٠٧- مسألة: ما السبب لأمر يوسف بوضع بضاعتهم في رحالهم؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أن يوسف تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى فجعل دراهمهم في رحالهم[2].

القول الثاني: أنه أراد أنهم إذا عرفوها لم يستحلوا إمساكها حتى يردوها[3].

القول الثالث: أنه استقبح أخذ الثمن من والده وإخوته مع حاجتهم إليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكرماً وتفضلاً[4].

القول الرابع: لئلا يتوهموا أن مقصوده بطلب رجوعهم التجارة وتحصيل مالهم[5].

القول الخامس: أنه أراهم كرمه وبره ليكون أدعى إلى عودهم[6].

---

(1) سورة يوسف آية: ٦٢.

(2) جامع البيان١٣/٢٢٨، والنكت والعيون٣/٥٦، والوسيط٢/٦٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، والكشاف٢/٤٥٧، والمحرر الوجيز٣/٢٥٩، وزاد المسير ٢/٤٥٣، ومفاتيح الغيب٨/١٣٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٢٣، ولباب التأويل٣/٢٩٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٥٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٤٤.

(3) جامع البيان١٣/٢٢٨، والنكت والعيون٣/٥٦، والوسيط٢/٦٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، والكشاف٢/٤٥٧، والمحررالوجيز٣/٢٥٩، وزاد المسير ٢/٤٥٣، ومفاتيح الغيب٨/١٣٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٢٣، ولباب التأويل٣/٢٩٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٥٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٤٤.

(4) جامع البيان١٣/٢٢٨، والنكت والعيون٣/٥٦، والوسيط٢/٦٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، والكشاف٢/٤٥٧، وزاد المسير ٢/٤٥٣، ومفاتيح الغيب٨/١٣٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٢٣، ولباب التأويل٣/٢٩٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٥٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٤٤.

(5) النكت والعيون٣/٥٦، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، وزاد المسير٢/٤٥٣.

(6) النكت والعيون٣/٥٦، والوسيط٢/٦٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، والمحرر الوجيز٣/٢٥٩، وزاد المسير

القول السادس: تنبيه أبيه على حاله ومكانه، تارةً بطلب أخيه، وتارةً بالسؤال عنه وعن أحوالهم، وتارةً بردّ البضاعة وتوفية الكيل، إلى غير ذلك من اللوائح الدالّة على أمره[١].

قال الرسعني:

وقد ذكروا في ردّ بضاعتهم حِكماً:

الأولى: ما روي عن ابن عباسﷺ: أنه خاف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به[٢].

الثانية: ما روي عن أبي صالح قال: عَلِمَ أنهم إذا عرفوها لم يستحلوا إمساكها حتى يردوها[٣].

الثالثة: قال ابن جرير: استقبح أخذ من والده وإخوته مع حاجتهم غليه، فرده إليهم من حيث لا يعلمون سبب ردّه؛ تكرماً وتفضّلاً[٤].

الرابعة: أنه ردّها عليهم لئلا يتوهموا أن مقصوده رجوعهم التجارة عليهم وتحصيل مالهم[٥].

الخامسة: ليرغبهم في الرجوع إليه بما اظهر لهم من الكرامة والكرم[٦].

ويحتمل عندي، أن يكون مقصوده: تنبيه أبيه على حاله ومكانه، تارةً بطلب أخيه، وتارةً بالسؤال عنه وعن أحوالهم، وتارةً بردّ البضاعة وتوفية الكيل، إلى غير ذلك

٤٥٣/٢، ومفاتيح الغيب١٣٤/١٨، والجامع لأحكام القرآن٢٢٣/٩، والتسهيل١٢٣/٢، ولباب التأويل٢٩٦/٣، واللباب في علوم الكتاب١٤٤/١١.

(١) رموز الكنوز٣٧٣/٣.

(٢) جامع البيان٢٢٨/١٣ والوسيط٦٢٠/٢، وزاد المسير٤٥٣/٢.

(٣) الوسيط٦٢٠/٢، وزاد المسير ٤٥٣/٢

(٤) زاد المسير٤٥٣/٢.

(٥) زاد المسير٤٥٣/٢.

(٦) زاد المسير٤٥٣/٢.

من اللوائح الدالّة على أمره[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أن يوسف تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى للميرة، فأراد به التوسعة على أبيه؛ لأن الزمان كان زمان قحط وشدة[٢].

وممن قال به: أبو صالح عن ابن عباسﷺ، والكلبي[٣].

القول الثاني: إنما فعل ذلك؛ لأنه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها في رحالهم، ولم يستحلوا إمساكها؛ لأنهم أنبياء وأولاد أنبياء[٤].

وممن قال به: الضحاك، والفراء[٥]. وعند الرسعني عن أبو صالح.

ومن أقوالهم:

قال الفراء رحمه الله : إنَّهم متى شاهدُوا بضاعتهم في رحالهم ؛ فيحسبوا أنَّ وقع سهواً ، وهم أنبياء وأولاد أنبياء ؛ فيحملهم ذلك على رد البضاعةِ؛ نفياً للغلطِ ولا يستحلُّون إمساكها[٦].

القول الثالث: أنه استقبح أخذ الثمن من والده وإخوته، وأنه لؤم لشدة حاجتهم

---

(١) رموز الكنوز٣/٣٧٣.

(٢) جامع البيان١٣/٢٢٨، والنكت والعيون٣/٥٦، والوسيط٢/٦٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، والكشاف٢/٤٥٧، والمحرر الوجيز٣/٢٥٩، وزاد المسير ٢/٤٥٣، ومفاتيح الغيب٨/١٣٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٢٣، ولباب التأويل٣/٢٩٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٥٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٤٤.

(٣) الوسيط٢/٦٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، وزاد المسير ٢/٤٥٣.

(٤) جامع البيان١٣/٢٢٨، والنكت والعيون٣/٥٦، والوسيط٢/٦٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، والكشاف٢/٤٥٧، والمحررالوجيز٣/٢٥٩، وزاد المسير ٢/٤٥٣، ومفاتيح الغيب٨/١٣٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٢٣، ولباب التأويل٣/٢٩٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٥٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٤٤.

(٥) تفسير الضحاك١/٤٧٣، ومعاني القرآن للفراء٢/٤٨، والوسيط٢/٦٢٠، وزاد المسير٢/٤٥٣.

(٦) اللباب في علوم الكتاب١١/١٤٤.

إليه، فرده عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده، ليتّسع بها أبوه وإخوته تكرماً وتفضلاً[١].

وممن قال به: ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي[٢].

القول الرابع: لئلا يتوهموا أن مقصوده بطلب رجوعهم التجارة وتحصيل مالهم[٣].

القول الخامس: أراد أن يريهم بره وكرمه وسخائه وإحسانه إليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك أدعى إلى الرجوع إليه سريعاً[٤].

وممن قال به: الكلبي[٥].

ومن أقوالهم:

قال الكلبي: وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام، استئلافهم بالإحسان إليهم[٦].

القول السادس: تنبيه أبيه على حاله ومكانه، تارةً بطلب أخيه، وتارةً بالسؤال عنه وعن أحوالهم، وتارةً بردّ البضاعة وتوفية الكيل، إلى غير ذلك من اللوائح الدالّة على أمره[٧].

وممن قال به:

---

(١) جامع البيان١٣/٢٢٨، والنكت والعيون٣/٥٦، والوسيط٢/٦٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، والكشاف٢/٤٥٧، وزاد المسير ٢/٤٥٣، ومفاتيح الغيب٨/١٣٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٢٣، ولباب التأويل٣/٢٩٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٥٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٤٤.

(٢) جامع البيان ١٣/٢٢٨، وزاد المسير ٢/٤٥٣.

(٣) النكت والعيون٣/٥٦، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥،، وزاد المسير٢/٤٥٣.

(٤) النكت والعيون٣/٥٦، والوسيط٢/٦٢٠، ومعالم التنزيل٢/٤٧٥، والمحرر الوجيز٣/٢٥٩، وزاد المسير ٢/٤٥٣، ومفاتيح الغيب١٨/١٣٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٢٣، والتسهيل٢/١٢٣، ولباب التأويل٣/٢٩٦، واللباب في علوم الكتاب١١/١٤٤.

(٥) الوسيط٢/٦٢٠، والتسهيل٢/١٢٣.

(٦) التسهيل ٢/١٢٣.

(٧) رموز الكنوز٣/٣٧٣.

قاله الرسعني، ولم يذكره المفسرون ضمن أقوالهم .

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أراد أن يُحسِنَ إليهم على وجهٍ لا يلحقهم منه عتب، ولا منَّة[١].

٢- أراد أن يقابل مبالغتهم في الإساءة بمبالغته في الإحسان إليهم[٢].

٣- أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان[٣].

٤- أن مقصوده أن يعرفوا أنه لا يطلب ذلك الأخ لأجل الإيذاء والظلم، ولا لطلب زيادة في الثمن[٤].

٥- أراد أن يعرف أبوه أنه أكرمهم وطلبه له لمزيد الإكرام، فلا يثقل على أبيه إرسال أخيه[٥].

٦- وقيل جعلها توطئة لجعل السقاية في رحل أخيه بعد ذلك؛ ليبين أنه لم يسرق لمن يتأمل القصة[٦].

٧- قال القاضي أبو محمد: والظاهر من القصة أنه إنما أراد الإستئلاف وصلة الرحم[٧].

حاصل الدراسة:

ذكر المفسرون أسباباً لأمر يوسف بوضع بضاعتهم في رحالهم:

قيل: قصد يوسف برد البضاعة أن يتحرجوا من أخذ الطعام بلا ثمن فيرجعوا لدفع الثمن. وهذا ضعيف من وجوه، وسرورهم بالبضاعة وقولهم: ﴿ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ

---

(١) لباب التأويل٣/٢٩٦، ومفاتيح الغيب ١٨/١٣٤-١٣٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٤٤.

(٢) مفاتيح الغيب ١٨/١٣٤-١٣٥.

(٣) مفاتيح الغيب ١٨/١٣٤-١٣٥.

(٤) مفاتيح الغيب ١٨/١٣٤-١٣٥.

(٥) مفاتيح الغيب ١٨/١٣٤-١٣٥.

(٦) المحرر الوجيز ٣/٢٥٩.

(٧) المحرر الوجيز ٣/٢٥٩.

إِلَيۡنَآ ﴾ يكشف أن يوسف لم يقصد هذا وإنما قصد أن يستميلهم ويصلهم فيرغبهم في نفسه كالذي كان[١].

فقالوا إنما فعله عليه السلام لما أنه لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وأخوته ثمنا وهو الكريم ابن الكريم، وهو كلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور، ومثله في هذا ما ذكره ابن عطية من وجوب صلتهم وجبرهم عليه، عليه السلام في تلك الشدة إذ هو ملك عادل وهم أهل إيمان ونبوة.

وأغرب منه ما قيل: إنه عليه السلام فعل ذلك توطئة لجعل السقاية في رحل أخيه بعد ذلك ليتبين أنه لم يسرق لمن يتأمل القصة.

ووجه بعضهم عليه الجعل المذكور للرجوع بأن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لاحتمال أنه لم يقع ذلك قصداً، أو قصداً للتجربة فيرجعون على هذا أما لازم وإما متعد والمعنى يرجعونها أي: يردونها، وفيه أن هيئة التعبية تنادى بأن ذلك بطريق التفضل فاحتمال غيره في غاية البعد ألا ترى أنهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلاً على التفضلات السابقة[٢]

المناقشة والترجيح:

الراجح: ما نصت الآية بالتعليل به، وهي الأقوال التي فيها ما يدعوهم إلى الرجوع إليه، سواء لكرمه أو لرد البضاعة؛ لأنها ليست ملكهم أو الاستفسار عنها، فكل توجيه يحمل هذا السبب فهو توجيه محتمل للآية، وهو المناسب للسياق والله أعلم.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٢٥٩/٣.

(٢) روح المعاني ١٠/١٣.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى:﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ﴾[1]

١٠٨- مسألة: ما نوع "ما" في قوله: ﴿ مَا نَبۡغِيۖ ﴾؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "ما" نافية[2].

القول الثاني: "ما" استفهامية[3].

قال الرسعني:

﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِي ﴾ يجوز أن تكون "ما" نافية، ويجوز أن تكون استفهامية. فإن كانت استفهامية – **وهو الأظهر في التفسير**– كان المعنى: أي شيء نبغيه ونطلبه وراء هذا الإحسان. ويؤيده قراءة ابن مسعود:"تبغي" بالتاء على الخطاب ليعقوب.

وإن كانت نافية؛ كان المعنى: ما نطلب منك شيئاً نرجع به على مصر، أو يكون المعنى: ما نبغي في القول ولا نتزيد فيه[4].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "ما" نافية. ونبغي من البغي، أي: لا نتعدى على أخينا ولا نكذب

---

(1) سورة يوسف آية ٦٥.

(2) معاني القرآن للفراء٢/٤٩، وجامع البيان ١٣/٢٣٣، والنكت والعيون ٣/٥٨، والكشاف٢/٤٥٨، وزاد المسير٢/٤٥٤، ومفاتيح الغيب١٨/١٣٦، والتبيان٢/٧٣٧، والتسهيل٢/١٢٣، ولباب التأويل ٣/٢٩٧، والبحر المحيط٥/٣٢١، والدر المصون ٦/٥١٩، واللباب في علوم الكتاب ١١/١٤٨.

(3) معاني القرآن للفراء٢/٤٩، وجامع البيان١٣/٢٣٣، والنكت والعيون ٣/٥٨، والكشاف٢/٤٥٨، وزاد المسير٢/٤٥٤، ومفاتيح الغيب١٨/١٣٦، والتسهيل٢/١٢٣، ولباب التأويل ٣/٢٩٧، والبحر المحيط٥/٣٢١، واللباب في علوم الكتاب ١١/١٤٨،

(4) رموز الكنوز٣/٣٧٦.

على الملك[١].

وممن قال به: حكاه ابن عيسى[٢].

واستدلوا: بقراءة ابن مسعود:"تبغي" بالتاء على الخطاب ليعقوب[٣].

القول الثاني: "ما" استفهامية، ما نبغي، ونبغي بمعنى نطلب، والمعنى أي شيء نطلبه بعد هذه الكرامة وهي رد البضاعة مع الطعام[٤].

وممن قال به:

قتادة، وابن جزي الكلبي، والسمين الحلبي، وابن عادل[٥].

ومن أقوالهم:

قال السمين الحلبي: قوله: ﴿ مَا نَبۡغِي ۖ ﴾ في "مَا" هذه وجهان: أظهرهما: أنها استفهاميةٌ، فهي مفعول مقدم واجب التقديم؛ لأن لها صدر الكلام، أي: أيَّ شيءٍ نبغي[٦].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ مَا نَبۡغِي ۖ ﴾ ففي كلمة "مَا" قولان: الأول: أنها للنفي، وعلى هذا التقدير

---

(١) معاني القرآن للفراء٢/٤٩، وجامع البيان ١٣/٢٣٣، والنكت والعيون ٣/٥٨، والكشاف٢/٤٥٨، وزاد المسير٢/٤٥٤، ومفاتيح الغيب١٨/١٣٦، والتبيان٢/٧٣٧، والتسهيل٢/١٢٣، ولباب التأويل ٣/٢٩٧، والبحر المحيط٥/٣٢١، والدر المصون ٦/٥١٩، واللباب في علوم الكتاب ١١/١٤٨.

(٢) النكت والعيون٣/٥٨.

(٣) التبيان ٢/٧٣٧، والدر المصون٦/٥١٩.

(٤) معاني القرآن للفراء٢/٤٩، وجامع البيان١٣/٢٣٣، والنكت والعيون ٣/٥٨، والكشاف٢/٤٥٨، وزاد المسير٢/٤٥٤، ومفاتيح الغيب١٨/١٣٦، والتسهيل٢/١٢٣، ولباب التأويل ٣/٢٩٧، والبحر المحيط٥/٣٢١، واللباب في علوم الكتاب ١١/١٤٨،

(٥) جامع البيان١٣/٢٣٣، والنكت والعيون٣/٥٨، والتسهيل٢/١٢٣، والبحر المحيط٥/٣٢١، والدر المصون٦/٥١٩، واللباب في علوم الكتاب١١/١٤٨.

(٦) الدر المصون٦/٥١٩.

ففيه وجوه: الأول: أنهم كانوا قد وصفوا يوسف بالكرم واللطف وقالوا: إنا قدمنا على رجل في غاية الكرم أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب لما فعل ذلك، فقولهم: ﴿ مَا نَبْغِي ﴾ أي بهذا الوصف الذي ذكرناه كذباً ولا ذكر شيء لم يكن. الثاني: أنه بلغ في الإكرام إلى غاية ما وراءها شيء آخر، فإنه بعد أن بالغ في إكرامنا أمر ببضاعتنا فردت إلينا. الثالث: المعنى أنه رد بضاعتنا إلينا، فنحن لا نبغي منك عند رجوعنا إليه بضاعة أخرى، فإن هذه التي معنا كافية لنا.

والقول الثاني: أن كلمة "ما" ههنا للاستفهام، والمعنى: لما رأوا أنه رد إليهم بضاعتهم قالوا: ما نبغي بعد هذا، أي أعطانا الطعام، ثم رد علينا ثمن الطعام على أحسن الوجوه، فأي شيء نبغي وراء ذلك؟[1].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنا (ما) على الاستفهام، والتقدير: أي شيء نبغي فوق هذا الإكرام، إن الرجل رد دراهمنا إلينا فإذا ذهبنا إليه نمير أهلنا ونحفظ أخانا، ونزداد كيل بعير، بسبب حضور أخينا.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[2].

---

(1) زاد المسير٢/٤٥٤، ومفاتيح الغيب ١٣٦/١٨، والتسهيل١٢٣/٢، واللباب في علوم الكتاب١٤٨/١١.

(2) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴾[١]

١٠٩- مسألة: ما اسم الأخ الذي أرادوا حفظه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: هو بنيامين[٢].

القول الثاني: هو شمعون[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَنَحۡفَظُ أَخَانَا ﴾ بنيامين، وقيل: شمعون. والأول **أكثر وأظهر**[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: هو بنيامين.

وممن قال به:ةالثعلبي، والبغوي، والخازن، والشوكاني[٥].

ومن أقوالهم:

قال الخازن: ﴿ وَنَحۡفَظُ أَخَانَا ﴾ يعني: بنيامين مما تخاف عليه حتى نرده إليك[٦].

القول الثاني: هو شمعون.

وممن قال به:

---

(١) سورة يوسف آية: ٦٥.

(٢) معالم التنزيل٢/٤٧٧، والكشف والبيان ٥/٢٣٦، وفتح القدير٣/٣٩.

(٣) زاد المسير٢/٤٥٥.

(٤) رموز الكنوز ٣/٣٧٧.

(٥) معالم التنزيل٢/٤٧٧، والكشف والبيان ٥/٢٣٦، وفتح القدير٣/٣٩.

(٦) لباب التأويل٣٢٩٧.

قاله الضحاك عن ابن عباسرضي الله عنه[١].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَنَحْفَظُ أَخَانَا ﴾ فيه قولان: أحدهما: نحفظ أخانا بنيامين، الذي ترسله معنا، وهو قول الأكثرين.

والثاني: ونحفظ أخانا شمعون الذي أخذه رهينة عنده، قاله الضحاك عن ابن عباسرضي الله عنه[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه بنيامين، وهو قول أكثر المفسرين، وسياق الآيات قبله وطلب أخوة يوسف أن يرسل بينامين معهم بناء على طلب يوسف، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٣].

---

(١) زاد المسير ٢/٤٥٥.

(٢) زاد المسير ٢/٤٥٥.

(٣) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ ﴾ [١]

١١٠- مسألة: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كبيراً في سنه[٢].

القول الثاني: كبيراً في قدره[٣].

قال الرسعني:

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾ في سِنِّه، وقيل: كبيراً في قدره. **والأول أشبه**؛ لأن مقصودهم استعطافه وترقيقه[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كبيراً في سنه[٥].

وممن قال به: الواحدي، وأبو السعود، والشوكاني[٦].

ومن أقوالهم:

قال الشوكاني: شيخ كبير لا يستطيع فراقه ولا يصبر عنه ولا يقدر على الوصول

---

(١) سورة يوسف آية: ٧٨.

(٢) الوسيط٢/٦٢٥، والكشاف٢/٤٦٤، وزاد المسير٢/٤٦١، ومفاتيح الغيب١٨/١٤٨، ولباب التأويل ٣/٣٠٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٧٦.

(٣) الوسيط٢/٦٢٥، والكشاف٢/٤٦٤، وزاد المسير٢/٤٦١، ومفاتيح الغيب١٨/١٤٨، ولباب التأويل ٣/٣٠٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٧٦.

(٤) رموز الكنوز ٣/٣٩٠.

(٥) الوسيط٢/٦٢٥، والكشاف٢/٤٦٤، وزاد المسير٢/٤٦١، ومفاتيح الغيب١٨/١٤٨، ولباب التأويل ٣/٣٠٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٧٦.

(٦) الوسيط٢/٦٢٥، وإرشاد العقل السليم٤/٢٩٩، وفتح القدير٣/٤٥.

إليه[١].

القول الثاني: كبيراً في القدر والدين. وإنما ذكروا ذلك؛ لأن كونه ابناً لرجل كبير القدر، يوجب العفو والصفح[٢].

حاصل الدراسة:

والمراد بالكبير: إما كبير عشيرته فإساءته تسوءهم جميعاً ومن عادة الولاة استجلاب القبائل. وإما أن يكون ﴿ كَبِيرًا ﴾ تأكيداً لـ ﴿ شَيْخًا ﴾ أي بلغ الغاية في الكبر من السن[٣]. فلذلك فهو يحبه حباً شديداً، يتسلى به عن ولده الذي فقده، لا يستطيع فراقه ولا يصبر عنه ولا يقدر على الوصول إليه[٤]. وهذا أقرب من كونه كبير في القدر فهو يوجب العفو والصفح بدليل قوله تعالى: ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾ فهم جميعاً أبناء ليعقوب.

ورجح القولين الألوسي، قال: والوصف على القولين محط الفائدة[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه كبير في السن، وأخونا هذا أصغر أبناء يعقوب، لا يكاد يستطيع فراقه لشدة حب أبيه فيه. بدلالة ما بعده. ولأن القرآن الكريم لم يستخدم كلمة شيخ إلا في كبر السن.

القاعدة:حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى[٦].

---

(١) فتح القدير٣/٤٥.

(٢) الوسيط٢/٦٢٥، والكشاف٢/٤٦٤، وزاد المسير٢/٤٦١، ومفاتيح الغيب١٨/١٤٨، ولباب التأويل ٣/٣٠٥، واللباب في علوم الكتاب١١/١٧٦.

(٣) التحرير والتنوير ١٣/٣٦.

(٤) فتح القدير٣/٤٥.

(٥) روح المعاني١٣/٣٣.

(٦) مجموع الفتاوى ٢/٣٠، والتبيان في أقسام القرآن ١/٦٥، وأضواء البيان ٣/٤٧٨، وقواعد الترجيح عند

المفسرين١/١٧٢.

قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [١]

١١١- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: واسأل أهل القرية وأهل العير.

القول الثاني: واسأل القرية والعير.

قال الرسعني:

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ أي: قولوا لأبيكم إن شك في قولكم: اسأل أهل مصر، فإن هذه القصة اشتهرت فيهم وانتشرت بينهم، ﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ أي: واسأل أهل العير التي اقبلنا فيها، وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام.

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون المعنى: واسأل القرية والعير، فإنها تعقل عنك لأنك نبي، والأنبياء تخاطبهم الأحجار والبهائم.

والأول أصح.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه على حذف مضاف تقديره: واسأل أهل القرية واسأل أهل العير التي اقبلنا فيها، وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام، وهو مجازٌ شائع[٢].

---

(١) سورة يوسف آية: ٨٢.

(٢) جامع البيان ٢٩١/١٣، وبحر العلوم٢٠٦/٢، والوسيط٦٢٦/٢، ومعالم التنزيل٤٨٦/٢، والكشاف ٤٦٧/٢، والمحرر الوجيز٢٧١/٣، وزاد المسير٤٦٢/٢، ومفاتيح الغيب١٥٠/١٨، والجامع لأحكام القرآن٢٤٦/٩، والتسهيل١٢٦/٢، ولباب التأويل٣٠٧/٣، والدر المصون٥٤٤/٦، وتفسير القرآن العظيم

إلا أن أريد بالعير القافلة، فلا إضمار في قوله: ﴿ وَٱلۡعِيرَ ﴾ [١].

وممن قال به:

١- قتادة، وابن عباس رضي الله عنه [٢].

٢- سيبويه، وأبو العباس المبرد، والطبري، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والكلبي، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وابن كثير، وأبو السعود [٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال الكلبي: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ تقديره واسأل أهل القرية، وكذلك أهل العير يعنون الرفقة. هذا هو قول الجمهور، وقيل: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها، ولا يبعد أن تخبره الجمادات؛ لأنه نبي، والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز [٤].

ب- قال ابن عطية: وهذا مجاز، والمراد أهلها. وكذلك قوله: ﴿ وَٱلۡعِيرَ ﴾ هذا قول الجمهور وهو الصحيح [٥].

القول الثاني: أنه حقيقةٌ لا مجاز فيه، وذلك أنه يجوز أن يسأل القرية نفسها والإبل فتجيبه؛ لأنه نبيٌّ يجوز أن ينطق له الجماد والبهائم [٦].

لابن كثير٨/٦٢، واللباب في علوم الكتاب ١١/١٨٦، وإرشاد العقل السليم٤/٣٠١، والتحرير والتنوير١٢/١٨٦.

(١) البحر المحيط٥/٣٣٢.

(٢) جامع البيان ١٣/٢٩١.

(٣) المقتضب ٣/٢٣٠، وكتاب سيبويه١/٢١٢، وجامع البيان ١٣/٢٩١، والوسيط٢/٦٢٦، والكشاف ٢/٤٦٧، والمحرر الوجيز٣/٢٧١، والتسهيل٢/١٢٦، والبحر المحيط٥/٣٣٢، والدر المصون٦/٥٤٤، وإرشاد العقل السليم٤/٣٠١، والتحرير والتنوير١٢/١٨٦.

(٤) التسهيل ٢/١٢٦.

(٥) المحرر الوجيز ٣/٢٧١.

(٦) البسيط١٢/٢٠٩، والمحرر الوجيز ٣/٢٧١، وزاد المسير٢/٤٦٢، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٤٦، والدر المصون٦/٥٤٤، وفتح القدير٣/٤٦.

وممن قال به: ابن الأنباري[١].

ومن أقوالهم:

قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: وسل القرية والعير فإنها تعقلُ عنك لأنك نبيٌّ والأنبياء قد تُخاطبهم الأحجارُ والبهائم، فعلى هذا تسلمُ الآيةُ من إضمار[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنه مجاز، ولكنه من باب إطلاق اسم المحلِّ على الحالِّ للمجاورة كالزاوية[٣].

٢- أن الشيء إذا ظهر ظهوراً تاماً كاملاً فقد يقال فيه، سل السماء والأرض وجميع الأشياء عنه، والمراد أنه بلغ في الظهور إلى الغاية التي ما بقي للشك فيه مجال[٤].

حاصل الدراسة:

المراد واسأل أهل القرية إلا أنه حذف المضاف للإيجاز والاختصار، وهذا النوع من المجاز مشهور في لغة العرب. وقال أبو عليٍّ الفارسي: ودافع جواز هذا في اللغةِ كدافعِ الضَّرورات، وجاحد المحسوسات.

وهذا على خلافٍ في المسألةِ، هل الإضمار من باب المجازِ، أو غيره؟ المشهور أنه قسم منه، وعليه أكثر النَّاسِ.

قال أبو المعالي: قال بعض المتكلمين: هذا من الحذف، وليس من المجاز إنَّما المجازُ لفظة استعيرت لغير ما هي له، قال: وحذف المضاف هو عينُ المجاز وعظمه، هذا مذهب سيبويه وغيره، وحكي أنَّه قول الجمهور.

وقال ابن الخطيب: إن الإضمار، والمجاز قسمان لا قسيمان، فهما متباينان .

ومن قال أنه على الحقيقة كابن الأنباري، فيكون المعنى: اسأل القرية والعير والجدار والحيطان فإنها تجيبك وتذكر لك صحة ما ذكرناه؛ لأنك من أكابر أنبياء الله فلا يبعد

---

(١) زاد المسير ٤٦٢/٢.

(٢) زاد المسير ٤٦٢/٢.

(٣) الدر المصون٥٤٤/٦.

(٤) مفاتيح الغيب١٥٢/١٨.

أن ينطق الله هذه الجمادات معجزة لك حتى تخبر بصحة ما ذكرناه[١]. فلم يقل به أحد من المفسرين.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المعنى واسأل أهل القرية، واسأل أهل العير، وهو قول عامة المفسرين، وأهل التأويل. وهو معروف في لغة العرب.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب١٨/١٥٢، واللباب في علوم الكتاب ١١/١٨٦.

(٢) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ٥/١٣٢، والكشاف ٤/٢٤٥، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٣/٥٣٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٣٦٩.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [١]

١١٢- مسألة: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: سألوه المسامحة والإعفاء عن ردائة البضاعة.

القول الثاني: تصدق علينا بالزيادة على حقنا، ولم تحرم الصدقة إلا على محمد ﷺ وحده[٢].

قال الرسعني:

﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ ﴾ أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا، ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ بالإعفاء عن رداءة البضاعة، فكأنهم سألوه المسامحة لا حقيقة الصدقة.

وقال سفيان بن عيينة: كانت الصدقة حلالاً للأنبياء عليهم السلام، وتلا هذه الآية.

قال صاحب الكشاف: الظاهر أنهم تمسكَنوا له، وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم، ومن ثم رقَّ لهم[٣].

والذي يظهر في نظري: المعنى الأول، وهو قول الأكثرين؛ لأن شرف النبوة ومنصب الرسالة ينافي ذل سؤال الصدقة التي هي أوساخ الناس، لا سيما وهم حفدة إبراهيم الخليل وفروع دوحته، وأزالت النفوس الشريفة الأبية التي تتقاصر عن منزلة شرف النبوة تستنكف من ذلّ السؤال، حتى قال بعضهم:

---

(١) سورة يوسف آية: ٨٨.

(٢) النكت والعيون٣/٧٤، والكشاف٢/٤٧١، وزاد المسير٢/٤٦٧، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٥٤، والتسهيل٢/١٢٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٦٧، وفتح القدير٣/٥٠.

(٣) الكشاف ٢/٤٧١.

ومن يَفتقِر منّا يعش بحُسامِه ومن يفتقِر من سائر الناس يسأل

وفي وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه: وإياكم والسؤال، فإنه آخر الكسب.

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: مكسبة فيها بعض الريبة خير من صدقات الناس[١].[٢]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: سألوه المسامحة والإعفاء، وطلبوا منه أن يتصدق عليهم إما بزيادة يزيدها لهم على ما يقابل بضاعتهم، أو بالإغماض عن رداءة البضاعة التي جاءوا بها وأن يجعلها كالبضاعة الجيدة في إيفاء الكيل لهم بها؛ لأن شرف النبوة ومنصب الرسالة ينافي سؤال الصدقة، وهي محرمة على الأنبياء[٣].

وممن قال به:

١- سعيد بن جبير، والحسن، والسدي، وابن الأنباري[٤].

٢- الطبري، والزمخشري، والألوسي[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن الأنباري: وكان الذي يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به[٦].

ب- قال الألوسي: ظاهره بالإيفاء أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها[٧].

---

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد١٨/٣٢٩.

(٢) رموز الكنوز٣/٤٠٣-٤٠٤.

(٣) النكت والعيون٣/٧٤، وفتح القدير٣/٥٠.

(٤) جامع البيان١٣/٣٢٤، ومعالم التنزيل٢/٤٩٢، والكشاف٢/٤٧١، وزاد المسير٢/٤٦٧، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٦٧.

(٥) جامع البيان١٣/٣٢٤، والكشاف٤/٤٧١، وروح المعاني١٣/٤٦.

(٦) لباب التأويل٣/٣١٢.

(٧) روح المعاني١٣/٤٦.

القول الثاني: تصدق علينا بالزيادة على حقنا، ولم تحرم الصدقة إلا على محمد ﷺ وحده[١].

وممن قال به: سفيان بن عيينة، وأبو سليمان الدمشقي[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- تصدق علينا برد أخينا إلينا[٣]، وهو الأنسب بحالهم بالنسبة إلى أمر أبيهم وكأنهم أرادوا تفضل علينا بذلك لأن رد الأخ ليس بصدقة حقيقة.

وممن قال به:

ابن جريج، والضحاك[٤].

٢- تجوز عنا.

وممن قال به :

ابن شجرة، وابن زيد[٥].

واستشهد بقول الشاعر[٦]:

تصدق علينا يا ابن عفان واحتسب وأمر علينا الأشعري ليالیا[٧]

حاصل الدراسة:

﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ يعني: وتفضل علينا بما بين الثمين الجيد والرديء ولا تنقصنا، هذا قول أكثر المفسرين.

---

(١) النكت والعيون٣/٧٤، والكشاف٢/٤٧١، وزاد المسير٢/٤٦٧، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٥٤، والتسهيل٢/١٢٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٦٧، وفتح القدير٣/٥٠.

(٢) زاد المسير٢/٤٦٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٦٧.

(٣) النكت والعيون٣/٧٤.

(٤) جامع البيان١٣/٣٢٥، ومعالم التنزيل٢/٤٩٢، وزاد المسير٢/٤٦٧، والتسهيل٢/١٢٧، ولباب التأويل٣/٣١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٦٧.

(٥) النكت والعيون٣/٧٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٥٤.

(٦) هو الشاعر عتبة بن الوعل، شاعر الكوفة. انظر: تاريخ الإسلام٣/٤٣١.

(٧) التكت والعيون ٣/٧٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٥٤.

واختلف العلماء هل كانت الصدقة حلالاً للأنبياء قبل نبينا أم لا؟

فقال سفيان بن عيينة: إن الصدقة كانت حلالاً للأنبياء قبل محمد ﷺ واستدل بهذه الآية.

وأنكر جمهور العلماء ذلك وقالوا: إن حال الأنبياء كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم؛ لأنهم ممنوعون من الخضوع للمخلوقين والأخذ منهم[١]. والقول بها ضعفه ابن عطية قال: وهذا ضعيف يرده حديث النبي ﷺ في قوله: نحن معاشر الأنبياء لا تحل لنا الصدقة[٢].

ورد ابن جرير على قول ابن جريج أنه تصدق برد أخينا إلينا، قال: وهذا القول وإن كان قولاً له وجه فليس بالقول المختار في تأويل قوله: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ ؛ لأن الصدقة في المتعارف إنما هي إعطاء الرجل ذا الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه، وإن كان كل معروف صدقة فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: ظاهره بالإيفاء أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٤].

---

(١) لباب التأويل٣/٣١٢.

(٢) المحرر الوجيز٣/٢٧٦.

(٣) جامع البيان ١٣/٣٢٥.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [١]

١١٣- مسألة: هل أخوة يوسف عرفوه أم شبهوه بيوسف؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنهم شبهوه بيوسف[٢].

القول الثاني: أنهم عرفوه[٣].

قال الرسعني:

قال الضحاك: لما قال لهم: ﴿ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ تبسم، فلما أبصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف، فقالوا:﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ [٤].

والصحيح: أنهم حققوه معرفة قبل قولهم: ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ ، والاستفهام للتقرير؛ بدليل قراءة ابن كثير[٥]، والتوكيد في"لأنت يوسف" بلام الابتداء[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنهم شبهوه بيوسف، وتوهموا أنه هو ولم يحققوه، فقالوا: استفهاماً: أإنك لأنت يوسف[٧].

---

(١) سورة يوسف آية: ٩٠.

(٢) بحر العلوم٢/٢٠٨، ومفاتيح الغيب١٨/١٦٢، ومعالم التنزيل٢/٤٩٣، والتسهيل٢/١٢٧، ولباب التأويل ٣/٣١٣.

(٣) بحر العلوم٢/٢٠٨، ومفاتيح الغيب١٨/١٦٢، وزاد المسير٢/٤٦٨، والتسهيل٢/١٢٧، وإرشاد العقل السليم ٤/٣٠٤، وفتح القدير٣/٥٢.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط٢/٦٣٠، وابن الجوزي في زاد المسير٢/٤٦٨.

(٥) (إنك أنت يوسف) على الخبر. انظر: السبعة في القراءات ص٣٥١.

(٦) رموز الكنوز ٣/٤٠٧.

(٧) بحر العلوم٢/٢٠٨، ومفاتيح الغيب١٨/١٦٢، ومعالم التنزيل٢/٤٩٣، والتسهيل٢/١٢٧، ولباب

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ في رواية، والضحاك[١].

٢- ابن عادل[٢].

واستدلوا بما يلي :

١- أن يوسف أجابهم عما استفهموا عنه:﴿ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ﴾ [٣] .

٢- بقراءة الباقين غير ابن كثير بهمزتين على الاستفهام.

القول الثاني: أنهم عرفوه[٤].

وممن قال به:

١- ابن إسحاق[٥].

٢- أبو السعود، والشوكاني[٦].

واستدلوا بما يلي:

١- بقراءة ابن كثير، "إنك" بهمزة واحدة على الخبر[٧].

٢- التوكيد في "لأنت يوسف" بلام الابتداء.

التأويل٣/٣١٣.

(١) معالم التنزيل٢/٤٩٣، ولباب التأويل٣/٣١٣.

(٢) اللباب في علوم الكتاب١١/٢٠١.

(٣) مفاتيح الغيب١٨/١٦٢.

(٤) بحر العلوم٢/٢٠٨، ومفاتيح الغيب١٨/١٦٢، وزاد المسير٢/٤٦٨، والتسهيل٢/١٢٧، وإرشاد العقل السليم٤/٣٠٤، وفتح القدير٣/٥٢.

(٥) زاد المسير٢/٤٦٨.

(٦) إرشاد العقل السليم٤/٣٠٤، وفتح القدير٣/٥٢.

(٧) السبعة في القراءات ص٣٥١.

حاصل الدراسة:

اختلف المفسرون هل أخوة يوسف عندما دخلوا عليه عرفوه، أم شبهوه ولم يحققوه، فشبهوا ثناياه بثنايا يوسف عندما تبسم، أو بالشامة عندما وضع التاج عن رأسه، أو بكشف الحجاب. والقول أنهم شبهوه هو القول الذي يوافق قراءة الاستفهام، وقد أجمعت الحجة من القرَأَةِ عليه[١].

وعلى القول أنهم حققوه معرفةً أن تأكيد الجملة بـ (إنّ) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف عليه السلام.

وأدخل الاستفهام التقريري على الجملة المؤَكّدة لأنهم تطلبوا تأييده لعلِمهم به.

وقرأ ابن كثير (إنك) بغير استفهام على الخبرية، والمراد لازم فائدة الخبر، أي عرفناك، ألا ترى أن جوابه بـ (أنَا يوسف) مجرد عن التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلا تأييده لذلك[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنهم حققوه معرفة قبل قولهم، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٣].

---

(١) جامع البيان١٣/٣٢٨، وزاد المسير٢/٤٦٨.

(٢) التحرير والتنوير١٣/٤٩.

(٣) مجموع الفتاوى١٣/٣٩١، والنشر ١/١٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٨٩.

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[١]

١١٤- مسألة: بم تعلق "اليوم"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: بالتثريب[٢].

القول الثاني: بالمقدر في "عليكم" من معنى الاستقرار[٣].

القول الثالث: بـ"يغفر"[٤].

قال الرسعني:

فإن قلت: بم تعلق"اليوم"؟

قلت: بالتثريب، أو بالمقدر في "عليكم" من معنى الاستقرار، أو بـ"يغفر".

قلت: **والأول أظهر**، وعليه عامة لمفسرين[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: متعلق بالتثريب، وانتصاب اليوم بالتثريب أي: لا أثرب عليكم[٦].
ذكره المفسرون ولم يرجحه أحد.

القول الثاني: متعلق بالمقدر في "عليكم" من معنى مستقر، أو ثابت، أو نحوهما

---

(١) سورة يوسف آية ٩٢.

(٢) الكشاف ٤٧٣/٢، وفتح القدير٥٢/٣.

(٣) المحرر الوجيز٢٧٨/٣.

(٤) البسيط٢٣٩/١٢، ولباب التأويل٣١٤/٣، وفتح القدير٥٢/٣.

(٥) رموز الكنوز٤١٠/٣.

(٦) الكشاف ٤٧٣/٢، وفتح القدير٥٢/٣.

أي: لا تثريب مستقر، أو ثابت عليكم[١].

وممن قال به: ابن إسحاق، والطبري، وابن عطية[٢].

واستدلوا بما يلي:

وقف القرأة أكثرهم ﴿ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ وابتدأ ﴿ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ على جهة الدعاء[٣].

ومن أقوالهم:

قال ابن عطية: ووقف أكثرهم ﴿ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ وابتدأ ﴿ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ على جهة الدعاء، وهو تأويل ابن إسحاق والطبري، وهو الصحيح و ﴿ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ ظرف فعلى هذا فالعامل فيه ما يتعلق به ﴿ عَلَيۡكُمُ ﴾ تقديره لا تثريب ثابت أو مستقر عليكم اليوم.

وهذا الوقف أرجح في المعنى؛ لأن الآخر فيه حكم على مغفرة الله اللهم، إلا أن يكون ذلك بوحي[٤].

القول الثالث: متعلق بـ"يغفر". وقد جوزوا الوقف على "عليكم" فيكون "اليوم" متعلق بالفعل الذي بعده[٥].

وممن قال به: أبو بكر ابن الأنباري، والأخفش[٦].

واستدلوا بما يلي :

وقف بعض القرأة ﴿ عَلَيۡكُمُ ﴾ وابتدأ ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾[٧].

---

(١) لباب التأويل٣/٣١٤، وفتح القدير٣/٥٢.

(٢) المحرر الوجيز٣/٢٧٨.

(٣) المحرر الوجيز٣٧٨.

(٤) المحرر الوجيز٣٧٨.

(٥) البسيط١٢/٢٣٩، ولباب التأويل٣/٣١٤، وفتح القدير٣/٥٢.

(٦) البسيط١٢/٢٣٩، وفتح القدير٣/٥٢.

(٧) المحرر الوجيز٣٧٨.

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ يجوز أن يكون خبر "لاَ"، و "اليَوْمَ" يحتمل أن يتعلق بما تعلَّق به هذا الخبر أي: لا تثريب مستقرٌ عليكم. ويجوز أن يكون ' اليَوْمَ "خبر"لاَ"، و"عَلَيْكُمْ" متعلق بما تعلق به هذا الظرف ويجوز أن يكون :"عليكم" صفة لاسم "لا"، و"اليَوْمَ" خبرها أيضاً. ولا يجوز أن يتعلق كل من الظرف، والجار ب: "تَثْرِيب" ؛ لأنه يصيرُ مطولاً شبيهاً بالمضاف ومتى كان كذلك أعرب ونُوِّن، نحو: "لا خَيْراً من زَيْدٍ عندكَ " ويزيدُ عليه الظرف بأنه يلزم الفصل بين المصدر المؤول بالموصول، ومعموله بأجنبي وهو: "عَلَيْكُمْ"؛ لأنه إما خبر وإما صفة. وقد جوَّز الزمخشريُّ: أن يكون الظَّرف متعلقاً بـ: تَثْرِيبَ[1].

وتعقبه أبو حيان قائلاً: لا يجوز ذلك؛ لأنّ التثريب مصدر، وقد فصل بينه وبين معموله بقوله: عليكم. وهو إما أن يكون خبراً، أو صفة لتثريب، ولا يجوز الفصل بينهما؛ لأنّ معمول المصدر من تمامه. وأيضاً: لو كان اليوم متعلقاً بتثريب لم يجز بناؤه، وكان يكون من قبيل المشبه بالمضاف، وهو الذي يسمى المطول، ويسمى الممطول، فكان يكون معرباً منوناً.

وأما تقديره الثاني فتقدير حسن، ولذلك وقف على قوله: اليوم أكثر القراء. وابتدأوا بيغفر الله لكم على جهة الدعاء، وهو تأويل ابن إسحاق والطبري.

وأما تقديره الثالث وهو أن يكون اليوم متعلقاً بيغفر فمقبول، وقد وقف بعض القراء على عليكم، وابتدأ اليوم يغفر الله لكم. قال ابن عطية: والوقف على اليوم أرجح في المعنى؛ لأنّ الآخر فيه حكم على مغفرة الله اللهم، إلا أن يكون ذلك بوحي[2].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الوقف على قوله: اليوم. وابتدأوا بيغفر الله لكم على جهة الدعاء.

---

(1) اللباب في علوم الكتاب ١١/٢٠٥.

(2) البحر المحيط٥/٣٣٨، وروح المعاني ١٣/٥٠.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة[١].

(١) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [١]

١١٥- مسألة: من الذي حمل القميص إلى يعقوب؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الذي حمل القميص ليعقوب يهوذا[٢].

القول الثاني: شمعون[٣].

قال الرسعني:

وكان الذي حمل القميص يهوذا، فإنه قال لهم: يا إخوتي! أنا الذي حملتُ القميص على يعقوب بدمٍ كذب فأحزنته، فدعوني أحمل قميص يوسف لأسرّه.

وقال الضحاك: شمعون[٤].

والأول أكثر عند أهل العلم بالتفسير[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الذي حمل القميص ليعقوب يهوذا.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وابن جريج، ومجاهد، والضحاك، ووهب بن منبه، والسدي،

---

(١) سورة يوسف آية ٩٤.

(٢) تفسير مجاهد١/٣٢١، وتفسير مقاتل٢/١٦٢، وجامع البيان ١٣/٣٤٥، وتفسير ابن أبي حاتم٧/٢١٩٩، والبسيط١٢/٢٤٦، ومعالم التنزيل٢/٤٩٥، والمحرر الوجيز٣/٢٨٠، وزاد المسير٢/٤٧١، وإرشاد العقل السليم٤/٣٠٥، وفتح القدير٣/٥٤، والتحرير والتنوير١٣/٥٣.

(٣) زاد المسير٢/٤٧٠.

(٤) زاد المسير٢/٤٧٠.

(٥) رموز الكنوز٣/٤١٢.

ومقاتل[١].

٢- الكلبي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني، وابن عاشور[٢].

واستدلوا بما يلي :

بقول السدي: قال يهوذا ليوسف: أنا الذي حملتُ القميص إلى يعقوب بدم كذب فأحزنتُهُ، وأنا الآن أحمل قميصك لأسُرَّهُ، فحمله، قال ابن عباسﷺ: فخرج حافياً حاسراً يعدو، ومعه سبعةُ أرغفةٍ لم يستوف أكلها[٣].

القول الثاني: شمعون.

وممن قال به:الضحاك[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

مالك بن ذعر.

وممن قال به:رواية ضعيفة عن ابن عباسﷺ[٥].

حاصل الدراسة:

أجمع المفسرون على أن من حمل القميص ليعقوب هو ابنه الأكبر يهوذا، وهو أخو يوسف لأبيه، وهو الذي ذهب بالقميص الأول الذي كان عليه الدم ، وألقى القميص على وجه يعقوب. وهي الرواية الشهيرة عن ابن عباسﷺ. ونسب ابن الجوزي للضحاك

---

(١) تفسير مجاهد١/٣٢١، وتفسير مقاتل٢/١٦٢، وجامع البيان ١٣/٣٤٥، وتفسير ابن أبي حاتم٧/٢١٩٩، والبسيط١٢/٢٤٦، ومعالم التنزيل٢/٤٩٥، والمحرر الوجيز٣/٢٨٠، وزاد المسير٢/٤٧١، وإرشاد العقل السليم٤/٣٠٥، وفتح القدير٣/٥٤، والتحرير والتنوير١٣/٥٣.

(٢) التسهيل٢/١٢٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٧٠، واللباب في علوم الكتاب١١/٢١٠، وفتح القدير٣/٥٤، والتحرير والتنوير١٣/٥٣.

(٣) جامع البيان ١٣/٣٤٥، وزاد المسير٢/٤٧٠.

(٤) زاد المسير٢/٤٧٠.

(٥) اللباب في علوم الكتاب١١/٢١٠، وروح المعاني١٣/٥٤.

القول أنه شمعون، ولم يذكره غيره، ورواية ضعيفة عن ابن عباسﷺ أنه مالك بن ذعر عند ابن عادل.

المناقشة والترجيح:

الراجح: قول جمهور المفسرين وترجيح الرسعني أنه يهوذا.

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[1].

(1) جامع البيان ٢/٢٣١، والتسهيل ١/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢/٣٥٤، وأضواء البيان ١/٣٨٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٨٨.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [١]

١١٦- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ أَبَوَيۡهِ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أبوه وخالته[٢].

القول الثاني: أبوه وأمه[٣].

قال الرسعني:

أباه وخالته، فإن أمه كانت قد ماتت في نفاسها ببنيامين، إلا ما حكي عن الحسن أنه كانت تحيى، وهو قول ابن إسحاق. **والأول أكثر**[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أبوه وخالته؛ لأن أمه قد ماتت في نفاسها ببنيامين[٥].

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٦].

واستدلوا بما يلي :

---

(١) سورة يوسف آية: ٩٩.

(٢) جامع البيان١٣/٣٥٢، وتفسير ابن أبي حاتم٧/٢٢٠١، والبسيط١٢/٢٤٨، وزاد المسير٢/٤٧٣، والمحرر الوجيز٣/٢٨١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٧٣.

(٣) جامع البيان١٣/٣٥٢، والمحرر الوجيز٣/٢٨١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٧٣، وإرشاد العقل السليم٤/٣٠٧.

(٤) رموز الكنوز٣/٤١٩.

(٥) الكشاف٢/٤٧٦، ومفاتيح الغيب١٨/١٦٨، وفتح القدير ٣/٥٦، وروح المعاني١٣/٥٧.

(٦) جامع البيان١٣/٣٥٢، وتفسير ابن أبي حاتم٧/٢٢٠١، والبسيط١٢/٢٤٨، وزاد المسير٢/٤٧٣، والمحرر الوجيز٣/٢٨١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٧٣.

عن عمرو بن أبي سلمة[١] قال: سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[٢] فقلت أبلغك أنها خالته قال: قال ذلك بعض أهل العلم يقولون إن أمه ماتت قبل ذلك وإن هذه خالته[٣].

القول الثاني: أبوه وأمه، أنشر الله أم يوسف تحقيقاً للرؤيا حتى سجدت له[٤].

وممن قال به:

١- الحسن، وقتادة، وابن إسحاق[٥].

٢- الطبري، وابن عطية، وابن كثير، وأبو السعود[٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جرير: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله بن إسحاق؛ لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس والمتعارف بينهم في أبوين، إلا أن يصح ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها، فيسلم حينئذ لها[٧].

ب- قال ابن عطية: والأول-أبوه وأمه- أظهر بحسب اللفظ إلا لو ثبت بسند أن أمه قد كانت ماتت[٨].

---

(١) هو: عمرو بن أبي سلمة التنيسي، أبو حفص الدمشقي، توفي سنة ٢١٤. انظر: الكاشف٢/٧٧، وتهذيب التهذيب٨/٣٩.

(٢) سورة يوسف آية: ١٠٠.

(٣) جامع البيان١٣/٣٥٤.

(٤) البسيط١٢/٢٤٨، والكشاف٢/٤٧٦، ومفاتيح الغيب١٨/١٦٨، وفتح القدير ٣/٥٦، وروح المعاني ١٣/٥٧.

(٥) جامع البيان١٣/٣٥٢، وتفسير ابن أبي حاتم٧/٢٢٠١، وزاد المسير٢/٤٧٣، والمحرر الوجيز٣/٢٨١.

(٦) جامع البيان١٣/٣٥٢، والمحرر الوجيز٣/٢٨١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٧٣، وإرشاد العقل السليم٤/٣٠٧.

(٧) جامع البيان١٣/٣٥٢.

(٨) المحرر الوجيز٣/٢٨١.

ج- قال ابن كثير: تعليقاً على ترجيح الطبري: وهذا الذي نصره هو المتصور الذي يدل عليه السياق[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أنه أباه وجدته أم أمه.

وممن قال به:

حكاه الزهراوي[٢].

حاصل الدراسة:

قال المفسرون المراد بالأبوين هنا يعقوب وزوجته خالة يوسف؛ لأن أمه قد كانت ماتت في ولادتها لأخيه بنيامين. ولما ماتت أمه تزوج أبوه بخالته فسماها الله تعالى بأحد الأبوين؛ لأن الرابة تدعى، أُماً لقيامها مقام الأم، أو لأن الخالة أم كما أن العم أب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [٣].

والقول الثاني: أن المراد أبو يوسف يعقوب وأمه، وعلى هذا القول فقيل إن أمه كانت باقية حية إلى ذلك الوقت، وقيل: إنها كانت قد ماتت، إلا أن الله تعالى أحياها وأنشرها من قبرها حتى سجدت له تحقيقاً لرؤية يوسف عليه السلام[٤]. قال الألوسي رداً على هذا القول: والظاهر أنه لم يثبت ولو ثبت مثله لاشتهر[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد بالأبوين يعقوب أبو يوسف وأمه، وهو ترجيح الرسعني، وجمهور المفسرين. وهو الأظهر بحسب اللفظ، إلا لو ثبت بسند أن أمه قد كانت ماتت.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٧٣.

(٢) المحرر الوجيز٣/٢٨١، وروح المعاني١٣/٥٧.

(٣) سورة البقرة آية: ١٣٣.

(٤) الكشاف ٢/٤٧٦، والمحرر الوجيز٣/٢٨١، ومفاتيح الغيب ١٨/١٦٨، وروح المعاني١٣/٥٧.

(٥) روح المعاني١٣/٥٧.

والظاهر أنه لم يثبت شيئاً أن أم يوسف أحياها الله وأنشرها، ولو ثبت مثله لاشتهر.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[1].

(1) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

١١٧- مسألة: ما هي الأوجه الإعرابية لقوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: في موضع الجر وصفاً للكتاب(٢).

القول الثاني: في موضع رفع عطفاً على "آيات"(٣).

القول الثالث: في موضع جر عطفاً على "الكتاب"(٤).

القول الرابع: مرفوع بالاستئناف (مبتدأ) (٥).

قال الرسعني:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ يجوز أن يكون في موضع الجر وصفاً للكتاب(٦)، وإن كانت الواو دخلت فيه؛ لأن الواو يجوز دخولها في الصفة، تقول: مررتُ بزيد وصاحبك، فيكون الصاحب هو زيد، والتقدير: تلك آيات الكتاب المنزل إليك من ربك.

---

(١) سورة الرعد آية: ١.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٣٥/٣، وجامع البيان ٤٠٧/١٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، والبسيط ٢٨٠/١٢، والمحرر الوجيز ٢٩١/٣، وإملاء ما من به الرحمن ٦٠/٢، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، والدر المصون٦/٧.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٣٩٦/١، والمحرر الوجيز ٢٩١/٣، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، والدر المصون ٧/٧، وروح المعاني ٨٥/١٣.

(٤) معاني القرآن للفراء٥٨/٢، وجامع البيان ٤٠٧/١٣، ومعاني القرآن للزجاج١٣٥/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، والبسيط ٢٨٠/١٢، ومعالم التنزيل٥٠٧/٢، والمحرر الوجيز ٢٩١/٣، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، وفتح القدير٦٣/٣.

(٥) جامع البيان ٤٠٧/١٣، ومعاني القرآن للزجاج١٣٥/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، والبسيط ٢٨٠/١٢، ومعالم التنزيل٥٠٧/٢، والمحرر الوجيز ٢٩١/٣، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، وفتح القدير ٦٣/٣.

(٦) التبيان ٧٤٩/٢، والدر المصون٧/٧، وإعراب القرآن للنحاس٣٤٩/٢.

فعلى هذا: "الحق" مرتفع بإضمار هو، أو يكون خبراً بعد خبر، أو يكون "تلك" : مبتدأ، "آيات الكتاب" : نعتاً لـ"تلك".

"والذي أنزل" في موضع رفع عطفاً على "آيات"، أو في موضع جر عطفاً على "الكتاب"، والمراد بالكتاب: السورة، أي: تلك آيات السورة والذي أنزل إليك، وهو القرآن كله.

فعلى هذا: خبر المبتدأ: "الحق"[١].

وقال الفراء: "الذي": رفع بالاستئناف، خبره: "الحق"[٢]، **وهذا هو المشهور في التفسير**[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: في موضع الجر وصفاً للكتاب[٤]. هذا على قول ابن عباسﷺ في الكتاب أنه القرآن. وإن كان فيه الواو كقوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم[٥]

فعلى هذا: "الحق" مرتفع بإضمار هو، أو يكون خبراً بعد خبر، أو يكون "تلك": مبتدأ، "آيات الكتاب" : نعتاً لـ"تلك".[٦]

---

(١) التبيان ٧٤٩/٢، والدر المصون٧/٧، وإعراب القرآن للنحاس٣٤٩/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء٥٧/٢.

(٣) رموز الكنوز ٤٣٥/٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٣٥/٣، وجامع البيان ٤٠٧/١٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، والبسيط ٢٨٠/١٢، والمحرر الوجيز ٢٩١/٣، وإملاء ما من به الرحمن ٦٠/٢، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، والدر المصون٦/٧.

(٥) البيت بلا نسبة في جامع البيان ٤٠٧/١٣، والإنصاف لابن الأنباري ٤٦٩/٢، والكشاف ٨٢/١، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، وشرح قطر الندى ص٢٩٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٩، وخزانة الأدب ١٠٥/٥، ٨٦/٦.

(٦) معاني القرآن للفراء٥٨/٢، والبسيط ٢٨٠/١٢، وفتح القدير٦٣/٣.

وممن قال به:

أجازه الفراء، والزجاج، وأبو البقاء[١].

القول الثاني: في موضع رفع عطفاً على "آيات"[٢]. والمراد بالكتاب: السورة، أي: تلك آيات السورة والذي أنزل إليك، وهو القرآن كله. فعلى هذا: خبر المبتدأ: "الحق". أو خبر لمبتدأ محذوف أي: هو الحق[٣].

وممن قال به:

أجازه مكي، والحوفي، وأبو حيان[٤].

القول الثالث: في موضع جر عطفاً على "الكتاب". بمعنى: وآيات الذي أنزل إليك، على قول مجاهد، ثم رفع الحق على معنى: ذلك الحق، أو هو الحق[٥].

وممن قال به:

أجازه مكي، والحوفي، وابن عطية[٦].

واستدلوا بما يلي:

أنه كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن

---

(١) معاني القرن للفراء٢/٥٧-٥٨، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٥/٣، والتبيان في إعراب القرآن ٧٤٩/٢، وروح المعاني ٨٥/١٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، والمحرر الوجيز ٢٩١/٣، والدر المصون ٧/٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٣٥/٣، وإعراب القرآن للنحاس٣٤٩/٢، والتبيان ٧٤٩/٢، والدر المصون٧/٧.

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي ٣٩٦/١، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، والدر المصون ٧/٧، وروح المعاني ٨٥/١٣.

(٥) معاني القرآن للفراء٥٨/٢، وجامع البيان ٤٠٧/١٣، ومعاني القرآن للزجاج١٣٥/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، والبسيط ٢٨٠/١٢، ومعالم التنزيل٥٠٧/٢، والمحرر الوجيز ٢٩١/٣، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، وفتح القدير٦٣/٣.

(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي ٣٩٦/١، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، والدر المصون٧/٧.

رَّبِّكَ﴾ [١]. فترفع على إضمار ذلك الحق، أو هو الحق.

القول الرابع: مرفوع بالاستئناف (مبتدأ)، خبره: "الحق"[٢].

وممن قال به: أبو البقاء، والفراء ، والرازي، والألوسي[٣].

ومن أقوالهم:

قال الألوسي: فالظاهر أن الموصول فيه مبتدأ وجملة (أنزل) من الفعل ومرفوعه صلته (ومن ربك) متعلق بأنزل (والحق) خبر[٤].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ، فحصل في "الذي" وجهان للرفع، ووجهان للخفض.

الرفع بالابتداء، (والحق) خبر. ويجوز أن يكون الذي عطفاً على آيات في موضع رفع ويكون الحق مرفوعاً نعتاً للذي، أو على إضمار مبتدأ.

ويجوز أن يكون الذي في موضع خفض عطفاً على الكتاب، ويكون الحق رفعاً على إضمار مبتدأ. ويجوز خفضه يكون نعتاً للذي[٥].

والرفع بالابتداء هو القول الذي يظهر؛ لأن الأقوال الأخرى أجازها أهل اللغة، ولم يرجحوها.

---

(١) سورة البقرة آية: ١٤٦-١٤٧.

(٢) جامع البيان ٤٠٧/١٣، ومعاني القرآن للزجاج١٣٥/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، والبسيط ٢٨٠/١٢، ومعالم التنزيل٥٠٧/٢، والمحرر الوجيز ٢٩١/٣، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، وفتح القدير٦٣/٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ٥٧/٢، ومفاتيح الغيب١٨٤/١٨، والتبيان في إعراب القرآن ٧٤٩/٢، وروح المعاني ٨٥/١٣.

(٤) روح المعاني ٨٥/١٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٩/٢، والتبيان في إعراب القرآن ٧٤٩/٢.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه مرفوع على أنه مبتدأ، والحق خبره. وهو رأي جمهور المفسرين، وهو الأظهر في الآية.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية المشهورة[1].

(1) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾[1]

١١٨- مسألة: ما هي الأقوال في قوله تعالى: ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الباء من صلة "ترونها"، لم تقف على"عمد". وهاء الكناية ترجع إلى "عمد"، و"ترونها" صفة لها، التقدير: بغير عمد مرأية[2].

القول الثاني: الباء من صلة "رفع" والوقوف على"عمد". وهاء الكناية ترجع إلى "السموات"، و"ترونها" كلام مستأنف، والتقدير: ترونها بغير عمد[3].

قال الرسعني:

قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ إن جعلت الباء من صلة "ترونها" لم تقف على"عمد"، وإن جعلتها من صلة "رفع" وقفت على"عمد".

فعلى الأول هاء الكناية ترجع إلى "عمد" و"ترونها" صفة لها، التقدير: بغير عمد مرأية.

ويعضده قراءة أبيّ: "ترونه"، وهذا قول ابن عباسﷺ في رواية عطاء والضحاك، قال: لها عمد على قاف ولكنكم لا ترون العمد. وهذا قول مجاهد وعكرمة وعلي[4].

الثاني: "ترونها" كلام مستأنف، استشهاد برؤيتهم لها كذلك، وهاء الكناية ترجع

---

(١) سورة الرعد آية: ٢.

(٢) تفسير الصنعاني٣٣١/٢، وجامع البيان٤١١/١٣، وتفسير ابن أبي حاتم٢٢١٦/٧، والبسيط٢٨٣/١٢، والكشاف٤٨٢/٢، وإرشاد العقل السليم٣/٥.

(٣) الكشاف٤٨٢/٢، والتسهيل١٢٩/٢، وزاد المسير٤٨٠/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٠٢/٨، وإرشاد العقل السليم٣/٥.

(٤) تفسير مجاهد٣٢٣/١، وجامع البيان ٤١١/١٣، وتفسير ابن أبي حاتم٢٢١٦/٧، والمحرر الوجيز٢٩١/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/٦.

إلى"السموات"، وهذا قول ابن عباسﷺ في رواية أبي صالح، وبه قال الحسن وقتادة وجمهور العلماء. **وهو الصحيح**؛ لأنها لو احتاجت إلى عمد لافتقر العمد إلى دعامة أيضاً وتسلسل إلى ما لانهاية له[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الباء من صلة "ترونها"، لم تقف على"عمد". وهاء الكناية ترجع إلى "عمد"، و"ترونها" صفة لها، التقدير: بغير عمد مرأية.

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، ومجاهد، والحسن ، وقتادة، وعكرمة، وعطاء، والضحاك[٢].

واستدلوا بما يلي :

١- أنه نظير قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾[٣][٤].

٢- وفي مصحف أُبي"ترونه" بالتذكير مراعاة للفظ "عمد"[٥].

٣- وقال ابن عباسﷺ أيضاً: هي توحيد المؤمن أعمدت السماء حين كادت تنفطر من كفر الكافر ذكره الغزنوي[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) رموز الكنوز٣/٤٣٦.

(٢) تفسير الصنعاني ٢/٣٣١، وجامع البيان١٣/٤١١، وتفسير ابن أبي حاتم٧/٢٢١٦، والبسيط١٢/٢٨٣، والكشاف٢/٤٨٢، وإرشاد العقل السليم٥/٣.

(٣) سورة لقمان آية: ١٠.

(٤) أضواء البيان ٢/٢٢١.

(٥) البسيط١٢/٢٨٣، والمحرر الوجيز٣/٢٩١، والبحر المحيط ٥/٣٥٣، واللباب في علوم الكتاب١١/٢٣٨، والدر المنثور ٤/٦٠١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن٩/٢٧٩.

أ- قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ . فهي مرفوعة بغير عمد نراها، كما قال ربُّنا جل ثناؤُه، ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقولٍ سواه[١].

ب- قال الزجاج: ويجوز أن تكون (ترونها) من نعت العمد، والمعنى: بغير عمدٍ مرئيةٍ، وعلى هذا تعمدها قدرة الله عز وجل[٢].

القول الثاني: الباء من صلة "رفع" والوقوف على"عمد". وهاء الكناية ترجع إلى "السموات"، و"ترونها" كلام مستأنف، والتقدير: ترونها بغير عمد أصلاً.

وممن قال به:

أبو صالح عن ابن عباسﷺ، والحسن، وقتادة، و وإياس بن معاوية[٣]، ومقاتل، والكلبي، وابن الجوزي، وابن كثير[٤].

واستدلوا بما يلي:

أ- يدل عليه تصريحه تعالى أنه هو الذي يمسكها أن تقع على الأرض في قوله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [٥] [٦].

ب- قال إياس بن معاوية السماء على الأرض مثل القبة يعني بلا عمد[٧].

---

(١) جامع البيان١٣/٤١١.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣/١٣٦.

(٣) هو: إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني، أبو واثلة البصري، القاضي المشهور بالذكاء، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء٥/١٥٥، وتقريب التهذيب١/١١٧.

(٤) جامع البيان١٣/٤١١، وتفسير ابن أبي حاتم٧/٢٢١٦، والبسيط١٢/٢٨٣، والكشاف٢/٤٨٢، والتسهيل٢/١٢٩، وزاد المسير٢/٤٨٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/١٠٢، وإرشاد العقل السليم٥/٣.

(٥) سورة الحج آية: ٦٥.

(٦) أضواء البيان ٢/٢٢١.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/١٠٢.

ومن أقوالهم:

١- قال ابن عطية: وهذا كله ضعيف، والحق أن لا عمد جملة؛ إذ العمد يحتاج إلى العمد ويتسلسل الأمر فلا بد من وقوفه على القدرة، وهذا هو الظاهر من قوله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ ونحو هذا من الآيات[١].

٢- قال الكلبي: قال الجمهور: لا عمد لها البتة، فالمراد نفي العمد ونفي رؤيتها[٢].

٣- قال ابن كثير: وقال إياس بن معاوية: السماء على الأرض مثل القبة. يعني: بلا عمد وكذا روي عن قتادة وهذا هو اللائق بالسياق، والظاهر من قوله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ فعلى هذا يكون قوله: ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ تأكيداً لنفي ذلك، أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها، وهذا الأكمل في القدرة[٣].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ هذا الجار في محل نصب على الحال من "السموات"، أي: رفعها خاليةً من عمد. ثم في هذا الكلام وجهان، أحدهما: انتفاء العمد والرؤية جميعاً، أي: لا عمد فلا رؤية، يعني لا عمد لها فلا تُرى. وإليه ذهب الجمهور. والثاني: أن لها عمداً ولكن غيرُ مرئيةٍ. وعن ابن عباسﷺ:"وما يدريك أنهما بعمدٍ لا تُرى؟"، وإليه ذهب مجاهد.

هذا إذا قلنا: إن "ترونها" صفة، أما إذا قلنا: إنها مستأنفة فيتعين أن لا عمد لها البتة. وقال الواحدي: وزعم بعضهم أن "ترونها" خبرٌ لفظاً، ومعناه الأمر، أي روها

---

(١) المحرر الوجيز٣/٢٩١.

(٢) التسهيل ٢/١٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/١٠٢.

وانظروا إليها لتعتبروا بها. وهو بعيدٌ، ويتعين على هذا أن تكون مستأنفة؛ لأن الطلب لا يقع صفةً ولا حالاً[١].

قال ابن تيمية: وليست السماوات متصلة بالأرض لا على جبل قاف ولا غيره، بل الأفلاك مستديرة كما أخبر الله ورسوله، وكما ذكر ذلك علماء المسلمين وغيرهم فذكره ابن حزم وابن الجوزي وغيرهم إجماع المسلمين على أن الأفلاك مستديرة[٢].

والنظرية العلمية لهذه الآية: أنه كلما نظر الإنسان إلى نجوم السماء وكواكبها يراها متماسكة وثابتة في مواضعها، وهي سابحة في أفلاكها طبقاً لنظام بديع لا يحيد عنه أبداً، وقد فسر العلم هذه القوة الكونية التي تحفظ السماء والأرض والكون من التفكك، وتصونه من الاضطراب والخلل بأنها قوة الجاذبية[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن ليس لها عمد ألبته وهو قول الجمهور، وترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٤].

---

(١) البسيط٧/١١، وزاد المسير٢/٤٨٠، وأضواء البيان ٢/٢٢١.

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٥٩٥.

(٣) إعجاز القرآن الكريم ص٢٦٩.

(٤) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [١]

١١٩- مسألة: ما محل (الذي رفع) من الإعراب؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الرفع خبر المبتدأ[٢].

القول الثاني: صفة، والخبر:"يدبر الأمر"، وقوله: "يفصل الآيات" خبر بعد خبر[٣].

قال الرسعني:

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ أي: يُصرِّف أمر مملكته بحكمته، ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ يبين الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته على البعث وغيره ﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ قال ابن عباسﷺ: كي توقنون بالبعث، وتعلمون أنه لا إله غيري.

فإن قيل: ما محل (الذي رفع) من الإعراب؟

قلت: الرفع خبر المبتدأ، أو صفة.

فإن قيل: إذا جعلته صفة، فأين الخبر؟

قلت:"يدبر الأمر"، وقوله: "يفصل الآيات" خبر بعد خبر.

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ [٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الرعد آية: ٢.

(٢) الكشاف ٤٨٢/٢، ومفاتيح الغيب ١٨٥/١٨، والبحر المحيط ٣٥٣/٥.

(٣) الكشاف ٤٨٢/٢، ومفاتيح الغيب ١٨٥/١٨، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، وفتح القدير٦٤/٣.

(٤) رموز الكنوز٤٣٨/٣.

القول الأول: الرفع خبر المبتدأ، وهو (الله)[١].

وممن قال به: أبو حيان[٢].

واستدلوا : بقوله تعالى بعدها: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾.

ومن أقوالهم:

قال أبو حيان: والجلالة مبتدأ، والذي هو الخبر بدليل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ ثم نقل قول الزمخشري[٣].

القول الثاني: صفة، والخبر:"يدبر الأمر"، وقوله: "يفصل الآيات" خبر بعد خبر[٤].

جوز الإعراب به: الزمخشري، والعكبري، والسمين الحلبي[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزمخشري: ويجوز أن يكون صفة. وقوله : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾ خبراً بعد خبر، وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات[٦].

ب- قال السمين الحلبي: قوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾ قرأ العامة هذين الحرفين بالياء من تحت جرياً على ضمير اسم الله تعالى، وفيهما وجهان، أحدهما -وهو الظاهر-: أنهما مستأنفان للإخبار بذلك[٧].

---

(١) الكشاف ٤٨٢/٢، ومفاتيح الغيب ١٨٥/١٨، والبحر المحيط ٣٥٣/٥.

(٢) البحر المحيط ٣٥٣/٥.

(٣) البحر المحيط ٣٥٣/٥.

(٤) الكشاف ٤٨٢/٢، ومفاتيح الغيب ١٨٥/١٨، والبحر المحيط ٣٥٣/٥، وفتح القدير٦٤/٣.

(٥) الكشاف٤٨٢/٢، والتبيان في إعراب القرآن ٧٥٠/٢، وإملاء ما من به الرحمن ٦٠/٢، والدر المصون١١/٧.

(٦) الكشاف٤٨٢/٢.

(٧) الدر المصون١١/٧.

حاصل الدراسة:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى ﴾ الخ على جميع التقادير مبتدأ وخبر. وجوز أن يكون الاسم الجليل مبتدأ والموصول صفته وجملة ﴿ يُدَبِّرُ ﴾ خبره، وجملة ﴿ يُفَصِّلُ ﴾ خبراً بعد خبر.

ورجح كون ذلك مبتدأ وخبراً في الكشف بأن قوله تعالى الآتي :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ عطف عليه على سبيل التقابل بين العلويات والسفليات، وفي المقابل تتعين الخبرية[١].

وهو الذي رجحه أبو حيان، وهو الذي وصف نفسه أنه يحمل القرآن على أحسن إعراب وأحسن تركيب[٢]. والقول الثاني جوزوا الإعراب به، ولم ينصوا على ترجيحه عندهم.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن لفظ الجلالة مبتدأ و(الذي رفع) خبر المبتدأ.وهو ترجيح الرسعني.
القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية الأظهر في الآية[٣].

---

(١) روح المعاني١٣/٨٩

(٢) البحر المحيط١/١٠٣.

(٣) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [١]

١٢٠- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: اسم الملك الذي يزجر السحاب، وصوته: تسبيحه[٢].

القول الثاني: هو الصوت المسموع من اصطكاك أجرام السحاب أو الريح. ويسبح سامعوا الرعد من العباد[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أي: ينزّه الله تعالى بالثناء عليه. وقد سبق ذكر الرعد في أوائل البقرة[٤]، وأنه صوت ملك يزجُر السحاب.

وقد روي عن ابن عباسﷺ عن النبي ﷺ:" أنه ملك موكّل بالسحاب"[٥].

وروى الضحاك عن ابن عباسﷺ: أن الرعد ملّكٌ يسوق السحاب، وإن بخر الماء لفي نقرة إبهامه، وأنه يسبح الله تعالى، فإذا سبح الرعد لا يبق ملكٌ في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح، فعندها ينزل المطر[٦].

فإن كان ملَكاً فلا إشكال في إضافة التسبيح إليه.

---

(١) سورة الرعد آية: ١٣.

(٢) زاد المسير٢/٤٨٧، وجامع البيان١٣/٤٧٨، والكشف والبيان٥/٢٧٩، ومعاني القرآن للنحاس٣/٤٨٢، ومفاتيح الغيب١٩/٢١.

(٣) الكشاف٢/٤٨٨، ومحاسن التأويل٦/٢٦٩.

(٤) سورة البقرة مفقودة.

(٥) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرعد، ح(٣١١٧) ، وقال حديث حسن غريب.

(٦) معالم التنزيل٢/٥١٨، والجامع لأحكام القرآن٩/٢٩٦.

قال الزجاج: جائز أن يكون صوت الرعد تسبيحه[١].

وإن كان الرعد صوت اصطكاك أجرام السحاب أو الريح التي تخنق-كما سبق في سورة البقرة-؛ فقال الزمخشري: المعنى: ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين المطر حامدين له، أي: يضجّون بسبحان الله والحمد لله.

والأول هو التفسير الصحيح الذي أطبق عليه أهل العلم بالمنقولات[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: اسم الملك الذي يزجر السحاب، وصوته: تسبيحه. [٣]

وممن قال به:

٤- ابن عباسﷺ، وعطية، ومجاهد، والضحاك، وعكرمة، ومقاتل، وطاووس.

٥- الزجاج، وابن الأنباري، والبغوي، وابن عادل[٤] .

واستدلوا بما يلي:

١- روى سعيد بن جبير عن ابن عباسﷺ أن اليهود سألت رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ فقال: " الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، معه مخاريق يسوق بها السحاب حيث يشاء"، قالوا: فما الصوت الذي يسمع؟ قال: "زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أُمر"، قالوا: صدقت[٥].

---

(١) معاني القرآن للزجاج٣/١٤٣.

(٢) رموز الكنوز ٣/٤٥٧.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٣٠٣.

(٤) جامع البيان١٣/٤٧٨، ومعاني القرآن للنحاس٣/٤٨٢، والكشف والبيان٥/٢٧٩، ومفاتيح الغيب١٩/٢١، وزاد المسير٢/٤٨٧، واللباب في علوم الكتاب ١١/٢٧٤.

(٥) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الرعد، ح(٣١١٧) ، وقال حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح الترمذي. والمخاريق كجمع مخراق، وهو في الأصل: ثوب يلف، ويضرب به

ومن أقوالهم:

قال البغوي: أكثر المفسرين على أن الرعد اسم مَلَكٍ يسوق السحاب، والصوت المسموع منه تسبيحه[١].

القول الثاني: هو الصوت المسموع من اصطكاك أجرام السحاب أو الريح، ويسبح سامعوا الرعد من العباد. [٢]

وممن قال به: الزمخشري، والقاسمي[٣].

ومن أقوالهم:

قال الزمخشري: المعنى: ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين المطر حامدين له، أي: يضجّون بسبحان الله والحمد لله[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- الرعد هو صوت السحاب، وهو يسبح الله بعقل يجعله الله له[٥].

روى حميد بن عبد الرحمن عن شيخ أدرك النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله ينشئ السحاب، فينطق أحسن المنطق. ويضحك أحسن الضحك[٦].

٢- جائز أن يكون ما نسمعه صوت الملك الموكل بالسحاب يزجر به السحاب، وله تسبيح لا نسمعه يسبح الله به. وهذا معنى ابن الأنباري[٧].

الصبيان بعضهم بعضاً، وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب. أفاده المباركفوري في تحفة الأحوذي ٤٣١/٨.

(١) معالم التنزيل٥١٨/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣٠٣/٣.

(٣) الكشاف٤٨٨/٢، ومحاسن التأويل٢٦٩/٦.

(٤) الكشاف ٤٨٨/٢، ومحاسن التأويل٢٦٩/٦.

(٥) البسيط٤١٢/١٢.

(٦) أخرجه أحمد٤٣٥/٥ (٢٣٧٣٦)، وأبو الشيخ في العظمة ١٢٤٤/٤، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢٢/٣، والبسيط١٢٣١٤.

(٧) معاني القرآن للزجاج١٤٣/٣، والبسيط٣١٣/١٢، وزاد المسير٣٨٧/٢.

قال ابن الأنباري: إخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز، كما يقول القائل: قد غمَّني كلامك[١].

حاصل الدراسة:

ذكر المفسرون أقوالاً في كيفية تسبيح الملائكة، وأكثر المفسرين على أن: الرَّعدُ اسم ملكٍ يسوقُ السَّحاب، والصوت المسموع تسبيحه.

وقيل الرعد اسم صوت الملك. وجائز أن يكون ما نسمعه صوت الملك الموكل بالسحاب يزجر به السحاب، وله تسبيح لا نسمعه يسبح الله به.

ومنهم من قال: أن الرعد هو صوت السحاب، وهو يسبح الله بعقل يجعله الله له.

وقيل: الصوت المسموع من اصطكاك أجرام السحاب أو الريح، ويسبح سامعوا الرعد من العباد[٢].

قال الشيخ ابن تيمية بعد ذكره للآثار السابقة المروية عن ابن عباسﷺ في الرعد: وقد روي عن بعض السلف أقوال لا تخالف ذلك، كقول من يقول: إنه اصطكاك أجرام السحاب بسبب انضغاط الهواء ، فإن هذا لا يناقض ذلك، فإن الرعد مصدر رعد يرعد رعداً، وكذلك الراعد يسمى رعداً، كما يسمى العادل عدلاً، والحركة توجب الصوت، والملائكة هي التي تحرك السحاب، وتنقله من مكان إلى مكان. وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فهي عن الملائكة، وصوت الإنسان هو عن اصطكاك أجرامه الذي هو شفتاه ولسانه وأسنانه ولهاثه وحلقه، وهو مع ذلك يكون مسبحاً للرب، وآمراً بمعروف، وناهياً عن منكر، فالرعد إذاً صوت يزجر السحاب[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الرَّعدُ اسم ملكٍ يسوقُ السَّحاب، والصوت المسموع تسبيحه. وهو ترجيح الرسعني، وجمهور المفسرين.

---

(١) زاد المسير ٢/٣٨٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٠٣، واللباب في علوم الكتاب ١١/٢٧٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٦٣-٢٦٤، والعظمة ٤/١٢٧٩-١٢٩٦.

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[1].

(1) جامع البيان ٢/٢٣١، والتسهيل ١/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢/٣٥٤، وأضواء البيان ١/٣٨٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٨٨.

قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ [1]

١٢١- مسألة: ما هي الأوجه الإعرابية في قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الحسنى" مبتدأ، و"للذين" الخبر. و"والذين لم يستجيبوا له" مبتدأ، و"لو أن لهم" الخبر[2].

القول الثاني: اللام في "للذين استجابوا" متعلقة بما قبلها، و"الحسنى" صفة مصدر محذوف. و"لو أن لهم" كلام مبتدأ[3].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ كلام مستأنف. "الحسنى" مبتدأ، والظرف الذي هو"للذين" الخبر.

والحسنى: الجنة وكل خير.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ ﴾ مبتدأ، خبره: "لو" مع ما في حيزه، وهذا المعنى هو **المشهور في التفسير**.

ويجوز أن يتعلق اللام من "للذين استجابوا" بما قبلها، وهو يضرب على معنى:

---

(١) سورة الرعد آية: ١٨.

(٢) لباب التأويل ١٦/٤، والدر المصون٤٣/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٩٠/١١، والتحرير والتنوير ١٢٢/١٣.

(٣) لباب التأويل ١٦/٤، والدر المصون٤٣/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٩٠/١١، والتحرير والتنوير١٣ /١٢٢.

يضرب الله الأمثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين الذين ل يستجيبوا.

و"الحسنى" على هذا: صفة مصدر محذوف، تقديره: الاستجابة والحسنى.

وقوله: ﴿ لَوۡ أَنَّ لَهُم ﴾ كلام مبتدأ مبين لما أعد الله لغير المستجيبين، وهو مع ما في حيزه مفسر في المائدة[١][٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الحسنى" مبتدأ، و"للذين" الخبر. و"والذين لم يستجيبوا له" مبتدأ، و"لو أن لهم" الخبر[٣].

وممن قال به: الحوفي[٤]، وأبو حيان[٥].

ومن أقوالهم:

قال أبو حيان: فالحسنى مبتدأ، وخبره في قوله: "للذين". "والذين لم يستجيبوا مبتدأ"، خبره ما بعده... وذكر الوجه الثاني ثم قال: والتفسير الأول أولى[٦].

القول الثاني: اللام في "للذين استجابوا" متعلقة بـ"يضرب"، و"الحسنى" صفة مصدر محذوف. و"لو أن لهم" كلام مبتدأ[٧].

---

(١) سورة المائدة مفقودة.

(٢) رموز الكنوز٣/٤٧١.

(٣) لباب التأويل ١٦/٤، والدر المصون٤٣/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٩٠/١١، والتحرير والتنوير ١٢٢/١٣.

(٤) هو: علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحوفي، ثم المصري، النحوي، الأوحد، توفي سنة ثلاثين وأربعمائة للهجرة. انظر: وفيات المصريين٧٢/١، وطبقات المفسرين للسيوطي٨٣/١.

(٥) البحر المحيط٣٧٣/٥.

(٦) البحر المحيط٣٧٣/٥.

(٧) لباب التأويل ١٦/٤، والدر المصون٤٣/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٩٠/١١، والتحرير والتنوير ١٢٢/١٣.

وقد بدأ بهذا القول الزمخشري[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزمخشري: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ ﴾ اللام متعلقة بيضرب، أي: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا، وللكافرين الذين لم يستجيبوا، أي: هما مثلا الفريقين. و ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ صفة لمصدر استجابوا، أي: استجابوا الاستجابة الحسنى. وقوله: ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم ﴾ كلام مبتدأ في ذكر ما أعدّ لغير المستجيبين[٢].

حاصل الدراسة:

في الآية وجهان: أن الكلام تم عند قوله: "كذلك يضرب الله الأمثال" ثم استأنف بقوله: "للذين استجابوا لربهم الحسنى" ، فالحسنى مبتدأ، وخبره في قوله: "للذين". "والذين لم يستجيبوا" مبتدأ، خبره ما بعده. وغاير بين جملتي الابتداء لما يدل عليه تقديم الجار والمجرور في الاعتناء والاهتمام، وعلى رأي الزمخشري من الاختصاص أي: لهؤلاء الحسنى لا لغيرهم[٣].

والوجه الثاني: "للذين استجابوا" متعلقة بيضرب أي: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا ، وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي: هما مثلاً الفريقين. و"الحسنى" صفة لمصدر استجابوا، أي: استجابوا الاستجابة الحسنى. وقولهم: لو أن لهم كلام مبتدأ، ذكر ما أعد لغير المستجيبين. وقال أبو حيان: التفسير الأول أولى؛ لأنه فيه ضرب الأمثال غير مقيد بمثل هذين، والله تعالى قد ضرب أمثالاً كثيرة في هذين وفي غيرهما؛ ولأنه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزمخشري، فكما ذكر ما لغير المستجيبين من العقاب، ذكر ما للمستجيبين من الثواب. ولأنّ تقديره الاستجابة الحسنى مشعر بتقييد الاستجابة، ومقابلتها ليس نفي الاستجابة مطلقاً، إنما مقابلها نفي

---

(١) الكشاف٢/٤٩٤.

(٢) الكشاف٢/٤٩٤.

(٣) البحر المحيط٥/٣٧٣.

الاستجابة الحسنى، والله تعالى قد نفى الاستجابة مطلقاً. ولأنه على قوله يكون قوله: لو أن لهم ما في الأرض جميعاً، كلاماً مفلتاً مما قبله، أو كالمفلت، إذ يصير المعنى: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين والكافرين. لو أن لهم ما في الأرض، فلو كان التركيب بحرف رابط لو بما قبلها زال التفلت، وأيضاً فيوهم الاشتراك في الضمير، وإن كان تخصيص ذلك بالكافرين معلوماً لهم[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الحسنى مبتدأ، وخبره في قوله: "للذين". "والذين لم يستجيبوا" مبتدأ، خبره ما بعده.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية الأظهر في الآية[٢].

---

(١) الكشاف٢/٤٩٤، ولباب التأويل ١٦/٤، والبحر المحيط٥/٣٧٣.

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1]

١٢٢- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أداء الزكاة المفروضة، في الخفاء والظاهر[2].

القول الثاني: العموم فالسر يتقيد بالتطوع، والعلانية يتقيد بالفرض[3].

قال الرسعني:

﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ على الوجه المأمور به، ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ ﴾ من الأموال المكتسبة من الوجه الحلال، ﴿ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ ، قال ابن عباسﷺ: يريد: الصلوات الخمس والزكاة.

والأظهر في نظري: القول بالعموم في نفل الإنفاق وفرضه، فقوله:"سراً" يتقيد بالنفل، فإنه أفضل، وقوله:"علانية" يتقيد بالفرض لشرعية إظهاره؛ نفياً للتهمة[4].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أداء الزكاة المفروضة، في الخفاء والظاهر.

وممن قال به:

---

(١) سورة الرعد آية: ٢٢.

(٢) معالم التنزيل٢/٥٢٦، وزاد المسير٢/٤٩٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/١٣٥، والتحرير والتنوير ٣/٧٧.

(٣) لباب التأويل٤/١٨، واللباب في علوم الكتاب١١/٢٩٤، وإرشاد العقل السليم٥/١٧، وروح المعاني ١٣/١٤٢.

(٤) رموز الكنوز ٣/٤٧٦.

ابن عباسﷺ، والحسن، والبغوي، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن عاشور[١].

واستدلوا بما يلي :

١- عن ابن عباسﷺ قوله: ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾. يعني: الصلوات الخمس، ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ . يقول: الزكاة[٢].

٢- قال الحسن: المراد به الزكاة المفروضة، فإن لم يتهم بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها سراً، وإن كان متهماً بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها علانية[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: يقول: وأدوا من أموالهم زكاتها المفروضة، وأنفقوا منها في السبل التي أمرهم الله بالنفقة فيها، سراً في خفاء، وعلانيةً في الظاهر[٤].

ب- قال ابن كثير: ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ أي: على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومحاويج ومساكين ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ أي: في السر والجهر لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال آناء الليل وأطراف النهار[٥].

القول الثاني: العموم فالسر يتقيد بالنفل، والتطوع، والعلانية يتقيد بالفرض وهو الزكاة[٦].

---

(١) جامع البيان١٣/٥٠٩، ومعالم التنزيل٢/٥٢٦، وزاد المسير٢/٤٩٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/١٣٥، واللباب في علوم الكتاب١١/٢٩٤، وروح المعاني١٣/١٤٢، والتحرير والتنوير ٣/٧٧.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/٥٠٩.

(٣) اللباب في علوم الكتاب١١/٢٩٤، وروح المعاني١٣/١٤٢.

(٤) جامع البيان ١٣/٥٠٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/١٣٥.

(٦) لباب التأويل٤/١٨، واللباب في علوم الكتاب١١/٢٩٤، وإرشاد العقل السليم٥/١٧، وروح المعاني ١٣/١٤٢.

وممن قال به: ابن عطية، والخازن، والشوكاني، والألوسي[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: وقوله ﴿ وَأَنفَقُواْ ﴾ يريد به مواساة المحتاج، والسر هو فيما أنفق تطوعاً، والعلانية فيما أنفق من الزكاة المفروضة؛ لأن التطوع كله الأفضل فيه التكتم[٢].

ب- قال الخازن: المراد بالسر صدقة التطوع، والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم أولى[٣].

ج- قال الشوكاني: ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ﴾ أي: أنفقوا بعض ما رزقناهم، والمراد بالسر صدقة النفل، والعلانية صدقة الفرض[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- إن المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه، والمراد بالعلانية ما يؤديه إلى الإمام[٥].

٢- "سراً"حيث يحسن السر كما في إنفاق من لم يعرف بالمال إذا خشي التهمة في الإظهار، أو من عرف به لكن لو أظهره ربما أدخله الرياء والخيلاء، أو لمن لا يتهم بترك الزكاة، وكما في الإعطاء عند إنفاقه وإعطائه من تمنعه المروءة من أخذه ظاهراً "وعلانية" لمن لم يكن كما ذكر[٦].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ﴾ بعض ما أعطيناهم وهو الذي وجب عليهم

---

(١) المحرر الوجيز٣/٣٠٩، ولباب التأويل٤/١٨، وفتح القدير٣/٧٨، وروح المعاني١٣/١٤٢.

(٢) المحرر الوجيز٣/٣٠٩.

(٣) لباب التأويل٤/١٨.

(٤) فتح القدير٣/٧٨.

(٥) لباب التأويل٤/١٨، واللباب في علوم الكتاب١١/٢٩٤، وروح المعاني١٣/١٤٢.

(٦) إرشاد العقل السليم٥/١٧، وفتح القدير٣/٧٨، وروح المعاني١٣/١٤٢.

إنفاقه كالزكاة، وما ينفق على العيال، والمماليك، أو ما يشمل ذلك والذي ندب.

﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ حيث يحسن السر، كما في إنفاق من لا يعرف بالمال إذا خشي التهمة في الإظهار، أو من عرف به لكن لو أظهره ربما أدخله الرياء والخيلاء، وكما في الإعطاء لمن تمنعه المروءة من الآخذ ظاهراً. وعلانية حيث تحسن العلانية كما إذا كان الأمر على خلاف ما ذكر وقال بعضهم: إن الأول مخصوص بالتطوع، والثاني بأداء الواجب. وقيل: السر ما يؤديه بنفسه والعلانية ما يؤديه إلى الإمام، والأول الحمل على العموم ولعل تقديم السر للإشارة إلى فضل صدقته. وجاء في الصحيح عد المتصدق سراً من الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم القيامة[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: العموم، فالسر حيث يحسن السر، وعلانية حيث تحسن العلانية

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٢].

---

(١) روح المعاني ١٤١/١٣.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٠/١، والمحرر الوجيز ٩٤/١، والتسهيل ٩/١، وروح المعاني ١٥٤/٢٨، وأضواء البيان ٣٠٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ [١]

١٢٣- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ذكرهم بنعم الله[٢].

القول الثاني: ذكِّرهم بالأيام التي سلفت لمن كفر وما نزل بهم فيها، وذكرهم بنعم الله[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ﴾ قال مجاهد وقتادة وابن قتيبة[٤]: بنعم الله[٥]. يشيرون إلى ما خصّهم به من التظليل بالغمام، وإنزال المن والسلوى عليهم، وإهلاك عدوهم، وفَلق البحر لهم.

أخبرنا المؤيد بن محمد بن علي في كتابه، ابنا عبد الجبار بن محمد الخواري، ابنا علي بن أحمد النيسابوري، ثنا عبد القاهر بن طاهر، أبنا محمد بن الحسن بن أحمد السراج، أبنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا عبد الحميد بن صالح، ثنا محمد بن أبان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَذَكِّرۡهُم

---

(١) سورة إبراهيم آية: ٥.

(٢) تفسير مجاهد١/٣٣٣، وجامع البيان ٥٩٦/١٣، وبحر العلوم٢/٢٣٥، ومعالم التنزيل٢/٥٤٥، والجامع لأحكام القرآن ٣٤١/٩.

(٣) جامع البيان ٥٩٥/١٣، وبحر العلوم٢/٢٣٥، ومعالم التنزيل٢/٥٤٥، وزاد المسير٢/٥٠٤، ومفاتيح الغيب٦٧/١٩، والتسهيل ١٣٨/٢، وفتح القدير٣/٩٤.

(٤) تفسير غريب القرآن ص٢٣٠.

(٥) تفسير مجاهد ٣٣٣/١، وجامع البيان٥٩٥/١٣.

بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: "أيامه: نِعَمه"[١].

فإن صح الحديث فهو **التفسير لا غير**.

ومحمد بن أبان ضعيف عند أهل النقل. قال ابن معين: ضعيف الحديث لا يكتب حديثه[٢].

وقال البخاري: محمد بن أبان يتكلمون في حفظه، حديثه ليس بالقوي[٣].

وقال جماعة؛ منهم ابن زيد وابن السائب ومقاتل[٤]: "ذكرهم بأيام الله": بوقائعه في الأمم[٥].

وقال الزجاج[٦]: ذكرهم بأيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود. أي: ذكِّرهم بالأيام التي سلفت لمن كفر وما نزل بهم فيها، وذكرهم بنعم الله.

وهذا قول شديد؛ لأن المراد: ذكّرهم مُرَغِّباً ومُرَهِّباً بما كان في أيام الله من النِّعم والنِّقم، فاجتزأ عنها بذكر الأيام؛ لاشتمالها عليها، ومبادرة الأفهام إليها[٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ذكرهم بنعم الله؛ لأن الأيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعماً جليلة؛ أنقذهم فيها من آل فرعون، بعد ما كانوا من العذاب المهين، وغرّق عدوهم فرعون وقومه، وأنزل المن والسلوى عليهم، وأهلك عدوهم، وفَلق البحر لهم،

---

(١) أخرجه أحمد٥/١٢٢،(٢١١٦٦)، والطبري١٣/٥٩٥.

(٢) الجرح والتعديل٧/١٩٩.

(٣) ميزان الاعتدال٦/٤١.

(٤) تفسير مقاتل ٢/١٨٣.

(٥) أخرجه الطبري١٣/٥٩٤ عن ابن زيد، وزاد المسير٢/٥٠٤.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٥٥.

(٧) رموز الكنوز٣/٥٠٨-٥١٠.

وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم[١].

وممن قال به:

أبي بن كعب، وابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة، وابن كثير، والألوسي[٢].

واستدلوا بما يلي :

أ- عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ قال: "أيامه: نِعَمه"[٣].

ب- قالوا وجدنا لتسمية النعم بالأيام شاهداً في كلامهم، فاستشهدوا بقول عمرو بن كلثوم[٤]:

وأيام لنا غرر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

القول الثاني: ذكِّرهم بالأيام التي سلفت لمن كفر وما نزل بهم فيها، وبوقائع الله وخوفهم بأيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود والأمم السالفة، وذكرهم بنعم الله. واللفظ يعم النعم والنقم يقال: فلان عالم بأيام العرب، فاجترأ بذكر الأيام عنها؛ لأنها كانت معلومة عندهم أي: بوقائعهم[٥].

وممن قال به:

---

(١) تفسير مجاهد ٣٣٣/١، وجامع البيان٥٩٤/١٣، وزاد السير٥٠٤/٢، ومفاتيح الغيب٦٧/١٩.

(٢) تفسير مجاهد٣٣٣/١، وجامع البيان ٥٩٦/١٣، وبحر العلوم٢٣٥/٢، ومعالم التنزيل٥٤٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٤١/٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٧٧/٨، وروح المعاني١٨٧/١٣.

(٣) أخرجه أحمد١٢٢/٥(٢١٢٠٨)، والطبري٥٩٥/١٣.

(٤) شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري ص٣٨٨.

(٥) جامع البيان ٥٩٥/١٣، وبحر العلوم٢٣٥/٢، ومعالم التنزيل٥٤٥/٢، وزاد المسير٥٠٤/٢، ومفاتيح الغيب٦٧/١٩، والتسهيل ١٣٨/٢، وفتح القدير٩٤/٣.

١- ابن عباسﷺ، ومقاتل وابن زيد، وابن السائب، والربيع[١].

٢- الطبري، والزجاج، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والكلبي[٢].

واستدلوا بما يلي:

١- حديث أبي مرفوعاً في صحيح مسلم:" ... أيام الله نعماؤه وبلاؤه..."[٣].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما: نعماؤه وبلاؤه. فأمّا نعماؤه، فإنه ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وفلق لهم البحر، وأمّا بلاؤه فإهلاك القرون[٤].

٢- المعنى: بنعمائه وبلائه، كما ينبيء عنه الآية بعده قوله:﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: وتذكيرهم بأيام الله، أي تذكيرهم بنعم أيام الله عليهم، وبنقم الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود، أي ذكرهم بالأيام التي سلفت لمن كفر وما نزل بهم فيها، وذكرهم بنعم الله، والدليل على أن التذكير مشتمل على الإنذار والتحذير مما نزل بمن قبلهم قوله عز وجل بعد هذه الآية: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾[٦][٧].

ب- وقال الزمخشري: وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم: قوم نوح وعاد وثمود. ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها، كيوم ذي قار، ويوم الفجار، ويوم قضة

---

(١) تفسير مقاتل ١٨٣/٢، وجامع البيان ٥٩٦/١٣، وروح المعاني١٨٨/١٣.

(٢) جامع البيان٥٩٥/١٣، ومعاني القرآن للزجاج١٥٥/٣، ومعالم التنزيل٥٤٥/٢، والكشاف٥٠٨/٢، والتسهيل١٣٨/٢.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام،ح(٢٣٨٠).

(٤) الكشاف ٥٠٨/٢.

(٥) إرشاد العقل السليم ٣٣/٥.

(٦) سورة إبراهيم آية:٩.

(٧) معاني القرآن للزجاج١٥٥/٣.

وغيرها، وهو الظاهر[١].

ج- وقال ابن عطية: حكى الطبري عن فرقة أنها قالت: ﴿ بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ نعمة، وعن فرقة أنها قالت ﴿ بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ نقمه[٢]. قال ابن عطية: ولفظة الأيام تعم المعنيين؛ لأن التذكير يقع بالوجهين جميعاً[٣].

د- وقال الألوسي: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بنعمائه وبلائه. كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واختاره الطبري؛ لأنه الأنسب بالمقام والأوفق[٤].

حاصل الدراسة:

أمر الله عز وجل موسى أن يعظ قومه بالتهديد بنقم الله التي أحلها بالأمم الكافرة قبلهم وبالتعديد لنعمه عليهم في المواطن المتقدمة وعلى غيرهم من أهل طاعته ليكون جريهم على منهاج الذين أنعم عليهم وهربهم من طريق الذين حلت بهم النقمات وعبر عن النعم والنقم بالأيام إذ هي في أيام وفي هذه العبارة تعظيم هذه الكوائن المذكر بها ومن هذا المعنى قولهم يوم عصيب ويوم عبوس ويوم بسام وإنما الحقيقة وصف ما وقع فيه من شدة أو سرور[٥].

وأيام الله في حق موسى عليه السلام منها ما كان أيام المحنة والبلاء وهي الأيام التي كانت بنو إسرائيل فيها تحت قهر فرعون، ومنها ما كان أيام الراحة والنعماء مثل إنزال المن والسلوى وانفلاق البحر وتظليل الغمام[١].

وحاصل المعنى عظهم بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وقد استظهره الزمخشري للغلبة العرفية وأن العرب استعملته للوقائع. ويؤيده الحديث في صحيح مسلم.

ورد الطبري من استشهد بقول عمرو بن كلثوم أن يكون المراد به النعم. قال

---

(١) الكشاف ٥٠٨/٢

(٢) المحرر الوجيز٣٢٤/٣.

(٣) المحرر الوجيز٣٢٤/٣.

(٤) روح المعاني١٨٨/١٣.

(٥) المحرر الوجيز٣٢٤/٣.

الألوسي: وأنت تعلم أنه أن صح الحديث فعليه الفتوى، لكن ذكر شيخ الإسلام في ترجيح التفسير المروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أولاً على ما روى ثانياً ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء، مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى بعد، وهو يبعد صحة الحديث عن ابن عباس وأبيﷺ أنها نعم الله[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد: بأيام الله نعم الله ونقمه عليهم. لحديث صحيح مسلم، وهو الظاهر للغلبة العرفية.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٣].

---

(١) مفاتيح الغيب١٩/٦٧.

(٢) روح المعاني١٣/١٨٨.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [١]

١٢٤– مسألة: ماذا أراد بقوله تعالى: ﴿ وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أراد آدم وحواء[٢].

القول الثاني: أراد أبويه [٣].

قال الرسعني:

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ قيل: أراد آدم وحواء.

والأظهر ما تتبادر إليه الأفهام، وكان ذلك منه قبل النهي عنه.

وقال ابن الأنباري: استغفر لأبويه وهما حيّان طمعاً في أن يهديا على الإسلام ويسعدا بالدين.

ويعضد قولَه؛ قولُه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ ﴾ [٤] [٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة إبراهيم آية: ٤١.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣/١٦٥، ومعاني القرآن للنحاس٣/٥٣٧، والنكت والعيون٣/١٣٩، والبسيط ١٢/٤٩٢، والكشاف٢/٥٢٧، والمحرر الوجيز٣/٣٤٣، وزاد المسير٢/٥١٦، ومفاتيح الغيب١٩/١١٠، وفتح القدير ٣/١١٣، وروح المعاني١٣/٢٤٣.

(٣) جامع البيان ١٣/٧٠٣، ومعاني القرآن للزجاج٣/١٦٥، والبسيط ١٢/٤٩٢، ومعالم التنزيل٢/٥٦٧، وزاد المسير٢/٥١٦، ومفاتيح الغيب١٩/١١٠، والتسهيل٢/١٤٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٢٢٨، والتحرير والتنوير١٣/٢٤٥، وأضواء البيان٢/٢٤٩.

(٤) سورة التوبة آية: ١١٤.

(٥) رموز الكنوز٣/٥٥٨.

القول الأول: أراد آدم وحواء[١].

ولقد ذكره المفسرون ولم يرجحه أحد.

القول الثاني: أراد أبويه، وكان ذلك منه قبل النهي عنه[٢].

وممن قال به:

الزجاج، وابن الأنباري، والطبري، وابن جزي الكلبي، وابن عاشور[٣].

واستدلوا بما يلي:

١- بآية التوبة تعضد قول إبراهيم: قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وهذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة واستغفار منه لهما، وقد أخبر الله عز ذكره أنه لم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه[٥].

ب- قال ابن جزي الكلبي: والصحيح أنه دعا لهما، قبل أن يتبين له أن أباه عدو

---

(١) معاني القرآن للزجاج٣/١٦٥، ومعاني القرآن للنحاس٣/٥٣٧، والنكت والعيون٣/١٣٩، والبسيط ١٢/٤٩٢، والكشاف٢/٥٢٧، والمحرر الوجيز٣/٣٤٣، وزاد المسير٢/٥١٦، ومفاتيح الغيب١٩/١١٠، وفتح القدير ٣/١١٣، وروح المعاني١٣/٢٤٣.

(٢) جامع البيان ١٣/٧٠٣، ومعاني القرآن للزجاج٣/١٦٥، والبسيط ١٢/٤٩٢، ومعالم التنزيل٢/٥٦٧، وزاد المسير٢/٥١٦، ومفاتيح الغيب١٩/١١٠، والتسهيل٢/١٤٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٢٢٨، والتحرير والتنوير١٣/٢٤٥، وأضواء البيان٢/٢٤٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج٣/١٦٥، وجامع البيان ١٣/٧٠٣، وزاد المسير٢/٥١٦، والتسهيل٢/١٤٢، والتحرير والتنوير١٣/٢٤٥.

(٤) سورة التوبة آية: ١١٤.

(٥) جامع البيان ١٣/٧٠٣.

لله حسبما ورد في براءة[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- ولولَدَيَّ، يعني: إسماعيل وإسحاق[٢].

٢- أن والدية آدم ونوح[٣].

حاصل الدراسة:

القول المراد من قوله تعالى: ﴿ وَلِوَالِدَيَّ ﴾ أبويه، وهو الظاهر من الآية؛ ولموافقته لآية التوبة، وبعده عن التكلُّف. وقد ذكره النيسابوري، وصححه، قال: والصحيح في الجواب أنه استغفر له بناء على الجواز العقلي، والمنع التوفيقي بعد ذلك لا ينافيه[٤].

والقول أنه آدم وحواء قول ضعيف فيه تكلُّف وبُعد عن الظاهر.

والقول أن المراد ولدَيه، هذه القراءة ليست بشيء؛ لأنها خلاف ما عليه أهل الأمصار من أهل القراءات[٥].

مناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد أبويه، لموافقته لآية التوبة، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٦].

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٧].

---

(١) التسهيل٢/١٤٢.

(٢) زاد المسير٢/٥١٦.

(٣) المحرر الوجيز٣/٣٤٣، وروح المعاني١٣/٢٤٣.

(٤) غرائب القرآن للنيسابوري٤/٢٠١.

(٥) معاني القرآن للزجاج٣/١٦٥، والمحرر الوجيز٣/٣٤٣، وفتح القدير٣/١١٣.

(٦) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

(٧) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل

١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [1]

١٢٥- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

الأقوال الواردة في تبديل الأرض:

القول الأول: تغييرها بذهاب آكامها، وجبالها، وأشجارها، ومدرها[2].

القول الثاني: تبدل الأرض بغيرها. وفيها أقوال:

١- تبدل بأرض من فضة[3].

٢- تبدل الأرض بأرض بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة[4].

٣- تبدل ناراً[5].

٤- تبدل بخبزة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه[6].

الأقوال الواردة في تبديل السموات:

القول الأول: تجعل من ذهب[1].

---

(١) سورة إبراهيم آية: ٤٨.

(٢) جامع البيان١٣/٧٢٩، والوسيط٣/٣٦، ومعالم التنزيل٢/٥٧١، والكشاف ٢/٥٣٠، وزاد المسير٢/٥٢٠، والجامع لأحكام القرآن٥/٢٥٤.

(٣) أخرجه الطبري١٣/٧٣٣، والكشاف٢/٥٣١، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٤) أخرجه الطبري١٣/٧٢٩، والبزار في مسنده٥/٢٤٦-٢٤٧، والطبراني في المعجم الأوسط٧/١٦٤، والمعجم الكبير١٠/١٦١، ومعالم التنزيل٢/٥٧٠، والكشاف٢/٥٣١، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٥) أخرجه الطبري١٣/٧٣٣ عن ابن مسعود، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٢/٥٢٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٦) أخرجه الطبري١٣/٧٣٥، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٢/٥٢٠.

القول الثاني: تصير جناناً[٢].

القول الثالث: تبديلها تكور شمسها وتناثر نجومها[٣].

القول الرابع: تبديلها اختلاف أحوالها، فمرةً كالمهل ومرةً كالدِّهان[٤].

القول الخامس: تبديلها طيِّها كطي السجل للكتاب[٥].

قال الرسعني:

والمراد بتبديل الأرض: تغييرها بذهاب آكامها وجبالها وأشجارها ومدرها. قاله ابن عباس رضي الله عنه [٦]. وأنشد:

وما الناسُ بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار الذي كنت أعرف[٧]

وفي معناه قول عمران بن حِطَّان الخارجي[٨] يرثي أبا بلال مرداساً الخارجي[٩] أمير

---

(١) معالم التنزيل ٢/٥٧٠، والكشاف ٢/٥٣١، وزاد المسير٢/٥٢٠، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٢) معالم التنزيل ٢/٥٧٠، وزاد المسير٢/٥٢٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٣) الكشاف٢/٥٣١، وزاد المسير٢/٥٢٠، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠.

(٤) الكشاف٢/٥٣١، وزاد المسير٢/٥٢٠، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠.

(٥) النكت والعيون٣/١٤٤، وزاد المسير٢/٥٢٠.

(٦) جامع البيان١٣/٧٢٩، والوسيط٣/٣٦، ومعالم التنزيل٢/٥٧٠، وزاد المسير٢/٥٢٠، والجامع لأحكام القرآن٥/٢٥٤.

(٧) لم أعرف قائله، وانظر في: الكشاف٢/٥٣١، ومجالس ثعلب١/١٢، والبحر المحيط ٥/٤٢٧، والدر المصون ٨/١٣٠، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٨) هو: عمران بن حطّان بن ظبيان السدوسي البصري، يكنى أبو شهاب، من رؤوس الخوارج من القَعَدية، وهم الذين يحسنون لغيرهم الخروج على المسلمين ولا يباشرون القتال، توفي سنة ١٨٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء٤/٢١٤-٢١٦، والإصابة ٥/٣٠٢-٣٠٥.

(٩) هو: مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي التميمي، أبو بلال، ويقال له: مرداس بن أدية من الشراة، شهد صفين وأنكر التحكيم، وسجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة، قتله عباد بن علقمة المازني. انظر: ميزان الاعتدال٦/٣٩٤، ولسان الميزان٦/١٤.

الصفريّة، قتل في أيام يزيد بن معاوية[١]:

أنكرتُ بعدك ما قد كنتُ أعرفهُ ما الناسُ بعدك يا مرداس بالناسِ

وقال ابن مسعودﷺ ومجاهد وابن عباسﷺ في رواية عطاء عنه وأكثر المفسرين: تبدل الأرض بأرض بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة[٢].

وقال علي وأنس بن مالكﷺ: تبدل بأرض من فضة[٣].

وقال أبي بن كعبﷺ: تبدل ناراً[٤].

وقال أبو هريرةﷺ: تبدل بخبزة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه[٥].

وأما تبديل السموات فقال علي عليه السلام: تجعل من ذهب[٦].

وقال أبي بن كعبﷺ: تصير جناناً[٧].

وقال ابن عباسﷺ: تبديلها تكور شمسها وتناثر نجومها[٨].

وقال ابن الأنباري: تبديلها اختلاف أحوالها، فمرةً كالمهل ومرةً كالدِّهان[١].

---

(١) هو: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، أبو خالد ولي الخلافة سنة ستين ومات سنة أربع وستين، ولم ولم يبلغ الأربعين. انظر: سير أعلام التبلاء٤/٣٥، وتقريب التهذيب١/٦٠٥.

(٢) أخرجه سفيان الثوري١/١٥٨، والطبري١٣/٧٢٩، والبزار في مسنده٥/٢٤٦-٢٤٧، والطبراني في المعجم الأوسط٧/١٦٤، والمعجم الكبير١٠/١٦١. قال السيوطي وفيه سيف بن محمد بن أخت سفيان الثوري كذاب. انظر: جامع الأحاديث ١٢/٤٧.

(٣) أخرجه الطبري١٣/٧٣٣.

(٤) أخرجه الطبري١٣/٧٣٣ عن ابن مسعود ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٢/٥٢٠.

(٥) أخرجه الطبري١٣/٧٣٥ عن سعيد بن جبير، ومن طريق آخر عن محمد بن كعب القرظي، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٢/٥٢٠.

(٦) زاد المسير٢/٥٢٠.

(٧) زاد المسير٢/٥٢٠.

(٨) زاد المسير٢/٥٢٠.

وقيل: تبديلها طيِّها كطي السجل للكتاب[٢].

والذي يقوى عندي ويدل العلم: أن مثل هذا لا يصدر عن الصحابة، مع شدة احتياطهم في الدين وورعهم الشافي إلا بتوقيف سمعوه من النبي ﷺ ، فيتعين حينئذ حمله أن يقال: جميع ما قالوه كائن يوم القيامة، فإنه يوم تتقلب فيه الأعيان، وتنتقل فيه من حال على حال. وهذا أمر يظهر باستقراء ما جاء في القرآن والأحاديث من أحوال القيامة واختلاف مواطنها.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقُرْصَة نقي. قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد"[٣].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة"[٤].

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قال: " سألت رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ قلت: أين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على الصراط"[٥].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ " في قوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ ﴾ قال: يبسطها

---

(١) الوسيط٣/٣٦-٣٧، وزاد المسير٢/٥٢٠. أخرجه البيهقي في البعث، انظر: فتح الباري١١/٣٧٦.

(٢) زاد المسير٢/٥٢٠.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ح(٦٥٢١)، ومسلم كتاب صفات المنافقين، باب في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة،ح(٢٧٩٠).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ح(٦٥٢٠)، ومسلم كتاب صفات المنافقين، باب نُزُل أهل الجنة، ح(٢٧٩٢).

(٥) أخرجه مسلم كتاب صفات المنافقين، باب في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة،ح(٢٧٩١).

ويمدّها مد الأديم" [١]. [٢]

دراسة الأقوال في المسألة:

الأقوال الواردة في تبديل الأرض:

القول الأول: تغييرها بذهاب آكامها، وجبالها، وأشجارها، ومدرها[٣].

وممن قال به: ابن عباسﷺ.

واستدلوا بما يلي:

١- بما روي عن ابن عباسﷺ، وأنشد بعدها ابن عباسﷺ:

وما الناسُ بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار الذي كنت أعرف[٤]

٢- وفي معناه قول عمران بن حِطَّان الخارجي يرثي أبا بلال مرداساً الخارجي أمير الصفريّة، قتل في أيام يزيد بن معاوية:

أنكرتُ بعدك ما قد كنتُ أعرفهُ ما الناسُ بعدك يا مرداس بالناسِ

القول الثاني: تبدل الأرض بغيرها. **وفيها أقوال:**

١- تبدل بأرض من فضة[٥].

وممن قال به: علي، وأنس بن مالكﷺ.

واستدلوا بما يلي :

---

(١) أخرجه الطبري١٣/٧٣٦.

(٢) رموز الكنوز٣/٥٧٠-٥٧٣.

(٣) جامع البيان١٣/٧٢٩، والوسيط٣/٣٦، ومعالم التنزيل٢/٥٧١، والكشاف ٢/٥٣٠، وزاد المسير٢/٥٢٠، والجامع لأحكام القرآن٥/٢٥٤.

(٤) لم أعرف قائله، وانظر في: الكشاف٢/٥٣١، ومجالس ثعلب١/١٢، والبحر المحيط ٥/٤٢٧، والدر المصون ٨/١٣٠، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٥) أخرجه الطبري١٣/٧٣٣، والكشاف٢/٥٣١، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

عن أنس بن مالك أنه تلا هذه الآية ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ قال: يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يعمل عليها الخطايا ينزلها الجبار تبارك تعالى[١].

٢- تبدل الأرض بأرض بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة[٢].

وممن قال به: ابن مسعودﷺ، ومجاهد، وابن عباسﷺ في رواية عطاء عنه، وسهل بن سعد، عمرو بن ميمون[٣]، وزيد.

واستدلوا بما يلي :

في الصحيحين من حديث سهل بن سعدﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقُرْصَة نقي. قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد"[٤].

٣- تبدل ناراً[٥].

وممن قال به: أبي بن كعبﷺ.

واستدلوا بما يلي:

عن كعب في قوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ قال: تصير السماوات جناناً ويصير مكان البحر النار[٦].

---

(١) جامع البيان ٧٢٩/١٣.

(٢) أخرجه الطبري٧٢٩/١٣، والبزار في مسنده٢٤٦/٥-٢٤٧، والطبراني في المعجم الأوسط١٦٤/٧، والمعجم الكبير١٦١/١٠، ومعالم التنزيل٥٧٠/٢، والكشاف٥٣١/٢، وإرشاد العقل السليم٦٠/٥، وروح المعاني٢٥٤/١٣.

(٣) هو: إما عمرو بن ميمون الأودي، توفي سنة ٧٤هـ.
أو عمرو بن ميمون بن مهران، توفي١٤٥هـ. انظر: الكاشف ٨٩/٢، وصفوة الصفوة٣٥/٣.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ح(٦٥٢١)، ومسلم كتاب صفات المنافقين، باب في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة، ح(٢٧٩٠).

(٥) أخرجه الطبري٧٣٣/١٣ عن ابن مسعود ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٥٢٠/٢، وروح المعاني٢٥٤/١٣.

(٦) أخرجه الطبري٧٣٥/١٣.

٤- تبدل بخبزة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه[١].

وممن قال به:

أبو هريرة، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب القرظي.

واستدلوا بما يلي :

في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة"[٢].

الأقوال الواردة في تبديل السموات:

القول الأول: تجعل من ذهب[٣].

وممن قال به: علي ﷺ.

القول الثاني: تصير جناناً[٤].

وممن قال به: أبي بن كعب ﷺ.

واستدلوا بما يلي :

عن أبي بن كعب في قوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ قال: تصير السماوات جناناً ويصير مكان البحر النار[٥].

---

(١) أخرجه الطبري١٣/٧٣٥، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٢/٥٢٠.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ح(٦٥٢٠)، ومسلم كتاب صفات المنافقين، باب نُزُل أهل الجنة، ح(٢٧٩٢).

(٣) معالم التنزيل ٢/٥٧٠، والكشاف ٢/٥٣١، وزاد المسير٢/٥٢٠، وإرشاد العقل السليم ٥/٦٠، وروح المعاني ١٣/٢٥٤.

(٤) معالم التنزيل ٢/٥٧٠، وزاد المسير٢/٥٢٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٥) أخرجه الطبري١٣/٧٣٥.

القول الثالث: تبديلها تكور شمسها وتناثر نجومها[١].

وممن قال به: ابن عيسى[٢].

القول الرابع: تبديلها اختلاف أحوالها، فمرةً كالمهل ومرةً كالدِّهان[٣].

وممن قال به:حكاه ابن الأنباري[٤].

القول الخامس: تبديلها طيِّها كطي السجل للكتاب[٥].

وممن قال به: القاسم بن يحيى[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

ذكر الماوردي قولاً سادساً في تبديل السماء : أنها تنشق فلا تُظِلُّ[٧].

وممن قال به: ابن شجرة[٨][٩].

حاصل الدراسة:

التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[١٠] وقد يكون في الصفات كما في قولك: بدلت الحلقة خاتماً

---

(١) الكشاف٢/٥٣١، وزاد المسير٢/٥٢٠، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠.

(٢) النكت والعيون٣/١٤٤.

(٣) النكت والعيون٣/١٤٤، والوسيط٣/٣٦، وزاد المسير٢/٥٢٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٤) النكت والعيون٣/١٤٤.

(٥) النكت والعيون٣/١٤٤، وزاد المسير٢/٥٢٠.

(٦) النكت والعيون٣/١٤٤.

(٧) زاد المسير٢/٥٢٠.

(٨) هو: أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة، أبو بكر القاضي، كان متساهلاً في الحديث، توفي سنة ٣٥٠هـ. انظر: الضعفاء والمتروكين ١/٨٣، وطبقات الحنفية ١/٩٠.

(٩) النكت والعيون٣/١٤٤.

(١٠) سورة النساء آية: ٥٦.

إذا غيرت شكلها ومنه قوله سبحانه: ﴿ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [١] والآية الكريمة ليست بنص في أحد الوجهين [٢]

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب كما ذكر الطبري، قول من قال معناه: يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها، وكذلك السماوات اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه.

وجائز أن تكون المبدلة أرضاً أخرى من فضة، وجائز أن تكون ناراً، وجائز أن تكون خبزاً، وجائز أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون، فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الأرض تبدل، ولكن كيفية التبديل لا نعلمه، إلا بعض ما صح عن النبي ﷺ، فيتعين ظاهر التنزيل، وحمله على ما صح فيه النقل عن الصحابة عن النبي ﷺ. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٤].

---

(١) سورة الفرقان آية: ٧٠.

(٢) الكشاف٢/٥٣١، وإرشاد العقل السليم٥/٦٠، وروح المعاني١٣/٢٥٤.

(٣) جامع البيان ١٣/٧٣٩.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ الٓرٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ ﴾ [١]

١٢٦– مسألة: لم ذكر الكتاب ثم قال: ﴿ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ ، وكلاهما واحد؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الكتاب والقرآن واحد[٢].

القول الثاني: الكتاب: التوراة والإنجيل، والقرآن كتابنا[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ نكرة للتفخيم والتعظيم، والكتاب والقرآن واحد. وقيل: الكتاب: التوراة والإنجيل، والقرآن كتابنا. **وفيه بُعد**[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الكتاب والقرآن واحد[٥]. وجمع بين الوصفين لما فيهما من الفائدتين، وإن كانا لموصوف واحد؛ وذلك أن الكتاب يفيد أنه مما يُكتب ويُدون، ﴿ وَقُرۡءَانٖ ﴾ يفيد أنه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض[٦].

وممن قال به:

السمرقندي، والواحدي، والرازي، وابن جزي الكلبي[٧].

---

(١) سورة الحجر آية: ١.

(٢) النكت والعيون٣/١٤٧، ومعالم التنزيل٢/٥٧٣، وزاد المسير٢/٥٢٢، والمحرر الوجيز٣/٣٤٩، ومفاتيح الغيب١٩/١٢٠، والجامع لأحكام القرآن١٠/٢، ولباب التأويل ٤/٥٥

(٣) جامع البيان١٤/٦، ومعالم التنزيل٢/٥٧٣، والمحرر الوجيز٣/٣٤٩، وزاد المسير٢/٥٢٢.

(٤) رموز الكنوز٣/٥٧٧.

(٥) النكت والعيون٣/١٤٧، ومعالم التنزيل٢/٥٧٣، وزاد المسير٢/٥٢٢، والمحرر الوجيز٣/٣٤٩، ومفاتيح الغيب١٩/١٢٠، والجامع لأحكام القرآن١٠/٢، ولباب التأويل ٤/٥٥

(٦) البسيط ١٢/٥٣٠.

(٧) بحر العلوم٢/٢٥٠، والوسيط٣/٣٨، ومفاتيح الغيب١٩/١٢٠، والتسهيل٢/١٤٣.

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: ﴿ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ يعني القرآن، ثم ذكره فقال: ﴿ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ فجمع بين الوصفين لموصوف واحد[١].

ب- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة وعطف القرآن عليها، والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات[٢].

القول الثاني: الكتاب: التوراة والإنجيل، والقرآن كتابنا[٣].

وممن قال به:

هذا معنى قول مجاهد، وقتادة[٤].

ومن أقوالهم:

قال مجاهد وقتادة ﴿ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ في الآية: ما نزل من الكتب قبل القرآن[٥] .

حاصل الدراسة:

المراد بالكتاب وبالقرآن المبين: الكتاب الذي وعد به الله محمداﷺ، وتنكير القرآن للتفخيم، والتعظيم.

وقيل: التعريف في الكتاب هو للجنس والمراد جنس الكتب المتقدمة، فأراد بالكتاب التوراة والإنجيل؛ لأن عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه، ورد الخازن هذا القول قال: "وهذا القول ليس بالقوي؛ لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر

---

(١) الوسيط٣/٣٨.

(٢) التسهيل٢/١٤٣.

(٣) جامع البيان١٤/٦، ومعالم التنزيل٢/٥٧٣، والمحرر الوجيز٣/٣٤٩، وزاد المسير٢/٥٢٢.

(٤) جامع البيان١٤/٦، والمحرر الوجيز٣/٣٤٩.

(٥) المحرر الوجيز٣/٣٤٩.

حتى يشار إليهما". والمراد بالكتاب القرآن وإنما جمعهما بوصفين، وإن كان الموصوف واحداً لما في ذلك من الفائدة وهي التفخيم والتعظيم[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الكتاب والقرآن واحد.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٢].

---

(١) لباب التأويل٤/٥٥، وفتح القدير٣/١٢١.

(٢) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾ [١]

١٢٧– مسألة: كيف جاء بعد ربما مستقبل، وسبيلها أن يأتي بعدها الماضي؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: حمله على إضمار كان[٢].

القول الثاني: أن يكون على حكاية الحال[٣].

القول الثالث: أنه بمنزلة الماضي المقطوع في تحققه[٤].

القول الرابع: حكى عن العرب أنها تذكر الفعل المضارع بعد ربما[٥].

قال الرسعني:

فإن قيل: كيف وَليها الفعل المضارع وقد أبَوا دخولها إلا على الماضي؟ كقول الشاعر:

رُبّما أوفيتُ في عَلَمٍ ترفعن ثوبي شمالاتُ[٦]

قلت: حمله أبو إسحاق على إضمار كان، على تقدير: رُبَّما كان يودّ، **وأجود منه** أن يكون على حكاية الحال. وقد حكى الكسائي عن العرب ربما يندم فلان، قال الشاعر:

رُبّما تجزعُ النفوسُ من الأمر له فُرجَةٌ كحلِّ العُقال[٧]

---

(١) سورة الحجر آية: ٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣/١٧٣، وزاد المسير٢/٥٢٤، والبسيط١٢/٥٣٣.

(٣) البسيط١٢/٥٣٣، وزاد المسير٢/٥٢٤،

(٤) الكشاف٢/٥٣٤ ، وزاد المسير٢/٥٢٤، والدر المصون٧/١٤٠.

(٥) معاني القرآن للفراء٢/٨٢، وزاد المسير٢/٥٢٤، والتحرير والتنوير ١٤/١١.

(٦) البيت لجذيمة البرش. انظر: الأزهية ص٩٤ ،٢٦٥، وخزانة الأدب ١١/٤٢٩، والكتاب ٣/٥١٨، والمقتضب ٣/١٥.

(٧) البيت لأمية بن أبي الصلت: انظر: الأزهية ص٨٢،٩٥، وخزانة الأدب ٦/١٠٨، والكتاب ٢/١٠٩، ومغني

وقال الزمخشري: جاز ذلك؛ لأن المترقّبَ في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه، وكأنه قيل: رُبَّما وَدّ[١] [٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: حمله على إضمار كان، وتقديره: ربما كان يود الذين كفروا[٣].

وممن قال به: أبو إسحاق الزجاج.

ومن أقوالهم:

قال الزجاج: والذي أراه- والله أعلم- أن الكافر كلما رأى حالاً من أحوال العذاب ورأى حالاً عليها أحوال المسلم ودَّ لو كان مُسلماً. فهذه الأحوال كلها تحتملها الآية[٤].

القول الثاني: أن يكون على حكاية لحال آتية.

وممن قال به: أبو علي الفارسي[٥].

واستدلوا بما يلي :

أنه حكاية لحال آتيه كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٦]

القول الثالث: أنه بمنزلة الماضي المقطوع في تحققه[٧].

وممن قال به:

اللبيب١/٣٩١، والمقتضب١/٤٢، وزاد المسير٢/٥٢٤.

(١) الكشاف ٢/٥٣٣.

(٢) رموز الكنوز٣/٥٨٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج٣/١٧٣، وزاد المسير٢/٥٢٤، والبسيط١٢/٥٣٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج٣/١٧٣.

(٥) البسيط١٢/٥٣٣، وزاد المسير٢/٥٢٤.

(٦) سورة النحل آية: ١٢٤.

(٧) الكشاف٢/٥٣٤ ، وزاد المسير٢/٥٢٤، والدر المصون٧/١٤٠.

١- ابن الأنباري، وهو معنى قول الفراء[١].

٢- ابن الجوزي، والسمين الحلبي[٢].

واستدلوا بما يلي :

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [٣]

٢- قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [٤]

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾ [٥]

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن الجوزي: تقول لقيتُ عبد الله؟ فالجواب: أن ما وعدَ اللهُ حقٌّ، فمستقبلُه بمنزلة الماضي[٦].

ب- قال الفراء: إن القرآن نزل وعدُه ووعيده وما كان فيه، حقّا فإنه عِيان، فجرى الكلامُ فيما لم يكن منه كمجراه في الكائن، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [٧] كأنه ماض وهو منتظر لصدقه في المعنى[٨].

القول الرابع: حكي عن العرب أنها تذكر الفعل المضارع بعد ربما، ويقولون: ربما يندم فلانٌ[٩].

---

(١) معاني القرآن للفراء٢/٨٢، والبسيط١٢/٥٣٢، وزاد المسير٢/٥٢٤.

(٢) زاد المسير٢/٥٢٣، والدر المصون٧/١٤٠.

(٣) سورة المائدة آية: ١١٦.

(٤) سورة الأعراف آية: ٤٤.

(٥) سورة سبأ آية: ٥١.

(٦) زاد المسير ٢/٥٢٣.

(٧) سورة السجدة آية: ١٢.

(٨) معاني القرآن للفراء٢/٨٢.

(٩) زاد المسير٢/٥٢٤.

وممن قال به: الكسائي، والفراء، وابن عاشور[١].

واستدلوا بما يلي :

بقول الشاعر:

رُبّما تجزعُ النفوسُ من الأمر له فُرجَةٌ كحلِّ العُقال

ومن أقوالهم:

قال ابن عاشور: ومن النحويين من أوجب دخولها على الماضي، وتأول نحو الآية بأنه منزّل منزلة الماضي لتحققه. ومعنى الاستقبال هنا واضح؛ لأن الكفار لم يَودّوا أن يكونوا مسلمين قبل ظهور قوة الإسلام من وقت الهجرة[٢].

حاصل الدراسة:

رد الواحدي، وأبو حيان: على من زعم أن الآية على إضمار (كان) وتقديره: ربما كان يود الذين كفروا، فقد خرج بذلك عن قول سيبويه[٣]، وقوله ضعيف، وليس هذا من مواضع إضمار (كان)، ولم يُجِزْ: وعبد الله المقتول، وأنت تريد: كن عبد الله المقتول.

رد أبو حيان على من تأول ذلك على إضمار كان، وقال: وأما من تأول ذلك على إضمار كان أي: ربما كان يودّ فقوله: ضعيف، وليس هذا من مواضع إضمار كان [٤].

قال ابن عاشور: والأكثر أن يكون فعلاً ماضياً، وقد يكون مضارعاً للدلالة على الاستقبال كما هنا، ومعنى الاستقبال هنا واضح؛ لأن الكفار لم يَودّوا أن يكونوا مسلمين قبل ظهور قوة الإسلام من وقت الهجرة، فلا حاجة إلى تأويله بالماضي في التحقق[٥].

---

(١) معاني القرآن للفراء٢/٨٢، وزاد المسير٢/٥٢٤، والتحرير والتنوير ١٤/١١.

(٢) التحرير والتنوير ١٤/١١.

(٣) لأن هذا ليس من مواضع إضمار كان عنده؛ فكان لا تضمر عنده إلا حيث يكون حذف مقتضيها، وفي موضع تقوى الدلالة عليها. انظر: البحر المحيط ٥/٤٣٢.

(٤) البسيط١٢/٥٣٣، والبحر المحيط٥/٤٣٢.

(٥) التحرير والتنوير١٤/١١.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن معنى الاستقبال واضح، ويمكن أن يدخل بعد ربما الفعل المضارع، كما هو معروف عند العرب. والكفار لم يَودّوا أن يكونوا مسلمين قبل ظهور قوة الإسلام من وقت الهجرة.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[1].

(1) جامع البيان ٢٥٩/١٦، والمحرر الوجيز ١٨٠/١، ومفاتيح الغيب ١٥٤/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٣، ومجموع الفتاوى ١٤/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٩٩/١.

قال تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾ [١]

١٢٨– مسألة: ربّما للتقليل وشأن ما توعدوا به لا يناسب التقليل، بل التكثير. فما وجهه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ربما تقع على التقليل والكثير[٢].

القول الثاني: أن العرب خوطبت بما تعقله في التهُّدد، كقولهم: لعلك ستندم على فعلك، ولا يشُكُّون في تندمه[٣].

القول الثالث: أراد أن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة؛ إنما يخطر ذلك ببالهم أحياناً[٤].

قال الرسعني:

فإن قيل: ربما وجد في كلامهم للتقليل، ألا ترى إلى قوله:

ألا رُبَّ مولودٍ وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يلدهُ أبوان[٥]

وإذا كانت للتقليل فشأن ما توعدوا به لا يناسب التقليل، بل التكثير.

قلت: قد سلك بها ابن الأنباري في بعض أجوبته مسلك الأضداد، وأنها تقال على

---

(١) سورة الحجر آية: ٢.

(٢) معالم التنزيل٢/٥٧٤، وزاد المسير٢/٥٢٣.

(٣) معاني القرآن للفراء٢/٨٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٧٢، والكشاف ٢/٥٣٣، وزاد المسير٢/٥٢٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/١٧٢، ومعالم التنزيل٢/٥٧٤، والكشاف ٢/٥٣٤، وزاد المسير٢/٥٢٣، والبحر المحيط٥/٤٣٢، والدر المصون٧/١٣٨، والتحرير والتنوير١٤/١٠.

(٥) البيت لرجل من أزد السراة. انظر البيت في: الحجة للفارسي١/٦٦ ،٤٠٩، والكتاب٢/٢٦٦، ٤/١١٥، وأوضح المسالك٣/٥١، والخصائص ٢/٣٣٣.

التقليل والتكثير، كالناهل[١] والجون[٢]. ومنه في حديث سويد بن غفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ :" يا علي! ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتهن؟ قلت: بلى يا رسول الله، جعلني الله فداك، فربما خير قد علمتنيه. قال: إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء"[٣].

وهذا موضع تكثير لا تقليل، وانشدوا:

فإن تُمسِ مهجورَ الفناء فرُبما أقام به بعد الوفود وفودُ[٤]

وقال صاحب الكشاف: هو وارد على مذهب العرب في قولهم: لعلك ستندم على فعلك، ولا يشُكُّون في تندمه، ولا يقصدون تقليله، ولكنهم أرادوا: ولو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحقّ عليك أن لا تفعل هذا الفعل؛ لأنّ العقلاء يتحرّزون من التعرّض للغم المظنون، كما يتحرّزون من المتيقن ومن القليل منه، كما من الكثير، وكذلك المعنى في الآية: لو كانوا يودّون الإسلام مرة واحدة، فبالحري أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه في كل ساعة[٥].

والقول الجزل في نظري: إجراؤها على ظاهرها وما وُضِعت له، وما ذاك لقلة ما توعدوا به، وإنما هم لعِظَمِ ما دهمهُم من أهوال الطامة، وتراكم عليهم من شدائد القيامة، وشدة ما يعانونه من عذاب النار في شغل شاغل، فربما حانت منهم حالة إفاقة فيتمنون إذ ذاك أنهم كانوا مسلمين وهذا بالإضافة إلى ذلك الشغل الشاغل قليل[٦].

---

(١) تطلق على العطشان والريان. انظر: تهذيب اللغة، مادة نهل ١٦٠/٦.

(٢) تطلق على الأبيض والأسود. انظر: لسان العرب مادة جون ١٠١/١٣.

(٣) ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب٣٢٤/٥، والعجلوني في كشف الخفاء٥١٧/٢. قال اللباني في السلسلة ٢٤٧/٦ "موضوع".

(٤) البيت لأبي عطاء السندي يرثي ابن هبيرة. وانظر البيت في: إرشاد العقل السليم١٢٦/٣، واللسان ٣١٣/٣مادة عهد، وفيض القدير ٢٣٩/٢.

(٥) الكشاف٥٣٤/٢.

(٦) رموز الكنوز٥٨٠/٣-٥٨٢.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ربما تقع على التقليل والكثير، كما يقع النَّهِلُ على العطشان والرَّيَّان، والجونُ على الأسود والأبيض[١].

وممن قال به: ابن الأنباري.

واستدلوا بما يلي :

١- منه حديث سويد بن غفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ :" يا علي! ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتهن؟ قلت: بلى يا رسول الله، جعلني الله فداك، فربما خير قد علمتنيه. قال: إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء".

٢- أنشدوا:

فإن تُمسِ مهجورَ الفناء فرُبما أقام به بعد الوفود وفودُ

القول الثاني: أن العرب خوطبت بما تعقله في التهُّدد، كقولهم: لعلك ستندم على فعلك، ولا يشُكُّون في تندمه[٢].

وممن قال به: الزجاج، والفراء.

واستدلوا بما يلي :

أنه على معنى التهدد بالآية بعدها قوله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾[٣]

ومن أقوالهم:

---

(١) معالم التنزيل٢/٥٧٤، وزاد المسير٢/٥٢٣.

(٢) معاني القرآن للفراء٢/٨٢، ومعاني القرآن للزجاج ١٧٢/٣، والكشاف ٥٣٣/٢، وزاد المسير٢/٥٢٣.

(٣) سورة الحجر آية: ٣.

قال الزجاج: فإن قال قائل: فلم كانت "رُبّ" ههنا، ورُبّ للتقليل، فالجواب في هذا أن العرب خوطبت بما تعقله في التهدُّد، والرجل يتهدد الرجل فيقول له: لعلك ستندم على فعلك. [١]

القول الثالث: أنه لتقليل النظير، فأراد أن شغلهم بالعذاب، وأهوال يوم القيامة وما يقع بهم من الأهوال تكثُر عليهم، ولا يفرغهم للندامة إلا أحياناً؛ فإذا عادت إليهم عُقولُهم، ودُّوا ذلك[٢].

وممن قال به:

الزجاج، والزمخشري، وأبو حيان، وابن عاشور[٣].

ومن أقوالهم:

قال ابن عاشور: واقترنت بها (ما) الكافة ل (ربّ) عن العمل. ودخول (ما) بعد (رب) يكُف عملها غالباً. وبذلك يصح دخولها على الأفعال. فإذا دخلت على الفعل فالغالب أن يراد بها التقليل[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن هذا الذي خُوّفوا به، لو كان مما يُودُّ في حالٍ واحدةٍ من أحوال العذاب، أو كان الإنسانُ يخافُ الندم إذا حصل فيه ولا يتيقَّنُه، لوجب عليه اجتنابُه[٥].

حاصل الدراسة:

من قال إن رُبّ يُعنِي بها الكثير فهذا ضِدُّ ما يعرفُه أهل اللغة؛ لأن الحروف التي جاءت لمعنىً تكون على ما وضعت العرب. فربّ موضوعة للتقليل، وكم موضوعة

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١٧٢/٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٧٢/٣، ومعالم التنزيل٥٧٤/٢، والكشاف ٥٣٤/٢، وزاد المسير٥٢٣/٢، والبحر المحيط٤٣٢/٥، والدر المصون١٣٨/٧، والتحرير والتنوير١٠/١٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٧٢/٣، والكشاف ٥٣٤/٢، والبحر المحيط٤٣٢/٥، والتحرير والتنوير١٠/١٤.

(٤) التحرير والتنوير١٠/١٤.

(٥) زاد المسير ٥٢٣/٢.

للتكثير، وإنما خوطبوا بما يعقلون ويستفيدون[١]. وذلك أنهم تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين، فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا، فلذلك قلل[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن (رب) على ظاهرها في اللغة للتقليل؛ لأنه لا يخطر في بالهم إلا أحياناً.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[٣].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١٧٣/٣.

(٢) الكشاف ٥٣٤/٢، والبحر المحيط٥/٤٣٢.

(٣) جامع البيان٣٣٧/٦، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز٣٤٠/١، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [١]

١٢٩– مسألة: إلى ماذا يعود الضمير "له" في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنها ترجع لحفظ القرآن العزيز من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل[٢].

القول الثاني: إنها ترجع لمحمدﷺ ، أي: حافظونه من شياطين الإنس والجن[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتولّ سبحانه وتعالى حفظها، بل وَكَلها إلى الأحبار واستحفَظَهُم إياها، فأضاعوها وبدّلوها وحرّفوها.

قال قتادة: أنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ولا ينقص منه حقاً[٤].

وقال الكلبي:" وإنا له" أي: لمحمدﷺ حافظون من شياطين الإنس والجن.

والأول أصح وأكثر. وأن المراد بذلك حفظ القرآن العزيز. وقد ظهر أثر ذلك والحمد لله، فلو تمالأ الثقلان على تحريفه وتبديله وزيادته ونقصانه لم يقدروا على

---

(١) سورة الحجر آية: ٩.

(٢) تفسير الصنعاني٢/٣٤٥، وجامع البيان١٤/١٨، وبحر العلوم٢/٢٥١، والنكت والعيون ٣/١٤٩، ومعالم التنزيل ٢/٥٧٥، والكشاف٢/٥٣٦، والمحرر الوجيز٣/٣٥١، وزاد المسير٢/٥٢٥، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٥، وإرشاد العقل السليم٥/٦٨، وأضواء البيان٢/٢٥٦.

(٣) تفسير الصنعاني٢/٣٤٥، وجامع البيان١٤/١٨، وبحر العلوم٢/٢٥١، ومعالم التنزيل٢/٥٧٥، والكشاف٢/٥٣٦، والمحرر الوجيز٣/٣٥١، وتفسير القرآن لابن كثير٨/٢٤٦، وإرشاد العقل السليم٥/٦٨، وأضواء البيان٢/٢٥٦.

(٤) أخرجه الطبري١٤/١٩.

ذلك[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: حفظ القرآن العزيز من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل[٢].

وممن قال به:

١- مجاهد، وقتادة، وثابت البناني[٣].

٢- الطبري، والزجاج، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن جزي الكلبي، والشوكاني، والشنقيطي[٤].

واستدلوا بما يلي :

١- أنه كما قال: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[٥]

٢- ونظيره في صفة القرآن وقال: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٦]

٣- قال قتادة: أنزله الله وحفظه من أن يزيد الشيطان فيه باطلاً أو يسقط منه

---

(١) رموز الكنوز٣/٥٨٧.

(٢) تفسير الصنعاني٢/٣٤٥، وجامع البيان١٤/١٨، وبحر العلوم٢/٢٥١، والنكت والعيون ٣/١٤٩، ومعالم التنزيل٢/٥٧٥، والكشاف٢/٥٣٦، والمحرر الوجيز٣/٣٥١، وزاد المسير٢/٥٢٥، والجامع لأحكام القرآن١٠/٥، وإرشاد العقل السليم٥/٦٨، وأضواء البيان٢/٢٥٦.

(٣) زاد المسير٢/٥٢٥.

(٤) جامع البيان١٤/١٨، والمحرر الوجيز٣/٣٥٢، ومفاتيح الغيب١٩/١٢٧، والجامع لأحكام القرآن١٠/٥، والتسهيل٢/١٤٤، وتفسير القرآن لابن كثير٨/٢٤٦، وفتح القدير٣/١٢٢، وأضواء البيان٢/٢٥٦.

(٥) سورة فصلت آية: ٤٢.

(٦) سورة النساء آية: ٨٢.

حقاً[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن كثير: منهم من أعاد الضمير في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ على النبي ﷺ، كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٢] والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق[٣].

ب- قال الرازي: إلا أن القول الأول أرجح القولين وأحسنهما مشابهة لظاهر التنزيل والله أعلم[٤] .

ج- قال الشوكاني: ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ عن كل ما لا يليق به من تصحيف وتحريف وزيادة ونقص ونحو ذلك وفيه وعيد شديد للمكذبين به المستهزئين برسول الله ﷺ وقيل الضمير في له لرسول الله ﷺ والأول أولى بالمقام[٥]

القول الثاني: إنها ترجع لمحمدﷺ ، أي: حافظونه من شياطين الإنس والجن[٦].

وممن قال به:

ابن السائب الكلبي، ومقاتل، والفراء، وابن الأنباري [٧].

واستدلوا بما يلي:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق٢/٣٤٥، والطبري١٤/١٩، والوسيط٣/٤٠

(٢) سورة المائدة آية: ٦٧.

(٣) تفسير القرآن لابن كثير٨/٢٤٦.

(٤) مفاتيح الغيب١٩/١٢٧.

(٥) فتح القدير٣/١٢٢.

(٦) تفسير الصنعاني٢/٣٤٥، وجامع البيان١٤/١٩، وبحر العلوم٢/٢٥١، ومعالم التنزيل٢/٥٧٥، والكشاف٢/٥٣٦، والمحرر الوجيز٣/٣٥١، وتفسير القرآن لابن كثير٨/٢٤٦، وإرشاد العقل السليم٥/٦٨، وأضواء البيان٢/٢٥٦.

(٧) معاني القرآن للفراء٢/٨٥، والبسيط١٢/٥٤٨، وزاد المسير٢/٥٢٥، ومفاتيح الغيب١٩/١٢٧.

١- أنه كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [١].

٢- قولهم قبلها : ﴿ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾ [٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الفراء: يقال: إن الهاء التي في(له) يراد بها القرآن[٣].

ب- قال ابن الأنباري: لما ذكر الله الإنزال والمنزل ،دل ذلك على المنزل عليه، فحسنت الكناية عنه، لكونه أمراً معلوماً كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾ [٤] فإن هذه الكناية عائدة إلى القرآن مع أنه لم يتقدم ذكره؛ وإنما حسنت الكناية للسبب المعلوم فكذا ههنا[٥].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾. بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزل القرآن العظيم وأنه حافظ له من أن يزاد فيه أو ينقص أو يتغير منه شيء أو يبدل ، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله :﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ ﴾ [٦] وقوله: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ ﴾ [٧] وهذا هو الصحيح والحق كما يتبادر من ظاهر السياق،

---

(١) سورة المائدة آية: ٦٧.

(٢) سورة الحجر آية: ٦.

(٣) معاني القرآن للفراء٢/٨٥.

(٤) سورة القدر آية: ١.

(٥) مفاتيح الغيب١٩/١٢٧.

(٦) سورة فصلت آية: ٤١-٤٢.

(٧) سورة القيامة آية: ١٦-١٩.

في معنى هذه الآية أن الضمير في قوله: ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ راجع إلى الذكر الذي هو القرآن[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الضمير يعود إلى القرآن، فإن القرآن هو المذكور بلفظ "الذكر" ولم يذكر محمد ﷺ، فتحتم عود الضمير على الذكر، وهو القرآن. وهو أرجح القولين وأحسنهما مشابهة لظاهر التنزيل والله أعلم.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

---

(١) أضواء البيان ٢/٢٥٥.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [١]

١٣٠- مسألة: هل يقتل الشهاب أم لا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه يحرق ويجرح ويخبل ولا يقتل[٢].

القول الثاني: يقتل[٣].

قال الرسعني:

﴿ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾ أي: لحقه كوكب مضيء.

قال ابن عباسﷺ: يحرق ويجرح ويخبل ولا يقتل[٤].

وقال الحسن: يقتل[٥].

وعندي: أنه لا تنافي بين القولين، فإنه عذاب يرمون به، فمنهم من يستأصله ويهلكه، ومنهم من يعذبه ولا يهلكه بالكلية[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه يحرق ويجرح ويخبل ولا يقتل[٧].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، ومقاتل[٨].

---

(١) سورة الحجر آية: ١٨.

(٢) معاني القرآن للفراء٢/٨٦، وجامع البيان١٤/٣٢، وزاد المسير٢/٥٢٨.

(٣) معاني القرآن للفراء٢/٨٦، وزاد المسير٢/٥٢٨.

(٤) أخرجه الطبري١٤/٣٣، وابن أبي حاتم٧/٢٢٥٩.

(٥) زاد المسير٢/٥٢٨.

(٦) رموز الكنوز٣/٥٩٣.

(٧) معاني القرآن للفراء٢/٨٦، وجامع البيان١٤/٣٢، وزاد المسير٢/٥٢٨.

(٨) زاد المسير٢/٥٢٨.

واستدلوا بما يلي :

١- وعن ابن عباسﷺ قال: تصعد الشياطين أفواجاً تسترق السمع، قال: فينفرد المارد منها فيعلو فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته أو جنبه أو حيث شاء الله منه، فيلتهب فيأتي أصحابه وهو يلتهب، فيقول: إنه كان من الأمر كذا وكذا [١].

٢- وكان ابن عباسﷺ يقول: إن الشهب لا تقتل؛ ولكن تحرق وتخبل وتجرح، من غير أن تقتل[٢].

القول الثاني: أنه يقتُل[٣].

وممن قال به: الحسن.

حاصل الدراسة:

الشهاب الشعلة من النار، واختلف في الشهاب هل يقتل أو لا؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا، يسترقون السمع من الملائكة، فيرمون بالكواكب فلا يخطيء أبداً، فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى، ومنهم من يخبله فيصير غولاً فيضل الناس في البوادي. وقال الحسن وطائفة أنه يقتل.

وقول الرسعني قول له وجه، فلا تنافي بين القولين، لأنه عذاب يرمون به، فمنهم من يستأصله ويهلكه، ومنهم من يعذبه ولا يهلكه بالكلية[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه لا تنافي بين القولين، فمنهم من يحرقه، ومنهم من يقتله السهاب.

---

(١) جامع البيان١٤/٣٢.

(٢) جامع البيان١٤/٣٣.

(٣) معاني القرآن للفراء٢/٨٦، وزاد المسير٢/٥٢٨.

(٤) معالم التنزيل٢/٥٧٨، والجامع لأحكام القرآن١٠/١٠، وإرشاد العقل السليم٥/٧١، وفتح القدير٣/١٢٥.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾ [١]

١٣٢- مسألة: هل كان يرمى بالنجوم قبل مبعث نبينا محمدﷺ.

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كان يرمى بها قبل مبعث نبينا محمد ﷺ[٢].

القول الثاني: لم يقذف بالنجوم حتى كان مبعث رسول الله ﷺ[٣].

قال الرسعني:

اختلفوا هل كان يرمي بالنجوم قبل مبعث نبينا محمد ﷺ ؛ فقال عامر الشعبي: لم يقذف بالنجوم حتى كان مبعث رسول الله ﷺ [٤]. واحتجوا لهذا القول بما أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباسرضي الله عنه قال:" كانت النجوم لا يرمي بها، فلما بُعث النبي ﷺ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رُمي بشهاب يحرق ما أصابه، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبعث جنده، فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض"[٥].

وقال الزجاج[٦]: الدليل على أنها بعد مولد النبي ﷺ؛ أن شعراء العرب الذين يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في أشعارها بيتٌ واحد فيه ذكر الكواكب المنقضَّة، فلما حدثت بعد مولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها، قال ذو

---

(١) سورة الحجر آية ١٨.

(٢) زاد المسير٢/٥٢٧، والجامع لأحكام القرآن ١٩/١٢-١٣، ١٥/٦٦، وإرشاد العقل السليم٥/٧١، وفتح القدير٣/١٢٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج٣/١٧٦، والبسيط١٢/٥٦٧، ومعالم التنزيل٢/٥٧٩، وزاد المسير٢/٥٢٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن١٠/١٢.

(٥) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الجن، ح(٣٣٢٤) وقال حديث حسن صحيح ، وأحمد ١/٣٢٣ ح(٢٩٧٩).

(٦) معاني القرآن للزجاج٣/١٧٦.

الرمة[١]:

كأنه كوكب في إثر عِفرِيةٍ مسوَّمٌ في سواد الليل مُنقَضِب

والصحيح عندي: أنه كان يرمي بها، وقول ابن عباسﷺ محمول على نفي الكثرة لا على نفي أصل الرمي، جمعاً بينه وبين قوله في الرواية الأخرى: كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات، فلما ولد عيسى منعت من ثلاث سماوات، فلما وُلد رسول الله ﷺ مُنعوا من السماوات كلها[٢].

وقال الزهري: قد كان يرمى بها قبل ذلك، ولكنها غُلِّظَت حين بعث النبي ﷺ ، وهذا مذهب ابن قتيبة، قال: وعليه وجدنا الشعر القديم[٣].

قال أوس بن حجر، وهو جاهلي:

فانقضَّ كالدُّرِّي يتبعُهُ نقعٌ يثورُ تخالُهُ طُنُبا [٤]

والذي يزيد ذلك إيضاحاً، ويُفصح بصحة ما اخترتُه إفصاحاً: ما أخبرنا به أبو بكر ابن بهروز قال: أخبركم عبد الأول قال: أبنا الداودي، ثنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، ثنا إبراهيم بن خريم الشاشي، ثنا عبد بن حميد، ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن ابن عباسﷺ قال:" بينما النبي ﷺ جالس في نفر من أصحابه من الأنصار، إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم. قال: فإنها لا يرمى به لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى الأمر في السماء سبَّح حملة

---

(١) البيت لذي الرمة يصف ثوراً وحشياً. انظر: ديوانه ص٢١، واللسان مادة: قضب ٦٧٨/١، مادة: عفر ٥٨٦/٤، والجامع لأحكام القرآن١٢/١٠، وزاد المسير٥٢٧/٢.

(٢) الوسيط٤١/٣، ومعالم التنزيل ٥٧٩/٢، وزاد المسير٥٢٧/٢، ومفاتيح الغيب١٣٤/١٩، والجامع لأحكام القرآن ١٢/١٠، وإرشاد العقل السليم ٧١/٥،

(٣) تأويل مشكل القرآن ص٤٣٠.

(٤) البيت لأوس بن حجر. انظر: ديوانه ص٤، ولسان العرب مادة: (درأ)٧٣/١، وتهذيب اللغة ١١٢/١٤، وتاج العروس٢٢٤/١.

العرش، ثم يسبح أهل السماء، وسبح كل أهل سماء، حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبر حملةُ العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبر أهل كل سماء أهل سماء، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن ويرمون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون"[١].

قال: قلت للزهري: أوَ كان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أقرأت قوله: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ الآية[٢] قال: غُلِّظت وشدّد أمرها حين بُعث النبي ﷺ. هذا صحيح أخرجه مسلم في صحيحه[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كان يرمى بها قبل مبعث نبينا محمد ﷺ [٤].

وممن قال به:

الزهري، وابن قتيبة، وابن عطية، والقرطبي[٥].

واستدلوا بما يلي :

١- قول ابن عباسرضي الله عنه في رواية: كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات، فلما ولد عيسى منعت من ثلاث سماوات، فلما وُلد رسول الله ﷺ مُنعوا من السماوات كلها[٦].

٢- عن علي بن الحسين، عن ابن عباسرضي الله عنه قال:" بينما النبي ﷺ جالس في نفر

---

(١) أخرجه مسلم كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ح(٢٢٢٩). وعبد بن حميد في مسنده ٢٢٨/١ (٦٨٣).

(٢) سورة الجن آية: ٩.

(٣) رموز الكنوز٣/٥٩٦.

(٤) زاد المسير٢/٥٢٧.

(٥) المحرر الوجيز ٣٥٤/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٢/١٩-١٣، ٦٦/١٥، وإرشاد العقل السليم٥/٧١، وفتح القدير٣/١٢٦.

(٦) الوسيط٣/٤١، وزاد المسير٢/٥٢٧.

من أصحابه من الأنصار، إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم. قال: فإنها لا يرمى به لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى الأمر في السماء سبَّح حملة العرش، ثم يسبح أهل السماء، وسبح كل أهل سماء، حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبر حملةُ العرش:ماذا قال ربكم؟ فيخبر أهل كل سماء أهل سماء، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن ويرمون، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون"[١].

قال: قلت للزهري: أوَ كان يرمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أقرأت قوله: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ الآية[٢] قال: غُلِّظت وشدّد أمرها حين بُعث النبي ﷺ. هذا صحيح أخرجه مسلم في صحيحه[٣].

٣- بذكرها في الشعر الجاهلي، مثل شعر أوس بن حجر وهو جاهلي:

فانقضَّ كالدُّرِّي يتبعُهُ نقعٌ يثورُ تخالُهُ طُنُبا [٤]

ومن أقوالهم:

أ- قال الزهري: قد كان يرمى بها قبل ذلك، ولكنها غُلِّظَت حين بعث النبي ﷺ ، وهذا مذهب ابن قتيبة، قال: وعليه وجدنا الشعر القديم[٥].

ب- قال ابن عطية: وفي الأحاديث ما يدل على أن الرجم كان في الجاهلية، ولكنه

---

(١) أخرجه مسلم كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ح(٢٢٢٩). وعبد بن حميد في مسنده ٢٢٨/١ (٦٨٣).

(٢) سورة الجن آية: ٩.

(٣) رموز الكنوز٣/٥٩٦.

(٤) البيت لأوس بن حجر. انظر: ديوانه ص٤، ولسان العرب مادة: (درأ)٧٣/١، وتهذيب اللغة ١١٢/١٤، وتاج العروس٢٢٤/١.

(٥) تأويل مشكل القرآن ص٤٣٠.

اشتدّ في وقت الإسلام، وحفظ السماء حفظاً تامّاً[١].

ج- قال القرطبي: والقول بالرمي أصح لقوله تعالى: ﴿ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [٢]، وهذا إخبار عن الجن أنه زيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم[٣].

القول الثاني: لم يقذف بالنجوم حتى كان مبعث رسول الله ﷺ [٤].

وممن قال به:

١- أبي بن كعب رضي الله عنه، ورواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه، وعامر الشعبي، والكلبي[٥].

٢- الزجاج، والواحدي، والبغوي[٦].

واستدلوا بما يلي:

١- واحتجوا لهذا القول بما أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال:" كانت النجوم لا يرمي بها، فلما بُعث النبي ﷺ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رُمي بشهاب يحرق ما أصابه، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبعث جنده، فإذا هم بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض"[٧].

ومن أقوالهم:

---

(١) المحرر الوجيز٣/٣٥٤.

(٢) سورة الجن آية: ٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٢-١٣.

(٤) زاد المسير٢/٥٢٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٢-١٣، ١٥/٦٦، وإرشاد العقل السليم٥/٧١، وفتح القدير٣/١٢٦.

(٦) معاني القرآن للزجاج٣/١٧٦، والبسيط١٢/٥٦٧، ومعالم التنزيل٢/٥٧٩.

(٧) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الجن، ح(٣٣٢٤) وقال حديث حسن صحيح ، وأحمد ١/٣٢٣ ح(٢٩٧٩).

أ- قال الزجاج[١]: الدليل على أنها بعد مولد النبي ﷺ؛ أن شعراء العرب الذين يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في أشعارها بيتٌ واحد فيه ذكر الكواكب المنقضَّة، فلما حدثت بعد مولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها، قال ذو الرمة[٢]:

كأنه كوكب في إثر عِفرِيةٍ مسوَّمٌ في سواد الليل مُنقَضِب

ب- قال البغوي: واعلم أن هذا لم يكن ظاهراً قبل مبعث النبي ﷺ ، ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبي ﷺ، وإنما ظهر في بدء أمره وكان ذلك أساساً لنبوته عليه السلام[٣].

ج- ذكر الزهري عن أبي رجاء العطاردي: كنَّا لا نرى الرجم بالنجوم قبل الإسلام[٤].

حاصل الدراسة:

اختلف السلف هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث أو كان ذلك أمراً حدث لمبعث النبي ﷺ على قولين، وجاءت الأحاديث بذلك عن ابن عباس رضي الله عنه.

فقال قوم إنما كان من أجل بعثه النبي ﷺ؛ فلما بعث محمد ﷺ منعوا من السماوات كلها وحرست بالملائكة والشهب؛ ولأن الشعراء في القديم لم يذكروه في أشعارهم.

وقيل: كان ذلك قبل المبعث.

وقد يمكن الجمع بينهما أن يقال: إن الذين قالوا لم تكن الشياطين ترمي بالنجوم قبل مبعث النبي ﷺ ثم رميت، أي: لم تكن ترمى رمياً يقطعها عن السمع، ولكنها كانت ترمى وقتاً ولا ترمى وقتاً، وترمى من جانب ولا ترمى من جانب.

---

(١) معاني القرآن للزجاج٣/١٧٦.

(٢) البيت لذي الرمة يصف ثوراً وحشياً. انظر: ديوانه ص٢١، واللسان مادة: قضب ٦٧٨/١، مادة عفر ٥٨٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٢/١٠، وزاد المسير٥٢٧/٢.

(٣) معالم التنزيل٥٧٩/٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٠، ١٢/١٩-١٣، ٦٦/١٥-٦٧.

وإنما زادت بمبعث رسول الله ﷺ لحفظ السماء وأعدت لهم شهب لم تكن من قبل، وزادت إنذاراً بحاله وهو معنى قوله تعالى: ﴿ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [١] أي: زيد في حرسها. وهذا قول الأكثرين، ويؤيده ما ورد في سورة الجن، والحديث في صحيح مسلم[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الجمع بينهما، فتكون قد زادت بمبعث رسول الله ﷺ.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٣].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٤].

---

(١) سورة الجن آية: ٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٢-١٣، ١٥/٦٦، وإرشاد العقل السليم٥/٧١، وفتح القدير٣/١٢٦.

(٣) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[١]

١٣١- مسألة: ما المشار عليه في قوله تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أي: في الأرض[٢].

القول الثاني: أي: في الجبال[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا ﴾ أي: في الأرض. وقال الفراء: في الجبال.

والأول هو القول؛ لاندراج الثاني فيه، ولقوله بَعدُ: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: في الأرض[٥].

وممن قال به: البغوي، والرازي، والشوكاني[٦].

---

(١) سورة الحجر آية: ١٩.

(٢) زاد المسير٢/٥٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٠، وتفسير البيضاوي٣/٣٦٥، والدر المصون٧/١٥١، وإرشاد العقل السليم٥/٧١.

(٣) معاني القرآن للفراء٢/٨٦، والبسيط١٢/٥٧٠، وزاد المسير٢/٥٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٠، والدر المصون٧/١٥١.

(٤) رموز الكنوز ٣/٥٩٦.

(٥) زاد المسير٢/٥٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١٣/١٠، وتفسير البيضاوي٣/٣٦٥، والدر المصون٧/١٥١، وإرشاد العقل السليم٥/٧١.

(٦) معالم التنزيل٢/٥٨٠، ومفاتيح الغيب١٩/١٣٦، وفتح القدير ٣/١٢٦.

واستدلوا: بقوله بَعدُ: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَيِشَ ﴾.

ومن أقوالهم:

قال الرازي: يحتمل أن يكون راجعاً إلى الأرض، وأن يكون راجعاً إلى الجبال الرواسي، إلا أن رجوعه إلى الأرض أولى[١].

القول الثاني: في الجبال[٢].

وممن قال به: الكلبي، والفراء[٣].

ومن أقوالهم:

قال الكلبي: وأنبتنا في الجبال من كل شيء موزون من الذهب والفضة والنحاس، والحديد[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

ذكر بعض المفسرين أن المشار إليه في الأرض والجبال[٥].

حاصل الدراسة:

﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ أي: في الأرض وهي إما شاملة للجبال؛ لأنها تعد منها أو خاصة بغيرها؛ لأن أكثر النبات وأحسنه إنما تتولد في الأراضي، فأما الفواكه الجبلية فقليلة النفع، وهو قول الأكثرين. وجوز أن يكون الضمير للجبال والأرض بتأويل المذكورات مثلاً أو للأرض بمعنى ما يقابل السماء بطريق الاستخدام وعوده على الرواسي لقربها، ولأن المعادن إنما تتولد في الجبال، والأشياء الموزونة في العرف والعادة هي المعادن لا النبات،

---

(١) مفاتيح الغيب١٩/١٣٦.

(٢) زاد المسير٢/٥٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١٣، والدر المصون٧/١٥١.

(٣) معاني القرآن للفراء٢/٨٦، والبسيط١٢/٥٧٠.

(٤) الوسيط٣/٤٢.

(٥) تفسير البيضاوي٣/٣٦٥، والدر المصون٧/١٥١، وإرشاد العقل السليم٥/٧١.

وحمل الإنبات على إخراج المعادن بعيد[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن يكون راجعاً إلى الأرض، وهي شاملة للجبال، بدلالة الآية بعدها.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٢].

(١) مفاتيح الغيب١٣٦/١٩، وروح المعاني٢٩/١٤.

(٢) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ [١]

١٣٣- مسألة: اللام في "ليبين" بماذا متعلقة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: متعلقة بما دل عليه قوله: "بلى"[٢].

القول الثاني: متعلقة بقوله:" ولقد بعثنا"[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ اللام في "ليبين" متعلقة بما دل عليه قوله: "بلى"، أي: يبعثهم ليبين لهم، أو تكون متعلقة بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ﴾ [٤]. **والأول أظهر**؛ لقوله: ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ ، وذلك عند معاينة ما وُعدوا به من العذاب الكائن بعد البعث، ﴿ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ فيما أقسموا عليه من نفي البعث.

وإن قلنا: اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا ﴾ فالمعنى: وليعلم الذين كفروا إذا شاهدوا معجزات الرسل، وبراهينهم الساطعة، ودلائلهم القاطعة، أنهم كانوا كاذبين على الله تعالى[٥].

---

(١) سورة النحل آية: ٣٩.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٦٦/٤، والكشف والبيان١٧/٦، والكشاف ٥٦٦/٢، وزاد المسير ٥٥٩/٢، ولباب التأويل ٩٠/٤، وفتح القدير ١٦٢/٣.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٦٦/٤، والكشف والبيان١٧/٦، والكشاف ٥٦٦/٢، والمحرر الوجيز ٣٩٣/٣، وزاد المسير ٥٥٩/٢، وفتح القدير ١٦٢/٣.

(٤) سورة النحل آية: ٣٦.

(٥) رموز الكنوز٢٩/٤.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: اللام في "ليبين" متعلقة بما دل عليه قوله: "بلى"، أي: يبعثهم ليبين لهم، ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ ، وذلك عند معاينة ما وُعدوا به من العذاب الكائن بعد البعث، ﴿ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴾ فيما أقسموا عليه من نفي البعث[١].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، والطبري، وابن عطية، والسمين الحلبي وأبو السعود، والألوسي[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: اللام في قوله : "ليبين" تتعلق بما في ضمن قوله : "بلى"؛ لأن التقدير بلى يبعث ليبين، وقيل: هي متعلقة بقوله :" ولقد بعثنا"، والأول أصوب في المعنى؛ لأن به يتصور كذب الكفار في إنكار البعث[٣].

ب- قال ابن جزي الكلبي: قال تعالى: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ اللام تتعلق بما دل عليه بلى، أي: يبعثهم ليبين لهم، وهذا برهان أيضاً على البعث، فإن الناس مختلفون في أديانهم، ومذاهبهم، فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه[٤].

القول الثاني: أن تكون متعلقة بقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ﴾ والمعنى: وليعلم الذين كفروا إذا شاهدوا معجزات الرسل، وبراهينهم الساطعة، ودلائلهم

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٦٦/٤، والكشف والبيان١٧/٦، والكشاف ٥٦٦/٢، وزاد المسير ٥٥٩/٢، ولباب التأويل ٩٠/٤، وفتح القدير ١٦٢/٣.

(٢) جامع البيان٢٢١/١٤، والبسيط٥٨/١٣، والمحرر الوجيز ٣٩٣/٣، والدر المصون٢١٩/٧، وإرشاد العقل السليم ١١٤/٥، وروح المعاني ١٤١/١٤.

(٣) المحرر الوجيز ٣٩٣/٣.

(٤) التسهيل ١٥٤/٢.

القاطعة، أنهم كانوا كاذبين على الله تعالى[١].

وممن قال به:

أجازه الزجاج، والنحاس[٢].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ لِيُبَيِّنَ ﴾ هذا على ضربين، جائز أن يكون معلقاً بالبعث، ويكون المعنى: بلى يبعثهم الله ليبين لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، وجائز أن يكون ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ معلقاً بقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ﴾ ليُبيِّن لهم اختلافهم، وأنهم كانوا من قبله على ضلالة. فعلى هذا لا يعود البيان إلى بيان البعث، وعلى القول الأول: يعود إلى بيان البعث بعد الموت، وهو قول ابن عباسﷺ، لأنه قال: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ : بهذا الوعد الذي قال: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴾ : فيما أقسموا فيه[٣].

وأجاز الزجاج الوجهين، والوجه الأول أنها متعلقة بالبعث هو قول جمهور المفسرين. وهو الظاهر من المراد بالآية، بدلالة ما بعده.

المناقشة والترجيح:

الراجح: اللام في "ليبين" متعلقة بما دل عليه قوله: "بلى"، أي: يبعثهم ليبين لهم.
القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٤].

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٦٦/٤، والكشف والبيان١٧/٦، والكشاف ٥٦٦/٢، والمحرر الوجيز ٣٩٣/٣، وزاد المسير ٥٥٩/٢، وفتح القدير ١٦٢/٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج١٩٨/٣، ومعاني القرآن للنحاس ٦٦/٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج١٩٨/٣، والبسيط٥٨/١٣.

(٤) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [١]

١٣٤– مسألة: ما المراد بالسجود في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أما مَنْ يعقل فسجوده عبادته وخضوعه لله تعالى. وأما ما لا يعقل فسجوده انقياد لتسخير الله تعالى ونفاذ أمره فيه، وظهور أثر صنعته عليه[٢].

القول الثاني: أنه سجود على الحقيقة[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ ﴾ أما مَنْ يعقل فسجوده عبادته وخضوعه لله تعالى.

وأما ما لا يعقل فسجوده انقياد لتسخير الله تعالى ونفاذ أمره فيه، وظهور أثر صنعته عليه. هذا قول جمهور المفسرين[٤].

والصحيح عندي والذي يدل عليه العلم: أنه سجود على الحقيقة، كما قلنا في تسبيح ما لا يعقل، ويكون منشأ ذلك معنىً يخلقه الله فيه، كما أفهم السماوات والأرض والجبال خطابه، حيث عَرَضَ عليها الأمانة فأبت.

وفي صحيح مسلم: أن النبي ﷺ قال:" إني لأعرفُ حجراً كان يُسلِّم عليّ بمكة قبل

---

(١) سورة النحل آية: ٤٩.

(٢) جامع البيان١٤/٢٤٥، والوسيط ٣/٦٥، ومعالم التنزيل٢/٦١٧، والكشاف٢/٥٦٩، وزاد المسير٢/٥٦٣، ولباب التأويل ٤/٩٤.

(٣) زاد المسير٢/٥٦٣.

(٤) زاد المسير٢/ ٥٦٣، والوسيط٣/٦٥.

أن أُبعث"[١].

وصح: "أن الجذع حنّ إليه حتى نزل إليه فاحتضنه فسكت"[٢]

فإذا كان هذا في الجماد فأولى أن يكون في الدواب الموصوفة بالحياة والإحساس والعلم ببعض المعلومات.

والذي يؤيد ما ذكرناه؛ ما أخرج في الصحيحين من حديث أبي ذر قال: "كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس فقال: يا أبا ذر! تدري أين ذهبت الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع على مطلعها، فذلك مستقرها، ثم قرأ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا ﴾ [٣].

ومما يوضح ما ذكرته ويحققه: أن الله تعالى جمع بين مَنْ يعقل وما لايعقل في الإخبار بالسجود، فلو تغاير سجودهما لكان معبِّراً عن النوعين بلفظ واحد، وهذا لا يسوغ[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أما مَنْ يعقل فسجوده عبادته وخضوعه لله تعالى. وأما ما لا يعقل فسجوده انقياد لتسخير الله تعالى ونفاذ أمره فيه، وظهور أثر صنعته عليه[٥].

وممن قال به:

الطبري، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والخازن، وقال ابن الجوزي أنه قول

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ح(٢٢٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في بدء شأن المنبر ح(١٤١٥).

(٣) سورة يس آية: ٣٨.

(٤) رموز الكنوز ٤/٣٧-٣٨.

(٥) زاد المسير ٢/٥٦٣، ولباب التأويل ٤/٩٤.

جماعة من العلماء[١].

احتجوا بقول الشاعر:

بجيش تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيه سجدا للحوافر

قال ابن قتيبة: حَجَرَاتُهُ، أي: جوانبه، يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأُكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: السجود على نوعين: سجود عبادة وطاعة كسجود المسلمين وسجود هو خضوع وتذلل وهو سجود ما لا يعقل، وسجود الجمادات، وهذه الأشياء بما فيها من الدلالة على الحاجة على مدبر وصانع ساجدة، أي: خاضعة متذللة[٣].

ب- قال البغوي: يقال: السجود الطاعة، والأشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد، قال الله تعالى ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [٤]، وقيل: سجود الأشياء تذللها وتسخرها لما أريدت له وسخرت له، وقيل: سجود الجمادات وما لا يعقل ظهور أثر الصنع فيه على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه، قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَـٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ ﴾ [٥][٦].

ج- قال الزمخشري: المراد بسجود المكلفين: طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم: انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها، وكلا السجودين يجمعها معنى الانقياد فلم

---

(١) جامع البيان١٤/٢٤٥، والوسيط ٣/٦٥، ومعالم التنزيل٢/٦١٧، والكشاف٢/٥٦٩، وزاد المسير٢/٥٦٣، ولباب التأويل ٤/٩٤.

(٢) زاد المسير٢/٥٦٣.

(٣) الوسيط ٣/٦٥.

(٤) سورة فصلت آية: ١١.

(٥) سورة فصلت آية: ٥٣.

(٦) معالم التنزيل٢/٦١٧.

يختلفا، فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد[١].

القول الثاني: أنه سجود على الحقيقة، كما قلنا في تسبيح ما لا يعقل، ويكون منشأ ذلك معنىً يخلقه الله فيه، كما أفهم السماوات والأرض والجبال خطابه، حيث عَرَضَ عليها الأمانة فأبت[٢].

ذكره المفسرون، ولم أقف على من رجحه.

واستدلوا بما يلي:

١- في صحيح مسلم: أن النبي ﷺ قال:" إني لأعرفُ حجراً كان يُسلِّم عليّ بمكة قبل أن أُبعث"[٣].

٢- وصح: "أن الجذع حنّ إليه حتى نزل إليه فاحتضنه فسكت"[٤].

٣- ما أخرج في الصحيحين[٥] من حديث أبي ذر قال: "كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس فقال: يا أبا ذر! تدري أين ذهبت الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع على مطلعها، فذلك مستقرها، ثم قرأ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا ﴾[٦].

حاصل الدراسة:

المراد بالسجود على ما ذكره غير واحد الانقياد، سواء كان انقياداً لإرادته تعالى وتأثيره طبعاً، أو انقياداً لتكليفه وأمره طوعاً، ليصح إسناده إلى عامة أهل السماوات

---

(١) الكشاف٢/٥٦٩.

(٢) زاد المسير٢/٥٦٣.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ح(٢٢٧٧).

(٤) أخرجه ابن ماجه كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في بدء شأن المنبر ح(١٤١٥).

(٥) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر،ح(٣١٩٩)، (٤٨٠٢)، (٧٤٢٤)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح(١٥٩).

(٦) سورة يس آية: ٣٨.

والأرض من غير جمع بين الحقيقة والمجاز. ولكن الآية آية سجدة لا بد من دلالتها على السجود المتعارف ولو ضمناً ، وما ورد في الصحيحين يؤيد[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الآية على ظاهرها، وأنه سجود حقيقي، والله أعلم بكيفيته.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٣].

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[٤].

---

(١) روح المعاني ١٥٧/١٤.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس٦٥٧/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٠/١، والمحرر الوجيز ٢١/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٥/١٢، وروح المعاني ٨٢/٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢٠٦/١.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤١٤/٤، والمحرر الوجيز ٣٧٥/٢، ومجموع الفتاوى ٤٧٣/٢٠، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٨٧/٢.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [١]

١٣٥- مسألة: من هم الذي لا يستكبرون؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عام في جميع المذكورات[٢].

القول الثاني: الملائكة[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: هو عام في جميع المذكورات[٤].

والصحيح: أنهم الملائكة؛ لقوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ فإن قوله:" يخافون" إما حال من الضمير في "يستكبرون"، على معنى: فهم لا يستكبرون خائفين، وإما بيان لنفي الاستكبار وتأكيد له[٥]. **وأياً ما كان فهو بالملائكة أشبه**[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة النحل آية: ٤٩.

(٢) زاد المسير٢/٥٦٤، وفتح القدير٣/١٦٦.

(٣) الوسيط٣/٦٥، والجامع لأحكام القرآن١٠/١١٣، ولباب التأويل ٤/٩٤، وإرشاد العقل السليم ٥/١١٩، وفتح القدير٣/١٦٦.

(٤) زاد المسير٢/٥٦٤.

(٥) الدر المصون٧/٢٣٤.

(٦) رموز الكنوز٤/٣٩.

القول الأول: عام في جميع المذكورات[١].

وممن قال به: أبو سليمان الدمشقي.

القول الثاني: أنه من صفة الملائكة خاصة[٢].

وممن قال به:

ابن السائب، ومقاتل، والواحدي، والقرطبي، والخازن، وأبو السعود، والشوكاني[٣].

واستدلوا بما يلي:

١- بالآية بعدها قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ فإن قوله:" يخافون" إما حال من الضمير في "يستكبرون"، على معنى: فهم لا يستكبرون خائفين، وإما بيان لنفي الاستكبار وتأكيد له.

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: يريد عن عبادة الله، وهذا من صفة الملائكة خاصة لقوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[٤].

ب- قال أبو السعود: ﴿ وَهُمْ ﴾ أي الملائكة مع علو شأنهم ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن عبادته عز وجل، والسجود له. وتقديم الضمير ليس للقصر، والجملة إما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسند إلى الملائكة، أو استئناف أخبر عنهم بذلك[٥].

---

(١) زاد المسير٢/٥٦٤، وفتح القدير٣/١٦٦.

(٢) فتح القدير٣/١٦٦.

(٣) الوسيط٣/٦٥، وزاد المسير٢/٥٦٤، والجامع لأحكام القرآن١٠/١١٣، ولباب التأويل ٤/٩٤، وإرشاد العقل السليم ٥/١١٩، وفتح القدير٣/١٦٦.

(٤) الوسيط٣/٦٥.

(٥) إرشاد العقل السليم ٥/١١٩.

حاصل الدراسة:

﴿ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ يريد عن عبادة الله، وهذا من صفة الملائكة خاصة لقوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾. ورد الألوسي على من قال إنها لجميع المذكورات، وقال: وليس المقام مقام التغليب وخالف في ذلك بعضهم فجعله لها[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنهم الملائكة، فهو أقرب مذكور، ودلالة ما بعدها.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٢].

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٣].

---

(١) روح المعاني ١٤/١٥٨.

(٢) جامع البيان ١٢/٢٤٧، والإحكام لابن حزم ٤/٤٣٥، والمحرر الوجيز ١/٤٨٥، ومفاتيح الغيب ١٠/١٩، ومجموع الفتاوى ١٥/١١٢، والبحر المحيط ٢/٦، والتسهيل ٢/٩٧، والبرهان في علوم القرآن ٤/٣٩، وأضواء البيان ٣/٣٩٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٢١.

(٣) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير ٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [١]

١٣٦- مسألة: علام ترجع هاء الكناية في قوله: ﴿ فِيهِ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنها ترجع إلى القرآن[٢].

القول الثاني: أن الهاء ترجع إلى الاعتبار، والشفاء: بمعنى الهُدى[٣].

القول الثالث: أنها ترجع إلى الشراب الذي هو العسل[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ قال مجاهد: أي في القرآن[٥].

وقال الضحاك: المعنى: في الاعتبار شفاء، أي: هدى للناس[٦].

والذي عليه الجمهور من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء: أن الضمير في "فيه" يعود على الشراب الذي هو العسل، **وهو الصواب والأشبه بظاهر السنة والكتاب.**

قال ابن مسعودﷺ : في العسل شفاء من كل داء[٧].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال:" جاء رجل إلى رسول الله ﷺ

---

(١) سورة النحل آية: ٦٩.

(٢) معاني القرآن للفراء٢/١٠٩، وزاد المسير٢/٥٧٠، والجامع لأحكام القرآن١٠/١٣٦، وفتح القدير٣/١٧٦.

(٣) زاد المسير٢/٥٧٠.

(٤) جامع البيان١٤/٢٨٩، وزاد المسير٢/٥٧٠، ولباب التأويل ٤/١٠٢.

(٥) أخرجه الطبري١٤/٢٩١، وابن أبي حاتم ٦/١٩٥٧.

(٦) زاد المسير٢/٥٧٠.

(٧) أخرجه الطبري١٤/٢٩١، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٢/٥٧٠.

فقال: عن أخي استطلقَ بطنه فقال: اسقه عسلاً، فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته، فلم يزده إلا استطلاقاً، قال: اسقه عسلاً، إلى أن قال: فشُفي إما في الثالثة وإما في الرابعة، فقال رسول الله ﷺ : صدق الله وكذب بطنُ أخيك"[١]. [٢]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنها ترجع إلى القرآن[٣].

وممن قال به:

ابن عباسرضي الله عنه، ومجاهد، والضحاك، والحسن، والفراء[٤].

واستدلوا بما يلي :

قال مجاهد :في قوله: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ يعني: القرآن؛ لأنه شفاء من أمراض الشرك، والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس[٥].

القول الثاني: أن الهاء ترجع إلى الاعتبار، والشفاء: بمعنى الهُدى.

وممن قال به:

الضحاك. ولم أجد غير ابن الجوزي ذكر هذا القول[٦].

القول الثالث: أنها ترجع إلى الشراب الذي هو العسل[٧].

وممن قال به:

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الطب، باب الدواء بالعسل،ح(٥٦٨٤)، وأخرجه مسلم كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، ح(٢٢١٧).

(٢) رموز الكنوز٤/٥٩.

(٣) بحر العلوم٢/٢٨١، والمحرر الوجيز٣/٤٠٦، وإرشاد العقل السليم٥/١٢٦.

(٤) معاني القرآن للفراء٢/١٠٩، وزاد المسير٢/٥٧٠، والجامع لأحكام القرآن١٠/١٣٦، وفتح القدير٣/١٧٦.

(٥) جامع البيان١٤/٢٨٩، ولباب التأويل ٤/١٠٢.

(٦) زاد المسير٢/٥٧٠.

(٧) جامع البيان١٤/٢٨٩، وزاد المسير٢/٥٧٠، ولباب التأويل ٤/١٠٢.

١- رواه العوفي عن ابن عباسﷺ، وبه قال ابن مسعودﷺ، وقتادة[١].

٢- الطبري، السمرقندي، والبغوي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والخازن، والسمين الحلبي، والشوكاني[٢].

واستدلوا بما يلي:

١- بما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال:" جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: عن أخي استطلقَ بطنه فقال: اسقه عسلاً، فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته، فلم يزده إلا استطلاقاً، قال: اسقه عسلاً، إلى أن قال: فشُفي إما في الثالثة وإما في الرابعة، فقال رسول الله ﷺ : صدق الله وكذب بطنُ أخيك"[٣]. [٤]

٢- قال ابن مسعودﷺ : في العسل شفاء من كل داء[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وهذا القول –أعني قول قتادة- أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله: ﴿ فِيهِ ﴾ في سياق الخبر عن العسل، فأن تكون الهاء من ذكر العسل، إذ كانت في سياق الخبر عنه، أولى من غيره[٦].

ب- قال الخازن: القول الأول أصح؛ لأن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب المذكورات، وأقربها قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ وهو العسل، فهو أولى أن

---

(١) جامع البيان ٢٩١/١٤، وزاد المسير ٥٧٠/٢.

(٢) جامع البيان٢٨٩/١٤، وبحر العلوم٢٨١/٢، ومعالم التنزيل٦٢٣/٢، والمحرر الوجيز٤٠٦/٣، ومفاتيح الغيب٥٩/٢٠، والجامع لأحكام القرآن١٣٦/١٠، ولباب التأويل ١٠٢/٤، والدر المصون٢٦٣/٧، وفتح القدير١٧٦/٣.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الطب، باب الدواء بالعسل،ح(٥٦٨٤)، وأخرجه مسلم كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، ح(٢٢١٧).

(٤) رموز الكنوز٥٩/٤.

(٥) أخرجه الطبري٢٩١/١٤، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٥٧٠/٢.

(٦) جامع البيان ٢٩١/١٤.

يرجع الضمير إليه؛ لأنه أقرب مذكور[١].

حاصل الدراسة:

على قول أن المراد: أن القرآن شفاء للناس، فعلى هذا التقدير قصة تولد العسل من النحل تمت عند قوله: ﴿ تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ ثم ابتدأ وقال: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: في هذا القرآن حصل ما هو شفاء للناس من الكفر والبدعة.

وضعف هذا القول الرازي؛ لأن الضمير في قوله: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ ﴾ يجب عوده إلى أقرب المذكورات، وما ذاك إلا قوله : ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ ، وأما الحكم بعود هذا الضمير إلى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق، فهذا قول صحيح في نفسه؛ ولكن ليس هو الظاهر ها هنا من سياق الآية فإن الآية إنما ذكر فيها العسل. وفي حديث أبو سعيد الخدري في الصحيحين، حملوا قوله: "صدق الله وكذب بطن أخيك" على قوله: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ وذلك إنما يصح لو كان هذا صفة للعسل[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد العسل، فهو الظاهر، وكونه الضمير يعود على أقرب مذكور، ولما ورد في الصحيحين.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٣].

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٤].

---

(١) لباب التأويل ١٠٢/٤.

(٢) مفاتيح الغيب٥٩/٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٢٦/٨، وروح المعاني ١٨٦/١٤.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(٤) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب ١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]

١٣٧- مسألة: هل الشفاء على العموم لكل مرض، أو على الخصوص لمرض دون مرض؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه عام في كل مرض[2].

القول الثاني: أن ذلك خرج مخرج الغالب[3].

قال الرسعني:

قال ابن مسعود : في العسل شفاء من كل داء[4].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال:" جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: عن أخي استطلقَ بطنه فقال: اسقه عسلاً، فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته، فلم يزده إلا استطلاقاً، قال: اسقه عسلاً، إلى أن قال: فشُفي إما في الثالثة وإما في الرابعة، فقال رسول الله ﷺ : صدق الله وكذب بطنُ أخيك"[5].

يشير عليه السلام إلى هذه الآية. وبعضهم يقول بعموم الآية في كل داء.

والصحيح: أنه محمول على الغالب، فإنه قلّ معجون من المعاجين إلا يذكر الأطباء

---

(1) سورة النحل آية: ٦٩.

(2) المحرر الوجيز٣/٤٠٦، ومفاتيح الغيب٢/٥٩، والجامع لأحكام القرآن١٠/١٣٧، والتسهيل٢/١٥٧، ولباب التأويل ٤/١٠٢، وفتح القدير٣/١٧٦، وروح المعاني ١٤/١٨٦.

(3) بحر العلوم٢/٢٨١، والمحرر الوجيز٣/٤٠٦، وزاد المسير٢/٥٧٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/١٨٥، والتسهيل٢/١٥٧، ولباب التأويل ٤/١٠٢.

(4) أخرجه الطبري١٤/٢٩١، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٣/٥٧٠.

(5) أخرجه البخاري كتاب الطب، باب الدواء بالعسل،ح(٥٦٨٤)، وأخرجه مسلم كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، ح(٢٢١٧).

فيه العسل[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه عام في كل مرض[٢].

وممن قال به: ابن مسعود، وأبو سعيد الخدري[٣].

واستدلوا بما يلي :

١- قال ابن مسعودﷺ : في العسل شفاء من كل داء[٤].

٢- في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال:" جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: عن أخي استطلقَ بطنه فقال: اسقه عسلاً، فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته، فلم يزده إلا استطلاقاً، قال: اسقه عسلاً، إلى أن قال: فشُفي إما في الثالثة وإما في الرابعة، فقال رسول الله ﷺ : صدق الله وكذب بطنُ أخيك"[٥].

القول الثاني: أن ذلك خرج مخرج الغالب. فإنه قلّ معجون من المعاجين إلا يذكر الأطباء فيه العسل[٦].

وممن قال به: السدي، وابن الأنباري، وابن عطية، والقرطبي[٧].

---

(١) رموز الكنوز٤/٦٠.

(٢) المحرر الوجيز٣/٤٠٦، ومفاتيح الغيب٢/٥٩، والجامع لأحكام القرآن١٠/١٣٧، والتسهيل٢/١٥٧، ولباب التأويل ٤/١٠٢، وفتح القدير٣/١٧٦، وروح المعاني ١٤/١٨٦.

(٣) إرشاد العقل السليم٥/١٢٦.

(٤) أخرجه الطبري١٤/٢٩٠، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٣/٥٧٠.

(٥) أخرجه البخاري كتاب الطب، باب الدواء بالعسل،ح(٥٦٨٤)، وأخرجه مسلم كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، ح(٢٢١٧).

(٦) بحر العلوم٢/٢٨١، والمحرر الوجيز٣/٤٠٦، وزاد المسير٢/٥٧٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/١٨٥، والتسهيل٢/١٥٧، ولباب التأويل ٤/١٠٢.

(٧) بحر العلوم٢/٢٨١، والمحرر الوجيز٣/٤٠٦، وزاد المسير٢/٥٧٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/١٨٥، ولباب التأويل ٤/١٠٢.

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن الأنباري: الغالب على العسل أنه يعمل في الأدواء ويدخل في الأدوية، فإذا لم يوافق آحاد المرضى فقد وافق الأكثرين. وهذا كقول العرب الماء حياة كل شيء، وقد نرى من يقتله الماء وإنما الكلام على الأغلب [١].

ب- قال السدي: العسل شفاء الأوجاع التي يكون شفاؤها فيه[٢].

حاصل الدراسة:

اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم لكل مرض، أو على الخصوص لمرض دون مرض، فمن قال بالعموم وأن العسل فيه شفاء من كل داء وكل مرض، أخذ بما يفهم من ظاهر بعض الآثار أن الكلام على عمومه واستدل بما في الصحيحين، وبقول ابن مسعود، وبفعل ابن عمر أن ما كانت تخرج به قرحة، ولا شيء إلا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ ﴿ تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ .

والآثار المشعرة بالعموم الله تعالى أعلم بصحتها، وأما ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم

فليس صريحا في العموم لجواز أن يكون عليه الصلاة والسلام قد علمه الله سبحانه أن داء هذا المستطلق مما يشفى بالعسل، فإن بعض الإستطلاق قد يشفى بالعسل.

قوله: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ خرج مخرج الأغلب، وأنه في الأغلب فيه شفاء، ولم يقل: إنه شفاء لكل الناس لكل داء ولكنه في الجملة دواء، وإن نفعه أكثر من مضرته، وقل معجون من المعاجين إلا وتمامه به. والأشربة المتخذة من العسل نافعة لأصحاب البلغم والشيوخ المبرودين، ومنافعه كثيرة جداً.

ومما يدل على أنه ليس على العموم أن شفاء نكرة في سياق الإثبات ولا عموم فيها باتفاق أهل اللسان ومحققي أهل العلم ومختلفي أهل الأصول.

---

(١) زاد المسير ٢/٥٧٠.

(٢) بحر العلوم ٢/٢٨١، ولباب التأويل ٤/١٠٢.

والظاهر المستفاد من التجربة ومن قوانين علم الطب أنه إذا استعمل منفرداً كان دواء لأمراض خاصة وإن خلط مع غيره كالمعاجين ونحوها كان مع ما خلط به دواء لكثير من الأمراض وبالجملة فهو من أعظم الأغذية وأنفع الأدوية وقليلا ما يجتمع هذان الأمران في غيره. وليس هذا بأول لفظ خصص فالقرآن مملوء منه ولغة العرب يأتي فيها العام كثيراً بمعنى الخاص، والخاص بمعنى العام[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن ذلك خرج مخرج الغالب. وهو الظاهر من النكرة في سياق الإثبات.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

---

(١) المحرر الوجيز٣/٤٠٦، ومفاتيح الغيب٢/٥٩، والجامع لأحكام القرآن١٠/١٣٧، والتسهيل٢/١٥٧، ولباب التأويل ٤/١٠٢، وفتح القدير٣/١٧٦، وروح المعاني ١٤/١٨٦.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (١)

١٣٨- مسألة: من المخاطب في قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الخطاب لأهل مكة(٢).

القول الثاني: الخطاب للمسلمين(٣).

قال الرسعني:

قال ابن عباسﷺ: لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره، فتُوحِّدُوه وتصدقوا رسوله ﷺ.

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: ولو قيل إنه خطاب للمسلمين جاز، فالمعنى: لعلكم تدومون على إسلامكم(٤).

والأول أرجح؛ للآية التي تليها(٥).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الخطاب لأهل مكة، وكان أكثرهم حينئذٍ كفاراً.(١)

---

(١) سورة النحل آية: ٨١.

(٢) جامع البيان ٣٢٢/١٤، وبحر العلوم٢٨٥/٢، والوسيط٧٧/٣، ومفاتيح الغيب٧٦/٢٠، والجامع لأحكام لقرآن ١٦١/١٠، ولباب التأويل١٠٨/٤، وإرشاد العقل السليم١٣٣/٥، وفتح القدير١٨٥/٣.

(٣) زاد المسير٥٧٦/٢.

(٤) زاد المسير ٥٧٦/٢.

(٥) رموز الكنوز ٧٥/٤.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ.

٢- الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والرازي، والقرطبي، والخازن، وأبو السعود، والشوكاني[٢].

واستدلوا: بالآية التي تليها: قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٣]

ومن أقوالهم:

قال الطبري: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ يقول: لتخضعوا لله بالطاعة، وتذِلَّ منكم بتوحيده النفوس، وتُخلِصوا له العبادة[٤].

القول الثاني: الخطاب للمسلمين، والمعنى: لعلكم تدومون على إسلامكم[٥].

وممن قال به: ابن الجوزي.

ومن أقوالهم:

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: ولو قيل إنه خطاب للمسلمين جاز، فالمعنى: لعلكم تدومون على إسلامكم[٦].

---

(١) الوسيط٣/٧٧، وزاد المسير٢/٥٧٦.

(٢) جامع البيان ١٤/٣٢٢، وبحر العلوم٢/٢٨٥، والوسيط٣/٧٧، ومفاتيح الغيب٢٠/٧٦، والجامع لأحكام لقرآن ١٠/١٦١، ولباب التأويل٤/١٠٨، وإرشاد العقل السليم٥/١٣٣، وفتح القدير٣/١٨٥.

(٣) سورة النحل ٨٢-٨٣.

(٤) جامع البيان١٤/٣٢٢.

(٥) زاد المسير٢/٥٧٦.

(٦) زاد المسير ٢/٥٧٦.

حاصل الدراسة:

الخطاب لأهل مكة، وكان أكثرهم حينئذٍ كفاراً، والمعنى: لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره، فتُوحِّدُوه وتصدقوا رسوله ﷺ.

والآيات قبلها وبعدها للكفار والمشركين، فالمخاطب به أهل مكة قبل أن يسلموا. وهو قول جمهور المفسرين.

المناقشة والترجيح:

الراجح: الخطاب لأهل للمشركين، لسياق الآيات قبلها وبعدها.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[1].

(1) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [١]

١٣٩- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أي: يتجاوز عن سيئاتهم في الدنيا[٢].

القول الثاني: أي: إشارة إلى مضاعفة الجزاء يوم القيامة[٣].

قال الرسعني:

والمعنى: وليجزين ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ على التمسك بالعهد ومشاق الإسلام ومضايق ما نيط به من الأحكام وأذى المشركين وغير ذلك ﴿ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ في الدنيا ويتجاوز عن سيئاتهم.

وقيل: إن قوله: "بأحسن ما كانوا يعملون" إشارة إلى مضاعفة الجزاء، كما قال تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ [٤] **فهذا هو الأحسن**[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أي: يتجاوز عن سيئاتهم في الدنيا.

---

(١) سورة النحل آية: ٩٦.

(٢) جامع البيان١٤/٣٥٠، والبسيط١٣/١٨٨، وزاد المسير٢/٥٨٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٣٥١.

(٣) روح المعاني١٤/٢٢٥، وإرشاد العقل السليم ٥/١٣٨.

(٤) سورة الأنعام آية: ١٦٠.

(٥) رموز الكنوز ٤/٨٧.

وممن قال به: الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، وابن كثير[١].

واستدلوا بما يلي :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٢]

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: يقول تعالى ذكره: وليثيبن الله الذين صبروا على طاعتهم إياه في السراء والضراء ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها، ومسارعتهم في رضاه بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال، دون أسوئها وليغفرن الله لهم سيئها بفضله[٣].

ب- قال ابن الجوزي: ومعنى هذه الآية: وليجزين الذين صبروا على أمره أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا، ويتجاوز عن سيائتهم[٤].

القول الثاني: أي: إشارة إلى مضاعفة الجزاء يوم القيامة[٥].

وممن قال به: الألوسي.

واستدلوا بما يلي:

قال تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٦].

ومن أقوالهم:

قال الألوسي: لنجزينهم بجزاء أحسن من أعمالهم وكونه أحسن لمضاعفته[٧].

---

(١) جامع البيان١٤/٣٥٠، والبسيط١٣/١٨٨، وزاد المسير٢/٥٨٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٣٥١.

(٢) سورة الزمر آية: ١٠.

(٣) جامع البيان ١٤/٣٥٠.

(٤) زاد المسير٢/٥٨٢.

(٥) روح المعاني١٤/٢٢٥، وإرشاد العقل السليم ٥/١٣٨.

(٦) سورة الأنعام آية: ١٦٠.

(٧) روح المعاني١٤/٢٢٥.

حاصل الدراسة:

لم يناقش أكثر المفسرين هذا الاختلاف، والمعنى من الآية: أي: لنعطينهم أجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من على أذية المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر الأمور المذكورة ﴿ بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي: لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور.

وإنما أضيف إليه الأحسن للإشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه: ﴿ وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [١] لا لإفادة قصر الجزاء على الأحسن منه دون الحسن فإن ذلك مما لا يخطر ببال أحد. وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل، أو لنجزينهم بجزاء أحسن من أعمالهم[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: كلا القولين له وجه، وإن كان القول بمضاعفة الأجر أقرب لمعنى الآية قبلها.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٣].

---

(١) سورة آل عمران آية:١٤٨.

(٢) إرشاد العقل السليم ١٣٨/٥.

(٣) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [١]

١٤٠- مسألة: بتقدير أن تكون هذه الحياة الطيبة إنما تحصل في الدنيا فما هي؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: القناعة[٢].

القول الثاني: الرزق الحلال[٣].

القول الثالث: السعادة[٤]

القول الرابع: الجنة، على تقدير حصولها في الآخرة[٥].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ قال علي عليه السلام ومجاهد ووهب وعكرمة: هي القناعة[٦].

وفي الحديث: أن النبي ﷺ كان يقول:" اللهم قنعني بما رزقني وبارك لي فيه"[٧].

---

(١) سورة النحل آية: ٩٧.

(٢) جامع البيان ٣٥٢/١٤، والبسيط١٨٩/١٣، ومعالم التنزيل٦٣٥/٢، وزاد المسير٥٨٢/٢، والجامع لأحكام القرآن١٧٤/١٠، والتسهيل١٦١/٢، والبحر المحيط٥١٦/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٥٢/٨، وفتح القدير١٩٣/٣.

(٣) جامع البيان٣٥٠/١٤، ومعالم التنزيل٦٣٥/٢، وزاد المسير٥٨٢/٢، ومفاتيح الغيب٩٠/٢٠، والتسهيل١٦١/٢، ولباب التأويل١١٣/٤، وفتح القدير١٩٣/٣.

(٤) جامع البيان٣٥٣/١٤، والكشف والبيان٤٠/٦، والنكت والعيون٢١٢/٣، والمحرر الوجيز٤١٩/٣، والجامع لأحكام القرآن١٧٤/١٠، وفتح القدير١٩٣/٣.

(٥) معاني القرآن للنحاس١٠٤/٤، والبسيط١٩١/١٣، ومعالم التنزيل٦٣٥/٢، ومفاتيح الغيب٩٠/٢٠، والمحرر الوجيز٤١٩/٣، والتسهيل١٦١/٢، وفتح القدير١٩٣/٣.

(٦) أخرجه الطبري٣٥٢/١٤، والحاكم٣٨٨/٢، والبيهقي في الشعب٢٩١/٧، وانظر: الوسيط٨١/٣.

(٧) أخرجه الحاكم ٣٨٨/٢ ح٣٣٦٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الضحاك: هو أن يأكل حلالاً ويلبس حلالاً[١].

وقيل: هي السعادة. والأقوال الثلاثة عن ابن عباسﷺ.

وقيل: الجنة.

وقال الحسن: لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة[٢].

والأول أظهر؛ لقوله: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ كأنه وعدهم ثواب الدنيا وثواب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [٣]. [٤]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: القناعة.

وممن قال به:

عن علي، وابن عباسﷺ في رواية، ومجاهد، وعكرمة، والقرظي، والحسن البصري، وزيد بن وهب، ووهب بن منبه[٥].

ومن أقوالهم:

قال الطبري: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال تأويل ذلك فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نصبه، ولم يتكدر فيها عيشه بإتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه

---

(١) أخرجه الطبري١٤/٣٥٢.

(٢) أخرجه الطبري١٤/٣٥٣.

(٣) سورة آل عمران آية: ١٤٨.

(٤) رموز الكنوز٤/٨٩.

(٥) جامع البيان ١٤/٣٥٢، والبسيط١٣/١٨٩، ومعالم التنزيل٢/٦٣٥، وزاد المسير٢/٥٨٢، والجامع لأحكام القرآن١٠/١٧٤، والتسهيل٢/١٦١، والبحر المحيط٥/٥١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٣٥٢، وفتح القدير٣/١٩٣.

فيها.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا والعذاب في الآخرة.

ثم أتبع ذلك ما لمن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى ما عندكم في الدنيا ينفد وما عند الله باق فالذي هذه السيئة بحكمته أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا والغفران في الآخرة وكذلك فعل تعالى ذكره[١] .

القول الثاني: الرزق الحلال، وأكل الحلال.

وممن قال به:

رواه الكلبي، وأبو مالك[٢] عن ابن عباسﷺ، والضحاك، وسعيد بن جبير، وعطاء[٣].

ومن أقوالهم:

قال الضحاك: هو أن يأكل حلالاً ويلبس حلالاً[٤].

القول الثالث: السعادة.

وممن رواه: علي بن أبي طلحة عن ابن عباسﷺ[٥].

القول الرابع: في الجنة، على تقدير حصولها في الآخرة.

---

(١) جامع البيان ٣٥٤/١٤.

(٢) هو: غزوان الغفاري، يكنى: أبو مالك الكوفي، مشهور بكنيته. انظر: الكنى والأسماء٧٥٢/٢، وتقريب التهذيب٤٤٢/١.

(٣) جامع البيان٣٥٠/١٤، ومعالم التنزيل٦٣٥/٢، وزاد المسير٥٨٢/٢، ومفاتيح الغيب٩٠/٢٠، والتسهيل١٦١/٢، ولباب التأويل١١٣/٤، وفتح القدير١٩٣/٣.

(٤) أخرجه الطبري٣٥٢/١٤، ولباب التأويل١١٣/٤، وروح المعاني٢٢٧/١٤.

(٥) جامع البيان٣٥٣/١٤، والكشف والبيان٤٠/٦، والنكت والعيون٢١٢/٣، والمحرر الوجيز٤١٩/٣، والجامع لأحكام القرآن١٧٤/١٠، وفتح القدير١٩٣/٣.

وممن قال به:

سعيد بن جبير، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد[١].

ومن أقوالهم:

قال الحسن: لا يطيب لأحد الحياة إلا في الجنة[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- الطاعة، عن عكرمة[٣].

٢- أنها رزق يوم بيوم، عن عكرمة، وقتادة[٤].

٣- الرزق الطيب والعمل الصالح، عن إسماعيل بن أبي خالد[٥].

٤- حلاوة الطاعة، قاله أبو بكر الورّاق[٦].

٥- العافية والكفاية، عن الماوردي[٧].

٦- الرِّضى بالقضاء، عن الماوردي[٨].

٧- الحياة مؤمناً بالله، عاملاً بطاعته، عن الضحاك[٩].

٨- أنها في القبر، رواه أبو غسَّان عن شريك، والسدي[١٠].

---

(١) معاني القرآن للنحاس٤/١٠٤، والبسيط١٣/١٩١، ومعالم التنزيل٢/٦٣٥، ومفاتيح الغيب٢٠/٩٠، والمحرر الوجيز٣/٤١٩، والتسهيل٢/١٦١، وفتح القدير٣/١٩٣.

(٢) معالم التنزيل٢/٦٣٥، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١٧٤، ومفاتيح الغيب٢٠/٩٠، وروح المعاني١٤/٢٢٦، وفتح القدير٣/١٩٣.

(٣) زاد المسير٢/٥٨٢.

(٤) البسيط١٣/١٩٠، وزاد المسير٢/٥٨٢، ومفاتيح الغيب٢٠/٩٠، والجامع لأحكام القرآن١٠/١٧٤، ولباب التأويل٤/١١٣.

(٥) البسيط١٣/١٩٠، وزاد المسير٢/٥٨٢.

(٦) معالم التنزيل٢/٦٣٥، وزاد المسير٢/٥٨٢، وفتح القدير٣/١٩٣.

(٧) النكت والعيون٣/٢١٢، وزاد المسير٢/٥٨٢.

(٨) النكت والعيون٣/٢١٢، وزاد المسير٢/٥٨٢.

(٩) جامع البيان ١٤/٣٥٢.

(١٠) البسيط١٣/١٩٠، وزاد المسير٢/٥٨٢، ومفاتيح الغيب٢٠/٩٠، ولباب التأويل٤/١١٣.

٩- العيش في الطاعة، عن مقاتل بن حيان[١].

١٠- ولمزيد من الأقوال عند المفسرين عند القرطبي، والشوكاني[٢].

حاصل الدراسة:

اختلف العلماء في المراد بالحياة الطيبة في هذه الآية الكريمة:

فقال قوم: لا تطيب الحياة إلا في الجنة، فهذه الحياة الطيبة في الجنة؛ لأن الحياة الدنيا لا تخلو من المصائب والأكدار، والأمراض والآلام والأحزان، ونحو ذلك. وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [٣]. والمراد بالحيوان: الحياة.

وقال بعض العلماء: الحياة الطيبة في هذه الآية الكريمة في الدنيا، وذلك بأن يوفق الله عبده إلى ما يرضيه، ويرزقه العافية والرزق الحلال. كما قال تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [٤].

وفي الآية الكريمة قرينة تدل على أن المراد بالحياة الطيبة في الآية: حياته في الدنيا حياة طيبة. وتلك القرينة هي أننا لو قدرنا أن المراد بالحياة الطيبة: حياته في الجنة في قوله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ صار قوله تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ تكراراً معه؛ لأن تلك الحياة الطيبة هي أجر عملهم. بخلاف ما لو قدرنا أنها في الحياة الدنيا. فإنه يصير المعنى: فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة، ولنجزينه في الآخرة بأحسن ما كان يعمل، وهو واضح.

وهذا المعنى الذي دل عليه القرآن تؤيِّده السنة الثابتة عنه ﷺ.

والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت. وقد روي في بعض الآثار

---

(١) معالم التنزيل٢/٦٣٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن١٠/١٧٤، وفتح القدير٣/١٩٣.

(٣) سورة العنكبوت آية: ٦٤.

(٤) سورة البقرة آية: ٢٠١.

أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب. وبالقناعة، والرزق الحلال، ... والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد[١]: عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: "قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه".

ورواه مسلم[٢] من حديث عبد الله بن يزيد المقري به.[٣]

وهذه الأحاديث ظاهرة في ترجيح القول : بأن الحياة الطيبة في الدنيا . لأن قوله ﷺ: "أفلح" يدل على ذلك؛ لأن من نال الفلاح نال حياة طيبة.

وقد تقرر في الأصول: أنه إذا دار الكلام بين التوكيد والتأسيس رجح حمله على التأسيس.

فإذا حملنا الحياة الطيبة في الآية على الحياة الدنيا كان ذلك تأسيساً. وإن حملناها على حياة الجنة تكرر ذلك مع ما بعده. وهذا ترجيح أكثر المفسرين الزمخشري، وابن عطية، وأبو حيان، والشوكاني[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت في الدنيا. وهذا ما دلت عليه السنة.

القاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى[٥].

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٦٨/٢،(٦٥٧٢).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، ح(١٠٥٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٥٢/٨.

(٤) الكشاف٥٩١/٢، والمحرر الوجيز ٤١٩/٣، والبحر المحيط٥١٦/٥، وفتح القدير١٩٣/٣.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٢٣٢/١، وفتح القدير ٤٧/٢، وروح المعاني ١٥٥/٣، وأضواء البيان ٥٥١/٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٤٧٣/٢.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [١]

١٤١- مسألة: ما معنى السلطان الذي جُعل لوليِّ المقتول؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ولاية يتسلط بها على القاتل[٢].

القول الثاني: الحجة والملك في التخيير إن شاء قتل، وإن شاء عفى، وإن شاء أخذ الدية[٣].

القول الثالث: جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حقه[٤].

قال الرسعني:

﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ أي: لوارثه الذي يستحق المطالبة بدمه، "سلطانا"، ولاية يتسلط بها على القاتل.

قال ابن عباس رضي الله عنه: حُجّة[٥].

وقال الضحاك: إن شاء قتل، وإن شاء عفى، وإن شاء أخذ الدية[٦].

وقال ابن زيد: المعنى: جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حقه. **وفيه بعد**[٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الإسراء آية: ٣٣.

(٢) لباب التأويل ١٦٠/٤.

(٣) جامع البيان ٥٨٣/١٤، والنكت والعيون ٢٤٠/٣، والمحرر الوجيز ٤٥٣/٣، وزاد المسير٢٣/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١٠.

(٤) النكت والعيون ٢٤٠/٣، وزاد المسير ٢٣/٣.

(٥) أخرجه الطبري٥٨٣/١٤. وابن أبي حاتم ٢٣٢٩/٧، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير٢٣/٣.

(٦) أخرجه الطبري٥٨٣/١٤. وذكره الواحدي في الوسيط ١٠٦/٣-١٠٧، وزاد المسير٢٣/٣.

(٧) زاد المسير٢٣/٣.

القول الأول: ولاية وقوة يتسلط بها على القاتل.

وممن قال به: ذكره الخازن[١].

القول الثاني: السلطان الحُجّة والملك الذي جعل إليه من التخير إن شاء قتل، وإن شاء عفى، وإن شاء أخذ الدية[٢].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، والضحاك، وأشهب والشافعي[٣].

٢- الرازي، وابن عادل، والشوكاني[٤].

واستدلوا بما يلي:

عن ابن عباسﷺ قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا ﴾ . قال: بيِّنة من الله عز وجل أنزلها، يطلبُها ولىُّ المقتول، العقل، أو القود، وذلك السلطان[٥].

ومن أقوالهم:

قال الرازي: أن تلك السلطنة مجملة، ثم فسِّرت بالآية والخبر. أما الآية: فقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ [٦]. وقد بيَّنا على أنَّها تدل على أن الواجب تخيير الوليِّ بين القصاص والدية .

---

(١) لباب التأويل ١٦٠/٤.

(٢) لباب التأويل ١٦٠/٤، والتحرير والتنوير٢٤٠/١٥.

(٣) جامع البيان ٥٨٣/١٤، والنكت والعيون ٢٤٠/٣، والمحرر الوجيز ٤٥٣/٣، وزاد المسير٢٣/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١٠.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ٢٤٠/١٢، وفتح القدير ٢٢٣/٣.

(٥) أخرجه الطبري ٥٨٣/١٤.

(٦) سورة البقرة آية: ١٧٨.

وأمَّا الخبر: فقوله ﷺ يوم الفتح:" مَن قُتِلَ لَهُ قَتيلٌ، فهو بِخَيْرِ النَّظرينِ: إمَّا أن يُقتلَ، وإمَّا أن يُفْدَى"[١]. فعلى هذا: فمعنى قوله: ﴿ فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ ﴾ أنه لما حصلت له سلطنة استيفاء القصاص، وسلطنة استيفاء الدِّية، إن شاء، قال بعده ﴿ فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ ﴾ أي: أنَّ الأولى ألاَّ يقتصّ، ويكتفي بأخذ الدية أو يعفو، كقوله تعالى: ﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [٢]. [٣]

القول الثالث: أنه الوالي، والمعنى: جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حق[٤].

وممن قال به: ابن زيد[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن ذلك السلطان هو: القتل خاصة. قال به قتادة، ومالك، وأبو حنيفة[٦].

حاصل الدراسة:

السلطان: مصدر من السلطة كالغُفران، والمراد به ما استقر في عوائدهم من حكم القود[٧].

وهذا السلطان الذي جعله الله لولي المقتول لم يبينه هنا بياناً مفصلاً، ولكنه أشار في موضعين إلى أن هذا السلطان: هو ما جعله الله من السلطة لولي المقتول على القاتل، من تمكينه من قتله إن أحب. ولا ينافي ذلك أنه إن شاء عفا على الدية أو مجاناً.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الديات، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، ح(٦٨٨٠)، ومسلم كتاب الحج، باب تحريم مكة وتحريم صيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد، على الدوام، ح(١٣٥٥).

(٢) سورة البقرة آية: ٢٣٧.

(٣) مفاتيح الغيب٢٠/١٦١، واللباب في علوم الكتاب ١٢/٢٤٠.

(٤) النكت والعيون ٣/٢٤٠، وزاد المسير ٣/٢٣.

(٥) زاد المسير ٣/٢٣.

(٦) جامع البيان ١٤/٥٨٤، والنكت والعيون ٣/٢٤٠، والمحرر الوجيز ٣/٤٥٣، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٥٥.

(٧) التحرير والتنوير١٥/٢٤٠.

الأول: قوله هنا: ﴿ فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِ ﴾ بعد ذكر السلطان المذكور؛ لأن النهي عن الإسراف في القتل مقترناً بذكر السلطان المذكور، يدل على أن السلطان المذكور هو ذلك القتل المنهي عن الإسراف فيه.

الموضع الثاني: قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ إلى قوله :﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَـٰنٖ ﴾ [1]. فهو يدل على أن السلطان المذكور هو ما تضمنته آية القصاص هذه، وخير ما يبين به القرآن القرآن[2].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن السلطان الحُجّة والملك الذي جعل إليه من التخير إن شاء قتل، وإن شاء عفى، وإن شاء أخذ الدية. وهو ترجيح المفسرين.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[3].

---

(1) سورة البقرة آية: ١٧٨.

(2) أضواء البيان ٨٨/٣.

(3) جامع البيان ٥٠٧/١٩، ومعالم التنزيل٣٥/١، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، ومفاتيح الغيب٣٤/١٠، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٣١٢/١.

قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [1]

١٤٢- مسألة: ما المراد بتسبيح السموات والأرض؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: دلالتها على الصانع الحكيم وتنزيهها بظهور أثر صنعته فيها، حتى كأنها تنطق بذلك[2].

القول الثاني: أن لها تسبيح ولا يتعقل معناه[3].

قال الرسعني:

والمراد بتسبيحها: دلالتها على الصانع الحكيم وتنزيهها بظهور أثر صنعته فيها، حتى كأنها تنطق بذلك.

وعلى هذا المعنى أيضاً حملوا قوله: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ ، وهذا قول جمهور العلماء.

وغير ممتنع أن لها تسبيح ولا يتعقل معناه. ويحقق ذلك: أنه عَطَفَ عليها تسبيح من في السماء – وهم الملائكة – ومن في الأرض – وهم الثقلان-، فلو وقع التغاير لكان جامعاً بين النوعين بلفظ واحد، وذلك لا يجوز. **وهذا هو الصحيح عندي.**

قال إبراهيم النخعي: كُلُّ شيء يسبح بحمده، حتى الثوب والطعام وصرير الباب[4].

---

(١) سورة الإسراء آية: ٤٤.

(٢) البسيط١٣/٣٤٤، ومعالم التنزيل٢/٦٨٥، والمحرر الوجيز ٣/٤٥٩، وزاد المسير٣/٢٧، وفتح القدير ٣/٢٣١، وروح المعاني١٥/٨٣.

(٣) البسيط١٣/٣٤٤، ومعالم التنزيل٢/٦٨٥، والمحرر الوجيز ٣/٤٥٩، وزاد المسير٣/٢٧، وفتح القدير ٣/٢٣١، وروح المعاني١٥/٨٣.

(٤) زاد المسير٣/٢٦.

وقال عكرمة: الشجرة تُسبِّح، والأسطوانة تُسبِّح.

وقال الحسن – وقُدِّمَ إليه خِوان–: أيسبِّحُ هذا الخوان؟ فقال: قد كان مرة يسبح[١].

وقال: لا يُسبح.

وقال المقدام بن معدي كرب: عن التراب يُسبِّح ما لم يبتلّ، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة[٢].

يشير إلى أن كل شيء يُسبِّح ما لم يتغير عن حاله، يؤيد ذلك قوله: ﴿ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ أي: لا تفهمونه يابني آدم.

وعلى القول الأول: الخطاب بقوله: ﴿ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ للكفار؛ لأنهم لا يستدلون على الخالق بآثار صنعته في خلقه[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: دلالتها على الصانع الحكيم وتنزيهها بظهور أثر صنعته فيها، حتى كأنها تنطق بذلك[٤].

وممن قال به:

ذكره المفسرون، ونسبه البغوي لأهل المعاني[٥].

القول الثاني: أن لها تسبيح حقيقة ولا يتعقل معناه[٦].

---

(١) أخرجه الطبري١٤/٦٠٥-٦٠٦، وزاد المسير٣/٢٦.

(٢) زاد المسير٣/٢٦.

(٣) رموز الكنوز٤/١٧٦.

(٤) البسيط١٣/٣٤٤، ومعالم التنزيل٢/٦٨٥، والمحرر الوجيز ٣/٤٥٩، وزاد المسير٣/٢٧، وفتح القدير ٣/٢٣١، وروح المعاني١٥/٨٣.

(٥) معالم التنزيل٢/٦٨٥.

(٦) البسيط١٣/٣٤٤، ومعالم التنزيل٢/٦٨٥، والمحرر الوجيز ٣/٤٥٩، وزاد المسير٣/٢٧، وفتح القدير ٣/٢٣١، وروح المعاني١٥/٨٣.

وممن قال به:

١- النخعي، ومجاهد، والضحاك، وعكرمة، والحسن، والمقدام بن معدي كرب[١]، وقتادة[٢].

٢- القرطبي، وابن جزي الكلبي، والخازن، وابن كثير، والألوسي[٣].

واستدلوا بما يلي:

١- أنه عطف عليها تسبيح من في السماء – وهم الملائكة- ومن في الأرض- وهم الثقلان- فلو وقع التغاير لكان جامعاً بين النوعين بلفظ واحد، وذلك لا يجوز.

٢- ويستدل لهذا القول من الكتاب بقوله تعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [٤]

٣- ما ورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر: قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كُنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: "اطلبوا فضلة من ماءٍ" فجاؤوا بإناء فيه ماءٌ قليلٌ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: "حي على الطهور المبارك والبركة من الله"، فلقد رأيت الماء ينبعُ من أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كُنَّا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل.[٥]

٤- وفي صحيح مسلم: أن النبي ﷺ قال:" إني لأعرفُ حجراً كان يُسلِّم

---

(١) هو: المقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي، صحابي مشهور، نزل الشام، وتوفي سنة سبع وثمانين الصحيح وله إحدى وتسعون سنة. انظر: الكاشف ٢/٢٩٠، وتقريب التهذيب١/٥٤٥.

(٢) جامع البيان١٤/٦٠٥-٦٠٦، ومعالم التنزيل٢/٦٨٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن١٠/٢٦٧، والتسهيل٢/١٧٢، ولباب التأويل ٣/١٦٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٦، وروح المعاني ١٥/٨٤. ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى مطبوعة في مجموعة الرسائل والمسائل.

(٤) سورة ص آية: ١٧-١٨.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٥٧٩).

عليّ بمكة قبل أن أُبعث"[١].

٥- وصح: "أن الجذع حنّ إليه حتى نزل إليه فاحتضنه فسكت"[٢]. وإذا ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات ولا استحالة في شيء من ذلك فكل شيء يسبح للعموم[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال القرطبي: فالصحيح أن الكل يسبح للأخبار الدالة على ذلك، ولو كان ذلك التسبيح تسبيح دلالة، فأي تخصيص لداود وإنما ذلك تسبيح المقال بخلق الحياة والإنطاق بالتسبيح، وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شيء فالقول به أولى والله أعلم[٤].

ب- قال الخازن: والقول الأول- على أن التسبيح على معناه الحقيقي؛ فالكل يسبح بلسان القال حتى الجمادات- أصح كم دلت عليه الأحاديث، وأنه منقول عن السلف[٥].

ج- قال ابن جزي الكلبي: اختلف في كيفية هذا التسبيح، فقيل: هو تسبيح بلسان الحال، أي: بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة، وقيل: إنه تسبيح حقيقة وهذا أرجح لقوله: ﴿ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [٦].

حاصل الدراسة:

في هذه الآية مذهبان: فمن قال المراد بالتسبيح ها هنا حقيقة التسبيح، فعلى هذا

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ح(٢٢٧٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في بدء شأن المنبر ح(١٤١٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٠.

(٥) لباب التأويل ١٦٢/٤.

(٦) التسهيل ١٧٢/٢.

السموات السبع والأرضون تسبح لله تسبيحاً حقيقياً، ﴿ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ : من الملائكة والجن والإنس، والمراد بهاذ التخصيص؛ لأن الشياطين وعبدة الأصنام لا يسبحون لله تسبيحاً حقيقياً.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ كل شيء حي، وكل شيء فيه الروح، أو يعني الحيوانات والناميات، وقال بعضهم: هذا عام في كل شيء، وكل ما خلق الله فهو يسبح بحمده، وان صرير السقف وصرير الباب من التسبيح لله، ولكل شيء تسبيح لا نفقه نحن ذلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ .

ومن قال أن المراد بالتسبيح هاهنا: الدلالة على أن الله عز وجل خالقٌ حكيمٌ مُبرأٌ من الأسواء، فالمخلوقات والمخلوقات كلها تدل على أن الله عز وجل خالقها؛ كما قال في قوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ ، أي يخشع له ويخضع[١].

ورد الزجاج على القائلين أن الخطاب للكفار قال في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ أي: ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصنعة في هذه المخلوقات. وهذا ليس بشيء؛ لأن الذين خوطبوا بهاذ كانوا مُقِرِّين بان الله خالقهم وخالق السموات والأرض ومن فيهن، فكيف يجهلون الخلقة وهم عارفون بها[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول الثاني أنه تسبيح على الحقيقة هو الراجح، لموافقته لظاهر القرآن، وتأييد القرآن والسنة له، فقد أسمع الله نبيه ﷺ وصحابته تسبيح الجمادات، وهو قول كثير من العلماء[٣].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٤].

---

(١) زاد المسير٣/٢٦، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٦٧، والبحر المحيط٦/٣٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣/٢٤٢.

(٣) راجع مسألة الترجيح في سورة النحل آية ٤٩.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[١].

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٢].

٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٠/١، والمحرر الوجيز ٢١/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٥/١٢، وروح المعاني ٨٢/٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

(٢) جامع البيان ٥٠٧/١٩، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [1]

١٤٣- مسألة: ما المراد بالظن؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الظن في قوله تعالى: ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ أي: لأحسبك.

والظن في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ ﴾ بمعنى: العلم[2].

القول الثاني: الظن في قوله تعالى: ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ ﴾ بمعنى: العلم[3].

القول الثالث: الظن في قوله تعالى: ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ ﴾ أي: لأحسبك[4].

قال الرسعني:

قال أكثر المفسرين: الظن ها هنا بمعنى: العلم، على خلاف ظن فرعون في موسى، وسوّى بعضهم بين الظنين فقال: هما بمعنى العلم.

والذي يظهر لي: أنهما سواء في المعنى: إني لأحسبك. أما الأول فظاهر. وأما الثاني فإن موسى عليه السلام حال تلبسه بمخاطبة فرعون ودعائه إلى عبادة الله وتوحيده لم يكن متيقناً عالماً بهلاك فرعون، وإنما كان ظاناً هلاكه، بسبب إصراره وجحوده، مع

---

(١) سورة الإسراء آية: ١٠١-١٠٢.

(٢) بحر العلوم٢/٣٣١، والبسيط١٣/٤٩٨، وفتح القدير٣/٢٦٣.

(٣) زاد المسير٣/٥٨.

(٤) الكشاف٢/٦٥٣.

تجويزه رجوعه إلى الحق[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الظن في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ أي: لأحسبك.

والظن في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ ﴾ بمعنى: العلم.

وممن قال به:

١- نسبه ابن الجوزي لأكثر المفسرين[٢].

٢- السمرقندي، والواحدي، وفتح القدير[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال القرطبي: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ ﴾ الظن هنا بمعنى: التحقيق[٤]

ب- قال الشوكاني: الظن هنا -﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ ﴾ - بمعنى: اليقين[٥].

القول الثاني: الظن في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ ﴾ بمعنى: العلم.

وممن قال به: ذكره ابن الجوزي[٦].

القول الثالث: الظن في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ ﴾ أي: لأحسبك.

---

(١) رموز الكنوز ٤/٢٣٠.

(٢) زاد المسير٣/٥٨.

(٣) بحر العلوم٢/٣٣١، والبسيط١٣/٤٩٨، وفتح القدير٣/٢٦٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٣٧.

(٥) فتح القدير٣/٢٦٣.

(٦) زاد المسير٣/٥٨.

لم يذكره ويرجحه غير الرسعني. وهو ظاهر من قول الزمخشري.

ومن أقوالهم:

أ- قال الرسعني: والذي يظهر لي: أنهما سواء في المعنى: إني لأحسبك. أما الأول فظاهر. وأما الثاني فإن موسى عليه السلام حال تلبسه بمخاطبة فرعون ودعائه إلى عبادة الله وتوحيده لم يكن متيقناً عالماً بهلاك فرعون، وإنما كان ظاناً هلاكه، بسبب إصراره وجحوده، مع تجويزه رجوعه إلى الحق[١].

ب- قال الزمخشري: ﴿ عَلِمْتَ ﴾ بالضم، على معنى: إني لست بمسحور كما وصفتني، بل أنا عالم بصحة الأمر. وأنّ هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض. ثم قارع ظنه بظنه، كأنه قال: إن ظننتني مسحوراً فأنا أظنك ﴿ مَثْبُورًا ﴾ هالكاً، وظني أصح من ظنك؛ لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته، ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها. وأما ظنك فكذب بحت؛ لأن قولك مع علمك بصحة أمري، إني لأظنك مسحوراً قول كذاب[٢].

حاصل الدراسة:

قال أهل اللغة: الظن شك ويقين، إلا أنه ليس بيقين عيان ،إنما هو يقين تدبر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم[٣].

ولقد قارع ظن موسى بظن فرعون، وشتان ما بين الظنين، فإن ظن فرعون كذب بحت، وظن موسىﷺ يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنهما بمعنى أحسبك، لموافقته المعنى اللغوي للظن.وهو ترجيح الرسعني.

---

(١) رموز الكنوز ٤/٢٣٠.

(٢) الكشاف٢/٦٥٣.

(٣) لسان العرب١٣/٢٧٢.

(٤) تفسير البيضاوي٣/٤٧٠، وإرشاد العقل السليم٥/١٩٨.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[١].

(١) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

قال تعالى: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [١]

١٤٤- مسألة: ما المراد بقوله: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أراد فرعون أن يزعج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر، ويخرجهم منها[٢].

القول الثاني: أراد استفزازهم باستئصال شأفتهم وقتلهم لا بإخراجهم[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: أراد فرعون أن يزعج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر.

قال الزجاج: جائز أن يكون استفزازهم؛ إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية[٤].

وقال ابن قتيبة: أراد أن يستخِفَّهُم حتى يخرجوا[٥].

والأظهر عندي: أنه أراد استفزازهم باستئصال شأفتهم وقتلهم لا بإخراجهم؛ لأن مضمون رسالة موسى إليه أن يرسل بني إسرائيل معه.

ولأنه لو كان مقصود فرعون إخراج موسى وبني إسرائيل من مصر لم يتبعهم حين خرج بهم موسى عليه السلام[٦].

---

(١) سورة الإسراء آية: ١٠٣.

(٢) جامع البيان١١١/١٥، وبحر العلوم٣٣٢/٢، والبسيط٤٩٩/١٣، ومعالم التنزيل٧٢١/٢، ولباب التأويل١٨٨/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨٩/٩، وإرشاد العقل السليم ١٩٩/٥.

(٣) زاد المسير٥٨/٣، والجامع لأحكام القرآن٣٣٨/١٠، والبحر المحيط٨٤/٦، وفتح القدير٢٦٣/٣

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٦٣/٣.

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٦٢.

(٦) رموز الكنوز٢٣٠/٤.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أراد فرعون أن يزعج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر ويخرجهم منها[١].

وممن قال به: ابن قتيبة، والطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والخازن، وابن كثير، وأبو السعود[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن قتيبة: أراد أن يستخِفَّهُم حتى يخرجوا[٣].

ب- قال ابن كثير: يخليهم منها ويزيلهم عنها[٤].

القول الثاني: أراد استفزازهم باستئصال شأفتهم وقتلهم لا بإخراجهم[٥].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وأبو إسحاق، والزجاج، وابن أبي زمنين، وابن عطية[٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: جائز أن يكون استفزازهم؛ إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية[٧].

ب- قال أبو السعود: فأراد فرعون أن يستخفهم ويزعجهم من الأرض بالقتل

---

(١) زاد المسير٣/٥٨، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٣٨، والبحر المحيط٦/٨٤، وفتح القدير٣/٢٦٣

(٢) جامع البيان١٥/١١١، وبحر العلوم٢/٣٣٢، والبسيط١٣/٤٩٩، ومعالم التنزيل٢/٧٢١، ولباب التأويل٤/١٨٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٨٩، وإرشاد العقل السليم ٥/١٩٩.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٦٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٨٩.

(٥) زاد المسير٣/٥٨، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٣٨، والبحر المحيط٦/٨٤، وفتح القدير٣/٢٦٣

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٣، وتفسير ابن أبي زمنين ٣/٤٣، والبسيط١٣/٤٩٩، والمحرر الوجيز٣/٤٩٠.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٦٣.

كقوله: ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ ﴾ [١] فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالإغراق[٢].

حاصل الدراسة:

أصل الاستفزاز الإزعاج، أو الاستخفاف، وهو كناية عن الإبعاد. وأراد فرعون أن يستفز موسى وقومه، وكنى به هنا عن إخراجهم أرض مصر التي هم فيها، أو من جميع الأرض. ويلزم إخراجهم من ذلك قتلهم واستئصالهم وهو المراد. فعكس الله عليه مكره واستفززه وقومه بالإغراق[٣].

وكما وجه القول الرسعني إذ لو كان مقصود فرعون إخراج موسى وبني إسرائيل من مصر لم يتبعهم حين خرج بهم موسى عليه السلام[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أراد استفزازهم باستئصال شأفتهم وقتلهم لا بإخراجهم.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٥].

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٢٧.

(٢) إرشاد العقل السليم ١٩٩/٥.

(٣) إرشاد العقل السليم ١٩٩/٥، وروح المعاني ١٨٦/١٥، والتحرير والتنوير ٢٢٨/١٥.

(٤) رموز الكنوز ٢٣٠/٤.

(٥) جامع البيان ٢٥٩/١٦، والمحرر الوجيز ١٨٠/١، ومفاتيح الغيب ١٥٤/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٣، ومجموع الفتاوى ١٤/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٩٩/١.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [١]

١٤٥- مسألة: ما معنى ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ليُدقّق النظر وليَحْتَل حتى لا يطّلع عليه أحد[٢].

القول الثاني: يكون ذلك أمراً له بالتلطُّف في تحصيل الأحلّ[٣]؛ زيادة في الورع وتحرُّزاً من الشبهة بأبلغ الطرق[٤].

القول الثالث: ليتكلَّف اللطف والنِّيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يُغبن[٥].

قال الرسعني:

﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أي: ليُدقّق النظر وليَحْتَل حتى لا يطّلع عليه أحد.

ويجوز عندي: أن يكون ذلك أمراً له بالتلطُّف في تحصيل الأحلّ؛ زيادة في الورع وتحرُّزاً من الشبهة بأبلغ الطرق.

---

(١) سورة الكهف آية ١٩.

(٢) جامع البيان١٥/٢١٤، وبحر العوم٢/٣٤٢، والبسيط١٣/٥٦٨، ومعالم التنزيل٣/٢١، وزاد المسير٣/٧٣، ومفاتيح الغيب٢١/٨٨، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٧٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١١٨.

(٣) الحل: الحلال، وما خرج عن الحرم، والحلل مصدر الأحلّ، وهو جمع حلة. انظر: إكمال الإعلام بتثليث الكلام١/١٦٠.

(٤) رموز الكنوز٤/٢٦٢.

(٥) الكشاف٢/٦٦٤، وفتح القدير٣/٢٧٦، وروح المعاني١٥/٢٣١.

وقال الزمخشري: المعنى: ليتكلَّف اللطف والنِّيقة[١] فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يُغبن. **وهذا تعجرف في التأويل وبعيد من تلك الأخلاق الزاكية الجميلة**[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ليُدقّق النظر وليَحْتَل حتى لا يطّلع عليه أحد.

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، والطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وابن كثير[٣].

واستدلوا بما يلي :

١- يؤيده قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ أي: لا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور، ويتسبب له، فهذا النهي يتضمن التأكيد للأمر بالتلطف[٤].

٢- قال ابن عباسﷺ: يريد يكون ذلك في ستر وكتمان[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وليترفق في شرائه ما يشترِى، وفي طريقه ودخوله المدينة[٦].

ب- قال البغوي: وليترفق في الطريق وفي المدينة، وليكن في ستر وكتمان[٧].

---

(١) النِّيقَة مِن التنوُّق، تَنَوَّقَ فلانٌ في مَطعَمِه ومَلبَسه وأمُورِه: إذا تَجوّدَ وبالَغ. انظر: القاموس المحيط ١١٩٦/١ (ناق)، وتهذيب اللغة٢٤٤/٩.

(٢) رموز الكنوز٢٦٢/٤.

(٣) جامع البيان٢١٤/١٥، وبحر العوم٣٤٢/٢، والبسيط٥٦٨/١٣، ومعالم التنزيل٢١/٣، وزاد المسير٧٣/٣، ومفاتيح الغيب٨٨/٢١، والجامع لأحكام القرآن٣٧٥/١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١١٨/٩.

(٤) فتح القدير ٢٧٦/٣.

(٥) معالم التنزيل٢١/٣، والبسيط٥٦٨/١٣.

(٦) جامع البيان ٢١٤/١٥.

(٧) معالم التنزيل٢١/٣.

ج- قال الشوكاني: أي: يدقق النظر حتى لا يعرف، أو لا يغبن. والأول أولى، ويؤيده ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ أي: لا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور ويتسبب له، فهذا النهي يتضمن التأكيد للأمر بالتلطف[١].

القول الثاني: يكون ذلك أمراً له بالتلطُّف في تحصيل الأحلّ؛ زيادة في الورع وتحرُّزاً من الشبهة بأبلغ الطرق.

لم يذكره أحد من المفسرين، إلا الرسعني[٢].

القول الثالث: ليتكلَّف اللطف والنِّيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يُغبن[٣].

وممن قال به: الزمخشري.

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أي: وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا تقع خصومة تجر إلى معرفته، أو ليتكلف اللطف في الاستخفاء دخولاً وخروجاً.

فيكون قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ أي: لا يفعلن ما يؤدي إلى شعور أحد من أهل المدينة بكم تأسيساً على هذا. وهو تأكيد للأمر بالتلطف وتفسيره بما ذكر من باب الكناية نحو لا أرينك ههنا وفسره الإمام بلا يخبرن بكم أحدا فهو على ظاهره[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول بأن يكون ذلك في ستر وكتمان، في دخول المدينة وشرائه الطعام،

---

(١) فتح القدير٣/٢٧٦.

(٢) رموز الكنوز٤/٢٦٢.

(٣) الكشاف٢/٦٦٤، وفتح القدير٣/٢٧٦، وروح المعاني١٥/٢٣١.

(٤) روح المعاني١٥/٢٣١.

وهو قول جمهور المفسرين.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [١]

١٤٦- مسألة: من القائلين في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ[٢].

القول الثاني: أن القائلين لذلك أهل مدينتهم[٣].

قال الرسعني:

قال الواحدي: أخبر الله أنه سيقع نزاع في عددهم، ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ، فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقالت اليعقوبية منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقالت النسطورية: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم كلبهم.

وحكى الماوردي: أن القائلين لذلك أهل مدينتهم[٤].

والأول أكثر[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ، ناظروا رسول الله ﷺ في عدة أهل

---

(١) سورة الكهف آية: ٢٢.

(٢) الكشف والبيان٦/١٦٢، وبحر العلوم٢/٣٤٢، ومعالم التنزيل٣/٢٢، والكشاف٢/٦٦٦، وزاد المسير٣/٧٤، ومفاتيح الغيب٢١/٩٠، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٨٢، ولباب التأويل٤/٢٠٦

(٣) النكت والعيون٣/٢٩٧، وزاد المسير٣/٧٤.

(٤) النكت والعيون٣/٢٩٧.

(٥) رموز الكنوز٤/٢٦٤.

الكهف، فقالت اليعقوبية[١] منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقالت النسطورية[٢]: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم كلبهم.

وممن قال به:

١- رواه الضحاك عن ابن عباسﷺ.

٢- الثعلبي، والسمرقندي، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والخازن[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال السمرقندي: قال بعضهم اختلفوا في أمرهم، ويقال: هذا الاختلاف في زمن النبي ﷺ فاختلفوا وذلك أن أهل نجران السيد والعاقب ومن معهما قدموا على رسول الله ﷺ فكان السيد صارماً يعقوبياً، والعاقب نسطورياً، وصنف منهم ملكانياً، فسألهم النبي ﷺ عن عدة أصحاب الكهف[٤].

ب- قال البغوي: روي أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران، كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبياً: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطورياً: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم كلبهم[٥].

---

(١) اليعقوبية: فرقة من النصارى، منسوبون على يعقوب البرذعاني وكان راهباً بالقسطنطينية، قالوا: عن المسيح هو الله نفسه-تعالى الله عما يقولون علوًّ كبيراً-. انظر: الموسوعة الميسرة ٢/٥٧١.

(٢) النسطورية: فرقة من فرق النصارى، منسوبون على نسطور، وكان بالقسطنطينية، قالوا: إن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وإن الله لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله- تعالى الله عنا يقولون- انظر: الموسوعة الميسرة ٢/١١٦١.

(٣) الكشف والبيان٦/١٦٢، وبحر العلوم٢/٣٤٢، ومعالم التنزيل٣/٢٢، والكشاف٢/٦٦٦، والمحرر الوجيز٣/٥٠٧، ومفاتيح الغيب٢١/٩٠، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٨٢، ولباب التأويل٤/٢٠٦

(٤) بحر العلوم٢/٣٤٢.

(٥) معالم التنزيل ٣/٢٢.

القول الثاني: أن القائلين لذلك أهل مدينتهم قبل ظهورهم عليهم[١].

وممن قال به: الماوردي[٢].

ومن أقوالهم:

قال الماوردي: أنهم أهل المدينة قبل الظهور عليهم[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- الضمير في ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ يراد به أهل التوراة ومعاصري محمد ﷺ، وذلك أنهم اختلفوا في عدد أهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص، وهو اختيار ابن عطية[٤].

٢- نظم الآية يوجب أن يكون هذا التنازع بعد نزول الآية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ ، وهذه السين للتأخير، فالآية تكون نازلة قبل هذا التنازع، أخبر الله فيها أنه سيقع ثم وقع ذلك على ما في الآية، وهو قول الألوسي[٥].

حاصل الدراسة:

القول أنهم قصة وفد نجران مع النبي ﷺ مستبعد؛ لأن رواية الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه باطلة، فالضحاك لم يلق ابن عباس رضي الله عنه، ثم إن الراوي عن الضحاك على الدوام إنما هو جويبر ذاك المتروك. ويدل على هذا أن السورة مكية، ووفد نجران إنما أتوا النبي ﷺ بعد الهجرة.

وحكى الماروردي الظاهر أن الضمير في ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ عائد على من تقدم ذكرهم، وهم المتنازعون في حديثهم قبل ظهورهم عليهم، فأخبر تعالى نبيه بما كان من اختلاف قومهم في عددهم وكون الضمير عائداً على ما قلنا.

---

(١) النكت والعيون٣/٢٩٧، وزاد المسير٣/٧٤.

(٢) النكت والعيون٣/٢٩٧.

(٣) النكت والعيون٣/٢٩٧.

(٤) المحرر الوجيز ٣/٥٠٧، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٨٢، وروح المعاني ١٥/٢٤٠.

(٥) البسيط١٣/٥٧٥، وروح المعاني ١٥/٢٤٠.

ومن أول الضمير في قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ يراد به أهل التوراة من معاصري محمد ﷺ، اختلفوا في عدد أهل الكهف هذا الاختلاف. أنه جاء بسين الاستقبال؛ لأنه كأنه في الكلام طي وإدماج، والتقدير: فإذا أجبتهم عن سؤالهم وقصصت عليهم قصة أهل الكهف فسلهم عن عددهم فإنهم إذا سألتهم ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ [١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن نظم الآية يوجب أن يكون هذا التنازع بعد نزول الآية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ ، والسين تفيد التأخير.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب[٢].

---

(١) البحر المحيط ١٠٩/٦.

(٢) جامع البيان٣٣٧/٦، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز٣٤٠/١، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [١]

١٤٧- مسألة: كم عدد أصحاب الكهف؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كانوا سبعة رجال والكلب ثامنهم[٢].

القول الثاني: كانوا ثمانية رجال[٣].

قال الرسعني:

قال ابن عباسﷺ: حين وقعت الواو انقطعت العدّة، أي: لم يبق بعدها عدَّةُ عادٍ يُلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم[٤].

وعلى هذا أكثر العلماء أن عِدَّة أصحاب الكهف سبعة، إلا ما يحكى عن ابن جريج وابن إسحاق: أنهم ثمانية[٥].

وقال ابن الأنباري: المعنى: وثامنهم صاحب كلبهم، كما يقال: السخاء حاتم، والشِّعر زهير. أي: السخاء حاتم، والشِّعر شعر زهير[٦].

والقول الأول أصح.

---

(١) سورة الكهف آية: ٢٢.

(٢) معاني القرآن للفراء٢/١٣٨، وجامع البيان١٥/٢١٩، ومعاني القرآن للزجاج٣/٢٧٧، والوسيط٣/١٤٣، ومعالم التنزيل٣/٢٣

(٣) معالم التنزيل٣/٢٣، وزاد المسير٣/٧٥.

(٤) روح المعاني١٥/٢٤٢.

(٥) النكت والعيون٣/٢٩٧، وزاد المسير٣/٧٥.

(٦) زاد المسير٣/٧٥.

قال علي ﷺ: هم سبعة نفر[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كان عِدَّة أصحاب الكهف سبعة رجال[٢].

وممن قال به:

١- علي بن أبي طالبﷺ، وابن جريج، وقتادة، وعطاء والضحاك عن ابن عباسﷺ[٣].

٢- الفراء، والطبري، والزجاج، والبغوي، والواحدي، وأبو حيان[٤].

واستدلوا بما يلي :

عن الضحاك عن ابن عباسﷺ قال: إن الله تعالى عدهم، حتى انتهى إلى السبعة، وأنا من القليل الذين يعلمونهم، هم سبعة. يعني: أصحاب الكهف[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: وقول ابن عباسﷺ إذا صح عنه فهو من أوثق التفسير[٦].

ب- قال البغوي: قال ابن عباس ﷺ أنا من القليل، كانوا سبعة. وقال محمد

---

(١) رموز الكنوز٤/٢٦٥.

(٢) معالم التنزيل٣/٢٣، والمحرر الوجيز ٣/٥٠٨، وزاد المسير٣/٧٥، وأضواء البيان٣/٢٥٢.

(٣) تفسير عبد الرزاق٢/٤٠٠، وجامع البيان١٥/٢٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٢٢، واللباب في علوم الكتاب ١٢/٤٥٧.

(٤) معاني القرآن للفراء٢/١٣٨، وجامع البيان١٥/٢١٩، ومعاني القرآن للزجاج٣/٢٧٧، والوسيط٣/١٤٣، ومعالم التنزيل٣/٢٣

(٥) معالم التنزيل٣/٢٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٢٢، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٨٢، ومفاتيح الغيب٢١/٩٠، وقتادة وعطاء، والضحاك لم يسمعوا من ابن عباس، لكن أفاد غير واحد أن بينهما سعيد بن جبير.

(٦) معاني القرآن للزجاج٣/٢٧٧.

بن إسحاق كانوا ثمانية وقرأ ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ أي: حافظهم، والصحيح هو الأول[١].

القول الثاني: كان عِدَّة أصحاب الكهف ثمانية رجال[٢].

وممن قال به: ابن جريج، وابن إسحاق، وابن الأنباري.

واستدلوا بما يلي:

بقراءة: "كالبهم"، وأول قوله: (وكلبهم) على حذف مضاف، أي: صاحب كلبهم. ولهذه القراءة قدر بعضهم في قراءة العامة: وثامنهم صاحبُ كلبهم[٣].

ومن أقوالهم:

قال ابن جريج ومحمد بن إسحاق: كانوا ثمانية، وجعلا قوله تعالى: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ أي: صاحب كلبهم[٤].

حاصل الدراسة:

الواو في قوله: ﴿ وَثَامِنُهُمْ ﴾ طريق النحويين فيها أنها واو عطف دخلت في آخر إخبار عن عددهم لتفصل أمرهم، وتدل على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام.

وتقول فرقة منها ابن خالويه هي واو الثمانية وذكر ذلك الثعلبي عن أبي بكر بن عياش أن قريشا كانت تقول في عددها ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل الواو في الثمانية [٥]

وقال ابن عباس ﷺ: حين وقعت الواو انقطعت العدّة، أي: لم يبق بعدها عدّة عادّ

---

(١) معالم التنزيل٣/٢٣.

(٢) معالم التنزيل٣/٢٣، وزاد المسير٣/٧٥.

(٣) البحر المحيط٦/١١٠، والدر المصون٧/٤٦٨، واللباب في علوم الكتاب ١٢/٤٥٥.

(٤) النكت والعيون٣/٢٩٧.

(٥) المحرر الوجيز ٣/٥٠٨.

يلتفت إليها. وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات[١].

والصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم كانوا سبعة، وهو ظاهر الآية. وإلى أن العدة ثمانية بالكلب ذهب الأكثرون من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه سبعة رجال والكلب ثامنهم، لظاهر الآية. وعدم الحاجة لتقدير محذوف، فحمله على عدم الإضمار أولى.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٣].

القاعدة: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار[٤].

---

(١) الكشاف ٦٦٧/٢.

(٢) البحر المحيط١١٠/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٢٢/٩، واللباب في علوم الكتاب ٤٥٧/١٢.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(٤) مجموع الفتاوى٤٢٢/١٤، والتسهيل ٩/١، والبحر المحيط١٥٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٠٤/٣، وأضواء البيان ٣٩٤/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٤٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [١]

١٤٨- مسألة: ما المراد بقوله: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: تدارك ربك بالاستثناء إن فرط منك نسيان فتنبَّهت له[٢].

القول الثاني: اذكر ربك بعد تَقَضِّي النسيان[٣].

القول الثالث: اذكر ربك إذا نسيت الشيء ليذكرك إياه[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ أي: تدارك ربك بالاستثناء إن فرط منك نسيان فتنبَّهت له.

قال ابن الأنباري: المعنى اذكر ربك بعد تَقَضِّي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله إذا صلى حاجتك، أي: بعد انقضاء الصلاة.

وحكى الماوردي: أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت الشيء ليذكرك إياه.

والأول هو التفسير[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: تدارك ربك بالاستثناء إن فرط منك نسيان فتنبَّهت له.

---

(١) سورة الإسراء آية: ٢٤.

(٢) جامع البيان١٥/٢٢٥، ومعالم التنزيل ٣/٢٣، والمحرر الوجيز٣/٥٠٩، وزاد المسير٣/٧٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٢٣، وفتح القدير٣/٢٧٨، وأضواء البيان ٣/٢٥٤.

(٣) زاد المسير٣/٧٦

(٤) النكت والعيون ٣/٢٩٩، والكشاف ٢/٦٦٩، وزاد المسير٣/٧٧.

(٥) رموز الكنوز٤/٢٦٨.

ومعنى قول ابن عباسﷺ أنه يستثنى ولو بعد سنة، أي: إذا نسى أن يقول في حلفه وفي كلامه إن شاء الله وذكر ولو بعد سنة، فالسنة له أن يقول ذلك ليكون آتيا بسنة الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وأبو العالية، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والحسن[١].

٢- الطبري، والواحدي، وابن كثير[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه واذكر ربك إذا تركت ذكره ؛ لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك...قال: ونص على ذلك لا أن يكون رافعاً لحنث اليمين ومسقطاً للكفارة[٣].

ب- قال الواحدي: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ الاستثناء بمشيئة الله تعالى فاذكره وقله إذا تذكرت[٤].

ج- قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله. هو الصحيح، وهو الأليق بحمل كلام ابن عباسﷺ عليه والله أعلم[٥].

القول الثاني: اذكر ربك بعد تَقَضِّي النسيان[٦].

وممن قال به: ابن الأنباري[١].

---

(١) جامع البيان١٥/٢٢٥، ومعالم التنزيل ٣/٢٣، والمحرر الوجيز٣/٥٠٩، وزاد المسير٣/٧٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٢٣، وفتح القدير٣/٢٧٨، وأضواء البيان ٣/٢٥٤.

(٢) جامع البيان١٥/٢٢٥، والوسيط٣/١٤٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٢٤.

(٣) جامع البيان١٥/٢٢٦.

(٤) الوسيط٣/١٤٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٢٤.

(٦) زاد المسير٣/٧٦.

ومن أقوالهم:

قال ابن الأنباري: المعنى اذكر ربك بعد تَقَضِّي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله إذا صلى حاجتك، أي: بعد انقضاء الصلاة.

القول الثالث: اذكر ربك إذا نسيت الشيء ليذكرك إياه[٢].

ذكره بعض المفسرين، ولم يرجحه أحد[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أن معنى "إذا نسيت": إذا غضبت، ليزول عنك الغضب عند ذكره.

قاله: عكرمه، وابن الأنباري[٤].

٢- وحمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها. قاله الضحاك والسدي[٥].

واستدلوا: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :" من نسي صلاة فلْيُصَلِّها إذا ذكرها"[٦].

٣- وقيل المعنى: واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار، إذا نسيت كلمة الاستثناء، تشديداً في البعث على الاهتمام بها[٧].

---

(١) زاد المسير٣/٧٧.

(٢) النكت والعيون ٣/٢٩٩، والكشاف ٢/٦٦٩، وزاد المسير٣/٧٧.

(٣) النكت والعيون ٣/٢٩٩، والكشاف ٢/٦٦٩، وزاد المسير٣/٧٧.

(٤) جامع البيان١٥/٢٢٦، وأحكام القرآن للجصاص٥/٤٢، والنكت والعيون٣/٢٩٩، والمحرر الوجيز٣/٥٠٩، وزاد المسير٣/٧٧، ومعالم التنزيل٣/٢٤.

(٥) الكشاف ٢/٦٦٩.

(٦) أخرجه البخاري كتاب المواقيت، باب من نسي صلاة فيلصلِّ إذا ذكر، ح(٥٩٧) ، ومسلم كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها ، ح(٦٨٣).

(٧) الكشاف ٢/٦٦٩، وفتح القدير ٣/٢٧٨.

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ . في هذه الآية قول معروف لعلماء التفسير: أنها متعلقة بما قبلها، والآية ليست في الأيمان، وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين.

والمعنى: أنك إن قلت سأفعل غداً كذا ونسيت أن تقول إن شاء الله، ثم تذكرت بعد ذلك فقل إن شاء الله. أي: اذكر ربك معلقاً على مشيئته ما تقول أنك ستفعله غداً إذا تذكرت بعد النسيان. وهذا القول هو الظاهر؛ لأنه يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [١] وهو قول الجمهور.

والقول الآخر أن الآية لا تعلق لها بما قبلها. والمعنى: إذا وقع منك النسيان لشيء فاذكر الله؛ لأن النسيان من الشيطان. كما قال تعالى عن فتى موسى: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ ﴾ [٢]، وكقوله: ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِ ﴾ [٣]، وذكر الله تعالى يطرد الشيطان، كما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ﴾ [٤]. أي الوسواس عند الغفلة عن ذكر الله. الخناس الذي يخنس ويتأخر صاغراً عند ذكر الله، فإذا ذهب الشيطان النسيان.

وخصها بعضهم بالصلاة، أي: صل الصلاة التي كنت ناسياً لها عند ذكرك لها، كما قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [٥]. وقول من قال ﴿ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ، أي: إذا

---

(١) سورة الكهف آية: ٢٣.

(٢) سورة الكهف آية: ٦٣.

(٣) سورة المجادلة آية: ١٩.

(٤) سورة الناس آية: ١-٤.

(٥) سورة طه آية: ١٤.

غضبت ظاهر السقوط[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: تدارك ربك بالاستثناء إن فرط منك نسيان فتنبَّهت له. وهو الظاهر، وتدل عليه الآية قبله، وهو قول جمهور المفسرين.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٣].

---

(١) المحرر الوجيز٣/٥٠٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٢٥، وأضواء البيان ٣/٢٥٤.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

(٣) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير ٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

قال تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ [١]

١٤٩- مسألة: ما القراءة الأرجح في قوله تعالى: ﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ثلاثمائةٍ سنين بالتنوين[٢].

القول الثاني: ثلاثمائةِ سنين على الإضافة[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ ﴾ وقرأ حمزة والكسائي:" ثلاثمائةِ سنين" على الإضافة، **والقراءة الأولى أوجه وأرجح** [٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ثلاثمائةٍ سنين بالتنوين. بمعنى: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائةٍ[٥].

وممن قال به:

١- عامة قرأة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين، ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وأبو علي الفارسي[٦].

---

(١) سورة الكهف آية: ٢٥.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص٣٨٩، وجامع البيان ٢٣٢/١٥، والبسيط٥٩٢/١٣، والمحرر الوجيز٥١٠/٣، وزاد المسير٧٧/٣، وفتح القدير٢٧٩/٣.

(٣) الحجة للقراء السبعة للفارسي١٤٠/٥، والحجة لابن زنجلة ٤١٤/١، والكشف عن وجوه القراءات٥٨/٢، والنشر في القراءات العشر٢٣٦/٣، وإتحاف فضلاء البشر ص٣٦٥، والسبعة ص٣٩٠، والبحر المحيط١١٢/٦.

(٤) رموز الكنوز٢٧٠/٤.

(٥) السبعة لابن مجاهد ص٣٨٩، وجامع البيان ٢٣٢/١٥، والبسيط٥٩٢/١٣، والمحرر الوجيز٥١٠/٣، وزاد المسير٧٧/٣، وفتح القدير٢٧٩/٣.

(٦) السبعة لابن مجاهد ص٣٨٩، وفتح القدير٢٧٩/٣.

٢- مكي بن أبي طالب، والطبري، والواحدي[١]

ومن أقوالهم:

أ- قال مكي: والتنوين هو الاختيار؛ لأنه المستعمل المشهور؛ ولأن الأكثر عليه[٢].

ب- قال الطبري: وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه ﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ ﴾ بالتنوين،﴿ سِنِينَ ﴾ .وذلك أن العرب إنما تُضيف المائة إلى ما يفسِّرُها إذا جاء تفسيرُها بلفظ الواحد، وذلك كقولهم: عندي ثلاثمائةِ درهمٍ، وعندي مائةُ دينار. لأن المائة والألف عدد كثير، والعرب لا تفسر ذلك إلا بما كان بمعناه في كثرة العدد، والواحد يؤدي عن الجنس، وليس ذلك للقليل من العدد، وإن كانت العرب ربما وضعت الجمع القليل موضع الكثير، وليس ذلك بالكثير، وأما إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع، فإنها تنوِّنُ، فتقول: عندي ألفٌ دراهمَ، وعندي مائةٌ دنانيرَ[٣].

ج- قال الواحدي: وقراءة حمزة والكسائي:"ثلاثمائةٍ سنين" مضافة غير منونة، وهذه قراءة غير جيدة[٤].

القول الثاني: ثلاثمائةِ سنين على الإضافة[٥].

وممن قرا به:

حمزة، والكسائي، وطلحة، ويحيى، والأعمش، والحسن، وابن أبي ليلى، وخلف، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني، وابن جبير الأنطاكي[٦].

---

(١) جامع البيان١٥/٢٣٢، والبسيط١٣/٥٩٢

(٢) الكشف ص٥٨.

(٣) جامع البيان ١٥/٢٣٢.

(٤) البسيط١٣/٥٩٢.

(٥) المحرر الوجيز٣/٥١٠.

(٦) الحجة للقراء السبعة للفارسي٥/١٤٠، والحجة لابن زنجلة ١/٤١٤، والكشف عن وجوه القراءات٢/٥٨، والنشر في القراءات العشر٣/٢٣٦، وإتحاف فضلاء البشر ص٣٦٥، والسبعة لابن مجاهد في القراءات ص٣٩٠، والبحر المحيط٦/١١٢.

واستدلوا: بقراءة أبي: سنة، وكذا في مصحف عبد الله بن مسعود[١].

حاصل الدراسة:

قرأ الجمهور بتنوين مائة ونصب سنين، فيكون سنين على هذه القراءة بدلاً أو عطف بيان[٢].

وقرأ حمزة والكسائي مائة بغير تنوين مضافاً إلى ﴿ سِنِينَ ﴾ أوقع الجمع موقع المفرد، وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ولا يجوز له ذلك[٣].

وقول الواحدي (غير جيدة). غير جيد؛ لأنها قراءة سبعية صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ فلا يجوز الطعن فيها.

المناقشة والترجيح:

الراجح: القراءتان كلتاهما صواب، وليست إحداهما أولى من الأخرى.

قاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٤].

---

(١) البحر المحيط٦/١١٢.

(٢) المحرر الوجيز٣/٥١٠، والبحر المحيط٦/١١٢، وفتح القدير٣/٢٧٩.

(٣) المحرر الوجيز٣/٥١٠، والبحر المحيط٦/١١٢.

(٤) مجموع الفتاوى١٣/٣٩١، والنشر ١/١٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٨٩.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ ﴾ [١]

١٥٠- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: من شاء الله فليؤمن، ومن شاء الله فليكفر[٢].

القول الثاني: تعليق المشيئة بالمكلفين[٣].

القول الثالث: ظاهر الآية وإن كان خارجاً مخرج التخيير، فهو على وجه التهديد والوعيد[٤].

القول الرابع: هذا إظهار للغنى لا إطلاق في الكفر[٥].

قال الرسعني:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ قال ابن عباسﷺ: معناه: من شاء الله فليؤمن، ومن شاء الله فليكفر[٦].

والأظهر: تعليق المشيئة بالمكلفين.

---

(١) سورة الكهف آية: ٢٩.

(٢) المحرر الوجيز٣/٥١٣، وزاد المسير٣/٨٠، ولباب التأويل٤/٢١٠.

(٣) جامع البيان١٥/٢٤٤، والكشاف٢/٦٧٢، والمحرر الوجيز٣/٥١٣، ولباب التأويل٤/٢١٠.

(٤) النكت والعيون٣/٣٠٣، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٩٣، ولباب التأويل ٤/٢١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٣٠، وإرشاد العقل السليم٥/٢١٩، وأضواء البيان٣/٢٦٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٩٣، وزاد المسير٣/٨٠.

(٦) أخرجه الطبري١٥/٢٤٤ ، وابن أبي حاتم ٧/٢٣٥٨.

قال الزجاج: هذا وعيد وإنذار ليس بأمر[١].

وقال غيره: هذا إظهار للغنى لا إطلاق في الكفر.

وقال الزمخشري: المعنى: زاحت العلل ولم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، جيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لما مُكّن من اختيار أيهما شاء، فكأنه مخيّر مأمور بأن يتخير ما شاء من النَّجدين[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: من شاء الله فليؤمن، ومن شاء الله فليكفر[٣].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، والضحاك[٤].

القول الثاني: تعليق المشيئة بالمكلفين[٥].

وممن قال به: الطبري، والزمخشري[٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا واتبعوا أهواءهم: الحق أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال؛ يهدي من يشاء منكم للرشاد فيؤمن، ويُضل من يشاء عن الهدى فيكفر، ليس إليَّ من ذلك شيء ولست بطارد لهواكم من كان للحق مُتبعاً، وبالله وبما أنزل علي مؤمناً، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به ناراً أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته،

---

(١) معاني القرآن للزجاج٣/٢٨١.

(٢) رموز الكنوز ٤/٢٧٨.

(٣) المحرر الوجيز٣/٥١٣، وزاد المسير٣/٨٠، ولباب التأويل٤/٢١٠.

(٤) جامع البيان١٥/٢٤٤، والبسيط١٣/٦٠٤.

(٥) جامع البيان١٥/٢٤٤، والكشاف٢/٦٧٢، والمحرر الوجيز٣/٥١٣، ولباب التأويل٤/٢١٠.

(٦) جامع البيان١٥/٢٤٤، والكشاف٢/٦٧٢.

فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته[١].

القول الثالث: ظاهر الآية وإن كان خارجاً مخرج التخيير، فهو على وجه التهديد والوعيد[٢].

وممن قال به:

١- مجاهد، والسدي[٣].

٢- القرطبي، وابن كثير، أبو السعود، والشنقيطي[٤].

واستدلوا بما يلي:

١- قوله تعالى بعدها: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾ .

٢- وكقوله تعالى: ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ [٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: هذا الكلام ليس بأمرٍ لهم، ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون، ولكن كلام وعيد وإنذار قد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر[٦].

ب- قال ابن كثير: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ [٧].

---

(١) جامع البيان ١٥/٢٤٤.

(٢) النكت والعيون٣/٣٠٣، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٩٣، ولباب التأويل ٤/٢١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٣٠، وإرشاد العقل السليم٥/٢١٩، وأضواء البيان٣/٢٦٦.

(٣) الوسيط٣/١٤٦.

(٤) النكت والعيون٣/٣٠٣، والجامع لأحكام القرآن١٠/٣٩٣، ولباب التأويل ٤/٢١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٣٠، وإرشاد العقل السليم٥/٢١٩، وأضواء البيان٣/٢٦٦.

(٥) سورة فصلت آية: ٤٠.

(٦) معاني القرآن للزجاج٣/٢٨١.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٨٠.

ج- قال القرطبي: وليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر وإنما هو وعيد وتهديد أي إن كفرتم فقد أعد لكم النار وإن آمنتم فلكم الجنة[١].

القول الرابع: هذا إظهار للغنى لا إطلاق في الكفر[٢].

لم يرجحه أحد من المفسرين.

حاصل الدراسة:

رجح الشنقيطي القول بالتهديد فقال: ظاهر هذه الآية الكريمة بحسب الوضع اللغوي التخيير بين الكفر والإيمان، ولكن المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير، وإنما المراد بها التهديد والتخويف. والتهديد بمثل هذه الصيغة التي ظاهرها التخيير أسلوب من أساليب اللغة العربية. والدليل من القرآن العظيم على أن المراد في الآية التهديد والتخويف أنه أتبع ذلك بقوله: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ وهذا أصرح دليل على أن المراد التهديد والتخويف. إذ لو كان التخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم. وهذا واضح[٣].

وفي التهديد ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم لا ينفعون الله بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم. الثاني: فمن شاء الجنة فليؤمن، ومن شاء النار فليكفر، قاله ابن عباسﷺ. الثالث: فمن شاء فليعرِّض نفسه للجنة بالإيمان، ومن شاء فليعرض نفسه للنار بالكفر[٤].

قال ابن تيمية: وأهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية؛ لأن الجبرية يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ويقولون: إنه مجبر لا قدرة له ولا اختيار، والقدرية ينكرون قضاء الله في أفعال العباد ويقولون: إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله. وأهل السنة يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ويقولون: أن له قدرة واختياراً أودعهما الله فيه متعلقتين بقضاء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٩٣/١٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٩٣/١٠، وزاد المسير٨٠/٣.

(٣) أضواء البيان٢٦٦/٣.

(٤) النكت والعيون ٣٠٣/٣.

الله، فيثبتون للعبد مشيئة واستطاعة وهي القدرة إلا أنهما تابعان لمشيئة الله تعالى[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن ظاهر الآية وإن كان خارجاً مخرج التخيير، فهو على وجه التهديد والوعيد. ويدل عليه ما بعده.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له[٢].

---

(١) العقيدة الواسطية ٢٣/١.

(٢) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [١]

١٥١- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: تمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يُهلك الله تعالى بستانه[٢].

القول الثاني: أن يكون توبةً من الشرك وندماً على ما كان منه، ودخولاً في الإيمان[٣].

القول الثالث: يقول هذا ويتمنى هذا التمني يوم القيامة[٤].

قال الرسعني:

﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ قال صاحب الكشاف: تذكر موعظة أخيه، فعلم أنه أُتي من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يُهلك الله تعالى بستانه. ويجوز أن يكون توبةً من الشرك وندماً على ما كان منه، ودخولاً في الإيمان.

وليس هذا بصحيح؛ فإنه مات على كفره؛ بدليل قوله: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [٥]

وقيل: إنما يقول هذا ويتمنى هذا التمني يوم القيامة، بدليل قوله: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ

---

(١) سورة الكهف آية: ٤٢.

(٢) جامع البيان١٥/٢٦٨، والبسيط١٤/٢٨، والوسيط٣/١٤٩، وزاد المسير٣/٨٦

(٣) الكشاف ٢/٦٧٦، والمحرر الوجيز ٣/٥١٩، والتسهيل٢/١٨٩، وإرشاد العقل السليم٥/٢٢٤، وفتح القدير٣/٢٨٨.

(٤) المحرر الوجيز ٣/٥١٩، وزاد المسير٣/٨٦.

(٥) سورة الصافات آية: ٥٥.

﴾ والتي بعدها[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: تمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يُهلك الله تعالى بستانه. وكأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتى من قبل شركه، فتمنى لو لم يكن مشركاً فلم يصبه ما أصابه قبل[٢].

وممن قال به: الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، والقرطبي[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال القرطبي: ﴿ وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ أي: يا ليتني عرفت نعم الله علي، وعرفت أنها كانت بقدرة الله، ولم أكفر به. وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم[٤].

القول الثاني: أن يكون توبةً من الشرك وندماً على ما كان منه، ودخولاً في الإيمان[٥].

روى عن بعض المفسرين ولم يرجحه أحد.

القول الثالث: يقول هذا ويتمنى هذا التمني يوم القيامة[٦].

روى عن بعض المفسرين ولم يرجحه أحد.

واستدلوا:

---

(١) رموز الكنوز٤/٢٩٢.

(٢) الكشاف ٢/٦٧٦، والتسهيل٢/١٨٩، وإرشاد العقل السليم٥/٢٢٤، وفتح القدير٣/٢٨٨.

(٣) جامع البيان١٥/٢٦٨، والبسيط١٤/٢٨، والوسيط٣/١٤٩، وزاد المسير٣/٨٦

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٤١٠.

(٥) الكشاف ٢/٦٧٦، والمحرر الوجيز ٣/٥١٩، والتسهيل٢/١٨٩، وإرشاد العقل السليم٥/٢٢٤، وفتح القدير٣/٢٨٨.

(٦) المحرر الوجيز ٣/٥١٩، وزاد المسير٣/٨٦.

بقوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ ﴾ والتي بعدها.

حاصل الدراسة:

﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ كأنه تذكر موعظة أخيه، وعلم أنه إنما أتى من قبل شركه، فتمنى لو لم يكن مشركاً فلم يصبه ما أصابه.

وقيل: يحتمل أن يكون توبة من الشرك وندماً عليه فيكون تجديداً للإيمان؛ لأن ندمه على شركه فيما مضى يشعر بأنه آمن في الحال فكأنه قال: آمنت بالله تعالى الآن وليت ذلك كان أولا.

لكن لا يخفى أن مجرد الندم على الكفر لا يكون إيماناً، وإن كان الندم على المعصية قد يكون توبة إذا عزم على أن لا يعود وكان الندم عليها من حيث كونها معصية. وعلى فرض صحة قياسه بها لم يتحقق هنا من الكافر ندم عليه من حيث هو كفر بل بسبب هلاك جنتيه

والآية فيما بعد ظاهرة أيضاً في أنه لم يتب عما كفر به وهو إنكار البعث والقول بأنه إنما لم تقبل توبته عن ذلك لأنها كانت عند مشاهدة البأس والإيمان إذ ذاك غير مقبول إذ غاية ما في الباب أنه إيمان بعد مشاهدة أهلاك ماله وليس في ذلك سلب الاختيار الذي هو مناط التكليف لا سيما إذا كان ذلك الإهلاك للإنذار نعم إذا قيل إن هذا حكاية لما يقوله الكافر يوم القيامة كما ذهب إليه بعض المفسرين كان وجه عدم القبول ظاهراً إذ لا ينفع تجديد الإيمان هناك بالاتفاق[1].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول أنها تمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يُهلك الله تعالى بستانه. لعدم صحة القول أنه تمنى لو لم يكن مشركاً، أو أنه كان يوم القيامة، ولم يرجحه أحد من المفسرين.

---

(1) روح المعاني ١٥/٢٨٤.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[١].

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٢].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(٢) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [١]

١٥٢- مسألة: ما المراد بالباقيات الصالحات؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: جميع أعمال الحسنات[٢].

القول الثاني: أنها الكلام الطيب [٣].

القول الثالث: أنها الصلوات الخمس[٤].

القول الرابع: أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٥].

القول الخامس: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر[٦].

قال الرسعني:

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ أي: أفضل جزاء وخير أملاً من الآمال المتعلقة بالأموال والبنين.

واختلفت الرواية عن ابن عباسﷺ في الباقيات الصالحات؛ فروى ابن أبي طلحة عنه: أنها جميع أعمال الحسنات. وبه قال قتادة وابن زيد.

---

(١) سورة الكهف آية: ٤٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣/٢٩٢، وجامع البيان ١٥/٢٨١، والمحرر الوجيز٣/٤٢٠، وزاد المسير٣/٨٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٤٢.

(٣) زاد المسير٣/٨٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٤٢.

(٤) جامع البيان١٥/٢٧٤، والنكت والعيون ٣/٣١٠، والبسيط١٤/٣٥، ومعالم التنزيل٣/٣٤، والمحرر الوجيز ٣/٤٢٠، وزاد المسير٣/٨٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٤٢.

(٥) زاد المسير٣/٨٨.

(٦) جامع البيان١٥/٢٧٦، وبحر العلوم ٢/٣٤٩، والكشف والبيان٦/١٧٣، ومعالم التنزيل٣/٣٤، وزاد المسير٣/٨٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٤٢.

وروى العوفي عنه: أنها الكلام الطيب.

وروى سعيد بن جبير: أنها الصلوات الخمس.

والمشهور في التفسير: أنها ما روى علي عليه السلام عن النبي ﷺ :" أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله".

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال:" إن عجزتم عن الليل أن تُكابدوه، وعن العدو أن تُجاهدوه، فلا تعجزوا عن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، فقولوها فإنها الباقيات الصالحات"[١].

وسُئل عنها عثمان بن عفان فقال هذه الكلمات وزادها:" ولا حول ولا قوة إلا بالله".

وقد ذكرتُ فيما مضى أن هذا وأمثاله ليس على سبيل الحصر، وإنما هو لبيان جنس المراد بذكر بعض أنواعه.

ويدل على ذلك قول ابن عباسرضي الله عنه – وقد سُئل عنها-: هي الأعمال الصالحة، لا إله إلا الله، استغفر الله، وصلى الله على محمد، والصيام، والصلاة، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة، وجميع الحسنات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: القول الأول: جميع أعمال الحسنات[٣].

وممن قال به:

---

(١) ذكره السيوطي في الدر ٣٩٧/٥، وعزاه لابن مردويه. وأخرجه بسنده أبو القاسم الأصبهاني (٥٣٥هـ) في كتابه الترغيب والترهيب لقوام السنة ٤٢٤/١.

(٢) رموز الكنوز ٢٩٧/٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج٢٩٢/٣، وجامع البيان ٢٨١/١٥، والمحرر الوجيز٤٢٠/٣، وزاد المسير٨٨/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤٢/٩.

١- رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباسﷺ، وقتادة، وابن زيد[١].

٢- الطبري، والزجاج، وابن عطية[٢].

واستدلوا بما يلي :

يدل على ذلك قول ابن عباسﷺ – وقد سُئل عنها-: هي الأعمال الصالحة، لا إله إلا الله، استغفر الله، وصلى الله على محمد، والصيام، والصلاة، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة، وجميع الحسنات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب كالذي روي عن ابن طلحة عن ابن عباسﷺ قال: هن جميع أعمال الخير[٤].

ب- قال الزجاج: هي كل عمل صالح يبقى ثوابه[٥].

ج- قال الشنقيطي: التحقيق أن (الباقيات الصالحات) لفظ عام، يشمل الصلوات الخمس، والكلمات الخمس المذكورة، وغير ذلك من الأعمال التي ترضي الله تعالى؛ لأنها باقية لصاحبها غير زائلة. ولا فانية كزينة الحياة الدنيا؛ ولأنها أيضاً صالحة لوقوعها على الوجه الذي يرضي الله تعالى[٦].

القول الثاني: أنها الكلام الطيب.

وممن قال به:

---

(١) زاد المسير٣/٨٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٤٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣/٢٩٢، وجامع البيان ١٥/٢٨١، والمحرر الوجيز٣/٤٢٠.

(٣) أخرجه ابن جرير ١٥/٢٨٠.

(٤) جامع البيان١٥/٢٨١.

(٥) معاني القرآن للزجاج٣/٢٩٢.

(٦) أضواء البيان٣/٢٨١.

العوفي عن ابن عباسﷺ [١].

القول الثالث: أنها الصلوات الخمس.

وممن رواه: سعيد بن جبير عن ابن عباسﷺ، وبه قال ابن مسعودﷺ، ومسروق، وإبراهيم، و وأبو ميسرة، وعمروا بن شرحبيل[٢].

القول الرابع: أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وممن قال به: عليﷺ[٣].

القول الخامس: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر.

وممن قال به:

١- عثمان بن عفان، وأبو هريرةﷺ.

٢- قول ابن عباسﷺ في رواية عطاء، وبه قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، والضحاك، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن كعب القرظي[٤].

واستدلوا:

بما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال:" إن عجزتم عن الليل أن تُكابدوه، وعن العدو أن تُجاهدوه، فلا تعجزوا عن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، فقولها فإنها الباقيات الصالحات". وسُئل عنها عثمان بن عفان فقال هذه الكلمات وزادها:" ولا حول ولا قوة إلا بالله"[٥].

---

(١) زاد المسير٣/٨٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٤٢.

(٢) جامع البيان١٥/٢٧٤، والنكت والعيون ٣/٣١٠، والبسيط١٤/٣٥، ومعالم التنزيل٣/٣٤، والمحرر الوجيز ٣/٤٢٠، وزاد المسير٣/٨٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٤٢.

(٣) زاد المسير٣/٨٨.

(٤) جامع البيان١٥/٢٧٦، وبحر العلوم ٢/٣٤٩، والكشف والبيان٦/١٧٣، ومعالم التنزيل٣/٣٤، وزاد المسير٣/٨٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/١٤٢.

(٥) الدر المنثور٥/٣٩٧.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

ما يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الطاعات[١].

حاصل الدراسة:

أقوال العلماء في الباقيات الصالحات كلها راجعة إلى شيء واحد، وهو الأعمال التي ترضي الله، سواء قلنا: إنها الصلوات الخمس، كما هو مروي عن جماعة من السلف.

أو أنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وعلى هذا القول جمهور العلماء، وجاءت دالة عليه أحاديث مرفوعة عن أبي سعيد الخدري، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، والنعمان بن بشير، وعائشة رضي الله عنهم[٢].

وقال ابن جرير: فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله ﷺ إنما ورد بأن قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن من الباقيات الصالحات، ولم يقل هن جميع الباقيات الصالحات ولا كل الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات وغيرها من أعمال البر أيضاً باقيات صالحات[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: والراجح -والله أعلم- أن الباقيات الصالحات: كل عمل خير، فلا وجه لقصرها على عمل دون آخر، ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وهذا اختيار كثير من المفسرين[٤].

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤١٤/١٠.

(٢) المحرر الوجيز٤٢٠/٣، وأضواء البيان ٢٨١/٣.

(٣) جامع البيان ٢٨١/١٥، وإرشاد العقل السليم ٢٢٥/٥.

(٤) جامع البيان٢٨١/١٥، والجامع لأحكام القرآن٤١٤/١٠، وأضواء البيان٢٨١/٣.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٠/١، والمحرر الوجيز ٩٤/١، والتسهيل

٩/١، وروح المعاني ١٥٤/٢٨، وأضواء البيان ٣٠٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [١]

١٥٣- مسألة: ما المراد بالإنسان في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: النضر بن الحارث[٢] وجداله في القرآن[٣].

القول الثاني: أُبيّ بن خلف[٤] وجداله في البعث[٥].

القول الثالث: عمومها في جنس الإنسان[٦].

قال الرسعني:

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدال، وهم الملائكة والجن خصومة ومماراة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد: النضر بن الحارث وجداله في القرآن[٧].

وقال ابن السائب: يريد: أُبيّ بن خلف وجداله في البعث، حتى أتى بعظم قد رمَّ

---

(١) سورة الكهف آية: ٥٤.

(٢) هو: النضر بن الحارث بن كلدة العبدري من مسلمة الفتح ويقال نضير وليست له رواية. استشهد باليرموك. انظر: الجرح والتعديل ٤٧٣/٨، والإصابة ٤٣٠/٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥٢٤/٣، ولباب التأويل٢١٨/٤، والبحر المحيط ١٣١/٦، وفتح القدير٢٩٥/٣، وروح المعاني ٣٠٠/١٥.

(٤) هو: أبي بن خلف بن وهب الجمحي، كان من أشد الناس وأكثرهم أذى للرسول ﷺ وللصحابة رضي الله عنهم ، رماه النبي ﷺ يوم أحد بحربة فقتله. انظر: جوامع السيرة ص٥٤.

(٥) معالم التنزيل٤١/٣، ولباب التأويل٢١٨/٤، والبحر المحيط ١٣١/٦، وروح المعاني ٣٠٠/١٥.

(٦) معالم التنزيل٤١/٣، ولباب التأويل٢١٨/٤، وفتح القدير٢٩٥/٣، وروح المعاني ٣٠٠/١٥.

(٧) الوسيط١٥٤/٣، وزاد المسير٩٢/٣.

فقال: أيقدر الله على إعادة هذا؟[١].

والظاهر: عمومها في جنس الإنسان، يدل عليه ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم العطار وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا عبد الله بن احمد، اخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني علي بن الحسين، أن حسين بن علي أخبره، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخبره:" أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله! أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثها بَعَثها، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، فسمعته وهو مولّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴾[٢]. هذا حديث صحيح. وأخرجه مسلم أيضاً[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: النضر بن الحارث وجداله في القرآن[٤].

وممن قال به:

١- ابن عباس رضي الله عنه[٥].

٢- ابن جزي الكلبي[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) الوسيط٣/١٥٤، وزاد المسير٣/٩٢.

(٢) أخرجه البخاري كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب، ح(١١٢٧)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الحث على صلاة الليل وإن قلت، ح(٧٧٥).

(٣) رموز الكنوز٤/٣٠٧.

(٤) المحرر الوجيز ٣/٥٢٤، ولباب التأويل٤/٢١٨، والبحر المحيط ٦/١٣١، وفتح القدير٣/٢٩٥، وروح المعاني ١٥/٣٠٠.

(٥) الوسيط٣/١٥٤، ومعالم التنزيل٣/٤١، وزاد المسير٣/٩٢.

(٦) التسهيل ٢/١٩٠.

قال ابن جزي: ويقتضي سياق الكلام ذم الجدل، وسببها فيما قيل مجادلة النضر بن الحارث[١].

القول الثاني: أُبيّ بن خلف الجمحي وجداله في البعث[٢].

وممن قال به: ابن السائب الكلبي[٣].

القول الثالث: عمومها في جنس الإنسان.

وممن قال به: البغوي، والخازن، والشوكاني، والألوسي[٤].

واستدلوا بما يلي:

ما ورد في الصحيحين: أن علي بن أبي طالبﷺ أخبره:" أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله! أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثها بَعَثها، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، فسمعته وهو مولّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴾ [٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال البغوي: وقيل: هي على العموم، وهذا أصح[٦].

ب- قال الخازن: وقيل الآية على العموم وهو الأصح[٧]

ج- قال الشوكاني: والظاهر العموم، وأن هذا النوع أكثر الأشياء التي يتأتى منها

---

(١) التسهيل ١٩٠/٢.

(٢) معالم التنزيل٤١/٣، ولباب التأويل٢١٨/٤، والبحر المحيط ١٣١/٦، وروح المعاني ٣٠٠/١٥.

(٣) الوسيط١٥٤/٣، وزاد المسير٩٢/٣.

(٤) معالم التنزيل٤١/٣، ولباب التأويل٢١٨/٤، وفتح القدير٢٩٥/٣، وروح المعاني ٣٠٠/١٥.

(٥) أخرجه البخاري كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب، ح(١١٢٧)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الحث على صلاة الليل وغن قلت، ح(٧٧٥).

(٦) معالم التنزيل٤١/٣.

(٧) لباب التأويل٢١٨/٤.

الجدال جدلاً ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أن معناه كان الكافر يجادل[٢].

ويدل عليه بعدها قوله تعالى: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ وهو قول الزجاج[٣].

٢- وقيل: المراد ابن الزبعري[٤].

حاصل الدراسة:

قول ابن السائب أنه أبي بن خلف وكان جداله في البعث حين أتى بعظم قد رم فقال: أيقدر الله تعالى على إعادة هذا، وفته بيده، عزاه ابن الجوزي لابن السائب الكلبي، وهو يضع الحديث، فخبره باطل، لا شيء.

والأقوال الأخرى لا دليل عليها يقوى للاستدلال بما في الصحيحين.

فالقول بالعموم هو الظاهر فليس المراد إنساناً معيناً، وهو ما يؤيده ما أخرجه الشيخان.

المناقشة والترجيح:

الراجح: عمومها في جنس الإنسان.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٥].

---

(١) فتح القدير٣/٢٩٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٦، ومعالم التنزيل٣/٤١، وفتح القدير٣/٢٩٥.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٩٦.

(٤) المحرر الوجيز ٣/٥٢٤، والبحر المحيط ٦/١٣١، وروح المعاني ١٥/٣٠٠.

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [١]

١٥٤- مسألة: قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ هل هو من كلام موسى أو يوشع؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: من تمام كلام يوشع[٢].

القول الثاني: من قول موسى[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ ﴾ **الأظهر** أن هذا من تمام كلام يوشع، أي: اتخذ الحوت طريقه ومذهبه في البحر ﴿ عَجَبًا ﴾ أي: سبيلاً عجباً، فهو ثاني مفعولي "أتخذ".

ويجوز أن يكون يوشع قال في آخر كلامه: عجباً، أي: أعجب عجباً من تلك الآية العجيبة الخارقة ونسيانيها، مع كونها علامة على أمرٍ قد نهضنا بسببه، وأنْشآ سفراً من أجله، أو عجب من هاتين المعجزتين؛ وهما: حياة الحوت، وقيام الماء على هيئة الطاق.

ويجوز أن يكون هذا من قول موسى، قال له يوشع: واتخذ سبيله في البحر، فأجابه موسى: عجباً[٤].

---

(١) سورة الكهف آية: ٦٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣/٣٠٠، والبسيط١٤/٧٨، ومعالم التنزيل٣/٤٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤، والتسهيل ٢/١٩٢، والبحر المحيط٦/١٣٨.

(٣) معاني القرآن للزجاج٣/٣٠٠، ومعالم التنزيل٣/٤٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤، والتسهيل ٢/١٩٢، والبحر المحيط٦/١٣٨.

(٤) رموز الكنوز ٤/٣٢١.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: من تمام كلام يوشع[١].

وممن قال به:

الزمخشري، وابن عطية، وابن جزي الكلبي، والخازن، وابن عاشور[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزمخشري: وقيل: إن (عَجَبًا) حكاية لتعجب موسى عليه السلام، وليس بذاك[٣].

ب- قال ابن عطية: ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا ﴾ يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى، أي: اتخذ الحوت سبيلاً عجباً للناس، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ تمام الخبر، ثم استأنف التعجب فقال من قبل نفسه: ﴿ عَجَبًا ﴾ لهذا الأمر، وموضع العجب أن يكون حوت قد مات وأكل شقه ثم حيي بعد ذلك[٤].

القول الثاني: من قول موسى[٥].

وممن قال به:

١- مجاهد، وقتادة[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجاج٣/٣٠٠، والبسيط١٤/٧٨، ومعالم التنزيل٣/٤٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤، والتسهيل ٢/١٩٢، والبحر المحيط٦/١٣٨.

(٢) الكشاف٢/٦٨٥، والمحرر الوجيز٣/٥٢٩، ولباب التأويل٤/٢٢٢، والتسهيل٢/١٩٢، والتحرير والتنوير ١٥/٣٦٢.

(٣) الكشاف٢/٦٨٥.

(٤) المحرر الوجيز٣/٥٢٩، والبحر المحيط٦/١٣٨.

(٥) معاني القرآن للزجاج٣/٣٠٠، ومعالم التنزيل٣/٤٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤، والتسهيل ٢/١٩٢، والبحر المحيط٦/١٣٨.

(٦) جامع البيان ١٥/٣١٨.

٢- ابن أبي زمنين[١].

ومن أقوالهم:

قال مجاهد: تعجب موسى من أثر الحوت في البحر ودورانه التي غاب فيها[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

يحتمل أن يكون من كلام الله سبحانه، لبيان طرف آخر من أمر الحوت فيكون ما بين الكلامين اعتراضا[٣].

حاصل الدراسة:

﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً للناس. وموضع التعجب أن يحيا حوت قد مات، وأكل شقه ثم يثب إلى البحر ويبقى أثر جريته في الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر.

أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجباً أي: تعجب هو منه، وإعراب عجباً مفعول ثان لاتخذ مثل: سرباً.

وقيل: إن الكلام تم عند قوله: (في البحر)، ثم ابتدأ التعجب فقال: (عجباً). ولقد استبعد هذا القول ابن جزي الكلبي[٤].

وقال الواحدي: وعلى هذا يجوز أن يكون العجب راجعاً على يوشع أخبر عن اتخاذ الحوت سبيله في البحر، ثم أخبر عن تعجبه من ذلك[٥].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين٣/٧٣.

(٢) جامع البيان٣/٥٠، وإعراب القرآن للنحاس٢/٤٦٤.

(٣) فتح القدير٣/٢٩٩.

(٤) التسهيل ٢/١٩٢، وفتح القدير٣/٢٩٩.

(٥) الكشف والبيان٦/١٨٢، وبحر العلوم٢/٣٥٤، والبسيط ١٤/٧٩، والمحرر الوجيز٣/٥٢٩، ولباب التأويل ٤/٢٢٢، والكشاف٢/٦٨٥، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٤، وإرشاد العقل السليم ٥/٢٣٣.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه من تمام كلام يوشع. وهو ترجيح الرسعني ، وقول جمهور المفسرين.
القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[1].

(1) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ [١]

١٥٥- مسألة: ما هي القراءات في قوله تعالى: ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "ليَغرَق" بالياء مفتوحة مع فتح الراء، و"أهلُها" بالرفع[٢].

القول الثاني: " لتُغرِق" بالتاء، و"أهلَها" بالنصب[٣].

قال الرسعني:

وقرأ حمزة والكسائي: "ليَغرَق" بالياء مفتوحة مع فتح الراء، "أهلُها" بالرفع[٤].

وقراءة الأكثرين أوجه؛ لكون المعطوف مثل المعطوف عليه في إسناد الفعل إلى المخاطب[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "ليَغرَق" بالياء مفتوحة مع فتح الراء، و"أهلُها" بالرفع، على أن الأهل هم الذين يغرقون[٦].

---

(١) سورة الكهف آية: ٧١.

(٢) السبعة لابن مجاهد ص٣٩٥، وإتحاف فضلاء البشر ١/٣٧٠.

(٣) جامع البيان١٥/٣٣٧، والحجة في القراءات لابن خالويه ١/٢٢٧، والحجة لابن زنجلة ص٤٢٣، ومعالم التنزيل٣/٤٩، وزاد المسير٣/٩٩، وإملاء ما من به الرحمن٢/١٠٦، والبحر المحيط ٦/١٤١، واللباب في علوم الكتاب١٢/٥٣٥، وإتحاف فضلاء البشر ١/٣٧٠.

(٤) الحجة لابن زنجلة ص٤٢٣، والكشف٢/٦٨، وإتحاف فضلاء البشر ١/٣٧٠، والسبعة في القراءات ص٣٩٥.

(٥) رموز الكنوز ٤/٣٢٨.

(٦) جامع البيان١٥/٣٣٧، والحجة في القراءات لابن خالويه ١/٢٢٧، والحجة لابن زنجلة ص٤٢٣، ومعالم التنزيل٣/٤٩، وزاد المسير٣/٩٩، وإملاء ما من به الرحمن٢/١٠٦، واللباب في علوم الكتاب١٢/٥٣٥ .

وممن قرأ بها:

حمزة، والكسائي، وزيد بن عليّ، والأعمش، وطلحة، وابن أبي ليلى، وخلف، وأبو عبيد، وابن سعدان، وابن عيسى الأصبهاني[١].

القول الثاني: " لتُغرِق"بضم التاء، وكسر الراء مخففة مع سكون الغين على الخطاب و"أهلَها" بالنصب على المفعولية، بمعنى: لتُغرق أنت أيها الرجل أهل السفينة بالخرق الذي خرقت فيها[٢].

وممن قرأ بها: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قرأ بضم التاء المثناة من فوق، وكسر الراء المشددة للتكثير، ويلزم منه فتح الغين وأهلها بالنصب. وهي قراءة الحسن وأبو الرجاء[٤].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ يقرأ بالتاء مضمومة ونصب الأهل، وبالياء مفتوحة ورفع الأهل. فالحجة لمن قرأه بالتاء مضمومة أنه جعله من خطاب موسى للخضر عليهما السلام ونسب الفعل إليه، ودل بالتاء على حد المواجهة والحضور ونصب الأهل بتعدي الفعل إليهم.

والحجة لمن قرأه بالياء أنه جعل الفعل للأهل فرفعهم بالحديث عنهم[٥].

---

(١) السبعة لابن مجاهد ص٣٩٥، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٠/١.

(٢) جامع البيان٣٣٧/١٥، والحجة في القراءات لابن خالويه ٢٢٧/١، والحجة لابن زنجلة ص٤٢٣، ومعالم التنزيل٤٩/٣، وزاد المسير٩٩/٣، وإملاء ما من به الرحمن١٠٦/٢، والبحر المحيط ١٤١/٦، واللباب في علوم الكتاب٥٣٥/١٢، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٠/١.

(٣) السبعة لابن مجاهد ص٣٩٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥٣١/٣، والبحر المحيط ١٤١/٦، واللباب في علوم الكتاب٥٣٥/١٢، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٠/١.

(٥) الحجة في القراءات ٢٢٧/١.

ورجح الطبري القولين، قال: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى وإن اختلفت ألفاظهما، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب.

وإنما قلنا: هما متفقتا المعنى؛ لأنه معلوم أن إنكار موسى على العالم خرق السفينة إنما كان؛ لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها إذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها، فلا خفاء على أحد معنى ذلك، قُرئ بالتاء ونصب "الأهل" أو بالياء ورفع "الأهل" [١]

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن القراءتين سبعيتان، ومعروفتان عند القراء.

قاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٢].

---

(١) جامع البيان١٥/٣٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى١٣/٣٩١، والنشر ١/١٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٨٩.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ [١]

١٥٦- مسألة: ما هي القراءة الأوجه في قوله تعالى: ﴿ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: القراءة بدون همز[٢].

القول الثاني: القراءة بالهمز[٣].

قال الرسعني:

(قالوا يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج) وقرأ عاصم بالهمز فيهما[٤]، **والأول أوجه؛** لأنهما اسمان أعجميان، كجالوت وطالوت.

قال الليث: الهمز لغة رديئة.

قال ابن الأنباري: وجه همزِه: أن العرب قد همزت حروفاً لا يُعرف للهمز فيها أصل، كقولهم: استنشأتُ الريح، فإذا كان هذا معروفاً في أبنية العرب، كان مقبولاً في الألفاظ التي أصلها للعجم.

---

(١) سورة الكهف آية: ٩٤.

(٢) الحجة للفارسي٥/١٧٢، والحجة لابن خالويه١/٢٣١، والحجة لابن زنجلة ص٤٣٢، والكشف ٢/٧٦، والتيسير١/١٤٦، والنشر في القراءات العشر١/٣١٤، وإتحاف فضلاء البشر ص١/٣٧٢، والسبعة في القراءات ص٣٩٩.

(٣) الحجة للفارسي٥/١٧٢، والحجة لابن خالويه١/٢٣١، والحجة لابن زنجلة ص٤٣٢، والكشف ٢/٧٦، والتيسير١/١٤٦، والنشر في القراءات العشر١/٣١٤، وإتحاف فضلاء البشر ص١/٣٧٢، والسبعة في القراءات ص٣٩٩.

(٤) الحجة للفارسي٥/١٧٢، والحجة لابن خالويه١/٢٣١، والحجة لابن زنجلة ص٤٣٢، والكشف ٢/٧٦، والتيسير١/١٤٦، والنشر في القراءات العشر١/٣١٤، وإتحاف فضلاء البشر ص١/٣٧٢، والسبعة في القراءات ص٣٩٩.

ومعنى قول ابن الأنباري:"استنشأتُ الريح": تشمّمْتُها.

قال أبو علي: من همزهما جعلهما عربيين، فإن "يأجوج" يفعُول من أجَّ، و"مأجوج" مفعول من أجَّ أيضاً، والكلمتان على هذا من أصل واحد في الاشتقاق، وامتناع صرفهما على هذا للتأنيث والتعريف؛ لأن كل واحد منهما كأنه اسم للقبيلة؛ كمجُوس.

ومن قرأهما بغير همز أمكن أن يكون على قول من همز، لكنه خفف الهمزة فقلبها ألفاً، مثل: رأسٍ، فهو على قوله أيضاً: يَفْعُول، من أجَّ، وإن كان الألف في"يأجوج" فيمن لم يهمز ليس على التخفيف، فإنه فاعُول من:(ي ج ج)، فإن جعلتَ الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كالتي في: "سَأقَ"، ونحو ذلك مما جاء مهموزاً ولم ينبغ أن يُهمز.

وأما "ماجوج" فيمن لم يهمز فهو فاعول مِن مَجَّ، كما كان"ياجوج" يفعول من يَجَّ، فالكلمتان على هذا من أصلين، وليستا من أصل واحد، ويكون امتناعهما من الصرف أيضاً للتأنيث والتعريف.

ويجوز أن يكون "ماجوج" مفعول من أجَّ، كما كان في قول من همز، إلا أنه خفف همزه. وإن جعل "ياجوج وماجوج" من العجمى، فهذه التمثيلات لا تصح فيهما، ويكون امتناعهما من الصرف للعجمة والتعريف.

وإنما تُمثّل هذه التمثيلات في العجمية؛ ليعلم أنها لو كانت عربية لكانت على ما يذكر[1].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: القراءة بدون همز[2].

وممن قال به:

([1]) رموز الكنوز ٣٦٢-٣٦٤.

([2]) الحجة لابن زنجلة ص٤٣٢، وإتحاف فضلاء البشر١/٧٧-١/٣٧٢، والدر المصون٧/٥٤٥.

١- جميع القراء إلا عاصم.

٢- الطبري[١].

واستدلوا بما يلي :

لمن لم يهمز أنه يراهما اسمين أعجميين، وإما أن يسهل من الهمز[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الليث: الهمز لغة رديئة[٣].

ب- قال النحويون: وهو الاختيار؛ لأن الأسماء الأعجمية سوى هذا الحرف غير مهموزة نحو طالوت و جالوت و حاروت و ماروت[٤].

القول الثاني: القراءة بالهمز، وهي لغة بني أسد[٥]. وعلتاه في منع الصرف العجمة والتأنيث، وقالت فرقة هو معرب من أجج وأج علتاه في منع الصرف التعريف والتأنيث[٦].

وممن قال به:

عاصم ووافقه الأعمش[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قرأ رؤبة بن العجاج[٨] آجوج ومأجوج بهمزة بدل الياء[١].

---

(١) جامع البيان ٣٨٨/١٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥٤٢/٣.

(٣) زاد المسير ١٠٨/٣.

(٤) الحجة لابن زنجلة ص٤٣٢.

(٥) الحجة لابن زنجلة ص٤٣٢، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٢/١.

(٦) المحرر الوجيز ٥٤٢/٣، والدر المصون ٥٤٥/٧.

(٧) إتحاف فضلاء البشر ٧٧/١.

(٨) هو: رؤبة بن العجاج، واسم العجاج عبد الله وكنيته: أبو الجحاف، من أهل البصرة، توفي سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة. انظر: التاريخ الكبير ٣٤٠/٣، و وفيات العيان ٣٠٥/٢.

حاصل الدراسة:

قرأ عاصم بالهمز، وقرأ الباقون ﴿ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ ﴾ ياجوج فاعول وماجوج فاعول أيضاً الياء فاء الفعل. وهما اسمان أعجميان لم ينصرفا للعجمة والتعريف ويجوز همزهما وترك همزهما وقيل هما عربيان فيأجوج يفعول مثل يربوع ومأجوج مفعول مثل معقول وكلاهما من أج الظليم اذا أسرع أو من أجت النار إذا التهبت ولم ينصرفا للتعريف والتأنيث[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنهما قراءتان متواترتان من القراءات السبع.

قاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٥٤٢/٣، وإبراز المعاني ٥٧٦/٢.

(٢) الحجة لابن زنجلة ص٤٣٢، وإملاء ما من به الرحمن١٠٨/٢.

(٣) مجموع الفتاوى٣٩١/١٣، والنشر ١٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٨٩/١.

قال تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ [١]

١٥٧- مسألة: ما هي أوجه اختلاف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أصلها: استطاعوا، فلما اجتمع الحرفان المتقاربان حذف الأكثرون التاء؛ طلباً للخِفَّة.

القول الثاني: قرأ بتشديد الطاء على إدغام التاء فيها.

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ ﴾ أصلها: استطاعوا، فلما اجتمع الحرفان المتقاربان حذف الأكثرون التاء؛ طلباً للخِفَّة.

وقرأ حمزة بتشديد الطاء على إدغام التاء فيها[٢]، **وفيه بُعدٌ**؛ لما يستلزم من اجتماع الساكنين[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أصلها: استطاعوا، فلما اجتمع الحرفان المتقاربان حذف الأكثرون التاء؛ طلباً للخِفَّة[٤].

وممن قال به:

---

(١) سورة الكهف آية: ٩٧.

(٢) الحجة للفارسي٥/١٧٩، والحجة لابن خالويه١/٢٣٢، والحجة لابن زنجلة ص٤٣٥، والكشف ٢/٨٠، والنشر في القراءات العشر٢/٢٤٠، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢٧، والسبعة في القراءات ص٤٠١.

(٣) رموز الكنوز ٤/٣٧٠.

(٤) جامع البيان ١٥/٤١١، ومعاني القرآن للزجاج٣/٣١٢، والبسيط١٤/١٥١، والمحرر الوجيز٣/٥٤٣، وإملاء ما من به الرحمن٢/١٠٩، والدر المصون٧/٥٤٩، وفتح القدير ٣/٣١٣.

١- بعض نحوي البصرة والخليل وسيبويه.

٢- ابن مجاهد، الزجاج، والواحدي[١].

واستدلوا:

بقول ابن مجاهد: كلهم قرأ ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ ﴾ بتخفيف الطاء، غير حمزة فإنه قرأ (فما اسطّعوآ) مشددة الطاء يريد فما استطاعوا ثم يدغم التاء في الطاء، وهذا غير جائز؛ لأنه قد جمع بين السين وهى ساكنة والتاء المدغمة وهى ساكنة[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: والحذف في اسطاع أولى[٣].

ب- قال العكبري: قوله تعالى: (فما اسطاعوا) يقرأ بتخفيف الطاء أي استطاعوا وحذف التاء تخفيفاً ويقرأ بتشديدها وهو بعيد لما فيه من الجمع بين الساكنين [٤]

ج- قال الشوكاني: وقرأ حمزة وحده (فما اسطّاعوا) بتشديد الطاء كأنه أراد استطاعوا فأدغم التاء في الطاء، وهى قراءة ضعيفة الوجه. قال أبو على الفارسي هي غير جائزة[٥].

القول الثاني: قرأ بتشديد الطاء على إدغام التاء فيها[٦].

وممن قرأ به: حمزة.

---

(١) معاني القرآن للزجاج٣/٣١٢، والبسيط١٤/١٥٢.

(٢) السبعة في القراءات ص٤٠١.

(٣) البسيط ١٤/١٥٢.

(٤) إملاء ما من به الرحمن٢/١٠٩.

(٥) فتح القدير ٣/٣١٣.

(٦) معاني القرآن للزجاج٣/٣١٢، والبسيط١٤/١٥١، والمحرر الوجيز٣/٥٤٣، وإملاء ما من به الرحمن٢/١٠٩، والدر المصون٧/٥٤٩، وفتح القدير ٣/٣١٣.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قال الخليل وسيبويه أسطاع يسطيع فجعلها من القطع، كأنها أطاع يطيع فجعل السين عوضاً من إسكان الواو[١].

٢- من العرب من يقول: فما استاعوا بغير طاء، قال الزجاج: ولا تجوز القراءة بها[٢].

٣- قرأ الأعشى عن ابي بكر "اصطاعوا" بإبدال السين صاداً[٣].

حاصل الدراسة:

اختلف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ ﴾ فقراءة الجماعة بحذف التاء، وروي عن حمزة إدغامها في الطاء.

قال الزجاج: فأما من قرأ فما اسطَّاعوا –بإدغام السين في الطاء- فلاحِنٌ مخطئ. زعم ذلك النحويون، الخليل ويونس وسيبويه، وجميع من قال بقولهم. وحُجَّتُهم في ذلك أن السين ساكنة فإذا أدغمت التاء صارت ساكنة، ولا يجمع بين ساكنين.

ومن قال: اطرح حركة التاء على السين فأقول: فما اسطاعوا فخطأ أيضاً، لأن سين استفعل لم تُحرَّك قط[٤].

وأقول: إن طعنهم في قراءة حمزة –رحمه الله- مردود، فهي قراءة متواترة، والجمع بين الساكنين في هذا سائغ، جائز، مسموع في مثله فقد ذكر ابن الجزري في "النشر" عن أبي عمرو قوله: ومما يقوي ذلك ويسوغه أن الساكن الثاني لما كان اللسان عنده يرتفع عنه وعن المدغم ارتفاعة واحدة صار بمنزلة حرف متحرك، فكأن الساكن الأول قد ولى متحركاً[٥].

---

(١) جامع البيان ٤١١/١٥، ومعاني القرآن للزجاج٣١٢/٣، وتهذيب اللغة٦٧/٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣١٢/٣.

(٣) البحر المحيط١٦٥/٦، والكشاف٦٩٨/٢، والمحرر الوجيز٥٤٣/٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج٣١٢/٣.

(٥) النشر في القراءات العشر ٢٤٠/٢.

وذكر في "غيث النفع: أن منع الجمع بين الساكنين أصل مختلف فيه عند أهل العربية[١]. والقراءة لا تتبع العربية، بل العربية تتبع القراءة؛ لأنها مسموعة من أفصح العرب وهو النبي ﷺ وأصحابه من بعده.

وقال ابن الحاجب: إذا اختلف النحويون والقراء كان المصير على القراء أولى؛ لأنهم ناقلون عمن ثبتت عصمته من الغلط، ولأن القراءة ثبتت تواتراً وما نقله النحويون آحاد[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنهما قراءتان متواترتان، من القراءات السبع.

قاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٣].

---

(١) غيث النفع أبو الحسن علي بن سالم الصفاقسي ص٤٤٦-٤٤٧.

(٢) المحرر الوجيز٣/٥٤٣، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٢٢٧، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٨٠.

(٣) مجموع الفتاوى١٣/٣٩١، والنشر ١/١٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٨٩.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾ [١]

١٥٨- مسألة: ما هي القراءات في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مددا[٢].

القول الثاني: مِداداً[٣].

قال الرسعني:

وقرأ جماعة منهم ابن عباسﷺ ومجاهد وقتادة في آخرين:" ولو جئنا بمثله مِداداً"، وهما بمعنى واحد.

والقراءة المشهورة أحسن؛ لاتفاق المقاطع عند أواخر الآي[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "مَددا" بفتح الميم.

وهي قراءة العامة[٥].

القول الثاني: مِداداً.

وممن قال به:

١- قرأ ابن مسعود، وابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والأعمش

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٩.

(٢) الدر المصون ٥٥٨/٧، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٤/١، وفتح القدير٣١٨/٣، وروح المعاني ٥٢/١٦.

(٣) الدر المصون ٥٥٨/٧، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٤/١، وفتح القدير٣١٨/٣، وروح المعاني ٥٢/١٦.

(٤) رموز الكنوز٣٨٢/٤.

(٥) الدر المصون ٥٥٨/٧، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٤/١، وفتح القدير٣١٨/٣، وروح المعاني ٥٢/١٦.

بخلاف، والتيمي، وابن محيصن، والمطوعي، وحميد، وأبو رجاء، والحسن في رواية، وأبو عمرو، وحفص كذلك أيضا "مِداداً" بألف بين الدالين وكسر الميم[١]. وهو كذلك في مصحف أبي[٢].

٢- ابن الجوزي.

واستدلوا بما يلي:

أنه مثل قوله تعالى: ﴿ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴾ [٣].

ومن أقوالهم:

قال ابن الجوزي: بعد ذكره للأقوال: وقراءة الأولين أبين حجة وأوضح منهاجاً[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قرأ "مِددا" بكسر الميم، ونصبه على التمييز[٥]. على أنه جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به[٦].

وقرأ بها الأعمش، ونسب أبو حيان القراءة إلى الأعرج[٧]. كقوله:

وإن خفت يوماً أن يلجَّ بك الهوى فإن الهوى يكفيكه مثلُه صبرا [٨]

حاصل الدراسة:

قال ابن الأنباري: لما كان الثاني آخر آية وأواخر الآيات هاهنا أتت على الفعل والفعل كقوله: نزلاً، هزواً، حولاً كان قوله: مددا أشبه بهؤلاء الألفاظ من المداد. واتفاق

---

(١) الدر المصون ٥٥٨/٧، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٤/١، وفتح القدير٣١٨/٣، وروح المعاني ٥٢/١٦.

(٢) فتح القدير٣١٨/٣.

(٣) سورة نوح آية: ١٧.

(٤) زاد المسير٣/ ١١٤.

(٥) الدر المصون٥٥٨/٧.

(٦) روح المعاني ٥٢/١٦.

(٧) البحر المحيط١٦٠/٦.

(٨) البيت للرماح بن أبرد. انظر: البحر المحيط١٦٠/٦، والدر المصون٥٥٨/٧.

المقاطع عند أواخر الآي وانقضاء الأبيات وتمام السجع والنثر أخف على الألسن وأحلى موقعاً في الأسماع فاختلفت اللفظتان لهذه العلة. ومن قرأها "مدادا" حملوها على الأولى، ولم ينظروا إلى المقاطع[١].

والقراءة مداداً بكسر الميم وألف بين الدالين، ونصبه على التمييز أو على المصدر كما نقل عن الرازي، بمعنى: ولو أمددناه بمثله إمدادا، ثم ناب المدد مناب الإمداد مثل: ﴿ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴾ [٢]. وهو مثله في المعنى[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القراءتان صحيحتان ولهما نفس المعنى، وقراءة (مددا) أشهر.

قاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٤].

---

(١) زاد المسير٣/١١٤.

(٢) سورة نوح آية: ١٧.

(٣) إملاء ما من به الرحمن٢/١٠٩، وإتحاف فضلاء البشر ١/٣٧٤.

(٤) مجموع الفتاوى١٣/٣٩١، والنشر ١/١٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٨٩.

قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [١]

١٥٩- مسألة: ما المراد بقول مريم: ﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أي: مخلصاً مطيعاً لله[٢].

القول الثاني: إن تقياً رجل كان معروفاً فيهم بالفجور[٣].

قال الرسعني:

قال ابن عباسﷺ: لما رأت جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد فقالت: ﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ أي: مطيعاً لله[٤].

والمعنى: إن كنت تقياً فستنتهي بتعوّذي منك بالله.

قال علي عليه السلام: علمت أن التقي ذو نهية[٥].

وفي قراءة علي وابن مسعودﷺ:"إلا أن تكون تقياً"[٦].

قال ابن الأنباري والماوردي: إن تقياً رجل كان معروفاً فيهم بالفجور، فظنته هو.

والأول هو التفسير الصحيح[٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة مريم آية: ١٨.

(٢) جامع البيان١٥/٤٨٧، ومعاني القرآن للزجاج٣/٣٢٣، والبسيط١٤/٢١٤، ومعالم التنزيل٣/٧٨، ومفاتيح الغيب٢١/ ١٦٩، والمحرر الوجيز٤/٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٢٢٧.

(٣) النكت والعيون ٣/٣٦٣، وزاد المسير٣/١٢٤، والمحرر الوجيز٤/٩.

(٤) الوسيط٣/١٧٩.

(٥) ذكره البخاري في صحيحه من قول أبي وائل، كتاب التفسير، (١٩)سورة كهيعص.

(٦) زاد المسير٣/١٢٤.

(٧) رموز الكنوز٤/٤٠٣.

القول الأول: أي: مخلصاً مطيعاً لله. وإن كنت تخاف الله، تذكيراً له[١].

وممن قال به:

١- ابن عباس، وعليﷺ، أبو وائل، والحسن[٢].

٢- الطبري، والزجاج، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والرازي، وابن كثير[٣].

واستدلوا بما يلي :

قال أبو وائل: وذكر قصص مريم، فقال:قد علمت أن التقيَّ ذو نُهيةٍ حين قالت: ﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: تأويله إني أعوذ بالله منك، فإن كنت تقيا فستتعظ بتعوذي بالله منك[٥].

ب- قال الشوكاني: أي: ممن يتقي الله ويخافه وقيل إن تقيا اسم رجل صالح فتعوذت منه تعجباً، وقيل: إنه اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت، والأول أولى[٦].

القول الثاني: إن تقياً رجل كان معروفاً فيهم بالفجور[٧].

وممن قال به:

حكي عن ابن عباسﷺ، ووهب بن منبه، وابن الأنباري، وحكي عن مكي،

---

(١) الوسيط٣/١٧٩، والتسهيل ٣/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٢٢٧.

(٢) جامع البيان١٥/٤٨٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٢٢٧،

(٣) جامع البيان١٥/٤٨٧، ومعاني القرآن للزجاج٣/٣٢٣، والبسيط١٤/٢١٤، ومعالم التنزيل٣/٧٨، ومفاتيح الغيب٢١/ ١٦٩، والمحرر الوجيز٤/٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٢٢٧.

(٤) جامع البيان١٥/٤٨٧.

(٥) معاني القرآن للزجاج٣/٣٢٣.

(٦) فتح القدير٣/٣٢٨.

(٧) النكت والعيون ٣/٣٦٣، وزاد المسير٣/١٢٤، والمحرر الوجيز٤/٩، والتسهيل ٣/٣.

والماوردي[١].

حاصل الدراسة:

المعنى إن كنت تتقي الله فستنتهي بتعوذي منك. هذا هو القول عند المحققين، ويؤيده ما ذكره البخاري في صحيحه.

وحُكي أنه كان في زمانها رجل اسمه تقي، وكان فاجراً فلما رأته متسوراً عليها فظنته إياه فاستعاذت بالرحمن منه. وضعف هذا القول ابن عطية،قال: وهو ضعيف ذاهب مع التخرص، وابن جزي الكلبي قال: وهذا ضعيف وبعيد. ولم يرد بهذا نص يعتمد عليه[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد أي: مخلصاً مطيعاً لله. وهو قول جمهور المفسرين وترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة[٣].

---

(١) النكت والعيون ٣٦٣/٣، وزاد المسير١٢٤/٣، والمحرر الوجيز٩/٤.

(٢) زاد المسير١٢٤/٣، والمحرر الوجيز٩/٤، والتسهيل ٣/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٥، والمحرر الوجيز ١٢٨/١، ومفاتيح الغيب ١١٥/٣، وأضواء البيان ٢٠٦/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ [١]

١٦٠– مسألة: هل الاستغفار مشروط بالإيمان، أو على إطلاقه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: وعده بالاستغفار بشرط الإيمان[٢].

القول الثاني: وعده بالاستغفار مطلقاً، ولم يكن محظوراً عليه بعد[٣].

قال الرسعني:

قال أكثر المفسرين: وعده بالاستغفار بشرط الإيمان.

والأظهر في نظري: أنه وعده الاستغفار مطلقاً، ولم يكن ذلك محظوراً عليه بعد. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [٤]. فلو كان ذلك مقروناً بشرط الإيمان لم يسثن عما وجبت فيه الأسوة[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: وعده بالاستغفار بشرط الإيمان[٦].

وممن قال به: الواحدي، وابن عطية، والخازن[٧].

واستدلوا بما يلي :

---

(١) سورة مريم آية: ٤٧.

(٢) الكشاف٣/٢٣، والبسيط١٤/٢٥٩، والمحرر الوجيز، ولباب التأويل٣/١٥٥، والنكت والعيون٣/٣٧٥.

(٣) الكشاف٣/٢٣، والنكت والعيون٣/٣٧٥، وأضواء البيان٣/٤٢٨.

(٤) سورة الممتحنة آية: ٤.

(٥) رموز الكنوز ٤/٤٢٧.

(٦) الكشاف٣/٢٣، والبسيط١٤/٢٥٩، والمحرر الوجيز، ولباب التأويل٣/١٥٥، والنكت والعيون٣/٣٧٥.

(٧) البسيط١٤/٢٥٩، والمحرر الوجيز٤/١٩، ولباب التأويل٣/١٥٥.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [١]. عندما انعدم التوحيد، لم يستغفر له.

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: سأدعو لك ربي بالمغفرة والتوبة، وذلك أنه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله في بابه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له، واستغفاره له يتضمن مسألة التوحيد؛ لأنه لا يغفر له ما ثبت على شركه، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [٢].

ب- قال ابن عطية: معناه سأدعو الله تعالى في أن يهديك فيغفر لك بإيمانك[٣].

القول الثاني: وعده بالاستغفار مطلقاً، ولم يكن عليه بعد[٤].

وممن قال به: الشنقيطي[٥].

واستدلوا بما يلي:

قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [٦]. فلو كان ذلك مقروناً بشرط الإيمان لم يستثن عما وجبت فيه الأسوة.

حاصل الدراسة:

بين في سورة (الممتحنة) أن الاستغفار للمشركين مستثنى من الأسوة بإبراهيم،

---

(١) سورة التوبة آية: ١١٤.

(٢) البسيط١٤/٢٥٩.

(٣) المحرر الوجيز٤/١٩.

(٤) الكشاف٣/٢٣، والنكت والعيون٣/٣٧٥، وأضواء البيان٣/٤٢٨.

(٥) أضواء البيان٣/٤٢٨.

(٦) سورة الممتحنة آية: ٤.

والأسوة الإقتداء، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ ، أي: فلا أسوة لكم في إبراهيم في ذلك. ولما ندم المسلمون على استغفارهم للمشركين حين قال فيهم : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [١] بيَّن الله تعالى أنهم معذورون في ذلك. لأنه لم يبين لهم منع ذلك قبل فعله، وذلك في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [٢] [٣].

وقيل: أراد اشتراط التوبة عن الكفر، كما ترد الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الإيمان، وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب. وقالوا: إنما استغفر له بقوله: ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [٤]؛ لأنه وعده أن يؤمن. واستشهدوا عليه بقوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [٥]

ولو كان شارطاً للإيمان لم يكن مستنكراً ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة[٦].

المناقشة والترجيح:

الراجح: وعده بالاستغفار مطلقاً، ولم يشترط الإيمان في حق إبراهيم لأبيه، لأنه لم يبين لهم منع ذلك قبل فعله.

---

(١) سورة التوبة آية: ١١٣.

(٢) سورة التوبة آية: ١١٥.

(٣) أضواء البيان٣/٤٢٨.

(٤) سورة الشعراء آية: ٨٦.

(٥) سورة التوبة آية: ١١٤.

(٦) الكشاف٣/٢٣.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[1].

(1) جامع البيان ٥٠٧/١٩، ومعالم التنزيل٣٥/١، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، ومفاتيح الغيب٣٤/١٠، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٣١٢/١.

قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [١]

١٦١- مسألة: من القائل في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: قول جبريل[٢].

القول الثاني: قول أهل الجنة إذا دخلوها[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ أخبرنا المؤيد بن محمد في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أخبرنا محمد بن علي القفال، أخبرنا إسحاق بن محمد بن إسحاق الرسعني، حدثنا جدي، حدثنا المغيرة، حدثنا عمر بن ذر[٤]، عن أبيه[٥]، عن سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النبي ﷺ قال: يا جِبْرِيلُ! ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا، فَنَزَلَ: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ ...الْآيَةِ كلها. قال: وكان هذا

---

(١) سورة مريم آية: ٦٤.

(٢) جامع البيان ٥٨٠/١٥، وتفسير القشيري٢٤٦/٢، والبسيط٢٧٩/١٤، ومعالم التنزيل٩٧/٣، والجامع لأحكام القرآن١٢٩/١١، والتسهيل ٧/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٧٤/٩، وإرشاد العقل السليم ٢٧٣/٥، وفتح القدير٣٤٢/٣.

(٣) زاد المسير ١٤٠/٣، ومفاتيح الغيب ٢٠٤/٢١، والجامع لأحكام القرآن١٢٩/١١، وفتح القدير٣٤٢/٣.

(٤) هو: عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي، أبو ذر الكوفي، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة. انظر: تهذيب التهذيب ٣٩٠/٧، وتقريب التهذيب ص٤١٢.

(٥) هو: ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي، أبو عمر الكوفي، توفي قبل المائة. انظر: تهذيب التهذيب١٨٩/٣، وتقريب التهذيب ص٢٠٣.

جَوَاباً لِمُحَمَّدٍ ﷺ"[١].

وأخبرني به أيضاً الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبد الله، وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبد الله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا أبو نُعَيْمٍ، حدثنا عُمَرُ بن ذَرٍّ قال: سمعت أبي، عن سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ، عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ عليه السلام:" ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ "[٢]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

وقال مجاهد: أبطا الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال: لعلّي أبطات، فقال: قد فعلت، فقال: ومالي لا أفعل وأنتم لا تتسوّكون، ولا تقصّون أظفاركم ولا تُنَقُّون براجمكم، فنزلت هذه الآية[٣].

قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في فصول ظهور الأصابع تبدو إذا جمعت، وتُغمض إذا بسطت. والرَّوَاجِب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين راجبة[٤].

وفي مدة احتباس جبريل عن رسول الله ﷺ أقوال:

أحدها: أربعون ليلة. قاله عكرمة ومقاتل[٥].

والثاني: اثنتا عشرة ليلة. قاله مجاهد[٦].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب (٢٨)، ح(٧٤٥٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ ، ح(٤٧٣١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١/١٥٧،ح١٨٠٥، وابن أبي حاتم ٧/٢٤١٤، وأسباب النزول للواحدي ص٤٩٤.

(٤) زاد المسير٣/١٤٠.

(٥) تفسير مقاتل٢/٣١٧.

(٦) أخرجه الطبري١٥/٥٨٠.

والثالث: أربعون يوماً.

والرابع: خمسة وعشرون يوماً.

والذي أشرنا إليه من سبب النزول **هو القول المعتمد عليه**. وقد نقل جماعة-منهم الماوردي[١]- أن قوله: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ حكاية قول أهل الجنة إذا دخلوها، أي: وما نَتَنَزَّلُ هذه الجنات وما نتنزل موضعاً منها إلا بأمر الله[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: قول جبريل.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، والنخعي، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي[٣].

٢- الطبري، والثعلبي، والقشيري، والواحدي، والبغوي، وابن جزي الكلبي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني[٤].

واستدلوا : بسبب نزول الآية، عن سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النبي ﷺ قال: يا جِبْرِيلُ! ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا، فَنَزَلَ: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ ...الْآيَةِ كلها. قال: وكان هذا جَوَاباً لِمُحَمَّدٍ ﷺ"[٥].

ومن أقوالهم:

---

(١) النكت والعيون ٣٨١/٣.

(٢) رموز الكنوز٤٤٤/٤.

(٣) جامع البيان ٥٨٠/١٥، وزاد المسير ١٤٠/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٧٤/٩، وفتح القدير٣٤٢/٣.

(٤) جامع البيان ٥٨٠/١٥، وتفسير القشيري٢٤٦/٢، والبسيط٢٧٩/١٤، ومعالم التنزيل٩٧/٣، والجامع لأحكام القرآن١٢٩/١١، والتسهيل ٧/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٧٤/٩، وإرشاد العقل السليم ٢٧٣/٥، وفتح القدير٣٤٢/٣.

(٥) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب (٢٨)، ح(٧٤٥٥).

قال الشوكاني: قوله: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ ﴾ حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين استبطأه رسول الله ﷺ. وقيل: إن هذا حكاية عن أهل الجنة، وأنهم يقولون عند دخولها وما نتنزل هذه الجنان إلا بأمر ربك، والأول أولى بدلالة ما قبله[١].

القول الثاني: قول أهل الجنة إذا دخلوها. والمعنى: ما ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله[٢].

وممن قال به: ابن بحر، والماوردي[٣].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ فيه قولان: حكى الماوردي أنه قول أهل الجنة، والمعنى: إننا لا ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله.

وقيل: أنه قول جبريل عليه السلام، لما ذكر أن جبريل أبطأ على النبي ﷺ، وعلى هذا يحتمل وجهين: أحدهما: إذا أُمِرْنَا نزلنا عليك. والثاني: إذا أَمَرَكَ ربك نَزَّلَنا عليك الأمر على الوجه الأول متوجهاً إلى النزول، وعلى الثاني متوجهاً إلى التنزيل.

وظاهر الآية خطاب جماعة لواحد وذلك لا يليق إلا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه قول جبريل عليه السلام، وهو ما يشهد له سبب النزول في صحيح البخاري، وهو ظاهر الآية.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٥].

---

(١) فتح القدير٣/٣٤٢.

(٢) زاد المسير ٣/١٤٠، ومفاتيح الغيب ٢١/٢٠٤، والجامع لأحكام القرآن١١/١٢٩، وفتح القدير٣/٣٤٢.

(٣) النكت والعيون٣/٣٨١.

(٤) مفاتيح الغيب ٢١/٢٠٤، والجامع لأحكام القرآن١١/١٢٩، والنكت والعيون٣/٣٨٢.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى

القاعدة: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[1].

٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٤٨/١، وأحكام القرآن لابن العربي ١٤٣/١، والمحرر الوجيز ٤٩٨/٢، والجامع لأحكام القرآن١٢١/٥، وفتح القدير ١٦/٤، وأضواء البيان ٢٣٠/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٤١/١.

قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾[١]

١٦٢- مسألة: ما معنى جثيا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: جمع جاثٍ، من قولهم جثا على رُكبتيه[٢].

القول الثاني: جمع جثو، هو ما جمع من التراب والحجارة، على معنى: يحشرون جماعات[٣].

القول الثالث: قياماً على ركبهم[٤].

قال الرسعني:

قوله: ﴿ جِثِيًّا ﴾ نصب على الحال، وهو جمع جاثٍ، مثل: باكٍ وبكيّ، من قولهم: جثا على رُكبتيه يجثُو جُثُوّاً[٥].

وقيل: هو جمع جثو، بكسر الجيم وضمها، وهي ما جمع من التراب والحجارة، على معنى: يحشرون جماعات.

والمعنيان مرويان عن ابن عباس رضي الله عنه.

والمعنى الأول **أظهر وأشهر**.

---

(١) سورة مريم آية: ٦٨.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٣/١، ومعاني القرآن للزجاج٣٣٨/٣، ومعالم التنزيل٩٨/٣، والمحرر الوجيز٢٦/٤، واللباب في علوم الكتاب١٠٩/١٣، والدر المصون٦٢٠/٧.

(٣) النكت والعيون٣٨٣/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٣٣/١١، والكشف والبيان٢٢٤/٦، ولباب التأويل٢٥٤/٤.

(٤) البسيط٢٨٧/١٤، وزاد المسير١٤٢/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٧٨/٩.

(٥) لسان العرب مادة: (جثا) ١٣١/١٤.

قال مجاهد: يحضرون مُستوفِزين[١] على الركب[٢].

وقال السدي: قياماً على الرُّكب، وذلك لضيق المكان بهم[٣].[٤]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: جمع جاثٍ، من قولهم جثا على رُكبتيه.

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، ومجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة، وأبو عبيدة، والزجاج، والشنقيطي[٥].

واستدلوا بما يلي :

١- قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ [٦]

٢- قال مجاهد: يحضرون مُستوفِزين على الركب[٧].

ومن أقوالهم:

قال الشنقيطي: إنه جثيهم على ركبهم وهو الظاهر، وهو قول الأكثرين، وهو الاطلاق المشهور في اللغة[٨].

---

(١) مستوفزين: استوفَزَ في قِعدَتِه إذا قعد قُعوداً منتصباً غير مطمئن. انظر: لسان العرب مادة: وفز.

(٢) الوسيط٣/١٩٠، وزاد المسير٣/١٤٢.

(٣) زاد المسير٣/١٤٢، وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم في الدر٥/٥٣٣.

(٤) رموز الكنوز٤/٤٤٨.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٧٣، ومعاني القرآن للزجاج٣/٣٣٨، ومعالم التنزيل٣/٩٨، والمحرر الوجيز٤/٢٦، واللباب في علوم الكتاب١٣/١٠٩، والدر المصون٧/٦٢٠، وأضواء البيان ٣/٤٧٥.

(٦) سورة الجاثية آية: ٢٨.

(٧) الوسيط٣/١٩٠، والبسيط١٤/٢٨٧، وزاد المسير٣/١٤٢.

(٨) أضواء البيان ٣/٤٧٥.

القول الثاني: جمع جثو، هو ما جمع من التراب والحجارة، على معنى: يحشرون جماعات[١].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، ومقاتل، والكلبي، والأخفش[٢].

واستدلوا بما يلي:

١- منه قول طرفة[٣]:

ترى جُثوتَينِ من تُرابٍ عليهما صفائح صُمٌّ من صفيحٍ مُنضَّدِ[٤]

القول الثالث: قياماً على ركبهم[٥].

وممن قال به: ابن مسعودﷺ، والسدي[٦].

واستدلوا بما يلي:

قال السدي: قياماً على الرُّكب، وذلك لضيق المكان بهم[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قعوداً. رواه العوفي عن ابن عباسﷺ [٨].

---

(١) معالم التنزيل٣/٩٨، وزاد المسير ١٤٢/٣، والجامع لأحكام القرآن١١/١٣٣، والبحر المحيط ٦/٢٠٨.

(٢) النكت والعيون٣/٣٨٣، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٣٣، والكشف والبيان٦/٢٢٤، ولباب التأويل٤/٢٥٤.

(٣) هو: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، كان شاعراً جريئاً على الشعر. انظر: طبقات فحول الشعراء١/١٣٧، وأبجد العلوم ٣/٨٩.

(٤) هذا بيت لطرفة بن العبد من قصيدة قالها يصف قبري اخوين غني وفقير. انظر: تهذيب اللغة (جثا) ١١/١١٧، ولسان العرب (جثا)١٤/١٣٢، شرح المعلقات السبع للزوزني ص٦١.

(٥) معالم التنزيل٣/٩٨، ولباب التأويل٤/٢٥٤.

(٦) البسيط١٤/٢٨٧، وزاد المسير٣/١٤٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٢٧٨.

(٧) البسيط١٤/٢٨٧، وزاد المسير٣/١٤٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٢٧٨، والدر المنثور٥/٥٣٣ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٨) جامع البيان١٥/٥٨٧، وزاد المسير٣/١٤٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٢٧٨.

٢- قياماً. قاله أبو مالك[١].

٣- بُروكاً على الرُّكَب، قاله عطية[٢].

حاصل الدراسة:

الجثى جمع جاث، والجاثي اسم فاعل جثا يجثو جثواً. وجثى يجثي جثياً: إذا جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه. وهو منتصب على الحال أي: جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب، أو لكون الجثي على الركب شأن أهل الموقف كما في قوله سبحانه: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ ، ووصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات، وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الأمور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثواً. ولأنَّ البارك على ركبتيه صورته الذليل، أو صورة العاجز.

وقال ابن عاشور: وهذا الجثو هو غير جثوّ الناس في الحشر المحكيّ بقوله تعالى:﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ فإن ذلك جثوّ خضوع لله، وهذا الجثوّ حول جهنّم جثوّ مذلّة[٣].

ومعنى الآية: أنه جثيهم على ركبهم، وهو الإطلاق المشهور في اللغة.

وعن ابن عباسﷺ أن معناه جماعات. وهي الحجارة المجموعة والتراب المجموع. فأهل الخمر يحضرون حول جهنم على حدة، وأهل الزِّنى على حدة؛ وأهل السرقة على حدة؛ وهكذا. ومن هذا المعنى قول طرفة بن العبد في معلقته.

ولكنه يرد عليه أن فعلة كجثوة لم يعهد جمعها على فعول كجثى[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه جثيهم على ركبهم، وهو الإطلاق المشهور في اللغة.

---

(١) زاد المسير٣/١٤٢.

(٢) النكت والعيون٣/٣٨٣.

(٣) التحرير والتنوير١٦/١٤٧.

(٤) الكشاف ٣/٣٥، ولباب التأويل٤/٢٥٤، والدر المصون٧/٦٢٠، واللباب في علوم الكتاب١٣/١٠٩، وفتح القدير٣/٣٤٣، وأضواء البيان٣/٤٧٥.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[١].

القاعدة: القول الذي تؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية[٢].

---

(١) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

(٢) الكشاف ٦٣٧/٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٤٨/١، ٢١٠/٤، ومجموع الفتاوى ٢٢٦/١٧، والبحر المحيط ١٠٤/٦، والتسهيل ٩/١، وقواعد التفسير عند المفسرين ٥١١/٢.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [١]

١٦٣- مسألة: فيمن عُني بهذا الخطاب في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه عام في حق المؤمن والكافر[٢].

القول الثاني: الخطاب للكفار[٣].

قال الرسعني:

ثم التفت فقال: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ ﴾ أي: وما منكم أيها المؤمنون والكافرون من أحد ﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ أي: داخل النار. هذا قول الأكثرين.

ويروى عن ابن عباسﷺ: أن الخطاب للكفار[٤].

والأول أصح؛ لما أخبرنا أبو علي بن عبد الله بن الفرج في كتابه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي، أخبرنا أبو بكر ابن مالك، حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا سليمان بن حرب[٥]،

---

(١) سورة مريم آية ٧١.

(٢) جامع البيان١٥/٦٠١، والنكت والعيون٣/٣٨٤، والبسيط١٤/٢٩٤، ومعالم التنزيل ٣/١٠٠، والمحرر الوجيز ٤/٢٧، وزاد المسير٣/١٤٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٣٨، ولباب التأويل ٤/٢٥٥.

(٣) جامع البيان١٥/٦٠١، والنكت والعيون ٣/٣٨٤، والبسيط١٤/٢٩٤، ومعالم التنزيل ٣/١٠٠، والمحرر الوجيز ٤/٢٧، وزاد المسير٣/١٤٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٣٨، ولباب التأويل ٤/٢٥٥.

(٤) أخرجه الطبري١٥/٥٩٢، وزاد المسير٣/١٤٣.

(٥) هو: سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي الواشحي، أبو أيوب البصري، سكن مكة وكان قاضيها، ثقة إمام حافظ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة. انظر: تهذيب التهذيب٤/١٥٧، وتقريب التهذيب ص٢٥٠.

حدثنا غالب بن سليمان[١]، عن كثير بن زياد البرساني[٢]، عن أبي سمية قال:" اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً، ثم يُنجّي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فقلتُ له: إنا اختلفنا في الورود، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعت النبي ﷺ يقول: الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بَرداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم، حتى قال: إن للنار – أو قال: لجهنم- ضجيجاً من بردهم، ثم يُنَجِّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جِثِيّاً"[٣].

وروى يعلى بن مُنيَة[٤] – وهذا اسم أمه، واسم أبيه: أن رسول الله ﷺ قال:" تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جِز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي"[٥].

وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال:" ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد فيدخل النار إلا تحلّة القسم، ثم قرأ: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ "[٦].

وكان الحسن البصري يقول: كيف لا يحزن المؤمن وقد حُدّث عن الله أنه وارد جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها[٧].

---

(١) هو: غالب بن سليمان العتكي الجهضمي، أبو صالح، ويقال: أبو سلمة الخراساني البصري، ثقة. انظر: تهذيب التهذيب ٢١٧/٨، وتقريب التهذيب ص٤٤٢.

(٢) هو: كثير بن زياد، أبو سهل البرساني الزدي العتكي البصري، ثقة من أكابر أصحاب الحسن، سكن بلخ، وثقه ابن معين وغيره. انظر: تهذيب التهذيب ٣٧٠/٨، وتقريب التهذيب ص٤٥٩.

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٨/٣ ح(١٤٥٦٠).

(٤) هو: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة واسمه عبيد، ويقال: زيد بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، أبو خلف، ويقال: أبو خالد، ويقال: أبو صفوان المكي، حليف قريش، وهو يعلى بن منية وهي أمه، ويقال: جدته، صحابي مشهور، شهد الطائف وحنيناً وتبوك مع النبي ﷺ ، وكان عامل عمر بن الخطاب على نجران، مات سنة بضع وأربعين. انظر: تهذيب التهذيب ٣٥٠/١١، وتقريب التهذيب ص٦٠٩.

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب ٣٤٠/١ ح٣٧٥، والطبراني في الكبير ٢٥٨/٢٢ ح٦٦٨.

(٦) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ح(١١٩٣).

(٧) جامع البيان٦٠٠/١٥، الوسيط١٩١/٣، وزاد المسير ١٤٣/٣.

وكان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أُخبرنا أنا واردها، ولم نُخبر أنا صادرون عنها.

وقال خالد بن معدان[١]: إذا دخل أهل الجنة قالوا: ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار؟ فيقال: بلى، ولكن مررتم بها وهي خامدة[٢].

وروي عن مجاهد أنه قال: الحمّى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [٣].

فهذا يُشعر أنه من حُمَّ من المؤمنين فقد ورد النار؛ لأن الحمى من فيح جهنم، وأنه قد أخذ بحظه منها.

والتفسير الصحيح هو المدلول عليه بالأخبار والآثار.

فإن قيل: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [٤]، وبقوله: ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾ [٥] والمؤمنون آمنون من الخزي؟

قلت: لا يلزم من ورود النار على الوجه الذي ذكرناه سماع حسيسها ولا الدخول على وجه الخزي، فإن ذلك إنما يكون إذا دخلها دخول تعذيب وخُلود، لا دخول وُرود[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) هو: خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي، أبو عبد الله الشامي الحمصي، تابعي ثقة عابد، مات سنة ثلاث ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ١٠٢/٣، وتقريب التهذيب ص١٩٠.

(٢) أخرجه الطبري٥٩٢/١٥، وزاد المسير ١٤٣/٣.

(٣) أخرجه الطبري٥٩٧/١٥، وزاد المسير١٤٣/٣.

(٤) سورة الأنبياء آية: ١٠١-١٠٢.

(٥) سورة آل عمران آية: ١٩٢.

(٦) رموز الكنوز ٤٥٠/٤-٤٥٣.

القول الأول: أنه عام في حق المؤمن والكافر[١].

وممن قال به:

١- ابن عباس، وجابر بن عبد اللهﷺ، ويعلى بن مُنية، وأبو ميسرة، والحسن البصري، وأبو مالك، وخالد بن معدان.

٢- الطبري، الماوردي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، وابن الجوزي، والخازن[٢].

واستدلوا بما يلي :

١- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:" ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد فيدخل النار إلا تحلّة القسم، ثم قرأ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ "[٣].

٢- عن أبي سمية قال:" اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعاً، ثم يُنجّي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فقلتُ له: إنا اختلفنا في الورود، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعت النبي ﷺ يقول: الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بَرداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم، حتى قال: إن للنار – أو قال: لجهنم- ضجيجاً من بردهم، ثم يُنَجِّي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جِثِيّاً"[٤].

٣- وروى يعلى بن مُنيَة– وهذا اسم أمه، واسم أبيه: أن رسول الله ﷺ قال:" تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جِز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي"[٥].

---

(١) النكت والعيون ٣٨٤/٣، وزاد المسير١٤٢/٣، والمحرر الوجيز ٢٧/٤، ولباب التأويل ٢٥٥/٤.

(٢) جامع البيان٦٠١/١٥، والنكت والعيون٣٨٤/٣، والبسيط٢٩٤/١٤، ومعالم التنزيل ١٠٠/٣، والمحرر الوجيز ٢٧/٤، وزاد المسير١٤٢/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٣٨/١١، ولباب التأويل ٢٥٥/٤.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ح(١١٩٣).

(٤) أخرجه أحمد ٣٢٨/٣ ح(١٤٥٦٠).

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب ٣٤٠/١ ح٣٧٥، والطبراني في الكبير ٢٥٨/٢٢ ح٦٦٨.

وكان الحسن البصري يقول: كيف لا يحزن المؤمن وقد حُدّث عن الله أنه وارد جهنم، ولم يأته أنه صادر عنها[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوي فيها الكفار وورود هموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلم ومكدس فيها[٢].

ب- قال البغوي: والأول أصح وعليه أهل السنة أنهم جميعاً يدخلون النار، ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ أي: اتقوا الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت[٣].

القول الثاني: الخطاب للكفار[٤].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وعكرمة[٥].

حاصل الدراسة:

قال الأكثر: المخاطب العالم كله، ولا بد من ورود الجميع عليه.

وقال عكرمة أنه يعني بذلك الكافرين يردونها دون المؤمن؛ وعلى هذا يكون قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ ﴾ أي: منهم. رداً على الآيات التي قبلها في الكفار: قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ

---

(١) جامع البيان١٥/٦٠٠، والوسيط٣/١٩١، وزاد المسير ٣/١٤٣.

(٢) جامع البيان ١٥/٦٠١.

(٣) معالم التنزيل٣/١٠٠.

(٤) جامع البيان١٥/٦٠١، والنكت والعيون ٣/٣٨٤، والبسيط١٤/٢٩٤، ومعالم التنزيل ٣/١٠٠، والمحرر الوجيز ٤/٢٧، وزاد المسير٣/١٤٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٣٨، ولباب التأويل ٤/٢٥٥.

(٥) زاد المسير٣/١٤٢، ومعالم التنزيل٣/١٠٠.

شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ . وقد عرف ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [1]ثم قال: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً ﴾ أي: لهم.

والقول أنه خطاب للمؤمن والكافر هو ما تشهد لصحته الآيات والحديث في صحيح البخاري والآثار[2].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المخاطب العالم كله المؤمن والكافر، ولا بد من ورود الجميع عليه. وهو قول الأكثرين.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[3].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[4].

---

(1) سورة الإنسان آية: ٢١.

(2) النكت والعيون ٣٨٤/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٣٨/١١.

(3) جامع البيان ٥٠٧/١٩، ومعالم التنزيل٣٥/١، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، ومفاتيح الغيب٣٤/١٠، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٣١٢/١.

(4) جامع البيان٤٤٩/١٦، وأحكام القرآن لابن العربي ١١٣/٣، والمحرر الوجيز ٢٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٢/٢٠، ومجموع الفتاوى ٢٧/١٣، والبحر المحيط ١٢٨/١، والتسهيل ٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٥٦/٢، وفتح القدير ١٢/١، وروح المعاني ٩٦/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٩١/١.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦ ﴾ [١]

١٦٤- مسألة: الآيات الثلاث السابقة هل هي ابتداء كلام الله تعالى، أو من قول السحرة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: من تمام قول السحرة[٢].

القول الثاني: ابتداء كلام من الله تعالى[٣].

قال الرسعني:

اختلف العلماء في هذه الآيات الثلاث؛ فقال قوم: هي من تمام الحكاية عنهم.

وقال آخرون: هي ابتداء خبر من الله تعالى. **وهو الذي يقوى في نظري**[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: من تمام قول السحرة[٥].

---

(١) سورة طه آية: ٧٤-٧٦.

(٢) معالم التنزيل٣/١٣٢، والكشاف٣/٧٨، والمحرر الوجيز٤/٥٣، والجامع لأحكام القرآن١١/٢٢٦، ولباب التأويل٤/٢٧٥، والبحر المحيط ٦/٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٣٢٦، وتفسير القرآن لابن كثير٩/٣٥٣.

(٣) بحر العوم٢/٤٠٦، ومعالم التنزيل٣/١٣٢، والكشاف٣/٧٨، والمحرر الوجيز٤/٥٣، ولباب التأويل٤/٢٧٥، والبحر المحيط ٦/٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٣٢٦.

(٤) رموز الكنوز٤/٥٤٣.

(٥) معالم التنزيل٣/١٣٢، والكشاف٣/٧٨، والمحرر الوجيز٤/٥٣، والجامع لأحكام القرآن١١/٢٢٦، ولباب التأويل٤/٢٧٥، والبحر المحيط ٦/٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٣٢٦، وتفسير القرآن لابن كثير٩/٣٥٣.

وممن قال به:

الطبري، وابن كثير [١].

ومن أقوالهم:

قال ابن كثير: الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلد فقالوا: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا ﴾[٢].

القول الثاني: ابتداء كلام من الله تعالى، وانتهى الإخبار عن السحرة[٣].

وقد ذكره المفسرون ولم يرجحه أحد.

حاصل الدراسة:

هذه الآيات الثلاث بجملتها من تمام كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه، فختموا كلامهم بشرح أحوال المجرمين وأحوال المؤمنين في عرصة القيامة.

وقيل: خبر من الله لا على وجه الحكاية لمحمد ﷺ، تنبيهاً على قبح ما فعل فرعون، وحسن ما فعل السحرة موعظة وتحذيراً.

ولا دليل يصرف الكلام عن ظاهر الآية في أنها من قول السحرة[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الآيات الثلاث من تمام كلام السحرة لفرعون، وهو قول جمهور المفسرين، وترجيح الرسعني.

---

(١) جامع البيان١٦/١١٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٣٥٣.

(٣) بحر العوم٢/٤٠٦، ومعالم التنزيل٣/١٣٢، والكشاف٣/٧٨، والمحرر الوجيز٤/٥٣، ولباب التأويل٤/٢٧٥، والبحر المحيط ٦/٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٣٢٦.

(٤) المحرر الوجيز٤/٥٣، والبحر المحيط ٦/٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٣٢٦.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[١].

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

(١) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤ ﴾[1]

١٦٥- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مُصطفِّين مجتمعين ليكون أنظم لكم وأشدّ لهيبتكم. فنصب"صفاً" على الحال[2].

القول الثاني: أي: إيتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم. فنصب"صفاً" على أنه مفعول به[3].

قال الرسعني:

﴿ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗا ﴾ مُصطفِّين مجتمعين ليكون أنظم لكم وأشدّ لهيبتكم. فنصب"صفاً" على الحال. وقيل: هو مفعول به، أي: إيتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم.

قال الزجاج: يقال: أتيتُ صفّاً، بمعنى: أتيتُ المصلَّى.

والأول أجود.

قال الحسن: كانوا خمسة وعشرين صفّاً[4].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: مُصطفِّين مجتمعين ليكون أنظم لكم وأشدّ لهيبتكم. فنصب"صفاً"

---

(1) سورة طه آية: ٦٤.

(2) مجاز القرآن لأبي عبيدة١/٧٦، والبسيط١٤/٤٥٥، وزاد المسير ٣/١٦٦، ولباب التأويل٤/٢٧٣، والدر المصون٨/٦٩، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٣٠٦.

(3) معاني القرآن للزجاج٣/٣٦٥، ولباب التأويل٤/٢٧٣، والدر المصون٨/٦٩.

(4) رموز الكنوز ٤/٥٣٤.

على الحال. فهو مصدر في الأصل[١].

وممن قال به:

١- ابن عباس في رواية عطاء، وابن قتيبة[٢].

٢- الماوردي، وأبو السعود، والألوسي[٣].

واستدلوا بما يلي :

قول الحسن: كانوا خمسة وعشرين صفّاً، كل ألف ساحر صف[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: قوله: ﴿ صَفًّا ﴾ حال، أي: مصطفين وتداعوا إلى هذا؛ لأنه أهيب وأظهر لهم[٥].

ب- قال الألوسي:﴿ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗا ﴾ أي: مصتفين أمروا بذلك؛ لأنه أهيب في صدور الرائين وأدخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين[٦].

القول الثاني: أي: إيتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم. فنصب"صفاً" على أنه مفعول به. ويقال: أتيت صفاً بمعنى أتيت المصلّى[٧].

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة١/٧٦، والبسيط١٤/٤٥٥، وزاد المسير ٣/١٦٦، ولباب التأويل٤/٢٧٣، والدر المصون٨/٦٩، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٣٠٦، وفتح القدير٣/٣٧٤.

(٢) تفسير مقاتل٢/٢٩١، وزاد المسير٣/١٦٦، والكشف والبيان٦/٢٥٢، ومعالم التنزيل٣/١٣٠، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢١.

(٣) النكت والعيون٣/٤١٢، وإرشاد العقل السليم ٦/٢٦، وروح المعاني١٦/٢٢٥.

(٤) زاد المسير٣/١٦٦.

(٥) المحرر الوجيز٤/٥١.

(٦) روح المعاني١٦/٢٢٥.

(٧) معاني القرآن للزجاج٣/٣٦٥، ولباب التأويل٤/٢٧٣، والدر المصون٨/٦٩.

وممن قال به: أبو عبيدة، والزجاج[١].

ومن أقوالهم:

قال أبو عبيدة: الصف المجمع، ويسمى المصلّى صفاّ، معناه: ثم ائتوا المكان الموعود[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أي: جميعاً، وهو قول مقاتل، والكلبي[٣].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗا ﴾ يقول احضروا وجيئوا صفاً. والصف ها هنا مصدر، ولذلك وُحِّد، ومعناه: ثم ائتُوا صُفوفاً. أي: مصطفين مجتمعين ليكون أنظم لأمورهم وأشد لهيبتهم وهذا قول جمهور المفسرين.

وللصف في كلام العرب موضع آخر، وهو قول العرب: أتيت الصف اليوم. يعني به المصلّى الذي يُصلّى فيه، أو الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: كلا المعنيين معروف في اللغة وذكره المفسرون، من غير تضعيف لأحد الأقوال، ولعل المراد مصطفين مجتمعين أقرب لمراد الآية، والله أعلم.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٥].

---

(١) معاني القرآن للزجاج٣/٣٦٥، ومعالم التنزيل٣/١٣٠، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٣٠٦.

(٢) معالم التنزيل٣/١٣٠.

(٣) معالم التنزيل٣/١٣٠، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٣٠٦.

(٤) جامع البيان ١٦/١٠٦، والمفردات في غريب القرآن ١/٢٨٢، ولسان العرب٩/١٩٤ مادة(صفف)، وفتح القدير٣/٣٧٤.

(٥) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

قال تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [1]

١٦٦- مسألة: من المشار إليه بالنسيان؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: موسى عليه السلام[2].

القول الثاني: السامري[3].

قال الرسعني:

قوله: ﴿ فَنَسِيَ ﴾ **الظاهر في التفسير**: أنه موسى. وقيل: السامري. رويا عن ابن عباس رضي الله عنه.

فإن قلنا: هو موسى؛ فالمعنى: فنسي موسى أن يخبركم أن هذا إلهه، أو نسي أن يطلب إلهه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور.

والأول قول ابن عباس رضي الله عنه، والثاني قول السدي.

وإن قلنا: هو السامري؛ فالمعنى: فنسي السامري إيمانه وإسلامه. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً[4]. [5]

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(1) سورة طه آية: ٨٨.

(2) تفسير ابن أبي زمنين٣/١٢٣، والمحرر الوجيز ٤/٥٩، والتسهيل ٣/١٧، والبحر المحيط٦/٢٥٠، واللباب في علوم الكتاب١٣/٣٥٩.

(3) جامع البيان١٦/١٤٢، وزاد المسير٣/١٧٢، والمحرر الوجيز ٤/٥٩، والتسهيل ٣/١٧، والبحر المحيط٦/٢٥٠، واللباب في علوم الكتاب١٣/٣٥٩، والدر المنثور٥/٥٩٣.

(4) رموز الكنوز ٤/٥٥٥.

(5) جامع البيان١٦/١٤٢، وزاد المسير٣/١٧٢، والسيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم٥/٥٩٥.

القول الأول: موسى[١].

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، ومجاهد والضحاك، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وسماك بن حرب[٢] [٣].

ومن أقوالهم:

قال الألوسي: فضمير نسى لموسى عليه السلام كما روي عن ابن عباسﷺ وقتادة[٤].

القول الثاني: السامري[٥].

وممن قال به:

ابن عباسﷺ في رواية سعيد بن جبير، ومحمد بن إسحاق، وأبو حيان[٦].

ومن أقوالهم:

قال أبو حيان: والظاهر أن الضمير في ﴿ فَنَسِيَ ﴾ عائد على السامري[٧].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين٣/١٢٣، والمحرر الوجيز ٤/٥٩، والتسهيل ٣/١٧، والبحر المحيط٦/٢٥٠، واللباب في علوم الكتاب١٣/٣٥٩.

(٢) هو: سماك بن حرب أبو المغيرة الذهلي، أحد علماء الكوفة، قال: أدركت ثمانين صحابياً، وكان شعبة وقواه جماعة توفي ١٢٣هـ. انظر: الكاشف١/٤٦٥، وتقريب التهذيب١/٧٣٣.

(٣) جامع البيان ١٦/١٤٢، وبحر العلوم ٢/٤٠٩، والنكت والعيون٣/٤١٩، والبسيط١٤/٥٠٠، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٣٦.

(٤) روح المعاني١٦/٢٤٨.

(٥) جامع البيان١٦/١٤٢، وزاد المسير٣/١٧٢، والمحرر الوجيز ٤/٥٩، والتسهيل ٣/١٧، والبحر المحيط٦/٢٥٠، واللباب في علوم الكتاب١٣/٣٥٩، والدر المنثور٥/٥٩٣.

(٦) جامع البيان١٦/١٤٢، والنكت والعيون٣/٤١٩، والبسيط ١٤/٥٠١، والبحر المحيط٦/٢٥٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٣٦٠، وأضواء البيان٤/٨٤.

(٧) البحر المحيط٦/٢٥٠.

حاصل الدراسة:

﴿ فَنَسِيَ ﴾ فيه أربعة أقاويل: أحدها: فنسي السامري إسلامه وإيمانه، قاله ابن عباسﷺ. الثاني: فنسي السامري قال لهم: قد نسي موسى إلهه عندكم، قاله قتادة، والضحاك. الثالث: فنسي أن قومه لا يصدقونه في عبادة عجل لا يضر ولا ينفع، قاله ابن بحر. الرابع: أن موسى نسي أن قومه قد عبدو العجل بعده، قاله مجاهد[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الظاهر أن المشار إليه هو موسى عليه السلام، وهو ترجيح الرسعني.
القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

---

(١) النكت والعيون ٤١٩/٣، والبحر المحيط٦/٢٥٠.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [١]

١٦٧- مسألة: ما معنى وأسروا النجوى؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أي: أظهروا النجوى؛ لأنه من الأضداد[٢].

القول الثاني: أي: تناجوا خفية، وهو المتبادر على الأفهام[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴾ قيل: المعنى: أظهروا النجوى، فإنه من الأضداد.

والصحيح عندي: ما هو المتبادر على الأفهام.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أظهروا النجوى؛ لأنه من الأضداد[٤].

وممن قال به: أبو عبيدة، والطبري[٥].

واستدلوا بما يلي :

١- قال أبو عبيدة: " أسرّوا " من حروف الأضداد ، أي أظهروا [٦].

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣.

(٢) جامع البيان ٢٢٣/١٦، والمحرر الوجيز ٧٤/٤، وزاد المسير١٨٥/٣.

(٣) النكت والعيون٤٣٧/٣، والبسيط١١/١٥، ومعالم التنزيل١٥١/٣، ولباب التأويل٢٨٨/٤، والبحر المحيط ٢٧٦/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٩٠/٩، واللباب في علوم الكتاب ٤٤٩/١٣، وأضواء البيان ١٣٣/٤.

(٤) جامع البيان ٢٢٣/١٦، والمحرر الوجيز ٧٤/٤، وزاد المسير١٨٥/٣.

(٥) جامع البيان ٢٢٣/١٦، والمحرر الوجيز ٧٤/٤، وزاد المسير١٨٥/٣.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٨/١.

٢- أنشد للفرزدق:

فلما رأى الحجاج جرد سيفه أسر الحروري الذي كان أضمرا [١]

ومن أقوالهم:

قال الطبري: يقول: وأظهروا المناجاة بينهم[٢].

القول الثاني: تناجوا خفية، وهو المتبادر على الأفهام[٣].

وممن قال به:

ابن السائب الكلبي، الواحدي، والبغوي، والخازن، وأبو حيان، وابن كثير، وابن عادل، والشنقيطي[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الخازن: أي بالغوا في أخفاء التناجي[٥].

ب- قال ابن كثير: أي: قائلين فيما بينهم خفيَةً[٦].

حاصل الدراسة:

أسر الشيء كتمه وأعلنه، والتناجي لا يكون إلا سراً، فمعنى إسرار النجوى: المبالغة في الإسرار بالكلام وإخفاؤه عن الناس.بحيث لم يشعر أحد بأنهم متناجون.

وقوله تعالى:﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ﴾ فيه وجهان: أحدهما: ذكره ابن كامل أنهم أخفوا

---

(١) قال شمر: لم أجد هذا البيت للفرزدق . انظر: لسان العرب مادة سرر٤/٣٥٧، وروح المعاني ١٧/٧.

(٢) جامع البيان ١٦/٢٢٣.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٧٤، وزاد المسير٣/١٨٥، وفتح القدير ٣/٣٩٧، وأضواء البيان ٤/١٣٣.

(٤) النكت والعيون٣/٤٣٧، والبسيط١٥/١١، ومعالم التنزيل٣/١٥١، ولباب التأويل٤/٢٨٨، والبحر المحيط ٦/٢٧٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٣٩٠، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٤٤٩، وأضواء البيان ٤/١٣٣.

(٥) لباب التأويل ٤/٢٨٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٣٩٠.

كلامهم الذي يتناجون به، قاله الكلبي. الثاني: يعني أنهم أظهروه وأعلنوه، وأسروا من الأضداد المستعملة، وإن كان الأظهر في حقيقتها، والشائع في الاستعمال أن تستعمل في الإخفاء دون الإظهار إلا بدليل[1].

المناقشة والترجيح:

الراجح: المتبادر إلى الأفهام، ويكون المعنى الإخفاء، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[2].

---

(1) النكت والعيون٣/٤٣٧، ومختار الصحاح ١/١٢٤، وإرشاد العقل السليم ٦/٥٤، وفتح القدير ٣/٣٩٧، وروح المعاني ١٧/٧، وأضواء البيان ٤/١٣٣.

(2) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1]

١٦٨- مسألة: على ماذا يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الضمير للسموات والأرض[2].

القول الثاني: للتماثيل[3].

قال الرسعني:

﴿ رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ : ابتدعهُنَّ على غير مثال سبق.

والأظهر: أن الضمير في "فطرهن" للسموات والأرض.

وجوّز صاحب الكشاف أن تكون للتماثيل، قال: وهو أدخلُ في تضليلهم، وأثبتُ للاحتجاج عليهم[4].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الضمير للسموات والأرض[5].

وممن قال به:

---

(١) سورة الأنبياء آية ٥٦.

(٢) جامع البيان ٢٩٢/١٦، ومعالم التنزيل١٦٣/٣، والدر المصون١٧٠/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤١٢/٩، واللباب في علوم الكتاب ٥٢١/١٣، وفتح القدير٤١٢/٣.

(٣) الكشاف ١٢٣/٣، والتسهيل ٢٨/٣، والدر المصون١٧٠/٨، واللباب في علوم الكتاب ٥٢١/١٣، وإرشاد العقل السليم ٧٣/٦.

(٤) رموز الكنوز ٦٢٧/٤.

(٥) الدر المصون١٧٠/٨، واللباب في علوم الكتاب ٥٢١/١٣.

الطبري، والبغوي، وابن كثير، والشوكاني[١].

ومن أقوالهم:

قال ابن كثير: أي: ربكم الذي لا إله غيره، وهو الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات، الذي ابتدأ خلقهن، وهو الخالق لجميع الأشياء[٢].

القول الثاني: للتماثيل[٣].

وممن قال به:

١- الزمخشري، وابن جزي الكلبي، وأبو السعود[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزمخشري: الضمير في ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ للسموات والأرض. أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم[٥].

ب- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ أي خلقهن والضمير للسموات والأرض، أو التماثيل، وهذا أليق بالرد عليهم[٦].

حاصل الدراسة:

الأصل في فطر أنها ترد في كتاب الله للسموات والأرض، ففطر الله الخلق وهو فاطر

---

(١) جامع البيان ٢٩٢/١٦، ومعالم التنزيل١٦٣/٣، والدر المصون١٧٠/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤١٢/٩، واللباب في علوم الكتاب ٥٢١/١٣، وفتح القدير٤١٢/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤١٢/٩.

(٣) الدر المصون١٧٠/٨، واللباب في علوم الكتاب ٥٢١/١٣.

(٤) الكشاف ١٢٣/٣، والتسهيل ٢٨/٣، والدر المصون١٧٠/٨، واللباب في علوم الكتاب ٥٢١/١٣، وإرشاد العقل السليم ٧٣/٦.

(٥) الكشاف ١٢٣/٣.

(٦) التسهيل ٢٨/٣.

السموات مبتدعها[١]، وفي التنزيل العزيز: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ [٢]و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ ﴾ [٣]

وضمير (هن) هنا للسموات والأرض، وصفه تعالى بإيجادهن إثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقاً للحق، وتنبيهاً على أن ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية، أي: أنشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها أنتم وآباؤكم وما تعبدون، من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه.

وقال بعض المفسرين: رجع الضمير إلى التماثيل أدخل في تضليلهم وأظهر في إلزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغنى عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الضمير للسموات والأرض.وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٥].

---

(١) لسان العرب ٥٥/٥ مادة (فطر)، وأساس البلاغة ٤٧٦/١.

(٢) سورة المزمل آية: ١٨.

(٣) سورة الانفطار آية: ١.

(٤) إرشاد العقل السليم ٧٣/٦، وروح المعاني ٦٠/١٧.

(٥) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب ١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [١]

١٦٩- مسألة: إلى ما ذا يرجع الضمير في (إليه)؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الضمير يرجع إلى إبراهيم[٢].

القول الثاني: الضمير يرجع إلى كبيرهم[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ **الأظهر** أن الضمير في "إليه" يرجع إلى إبراهيم، على معنى: لعلهم يرجعون إلى دينه حين تقوم عليهم الحُجَّة إذا علموا عجز آلهتهم وجهلها.

وقيل: يرجع الضمير إلى "كبيرهم"، على معنى: لعلهم إلى كبيرهم بالتُّهمة ذهاباً مع حُسن ظنهم به وتعظيمهم إياه.

ويكون مراد إبراهيم بذلك: استدراجهم إلى معرفة الحق بما يظهر لهم من عجز الإله الكبر في نظرهم والأعظم عندهم[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الضمير يرجع إلى إبراهيم. والمعنى: لعلهم يرجعون على دينه وإلى ما يدعوهم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها[٥].

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٥٨.

(٢) معالم التنزيل ١٦٤/٣، ولباب التأويل ٢٩٨/٤، والدر المصون ١٧٤/٨، وفتح القدير٤١٣/٣.

(٣) معالم التنزيل ١٦٤/٣، والتسهيل ٢٨/٣، ولباب التأويل ٢٩٨/٤، والدر المصون ١٧٤/٨، وفتح القدير٤١٣/٣.

(٤) رموز الكنوز ٦٢٩/٤.

(٥) معالم التنزيل ١٦٤/٣، ولباب التأويل ٢٩٨/٤، والدر المصون ١٧٤/٨، وفتح القدير٤١٣/٣.

وممن قال به: الزجاج، والواحدي، وابن عطية[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: أي: لكي يرجعوا إلى إبراهيم ودينه، وإلى ما يدعوهم إليه بوجوب الحجة عليهم في عبادة ما لا يدفع عن نفسه، وينتبهوا على جهلهم وعظيم خطأهم[٢].

ب- قال ابن عطية: الضمير في ﴿ إِلَيۡهِ ﴾ أظهر ما فيه أنه عائد على (إبراهيم) أي: فعل هذا كله توخياً منه أن يعقب ذلك منهم رجعة إليه وإلى شرعه، ويحتمل أن يعود الضمير على الكبير المتروك ولكن يضعف ذلك دخول الترجي في الكلام[٣].

القول الثاني: الضمير يرجع إلى كبيرهم. والمعنى: لعلهم إليه يرجعون فيسألونه، فلما رجع القوم من عيدهم على بيت آلهتهم رأوا أصنامهم جُذاذاً[٤].

وممن قال به:

١- مقاتل، وحكاه أبو سليمان الدمشقي[٥].

٢- أبو حيان، وابن جزي الكلبي، وابن كثير، وابن عاشور[٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال أبو حيان: الضمير في ﴿ إِلَيۡهِ ﴾ عائد على إبراهيم، أي: فعل ذلك ترجياً

---

(١) البسيط ١٠٧/١٥، والمحرر الوجيز ٨٦/٤، وزاد المسير ١٩٥/٣.

(٢) رموز الكنوز ١٠٧/١٥.

(٣) المحرر الوجيز ٨٦/٤.

(٤) معالم التنزيل ١٦٤/٣، والتسهيل ٢٨/٣، ولباب التأويل ٢٩٨/٤، والدر المصون ١٧٤/٨، وفتح القدير٤١٣/٣.

(٥) زاد المسير ١٩٥/٣.

(٦) التسهيل ٢٨/٣، والبحر المحيط ٣٠١/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٣/٩، والتحرير والتنوير٩٨/١٧.

منه أن يعقب ذلك رجعه إليه وإلى شرعه[١].

ب- قال ابن كثير: ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه[٢].

ج - قال ابن عاشور: رجاء أن يرجع الأقوام إلى استشارة الصنم الأكبر ليخبرهم بمن كسر بقية الأصنام؛ لأنه يعلم أن جهلهم يطمعهم في استشارة الصنم الكبير. ولعل المراد استشارة سدنته ليخبروهم بما يتلقونه من وحيه المزعوم[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قيل يرجعون إلى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الإضرار بمن كسرهم[٤]. قال الشوكاني: وهو بعيد جداً[٥].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الصنم، ثم فيه قولان: أحدهما: لعلهم يرجعون إليه فيشاهدونه، ويسألونه فلا يجيبهم فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء. والثاني: لعلهم يرجعون إليه بالتهمة.

والثاني: أنها ترجع إلى إبراهيم، والمعنى لعلهم يرجعون إلى دين إبراهيم بوجوب الحجة عليهم، فيبين لهم الحق[٦].

ولم يرد السمين الحلبي كلا القولين، وقال: وبكلٍ قيل[٧].

---

(١) البحر المحيط ٣٠١/٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٣/٩.

(٣) التحرير والتنوير ٩٨/١٧.

(٤) إرشاد العقل السليم ٧٤/٦.

(٥) فتح القدير٤١٣/٣.

(٦) زاد المسير ١٩٥/٣، والتسهيل ٢٨/٣.

(٧) الدر المصون ١٧٤/٨.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الضمير يرجع إلى كبيرهم، لأنه أقرب مذكور، والله أعلم.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[1].

(1) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب ١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [١]

١٧٠– مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: حين عبدتم جماداً لا يعقل ولا ينفع ولا يدفع[٢].

القول الثاني: حين اتهمتموه وقد رأيتم الفأس في يد كبير الأصنام[٣].

القول الثالث: أنتم الظالمون بعبادة الأصاغر مع هذا الكبير[٤].

القول الرابع: أنتم الظالمون بترككم آلهتكم وحدها[٥].

قال الرسعني:

﴿ فَقَالُوٓاْ ﴾ معترفين على أنفسهم بالكفر والضلال ﴿ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: الواضعون العبادة في غير موضعها، حيث عبدتم جماداً لا يعقل ولا ينفع ولا يدفع. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وعامة المفسرين.

ثم أدركتهم الشقاوة فعاودوا الكفر، فذلك قوله: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ [٦].

وقال ابن إسحاق: إنكم أنتم الظالمون حين اتهمتموه وقد رأيتم الفأس في يد كبير الأصنام.

وقيل: أنتم الظالمون بعبادة الأصاغر مع هذا الكبير.

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٦٤.

(٢) معالم التنزيل ١٦٥/٣، وزاد المسير١٩٩/٣، ولباب التأويل٢٩٩/٤، والتسهيل ٢٨/٣، والبحر المحيط٣٠٣/٦، وروح المعاني٦٦/١٧.

(٣) تفسير مقاتل ٣٦٣/٢، وزاد المسير١٩٩/٣، والبحر المحيط٣٠٣/٦، واللباب في علوم الكتاب٥٣٥/١٣.

(٤) الكشف والبيان٢٨٠/٦، والبسيط١١٤/١٥، والبحر المحيط٣٠٣/٦.

(٥) زاد المسير١٩٩/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤١٥/٩، وروح المعاني٦٦/١٧.

(٦) سورة الأنبياء آية: ٦٥.

وقيل: أنتم الظالمون بترككم آلهتكم وحدها. قالهما وهب بن منبه.

والأول أصح[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الظالمين لأنفسكم حين عبدتم جماداً لا يعقل ولا ينفع ولا يدفع[٢].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ[٣].

٢- القرطبي، والشوكاني[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال القرطبي: أي: بعبادة من لا ينطق بلفظة ولا يملك لنفسه لحظة، وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم البأس من لا يرد عن رأسه الفأس[٥].

ب- قال الشوكاني: أي: قال بعضهم لبعض أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة هذه الجمادات، وليس الظالم من نسبتم الظلم إليه بقولكم إنه لمن الظالمين[٦].

القول الثاني: حين اتهمتموه وقد رأيتم الفأس في يد كبير الأصنام[٧].

---

(١) رموز الكنوز ٦٣٥/٤.

(٢) معالم التنزيل ١٦٥/٣، وزاد المسير١٩٩/٣، ولباب التأويل٢٩٩/٤، والتسهيل ٢٨/٣، والبحر المحيط٣٠٣/٦، وروح المعاني٦٦/١٧.

(٣) معالم التنزيل ١٦٥/٣، وزاد المسير١٩٩/٣، ولباب التأويل٢٩٩/٤، والتسهيل ٢٨/٣، والبحر المحيط٣٠٣/٦، وروح المعاني٦٦/١٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٢/١١، وفتح القدير ٤١٤/٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٢/١١.

(٦) فتح القدير ٤١٤/٣.

(٧) اللباب في علوم الكتاب٥٣٥/١٣، وروح المعاني٦٦/١٧.

وممن قال به: مقاتل، وابن إسحاق[١].

القول الثالث: أنتم الظالمون بعبادة الأصاغر مع هذا الكبير[٢].

وممن قال به: وهب بن منبه[٣].

القول الرابع: أنتم الظالمون بترككم آلهتكم وحدها. وغفلتكم عنها وعدم حفظها.

وممن قال به: وهب بن منبه، وابن كثير[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أنتم ظالمون لإبراهيم حين سألتموه، وهذه أصنامُكم حاضرةٌ، فاسألوها، ذكره ابن جرير[٥].

قال ابن عطية: المعنى فظهر لهم ما قال إبراهيم من أن الأصنام التي قد أهلوها للعبادة ينبغي أن تسأل، وتستفسر فقالوا: إنكم الظالمون في توقيف هذا الرجل على هذا الفعل وأنتم معكم من تسألون، ثم ارتبكوا في ضلالهم ورأوا بالفكرة وبديهة العقل أن الأصنام لا تنطق، فسامهم ذلك حتى نطقوا عنه إلى موضع قيام الحجة عليهم[٦].

٢- أنتم الظالمون لأنفسكم حيث سألتموه حتى إنه يستهزئ بكم في الجواب[٧].

٣- أنتم الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه: إنه لمن الظالمين، وفي تعنيفه على أعين الناس[٨].

---

(١) تفسير مقاتل ٣٦٣/٢، وزاد المسير١٩٩/٣، والبحر المحيط٣٠٣/٦، واللباب في علوم الكتاب٥٣٥/١٣.

(٢) الكشف والبيان٢٨٠/٦، والبسيط١١٤/١٥، والبحر المحيط٣٠٣/٦.

(٣) زاد المسير١٩٩/٣، وروح المعاني٦٦/١٧.

(٤) زاد المسير١٩٩/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤١٥/٩، وروح المعاني٦٦/١٧.

(٥) جامع البيان٣٠١/١٦، والكشف والبيان٢٨٠/٦، والنكت والعيون ٤٥٢/٣، والبسيط١١٤/١٥، ومعالم التنزيل ١٦٥/٣، وزاد المسير١٩٩/٣، ولباب التأويل٢٩٩/٤، والبحر المحيط٣٠٣/٦، وروح المعاني٦٦/١٧.

(٦) المحرر الوجيز ٨٨/٤.

(٧) اللباب في علوم الكتاب٥٣٥/١٣، وإرشاد العقل السليم٧٥/٦.

(٨) التسهيل ٢٨/٣.

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ هذا قولهم واعترافهم عن أنفسهم بالكفر والضلال، أي: بعبادة ما لا ينطق، جماداً لا يعقل ولا ينفع ولا يدفع. وهو قول المفسرين، وظاهر السياق من الآية بعدها. قوله: ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ . أدركتهم الشقاوة فعاودوا الكفر.

أو بسؤالكم إبراهيم عليه السلام، وعدولكم عن سؤالها وهي آلهتكم، أو بنفس سؤالكم إبراهيم عليه السلام حيث كان متضمناً التوبيخ المستتبع للمؤاخذة. أو بغفلتكم عن آلهتكم وعدم حفظكم إياها، أو بعبادة الأصاغر مع هذا الكبير. أو بأن اتهمتم إبراهيم عليه السلام والفأس في عنق الكبير، والحصر إضافي بالنسبة إلى إبراهيم عليه السلام[1].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القول أنتم الظالمين لأنفسكم حين عبدتم جماداً لا يعقل ولا ينفع ولا يدفع. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[2].

---

(1) روح المعاني١٧/٦٦.

(2) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [١]

١٧١- مسألة: ما المراد بالأرض في قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الأرض: أرض الشام[٢].

القول الثاني: الأرض: مكة[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: ونجيناه من نمروذ وكيده، فهاجرا من أرض العراق على أرض الشام.

وقال وهب: كانت سارة مع إبراهيم.

وقال السدي: إنما هي بنت ملك حرّان، كانت تُنكر دين قومها، فتزوجت بإبراهيم وشرطت عليه أن لا يغيرها.

وروى العوفي عن ابن عباسﷺ: أن الأرض: مكة.

والصحيح الأول[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الأرض: أرض الشام[١].

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٧١.

(٢) الكشف والبيان٦/٢٨٢، ومعالم التنزيل٣/١٦٩، وزاد المسير ٣/٢٠١، والتسهيل ٣/٢٩، والبحر المحيط٦/٣٠٥، وفتح القدير ٣/٤١٦، والتحرير والتنوير١٨/٢٤٠، وأضواء البيان٤/١٦٤.

(٣) جامع البيان١٦/٣١٤، والكشف والبيان٦/٢٨٢، والنكت والعيون ٣/٤٥٤، والبسيط١٥/١٢٤، وزاد المسير٣/٢٠١، وتفسير القرآن لابن كثير٩/٤١٨، وفتح القدير ٣/٤١٦.

(٤) رموز الكنوز ٤/٦٤٠.

وممن قال به:

١- أبي بن كعب، والحسن، وهب، وقتادة، والسدي[٢].

٢- الطبري، والثعلبي، والبغوي، وابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، والشوكاني، وابن عاشور، والشنقيطي[٣].

واستدلوا بما يلي :

عن أبي بن كعب ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قال: الشام، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جرير: وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها ولم يتخذها وطناً لنفسه ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين[٥].

ب- قال ابن الجوزي: فأما قوله تعالى: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ ففيها قولان: أحدهما: أنها أرض الشام وهذا قول الأكثرين. وبركتها أن الله عز وجل بعث أكثر الأنبياء منها وأكثر فيها الخصب والثمار والأنهار. والثاني: أنها مكة، رواه العوفي عن ابن

---

(١) البسيط١٥/١٢٤، وزاد المسير ٣/٢٠١.

(٢) جامع البيان١٦/٣١٤، والنكت والعيون ٣/٤٥٤، وتفسير القرآن لابن كثير٩/٤١٨.

(٣) الكشف والبيان٦/٢٨٢، ومعالم التنزيل٣/١٦٩، وزاد المسير ٣/٢٠١، والتسهيل ٣/٢٩، والبحر المحيط٦/٣٠٥، وفتح القدير ٣/٤١٦، والتحرير والتنوير١٨/٢٤٠، وأضواء البيان٤/١٦٤.

(٤) جامع البيان١٦/٣١٤.

(٥) جامع البيان ١٦/٣١٤.

عباسﷺ والأول أصح [١].

القول الثاني: الأرض: مكة.

وممن رواه: العوفي عن ابن عباسﷺ[٢].

واستدلوا بما يلي:

روى العوفي عن ابن عباسﷺ: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ قال: هي مكة ونزول إسماعيل بها[٣]. ألا تسمع قوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- بيت المقدس، قال أبو العوام[٥].

٢- وقيل أرض مصر وبركتها نيلها وزكاة زروعها وعمارة مواضعها[٦].

حاصل الدراسة:

اختلف الناس في ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾ التي بورك فيها ولجأ إليها إبراهيم ولوط عليهما السلام، فقالت فرقة: هي مكة وذكروا قول الله تعالى: ﴿ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾، والمفسرون كلهم على أنها أرض الشام، واختاره الطبري، وصوبه الثعلبي، وهي الأرض التي بارك فيها أما من جهة الآخرة فبالنبوءة، وأما من جهة الدنيا ففي أطيب بلاد الله أرضاً

---

(١) زاد المسير ٢٠١/٣.

(٢) جامع البيان٣١٤/١٦، والكشف والبيان٢٨٢/٦، والنكت والعيون ٤٥٤/٣، والبسيط١٢٤/١٥، وزاد المسير٢٠١/٣، وتفسير القرآن لابن كثير٤١٨/٩، وفتح القدير ٤١٦/٣.

(٣) جامع البيان٣١٥/١٦، والكشف والبيان٢٨٢/٦.

(٤) سورة آل عمران آية: ٩٦.

(٥) النكت والعيون ٤٥٤/٣، وتفسير ابن أبي زمنين١٥٣/٣، وفتح القدير ٤١٦/٣.

(٦) البحر المحيط ٣٠٥/٦.

وأعذبها ماء، وأكثرها ثمرة ونعمة وهو الموضع المعروف بسكنى إبراهيم وعقبه[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الأرض: أرض الشام، وهو قول جميع المفسرين، وترجيح الرسعني.
القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٢].

---

(١) النكت والعيون ٤٥٤/٣، والبسيط١٢٤/١٥، وزاد المسير ٢٠١/٣، والمحرر الوجيز ٨٩/٤، والبحر المحيط ٣٠٥/٦.

(٢) جامع البيان ٢٣١/٢، والتسهيل ٩/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/٢، وأضواء البيان ٣٨٥/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٨٨/١.

قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [١]

١٧٢- مسألة: ما الذي نصب "لوطاً"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: انتصب بفعل مضمر[٢].

القول الثاني: انتصب بإضمار "اذكر"[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ وانتصب بفعل مضمر يفسره ما بعده.

وقيل: بإضمار "اذكر".

والأول أجود[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: انتصب "لوطاً" بفعل مضمر، تقديره: وآتينا لوطاً آتيناه[٥].

وممن قال به: ابن عطية، والرازي، والعكبري، والسمين الحلبي، والألوسي، والشنقيطي[٦].

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٧٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس٣/٧٥، والبسيط١٥/١٢٩، وزاد المسير٣/٢٠١، والجامع لأحكام القرآن١١/٣٠٦، والتسهيل ٣/٢٩، والدر المصون٨/١٨٣، وإرشاد العقل السليم٦/٧٨، وفتح القدير ٣/٤١٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس٣/٧٥، وزاد المسير٣/٢٠١، والتبيان ٢/٥٨١، والجامع لأحكام القرآن١١/٣٠٦، والتسهيل ٣/٢٩، والدر المصون٣/١٨٣، وإرشاد العقل السليم٦/٧٨، وفتح القدير ٣/٤١٦.

(٤) رموز الكنوز ٤/٦٤١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس٣/٧٥، والبسيط١٥/١٢٩، وزاد المسير٣/٢٠١، والجامع لأحكام القرآن١١/٣٠٦، والتسهيل ٣/٢٩، والدر المصون٨/١٨٣، وإرشاد العقل السليم٦/٧٨، وفتح القدير ٣/٤١٦.

(٦) المحرر الوجيز٤/٩٠، ومفاتيح الغيب٢٢/١٦٦، وإملاء ما من به الرحمن ٢/١٣٥، وروح المعاني ١٧/٧٢،

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: التقدير وآتينا لوطاً ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ ﴾ فهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه الظاهر[١].

ب- قال السمين الحلبي: "لوطاً" منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر بعده، تقديره: وآتينا لوطاً آتيناه، فهي من الاشتغال. والنصبُ في مثله هو الراجح؛ ولذلك لم يُقرأ إلا به لعطف جملته على جملةٍ فعليةٍ، وهو أحد المرجحات[٢].

ج- قال الشنقيطي: قوله: ﴿ وَلُوطًا ﴾ منصوب بفعل مضمر وجوباً يفسر ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ ﴾ ، كما قال في الخلاصة:

فالسابق انصبه بفعل أضمرا حتماً موافق لما قد أظهرا[٣]

القول الثاني: انتصب "لوطاً" بإضمار "اذكر"[٤].

ذكره المفسرون ولم يرجحه أحد.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قال ابن جزي الكلبي: الأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون[٥].

حاصل الدراسة:

وفي نصب "لوط" وجهان: ﴿ وَلُوطًا ﴾ منصوب بفعل مضمر؛ لأن قبله فعلاً،

وأضواء البيان ١٦٨/٤.

(١) المحرر الوجيز٩٠/٤.

(٢) الدر المصون١٨٣/٨.

(٣) أضواء البيان ١٦٨/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس٧٥/٣، وزاد المسير٢٠١/٣، والتبيان ٥٨١/٢، والجامع لأحكام القرآن٣٠٦/١١، والتسهيل ٢٩/٣، والدر المصون١٨٣/٣، وإرشاد العقل السليم٧٨/٦، وفتح القدير ٤١٦/٣.

(٥) التسهيل ٢٩/٣.

فالمعنى وأوحينا إليهم وآتينا لوطاً آتيناه حكماً وعلماً، والنصب ههنا أحسن من الرفع؛ لأن قبل آتينا فِعلاً وقد ذكر بعض النحويين أنه منصوب على "واذكر لوطاً"، وهذا جائزٌ؛ لأن ذكر إبراهيم قد جرى فحمل لوط على معنى واذكر[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن "لوطاً" منصوب بفعل مضمر، تقديره: وآتينا لوطاً آتيناه. وهو قول أكثر أهل اللغة والمفسرين. ويجوز أن يكون منصوباً على "واذكر لوطاً".

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة[٢].

---

(١) معاني القرآن للفراء٢/٢٠٧، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٩٨.

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [١]

١٧٣- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أحياهم الله له بأعيانهم، وآتاه مثلهم في الدنيا[٢].

القول الثاني: ردَّ الله عليه أهله في الجنة، وجاءه مثلهم في الدنيا[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ ﴾ يعني: أولاده الذين هلكوا.

قال ابن مسعودﷺ والحسن وقتادة: أحياهم الله له بأعيانهم وآتاه مثلهم في الدنيا[٤].

وروى أبو صالح عن ابن عباسﷺ قال: كانت امرأتُه ولدت له سبع بنين وسبع بنات فنُشروا له، وولدت امرأتُه له سبع بنين وسبع بنات[٥].

وقال السدي: ردَّ الله عليه أهله في الجنة، وأصاب امرأته فجاءت بمثلهم في الدنيا.

وقال مجاهد: آتيناه ثواب أهله في الدنيا في الجنة، ومثلهم في الدنيا[٦].

---

(١) سورة الأنبياء آية: ٨٤.

(٢) جامع البيان١٦/٣٦٦، والنكت والعيون ٣/٤٦٤، والبسيط١٥/١٤٩، والمحرر الوجيز٤/٩٥، وزاد المسير ٣/٢٠٧، والتسهيل٣/٣١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩/٤٣٠، وفتح القدير ٣/٤٢٠.

(٣) جامع البيان ١٦/٣٦٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٤٣٠، وزاد المسير ٣/٢٠٧، والبسيط١٥/١٤٩، ولباب التأويل ٤/٣١٧.

(٤) أخرجه الطبري١٦/٣٦٦.

(٥) معاني القرآن للفراء٢/٢٠٩، والنكت والعيون ٣/٤٦٤، وزاد المسير٣/٢٠٧.

(٦) زاد المسير٣/٢٠٧.

والأول أصح[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أحياهم الله له بأعيانهم، وآتاه مثلهم في الدنيا[٢].

وممن قال به:

١- ابن مسعود، وابن عباسﷺ، وكعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وابن السائب الكلبي، ومقاتل[٣].

٢- الواحدي، والبغوي، والخازن[٤].

واستدلوا بما يلي :

عن ابن مسعودﷺ ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ ﴾ قال: أهله بأعيانهم[٥].

ومن أقوالهم:

١- قال الواحدي بعد ذكر الأقوال: والقول الأول-أحياهم الله له وأتاه مثلهم- هو الظاهر[٦].

٢- قال البغوي: واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعودﷺ وقتادة وابن عباسﷺ والحسن وأكثر المفسرين رد الله عز وجل إليه أهله وأولاده بأعيانهم، أحياهم الله وأعطاهم

---

(١) رموز الكنوز٤/٦٥٤.

(٢) جامع البيان١٦/٣٦٦، والنكت والعيون ٣/٤٦٤، والبسيط١٥/١٤٩، والمحرر الوجيز٤/٩٥، وزاد المسير ٣/٢٠٧، والتسهيل٣/٣١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩/٤٣٠، وفتح القدير ٣/٤٢٠.

(٣) جامع البيان ١٦/٣٦٦-٣٦٧، وبحر العلوم٢/٤٣٧، والبسيط١٥/١٤٩، وزاد المسير٣/٢٠٧.

(٤) البسيط١٥/١٤٩، ولباب التأويل ٤/٣١٧.

(٥) جامع البيان ١٦/٣٦٦.

(٦) البسيط١٥/١٥١.

مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن [١].

القول الثاني: ردَّ الله عليه أهله في الجنة، وجاءه مثلهم في الدنيا.

وممن قال به:

نوف البكالي، ومجاهد، وعكرمة، والسدي[٢].

واستدلوا بما يلي:

أخرج ابن جرير بسنده قال: أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ فقال: قيل له إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا، فقال: يكونون لي في الآخرة، وأوتي مثلهم في الدنيا. قال: فرجع إلى مجاهد فقال: أصاب[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أتاه أهله ومثله معهم في الآخرة، حكاه الزجاج[٤].

٢- ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى، ومثلهم معهم. روى عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه، وقاله أبو السعود[٥].

حاصل الدراسة:

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ يقال: آتاه الله عز وجل أهله في الآخرة، وجاءه

---

(١) معالم التنزيل٣/١٨٥.

(٢) جامع البيان ١٦/٣٦٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٩/٤٣٠، وزاد المسير ٣/٢٠٧، والبسيط١٥/١٤٩، ولباب التأويل ٤/٣١٧.

(٣) جامع البيان ١٦/٣٦٦.

(٤) زاد المسير٣/٢٠٧، والتسهيل ٣/٣١.

(٥) معالم التنزيل٣/١٨٥، والتسهيل ٣/٣١، ولباب التأويل ٤/٣١٧، وإرشاد العقل السليم ٦/٩١، وفتح القدير ٣/٤٢٠، وروح المعاني١٧/٨١.

مثلهم في الدنيا. وقيل: تركهم الله عز وجل له وأعطاه مثلهم في الدنيا. قال النحاس: والإسناد بذلك صحيح. وقد كان مات أهله جميعاً إلا امرأته فأحياهم الله في أقل من طرف البصر وآتاه مثلهم معهم. وقيل: كان ذلك بأن ولد له ضعف الذين أماتهم الله فيكون معنى الآية على هذا: آتيناه مثل أهله ومثلهم معهم.

وروي عن ابن مسعود بلغه أن مروان بن الحكم قال: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ أي: أهلا غير أهله فقال ابن مسعود: لا بل أهله بأعيانهم ومثلهم معهم[1].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أحياهم الله له بأعيانهم، وآتاه مثلهم في الدنيا، وهو الظاهر من الآية، وقول المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[2].

---

(1) بحر العلوم٢/٤٣٧، وفتح القدير ٣/٤٢٠.

(2) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ (١)

١٧٤– مسألة: على من يعود الضمير في "ينصره"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الضمير في "ينصره" لمحمد ﷺ(٢).

القول الثاني: الضمير في "ينصره" يرجع على "مَنْ"(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ **المشهور في التفسير:** أن الضمير في "ينصُرُهُ" لمحمد ﷺ(٤).

قال ابن قتيبة: هذه كناية عن غير مذكور، وكان قوم من المسلمين لشدة حَنقِهِم على المشركين يستبطئون ما وعد الله تعالى رسوله ﷺ من النصر، وقوم من المشركين يريدون اتباعه ويخافون أن لا يتم أمره، فنزلت هذه الآية للفريقين(٥).

قال مقاتل: نزلت في نفر من أسد وغطفان قالوا: إنا نخاف أن لا يُنصر محمدﷺ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود، فلا يجيرونا ولا يأوونا.

فعلى هذا؛ المراد بالنصر: الغلبة والقهر للأعداء.

وقال مجاهد: الضمير في "ينصره" يرجع على "من".

---

(١) سورة الحج آية: ١٥.

(٢) جامع البيان ٤٨٣/١٦، وتفسير ابن أبي زمنين١٧٣/٣، ولباب التأويل ٧/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣/١٠، وأضواء البيان ٢٨٧/٤.

(٣) جامع البيان ٤٧٨/١٦، والنكت والعيون ١١/٤، والبحر المحيط ١١/٦، والمحرر الوجيز١١١/٤، واللباب في علوم الكتاب٣٧/١٤، وأضواء البيان٢٨٧/٤.

(٤) جامع البيان٤٧٨/١٦، والوسيط٢٦٢/٣، وزاد المسير٢٢٦/٣.

(٥) تأويل مشكل القرآن ص٣٥٨.

والنصر بمعنى: الرزق، ومنه قول الأعشى:

أبوك الذي أجدي عليَّ بنصره فانصب عنّي بعده كُلّ قائل[١]

أي: من كان يظن أن لن يرزقه.

قال أبو عبيدة: وقف علينا سائل من بني بكر فقال: من ينصُرُني نصره الله؟ أي: من يعطيني أعطاه الله[٢].

ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها وأحياها.

قال الراعي:

إذا دخل الشهر الحرام فودِّعي بلاد تميم وانصُري أرض عامر[٣] [٤]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الضمير في "ينصره" لمحمد ﷺ. والمعنى: إن لن ينصر الله محمداً في الدنيا بإعلاء كلمته وإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته والانتقام ممن كذبه[٥].

وممن قال به:

١- ابن عباس رضي الله عنه، وابن السائب الكلبي، ومقاتل، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، والسدّي، واختاره الفراء، والزجاج[٦].

٢- الطبري، وابن أبي زمنين، والخازن، وابن كثير، والشنقيطي[٧].

---

(١) انظر: البيت في لسان العرب ٩٩/٢ مادة (نصت) ، والنكت والعيون ١٢/٤.

(٢) مجاز القرآن ٣٣٢/٦.

(٣) البيت للراعي يخاطب خيلاً، وهو في اللسان ٢١١/٥ مادة: (نصر).

(٤) رموز الكنوز ٢٢/٥.

(٥) جامع البيان ٤٧٨/١٦، وبحر العلوم ٤٥١/٢، واللباب في علوم الكتاب٣٧/١٤، والبحر المحيط١١/٦، وروح المعاني ١٢٦/١٧.

(٦) جامع البيان ٤٧٨/١٦، والمحرر الوجيز١١/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٣/١٠، وأضواء البيان ٢٨٧/٤.

(٧) جامع البيان ٤٨٣/١٦، وتفسير ابن أبي زمنين١٧٣/٣، ولباب التأويل ٧/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن

واستدلوا بما يلي :

١- روي أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي -ﷺ- إلى الإسلام، وكان بينهم وبين اليهود حلف، وقالوا: لا يمكننا أن نسلم لأنا نخاف أن لا يُنصر محمد ولا يظهر أمره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميروننا، ولا يؤوونا فنزلت هذه الآية[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبي الله ﷺ ودينه. وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قوماً يعبدونه على حرف، وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيراً في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه نفاقهم؛ استبطاءً منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق.

وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم، فمعنى الكلام إذن، إذ كان ذلك كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا ﷺ وأمته في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته؛ استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه – إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه – ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله، فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهبن كيده اختناقه، كذلك ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه، حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهبه، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه، لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يعجل قبل حينه[٢].

ب- قال ابن كثير: وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى، وأبلغ في

كثير ٢٣/١٠، وأضواء البيان ٢٨٧/٤.

(١) أخرجه الطبري ٤٨٤/١٦، واللباب في علوم الكتاب٣٧/١٤.

(٢) جامع البيان ٤٨٤/١٦.

التهكم. فإن المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصر محمدا وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه فإن الله ناصره لا محالة [١].

ج- قال الشنقيطي: -بعد ذكر القول أنه الضمير في "ينصره" لمحمد ﷺ- وهو أظهرها عندي[٢]

القول الثاني: الضمير في "ينصره" يرجع على "مَنْ". وفيها ثلاثة تأويلات: أحدها: أن يرزقه الله. والنصر الرزق، والثالث: معناه أن لن يمطر أرضه[٣].

وممن قال به: مجاهد، وأبو حيان[٤].

واستدلوا بما يلي:

١- قال مجاهد: الضمير في "ينصره" يرجع على "من".

٢- قال أبو عبيدة: وقف علينا سائل من بني بكر فقال: من ينصُرُني نصره الله؟ أي: من يعطيني أعطاه الله.

٣- النصر بمعنى: الرزق، ومنه قول الأعشى:

أبوك الذي أجدي عليَّ بنصره فانصب عنّي بعده كُلّ قائل

أي: من كان يظن أن لن يرزقه.

٣- يقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها وأحياها.

قال الراعي:

إذا دخل الشهر الحرام فودِّعي بلاد تميم وانصُري أرض عامر

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/٢٣.

(٢) أضواء البيان٤/٢٨٧.

(٣) جامع البيان ١٦/٤٧٨، والنكت والعيون ٤/١١، والبحر المحيط ٦/١١، والمحرر الوجيز٤/١١١، واللباب في علوم الكتاب١٤/٣٧، وأضواء البيان٤/٢٨٧.

(٤) جامع البيان ١٦/٤٧٨، والبحر المحيط ٦/١١.

معناه أن لن يمطر أرضه،

٤- ومنه قول رؤبة[١]:

إني وأسطار سطران سطرا لقائل يا نصرَ نصرٍ نصرا

ومن أقوالهم:

قال أبو حيان: الظاهر أن الضمير في ﴿ يَنصُرَهُ ﴾ عائد على ﴿ مَن ﴾ ؛ لأنه المذكور، وحق الضمير أن يعود على المذكور[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

الضمير عائد على الدين والقرآن[٣].

حاصل الدراسة:

الأول: أن المعنى: من كان من الكفرة الحسدة له ﷺ، ﴿ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾، أي أن لن ينصر الله نبيه محمداً ﷺ ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾ فإن الله يقول لحاسديه ﷺ، الذين يتربصون به الدوائر، ويظنون أن ربه لن ينصره: موتوا بغيظكم، فهو ناصره لا محالة على رغم أنوفكم.

ومما يشهد لهذا المعنى من القرآن، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ﴾ [٤].

والرسول وإن لم يجر له ذكر في الآية، ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان في قوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [٥].

---

(١) النكت والعيون ٤/١١.

(٢) البحر المحيط ٦/١١.

(٣) المحرر الوجيز٤/١١١، وأضواء البيان٤/٢٨٧.

(٤) سورة آل عمران آية: ١١٩.

(٥) البحر المحيط٦/١١.

الوجه الثاني: أن المعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة، والحال أن النصر يأتيه ﷺ من السماء، فليمدد بسبب إلى السماء فيرتقي بذلك السبب، حتى يصعد إلى السماء، فيقطع نزول الوحي من السماء، فيمنع النصر عنه ﷺ .

ولبعض أهل العلم قول ثالث في معنى الآية الكريمة: وهو أن الضمير في ﴿ لَّن يَنصُرَهُ ﴾ عائد إلى (من) في قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ ﴾ وأن النصر هنا بمعنى الرزق، وأن المعنى: من كان يظن أن لن ينصره الله أي لن يرزقه، فليختنق، وليقتل نفسه.

والذين قالوا هذا القول قالوا: إن العرب تسمي الرزق نصراً. وضعف الشنقيطي هذا القول، وقال: وهذا القول ظاهر السقوط.

والذين قالوا: إن الضمير في قوله ﴿ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ راجع إلى الدين، أو الكتاب، لا يخالف قولهم قول من قال: إن الضمير للنبي ﷺ؛ لأن نصر الدين، والكتاب هو نصره ﷺ كما لا يخفى، ونصر الله له ﷺ في الدنيا، بإعلائه كلمته، وقهره أعداءه، وإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، والانتقام ممن كذبه، ونحو ذلك كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [1] [2].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الضمير في "ينصره" لمحمد ﷺ. وهو الظاهر من الآية، وهو قول المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[3].

---

(1) سورة غافر آية: ٥١.

(2) أضواء البيان٤/٢٨٧.

(3) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

القاعدة: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[1].

(1) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٤٨/١، وأحكام القرآن لابن العربي ١٤٣/١، والمحرر الوجيز ٤٩٨/٢، والجامع لأحكام القرآن١٢١/٥، وفتح القدير ١٦/٤، وأضواء البيان ٢٣٠/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٤١/١.

قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1]

١٧٥- مسألة: من هو المأمور بالأذان؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المأمور بالأذان: إبراهيم[2].

القول الثاني: المأمور بالأذان: محمدﷺ[3].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾ أي: نادِ فيهم. والمشهور في التفسير: أن المأمور بالأذان: إبراهيم.

وقال الحسن: محمد ﷺ.

قال المفسرون: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: وما يبلغ صوتي؟ فقال الله تعالى جل وعلا: عليك الأذان وعليّ البلاغ، فقام إبراهيم عليه السلام على المقام- وقيل: علي أبي قبيس-، فنادى: يا أيها الناس! إن ربكم قد بنى بيتاً فحَجُّوه، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك[4] [5].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(1) سورة الحج آية: ٢٧.

(2) جامع البيان ٥١٤/١٦، والتسهيل٣٩/٣، وأضواء البيان٢٩٩/٤.

(3) الكشف والبيان ١٨/٧، والبسيط ٣٥٨/١٥، والكشاف ١٥٣/٣، وزاد المسير ٢٣٢/٣، وفتح القدير٤٤٨/٣.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٢٩/٦، والحاكم ٤٢١/٢، والبيهقي في الكبرى١٧٦/٥، والطبري ٥١٤/١٦. وابن أبي حاتم ٢٤٨٦/٨، كلهم عن ابن عباسرضي الله عنه.

(5) رموز الكنوز ٤٢/٥.

القول الأول: المأمور بالأذان: إبراهيم[١].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة بن خالد المخزومي[٢].

٢- الطبري، ابن جزي الكلبي، والشنقيطي[٣].

واستدلوا بما يلي :

لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: وما يبلغ صوتي؟ فقال الله تعالى جل وعلا: عليك الأذان وعليّ البلاغ، فقام إبراهيم عليه السلام على المقام- وقيل: علي أبي قبيس-، فنادى: يا أيها الناس! إن ربكم قد بنى بيتاً فحَجُّوه، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج قام على مقامه فنادى يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته العتيق[٥].

ب- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾ خطاب لإبراهيم وقيل لسيدنا محمد ﷺ، والأول هو الصحيح[٦].

---

(١) معالم التنزيل ٢١٣/٣، والكشاف ١٥٣/٣، وزاد المسير ٢٣٢/٣، وفتح القدير٤٤٨/٣.

(٢) هو: عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، ثقة من الثالثة، توفي بعد عطاء. انظر: الكاشف ٣٢/٢، وتقريب التهذيب ٣٩٦/١.

(٣) جامع البيان ٥١٤/١٦، والتسهيل٣٩/٣، وأضواء البيان٢٩٩/٤.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٢٩/٦، والحاكم في المستدرك ٤٢١/٢، والبيهقي في الكبرى١٧٦/٥، والطبري ٥١٤/١٦، وابن أبي حاتم ٢٤٨٦/٨، كلهم عن ابن عباس.

(٥) جامع البيان ٥١٤/١٦.

(٦) التسهيل٣٩/٣.

ج- قال الشنقيطي: والخطاب في قوله: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾ لإبراهيم كما هو ظاهر من السياق. وهو قول الجمهور، خلافاً لمن زعم أن الخطاب لنبينا ﷺ ، وعلى إبراهيم ﷺ ، وممن قال بذلك: الحسن، ومال إليه القرطبي، فقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾ أي: وأمرنا إبراهيم أن أذن في الناس بالحج: أي أعلمهم، وناد فيهم بالحج: أي بأن الله أوجب عليهم حج بيته الحرام[١].

القول الثاني: المأمور بالأذان: محمدﷺ. والمعنى أعلمهم يا محمد بوجوب الحج عليهم[٢].

وممن قال به: الحسن[٣].

ومن أقوالهم:

قال الحسن: هذا الأمر بالتأذين للنبي ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع، ففعل ذلك حيث قال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج[٤].

حاصل الدراسة:

لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له: أذن في الناس بالحج، وهو قول جماعة المفسرين إلا الحسن، وهذا القول المروي عن الحسن خلاف الظاهر. وقد ذكره الثعلبي عن الحسن وصدره بقوله: وزعم الحسن[٥].

قالوا: إن الخطاب لإبراهيم عليه السلام تم عند قوله: ﴿ ٱلسُّجُودِ ﴾ ، ثم خاطب الله

---

(١) أضواء البيان٤/٢٩٩.

(٢) الكشف والبيان ١٨/٧، والبسيط ٣٥٨/١٥، والكشاف ١٥٣/٣، وزاد المسير ٢٣٢/٣، وفتح القدير٣/٤٤٨.

(٣) زاد المسير ٢٣٢/٣.

(٤) الكشف والبيان ١٨/٧، والبسيط ٣٥٨/١٥.

(٥) البسيط ٣٥٨/١٥.

عز وجل محمداً ﷺ فقال: وأذن في الناس بالحج، أي: أعلمهم أن عليهم الحج[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المأمور بالأذان: إبراهيم. وهو قول المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٢.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [١]

١٧٦- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: التجارة والأسواق[٢].

القول الثاني: منافع الدنيا والآخرة[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾ أي: ليحصلوا منافع.

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: يعني: التجارة والأسواق[٤].

وقال مجاهد: منافع الدنيا والآخرة[٥]. **وهو أصح**[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: يعني: التجارة والأسواق، ومنافع الدنيا[٧].

---

(١) سورة الحج آية: ٢٨.

(٢) جامع البيان ٥١٩/١٦، ومعالم التنزيل ٢١٣/٣، والمحرر الوجيز ١١٨/٤، وزاد المسير ٤٢٥/٥، وفتح القدير٤٤٨/٣.

(٣) تفسير مجاهد٤٢٢/٢، وجامع البيان ٥٢٠/١٦، وتفسير ابن أبي زمنين١٧٨/٣، وابن العربي٢٨٢/٣، وزاد المسير ٢٣٣/٣، والجامع لأحكام القرآن٤١/١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤/١٠، وروح المعاني١٤٥/١٧.

(٤) أخرجه الطبري٥١٩/١٦، وابن أبي حاتم ٢٤٨٨/٨.

(٥) أخرجه الطبري٥١٩/١٦، ومجاهد ٤٢٢/٢.

(٦) رموز الكنوز ٤٥/٥.

(٧) جامع البيان ٥١٩/١٦، ومعالم التنزيل ٢١٣/٣، والمحرر الوجيز ١١٨/٤، وزاد المسير ٤٢٥/٥، وفتح القدير٤٤٨/٣.

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، والسدي، واختيار ابن قتيبة[١].

واستدلوا بما يلي :

١- أنه كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٢]

٢- عن أبي رزين في قوله: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَفِعَ لَهُمْ ﴾ . قال: أسواقهم[٣].

القول الثاني: منافع الدنيا والآخرة[٤].

وممن قال به:

مجاهد، وعطاء، والطبري، وابن أبي زمنين، وابن العربي، وابن الجوزي، وابن كثير، والألوسي[٥].

واستدلوا بما يلي:

عن مجاهد في قوله: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَفِعَ لَهُمْ ﴾ . قال: الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) جامع البيان ٥٢٠/١٦، وغريب القرآن لابن قتيبة ص٢٩٢، والكشف والبيان١٩/٧، والبسيط٣٦١/١٥، وزاد المسير ٢٣٣/٣.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٨.

(٣) جامع البيان ٥٢٠/١٦.

(٤) معالم التنزيل ٢١٣/٣، وزاد المسير ٢٣٣/٣، والمحرر الوجيز ١١٨/٤، وفتح القدير٤٤٨/٣.

(٥) تفسير مجاهد٤٢٢/٢، وجامع البيان ٥٢٠/١٦، وتفسير ابن أبي زمنين١٧٨/٣، وأحكام القرآن لابن العربي٢٨٢/٣، وزاد المسير ٢٣٣/٣، والجامع لأحكام القرآن٤١/١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤/١٠، وروح المعاني١٤٥/١٧.

(٦) جامع البيان ٥٢١/١٦.

أ- قال الطبري: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عني بذلك ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت[١].

ب- قال ابن الجوزي: منافع الدارين جميعاً، قاله مجاهد. وهو أصح؛ لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصدُ لحج؛ والتجارة تبعٌ[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

هي العفو والمغفرة. فخصوا المنافع بمنافع الآخرة[٣].

ممن رُوي عنه أو قال به: أبو جعفر محمد بن علي، وسعيد بن المسيب، والضحاك، والزجاج، والسمرقندي[٤].

ومن أقوالهم:

قال الزجاج: ليشهدوا ما ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم[٥].

حاصل الدراسة:

﴿ مَنَـٰفِعَ ﴾ عظيمة الخطر،كثيرة العدد فتنكيرها وإن لم يكن فيها تنوين للتعظيم والتكثير، ويجوز أن يكون للتنويع أي نوعاً من المنافع الدينية والدنيوية، وتعميم المنافع بحيث تشمل النوعين مما ذهب إليه جمع . فأما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات، جائزة للحاج

---

(١) جامع البيان ٥٢٢/١٦.

(٢) زاد المسير ٢٣٣/٣.

(٣) جامع البيان ٥٢٢/١٦، ومعالم التنزيل ٢١٣/٣، والمحرر الوجيز ١١٨/٤، وزاد المسير ٤٢٥/٥، وفتح القدير٤٤٨/٣.

(٤) جامع البيان ٥٢٢/١٦، وبحر العلوم٤٥٧/٢، والنكت والعيون ١٩/٤، ومعالم التنزيل ٢١٣/٣، وزاد المسير ٢٣٣/٣، وفتح القدير٤٤٨/٣.

(٥) معاني القرآن للزجاج٤٢٣/٣.

من غير كراهة إذا لم تكن هي المقصودة من السفر.

فإن الله عم لهم المنافع، ولم يخصص من ذلك شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل، فتعم المنافع التي وصفت.

المناقشة والترجيح:

الراجح: الآية على العموم في منافع الدنيا والآخرة، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]

١٧٧– مسألة: لم سُمِّي البيت العتيق؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: لأنه لم يظهر عليه جبار[2].

القول الثاني: سُمِّي عتيقاً؛ لأنه لم يُملك قط[3].

القول الثالث: أنه أعتق من الغرق زمن الطوفان[4].

القول الرابع: لقدمه، وكونه أول بيت وضع للناس[5].

القول الخامس: لكرمه على الله، ومنه عتاق الخيل والطير[6].

قال الرسعني:

﴿ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ قال المفسرون: هذا هو الطواف الواجب الذي هو ركن من أركان الحج، ويسمى طواف الإفاضة.

---

(١) سورة الحج آية: ٢٩.

(٢) جامع البيان ٥٢٩/١٦، وتفسير ابن أبي زمنين١٧٩/٣، وبحر العلوم٤٥٧/٢، والنكت والعيون٢٠/٤، والبسيط٣٧٥/١٥، ومعالم التنزيل ٢١٦/٣، وزاد المسير٢٣٤/٣، ومفاتيح الغيب ٢٧/٢٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٥٠/١٠، وإرشاد العقل السليم١٠٤/٦.

(٣) جامع البيان ٥٢٩/١٦، والنكت والعيون٢٠/٤، والبسيط٣٧٥/١٥، ومعالم التنزيل ٢١٦/٣، وزاد المسير٢٣٤/٣، ولباب التأويل ١٥/٥، وروح المعاني ١٤٧/١٧.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤٢٤/٣، والنكت والعيون٢٠/٤، ومعالم التنزيل ٢١٦/٣، ومفاتيح الغيب ٢٧/٢٣، ولباب التأويل ١٥/٥، وروح المعاني ١٤٧/١٧.

(٥) جامع البيان ٥٢٩/١٦، وبحر العلوم٤٥٧/٢، ومعالم التنزيل ٢١٦/٣، ومفاتيح الغيب ٢٧/٢٣، ولباب التأويل ١٥/٥، وإرشاد العقل السليم١٠٤/٦، وأضواء البيان ٢٥٣/٥،

(٦) مفاتيح الغيب ٢٧/٢٣، وروح المعاني ١٤٧/١٧، وأضواء البيان ٢٥٣/٥.

فإن قيل: لم سُمِّي البيت العتيق؟

قلتُ: عنه أجوبة، **أصحها**: ما أخرجه الترمذي من حديث ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ :" إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه لم يظهر عليه جبار"[١].

قال قتادة: كم من جبَّار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى[٢].

وقال سعيد بن جبير: أقبل تُبَّع يريد هدم البيت، حتى إذا كان بقُدَيد[٣] أصابه الفالج[٤]، فدعا الأحبار فقالوا: إن لهذا البيت رباً ما قصده قاصد بسوء إلا حجبه عنه بمكروه، فإن كنت تريد النجاة مما عرض لك فلا تتعرّضه بسوء، قال: فأهدى للبيت أنطاعاً وكسوة فألبسها، وكان أول من ألبسه، ونحر عنده ألف ناقة، وعفا عن أهله وبرَّهم ووصلهم[٥].

فإن قيل: فما نصنع بفعل الحجَّاج؟

قلتُ: لم يكن قصده انتهاك حرمة البيت، إنما كان قصده ابن الزبير حين تحصَّن بالبيت، فكان هدمه ضِمناً وتبعاً، لا أصلاً ومقصوداً.

الجواب الثاني: أنه سُمِّي عتيقاً؛ أنه لم يُملك قط. رواه سفيان بن عيينة عن مجاهد[٦].

الثالث: أنه أعتق من الغرق زمن الطوفان. قاله ابن السائب[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، سورة الحج ح(٣١٧٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره ١٠٢/٣.

(٣) قديد: موضع قرب مكة، وهو وادٍ فحل من أودية الحجاز، وينقسم على قسمين: علوي وسفلي. فالعلوي يسمى ستارة، والسفلي يسمى قديداً، ويسكن النصف السفلي زبيد بن حرب، ويبعد عن مكة (١٣٠) كيلاً من ناحية الشمال على طريق المدينة المنورة. ومازال معروفاً بهذا الاسم على الآن. انظر: معجم البلدان ٣١٣/٤، ومعجم معالم الحجاز ٩٦/٧-٩٧.

(٤) الفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولاً. انظر: المعجم الوسيط ٦٩٩/٢.

(٥) روح المعاني ١٤٧/١٧.

(٦) أخرجه الطبري٥٢٩/١٦، ومجاهد ٤٢٣/٢، والنكت والعيون٢١/٤.

(٧) النكت والعيون ٢١/٤، وزاد المسير٢٣٤/٣.

الرابع: لقدمه، وكونه أول بيت وضع للناس. قاله الحسن[١].

الخامس: لكرمه على الله، ومنه عِتاقُ الخيل والطير[٢].[٣]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أعتقه من الجبابرة أن يصلوا على تخريبه فلم يظهر عليه جبارٌ قط، ولم يرده أحد بسوء إلا هلك[٤].

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، وابن الزبيرﷺ، وسعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة، وخصيف، وابن أبي نجيح[٥] [٦].

واستدلوا بما يلي :

روى ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ :" إنما سَمَّى الله البيت العتيق؛ لأن الله اعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليه جبار قط[٧].

القول الثاني: سُمِّي عتيقاً؛ لأنه لم يُملك قط، فعلى هذا يُسمى العتيق؛ لأنه لم يدعه أحد من الناس.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٤٩٠/٨.

(٢) ذكره النسفي في تفسيره ١٠٢/٣.

(٣) رموز الكنوز ٤٧/٥-٤٩.

(٤) جامع البيان ٥٢٩/١٦، وتفسير ابن أبي زمنين١٧٩/٣، وبحر العلوم٤٥٧/٢، والنكت والعيون٢٠/٤، والبسيط٣٧٥/١٥، ومعالم التنزيل ٢١٦/٣، وزاد المسير٢٣٤/٣، ومفاتيح الغيب ٢٧/٢٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٥٠/١٠، وإرشاد العقل السليم١٠٤/٦.

(٥) هو عبد الله ابن أبي نجيح، روى عن مجاهد. انظر: سير أعلام النبلاء٣٥٠/٣، وخلاصة التذهيب ٤٧٨/١.

(٦) جامع البيان ٥٢٩/١٦، وتفسير ابن أبي زمنين١٧٩/٣، والبسيط٣٧٥/١٥، ومعالم التنزيل ٢١٦/٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير٥٠/١٠، وروح المعاني ١٤٧/١٧.

(٧) رواه البخاري في "التاريخ الكبير"٢٠١/١، والترمذي كتاب تفسير القرآن، سورة الحج ح(٣١٧٠) وقال: حديث حسن صحيح. وضعف هذا الحديث الألباني كما في "ضعيف الجامع" ص٢٩٨، ح(٢٠٥٩).

وممن رواه: سفيان بن عيينة عن مجاهد في رواية[١].

القول الثالث: أنه أعتق من الغرق زمن الطوفان[٢].

وممن قال به: سعيد بن جبير، وعكرمة، وابن السائب الكلبي، وابن زيد[٣].

واستدلوا بما يلي :

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾[٤].

القول الرابع: لقدمه، وكونه أول بيت وضع للناس[٥]. يقال: دينار عتيق، أي قديم.

وممن قال به:

١- قتادة، والحسن، وابن زيد[٦].

٢- الشنقيطي[٧].

واستدلوا بما يلي :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾[٨].

ومن أقوالهم:

---

(١) جامع البيان ٥٢٩/١٦، والنكت والعيون٢٠/٤، والبسيط٣٧٥/١٥، ومعالم التنزيل ٢١٦/٣، وزاد المسير٢٣٤/٣، ولباب التأويل ١٥/٥، وروح المعاني ١٤٧/١٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٢٤/٣، والنكت والعيون٢٠/٤، ومعالم التنزيل ٢١٦/٣، ومفاتيح الغيب ٢٧/٢٣، ولباب التأويل ١٥/٥، وروح المعاني ١٤٧/١٧.

(٣) بحر العلوم٤٥٧/٢، والنكت والعيون٢٠/٤، والبسيط٣٧٥/١٥، وزاد المسير٢٣٤/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٥٠/١٠.

(٤) سورة الحج آية: ٢٦.

(٥) جامع البيان ٥٢٩/١٦، وبحر العلوم٤٥٧/٢، ومعالم التنزيل ٢١٦/٣، ومفاتيح الغيب ٢٧/٢٣، ولباب التأويل ١٥/٥، وإرشاد العقل السليم١٠٤/٦، وأضواء البيان ٢٥٣/٥،

(٦) معالم التنزيل ٢١٦/٣، وزاد المسير٢٣٤/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٥٠/١٠.

(٧) أضواء البيان ٢٥٣/٥.

(٨) سورة آل عمران آية: ٩٦.

قال الشنقيطي: فاعلم: أنه قد دلت آية من كتاب الله، على أن العتيق في الآية بمعنى: القديم الأول وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾[١] مع أن المعنيين الآخرين كلاهما حق، ولكن القرآن دل على ما ذكرنا، وخير ما يفسر به القرآن القرآن[٢].

القول الخامس: لكرمه على الله، ومنه: عِتاقُ الخيل والطير[٣].

وممن قال به: سعيد بن جبير[٤].

واستدلوا بما يلي :

١- تسمى الكرم عتقاً ومنه قول كعب بن زهير:

قنواء في حرتيها للبصير بها عتق مبين وفي الخدين تسهيل [٥]

فقوله: عتق مبين: أي كرم ظاهر.

٢- ومنه قول المتنبي:

ويبين عتق الخيل في أصواتها، أي: كرمها، والعتق من الجبابرة كالعتق من الرق، وهو معروف[٦].

ومن أقوالهم:

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون (العتيق) صفة مدح تقتضي جودة الشيء، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ حملت على فرس عتيق[٧].

---

(١) سورة آل عمران آية: ٩٦.

(٢) أضواء البيان ٢٥٣/٥.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٧/٢٣، وروح المعاني ١٤٧/١٧، وأضواء البيان ٢٥٣/٥.

(٤) روح المعاني ١٤٧/١٧.

(٥) جمهرة أشعار العرب ٢٣٨/١، وأضواء البيان ٢٥٣/٥.

(٦) ديوان المتنبي ٢٣/١، وأضواء البيان ٢٥٣/٥.

(٧) المحرر الوجيز ١١٩/٤.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قيل: فعيل بمعنى مفعل، أي: معتق رقاب المذنبين ونسبة الإعتاق إليه مجاز؛ لأنه تعالى يعتق رقابهم بسبب الطواف به[١].

وقيل: يعني: عتق في الجاهلية من القتل والسبي والجراحات وغيرها، هذا قول مقاتل[٢].

٢- قالت فرقة سمي عتيقاً؛ لأن الله تعالى يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب قال ابن عطية: وهذا يرده التصريف[٣].

حاصل الدراسة:

اختلف المفسرون في وجه صفة البيت ب ﴿ ٱلۡعَتِيقِ﴾ فقيل: القديم، يقال سيف عتيق وقد عتق الشيء، وهذا القول أكثر ما جاء في التفسير، قال ابن عطية، والألوسي وهذا قول يعضده النظر، والظاهر وهو المتبادر، إذ هو أول بيت وضع للناس، إلا أن ابن الزبير قال: سمي عتيقاً؛ لأن الله تعالى أعتقه من الجبابرة بمنعه إياه منهم وروي في هذا حديث عن النبي ﷺ ولا يعدل عن الحديث إن صح.

قال الطبري: ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله: ﴿ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ وجه صحيح، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر. غير أن الذي روي عن بن الزبير أولى بالصحة، إن كان ما حدثني به محمد بن سهل البخاري [٤]صحيحاً[٥]. والحديث ضعفه الألباني.

---

(١) روح المعاني ١٤٧/١٧

(٢) تفسير مقاتل٣٨١/٢، وبحر العلوم٤٥٧/٢.

(٣) المحرر الوجيز ١١٩/٤.

(٤) قال ثنا عبد الله بن صالح قال أخبرني الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن الزهري عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول اللهﷺ: إنما سمي البيت العتيق؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط. انظر: جامع البيان ٥٣١/١٦.

(٥) جامع البيان ٥٣١/١٦.

وقالت فرقة سمي عتيقاً؛ لأنه لم يُملك موضعه قط. وقيل: سمي عتيقاً؛ لأنه أعتق من غرق الطوفان.

وقال الواحدي: وقول من قال إن العتيق: بمعنى الكريم من قولهم: فرس عتيق ليس بشيء؛ لأن معنى العتيق في الخيل: السابق، يقال عتقت الفرس إذا سبقت الخيل فنجت[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: كل ما مر في تفسير العتيق فجائزٌ حسن- والله أعلم بحقيقة ذلك- والقول بالقدم هو ظاهر القرآن.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

---

(١) البسيط١٥/٣٧٦، والمحرر الوجيز ٤/١١٩، وروح المعاني ١٧/١٤٧.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١)

١٧٨- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: لكم في الشعائر منافع بركوبها، وشُرب لبنها الفاضل عن ولدها، إلى وقت نحرها(٢).

القول الثاني: لكم فيها منافع قبل أن يسميها صاحبها هدياً أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء(٣).

قال الرسعني:

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ أي: لكم في الشعائر منافع بركوبها، وشُرب لبنها الفاضل عن ولدها، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وهو وقت نحرها. هذا قول عطاء، ومذهب الأئمة الثلاثة؛ أحمد، ومالك، والشافعي، ومنع ذلك أبو حنيفة وكثير من المفسرين.

قال ابن عباسﷺ ومجاهد وقتادة:" لكم فيها منافع" يعني: قبل أن يسميها صاحبها هدياً أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء.

والأول أصح؛ لما أُخرج في الصحيحين من حديث أبي حديث أبي هريرة ﷺ " أن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له: اركبها، فقال: يا رسول الله إنها بدنة، فقال رسول الله ﷺ: اركبها ويلك، في الثانية أو الثالثة".

---

(١) سورة الحج آية: ٣٣.

(٢) البسيط ٣٩٣/١٥، ومعالم التنزيل ٢١٨/٣، والمحرر الوجيز ١٢١/٤، وزاد المسير ٢٣٦/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨/١٠، وروح المعاني ١٥٢/١٧.

(٣) البسيط ٣٩٢/١٥، ومعالم التنزيل ٢١٨/٣، والمحرر الوجيز ١٢١/٤، وزاد المسير ٢٣٦/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨/١٠، وروح المعاني ١٥٢/١٧.

ولأن الله تعالى قال: ﴿ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ أي: في الشعائر، وقبل إيجابها لا تسمى شعائر، وهذا الذي ذكرناه من تفسير الشعائر وفرّعنا عليه هو المشهور عند المفسرين والفقهاء[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: لكم في الشعائر منافع بركوبها، وشُرب لبنها الفاضل عن ولدها، إلى وقت نحرها، وهو قول جمهور المفسرين[٢].

وممن قال به:

١- قول عطاء، وإسحاق، ومذهب الأئمة الثلاثة؛ أحمد، ومالك، والشافعي[٣].

٢- الماوردي، وابن عادل، والشوكاني[٤].

واستدلوا بما يلي :

١- لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ أي: لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وأعظم هذه المنافعِ محلها إلى البيت العتيق، أي: وقت وجوب نحرها منتهية إلى البيت كقوله: ﴿ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ ﴾ [٥].

٢- لما أُخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ " أن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له: اركبها، فقال: يا رسول الله إنها بدنة، فقال رسول الله ﷺ: اركبها ويلك، في الثانية أو الثالثة"[٦].

---

(١) رموز الكنوز ٥٤/٥.

(٢) البسيط ٣٩٣/١٥، ومعالم التنزيل ٢١٨/٣، والمحرر الوجيز ١٢١/٤، وزاد المسير ٢٣٦/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨/١٠، وروح المعاني١٥٢/١٧.

(٣) جامع البيان ٥٤٧/١٦.

(٤) النكت والعيون ٢٤/٤، واللباب في علوم الكتاب ٨٦/١٤، وفتح القدير٤٥٢/٣.

(٥) سورة المائدة آية: ٩٥.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب ركوب البدن، ح(١٦٨٩). ومسلم كتاب الحج، باب جواز ركوب

ومن أقوالهم:

أ- قال الماوردي: أن المنافع قبل الإيجاب وبعده، والأجل المسمى هو النحر[١].

ب- قال الرازي: بعد ذكر القولين وهذا القول أولى- لكم في البدن منافع مع تسميتها هدياً بأن تركبوها إن احتجتم إليها، وأن تشربوا ألبانها إذا اضطررتم إليها، إلى أن تنحروها -؛ لأنه تعالى قال: ﴿ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ أي: في الشعائر ولا تسمى شعائر قبل أن تسمى هدياً[٢].

ج- قال الشوكاني: الشعائر على العموم أو على الخصوص، وهى البدن كما يدل عليه السياق، ومن منافعها الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ وهو وقت نحرها[٣].

القول الثاني: لكم فيها منافع قبل أن يسميها صاحبها هدياً أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء[٤].

وممن قال به:

١- رواية مقسم عن ابن عباسﷺ، ومجاهد، وابن أبي نجيح، والضحاك، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة.

٢- الكلبي، والطبري[٥].

واستدلوا بما يلي:

البدنة المهداة لمن احتاج إليها، ح(١٣٢٢).

(١) النكت والعيون ٢٤/٤.

(٢) مفاتيح الغيب٣٠/٢٣.

(٣) فتح القدير٤٥٢/٣.

(٤) البسيط ٣٩٢/١٥، ومعالم التنزيل ٢١٨/٣، والمحرر الوجيز ١٢١/٤، وزاد المسير ٢٣٦/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٥٨/١٠، وروح المعاني١٥٢/١٧.

(٥) جامع البيان ٥٤٧/١٦، وتفسير ابن أبي زمنين ١٨٠/٣، والبسيط ٣٩٣/١٥، والكشف والبيان ٢٢/٧.

قال عطاء ابن أبي رباح: لكم في هذه الهدايا منافع بعد ايجابها، وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيء من ذلك أو اضطررتم إلى شرب ألبانها إلى أجل مسمى وهو أن تنحر[١].

حاصل الدراسة:

نسب الواحدي القول لأكثر أهل التفسير أن المراد في الهدايا منافع لصاحبها إلى أن يسميها هديا ويشعرها، فله منافع رسلها[٢] ونسلها وأصوافها وأوبارها، وركوب ظهورها، على أن يسميها هدياً فتنقطع المنافع بعد ذلك.

واحتج أبو حنيفة لهذا القول على أنه لا يملك من منافعها بأنه لا يجوز له أن يؤجرها للركوب فلو كان مالكاً لمنافعها لملك عقد الإجارة عليها كمنافع سائر المملوكات. وأجيب بأن هذا قياس في معارضة النص فلا عبرة به، وأيضاً فإن أم الولد لا يملك بيعها ويمكنه الانتفاع بها فكذا ههنا.

والمعنى الذي يشهد له التنزيل والصحيحين: أن لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا، بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أن تنحروها. من غير ضرر بها، لما روي عن أبي هريرة في الصحيحين.

وفي هذا تشريع لإباحة الانتفاع بالهدايا انتفاعاً لا يتلفها، وهو رد على المشركين إذ كانوا إذا قلّدوا الهدْيَ وأشعَرُوه حظروا الانتفاع به من ركوبه وحمل عليه وشرب لبنه، وغير ذلك[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الأجل المسمّى هو وقت نحرها، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما

---

(١) زاد المسير ٢٣٦/٣.

(٢) هو اللبن. لسان العرب ٢٨٢/١ مادة(رسل).

(٣) البسيط٣٩٢/١٥، ولباب التأويل١٧/٥، واللباب في علوم الكتاب ٨٦/١٤، ومفاتيح الغيب٣٠/٢٣، والتحرير والتنوير٢٥٨/١٧.

خالفه[١].

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [١]

١٧٩– مسألة: هل تطلق البدن على غير الإبل من البقر أم لا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الإبل والبقر[٢].

القول الثاني: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم[٣].

قال الرسعني:

قال جمهور المفسرين: البُدن: الإبل والبقر.

والصحيح ما قاله صاحبنا القاضي أبو يعلى بن الفراء رحمة الله عليه: أن البدنة: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم؛ لأن النبي ﷺ جعل البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الإبل والبقر[٥].

وممن قال به:

---

(١) سورة الحج آية: ٣٦.

(٢) جامع البيان ٥٥٣/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم٢٤٩٣/٨، والكشف والبيان٢٢/٧، والنكت والعيون٢٦/٤، والبسيط ٤٠٨/١٥، ومعالم التنزيل ٢٢٠/٣، وزاد المسير٢٣٧/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٦٢/١٠.

(٣) زاد المسير ٢٣٧/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٢/١٠، واللباب في علوم الكتاب ٩١/١٤، وروح المعاني١٥٥/١٧.

(٤) رموز الكنوز ٦٠/٥.

(٥) المحرر الوجيز ١٢٢/٤، والجامع لأحكام القرآن٦١/١٢، واللباب في علوم الكتاب ٩١/١٤.

١- روي عن جابر، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعطاء، والسدي [١].

٢- مالك، وأبو حنيفة، والبغوي، وابن الجوزي[٢].

واستدلوا بما يلي :

بأقوال أهل اللغة:

١- نقل النووي في تحرير ألفاظ التنبيه عن الأزهري أنه قال: البدنة تكون من الإبل والبقر والغنم[٣].

٢- في القاموس: هي الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة، وتطلق على الذكر والأنثى، وكونها من النوعين قول معظم أئمة اللغة[٤].

٣- قال ابن منظور: بالهاء تقع على الناقة، والبقرة، والبعير الذكر مما يجوز في الهدي والأضاحي[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال البغوي: يريد الإبل الصحاح الأجسام والبقر، ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها[٦].

---

(١) جامع البيان ٥٥٣/١٦، وتفسير ابن أبي حاتم٢٤٩٣/٨، والكشف والبيان٢٢/٧، والنكت والعيون٢٦/٤، والبسيط ٤٠٨/١٥، ومعالم التنزيل ٢٢٠/٣، وزاد المسير٢٣٧/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٦٢/١٠.

(٢) معالم التنزيل ٢٢٠/٣، وزاد المسير ٢٣٧/٣، ولباب التأويل ١٨/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٢/١٠.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٩١/١٤.

(٤) روح المعاني١٥٥/١٧.

(٥) لسان العرب ٤٩/١٣ مادة (بدن)، والمعجم الوسيط ٤٤/١ مادة(بدن).

(٦) معالم التنزيل ٢٢٠/٣، ولباب التأويل ١٨/٥.

ب- قال ابن الجوزي: والأول-الإبل والبقر- قول أكثر فقهاء الأمصار[١].

القول الثاني: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم[٢].

وممن قال به: ابن كثير، والألوسي[٣].

واستدلوا بما يلي:

عن جابر بن عبد اللهرضي الله عنه قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة[٤]. وأريد إن العطف يقتضي المغايرة[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن كثير: اختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين؛ أصحهما: أنه يطلق عليها ذلك شرعاً كما صح في الحديث[٦].

ب- قال الألوسي: والظاهر أن استعمال البدنة فيما يكون من الإبل أكثر، وإن كان أمر الأجزاء متحدا[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- وللمفسرين في البدن قول آخر، وهو: أنها الإبل خاصّة[٨].

---

(١) زاد المسير ٢٣٧/٣.

(٢) زاد المسير ٢٣٧/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٢/١٠، واللباب في علوم الكتاب ٩١/١٤، وروح المعاني ١٥٥/١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٢/١٠، وروح المعاني ١٥٥/١٧.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب الاشتراك في الهدى وإجزاء البقرة والبدنة كل منهما عن سبعة، ح(١٣١٨).

(٥) روح المعاني ١٥٥/١٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٢/١٠.

(٧) روح المعاني ١٥٥/١٧.

(٨) المحرر الوجيز ١٢٢/٤، واللباب في علوم الكتاب ٩١/١٤.

ممن روي عنه أو قال به:

ذكره الماوردي، وعزاه للجمهور، وحكاه القرطبي عن ابن مسعود، ومجاهد، وعطاء، والشافعي، والقرطبي، والشوكاني[١].

واستدلوا:

أنه قال بعدها: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ وهذا يختص بالإبل؛ فإنها تنحر قائمة، دون البقر يضجع ويذبح كالغنم[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال القرطبي: والصحيح ما ذهب إليه الشافعي وعطاء لقوله ﷺ في الحديث الصحيح في يوم الجمعة: من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة[٣].

فتفريقه عليه السلام بين البقرة والبدنة يدل على أن البقرة لا يقال عليها بدنة، والله أعلم.

ب- قال الشوكاني: وهذا الاسم خاص بالإبل وسميت بدنة؛ لأنه تبدن والبدانة السمن وقال أبو حنيفة ومالك إنه يطلق على غير الإبل، والأول أولى لما سيأتي من الأوصاف التي هي ظاهرة في الإبل ولما تفيده كتب اللغة من اختصاص هذا الاسم بالإبل[٤].

٢- كل ذات خُفٍّ من الإبل والبقر والغنم. حكاه ابن شجرة، وقال الماوردي شاذ[٥].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم٨/٢٤٩٣، والنكت والعيون٤/٢٦، وزاد المسير ٣/٢٣٧، والجامع لأحكام القرآن١٢/٦١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/٦٢.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٣/٣٢، والجامع لأحكام القرآن١٢/٦١.

(٣) رواه البخاري كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ح(٨٨١)، ومسلم ، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، ح(٨٥٠).

(٤) فتح القدير ٣/٤٥٤.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم٨/٢٤٩٣، والنكت والعيون ٤/٢٦.

حاصل الدراسة:

﴿ وَٱلۡبُدۡنَ ﴾ جمع بدنة، سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، والجمهور على ذلك؛ ولأن رسول الله ﷺ ألحقَ البقرَ بالإبلِ حين قال: " البدنةُ عن سبعةٍ، والبقرةُ عنْ سبعةٍ"؛ فجعل البقر في حكم الإبل، صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه، وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية[١].

ولعل مراد جابر بقوله في البقرة" وهل هي إلا من البدن" أن حكمها حكمها، وإلا فيبعد جهل السائل بالمدلول اللغوي ليرد عليه بذلك[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الذي يظهر أن البدن في الآية هي الإبل للتعليل الذي ذكره القرطبي، والبقرة تدخل في مسمى البدن من حيث اتحاد الحكم بينهما. والبدنة حيث أطلقت في كتب الحديث والفقه، المراد بها البعير ذكراً كان أو أنثى.

وأما أهل اللغة فقال كثير منهم أو أكثرهم يطلق على البعير والبقرة، وقال الأزهري تكون من الإبل والبقر والغنم[٣]. وهذا على خلاف ما نسبه الرسعني لأهل اللغة.

القاعدة: إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله قدمت الشرعية[٤].

---

(١) الكشاف ١٥٩/٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٣٢/٢٣، وروح المعاني١٥٥/١٧.

(٣) تحرير ألفاظ التنبيه ١٤٤/١.

(٤) النكت والعيون ٣٩/١، والتسهيل ١١/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٤٠١/٢.

قال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[1]

١٨٠- مسألة: ما المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الله سمّاكم المسلمين من قبل نزول القرآن في الكتب السالفة المتقدمة، وفي هذا الكتاب[2].

القول الثاني: إبراهيم سمّاكم المسلمين من قبل، حين قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ ﴾، وفي هذا وهو قوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾[3].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾ قال ابن عباسﷺ: المعنى: الله سمّاكم المسلمين من قبل نزول القرآن في الكتب السالفة المتقدمة، ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾

---

(١) سورة الحج آية: ٧٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٣١/٢، وجامع البيان ٦٤٤/١٦، ومعاني القرآن للزجاج ٤٤٠/٣، والكشف والبيان٣٧/٦، ومعالم التنزيل ٢٣٦/٣، والمحرر الوجيز١٣٥/٤، وزاد المسير ٢٥٣/٣، والجامع لأحكام القرآن١٠١/١٢، والبحر المحيط٣٦١/٦، والدر المصون٣١٠/٨، وتفسير القرآن لابن كثير١٠٠/١٠، وفتح القدير ٤٧١/٣، وروح المعاني٢١٠/١٧.

(٣) زاد المسير ٢٥٣/٣، والكشف والبيان٣٧/٦، وجامع البيان٦٤٦/١٦، ومعالم التنزيل ٢٣٦/٣، والمحرر الوجيز ١٣٥/٤، والجامع لأحكام القرآن١٠١/١٢، والبحر المحيط٣٦١/٦، والدر المصون٣١٠/٨، وفتح القدير ٤٧١/٣، وروح المعاني٢١٠/١٧.

الكتاب[١].

وقال ابن زيد: المعنى: إبراهيم سمّاكم المسلمين من قبل، حين قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ ﴾ ، وفي هذا وهو قوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ [٢] [٣].

والأول أصح[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الله سمّاكم المسلمين من قبل نزول القرآن في الكتب السالفة المتقدمة، أو في أم الكتاب، وفي هذا القرآن[٥].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، والضحاك، وعطاء، وقتادة، ومقاتل بن حيان، والسدي[٦].

٢- الطبري، والسمرقندي، والثعلبي، وابن جزي الكلبي، وابن كثير، والشنقيطي[٧].

واستدلوا بما يلي :

بقراءة أبيّ بن كعب: (الله سماكم)[١].

---

(١) أخرجه الطبري ٦٤٤/١٦، وابن أبي حاتم ٢٥٠٧/٨.

(٢) سورة البقرة آية: ١٢٨.

(٣) أخرجه الطبري ٦٤٦/١٦، وابن أبي حاتم ٢٥٠٧/٨.

(٤) رموز الكنوز ٩٨/٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٣١/٢، وجامع البيان ٦٤٤/١٦، ومعاني القرآن للزجاج ٤٤٠/٣، والكشف والبيان٣٧/٦، ومعالم التنزيل ٢٣٦/٣، والمحرر الوجيز١٣٥/٤، وزاد المسير ٢٥٣/٣، والجامع لأحكام القرآن١٠١/١٢، والبحر المحيط٣٦١/٦، والدر المصون٣١٠/٨، وتفسير القرآن لابن كثير١٠٠/١٠، وفتح القدير ٤٧١/٣، وروح المعاني٢١٠/١٧.

(٦) جامع البيان ٦٤٤/١٦، والبسيط ٥١١/١٥، وتفسير القرآن لابن كثير١٠٠/١٠، وأضواء البيان ٣٠٢/٥.

(٧) جامع البيان ٦٤٦/١٦ ، وبحر العلوم ٤٧٢/٢، والكشف والبيان٣٧/٦، والتسهيل٤٨/٣، وتفسير القرآن لابن كثير١٠٠/١٠، وأضواء البيان ٣٠٢/٥.

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: ولا وجه لما قال بن زيد من ذلك؛ لأنه معلوم أن إبراهيم لم يسم أمة محمد مسلمين في القرآن؛ لأن القرآن أنزل من بعده بدهر طويل، وقد قال الله تعالى ذكره: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا ﴾ ، ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن، وفي القرآن الله الذي لم يزل ولا يزال[٢].

ب- قال الشنقيطي: وفي هذه الآيات قرينتان تدلان على أن قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم غير صواب. إحداهما: أن الله قال ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا ﴾ أي: القرآن، ومعلوم أن إبراهيم لم يسمهم المسلمين في القرآن، لنزوله بعد وفاته بأزمان طويلة، كما نبه على هذا ابن جرير. القرينة الثانية: أن الأفعال كلها في السياق المذكور راجعة إلى الله، لا إلى إبراهيم فقوله: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ أي: الله، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي: الله، ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أي: الله[٣].

القول الثاني: إبراهيم سمّاكم المسلمين من قبل، حين قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ ، فالمعنى: من قبل هذا الوقت، وذلك في زمان إبراهيم عليه السلام، وفي هذا الوقت حين قال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[٤].

وممن قال به: الحسن، وابن زيد، وأبو حيان[٥].

ومن أقوالهم:

---

(١) الكشاف ١٧٥/٣، والتسهيل٤٨/٣، وإرشاد العقل السليم١٢٢/٦.

(٢) جامع البيان ٦٤٦/١٦.

(٣) أضواء البيان ٣٠٢/٥.

(٤) زاد المسير ٢٥٣/٣، والكشف والبيان٣٧/٦، وجامع البيان٦٤٦/١٦، ومعالم التنزيل ٢٣٦/٣، والمحرر الوجيز ١٣٥/٤، والجامع لأحكام القرآن١٠١/١٢، والبحر المحيط٣٦١/٦، والدر المصون٣١٠/٨، وفتح القدير ٤٧١/٣، وروح المعاني٢١٠/١٧.

(٥) جامع البيان ٦٤٦/١٦، والجامع لأحكام القرآن١٠١/١٢، والبحر المحيط٣٦١/٦.

قال أبو حيان: والظاهر أن الضمير في ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ﴾ عائد على (إِبْرَاهِيمَ) وهو أقرب مذكور[١].

حاصل الدراسة:

ظهر بقول الشنقيطي أن القول الأول هو الصحيح، وصوبه ابن كثير وغيره.

ورد النحاس القول أن الضمير عائد لإبراهيم، وقال: وهذا القول مخالف لقول علماء الأمة؛ لأن توجيه قولهم أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور للضمير المذكور: هو إبراهيم. فالجواب: أن محل رجوع الضمير إلى أقرب مذكور محله ما لم يصرف عنه صارف، وهنا قد صرف عنه صارف؛ لأن قوله: ﴿ وَفِي هَـٰذَا ﴾ يعني القرآن، دليل على أن المراد بالذي سماهم المسلمين فيه: هو الله لا إبراهيم، وكذلك سياق الجمل المذكورة قبله نحو ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ يناسبه أن يكون هو سماكم: أي: الله المسلمين[٢].

وقال الألوسي: وفي جوازه خلاف مشهور[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المشار إليه هو: الله سمّاكم المسلمين من قبل نزول القرآن في الكتب السالفة المتقدمة، وفي هذا القرآن. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها[٤].

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٥].

---

(١) البحر المحيط٦/٣٦١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن١٢/١٠١، وفتح القدير ٣/٤٧١، وأضواء البيان ٥/٣٠٣.

(٣) روح المعاني١٧/٢١٠.

(٤) المحرر الوجيز٥/٨، ومفاتيح الغيب٢٢/٤٦، والتسهيل٢/٧٦، وروح المعاني٣٠/٢١٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦١٣.

(٥) جامع البيان ١٢/٢٤٧، والإحكام لابن حزم ٤/٤٣٥، والمحرر الوجيز ١/٤٨٥، ومفاتيح الغيب ١٠/١٩، ومجموع الفتاوى ١٥/١١٢، والبحر المحيط ٢/٦، والتسهيل ٢/٩٧، والبرهان في علوم القرآن ٤/٣٩،

وأضواء البيان ٣/٣٩٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٢١.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [١]

١٨١- مسألة: ما المراد بالقرن، والرسول في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: هم قوم عاد[٢]، والرسول: هو هود عليه السلام[٣].

القول الثاني: هم ثمود، والرسول: صالح[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ قال أكثر المفسرين: هم قوم عاد.

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ وهو هود عليه السلام.

وقال أبو سليمان الدمشقي: هم ثمود، والرسول: صالح.

والأول أصح؛ لقوله تعالى في موضع آخر حكاية لقول هود: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [٥] ، وبدليل مجيء قصة هود عقيب قصة نوح في

---

(١) سورة المؤمنون آية: ٣١-٣٢.

(٢) القرون: جمع قرن، وهو في الاصطلاح الزمني مائة عام، ويطلق على القوم المقترنين معاً في الحياة، ولو على مبدأ من المبادئ، وتوارثه الناس فيما بينهم. وقد يطلق القرن على أكثر من مائة عام كما نقول: قرن نوح، قرن هود، قرن فرعون. أي: الفترة التي عاشرها. انظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٠١.

(٣) معالم التنزيل٣/٢٤٦، وزاد المسير ٣/٢٦١، ولباب التأويل ٥/٣٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/١٢٢، واللباب في علوم الكتاب١٤/٢٠٢.

(٤) معالم التنزيل٣/٢٤٦، وزاد المسير ٣/٢٦١، ولباب التأويل ٥/٣٧، واللباب في علوم الكتاب١٤/٢٠٢.

(٥) سورة الأعراف آية: ٦٩.

الأعراف وهود والشعراء[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: هم قوم عاد، والرسول: هو هود عليه السلام[٢].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، والواحدي، والبغوي، والخازن[٣].

واستدلوا بما يلي :

١- بقوله تعالى في موضع آخر حكاية لقول هود: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾[٤].

٢- وبدليل مجيء قصة هود عقيب قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الخازن: ﴿ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾ يعني: عاداً، ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ يعني: هوداً، قاله أكثر المفسرين. وقيل: القرن ثمود والرسول صالح، والأول أصح[٦].

ب- قال أبو السعود: ﴿ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾ هم عاد حسبما روى عن ابن عباس ﷺ وعليه أكثر المفسرين، وهو الأوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من إيراد قصتهم إثر قصة قوم نوح[٧].

---

(١) رموز الكنوز ١١٧/٥.

(٢) معالم التنزيل٢٤٦/٣، وزاد المسير ٢٦١/٣، ولباب التأويل ٣٧/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٢٢/١٠، واللباب في علوم الكتاب٢٠٢/١٤.

(٣) البسيط٥٦٤/١٥، ومعالم التنزيل٢٤٦/٣، والكشاف١٨٧/٣، ولباب التأويل ٣٧/٥، واللباب في علوم الكتاب٢٠٢/١٤، وإرشاد العقل السليم١٣٢/٦.

(٤) سورة الأعراف آية: ٦٩.

(٥) الكشاف١٨٧/٣، واللباب في علوم الكتاب٢٠٢/١٤.

(٦) لباب التأويل ٣٧/٥.

(٧) إرشاد العقل السليم١٣٢/٦.

القول الثاني: هم ثمود، والرسول: صالح[١].

وممن قال به: أبو سليمان الدمشقي، والطبري[٢].

واستدلوا:

بقوله تعالى بعدها: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٣] وأنه تعالى أرسل فيهم رسولاً منهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: إن هذا القرن هم ثمود، ورسولهم صالح[٥].

ب- قال الألوسي: والمعروف أن قوم صالح هم المهلكون بها - الصيحة- دون قوم هود[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قيل هم أصحاب مدين قوم شعيب؛ لأنهم ممن أهلك بالصيحة[٧].

حاصل الدراسة:

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ هو هود أو صالح عليهما السلام، والأول هو المأثور عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وإليه ذهب أكثر المفسرين. وأيد بقوله تعالى حكاية عن هود: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ لأن قوم هود هم المستخلفين بعد قوم نوح. وبمجيء قصة عاد بعد قصة قوم نوح في سورة الأعراف وسورة

---

(١) معالم التنزيل٣/٢٤٦، وزاد المسير ٣/٢٦١، ولباب التأويل ٥/٣٧، واللباب في علوم الكتاب١٤/٢٠٢.

(٢) جامع البيان ١٧/٣٩، وزاد المسير ٣/٢٦١.

(٣) سورة المؤمنون آية: ٤١.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٠/١٢٢.

(٥) جامع البيان ١٧/٣٩.

(٦) روح المعاني ١٨/٢٨.

(٧) فتح القدير ٣/٤٨٢.

هود وغيرهما.

واختار أبو سليمان الدمشقي، والطبري الثاني، واستدلا عليه بذكر الصيحة آخر القصة، والمعروف أن قوم صالح هم المهلكون بها دون قوم هود[١].

قال ابن عطية: وفي جل الروايات ما يقتضي أن قوم عاد أقدم، إلا أنهم لم يهلكوا بصيحة، وفي هذا احتمالات كثيرة والله أعلم[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد بالقرن هم قوم عاد، والرسول هو هود عليه السلام، وهو قول جمهور المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٣].

---

(١) فتح القدير ٤٨٢/٣، وروح المعاني ٢٨/١٨.

(٢) المحرر الوجيز ١٤٢/٤

(٣) جامع البيان ٥٠٧/١٩، ومعالم التنزيل٣٥/١، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، ومفاتيح الغيب٣٤/١٠، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٣١٢/١.

قال تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [1]

١٨٢- مسألة: هل الآية منسوخة بآية السيف أم محكمة[2]؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: منسوخة بآية السيف[3].

القول الثاني: محكمة[4].

قال الرسعني:

بعض المفسرين يقول: هذه منسوخة بآية السيف، كأنه أمره بالإعراض عن المشركين والصفح والتجاوز عن أذاهم حتى ينقضي الأجل المضروب لهم.

والصحيح: أنها محكمة؛ لأنها حضت على المداراة، والمداراة مشروعة ما لم تُفْضِ إلى

---

(١) سورة المؤمنون آية: ٩٦.

(٢) توسع العلماء في نسخ كثير من آيات الصبر والمسالمة والحسنى بآية السيف. ومن خلال النظر لأقوال المفسرين نجد ما يلي : ١- أنة لا يوجد أي قول صحيح أو حتى ضعيف، مرفوع إلى الرسول علية الصلاة والسلام أن الآيات منسوخة.

٢- وربما لا نجد أي قول صحيح الإسناد لأي صحابي يقول أن هذه الآيات نسخت، وحتى إن وجدنا قول صحيح منسوب لصحابي فهذا القول يقينا من اجتهاده؛ لأننا سوف نوضح بإذن الله أن هناك صحابة لم يقولوا بالنسخ.

٣- الأقوال التي قالت بالنسخ عبارة عن اجتهادات مفسرين، وأيضاً لا يوجد إجماع في المسألة.

٤- أيضا هناك مفسرين قالوا بنسخ بعض الآيات التي لا يمكن أن تُنسخ؛ لأنها يوجد بها أخبار عن الله عز وجل. انظر: مفاتيح الغيب١٠/١٧٩، والجامع لأحكام القرآن ٨/٣٩، ٣/٢٨٠، ومجموع الفتاوى ١٤/١٠١.

(٣) الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة١/١٢٩، والمحرر الوجيز ٤/١٥٥، والكشاف ٣/٢٠٤، وزاد المسير٣/٢٧٠، ومفاتيح الغيب٢٣/١٠٣، والجامع لأحكام القرآن ١٢/١٤٧، وتفسير النسفي ٣/١٣٠، وفتح القدير ٣/٤٩٧، وروح المعاني ١٨/٦٢.

(٤) الكشاف ٣/٢٠٤، والمحرر الوجيز ٤/١٥٥، ومفاتيح الغيب٢٣/١٠٣، والجامع لأحكام القرآن ١٢/١٤٧، وتفسير النسفي ٣/١٣٠، والتسهيل ٣/٥٦، وفتح القدير ٣/٤٩٧، وروح المعاني ١٨/٦٢.

ارتكاب محظور في الدين، أو إزراء بمروءة[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: منسوخة بآية السيف[٢].

وممن قال به:

هبة الله بن سلامة، وابن حزم، والبغوي، والبازري، والخازن، والكرمي[٣].

ومن أقوالهم:

قال هبة الله بن سلامة: قوله تعالى ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ نسختها آية السيف[٤].

القول الثاني: الآية محكمة[٥].

وممن قال به: ابن جزي الكلبي، والزركشي[٦].

ومن أقوالهم:

قال ابن جزي الكلبي: الأظهر أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق، وهو

---

(١) رموز الكنوز ١٥٥/٥.

(٢) الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة١٢٩/١، والمحرر الوجيز ١٥٥/٤، والكشاف ٢٠٤/٣، وزاد المسير٢٧٠/٣، ومفاتيح الغيب١٠٣/٢٣، والجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١٢، وتفسير النسفي ١٣٠/٣، وفتح القدير ٤٩٧/٣، وروح المعاني ٦٢/١٨.

(٣) الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة١٢٩/١، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ٤٦/١، ومعالم التنزيل ٢٥٦/٣، وناسخ القرآن ومنسوخه لهبة الله البازري٤٢/١، ولباب التأويل٤٣/٥، والناسخ والمنسوخ للكرمي ١٤٨/١.

(٤) الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة١٢٩/١، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ٤٦/١، ومعالم التنزيل ٢٥٦/٣، وناسخ القرآن ومنسوخه للبازري٤٢/١، ولباب التأويل٤٣/٥، والناسخ والمنسوخ للكرمي ١٤٨/١.

(٥) الكشاف ٢٠٤/٣، والمحرر الوجيز ١٥٥/٤، ومفاتيح الغيب١٠٣/٢٣، والجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١٢، وتفسير النسفي ١٣٠/٣، والتسهيل ٥٦/٣، وفتح القدير ٤٩٧/٣، وروح المعاني ٦٢/١٨.

(٦) التسهيل ٥٦/٣، والبرهان في علوم القرآن ٤٣/٢-٤٤.

محكم غير منسوخ[١].

حاصل الدراسة:

توسع العلماء في نسخ كثير من آيات الصبر والمسالمة والحسنى بآية السيف، والآية على قول هبة الله بن سلامة، وابن حزم، وابن البازري منسوخة بآية الأمر بالقتال، والصواب أنها محكمة غير منسوخة، ولا تعارض بينها وبين آيات الأمر بالقتال، ولذا نقل ابن الجوزي في نواسخ القرآن عن بعض المحققين من العلماء أنه قال: لا حاجة بنا إلى القول بالنسخ؛ لأن المداراة محمودة ما لم تضر بالدين، ولم يؤد إلى إبطال حق وإثبات باطل[٢].

قال الطبري: الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر، هو ما كان نافياً كل معاني خلافه، الذي كان قبله. فأما ما كان غير ناف جميعه، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله جل وعز، أو من رسوله[٣] .

وقال الزركشي: ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف وليست كذلك، بل هي من المنُسْأ بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما، لعلة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر، وليس بنسخ، إنما النسخ: الإزالة، حتى لا يجوز امتثاله أبداً... فليس حكم المسايفة ناسخاً لحكم المسالمة، بل كل منهما يجب امتثاله في وقته[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الحق أنه لا نسخ في هذا. فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله جل وعز، أو من رسوله. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها

---

(١) التسهيل ٥٦/٣.

(٢) نواسخ القرآن لابن الجوزي١٩٧/١.

(٣) جامع البيان ٢٥٦/٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٤٣/٢-٤٤.

أو انتفى حكمها من كل وجه، أو وقع التعارض التام بين النصين، بحيث لم يمكن الجمع بينهما[١].

(١) جامع البيان ١٨٦/١١، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢٠٠/١، والإحكام لابن حزم ٤٨٤/٤، والتمهيد ٣٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦، وفتح القدير ٨٦/٢، وأضواء البيان ٧٢/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٧١/١.

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[١]

١٨٣- مسألة: على ماذا عُطف "وأنكم"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: معطوف على "أنما خلقناكم"[٢].

القول الثاني: معطوفاً على "عبثاً" [٣].

قال الرسعني:

﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ **الأظهر** أنه معطوف على "أنما خلقناكم"، ويجوز أن يكون معطوفاً على "عبثاً"، على معنى: للعبث ولترككم غير مرجوعين[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: معطوف على "أنما خلقناكم"[٥].

وممن قال به: أبو حيان[٦].

ومن أقوالهم:

قال أبو حيان والظاهر عطف ﴿ وَأَنَّكُمْ ﴾ على ﴿ أَنَّمَا ﴾ فهو داخل في الحسبان[١].

---

(١) سورة المؤمنون آية: ١١٥.

(٢) الكشاف ٢٠٩/٣، والبحر المحيط٣٩١/٦، والدر المصون٣٧٤/٨، واللباب في علوم الكتاب٢٧٠/١٤، وفتح القدير٥٠٠/٣، وروح المعاني٧١/١٨.

(٣) الكشاف ٢٠٩/٣، والبحر المحيط٣٩١/٦، والدر المصون٣٧٤/٨، واللباب في علوم الكتاب٢٧٠/١٤، وفتح القدير٥٠٠/٣، وروح المعاني٧١/١٨.

(٤) رموز الكنوز ١٧٣/٥.

(٥) الكشاف ٢٠٩/٣، والبحر المحيط٣٩١/٦، والدر المصون٣٧٤/٨، واللباب في علوم الكتاب٢٧٠/١٤، وفتح القدير٥٠٠/٣، وروح المعاني٧١/١٨.

(٦) البحر المحيط٣٩١/٦.

القول الثاني: معطوفاً على "عبثاً" [٢].

وممن قال به: جوزه الزمخشري[٣].

ومن أقوالهم:

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون معطوفاً على "عبثاً"، على معنى: للعبث ولترككم غير مرجوعين[٤].

حاصل الدراسة:

﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ عطف على ﴿ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾ أي: أفحسبتم ذلك وحسبتم أنكم لا تبعثون. وهو قول أكثر أهل التفسير واللغة.

وجوز الزمخشري، وذكره المفسرون: أن يكون عطفاً على ﴿ عَبَثًا ﴾ إذا كان مفعولاً من أجله. والمعنى: أفحسبتم أنما خلقناكم للعبث، ولترككم غير مرجوعين، أو عابثين ومقدرين أنكم إلينا لا ترجعون[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: معطوف على "أنما خلقناكم"، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة[٦].

---

(١) البحر المحيط٦/٣٩١.

(٢) الكشاف ٣/٢٠٩، والبحر المحيط٦/٣٩١، والدر المصون٨/٣٧٤، واللباب في علوم الكتاب١٤/٢٧٠، وفتح القدير٣/٥٠٠، وروح المعاني١٨/٧١.

(٣) الكشاف ٣/٢٠٩.

(٤) الكشاف ٣/٢٠٩.

(٥) الكشاف ٣/٢٠٩، والدر المصون٨/٣٧٤، واللباب في علوم الكتاب١٤/٢٧٠، وفتح القدير٣/٥٠٠، وروح المعاني١٨/٧١.

(٦) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١]

١٨٤- مسألة: هل يشرع النفي مع الجلد للبكر إذا زنا؟ والجلد مع الرجم للثيب؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: وجوب النفي في حق البكر. والجلد للثيب[٢].

القول الثاني: لا يشرع النفي في حق البكر. والجلد للثيب[٣].

قال الرسعني:

قال بعض علمائنا: هذه الآية تقتضي وجوب الجلد على البكر والثيب، وقد روي عن النبي ﷺ في حق البكر زيادةً على الجلد بتغريب عام، وفي حق الثيب زيادة على الجلد بالرجم بالحجارة[٤]؛ فروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال:" البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة"[٥].

قلتُ: وهذا الحديث صحيح، وقد ذكرته مُعَنعَناً وتكلمت عليه في سورة النساء[٦].

وممن قال بوجوب النفي في حق البكر: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، وعطاء، وطاووس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأحمد،

---

(١) سورة النور آية: ٢.

(٢) المغني ٤٥/٩، والجامع لأحكام القرآن ١٥٩/١٢، والتسهيل ٥٨/٣، ولباب التأويل ٤٧/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٩/١٠، وفتح القدير ٤/٤.

(٣) المغني ٤٥/٩، والجامع لأحكام القرآن ١٥٩/١٢، والتسهيل ٥٨/٣، ولباب التأويل ٤٧/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٩/١٠، وفتح القدير ٤/٤.

(٤) المغني ٤٥/٩.

(٥) أخرجه مسلم كتاب الحدود، باب حد الزنا، ح(١٦٩٠).

(٦) عند الآية رقم: ١٦.

وإسحاق[١].

وممن قال بالجمع بين الجلد والرجم في حق الثيب: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، والحسن بن صالح، وإمامنا أحمد – في إحدى الروايتين عنه–، وإسحاق[٢].

وذهب قوم على أن الجلد المذكور في هذه الآية للبكر إذا زنا، فأما الثيب فلا يجب عليه إلا الرجم، وهو قول النخعي، والزهري، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وإحدى الروايتين عن إمامنا أحمد[٣].

وقال أبو حنيفة: لا يشرع النفي في حق البكر إذا زنا[٤].

والصحيح: الأول؛ لما أخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ وزيد بن خالد الجهني:" أَنَّ رَجُلاً من الأَعْرَابِ أتى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْشُدُكَ اللَّهَ إلا قَضَيْتَ لي بِكِتَابِ اللَّهِ، فقال الْخَصْمُ الْآخَرُ – وهو أَفْقَهُ منه – نعم فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وائذن لي فقال رسول اللَّهِ ﷺ: قُلْ، قال: إِنَّ ابْنِي كان عَسِيفًا على هذا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ على ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ منه بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ رجالاً من أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ على ابْنِي مِائَةٍ جلدة وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ على امْرَأَةِ هذا الرَّجْمَ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بيده لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ عليك، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، واغْدُ يا أُنَيْسُ على امْرَأَةِ هذا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا. قال فَغَدَا عليها فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بها رسول اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَتْ"[٥].[٦]

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) زاد المسير٣/٢٧٦.

(٢) زاد المسير٣/٢٧٦.

(٣) زاد المسير٣/٢٧٦.

(٤) حاشية ابن عابدين ١/٢٥٩.

(٥) أخرجه البخاري كتاب الحدود، باب إذا اصطلحوا على صلح جورٍ فالصلح مردود، ح(٢٥٧٥)، ومسلم كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، ح١٦٩٧.

(٦) رموز الكنوز ٥/١٨٠-١٨٢.

القول الأول: وجوب النفي في حق البكر. والجلد للثيب.

وممن قال به:

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عمرﷺ، وعطاء، وطاووس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأحمد -إحدى الروايتين عنه-، والحسن بن صالح، وإسحاق[١].

واستدلوا بما يلي :

١- في صحيح مسلم: قوله ﷺ : "البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام"[٢].

١- عن زيد بن خالدﷺ عن رسول ﷺ: أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مائة وتغريب عام[٣].

ومن أقوالهم:

قال البغوي: وقد وردت السنة أنه يجلد مائة ويغرب عاماً، وهو قول أكثر أهل العلم[٤].

القول الثاني: لا يشرع النفي في حق البكر. والجلد للثيب.

وممن قال به:

عن أبي حنيفة لا يشرع النفي في حق البكر.

والثيب لا يجب عليه إلا الرجم، وهو قول النخعي، والزهري، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، وإحدى الروايتين عن إمامنا أحمد[٥].

---

(١) زاد المسير٣/٢٧٦. المغني ٩/٤٥.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب حد الزنا، ح(١٦٩٠).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني، ح(٢٦٤٩).

(٤) معالم التنزيل ٣/٢٦٣.

(٥) زاد المسير٣/٢٧٦.

واستدلوا بما يلي:

عن ابن المسيب أن عمر غرب ربيعة بن أمية بن خلف في الخمر إلى خيبر فلحق بهرقل فتنصر، فقال عمر: لا أغرب مسلماً بعد هذا أبداً؛ ولأن الله تعالى أمر بالجلد دون التغريب، فإيجاب التغريب زيادة على النص[١].

ومن أقوالهم:

قال أبو حنيفة ومحمد بن الحسن: لا يجب التغريب؛ لأن علياً ﷺ قال: حسبهما من الفتنة أن ينفيا[٢].

حاصل الدراسة:

هذه الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد، والمراد بالزانية والزاني المذكورين في هذه الآية: هما اللذان جمعا وصف الحرية والبلوغ، والبكر، وغير محصن. وللعلماء فيه تفصيل. فإن الزاني لا يخلوا إما أن يكون بكراً، وهو الذي لم يتزوج أو محصناً وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل، فأما إذا كان بكرًا لم يتزوج فإن حده مئة جلدة كما في الآية ويزاد على ذلك أن يغرب عاماً عند جمهور العلماء بالسنة. خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله فإن عنده التغريب إلى رأي الإمام إن شاء غرب وإن شاء لم يغرب وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحيحين. ولأن التغريب فعله الخلفاء الراشدون ولا نعرف لهم في الصحابة مخالفاً، فكان إجماعاً؛ ولأن الخبر يدل على عقوبتين في حق الثيب وكذلك في حق البكر. وما رووه عن علي لا يثبت لضعف رواته وإرساله. وقول عمر لا أغرب بعده مسلماً فيحتمل أنه تغريبه في الخمر الذي أصابت الفتنة ربيعة فيه[٣].

---

(١) المغني ٤٥/٩.

(٢) المغني ٤٥/٩.

(٣) المغني ٤٥/٩، والجامع لأحكام القرآن ١٥٩/١٢، والتسهيل ٥٨/٣، ولباب التأويل ٤٧/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٩/١٠، وفتح القدير ٤/٤، وتحفة الفقهاء ١٤٠/٣، وبدائع الصنائع ٩١/٧، والدر المختار ١٤/٤، والمبسوط ٤٤/٩.

المناقشة والترجيح:

الراجح: وجوب النفي في حق البكر الذكر. والجلد للثيب. لورود النص عن النبي ﷺ في صحيح مسلم، وقصة العسيف في البخاري.

أما المرأة فلا تغرب، لأن الآية لم تذكر التغريب، ولأن التغريب في الرجل عقوبة له ليقطع عن ولده وأهله ومعاشه، وتلحقه الذلة بنفيه على غير بلده، وليس فيه ما في المرأة من الحاجة على المراعاة والحفظ، ومنع السفر، والمرأة تحتاج في حفظها وصيانتها إلى أكثر من حاجة الرجل؛ ففي تعريضها تعريض للهتك الذي هو ضد الصيانة ومواقعة مثل ما غربت من أجله، ذلك إغراء لا ردع وزجر، فامتنع لهذا التناقض إيجاب التغريب على المرأة[١].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[٢].

---

(١) الموطأ ٣٢٢/٢-٣٢٤، والرسالة ص١٢٩، والكافي في فقه ابن حنبل٢٠٧/٤، وحاشية الدسوقي ٣٢٢/٤، وبداية المجتهد ٣٢٧/٢، والإشراف على نكت مسائل الخلاف١٩١/٤-١٩٥.

(٢) جامع البيان٤٤٩/١٦، وأحكام القرآن لابن العربي ١١٣/٣، والمحرر الوجيز ٢٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٢/٢٠، ومجموع الفتاوى ٢٧/١٣، والبحر المحيط ١٢٨/١، والتسهيل ٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٥٦/٢، وفتح القدير ١٢/١، روح المعاني ٩٦/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٩١/١.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ (١)

١٨٥- مسألة: من الذي تولى كبره؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: حسان بن ثابت(٢).

القول الثاني: عبد الله بن أبي(٣).

قال الرسعني:

قيل: الذي تولى كِبره: حسان بن ثابت.

ويروى عن عائشة قالت: ما سمعت أحسن من شعر حسان، وما تمثَّلتُ به إلا رجوتُ له الجنة، فقيل: يا أم المؤمنين أليس الله تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ فقالت: أليس قد ذهب بصره(٤)؟

وروى عنها مسروق أنها قالت: وأي عذاب أشد من العمى(٥)؟

ويروى عن عائشة: أن الذي تولى كِبره: عبد الله بن أبيّ، وحمنة بنت جحش(١).

---

(١) سورة النور آية: ١١.

(٢) معالم التنزيل٣/٢٧٨، وزاد المسير ٣/٢٨٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/١٩٠.

(٣) معالم التنزيل٣/٢٧٨، والمحرر الوجيز٤/١٦٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/١٩٠، وإرشاد العقل السليم٦/١٦١.

(٤) أخرجه الطبري ١٧/١٩٥.

(٥) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب حديث الإفك،(٤١٤٦)، وكتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ ، ح (٤٧٥٥)، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، ح٢٤٨٨.

وأنكر قومٌ أن يكون حسان ممن خاض في الإفك أو جُلد فيه، قالت عائشة رضي الله عنها: لم يقل شيئاً ولكنه الذي يقول:

حصانٌ رزانٌ ما تُزنّ بريبة وتُصبح غرثي من لُحوم الغوافل

فإن كان ما قد قيل عني قلته فلا رفعت سوطي إليّ أناملي

مهذبة قد طيب الله خيمها وطهَّرها من كل شين وباطل

وإنّ الذي قد قيل ليس بلائطٍ بها الدهر بل قولُ امرئ بي ماحل[٢]

والصحيح: أنه من جملة من خاض في الإفك، لكنه حسنت توبته بعد[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: حسان بن ثابت[٤].

وممن قال به: مسروق، وقتادة[٥].

واستدلوا:

بما أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها[٦].

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ(عن عائشة، قالت: عبيد الله بن أبي ابن أبي سلول) كتاب التفسير، سورة النور، ح(٤٧٤٩)، وأخرجه مسلم كتاب التوبة، باب في حديث الإفك ، ح٢٧٧٠.

(٢) انظر: الأبيات: ديوان حسان١/٢٢٠، والمعجم الكبير للطبراني ١١٦/٢٣، وسير أعلام النبلاء١٦٣/٢، والاستيعاب١٨٨٣/٤-١٨٨٤، وسيرة ابن هشام ٢٧٢/٤-٢٧٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٠/١٢، والبحر المحيط ٤٠١/٦.

(٣) رموز الكنوز ٢١٣/٥-٢١٤.

(٤) معالم التنزيل٢٧٨/٣، وزاد المسير ٢٨٣/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٠/١٠.

(٥) جامع البيان ١٩٣/١٧، والطبراني في الكبير ١٣٨/٢٣.

(٦) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب حديث الإفك،(٤١٤٦)، وكتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ ، ح (٤٧٥٥)، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، ح٢٤٨٨.

القول الثاني: عبد الله بن أبي[١].

وممن قال به:

١- عائشة، وابن عباسﷺ، وعروة، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن زيد[٢].

٢- الطبري، والواحدي، والرازي، وابن جزي الكلبي، وابن كثير، والشوكاني[٣].

واستدلوا بما يلي:

١- ما أخرجه البخاري عن عائشة: أن الذي تولى كِبره: عبد الله بن أبيّ[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الذي تولى كبره من عصبة الإفك كان عبد الله بن أبي. وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الإفك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي بن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر[٥].

ب- قال ابن كثير: الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي ابن سلول، قبحه الله ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد. وقيل: المراد به حسان بن ثابت. وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك، لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه كان من الصحابة الذين

---

(١) معالم التنزيل٣/٢٧٨، والمحرر الوجيز٤/١٦٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/١٩٠، وإرشاد العقل السليم٦/١٦١.

(٢) تفسير مقاتل٢/٤١١، وجامع البيان ١٧/١٩٥-١٩٦، وتفسير ابن أبي حاتم٨/٢٥٤٥، وزاد المسير ٣/٢٨٣، والطبراني في الكبير ٢٣/١٣٨.

(٣) جامع البيان ١٧/١٩٣، والبسيط١٦/١٦٠، ومفاتيح الغيب ٢٣/١٥٢، والتسهيل ٣/٦١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/١٩٠، وفتح القدير ٤/١٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة النور، ح(٤٧٤٩).

(٥) جامع البيان ١٧/١٩٧.

لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن مآثره؛ أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ بشعره[١].

ج- قال الشوكاني: واختلف في هذا الذي تولى كبره من عصبة الإفك من هو منهم فقيل هو عبد الله بن أبي، وقيل: هو حسان. والأول هو الصحيح[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قال الضحاك: الذي تولى كبره حسان ومسطح[٣].

٢- الذي تولى كبره: عبد الله بن أبي، وحمنة بنت جحش[٤].

حاصل الدراسة:

حسان بن ثابت كان من ضمن من تكلم في حادثة الإفك، ولكنه تاب، ولم يتولى كبره. والذي تولاه هو: عبد الله بن أبي ابن سلول، لإمعانه في عداوة رسول الله ﷺ، وانتهازه الفرص، وطلبه سبيلاً إلى الغميزة. والعذاب المتوعد به هو عذاب الآخرة. وهذا قول الجمهور، وهو ظاهر الحديث عن عائشة رضي الله عنها. والذاهبون إليه من المفسرين أكثر من الذاهبين منهم إلى غيره، وغيره كان تابعاً له فيما كان يأتي[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي، وليس حسان بن ثابت.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/١٩٠.

(٢) فتح القدير ٤/١٢.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٣/١٥٢، وإرشاد العقل السليم٦/١٦١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك ، ح٢٧٧٠.

(٥) الكشاف ٣/٢٢١، والمحرر الوجيز٤/١٦٩، ومفاتيح الغيب ٢٣/١٥٢، وإرشاد العقل السليم٦/١٦١، وروح المعاني ١٨/١١٧.

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ [١]

١٨٦- مسألة: ماذا يقدم الاستئذان أو السلام؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يقدم السلام فيقول: السلام عليكم أأدخُل[٢].

القول الثاني: يبدأ بالاستئذان فيقول: أأدخل سلامٌ عليكم[٣].

القول الثالث: إن وقع بصره على إنسان قدَّم السلام، وإلا قدَّم الاستئذان[٤].

القول الرابع: الاستئذان يكون بالسلام فقط[٥].

قال الرسعني:

﴿ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ وهو أن يقول: السلام عليكم أأدخُل.

وقال قوم: يبدأ بالاستئذان فيقول: أأدخل سلامٌ عليكم.

وقال قوم: إن وقع بصره على إنسان قدَّم السلام، وإلا قدَّم الاستئذان.

وقال بعض العلماء: الاستئذان يكون بالسلام فقط.

والأول أظهر؛ لما روي عن كلدة بن حنبل:" أن صفوان بن أمية بعثه بِلَبن

---

(١) سورة النور آية: ٢٧.

(٢) معاني القرآن للفراء٢/٢٤٩، والنكت والعيون ٤/٨٧، ومعالم التنزيل ٣/٢٨٤، وزاد المسير ٣/٢٨٨، والبحر المحيط٦/٤١١، واللباب في علوم الكتاب١٤/٣٤٣، والتحرير والتنوير١٨/١٩٨.

(٣) معاني القرآن للفراء٢/٢٤٩، والنكت والعيون ٤/٨٧، ومعالم التنزيل ٣/٢٨٤، وزاد المسير ٣/٢٨٨، ولباب التأويل ٥/٦٦ ، والبحر المحيط٦/٤١١، واللباب في علوم الكتاب١٤/٣٤٣، والتحرير والتنوير١٨/١٩٨.

(٤) النكت والعيون ٤/٨٧، ومعالم التنزيل ٣/٢٨٥.

(٥) التحرير والتنوير١٨/١٩٨.

وجِدّايَةٍ[١] وضَغَابيسَ[٢] إلى النبي ﷺ بأعلى الوادي. قال: فدخلت عليه ولم أُسَلِّم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: ارجع فقل: السلام عليكم أأدخُل؟". أخرجه الإمام أحمد في مسنده[٣].

والجِداية: الصَّغير من الظباء، والضَّغابيس: صغار القِثَّاء، واحدها: ضغبوس[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: يقدم السلام فيقول: السلام عليكم أأدخُل[٥].

وممن قال به: مجاهد، والواحدي، وأبو حيان، وابن كثير، وأبو السعود[٦].

واستدلوا:

لما روي عن كلدة بن حنبل:" أن صفوان بن أمية بعثه بِلَبن وجِدّايَةٍ وضَغَابيسَ إلى النبي ﷺ بأعلى الوادي. قال: فدخلت عليه ولم أُسَلِّم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: ارجع فقل: السلام عليكم أأدخُل؟".

ومن أقوالهم:

أ- قال الخازن: وقال الأكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وتقدير حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود[٧]

---

(١) جداية: هو الصغير من الضباء ذكراً كان أو أنثى. انظر: الفائق في غريب الحديث ٣٤١/٢.

(٢) ضغابيس: هي صغار القثاء واحدها ضغبوس، وقيل: هي نبت ينبت في أصول الثمام يشبه الهليون يسلق والزيت ويؤكل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر٨٩/٣.

(٣) أخرجه أحمد ٤١٤/٣ (١٥٤٦٤)، ورواه أبو داود في كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، ح(٥١٧٧)، والترمذي كتاب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم قبل الاستئذان، ح(٢٧١٠).وصححه الألباني.

(٤) رموز الكنوز ٢٣٠/٥.

(٥) معاني القرآن للفراء٢٤٩/٢، والنكت والعيون ٨٧/٤، ومعالم التنزيل ٢٨٤/٣، وزاد المسير ٢٨٨/٣، والبحر المحيط٤١١/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٤٣/١٤، والتحرير والتنوير١٩٨/١٨.

(٦) جامع البيان ٢٤١/١٧، والبسيط ١٩٣/١٦، والبحر المحيط٤١١/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٨/١٠، وإرشاد العقل السليم ١٦٨/٦.

(٧) لباب التأويل ٦٦/٥.

ب- قال أبو حيان: والظاهر تقديم الاستئذان على السلام[١].

القول الثاني: يبدأ بالاستئذان فيقول: أأدخل سلامٌ عليكم،كما في ترتيب الآية[٢].

ذكره المفسرون ولم يرجحه أحد.

واستدلوا بما يلي :

بنص الآية قدم الاستئذان على السلام ﴿ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ أي: تستأذنوا ﴿ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ .

القول الثالث: إن وقع بصره على إنسان قدَّم السلام، وإلا قدَّم الاستئذان[٣].

وممن قال به: الماوردي[٤].

ومن أقوالهم:

قال الماوردي: وأولى من إطلاق هذين القولين – تقديم السلام على الاستئذان أو العكس- أن ينظر فإن وقعت العين على العين قبل الإذن فالأولى تقديم السلام، وإن لم تقع العين على العين قبل الإذن فالأولى تقديم الاستئذان على السلام[٥].

القول الرابع: الاستئذان يكون بالسلام فقط[٦].

حاصل الدراسة:

في السلام قولان: أحدهما: أنه مسنون بعد الإذن على ما تضمنته الآية من تقديم الإذن عليه. والثاني: وهو قول الأكثرين. مسنون قبل الإذن وإن تأخر في التلاوة فهو

---

(١) البحر المحيط٦/٤١١.

(٢) معاني القرآن للفراء٢/٢٤٩، والنكت والعيون ٤/٨٧، ومعالم التنزيل ٣/٢٨٤، وزاد المسير ٣/٢٨٨، ولباب التأويل ٥/٦٦ ، والبحر المحيط٦/٤١١، واللباب في علوم الكتاب١٤/٣٤٣، والتحرير والتنوير١٨/١٩٨.

(٣) النكت والعيون ٤/٨٧، ومعالم التنزيل ٣/٢٨٥.

(٤) النكت والعيون ٤/٨٧.

(٥) النكت والعيون ٤/٨٧.

(٦) التحرير والتنوير١٨/١٩٨.

مقدم في الحكم. وتقدير الكلام حتى تسلموا وتستأذنوا لما روى عن النبي ﷺ، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود.

والواو في ﴿ وَتُسَلِّمُواْ ﴾ لا تقتضي ترتيباً، فشرع النداء بالسلام على الإذن لما في السلام من التفاؤل بالسلامة.

وظاهر الآية أن الاستئذان واجب وأن السلام واجب. وإنما ذكر السلام مع الاستئذان للمحافظة عليه مع الاستئذان لئلا يلهي الاستئذان الطارقَ فينسى السلام أو يحسب الاستئذان كافياً عن السلام[١].

قال ابن العربي قال جماعة: الاستئذان فرض والسلام مستحب[٢]. وروي عن عطاء: الاستئذان واجب على كل محتلم[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن يقول: السلام عليكم أأدخُل. وهو ما دلت عليه السنة.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٤].

---

(١) النكت والعيون ٨٧/٤، ومعالم التنزيل ٢٨٤/٣، وزاد المسير ٢٨٨/٣، والبحر المحيط٤١١/٦، والتحرير والتنوير١٩٨/١٨.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣٧١/٣.

(٣) المحرر الوجيز١٧٦/٤.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس٦٥٧/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٠/١، والمحرر الوجيز ٢١/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٥/١٢، وروح المعاني ٨٢/٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢٠٦/١.

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [١]

١٨٧- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يُتلى فيها كتابه[٢].

القول الثاني: عام في كل ذكر[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يُتلى فيها كتابه[٤].

والأظهر عمومه[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: يُتلى فيها كتابه[٦].

وممن قال به:

---

(١) سورة النور آية: ٣٦.

(٢) النكت والعيون ١٠٧/٤، ومعالم التنزيل ٣٠٣/٣، والكشاف ٢٤٧/٣، وزاد المسير ٢٩٨/٣، ولباب التأويل٨٠/٥، والبحر المحيط ٤٢١/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٤٩/١٠، واللباب في علوم الكتاب٣٩٣/١٤، وفتح القدير٣٤/٤.

(٣) الكشاف ٢٤٧/٣، ومفاتيح الغيب٥/٢٤، والبحر المحيط ٤٢١/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٩٣/١٤، وإرشاد العقل السليم١٧٨/٦، وفتح القدير٣٤/٤.

(٤) أخرجه الطبري٣١٩/١٧، وابن أبي حاتم ٢٦٠٦/٨.

(٥) رموز الكنوز ٢٥٩/٥.

(٦) النكت والعيون ١٠٧/٤، ومعالم التنزيل ٣٠٣/٣، والكشاف ٢٤٧/٣، وزاد المسير ٢٩٨/٣، ولباب التأويل٨٠/٥، والبحر المحيط ٤٢١/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٤٩/١٠، واللباب في علوم الكتاب٣٩٣/١٤، وفتح القدير٣٤/٤.

١- رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباسﷺ.

٢- البغوي، وابن كثير.

القول الثاني: عام في كل ذكر[١].

وممن قال به:

الرازي، وأبو حيان، وأبو السعود، والشوكاني[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال أبو حيان: ظاهره مطلق الذكر، فيعم كل ذكر عموم البدل[٣].

ب- قال الشوكاني: كل ذكر لله عز وجل، وقيل: هو التوحيد، وقيل: المراد تلاوة القرآن. والأول أولى[٤].

ج- قال أبو السعود: والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع أذكاره تعالى[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- توحيده وهو لا إله إلاّ الله. رواه أبو صالح عن ابن عباسﷺ، ومقاتل، وابن السائب الكلبي[٦].

٢-تُذكر فيها أسماؤه الحسنى. قاله ابن جرير[٧].

---

(١) الكشاف ٢٤٧/٣، ومفاتيح الغيب٥/٢٤، والبحر المحيط ٤٢١/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٩٣/١٤، وإرشاد العقل السليم١٧٨/٦، وفتح القدير٣٤/٤.

(٢) البحر المحيط ٤٢١/٦، وإرشاد العقل السليم١٧٨/٦، وفتح القدير٣٤/٤.

(٣) البحر المحيط ٤٢١/٦.

(٤) فتح القدير٣٤/٤.

(٥) إرشاد العقل السليم١٧٨/٦.

(٦) تفسير مقاتل٤٢٠/٢، وبحر العوم ٥١٤/٢، والنكت والعيون ١٠٧/٤، والبسيط ٢٩٢/١٦، وزاد المسير ٢٩٨/٣، والبحر المحيط ٤٢١/٦، وفتح القدير٣٤/٤.

(٧) النكت والعيون ١٠٧/٤، والبحر المحيط ٤٢١/٦.

٣- هو بالصلاة والعبادة قولاً وفعلاً[١].

٤- يقال: بالأذان والإقامة[٢]. قاله يحيى بن سلام[٣].

٥- لا يتكلم فيها بما لا ينبغي[٤].

حاصل الدراسة:

اختلفوا في المراد من قوله: ﴿ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ فقالوا: أن يتلى فيها كتابه، أو هو توحيده وهو لا إله إلاّ الله. أو تُذكر فيها أسماؤه الحسنى. أو يكون بالصلاة والعبادة قولاً وفعلاً، أو بالأذان والإقامة. والأولى العموم في كل ذكر؛ لأنه كله داخل في ذكر الله.

المناقشة والترجيح:

الراجح: عموم اللفظ، ومطلق الذكر؛ لأنه هو الظاهر في الآية العموم، ولا يوجد دليل على التخصيص.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٥].

---

(١) المحرر الوجيز٤/١٨٦، والبحر المحيط ٦/٤٢١.

(٢) بحر العوم ٢/٥١٤، والنكت والعيون ٤/١٠٧.

(٣) بحر العوم ٢/٥١٤، والنكت والعيون ٤/١٠٧.

(٤) مفاتيح الغيب٢٤/٥.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [١]

١٨٨- مسألة: ما هي القراءات في قوله تعالى: ﴿ قَوْلَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: القراءة بالنصب[٢].

القول الثاني: القراءة بالرفع[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال الفراء: ليس هذا بخبر ماض، وإنما المعنى: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين ﴿ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ .[٤]

وقرأ الحسن: "قولُ" بالرفع. **والقراءة المشهورة أولى**؛ لأنه إذا ولي كان اسمان، فأولاهما بالاسمية أوغلُهما في التعريف، و"أن يقولوا" أوغلُ من "قول المؤمنين"؛ لأنه يتطرق التنكير إليه. هذا معنى قول الزمخشري[٥].[٦]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: القراءة بالنصب[٧].

---

(١) سورة النور آية: ٥١.

(٢) الكشاف ٢٥٤/٣، والبحر المحيط٤٢٩/٦، والمحرر الوجيز ١٩١/٤، ومفاتيح الغيب ٢٠/٢٤، والدر المصون ٤٢٨/٨، واللباب في علوم الكتاب ٤٢٩/١٤، وإتحاف فضلاء البشر ٤١٣/١، وفتح القدير ٤٥/٤.

(٣) الحجة لابن خالويه٢٦٤/١، وزاد المسير ٣٠٢/٣، والتبيان ٩٧٥/٢، والبحر المحيط٤٢٩/٦، والدر المصون ٤٢٨/٨.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢٥٨/٢.

(٥) الكشاف ٢٥٤/٣.

(٦) رموز الكنوز ٢٧٤/٥.

(٧) الحجة لابن خالويه٢٦٤/١، والتبيان ٩٧٥/٢، والدر المصون ٤٢٨/٨.

وممن قال به:

الزمخشري، وأبو حيان، وابن عطية، والرازي، والسمين الحلبي، وابن عادل، والشوكاني[١].

واستدلوا بما يلي :

١-كان هنا من قبيل "كان" في قوله : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ [٢].

٢- وقوله تعالى: ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا ﴾ [٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزمخشري: وعن الحسن: قول المؤمنين، بالرفع والنصب أقوى؛ لأنّ أولى الاسمين بكون اسماً لكان. أوغلهما في التعريف؛ وأن يقولوا: أوغل؛ لأنه لا سبيل عليه للتنكير، بخلاف قول المؤمنين[٤].

ب- قال الدمياطي: والجمهور على نصبه خبر لكان، والاسم أن المصدرية وما بعدها وهو الأرجح؛ لأنه متى اجتمع معرفتان فالأولى جعل الأعرف اسم. وإن كان سيبويه خير بين معرفتين ولم يفرق هذه التفرقة[٥].

ج- قال الشوكاني: قرأ الجمهور بنصب قول على أنه خبر كان، واسمها أن يقولوا وقرأ علي والحسن وابن أبي إسحاق برفع قول على أنه الاسم وأن المصدرية وما في حيزها الخبر. وقد رجحت القراءة الأولى؛ بما تقرر عند النحاة من أنه إذا اجتمع معرفتان وكانت إحداهما أعرف جعلت التي هي أعرف اسماً وأما سيبويه فقد خير بين كل معرفتين ولم

---

(١) الكشاف ٢٥٤/٣، والبحر المحيط٤٢٩/٦، والمحرر الوجيز ١٩١/٤، ومفاتيح الغيب ٢٠/٢٤، والدر المصون ٤٢٨/٨، واللباب في علوم الكتاب ٤٢٩/١٤، وإتحاف فضلاء البشر ٤١٣/١، وفتح القدير ٤٥/٤.

(٢) سورة مريم آية: ٣٥.

(٣) سورة النور آية: ١٦.

(٤) مفاتيح الغيب ٢٠/٢٤.

(٥) إتحاف فضلاء البشر ٤١٣/١.

يفرق هذه التفرقة[١].

القول الثاني: القراءة بالرفع.

وممن قال به:

١- عليّ، وأبو الجوزاء[٢]، والحسن، وابن أبي إسحاق[٣] [٤].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : العامة على نصبه خبراً لـ كان، والاسمُ "أن" المصدريةُ وما بعدها. وقرأ أمير المؤمنين والحسن وابن أبي إسحاق برفعه على أنه الاسم و "أن" وما في حيِّزها الخبر. وهي عندهم مرجوحةٌ؛ لأنه متى اجتمع معرفتان فالأولى جعل الأعرف الاسم، وإن كان سيبويه خير في ذلك بين كل معرفتين، ولم يُفرِّق هذه التفرقة[٥].

وقيل في وجه أعرفيته: أنه لا يوصف كالضمير ولا يخفى أنه لا دخل له في الأعرفية، والمصدر الحاصل من سبك أن والفعل لا يجب كونه مضافاً في كل موضع.

قال الألوسي: أن النصب أقوى صناعة لكن الرفع أقعد معنى وأوفي لمقتضى المقام أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدوث، وأوفر اشتمالاً على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج، وفي ذهن السامع ولا ريب في أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل. فإذن هو أحق بالخبرية وأما ما تفيده الإضافة من النسبة المطلقة الإجمالية فحيث كانت

---

(١) فتح القدير ٤/٤٥.

(٢) هو: أوس بن عبد الله الربعي، أبو الجوزاء البصري، قتل أبو الجوزاء سنة ثلاث وثمانين في الجماجم. انظر: الكبير ٢/١٦، وصفوة الصفوة ٣/٢٥٨.

(٣) هو: ابن أبي إسحاق هو عبد الله بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي بصري، توفي سنة سبع ومائة. انظر: تاريخ مدينة دمشق٦/٩٧، والوافي بالوفيات ٢٩/٤٥.

(٤) الحجة لابن خالويه١/٢٦٤، وزاد المسير ٣/٣٠٢، والتبيان ٢/٩٧٥، والبحر المحيط٦/٤٢٩، والدر المصون ٨/٤٢٨، وإتحاف فضلاء البشر١/٤١٣.

(٥) الدر المصون ٨/٤٢٨، واللباب في علوم الكتاب ١٤/٤٢٩، وإتحاف فضلاء البشر ١/٤١٣

قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجاً وذهناً كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى إنما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين ﴿ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ ﴾ بينهم وبين خصومهم ﴿ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا ﴾ أي: خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر أصلاً. وأما النصب فالمعنى عليه إنما كان قولاً للمؤمنين خصوصية قولهم (سمعنا) الخ ففيه من جعل أخص النسبتين وأبعدهما وقوعاً وحضوراً في الأذهان، وأحقهما بالبيان مفروغاً عنها عنواناً للموضوع، وإبراز ما هو بخلافها في معرض القصد الأصلي ما لا يخفى[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن القراءتين صحيحتان، والقراءة بالنصب أشهر عند أهل اللغة.

القاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٢].

---

(١) إرشاد العقل السليم ١٨٧/٦، وروح المعاني ١٩٨/١٨.

(٢) مجموع الفتاوى٣٩١/١٣، والنشر ١٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٨٩/١.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ ﴾ (١)

١٨٩- مسألة: هل الآية محكمة أو منسوخة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: محكمة(٢).

القول الثاني: منسوخة(٣).

قال الرسعني:

ذهب أكثر العلماء إلى القول بإحكام هذه الآية، قيل للشعبي: أمنسوخة هي؟ قال: لا والله ما نُسخت؟ قلت: إن الناس لا يعلمون بها، فقال: الله المستعان(٤).

وقال سعيد بن جبير: والله ما نُسخت، ولكنها مما يتهاونُ به الناس(٥).

وروي عن سعيد بن المسيب: أنها منسوخة بالآية التي بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿

---

(١) سورة النور آية: ٥٨.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٥٩٥، والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٤٣٨، والبسيط ٣٥٨/١٦، وزاد المسير ٣٠٦/٣، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص١٣٥، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٤٨، وزاد المسير ٣٠٦/٣، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٠٠-٢٠١.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٤٤/٤، وجامع البيان٣٥٥/١٧، وابن أبي حاتم٢٦٣٣/٨، وأبو عبيد في الناسخ ص٣٤٧، والنحاس في ناسخه ص٥٩٥، ونواسخ القرآن ص٢٠٠-٢٠١.

(٥) أخرجه الطبري٣٥٥/١٧، وأبو عبيد في الناسخ ص٣٤٧، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٠٠.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ ﴾ [١].

والأول أصح؛ لأن معنى هذه الآية: "وإذا بلغ الأطفال منكم" أي: من الأحرار "الحلم فليستأذنوا" أي: في جميع الأوقات، ﴿ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يعني: الرجال الكبار الأحرار الذي من قبلهم في الوجود أو في بلوغ الحلم، أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ ﴾ [٢] [٣]

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: محكمة.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، والشعبي، والقاسم بن محمد، وجابر بن زيد، أبو عبيد، عطاء[٤].

٢- النحاس، وابن الجوزي، وابن كثير[٥].

واستدلوا بما يلي :

١- سُئل الشعبي: أمنسوخة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ﴾ قال: لا والله ما نُسخت؟ قلت: إن الناس لا يعلمون بها، فقال: الله

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن سلامةص١٣٤-١٣٥، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٤٨.

(٢) سورة النور آية: ٢٧.

(٣) رموز الكنوز ٢٨٤/٥-٢٨٥.

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٥٩٥، والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٤٣٨، والبسيط ٣٥٨/١٦، وزاد المسير ٣٠٦/٣، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٠٠-٢٠١.

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٥٩٥، وزاد المسير ٣٠٦/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٧٠/١٠.

المستعان[١].

٢- قال سعيد بن جبير في هذه الآية: أن ناساً يقولون نسخت، والله ما نسخت؛ ولكنها مما تهاون به الناس[٢].

٣- عن عطاء عن ابن عباسﷺ: قال ثلاث آيات من القرآن قد ترك الناس العمل بهن، قال عطاء: حفظت اثنتين ونسيت واحدة، في قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ حتى يختم الآية. وقوله: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [٣][٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن الجوزي: وقد روي عنه؟ أنه قال هي منسوخة بقوله: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ ﴾ وهذا ليس بشيء؛ لأن معنى الآية: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ ﴾ أي: من الأحرار الحلم فليستأذنوا الأحرار الكبار الذين بلغوا قبلهم، فالبالغ يستأذن في كل وقت، والطفل والمملوك يستأذن في العورات الثلاث[٥].

ب- قال ابن كثير: ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء وكان عمل الناس بها قليلاً جداً أنكر عبد الله بن عباسﷺ ذلك على الناس[٦].

القول الثاني: منسوخة.

وممن قال به: سعيد بن المسيب، وابن سلامة المقري، وابن حزم[٧].

---

(١) معالم التنزيل ٣/٣١٣.

(٢) معالم التنزيل ٣/٣١٣.

(٣) سورة الحجرات آية: ١٣.

(٤) مصنف عبد الرزاق ١٠/٣٧٩، وجامع البيان١٧/٣٥٤، وابن أبي حاتم٨/٢٦٣٢، ولباب التأويل ٥/٨٨.

(٥) نواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٠٠-٢٠١.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/٢٧٠.

(٧) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص١٣٥، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٤٨، وزاد المسير ٣/٣٠٦، ونواسخ

واستدلوا بما يلي:

١- بما روي عن عكرمة عن ابن عباسﷺ: أن ناساً من أهل العراق سألوه عن هذه الآية، فقال: إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد[١].

٢- قال ابن عباس ﷺ: لم يكن للقوم ستور ولا حجاب فكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم ما لا يحبون فأمروا بالاستئذان وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأي أن ذلك أغنى عن الاستئذان[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن سلامة: نسختها الآية التي تليها وهي قوله تعالى:﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ ﴾ [٣].

حاصل الدراسة:

اختلفوا في هذه الآية فذهب الأكثرون إلى أنها محكمة. وادعى قوم النسخ في هذه الآية. واحتجوا بما روي عن عكرمة عن ابن عباسﷺ.

قال أبو عبيد: وليس وجه هذا عندي أن يكون على الرخصة من أجل أن ابن عباسﷺ لم يخبرنا أنه نسخها قرآن، ولا أن السنة جاءت برخصة فيها. إنما قال: لم أر أحداً يعمل بذلك، وقد حكى عنه عطاء هذا اللفظ على وجه الإنكار والاستبطاء

القرآن لابن الجوزي ص٢٠٠-٢٠١.

(١) رواه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ص٣٤٨، وسنن أبو داود كتاب الأدب، باب الاستئذان في العورات الثلاث، ح(٥١٩٢).

(٢) معالم التنزيل ٣١٣/٣.

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص١٣٥.

للناس، ألا تسمع قوله: ثلاث آيات من كتاب الله تركهن الناس، لا أرى أحدا يعمل بهن. فرواية عطاء عندنا مفسرة للذي روى عكرمة. وليس المذهب في الآية إلا أن تكون محكمة قائمة لم ينسخها كتاب ولا نقلت الآثار التي انتهت إلينا عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة ولا التابعين بعدهم بالتسهل في ذلك، إلا شيئاً يروى عن الحسن أنه كان يقول: والخادمة التي تبيت مع أهل الرجل لا باس أن تدخل بغير إذن[١].

وقال القرطبي: هذا متن حسن وهو يرد قول سعيد وبن جبير فإنه ليس فيه دليل على نسخ الآية؛ ولكن على أنها كانت على حال ثم زالت، فإن كان مثل ذلك الحال فحكمها قائم كما كان، بل حكمها لليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي، والصحاري ونحوها[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها محكمة، ولا نسخ في الآية. فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله جل وعز، أو من رسوله. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها[٣].

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص٥٩٤، والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٣٤٨.

(٢) المحرر الوجيز ١٩٣/٤، والجامع لأحكام القرآن٣٠٢/١٢، والتسهيل٧١/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٧٠/١٠، وفتح القدير ٥٠/٤.

(٣) جامع البيان ١٨٦/١١، والناسخ والمنسوخ للنحاس٢٠٠/١، والإحكام لابن حزم ٤٨٤/٤، والتمهيد ٣٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦، ومحاسن التأويل ٥٣٧٥/١٥، وأضواء البيان ٧٢/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٧١/١.

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [١]

١٩٠– مسألة: على ماذا يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كناية عن عبده محمداً ﷺ[٢].

القول الثاني: كناية عن القرآن[٣].

قال الرسعني:

﴿ لِيَكُونَ ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

وقيل: القرآن.

والأول أظهر، والقائلون به أكثر[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كناية عن عبده محمداً ﷺ[٥].

وممن قال به:

---

(١) سورة الفرقان آية: ١.

(٢) بحر العلوم ٥٢٨/٢، والبسيط٤٠٣/١٦، ومعالم التنزيل ٣٢١/٣، والكشاف٢٦٧/٣، والمحرر الوجيز١٩٩/٤، وزاد المسير ٣١١/٣، والتسهيل ٧٤/٣، ولباب التأويل٩٣/٥، وإرشاد العقل السليم ٢٠٠/٦، وفتح القدير ٦٠/٤.

(٣) بحر العلوم ٥٢٨/٢، والبسيط٤٠٣/١٦، والكشاف٢٦٧/٣، ومعالم التنزيل ٣٢١/٣، وزاد المسير ٣١١/٣، والتسهيل ٧٤/٣، ولباب التأويل٩٣/٥، وإرشاد العقل السليم ٢٠٠/٦، وفتح القدير ٦٠/٤.

(٤) رموز الكنوز ٢٩٨/٥.

(٥) بحر العلوم ٥٢٨/٢، والبسيط٤٠٣/١٦، ومعالم التنزيل ٣٢١/٣، والكشاف٢٦٧/٣، والمحرر الوجيز١٩٩/٤، وزاد المسير ٣١١/٣، والتسهيل ٧٤/٣، ولباب التأويل٩٣/٥، وإرشاد العقل السليم ٢٠٠/٦، وفتح القدير ٦٠/٤.

١- قتادة، ابن زيد[١].

٢- الطبري، والواحدي، والرازي، والسمين الحلبي، والألوسي، والشنقيطي[٢].

واستدلوا بما يلي :

قال ابن زيد في قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ قال: النبي النذير، وقرأ ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [٣][٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال القرطبي: اسم يكون فيها مضمر يعود على عبده وهو أولى؛ لأنه أقرب إليه[٥].

ب- قال ابن جزي الكلبي: الضمير لمحمد ﷺ، أو للقرآن، والأول أظهر[٦].

ج- قال السمين الحلبي: أنه يعود على "عبده" أي: ليكون عبده محمد ﷺ نذيراً. وهذا أحسنُ الوجوه معنىً وصناعةً؛ لقُربه مما يعود عليه، والضمير يعود على أقرب مذكور[٧].

القول الثاني: كناية عن القرآن[٨].

---

(١) جامع البيان ٣٩٥/١٧، والنكت والعيون١٣١/٤، والمحرر الوجيز١٩٩/٤.

(٢) جامع البيان ٣٩٥/١٧، والبسيط٤٠٣/١٦، وزاد المسير ٣١١/٣، ومفاتيح الغيب٤٠/٢٤، والدر المصون ٤٥٣/٨، وروح المعاني ٢٣١/١٨، وأضواء البيان ٣/٦.

(٣) سورة فاطر آية: ٢٤

(٤) أخرجه الطبري ٣٩٥/١٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن١/١٣.

(٦) التسهيل ٧٤/٣.

(٧) الدر المصون ٤٥٣/٨.

(٨) بحر العلوم ٥٢٨/٢، والبسيط٤٠٣/١٦، والكشاف٢٦٧/٣، ومعالم التنزيل ٣٢١/٣، وزاد المسير ٣١١/٣، والتسهيل ٧٤/٣، ولباب التأويل٩٣/٥، وإرشاد العقل السليم ٢٠٠/٦، وفتح القدير ٦٠/٤.

وممن قال به:

حكاه الماوردي عن ابن عيسى[١].

واستدلوا بما يلي:

١- يشهد له قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [٢] حيث أضاف الهداية للقرآن، كما أضاف الإنذار للفرقان[٣].

٢- استدلوا بقراءة ابن الزبير: "على عباده" [٤]. وعلى هذه القراءة لا يحتمل غير ذلك إلا بكره[٥]. وهي قراءة شاذة[٦].

ومن أقوالهم:

قال الزمخشري: والضمير في ﴿ لِيَكُونَ ﴾ لعبده أو للفرقان. ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أنه ضميرٌ يعود على الذي نزل. أي: ليكون الذي نزَّل الفرقان نذيراً، يعني: الله تبارك وتعالى[٨].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ وإن لم يكون في الحقيقة تعارض بين المعنيين

---

(١) النكت والعيون ١٣١/٤، وزاد المسير ٣١١/٣.

(٢) سورة الإسراء آية: ٩.

(٣) مفاتيح الغيب٤٠/٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن١/١٣.

(٥) المحرر الوجيز١٩٩/٤

(٦) إملاء ما من به الرحمن ١٦٠/٢.

(٧) الكشاف٢٦٧/٣.

(٨) بحر العلوم ٥٢٨/٢، والدر المصون ٤٥٣/٨، وروح المعاني ٢٣١/١٨.

السابقة، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ ينذر به العالمين، ومحمد ﷺ هو رسول الله تعالى للعالمين، والله أعلم.

إلا أن المراد ليكون هذا العبد نذيراً للعالمين، هو قول الجمهور، وهذا أحسن الوجوه معنى وصناعة لقربه مما يعود عليه الضمير على أقرب مذكور.

وقول من قال: إنه راجع إلى الفرقان فأضاف الإنذار إليه كما أضاف الهداية إليه في قوله:﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ فبعيد؛ وذلك لأن المنذر والنذير من صفات الفاعل للتخويف، وإذا وصف به القرآن فهو مجاز، وحمل الكلام على الحقيقة إذا أمكن هو الواجب[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه كناية عن عبده محمداً ﷺ، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٢].

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[٣].

---

(١) مفاتيح الغيب٢٤/٤٠، والدر المصون ٨/٤٥٣، واللباب في علوم الكتاب ١٤/٤٧٣، وروح المعاني ١٨/٢٣١.

(٢) جامع البيان ١٢/٢٤٧، والإحكام لابن حزم ٤/٤٣٥، والمحرر الوجيز ١/٤٨٥، ومفاتيح الغيب ١٠/١٩، ومجموع الفتاوى ١٥/١١٢، والبحر المحيط ٢/٦، والتسهيل ٢/٩٧، والبرهان في علوم القرآن ٤/٣٩، وأضواء البيان ٣/٣٩٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٢١.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/٤١٤، والمحرر الوجيز ٢/٣٧٥، ومجموع الفتاوى٢٠/٤٧٣، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٣٨٧.

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [1]

١٩١- مسألة: هل الآية محكمة أو منسوخة ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: منسوخة بآية القتال[2].

القول الثاني: محكمة[3].

قال الرسعني:

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ قال علي بن فضال: لم ينتصب "سلاماً" على أنه حكاية، إذ لو كان حكاية لكان مرفوعاً، كما في قوله: ﴿ قَالَ سَلَٰمٞ ﴾ [4].

وإنما المعنى: أنهم قالوا قولاً يسلمون به.

قال سيبويه: المعنى: قالوا سداداً من القول.

قال سيبويه: ولم يؤمر المسلمون في ذلك الوقت بالقتال، قال: وهي منسوخة بآية القتال[5].

---

(١) سورة الفرقان آية: ٦٣.

(٢) الكتاب لسيبويه ٣٢٥/١، ومعاني القرآن للفراء ٢٧٢//٢، والبسيط ٥٧٤/١٦، وبحر العلوم ٤٦٥/٢، ومعالم التنزيل ٣٤٢/٣، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٢٠٢/١، وناسخ القرآن ومنسوخه لهبة الله البازري٤٣/١، ولباب التأويل١٠٧/٥، واللباب في علوم الكتاب ٥٦٣/١٤.

(٣) البسيط ٥٧٤/١٦، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٢٠٢/١، وفتح القدير ٨٥/٤.

(٤) سورة هود آية: ٦٩.

(٥) الكتاب لسيبويه ٣٢٥/١.

قال علي بن فضال: لم يتكلم سيبويه في شيء من الناسخ والمنسوخ إلا في هذه الآية.

قلتُ: **والصحيح أنها محكمة.**

قال الحسن: لا يجهلون، وإذا جُهل عليهم حَلمُوا[١] [٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: منسوخة بآية القتال.

وممن قال به:

أبو العالية، والكلبي، الفراء، وسيبويه، وهبة الله البازري[٣].

ومن أقوالهم:

قال الكلبي وأبو العالية: هذا قبل أن يؤمر بالقتال، ثم نسختها آية القتال[٤].

القول الثاني: محكمة.

وممن قال به: الواحدي، وابن الجوزي، والشوكاني[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: والأولى أن لا تكون هذه الآية منسوخة؛ لأنها صفة لخواص من عباد الله، لا يجهلون، ولا يرفثون، بل يحلمون.[٦]

---

(١) أخرجه الطبري١٧/٤٩٣ ، وابن أبي حاتم ٨/٢٧٢٣، والبيهقي في الشعب ٦/٣٤٥ ح(٨٤٥٢).

(٢) رموز ا لكنوز ٥/٣٤٨.

(٣) الكتاب لسيبويه ١/٣٢٥، ومعاني القرآن للفراء ٢//٢٧٢، والبسيط ١٦/٥٧٤، وبحر العلوم ٢/٤٦٥، ومعالم التنزيل ٣/٣٤٢، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١/٢٠٢، وناسخ القرآن ومنسوخه لهبة الله البازري١/٤٣، ولباب التأويل٥/١٠٧، واللباب في علوم الكتاب ١٤/٥٦٣.

(٤) معالم التنزيل ٣/٣٤٢ .

(٥) البسيط ١٦/٥٧٤، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١/٢٠٢، وفتح القدير ٤/٨٥.

(٦) البسيط ١٦/٥٧٤،

ب- قال ابن الجوزي: وهذه الآية محكمة عند الجمهور. وقد زعم قوم أن المراد بها أنهم يقولون للكفار ليس بيننا وبينكم غير السلام، وليس المراد السلام الذي هو التحية، وإنما المراد بالسلام التسليم، أي: تسلماً منكم ومتاركة لكم، كما يقول براءة منك، أي: لا ألتبس بشيء من أمرك ثم نسخت بآية السيف، وهذا باطل؛ لأن اسم الجاهل يعم المشرك وغيره فإذا خاطبهم مشرك قالوا السداد. والصواب في الرد عليه وحسن المحاورة في الخطاب لا ينافي القتال فلا وجه للنسخ[١].

ج- قال الشوكاني بعد ذكره لقول سيبويه: وأقول هكذا يكون كلام الرجل إذا تكلم في غير علمه ومشى في غير طريقته، ولم يؤمر المسلمون بالسلام على المشركين ولا نهوا عنه، بل أمروا بالصفح والهجر الجميل، فلا حاجة إلى دعوى النسخ [٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قال ابن حزم، والكرمي، وذكره نحوه ابن عطية وابن جزي الكلبي: وهذه الآية كانت قبل آية السيف، فنسخ منها ما يخص الكفرة، وبقي أدبها في المسلمين إلى يوم القيامة[٣].

حاصل الدراسة:

قال السمرقندي، بعد أن ذكر قول الكلبي، في أن الآية منسوخة: وقال بعضهم: هذا خطأ؛ لأن هذا ليس بأمر، ولكنه خبر من حالهم، والنسخ يجري في الأمر والنهي. ورد مكي بن أبي طالب القول بأن هذه الآية خبر لا يجوز نسخه؛ فقال: هذا ليس من الخبر الذي لا يجوز نسخه؛ لأنه ليس فيه خبر من الله لنا عن شيء يكون أو شيء كان فنسخ بأنه لا يكون، أو بأنه لم يكن- هذا الذي لا يجوز فيه النسخ- وإنما هذا خبر من الله لنا أن هذا الأمر كان من فعل هؤلاء الذين هم عباد الرحمن قبل أن يؤمروا بالقتال. وهذا كلام جيد؛ لكن القول بأن الآية منسوخة ليس بصواب، فلا تعارض بين هذه

---

(١) نواسخ القرآن لابن الجوزي ٢٠٢/١.

(٢) فتح القدير ٨٥/٤.

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ٤٩/١، والناسخ والمنسوخ للكرمي١٥٩/١، والمحرر الوجيز ٢١٨/٤، والتسهيل ٨١/٣.

الآية، وبين الأمر بالقتال، فلكل واحد منهما ما يناسبه من الزمان والمكان، والأمر بالقتال لا ينافي حسن المحاورة في الخطاب، وحسن العشرة.

ونقض القول بالنسخ أيضاً الزمخشري: وعن أبي العالية: نسختها آية القتال، ولا حاجة إلى ذلك، لأنّ الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة، وأسلم للعرض والورع[١][٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه لا نسخ في الآية. فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله جل وعز، أو من رسوله. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها[٣].

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٦٠٤/١، وبحر العلوم ٥٤٤/٢، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب ص٣٧١، والكشاف ٢٩٧/٣.

(٢) انظر: سورة المؤمنون آية: ٩٦. من هذا البحث.

(٣) جامع البيان ١٨٦/١١، والناسخ والمنسوخ للنحاس٢٠٠/١، والإحكام لابن حزم ٤٨٤/٤، والتمهيد ٣٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦، ومحاسن التأويل ٥٣٧٥/١٥، وأضواء البيان ٧٢/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٧١/١.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [١]

١٩٢- مسألة: من المخاطب في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الأمر بالحمد خطاب للرسول ﷺ[٢].

القول الثاني: الأمر بالحمد خطاب للوط عليه السلام[٣].

قال الرسعني:

ثم إن الله عز وجل أمر نبيه أن يتلو عليهم هذه الآيات الناطقة بالبراهين القاطعة بوحدانية الله تعالى وعظمته وحكمته وقدرته، وأن يستفتحها بتحميده، والسلام على من اصطفاهم من عبيده، فقال: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ ﴾ فصار ذلك سُنَّةً وأدباً للعلماء والفقهاء والوعّاظ والخطباء والبلغاء والأدباء يفتتحون به كتبهم ومسائلهم وخطبهم ورسائلهم.

وفي الحديث عن النبي ﷺ :"كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر"[٤].

وقال النبي ﷺ :" أما إن ربك يحب الحمد"[٥]. وهذا الذي ذكرته قول عامة المفسرين.

وقد قيل: إن الأمر بالحمد خطاب للوط عليه السلام، أُمر أن يحمد الله تعالى على

---

(١) سورة النمل آية: ٥٩.

(٢) معالم التنزيل ٤٠٩/٣، وجامع البيان ٩٨/١٨، وزاد المسير ٣٦٧/٣، والتسهيل ٩٨/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٨/١٠، وروح المعاني ٢/٢٠.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٩٧/٢، وبحر العلوم ٥٨٨/٢، والكشاف ٣٧٩/٣، والبسيط ٢٧٠/١٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/١٣، وتفسير النسفي٢١٨/٣، وإرشاد العقل السليم٢٩٣/٦، وفتح القدير١٤٥/٤.

(٤) أخرجه ابن ماجه كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، ح(١٨٩٤).

(٥) أخرجه أحمد ٤٣٥/٣، والحاكم ٧١٢/٣ ح٦٥٧٥.

هلاك من كذَّبه، وأن يُسلّم على المصطفين المؤمنين.

والأول أصح[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الأمر بالحمد خطاب للرسول ﷺ[٢].

وممن قال به: النحاس، والطبري، والبغوي، ابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، وابن كثير، والألوسي[٣].

ومن أقوالهم:

قال النحاس: وهذا أولى؛ لأن القرآن منزل على النبي ﷺ، وكل ما فيه فهو مخاطب به، إلا ما لم يصح معناه إلا لغيره[٤].

القول الثاني: الأمر بالحمد خطاب للوط عليه السلام[٥].

وممن قال به: الفراء[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) رموز الكنوز ٤٨٣/٥-٤٨٤.

(٢) بحر العلوم ٥٨٨/٢، والكشاف ٣٧٩/٣، والبسيط ٢٧٠/١٧، وزاد المسير ٣٦٧/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/١٣، وتفسير النسفي٢١٨/٣، والتسهيل ٩٨/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٨/١٠، وإرشاد العقل السليم٢٩٣/٦، وفتح القدير١٤٥/٤.

(٣) معالم التنزيل ٤٠٩/٣، وجامع البيان ٩٨/١٨، وزاد المسير ٣٦٧/٣، والتسهيل ٩٨/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٨/١٠، وروح المعاني ٢/٢٠.

(٤) فتح القدير١٤٥/٤.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٩٧/٢، وبحر العلوم ٥٨٨/٢، والكشاف ٣٧٩/٣، والبسيط ٢٧٠/١٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/١٣، وتفسير النسفي٢١٨/٣، وإرشاد العقل السليم٢٩٣/٦، وفتح القدير١٤٥/٤.

(٦) معاني القرآن للفراء ٢٩٧/٢.

قال الفراء: قيل للوط (قل الحمد لله) على هلاك من هلك[١].

حاصل الدراسة:

أمر رسوله محمدا ﷺ بتحميده ثم بالصلاة على المصطفين من عباده، توطئه لما يتلوه من الدلالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء، وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذي بال بأن يتبرك بهما ويستظهر بمكانهما.

وقيل: هو خطاب للوط عليه السلام بأن يحمد الله على هلاك كفار قومه، ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم.

ونسب الفراء: الخطاب للوط، أي: قل الحمد لله على هلاكهم. وخالف جماعة من العلماء في هذا.

وقال ابن عطية رداً على قول الفراء: وهذه عجمة من الفراء رحمه الله[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه خطاب للنبي ﷺ، لأن القرآن منزل على النبي ﷺ، وكل ما فيه فهو مخاطب به.

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٣].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢٩٧/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢١٧/٣، والمحرر الوجيز٢٦٦/٤، وتفسير النسفي ٢١٨/٣، وفتح القدير١٤٥/٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣-٣٦٢، والتسهيل ٩/١، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٧١/١.

قال تعالى: ﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨ ﴾ [١]

١٩٣- مسألة: على ماذا تعود هاء الكناية في قوله: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أن الضمير يعود للإسرائيلي[٢].

القول الثاني: أن الضمير يعود للقبطي[٣].

قال الرسعني:

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ ﴾ وهو الإسرائيلي ﴿ يَسۡتَصۡرِخُهُۥ ﴾ على قبطي آخر، أراد أن يسخّره أيضاً، ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ ﴾ أي: للإسرائيلي. وقيل: للقبطي. **والأول أظهر،** ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ ﴾ فعيلٌ بمعنى: مَغوِيّ، كالأليم بمعنى: مؤلم، أي: إنك لَمغوِيّ ﴿ مُّبِينٞ ﴾ حيث قتلتُ أمس بسببك رجلاً وتستصرخني اليوم على آخر.

ويجوز أن يكون المعنى: إنك لَغَاوٍ في قتالك من لا تطيق دفع شرّه عنك[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أن الضمير يعود للإسرائيلي؛ لأنه تسبب بالأمس لقتل رجل يريد اليوم أن يتسبب لقتل آخر[٥].

---

(١) سورة القصص آية: ١٨.

(٢) جامع البيان١٨/١٩٣، والبسيط١٧/٣٥٩، وتفسير النسفي٣/٢٣١، والتسهيل ٣/١٠٤، ولباب التأويل٥/١٦٨، والدر المصون٨/٦٦٠، واللباب في علوم الكتاب١٥/٢٣١، وفتح القدير٤/١٦٤.

(٣) زاد المسير ٣/٣٧٨، والدر المصون٨/٦٦٠، واللباب في علوم الكتاب١٥/٢٣١.

(٤) رموز الكنوز ٥/٥٢٣.

(٥) جامع البيان١٨/١٩٣، والبسيط١٧/٣٥٩، وتفسير النسفي٣/٢٣١، والتسهيل ٣/١٠٤، ولباب التأويل٥/١٦٨، والدر المصون٨/٦٦٠، واللباب في علوم الكتاب١٥/٢٣١، وفتح القدير٤/١٦٤.

وممن قال به:ابن أبي زمنين، والماوردي، والواحدي، وابن الجوزي، وأبو حيان، وابن كثير[١].

ومن أقوالهم: أ- قال البغوي: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ ﴾ للإسرائيلي ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر الغواية، قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه. وقيل: إنما قال موسى للفرعوني إنك لغوي مبين بظلمك. والأول أصوب، وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيلي[٢].

ب- قال أبو حيان: قال له موسى: الظاهر أن الضمير في ﴿ لَهُۥ ﴾ عائد على الذي ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ لكونك كنت سبباً في قتل القبطي بالأمس، قال له ذلك على سبيل العتاب والتأنيب[٣].

القول الثاني: أن الضمير يعود للقبطي[٤].

ذكره المفسرون ولم يرجحه أحد.

واستدلوا بما دل عليه قوله: يستصرخه، ولم يفهم الإسرائيلي أن الخطاب للقبطي[٥].

حاصل الدراسة:

في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القبطي، والثاني: إلى الإسرائيلي.

فعلى الأول يكون المعنى: إنك لغوي بتسخيرك وظلمك. وعلى الثاني: فيه قولان:

أحدهما: أن يكون الغوي بمعنى المغوي كالأليم والوجيع بمعنى المؤلم والموجع، والمعنى: إنك لمضل حين قتلت بالأمس رجلاً بسببك وتدعوني اليوم إلى آخر.

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين٣/٣٢٠، والنكت والعيون٤/٢٤٣، والبسيط ١٧/٣٥٩، وزاد المسير ٣/٣٧٨، والبحر المحيط٧/١٠٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠/٤٤٨.

(٢) معالم التنزيل ٣/٤٣١.

(٣) البحر المحيط٧/١٠٦.

(٤) زاد المسير ٣/٣٧٨، والدر المصون٨/٦٦٠، واللباب في علوم الكتاب١٥/٢٣١.

(٥) البحر المحيط٧/١٠٦.

والثاني: أن يكون الغوي بمعنى الغاوي، والمعنى: إنك غاو في قتالك من لا تطيق دفع شره عنك[١].

وقيل: إن الضمير في (له) والخطاب في (إنك) للقبطي ودل عليه قوله: ﴿ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾

وهو خلاف الظاهر ويبعده الاظهار في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ [٢]فإن الظاهر على ذاك به بدل الذي، والبطش الأخذ بصولة وسطوة[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الخطاب للإسرائيلي، وهو الظاهر، وهو ترجيح جمهور المفسرين، والرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٤].

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٥].

---

(١) زاد المسير ٣٧٨/٣.

(٢) سورة القصص آية: ١٩.

(٣) روح المعاني ٥٧/٢٠.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

(٥) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [١]

١٩٤- مسألة: ما المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المشار إليه هارون[٢].

القول الثاني: المشار إليه فرعون[٣].

قال الرسعني:

﴿ يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ قرأ عاصم وحمزة:" يُصدِّقُني" بالرفع صفة لـ"ردءاً"، وقرأ الباقون بالجزم على جواب السؤال[٤].

وجمهور المفسرين ذهبوا على أن الضمير المرفوع في: "يصدقني" عائد إلى هارون.

وشذّ مقاتل فقال: المعنى: يُصدِّقُني فرعون[٥].

فجعل ضمير المرفوع له. ويؤيده قراءة من قرأ: "يُصدِّقُون" على الجمع[٦].

والأول أصح[٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة القصص آية: ٣٤.

(٢) جامع البيان ٢٥٠/١٨، والبسيط ٣٩٥/١٧، ومعالم التنزيل ٤٤٠/٣، وزاد المسير ٣٨٤/٣.

(٣) معالم التنزيل ٤٤٠/٣، وزاد المسير ٣٨٤/٣.

(٤) الحجة لابن خالويه٢٧٨/١، والحجة لابن زنجلة ص٥٤٥-٥٤٦، والكشف ١٧٣/٢، والنشر٢٦١/٢، والإتحاف ص ٤٣٦، والسبعة ص٤٩٤.

(٥) تفسير مقاتل ٤٩٦/٢.

(٦) وهي قراءة زيد بن علي وأبيّ. انظر هذه القراءة في: الدر المصون٦٧٧/٨.

(٧) رموز الكنوز ٥٣٨/٥.

القول الأول: المشار إليه هارون[١].

وممن قال به:الطبري، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: التصديق لهارون في قول الجميع، وقال مقاتل: لكي يصدقني فرعون؛ والقول هو الأول[٣].

القول الثاني: المشار إليه فرعون[٤].

وممن قال به: مقاتل بن سليمان[٥].

واستدلوا بقراءة أُبي وزيد بن علي "يصدقون"، أي: فرعون[٦].

ومن أقوالهم:

قال مقاتل: لكي يصدقني فرعون[٧].

حاصل الدراسة:

معنى تصديقه موسى إعانته إياه بزيادة البيان في مظان الجدال أن احتاج إليه؛ ليثبت دعواه، لا أن يقول له صدقت، يدل عليه قوله: ﴿ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ ﴾ وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت[٨]. فالمشار إليه هارون في قول الجميع، وهو القول الموافق للقراءة المتواترة. وقول مقاتل أنه فرعون شاذ.

---

(١) جامع البيان ٢٥٠/١٨، ومعالم التنزيل ٤٤٠/٣، وزاد المسير ٣٨٤/٣.

(٢) جامع البيان ٢٥٠/١٨، والبسيط ٣٩٥/١٧، ومعالم التنزيل ٤٤٠/٣، وزاد المسير ٣٨٤/٣.

(٣) البسيط ٣٩٥/١٧.

(٤) معالم التنزيل ٤٤٠/٣، وزاد المسير ٣٨٤/٣.

(٥) تفسير مقاتل ٤٩٦/٢، وزاد المسير ٣٨٤/٣.

(٦) فتح القدير ١٧٣/٤.

(٧) تفسير مقاتل ٤٩٦/٢.

(٨) تفسير النسفي٢٣٦/٣.

المناقشة والترجيح:

الراجح: المشار إليه هارون، وهو قول جميع المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[١].

(١) جامع البيان ٢/٢٣١، والتسهيل ١/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢/٣٥٤، وأضواء البيان ١/٣٨٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٨٨.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ ﴾ [١]

١٩٥- مسألة: قوله تعالى: ﴿ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ هل هو مقدار عمره، أو مقدار لبثه في قومه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مقدار عمره كله ألف سنة إلا خمسين عاماً [٢].

القول الثاني: مقدار لبثه في قومه رسولاً ألف سنة إلا خمسين عاماً[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ حكى الماوردي: أن هذا مقدار عمره كله.

وليس هذا بصحيح؛ لأن اللبث مرتب على الرسالة بفاء التعقيب، فالآية بيان لمقدار لبثه فيهم رسولاً[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: مقدار عمره كله.

وممن قال به: قتادة [٥].

---

(١) سورة العنكبوت آية: ١٤.

(٢) النكت والعيون٤/٢٧٩، والمحرر الوجيز٤/٣١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٣٢، وروح المعاني٢٠/١٤٣.

(٣) جامع البيان١٨/٣٧٠، والنكت والعيون٤/٢٧٩، والمحرر الوجيز٤/٣١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٣٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٠/٤٩٨، واللباب في علوم الكتاب ١٥/٣٢٦، وإرشاد العقل السليم٧/٣٣، وروح المعاني٢٠/١٤٣.

(٤) رموز الكنوز ٥/٥٩٨.

(٥) النكت والعيون٤/٢٧٩، والمحرر الوجيز٤/٣١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٣٢، وروح المعاني٢٠/١٤٣.

واستدلوا بقول قتادة: لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة، ودعاهم ثلاثمائة سنة، ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين سنة[١].

القول الثاني: مقدار لبثه في قومه رسولاً[٢].

وممن قال به: ابن عباسﷺ من طريق يوسف بن مهران[٣]، وكعب الأحبار، عون بن أبي شداد[٤]، وابن أبي زمنين، وابن جزي الكلبي، والخازن، وأبو حيان[٥].

واستدلوا بما يلي:

١- روى يوسف بن مهران عن ابن عباسﷺ قال: بُعث نوح لأربعين سنة، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الغرق ستين عاماً، حتى كثر الناس وفشوا[٦].

٢- قال كعب الأحبار: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين سنة، فكان مبلغ عمره ألفاً وعشرين سنة[٧].

ومن أقوالهم:

---

(١) النكت والعيون٤/٢٧٩.

(٢) جامع البيان ١٨/٣٧٠، والنكت والعيون٤/٢٧٩، والمحرر الوجيز٤/٣١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٣٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٠/٤٩٨، واللباب في علوم الكتاب ١٥/٣٢٦، وإرشاد العقل السليم٧/٣٣، وروح المعاني٢٠/١٤٣.

(٣) هو: يوسف بن مهران البصري. انظر: التاريخ الكبير٨/٣٧٥، وتقريب التهذيب ١/ ٦١٢.

(٤) هو: عون بن أبي شداد العقيلي، أبو معمر البصري. انظر: التاريخ الكبير ٧/١٥، وتهذيب النهذيب ٨/١٥٢.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين٣/٣٤٣، والتسهيل٣/١١٤، ولباب التأويل ٥/١٨٩، والبحر المحيط٧/١٤٠.

(٦) البسيط ١٧/٥٠٤، ومعالم التنزيل ٣/٤٦٥، وزاد المسير ٣/٤٠٢، والكشف والبيان٧/٢٧٤، وأخرجه الحاكم ٢/٥٩٥، ولم يتكلم عنه الحاكم.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٩/٣٠٤١، وتفسير ابن أبي زمنين٣/٣٤٣، والنكت والعيون٤/٢٧٩، وزاد المسير ٣/٤٠٢.

أ- قال ابن جزي الكلبي: الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه[١].

ب- قال أبو حيان: وقال ابن عطية: يحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة إقامته في قومه، من لدن مولده إلى غرق قومه. انتهى. وليس عندي محتملاً؛ لأن اللبث متعقب بالفاء الدالة على التعقيب، واختلف في مقدار عمره، حين كان بعث وحين مات، اختلافاً مضطرباً متكاذباً[٢].

ج- قال ابن عاشور: وظاهر الآية أن هذه مدة رسالته إلى قومه ولا غرض في معرفة عمره يوم بعثه الله إلى قومه، وفي ذلك اختلاف بين المفسرين[٣].

حاصل الدراسة:

هذه الآية تسلية وتثبيت للنبي ﷺ،كأنه قيل له إن نوحاً لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه ولم يؤمن منهم إلا قليل، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك. وقد اختلف في مقدار عمر نوح، وليس في الآية إلا أنه لبث فيهم هذه المدة وهي لا تدل على أنها جميع عمره، فقد تلبث في غيرهم قبل اللبث فيهم، وقد تلبث في الأرض بعد هلاكهم بالطوفان. وقوله تعالى ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ ﴿ فَلَبِثَ ﴾ هذا العطف بالفاء يقتضي ظاهره أنه لبث هذه المدة رسولا يدعو[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه لبث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً. وهو الظاهر من الآية، وليس في الآية ما يدل عن صرفها إلى عمره. وهو ترجيح الرسعني.

---

(١) التسهيل٣/١١٤.

(٢) البحر المحيط٧/١٤٠

(٣) التحرير والتنوير٢٠/٢٢٢.

(٤) المحرر الوجيز٤/٣١٠، وفتح القدير ٤/١٩٦.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [١]

١٩٦- مسألة: أين موضع الوقف في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الوقف على قوله: "الذين أجرموا"، ثم يبتدئ "وكان حقاً علينا نصر المسلمين"[٢].

القول الثاني: الوقف على قوله: "وكان حقاً"، ثم يبتدئ "علينا نصر المؤمنين"[٣].

قال الرسعني:

ثم عزى نبيه ﷺ مبشراً له أن عاقبة الأمر له ولأصحابه، ومنذراً للكفار من غضبه وانتقامه، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ، وكان بعضهم يقف على: "وكان حقاً" على معنى: وكان الانتقام من المجرمين حقاً، ثم يبتدئ "علينا نصر المؤمنين".

والأول أظهر؛ لما أخبرنا به أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزويني قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي، حدثنا الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو شيخ الحراني، أخبرنا موسى بن أعين، عن ليث بن أبي سليم، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي

---

(١) سورة الروم آية: ٤٧.

(٢) جامع البيان ٥١٩/١٨، والبسيط ٧٦/١٨، والمحرر الوجيز٣٤١/٤، والدر المصون٥٠/٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦/١١.

(٣) الكشاف٤٩٠/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٥، والبحر المحيط١٧٣/٧، وفتح القدير ٢٣٠/٤.

الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ما من مسلم يردّ عن عرض أخيه، إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١][٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الوقف على قوله: "الذين أجرموا"، ثم يبتدئ "وكان حقاً علينا نصر المسلمين"[٣].

وممن قال به: الطبري، والواحدي، وابن عطية، والسمين الحلبي، وابن كثير[٤].

واستدلوا بما يلي :

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ: " ما من امرئ مسلم يردّ عن عرض أخيه، إلا كان حقاً على الله أن يردّ عنه نار جهنم يوم القيامة". ثم تلا قوله تعالى:﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ .وفي هذا إشعار بأن (حقاً) خبر كان (ونصر المؤمنين) الاسم كما هو الظاهر، وإنما أخر الاسم لكون ما تعلق به فاصلة وللاهتمام بالخبر إذ هو محط الفائدة على ما في البحر المحيط[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: وتوعد قريشاً بأن ضرب لهم مثل من هلك من الأمم الذين

---

(١) أخرجه أحمد ٤٤٩/٦ ح(٢٧٥٧٦)، وابن أبي حاتم ٣٠٩٣/٩. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره ، وهذا إسناد ضعيف لضعف ليث -وهو ابن أبي سليم- وشهر بن حوشب. انظر:

(٢) رموز الكنوز٣٤/٦.

(٣) مفاتيح الغيب ١١٦/٢٥، والبحر المحيط١٧٣/٧، وفتح القدير ٢٣٠/٤.

(٤) جامع البيان ٥١٩/١٨، والبسيط ٧٦/١٨، والمحرر الوجيز٣٤١/٤، والدر المصون٥٠/٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦/١١.

(٥) الكشاف٤٩٠/٣، والبحر المحيط١٧٣/٧، والجامع لأحكام القرآن ٤٣/١٤، والكشف والبيان ٣٠٦/٧، وروح المعاني٥٢/٢١.

أجرموا وكذبوا الأنبياء، ثم وعد محمداً وأمته النصر إذ أخبر أنه جعله ﴿ حَقًّا ﴾ عليه تبارك وتعالى و﴿ حَقًّا ﴾ خبر ﴿ وَكَانَ ﴾ قدمه اهتماماً؛ لأنه موضع فائدة الجملة. وبعض القراء في هذه الآية وقف على قوله: ﴿ حَقًّا ﴾ وجعله من الكلام المتقدم ثم استأنف جملة من قوله: ﴿ عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهذا قول ضعيف؛ لأنه لم يدر قدماً عرضه في نظم الآية[١].

ب- قال النسفي: أي وكان نصر المؤمنين حقاً علينا، بإنجائهم مع الرسل، وقد يوقف على حقاً ومعناه وكان الانتقام منهم حقاً، ثم تبتدئ علينا نصر المؤمنين، والأول أصح[٢].

ج- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ وَكَانَ حَقًّا ﴾ انتصب حقاً؛ لأنه خبر كان، واسمها نصر المؤمنين. وقيل: اسمها مضمر يعود على مصدر انتقمنا، أي: وكان الانتقام حقاً فعلى هذا يوقف على حقاً ويكون نصر المؤمنين مبتدأ وهذا ضعيف[٣].

القول الثاني: الوقف على قوله: "وكان حقاً"، ثم يبتدئ "علينا نصر المؤمنين"[٤]. ومعناه: وكان الانتقام منهم عدلاً لم يكن الانتقام ظلماً، ثم يبتدئ:﴿ عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وممن قال به: أبو بكر[٥].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ وَكَانَ حَقًّا ﴾ :بعض الوقفةِ يقف على "حقاً" ويبتدئ بما بعده، يجعل

---

(١) المحرر الوجيز٤/٣٤١.

(٢) تفسير النسفي٣/٢٧٧.

(٣) التسهيل ٣/١٢٤.

(٤) الكشاف٣/٤٩٠، ومفاتيح الغيب ٢٥/١١٦، والبحر المحيط٧/١٧٣، وفتح القدير ٤/٢٣٠.

(٥) نسبه القرطبي لأبي بكر ولم أقف عليه. انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤/٤٣.

اسم كان مضمراً فيها و"حقاً" خبرها. أي: وكان الانتقام حقاً. قال ابن عطية: "وهذا ضعيفٌ؛ لأنه لم يدرِ قدر ما عرضه في نظم الآية" يعني الوقف على "حقاً". وجعل بعضهم "حقاً" منصوباً على المصدر، واسم كان ضمير الأمر والشأن، و"علينا" خبرٌ مقدمٌ، و"نصر" مبتدأ مؤخر. وبعضهم جعل "حقاً" منصوباً على المصدر أيضاً، و"علينا" خبرٌ مقدم، و"نصر" اسم مؤخر. والصحيح أن "نصر" اسمها، و"حقاً" خبرها، و"علينا" متعلقٌ بـ"حقاً" أو بمحذوف صفةً له[1].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الوقف على قوله: "الذين أجرموا"، ثم يبتدئ "وكان حقاً علينا نصر المسلمين" وهو قول أهل اللغة وترجيح الرسعني، والمفسرين.

القاعدة: الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى[2].

---

(1) الدر المصون٩/٥٠.

(2) جامع البيان ٣٤١/١٨، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩٨/٥، وإعراب القرآن للنحاس ١٧٤/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٠، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/١١٠.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (١)

١٩٧- مسألة: هل كان لقمان حكيماً أو نبياً؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كان حكيماً ولم يكن نبياً(٢).

القول الثاني: كان نبياً(٣).

قال الرسعني:

اختلفوا هل كان نبياً أم لا؟

فذهب الأكثرون، منهم ابن عباس رضي الله عنه: إلى أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً(٤).

وقال عكرمة: كان نبياً(٥).

والأول أكثر وأصح.

ويروى: أن لقمان عليه السلام خيّر بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة(٦)(٧).

---

(١) سورة لقمان آية: ١٢.

(٢) تفسير مجاهد٢/٥٠٤، وجامع البيان ١٨/٥٤٦-٥٤٧، وتفسير ابن أبي زمنين٣/٣٧٤، وبحر العلوم ٣/٢١، والنكت والعيون٤/٣٣١، والمحرر الوجيز٤/٣٤٧، وزاد المسير ٣/٤٣٠، ولباب التأويل ٥/٢١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١/٥١.

(٣) جامع البيان ١٨/٥٤٩، وبحر العلوم ٣/٢١، والنكت والعيون٤/٣٣١، والبسيط ١٨/٩٩، وزاد المسير ٣/٤٣٠، والمحرر الوجيز٤/٣٤٧، ولباب التأويل ٥/٢١٥.

(٤) أخرجه الطبري١٨/٥٤٦، وذكره الماوردي٤/٣٣١، وزاد المسير ٣/٤٣٠ لم أجد فيما عندي من مراجع من نسب القول بنبوة لقمان إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه الطبري١٨/٥٤٩، وابن أبي حاتم ٩/٣٠٩٨.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم٩/٣٠٩٧، وذكره الماوردي٤/٣٣١.

(٧) رموز الكنوز٦/٩٤٦.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كان حكيماً ولم يكن نبياً.

وممن قال به:

١- سعيد بن المسيب، ومجاهد، ووهب بن منبه، وقتادة[١].

٢- الزمخشري، وابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والألوسي[٢].

واستدلوا:

١- بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: "لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكر، حسن اليقين، أحب الله فأحبه"[٣].

٢- قال مجاهد: يعني : الفقه والعقل، والإصابة في القول في غير نبوة [٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن الجوزي: وقد اختلف في نبوته على قولين: أحدهما: أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً. والثاني: أنه كان نبياً، ولا يعرف إلا أن هذا مما تفرد به عكرمة. والقول الأول أصح[٥].

ب- قال ابن كثير: اختلف السلف في لقمان هل كان نبيّاً أو عبداً صالحاً من غير

---

(١) تفسير مجاهد٢/٥٠٤، وجامع البيان ١٨/٥٤٦-٥٤٧، وتفسير ابن أبي زمنين٣/٣٧٤، وبحر العلوم ٣/٢١، والنكت والعيون٤/٣٣١، والمحرر الوجيز٤/٣٤٧، وزاد المسير ٣/٤٣٠، ولباب التأويل ٥/٢١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١/٥١.

(٢) الكشاف٣/٤٩٩، وزاد المسير٣/٤٣٠، والتسهيل٣/١٢٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١/٥١، وإرشاد العقل السليم٧/٧١، وفتح القدير ٤/٢٣٧، وروح المعاني٢١/٨٣.

(٣) عن ابن عمر في الكشف والبيان ٧/٣١١، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٥٩. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) تفسير مجاهد٢/٥٠٤.

(٥) زاد المسير٣/٤٣٠.

نبوة؟ على قولين، الأكثرون على أنه كان عبداً قد مسَّه الرق، فقال:" وكونه عبداً قد مسَّه الرق ينافي كونه نبيًّاً؛ لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها"، قال:" ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيًّاً، قال: وإنما ينقل كونه نبيًّاً عن عكرمة إن صح السند إليه قال: فإنه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة، قال: كان لقمان نبياً، قال: وجابر هذا، هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم"، ثم قال ابن كثير:" والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي: الفقه في الإسلام، ولم يكن نبياً، ولم يوح إليه"[١].

القول الثاني: كان نبياً.

وممن قال به: الشعبي، وعكرمة ، والسدي[٢].

حاصل الدراسة:

اتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه قال: كان نبياً، تفرد بهذا القول. ففسر الحكمة في هذه الآية بالنبوة. وقيل: خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة. كلام ابن كثير يدل على انه كان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه حكيماً ولم يكن نبياً. وهو قول جمهور المفسرين، والرسعني، والظاهر من الآية.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١/٥١-٥٢.

(٢) جامع البيان ١٨/٥٤٩، وبحر العلوم ٣/٢١، والنكت والعيون٤/٣٣١، والبسيط ١٨/٩٩، وزاد المسير ٣/٤٣٠، والمحرر الوجيز٤/٣٤٧، ولباب التأويل ٥/٢١٥.

(٣) الكشف والبيان ٧/٣١١، ولباب التأويل ٥/٢١٥، وإرشاد العقل السليم٧/٧١، وفتح القدير ٤/٢٣٧.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [١]

١٩٨- مسألة: ما هو وقت معاهدتهم؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنهم ناس غابوا عن وقعة بدر فلما علموا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة قالوا لئن شهدنا قتالاً لنقاتلن[٢].

القول الثاني: أنهم أهل العقبة وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله ونصرة رسوله[٣].

القول الثالث: أنهم المنافقون الذين عاهدوا الله يوم أحد حين عاتبهم الله تعالى بما أنزل فيهم أن لا يفرُّوا[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل الخندق ﴿ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴾ .

قال قتادة: عاهدوا الله قبل الخندق وبعد بدر حين سمعوا ما أعطى الله تعالى أهل بدر من الكرامة[٥].

---

(١) سورة الأحزاب آية: ١٥.

(٢) الكشاف٣/٥٣٦، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١٥٠، ولباب التأويل٥/٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب١٥/٥١٨، وإرشاد العقل السليم٧/٩٥،

(٣) الكشاف ٣/٥٣٦، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١٥٠، واللباب في علوم الكتاب١٥/٥١٨.

(٤) جامع البيان ١٩/٤٦، والبسيط١٨/٢٠٣، والكشاف ٣/٥٣٦، ومعالم التنزيل ٣/٥٤٥، والمحرر الوجيز٤/٣٧٤، وزاد المسير ٣/٤٥٣، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١٥٠، وتفسير النسفي ٣/٣٠٠، ولباب التأويل ٥/٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب١٥/٥١٨، وإرشاد العقل السليم٧/٩٥.

(٥) أخرجه الطبري١٩/٤٧.

وقال مقاتل: هم أهل العقبة، وكانوا سبعين رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله تعالى ونصرهم رسوله[١].

وهو قول فاسد؛ لأن الحديث عن المنافقين فكيف يصرف على أهل العقبة الذين هم أمثل أصحابه.

والصحيح: ما قاله محمد بن إسحاق: أنهم المنافقون الذين عاهدوا الله يوم أحد حين عاهم الله تعالى بما أنزل فيهم أن لا يفرُّوا[٢].

قال الواقدي: لما نزل يوم أحد ما نزل عاهد الله معتب بن قشير وثعلبة بن حاطب لا نولي دبراً قط. فلما كان يوم الأحزاب نافقا[٣][٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنهم ناس غابوا عن وقعة بدر فلما علموا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة قالوا لئن شهدنا قتالا لنقاتلن[٥].

وممن قال به: قتادة، والشوكاني[٦].

واستدلوا بقول قتادة: وذلك أنهم غابوا من بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر، فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن، وهم بنو حارثة وبنو سلمة.

ومن أقوالهم:

قال الشوكاني: أي: من قبل غزوة الخندق ومن بعد بدر[١].

---

(١) تفسير مقاتل ٣/٣٩.

(٢) أخرجه الطبري١٩/٤٦ من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

(٣) زاد المسير ٣/٤٥٣.

(٤) رموز الكنوز٦/٩٥٠.

(٥) الكشاف٣/٥٣٦، والجامع لأحكام القرآن١٤/١٥٠، ولباب التأويل٥/٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب ١٥/٥١٨، وإرشاد العقل السليم٧/٩٥.

(٦) أخرجه الطبري١٩/٤٧، ومعالم التنزيل ٣/٥٤٥، وزاد المسير ٣/٤٥٣، وفتح القدير٤/٢٦٧.

القول الثاني: أنهم أهل العقبة وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله ونصرة رسوله[٢].

وممن قال به: مقاتل، والكلبي، والسمرقندي[٣].

القول الثالث: أنهم المنافقون الذين عاهدوا الله يوم أحد حين عابهم الله تعالى بما أنزل فيهم أن لا يفرُّوا[٤].

وممن قال به: محمد بن إسحاق، وأبو سليمان الدمشقي.

ومن أقوالهم:

أ- قال الواقدي: لما نزل يوم أحد ما نزل عاهد الله معتب بن قشير وثعلبة بن حاطب لا نولي دبراً قط. فلما كان يوم الأحزاب نافقا[٥].

ب- قال ابن الجوزي: بعد ذكر الأقوال الثالث: وهو أليق مما قبله وإذا كان الكلام في حق المنافقين فكيف يطلق القول على أهل العقبة كلهم[٦].

حاصل الدراسة:

في وقت معاهدتهم ثلاثة أقوال: أنهم ناس غابوا عن وقعة بدر فلما علموا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة قالوا لئن شهدنا قتالاً لنقاتلن. وقيل: أنهم أهل العقبة وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله ونصرة رسوله. وقيل: أنهم المنافقون الذين عاهدوا الله يوم أحد حين عابهم الله تعالى بما أنزل فيهم أن لا يفرُّوا.

---

(١) فتح القدير٤/٢٦٧.

(٢) الكشاف ٣/٥٣٦، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١٥٠، واللباب في علوم الكتاب١٥/٥١٨.

(٣) تفسير مقاتل ٣/٣٩، وبحر العلوم٣/٤٨، ومعالم التنزيل ٣/٥٤٥، وزاد المسير ٣/٤٥٣.

(٤) جامع البيان ١٩/٤٦، والبسيط١٨/٢٠٣، والكشاف ٣/٥٣٦، ومعالم التنزيل ٣/٥٤٥، والمحرر الوجيز٤/٣٧٤، وزاد المسير ٣/٤٥٣، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١٥٠، وتفسير النسفي ٣/٣٠٠، ولباب التأويل ٥/٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب١٥/٥١٨، وإرشاد العقل السليم٧/٩٥.

(٥) زاد المسير ٣/٤٥٣.

(٦) زاد المسير ٣/٤٥٣.

والقول أنهم أهل العقبة ليس بمرضي؛ لأن الذين بايعوا محمدا ﷺ ليلة العقبة كانوا سبعين نفراً، والمشهور عنهم أنهم استقاموا على الإسلام، ولم يكن فهيم شاك ولا من يقول مثل هذا القول، وإنما الآية في قوم عاهدوا الله أن يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنهم المنافقون الذين عاهدوا الله يوم أحد حين عابهم الله تعالى بما أنزل فيهم أن لا يفرُّوا؛ لأن سياق الآيات فيهم، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٢].

---

(١) معالم التنزيل ٣/٥٤٦.

(٢) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ﴾ [١]

١٩٩- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: النشوز وسوء الخلق[٢].

القول الثاني: الفاحشة: الزنا[٣].

قال الرسعني:

﴿ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ قال ابن عباسﷺ: يريد: النشوز وسوء الخلق[٤].

فإن قيل: الفاحشة السيئة البليغة في القبح، والنشوز وسوء الخلق لا يترقى إلى ذلك، فكيف سماه فاحشة؟

قلت: تعاظم ذلك وتفاحش لأجل رسول الله ﷺ، وكونه هو المعامل به.

وحكى الماوردي عن السدي أن الفاحشة: الزنا[٥].

وأظن الحامل له على ذلك هذا القول؛ أنه رأى هذه اللفظة لهذا المعنى في مواضع من القرآن، ورسول الله ﷺ بل سائر رسله معصومون من صحبة زوجة تزن بهذه الريبة- على ما قررناه فيما مضى- فلا وجه لنهيهن عما لا يجوز وقوعه منهن، إنما **التفسير الصحيح** ما قاله ابن عباسﷺ [٦].

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٣٠.

(٢) تفسير النسفي٣/٣٠٤، والتسهيل٣/١٣٧، وإرشاد العقل السليم٧/١٠١.

(٣) جامع البيان ١٩/٩٠، وبحر العلوم ٣/٥٤، والنكت والعيون٤/٣٩٧.

(٤) النكت والعيون ٤/٣٩٧، والبسيط١٨/٢٢٨، وزاد المسير٣/٤٦١.

(٥) النكت والعيون٤/٣٩٧.

(٦) رموز الكنوز ٦/١٤٢.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: النشوز وسوء الخلق[١].

وممن قال به: ابن عباس ﷺ[٢].

القول الثاني: الفاحشة: الزنا[٣].

وممن قال به: الطبري، والسمرقندي، والماوردي عن السدي[٤].

ومن أقوالهم:

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لأزواج النبي ﷺ ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ يقول من يزن منكن الزنى المعروف الذي أوجب الله عليه الحد[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أي: بمعصية ظاهرة القبح واضحة الفحش. قال مقاتل: يعني العصيان البين[٦].

٢- على كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الوقوع، فهو كقوله: ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [٧].

٣- قيل: عموم في المعاصي[٨].

---

(١) تفسير النسفي٣/٣٠٤، والتسهيل٣/١٣٧، وإرشاد العقل السليم٧/١٠١.

(٢) النكت والعيون ٤/٣٩٧، ومعالم التنزيل ٣/٥٥٩، وزاد المسير ٣/٤٦١، ولباب التأويل٥/٢٥٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١١/١٤٩.

(٣) تفسير النسفي٣/٣٠٤، والتسهيل٣/١٣٧.

(٤) جامع البيان ١٩/٩٠، وبحر العلوم ٣/٥٤، والنكت والعيون٤/٣٩٧.

(٥) جامع البيان ١٩/٩٠.

(٦) تفسير مقاتل٣/٤٤، ومعالم التنزيل ٣/٥٥٩، وزاد المسير ٣/٤٦١، وتفسير النسفي٣/٣٠٤، ولباب التأويل٥/٢٥٧، وإرشاد العقل السليم٧/١٠١، وفتح القدير٤/٢٧٦.

(٧) سورة الزمر آية: ٦٥. معالم التنزيل ٣/٥٥٩، ولباب التأويل٥/٢٥٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١١/١٤٩.

(٨) التسهيل٣/١٣٧.

حاصل الدراسة:

الفاحشة: السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة. والمبينة: الظاهرة فحشها، والمراد كل ما اقترفن من الكبائر: وقيل هي عصيانهن رسول الله ﷺ ونشوزهنّ، وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقيل: الزنا، والله عاصم رسوله من ذلك[١].

والفاحشة القبيح من القول والفعل. قال ابن الأثير: وكثيراً ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا ويسمى الزنا فاحشة[٢].

قال ابن عطية: الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط، وإذا وردت منكرة فهي سائر المعاصي كل ما يستفحش، وإذا وردت موصوفة بالبيان فهي عقوق الزوج وفساد عشرته، ولذلك يصفها بالبيان إذ لا يمكن سترها. والزنا وغيره هو مما يتستر به ولا يكون مبيناً ولا محالة أن الوعيد واقع على ما خفي منه وما ظهر. والله أعلم[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: النشوز وسوء الخلق؛ لأنه وردت نكرة وموصوفة بالبيان، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية[٤].

---

(١) الكشاف٣/٥٤٤.

(٢) لسان العرب ٦/٣٢٥، مادة(فحش).

(٣) المحرر الوجيز٤/٣٨٢.

(٤) الكشاف ٢/٦٣٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤٤٨، ٤/٢١٠، ومجموع الفتاوى ١٧/٢٢٦، والبحر المحيط ٦/١٠٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد التفسير عند المفسرين ٢/٥١١.

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (١)

٢٠٠- مسألة: ما المراد بأهل البيت في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: هذه الآية في زوجات النبي ﷺ(٢).

القول الثاني: رسول الله ﷺ، وفاطمة، وعلي، والحسن، والحسين(٣).

القول الثالث: المراد: نساؤه وآله(٤).

قال الرسعني:

اختلفوا في المراد بأهل البيت على ثلاثة أقوال:

أحدها: ما أخبرنا به المؤيد بن محمد بن علي الطوسي في كتابه قال: أخبرنا عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن السراج، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٣٣.

(٢) تفسير مقاتل٣/٤٥، وجامع البيان ١٠٧/١٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٢١٣٢/٩، والكشف والبيان٣٦/٨، والنكت والعيون٤٠١/٤، والبسيط ٢٤٠/١٨، ومعالم التنزيل ٥٦٢/٣، وزاد المسير ٤٦٢/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٨٢/١٤، ولباب التأويل٢٥٩/٥، والبحر المحيط ٢٢٤/٧، واللباب في علوم الكتاب١٥/٥٤٧-٥٤٨.

(٣) جامع البيان١٠١/١٩، والكشف والبيان٣٦/٨، والنكت والعيون٤٠١/٤، وزاد المسير ٤٦٢/٣، واللباب في علوم الكتاب١٥/٥٤٧-٥٤٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢٢٦/٤، والكشف والبيان ٣٦/٨، والنكت والعيون٤٠١/٤، والبسيط ٢٤١/١٨، ومعالم التنزيل ٥٦٢/٣، والمحرر الوجيز٣٨٤/٤، وزاد المسير ٤٦٢/٣، ومفاتيح الغيب ١٨١/٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٥٣/١١، واللباب في علوم الكتاب١٥/٥٤٧-٥٤٨.

الحسن بن علي بن عفان[١]، حدثنا أبو يحيى الحماني[٢]، عن صالح بن موسى القرشي[٣]، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباسﷺ قال: أنزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وبالإسناد قال الواحدي: أخبرنا أبو حكيم عقيل بن محمد الجرجاني – فيما أجاز لي روايته عنه لفظاً–، أخبرنا المعافى بن زكريا القاضي، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا ابن حميد[٤]، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا الأصبغ بن علقمة[٥]، عن عكرمة، عن قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ قال: ليس الذي تذهبون إليه، إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة. قال: وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق[٦]. وهذا قول ابن السائب ومقاتل[٧] وسعيد بن جبير.

واحتجوا لصحته بما تقدم من الخطاب قبله وما تأخر، فإنه مختص بأزواج النبي ﷺ.

وإنما قال:" ليذهب عنكم"؛ لدخول رسول الله ﷺ معهن في الخطاب.

---

(١) هو: الحسن بن علي بن عفان العامري، أبو محمد الكوفي، توفي سنة سبعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٢٦١/٢، وتقريب التهذيب ص١٦٢.

(٢) هو: عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني، أبو يحيى الكوفي، رمي بالإرجاء، توفي سنة اثنتين ومائتين للهجرة. انظر: تهذيب التهذيب ١٠٩/٦، وتقريب التهذيب ص٣٣٤.

(٣) هو: صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله الطلحي الكوفي. انظر: تهذيب التهذيب ٣٥٤/٤، وتقريب التهذيب ص٢٧٤.

(٤) هو: محمد بن حميد بن حيان التميمي الحافظ، أبو عبد الله الرازي، كان ابن معين حسن الرأي فيه، توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ١١١/٩-١١٤، وتقريب التهذيب ص٤٧٥.

(٥) هو: أصبغ بن علقمة بن علي بن علقمة بن شريك بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع ، من أهل مرو، وكنيته أبو المقدام، يروي عن سعيد بن المسيب وعكرمة. انظر: الثقات ٧٧/٦.

(٦) أخرجه الطبري١٠٨/١٩، والوسيط ٤٧٠/٣.

(٧) تفسير مقاتل ٤٥/٣.

قال الزمخشري: وفي هذا دليل بين على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته[١].

القول الثاني: أن المراد بأهل البيت: رسول الله ﷺ، وفاطمة، وعلي، والحسن، والحسين. قاله أبو سعيد الخدري وعائشة وأم سلمة.

والدليل على صحته: ما أخبرنا به الشيخ أبو المجد محمد بن الحسين بن أحمد القزويني بقراءتي عليه من أصل سماعه قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن أسعد، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الأنصاري، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع[٢]، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة[٣]، حدثنا أبي[٤]، عن مصعب بن شيبة[٥]، عن صفية بنت شيبة الحجبية[٦]، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قال:" خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجلس، فجاءته فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه، ثم جاء حسن فأدخله فيه، ثم جاء حسين فأدخله فيه، قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٧]. هذا حديث صحيح. أخرجه مسلم عن

---

(١) الكشاف ٥٤٦/٣.

(٢) هو: الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس السكوني، أبو همام بن أبي بدر الكوفي، نزيل بغداد، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب١١٩/١١، وتقريب التهذيب ص٥٨٢.

(٣) هو: يحي بن زكريا بن أبي زائدة واسمه خالد بن ميمون بن فيروز الهمداني الوادعي مولاهم، أبو سعيد الكوفي، كان على قضاء المدائن، وتوفي بها سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع وثمانين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ١٨٣/١١، وتقريب التهذيب ص٥٩٠.

(٤) هو: زكريا بن أبي زائدة واسمه خالد بن ميمون بن فيروز الهمداني الوادعي مولاهم، أبو يحي الكوفي، توفي سنة سبع أو ثمان أو تسع وأربعين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ٢٨٤/٣، وتقريب التهذيب ص٢١٦.

(٥) هو: مصعب بن سيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي العبدري المكي الحجبي. انظر: تهذيب التهذيب ١٤٧/١٠، وتقريب التهذيب ص٥٣٣.

(٦) هي: صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار العبدرية، لها رؤية. انظر: تهذيب التهذيب ٤٥٨/١٢، وتقريب التهذيب ص٧٦٤.

(٧) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبيﷺ، ح(٢٤٢٤).

أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر، عن زكريا عن مصعب.

وروت أم مسلمة:" أن النبي ﷺ جلَّل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله! قال: إنك إلى خير"[١]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والصحيح عندي: أن المراد بأهل بيته: نساؤه وآله[٢]. وهو قول الضحاك واختيار الزجاج؛ لأن اللفظ صالحٌ لهما عامٌ فيهما.

وظاهر القرآن والأحاديث يدل على صحة ما اخترته.

وفي أفراد مسلم من حديث زيد بن أرقم، أن النبي ﷺ قال:" وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد: أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قيل: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس"[٣].

فهذا اعتراف من زيد بن أرقم أن نساءه من أهل بيته[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: هذه الآية في أزواج النبي ﷺ، لأنهن في بيته.

وممن قال به: ابن عباسرضي الله عنه، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وابن السائب، ومقاتل[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة رضي الله عنها، ح(٣٨٧١).

(٢) النكت والعيون ٤٠١/٤، وزاد المسير ٤٦٢/٣، ومعاني القرآن للزجاج ٢٢٦/٤.

(٣) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالبرضي الله عنه، ح(٢٤٠٨).

(٤) رموز الكنوز ١٥٠/٦-١٥٤.

(٥) تفسير مقاتل٤٥/٣، وجامع البيان ١٠٧/١٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٢١٣٢/٩، والكشف والبيان٣٦/٨، والنكت والعيون٤٠١/٤، والبسيط ٢٤٠/١٨، ومعالم التنزيل ٥٦٢/٣، وزاد المسير ٤٦٢/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٨٢/١٤، ولباب التأويل٢٥٩/٥، والبحر المحيط ٢٢٤/٧، واللباب في علوم الكتاب٥٤٧/١٥-٥٤٨.

واستدلوا بما يلي :

١- عن ابن عباسﷺ قال: أنزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

٢- عن عكرمة، عن قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ قال: ليس الذي تذهبون إليه، إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة.

٣- احتجوا بما تقدم من الخطاب وما تأخر، وهو قوله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ ﴾ الآية[١]. وكل ذلك خطاب لأزواج رسول الله ﷺ خاصة. قالوا: وإنما ذكر الخطاب في قوله: عنكم ويطهركم؛ لأن رسول الله ﷺ كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر[٢].

القول الثاني: رسول الله ﷺ، وفاطمة، وعلي، والحسن، والحسين[٣].

وممن قال به: عائشة، وأم سلمة[٤]، وأبو سعيد الخدري، وواثلة بن الأسقع[٥]، وأنس بن مالكﷺ، ومجاهد، وقتادة[٦].

واستدلوا بما يلي:

١- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قال:" خرج رسول الله ﷺ ذات غداة

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٣٤.

(٢) البسيط ٢٤٠/١٨، والكشف والبيان ٣٦/٨.

(٣) جامع البيان ١٠١/١٩-١٠٧، ومعالم التنزيل ٥٦٢/٣.

(٤) هي: هند أم سلمة بنت أبي أمية أم المؤمنين المخزومية، وهي آخر أمهات المؤمنين موتاً، ماتت في إمرة يزيد، الواقدي فقال سنة ٥٩هـ. انظر: الكاشف٥١٩/٢، وصفوة الصفوة٤٠/٢.

(٥) هو: واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر الليثي من أصحاب الصفة، أسلم سنة ٩هـ، توفي سنة ٨٣هـ، وقيل:٨٥هـ، وكان آخر من مات من الصحابة بدمشق. انظر: الإصابة ٥٩١/٦، وسير أعلام النبلاء٣٨٣/٣.

(٦) جامع البيان١٠١/١٩، والكشف والبيان٣٦/٨، والنكت والعيون٤٠١/٤، وزاد المسير ٤٦٢/٣، واللباب في علوم الكتاب٥٤٧/١٥-٥٤٨.

وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجلس، فجاءته فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه، ثم جاء حسن فأدخله فيه، ثم جاء حسين فأدخله فيه، قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

٢- روت أم مسلمة:" أن النبي ﷺ جلَّل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله! قال: إنك إلى خير".

القول الثالث: أنها في الأهل والأزواج.

وممن قال به: الضحاك، والزجاج، والثعلبي، والواحدي، وابن عطية، والرازي، وابن كثير، وابن عادل [١].

واستدلوا بما يلي:

حديث زيد بن أرقم، أن النبي ﷺ قال:" وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد: أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قيل: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس".

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: وهذا لا يدل على أن هذه الآية خاصة فيهم؛ لأن هذه الرواية تدل على أن النبي ﷺ دعا لهم بهذا الدعاء، وسأل الله أن يطهرهم، لا جرم أنه استجيب له فيهم بالتطهير[٢]...وعلى هذا هو خطاب لأزواج النبي ﷺ ورجال بيته[٣].

ب- قال الزجاج: اللغة تدل على أنه للنساء والرجال جميعاً؛ لقوله: ﴿ عَنكُمُ ﴾ و

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٢٢٦/٤، والكشف والبيان ٣٦/٨، والنكت والعيون٤٠١/٤، والبسيط ٢٤١/١٨، ومعالم التنزيل ٥٦٢/٣، والمحرر الوجيز٣٨٤/٤، وزاد المسير ٤٦٢/٣، ومفاتيح الغيب ١٨١/٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٥٣/١١، واللباب في علوم الكتاب٥٤٧/١٥-٥٤٨.

(٢) البسيط ٢٤١/١٨.

(٣) البسيط ٢٤١/١٨.

﴿ وَيُطَهِّرَكُمۡ ﴾ بالميم، ولو كان للنساء لم يجز إلا عنكن ويطهركن، ودليله: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ حين أفرد النساء بالخطاب[١].

ج- قال ابن عطية: الذي يظهر إلي أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة فـ ﴿ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ زوجاته وبنته وبنوها وزوجها وهذه الآية تقضي أن الزوجات من أهل البيت؛ لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن[٢].

د- قال ابن كثير: فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك[٣].

حاصل الدراسة:

الخطاب موجه لأزواج النبي ﷺ، وكذلك ما قبله وما بعده لا يخالط أحداً شك في ذلك، ولم يفهم منها أصحاب النبي ﷺ والتابعون إلا أن أزواج النبي ﷺ هن المراد بذلك، وأن النزول في شأنهنّ[٤].

فقرينة السياق صريحة في دخول زوجات النبي ﷺ؛ لأن اللَّه تعالى قال: ﴿ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ﴾ ، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ ، ثم قال بعده : ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ .

وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص، وروي عن مالك أنها ظنيّة الدخول.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/٢٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٣٨٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١/١٥٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٢٢/١٦، والرد على أهل الشيعة في توهم إخراج زوجات النبي ﷺ من آل البيت.

فالحق أنهن داخلات في الآية، وإن كانت الآية تتناول غيرهن من أهل البيت. أمّا الدليل على دخولهن في الآية، فهو أن سياق الآية صريح في أنها نازلة فيهنّ. ونظير ذلك من دخول الزوجات في اسم أهل البيت، قوله تعالى في زوجة إبراهيم: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾[١] .

وأمّا الدليل على دخول غيرهن في الآية، فهو أحاديث جاءت عن النبيّ ﷺ ، أنّه قال في عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم: (إنهم أهل البيت)، ودعا لهم اللَّه أن يذهب عنهم الرجس ويطهّرهم تطهيرًا. وقد روى ذلك جماعة من الصحابة عن النبيّ ﷺ .

فالراجح: شمول الآية الكريمة لأزواج النبيّ ﷺ، ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين، رضي الله عنهم كلّهم[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد به زوجات النبي ﷺ، وآل بيته. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٣].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[٤].

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٥].

---

(١) سورة هود آية: ٧٣.

(٢) أضواء البيان ٦/٢٣٧.

(٣) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير ٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

(٤) جامع البيان١٦/٤٤٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١١٣، والمحرر الوجيز ٢/٢٤٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٦٢، ومجموع الفتاوى ١٣/٢٧، والبحر المحيط ١/١٢٨، والتسهيل ١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٥٦، وفتح القدير ١/١٢، وروح المعاني ١/٩٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٩١.

(٥) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [١]

٢٠١- مسألة: فيمن نزلت الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: زينب بنت جحش[٢] وأخيها عبد الله[٣].

القول الثاني: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأخوها[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ قال ابن عباسﷺ ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين: نزلت في زينب بنت جحش وأخيها عبد الله، وكانا ابني عمة رسول اللهﷺ، وكان رسول الله ﷺ خطبها لزيد بن حارثة مولاه، فظنت أنه يخطبها لنفسه، فرضيت، فلما علمت أنه يريدها لزيد كرهت وكره أخوها، وقالا: لا نرضاه، وكانت زينب امرأة بيضاء جسيمة وسيمة، وكان فيها حدّة، فقالت: أنا ابنة عمتك وأتم نساء قريش، فكيف أرضاه لنفسي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فبادرت بصريح إيمانها فقالت: أمري بيدك يا رسول الله، فزوّجها به[٥].

قال مقاتل: وساق لها عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً وملحفة، ودرعاً وإزاراً،

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٣٦.

(٢) هي: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة، وهي أول من هاجر من النساء، زوجها عمرو بن العاص. انظر: صفة الصفوة ٥٥/٢، والكاشف ٥٢٧/٢.

(٣) بحر العلوم ٥٧/٣، والكشف والبيان٤٦/٨، والنكت والعيون٤٠٤/٤، والكشاف٥٤٨/٣، والمحرر الوجيز ٣٨٦/٤، وزاد المسير ٤٦٥/٣، والجامع لأحكام القرآن١٨٧/١٤، والتسهيل ١٣٨/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٧/١١، والتحرير والتنوير ٢٦/٢٢.

(٤) الكشف والبيان٤٦/٨، والنكت والعيون ٤٠٤/٤، والكشاف٥٤٨/٣، وزاد المسير ٤٦٥/٣، والجامع لأحكام القرآن١٨٧/١٤، والتسهيل ١٣٨/٣.

(٥) أخرجه الطبري١١٢/١٩، والطبراني في الكبير٤٥/٢٤، والبيهقي ١٣٦/٧.

وخمسين مُدّاً من طعام، وعشرة أمداد من تمر[١].

وقال ابن زيد: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد بن حارثة، فكرهت وكره أخوها[٢].

والأول أكثر وأشهر.

والمعنى:" وما كان لمؤمن" عبد الله بن جحش وغيره، "ولا مؤمنة" زينب وغيرها من المؤمنين والمؤمنات[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: زينب بنت جحش وأخيها عبد الله[٤].

وممن قال به:

١- ابن عباسرضي الله عنه، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل[٥].

٢- الواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي، والنسفي، وابن عادل[٦].

واستدلوا بما يلي:

١- قال ابن عباسرضي الله عنه: نزلت في زينب بنت جحش وأخيها عبد الله، وكانا ابني عمة رسول اللهﷺ، وكان رسول الله ﷺ خطبها لزيد بن حارثة مولاه، فظنت أنه يخطبها لنفسه، فرضيت، فلما علمت أنه يريدها لزيد كرهت وكره أخوها، وقالا: لا نرضاه،

---

(١) تفسير مقاتل ٤٧/٣.

(٢) أخرجه الطبري١١٤/١٩، وابن أبي حاتم ٣١٣٤/٩.

(٣) رموز الكنوز ١٦٠/٦.

(٤) بحر العلوم ٥٧/٣، والكشف والبيان٤٦/٨، والنكت والعيون٤٠٤/٤، والكشاف٥٤٨/٣، والمحرر الوجيز ٣٨٦/٤، وزاد المسير ٤٦٥/٣، والجامع لأحكام القرآن١٨٧/١٤، والتسهيل ١٣٨/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٧/١١، والتحرير والتنوير ٢٦/٢٢.

(٥) جامع البيان ١١٢/١٩-١١٣.

(٦) البسيط ٢٤٩/١٨، ومعالم التنزيل ٥٦٤/٣، وزاد المسير ٤٦٥/٣، ومفاتيح الغيب ١٨٣/٢٥، وتفسير النسفي ٣٠٦/٣، واللباب في علوم الكتاب٥٥٠/١٥، والتحرير والتنوير ٢٦/٢٢.

وكانت زينب امرأة بيضاء جسيمة وسيمة، وكان فيها حدّة، فقالت: أنا ابنة عمتك وأتم نساء قريش، فكيف أرضاه لنفسي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فبادرت بصريح إيمانها فقالت: أمري بيدك يا رسول الله، فزوّجها به[١].

ومن أقوالهم:

قال ابن الجوزي بعد ذكر القولين: والأول عند المفسرين أصح[٢].

القول الثاني: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأخوها[٣].

وممن قال به: ابن زيد[٤].

واستدلوا بقول ابن زيد: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد بن حارثة، فكرهت وكره أخوها.

حاصل الدراسة:

قصة زينب بنت جحش وزواجها من زيد بن حارثة، أشهر. وأخرجها الطبري والطبراني والبيهقي. وهو ما رجحه الجمهور من المفسرين. وتكرار الآية وتعدد سبب نزولها أمر محتمل.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن سبب نزول الآية قصة زينب بنت جحش، وهو ترجيح الرسعني.
القاعدة: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[١].

---

(١) قال الألباني عن رواية الجمهور: رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسنادين: أحدهما: مظلم فيه سلسة من الضعفاء من أسرة العوفي. والثاني: فيه لهيعة. ورواه الدارقطني عن زينب نفسها بإسناد فيه حفص بن سليمان الأسدي، وهو متروك. وقال عن رواية ابن زيد بأنه مقطوع، رواه ابن جرير بإسناده إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم موقوفاً عليه

(٢) زاد المسير ٤٦٥/٣.

(٣) الكشف والبيان٤٦/٨، والنكت والعيون ٤٠٤/٤، والكشاف٥٤٨/٣، وزاد المسير ٤٦٥/٣، والجامع لأحكام القرآن١٨٧/١٤، والتسهيل ١٣٨/٣.

(٤) المحرر الوجيز٣٨٦/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٧/١١.

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٤٨/١، وأحكام القرآن لابن العربي ١٤٣/١، والمحرر الوجيز ٤٩٨/٢، والجامع لأحكام القرآن١٢١/٥، وفتح القدير ١٦/٤، وأضواء البيان ٢٣٠/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٤١/١.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [١]

٢٠٢- مسألة: ما هي القراءات في "الغيوب"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ضم الغين [٢].

القول الثاني: كسر الغين [٣].

القول الثالث: فتح الغين [٤].

قال الرسعني:

وقرئ: "الغيوب" بالحركات الثلاث على الغيب، وقد ذكرنا هذا الأصل في سورة البقرة، وأن الضم **هو الأجود**، والكسر لا بأس به من أجل الياء، فإن الكسر أشد موافقة للياء من الضمة. وأما فتح الغين فشاذّ، وهو الأمر الذي خفي وغاب جداً [٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ضم الغين [٦].

وممن قرأ بالضم: الباقون الذين لم يقرءوا بكسر العين [٧].

---

(١) سورة سبأ آية: ٤٨.

(٢) الكشاف٣/٦٠٠، والتيسير ١/١٠١، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٣١٣، والبحر المحيط ٧/٢٧٨، والدر المصون٩/٢٠٢، والنشر ٢/١٧٤، وإتحاف فضلاء البشر ١/٢٠٠، وفتح القدير٤/٣٣٤.

(٣) الكشاف٣/٦٠٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣١٣، والدر المصون٩/٢٠٢، وإرشاد العقل السليم ٧/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٣٤.

(٤) الكشاف٣/٦٠٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣١٣، والدر المصون٩/٢٠٢، وإرشاد العقل السليم ٧/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٣٤، وروح المعاني١٥٦.

(٥) رموز الكنوز ٦/٢٥٨.

(٦) الكشاف٣/٦٠٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣١٣، والدر المصون٩/٢٠٢، وفتح القدير٤/٣٣٤.

(٧) التيسير ١/١٠١، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٣١٣، والبحر المحيط ٧/٢٧٨، والنشر ٢/١٧٤، وإتحاف فضلاء البشر ١/٢٠٠.

القول الثاني: كسر الغين[١].

وممن قرأ به: حمزة وأبي بكر حيث وقع، ووافقهما ابن محيصن بخلفه والأعمش، وروي عن عاصم، وابن ذكوان، والكسائي [٢].

القول الثالث: فتح الغين[٣].

ولم أقف على نسبة الفتح.

حاصل الدراسة:

قرئ الغيوب بالحركات الثلاث في الغين، فأما الضم فجمع غيب وهي قراءة العامة. فالغيوب كالبيوت، والغيب هو الأمر الذي غاب وخفي جداً. وأما الفتح فصيغة مبالغة كالشكور والصبور.

وأمّا الكسر فكذلك استثقلوا ضمتين والواو فكسر، والتناسب الكسر مع الياء والضمة التي على الياء مع الواو[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: القراءة بالضم هي قراءة العامة وهي الأجود. والقراءة بالفتح لم تثبت عن القراء .

القاعدة: معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة[٥].

---

(١) الكشاف٣/٦٠٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣١٣، والدر المصون٩/٢٠٢، وإرشاد العقل السليم ٧/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٣٤.

(٢) التيسير ١/١٠١، والمحرر الوجيز٤/٤٢٥، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٣١٣، والبحر المحيط ٧/٢٧٨، والنشر ٢/١٧٤، وإتحاف فضلاء البشر ١/٢٠٠، وروح المعاني١٥٦.

(٣) الكشاف٣/٦٠٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣١٣، والدر المصون٩/٢٠٢، وإرشاد العقل السليم ٧/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٣٤، وروح المعاني١٥٦.

(٤) البحر المحيط ٧/٢٧٨، والدر المصون٩/٢٠٢، وفتح القدير٤/٣٣٤.

(٥) جامع البيان ١٣/٥٨٧، والمحرر الوجيز ٢/٢٣٠، وأضواء البيان ٤/٤٢٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٠٤.

قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [١]

٢٠٣- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: في خلق الأجنحة[٢].

القول الثاني: يزيد في الأجنحة ما يشاء[٣].

القول الثالث: هو الصوت الحسن[٤].

القول الرابع: الملاحة في العينين[٥].

القول الخامس: تجعد الشعر وحسنه[٦].

القول السادس: الخط الحسن[٧].

القول السابع: الآية مطلقة في كل ما سبق[٨].

---

(١) سورة فاطر آية: ١.

(٢) زاد المسير ٥٠٥/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٠٤/١١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٦٦/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢٦١/٤، وتفسير ابن أبي زمنين٢٣/٤، والنكت والعيون٤٦٢/٤، والبسيط ٤٠٠/١٨، وزاد المسير ٥٠٥/٣، والجامع لأحكام القرآن٣٢٠/١٤.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٣١٧٠/١٠، والكشف والبيان٩٨/٨، والنكت والعيون٤٦٢/٤، والبسيط ٤٠٠/١٨، ومعالم التنزيل٦١٥/٣، والمحرر الوجيز٤٢٩/٤، وزاد المسير ٥٠٥/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٠٤/١١.

(٥) الكشف والبيان٩٨/٨، والبسيط ٤٠٠/١٨، ومعالم التنزيل٦١٥/٣، والمحرر الوجيز٤٢٩/٤، وزاد المسير ٥٠٥/٣.

(٦) النكت والعيون٤٦٢/٤، والجامع لأحكام القرآن٣٢٠/١٤.

(٧) المحرر الوجيز٤٢٩/٤، والجامع لأحكام القرآن٣٢٠/١٤.

(٨) الكشاف٦٠٦/٣، والمحرر الوجيز٤٢٩/٤، ومفاتيح الغيب ٤/٢٦، والبحر المحيط٢٨٦/٧، وإرشاد العقل السليم١٤٢/٧، وفتح القدير٣٣٨/٤.

قال الرسعني:

﴿ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ ﴾ أي: في خلق الأجنحة وغيرها ما تقتضيه مشيئته وحكمته. والأصل: الجناحان؛ لأنهما بمنزلة اليدين.

قال ابن عباسﷺ: رأى رسول الله ﷺ ليلة المعراج جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح[١]. وهذا المعنى قول عامة المفسرين واختيار الفراء، والزجاج[٢].

وقال الزهري وابن جريج: هو الصوت الحسن[٣].

وقال قتادة: الملاحة في العينين[٤].

وقيل: تجعد الشعر وحسنه[٥].

وقيل: الخط الحسن[٦].

والصحيح: أن الآية مطلقة تشمل كل زيادة في الخلق: من صباحة في الوجه، وملاحة في العين، وفصاحة في اللسان، وسماحة في النفس، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، على غير ذلك من أنواع الزيادة مما لا يعلمه إلا الله تعالى[٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى جِبرِيل عليه السلام، له سِتّمائة جناح. أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب ذكر سدرة المنهى، ح(١٧٤).

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٦٦/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢٦١/٤.

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى ٢٣١/١٠، والشعب ١٣٥/١ ح١١٥، وابن أبي حاتم٣١٧٠/١٠، والنكت والعيون ٤٦٢/٤، والوسيط ٥٠٠/٣، ومعالم التنزيل٦١٥/٣، والكشف والبيان٩٨/٨، وزاد المسير٥٠٥/٣،

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب ١٣٥/١ ح١١٦، والوسيط ٥٠٠/٣، وزاد المسير٥٠٥/٣، ومعالم التنزيل٦١٥/٣، والكشف والبيان٩٨/٨.

(٥) النكت والعيون ٤٦٢/٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٠/١٤.

(٧) رموز الكنوز ٢٦٩/٦.

القول الأول: في خلق الأجنحة للملائكة.

وممن قال به: ابن عباسﷺ، والسدي[١].

القول الثاني: يزيد في الأجنحة ما يشاء.

وممن قال به: الحسن، ومقاتل، والفراء، والزجاج، وابن أبي زمنين[٢].

القول الثالث: هو الصوت الحسن.

وممن قال به: ابن جريج، والزهري[٣].

ومن أقوالهم:

قال الهيثم الفارسي: رأيت النبي ﷺ في منامي فقال: " أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك جزاك الله خيرًا" [٤].

القول الرابع: الملاحة في العينين.

وممن قال به: قتادة[٥].

ومن أقوالهم:

قال قتادة : يزيد في الخلق ما يشاء: الملاحة في العينين، والحسن في الأنف، والحلاوة في الفم[٦].

---

(١) زاد المسير ٥٠٥/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٠٤/١١.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٦٦/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢٦١/٤، وتفسير ابن أبي زمنين٢٣/٤، والنكت والعيون٤٦٢/٤، والبسيط ٤٠٠/١٨، وزاد المسير ٥٠٥/٣، والجامع لأحكام القرآن٣٢٠/١٤.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٣١٧٠/١٠، والكشف والبيان٩٨/٨، والنكت والعيون٤٦٢/٤، والبسيط ٤٠٠/١٨، ومعالم التنزيل٦١٥/٣، والمحرر الوجيز٤٢٩/٤، وزاد المسير ٥٠٥/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٠٤/١١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن٣٢٠/١٤.

(٥) الكشف والبيان٩٨/٨، والبسيط ٤٠٠/١٨، ومعالم التنزيل٦١٥/٣ ، والمحرر الوجيز٤٢٩/٤، وزاد المسير ٥٠٥/٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن٣٢٠/١٤.

القول الخامس: تجعد الشعر وحسنه.

وممن قال به: حكاه النقاش[١].

القول السادس: الخط الحسن[٢].

ومن أقوالهم:

قال مهاجر الكلاعي[٣] قال النبيﷺ: "الخط الحسن يزيد الكلام وضوحاً"[٤].

القول السابع: الآية مطلقة في كل ما سبق.

وممن قال به: الزمخشري، وابن عطية، والرازي، وأبو حيان، وابن جزي الكلبي، وأبو السعود، والشوكاني[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزمخشري: والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق: من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء؛ وقوة في البطش؛ وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجراءة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم، وحسن تأنّ في مزاولة الأمور؛ وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف[٦].

ب- قال ابن عطية: وقيل غير هذا، وهذه الإشارة إنما ذكرها من ذكرها على جهة المثال لا أن المقصود هي فقط، وإنما مثل بأشياء هي زيادات خارجة عن الغالب الموجود كثيرا[٧].

---

(١) النكت والعيون٤/٤٦٢، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢٠.

(٢) المحرر الوجيز٤/٤٢٩، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢٠.

(٣) قال ابن حجر: تابعي، وحديثه عن النبي ﷺ مرسل. انظر: الإصابة٦/٣٨٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢٠.

(٥) الكشاف٣/٦٠٦، والمحرر الوجيز٤/٤٢٩، ومفاتيح الغيب ٤/٢٦، والبحر المحيط٧/٢٨٦، وإرشاد العقل السليم٧/١٤٢، وفتح القدير٤/٣٣٨.

(٦) الكشاف٣/٦٠٦.

(٧) المحرر الوجيز٤/٤٢٩.

ج- قال الرازي: والأولى أن يعمم، ويقال الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشاء فيزيد ما يشاء وينقص ما يشاء[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- الوجه الحسن، والصوت الحسن والشعر الحسن. روي عن ابن عباس، وأبو هريرةﷺ مرفوعاً، وذكره القشيري[٢].

٢- الخلق الحسن، روي عن الحسن[٣].

٣- العقل والتمييز[٤].

٤- وقيل: العلوم والصنائع[٥].

حاصل الدراسة:

المراد بالخلق: المخلوقات كُلّها، أي يزيد الله في بعضها ما ليس في خَلق آخر. فيشمل زيادة قوة بعض الملائكة على بعض، وكل زيادة في شيء بين المخلوقات من المحاسن والفضائل من حصافة عقل وجمال صورة وشجاعة وذلقة لسان ولياقة كلام.

ويجوز أن تكون جملة ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ ﴾ صفة ثانية للملائكة، وعليه فالمراد بالخلق ما خُلق عليه الملائكة من أن لبعضهم أجنحة زائدة على من لبعض آخر.

وهذه الأقوال على سبيل التمثيل لا الحصر. والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق، وقد شرحوا هذه الزيادة بالأشياء المستحسنة، وما يشاء عام لا يخص مستحسناً دون غيره.

وما روى عن النبيﷺ من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن، فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر

---

(١) مفاتيح الغيب ٤/٢٦.

(٢) البسيط ٤٠٠/١٨، والجامع لأحكام القرآن٣٢٠/١٤.

(٣) البسيط ٥٠٥/١٨.

(٤) النكت والعيون٤٦٢/٤، ومعالم التنزيل ٦١٥/٣، والجامع لأحكام القرآن٣٢٠/١٤.

(٥) النكت والعيون٤٦٢/٤، والجامع لأحكام القرآن٣٢٠/١٤.

فيها[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق، فهي على العموم، فالله تعالى قادر كامل، يفعل ما يشاء فيزيد ما يشاء وينقص ما يشاء، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٢].

(١) مفاتيح الغيب ٤/٢٦، والبحر المحيط٢٨٦/٧، وإرشاد العقل السليم١٤٢/٧، والتحرير والتنوير٢٥١/٢٢.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٠/١، والمحرر الوجيز ٩٤/١، والتسهيل ٩/١، وروح المعاني ١٥٤/٢٨، وأضواء البيان ٣٠٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾ [١]

٢٠٤- مسألة: لمن الخطاب في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: خطابٌ لجميع الناس لانغمارهم في نِعَم الله تعالى[٢].

القول الثاني: خطاب لأهل مكة[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي: اشكروها بمعرفة حقها وطاعة موليها.

والظاهر: أنه خطابٌ لجميع الناس لانغمارهم في نِعَم الله تعالى.

وقال ابن عباسﷺ وغيره: يريد: يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه وأمنكم، ومنعكم من الغارات والناس يتخطفون من حولكم[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: خطابٌ لجميع الناس لانغمارهم في نِعَم الله تعالى.

وممن قال به:

الزمخشري، الشوكاني[٥].

ومن أقوالهم:

---

(١) سورة فاطر آية: ٣.

(٢) الكشاف ٦٠٧/٣، وفتح القدير ٣٣٨/٤.

(٣) جامع البيان٣٢٩/١٩، والبسيط ٤٠١/١٨، وزاد المسير ٥٠٦/٣.

(٤) رموز الكنوز ٢٧٠/٦.

(٥) الكشاف ٦٠٧/٣، وفتح القدير ٣٣٨/٤.

قال الزمخشري: الخطاب عام للجميع لأنّ جميعهم مغمورين في نعمة الله[١].

القول الثاني: خطاب لأهل مكة[٢].

وممن قال به:

١- ابن عباس رضي الله عنه.

٢- الطبري، والواحدي، وابن الجوزي[٣].

ومن أقوالهم:

قال الطبري: يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله ﷺ من قريش ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[٤].

حاصل الدراسة:

الخطاب وإن كان لقريش فهو متجه لكل كافر، ولا سيما لعباد غير الله وذكرهم تعالى بنعمة الله عليهم في خلقهم وإيجادهم، فهو عام للجميع لأنّ جميعهم مغمورون في نعمة الله. فالآية للعموم ما لم يرد دليل للتخصيص[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الخطاب عام للجميع، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٦].

---

(١) الكشاف ٦٠٧/٣.

(٢) الكشاف ٦٠٧/٣.

(٣) جامع البيان٣٢٩/١٩، والبسيط ٤٠١/١٨، وزاد المسير ٥٠٦/٣.

(٤) جامع البيان ٣٢٩/١٩.

(٥) المحرر الوجيز٤٢٩/٤، والكشاف ٦٠٧/٣، وروح المعاني١٦٥/٢٢.

(٦) الرسالة للشافعي ص٢٠٧،٣٤١، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٠/١، والمحرر الوجيز ٩٤/١، والتسهيل ٩/١، وروح المعاني ١٥٤/٢٨، وأضواء البيان ٣٠٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١)

٢٠٥- مسألة: ما المقصود بالظالم لنفسه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المنافقون(٢).

القول الثاني: أصحاب المشأمة(٣).

القول الثالث: الجاحد(٤).

القول الرابع: الذي مات على كبيره ولم يتب(٥).

القول الخامس:الذي ترجحت سيئاته على حسناته(٦).

قال الرسعني:

---

(١) سورة فاطر آية: ٣٢.

(٢) جامع البيان ٣٧٢/١٩، وبحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والنكت والعيون٤/٤٧٣، ومعالم التنزيل ٦٢٥/٣، وزاد المسير٣/٥١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١١/٣٢٣، واللباب في علوم الكتاب١٦/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٤٩.

(٣) جامع البيان ٣٧٢/١٩، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٨٢/١٠، وتفسير مجاهد ص٥٣٢، وبحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والنكت والعيون ٤٧٣/٤، ومعالم التنزيل ٦٢٥/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١١/٣٢٣، واللباب في علوم الكتاب١٦/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٤٩.

(٤) بحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والنكت والعيون ٤٧٣/٤، واللباب في علوم الكتاب١٦/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٤٩.

(٥) بحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والبسيط ٤٢٣/١٨، وزاد المسير٣/٥١٢، واللباب في علوم الكتاب١٦/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٤٩.

(٦) بحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والوسيط ٥٠٥/٣، ومعالم التنزيل ٦٢٥/٣، وزاد المسير٣/٥١٢، واللباب في علوم الكتاب١٦/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٤٩.

قال تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ قال الضحاك: هم المنافقون.

وقال السدي: أصحاب المشأمة.

وقال مجاهد: الجاحد.

فيكون المراد بالاصطفاء على هذه الأقوال: تكريمهم وتشريفهم بإنزال الكتاب عليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [1] وإن أبوا ذلك ولم يقبلوه.

وقال ابن عباسﷺ في رواية عطاء:" فمنهم ظالم لنفسه": وهو الذي مات على كبيرة لم يتب منها.

وقال الحسن:"الظالم لنفسه": الذي ترجَّحَت سيئاته على حسناته، و"المقتصد": الذي استوت حسناته وسيئاته، و"السابق": من ترجحت حسناته على سيئاته. **وهذا القول أشهر الأقوال في التفسير، وأشبه بالأحاديث والآثار.**

قال عمر بن الخطاب ﷺ : سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له. ورواه أيضاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

وقال عثمان بن عفان ﷺ: سابقنا أهل جهادنا، ومقتصدنا أهل حضرنا، وظالمنا أهل بدونا.

وقال أسامة بن زيدﷺ: قال رسول الله ﷺ : "كلهم من هذه الأمة".

وقال عقبة بن صبهان: سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت: كلهم من أهل الجنة، السابق مضى على عهد رسول الله ﷺ فشهد له بالجنة والرزق، والمقتصد من اتبع أثره حتى لحق به، والظالم لنفسه مثلي ومثلك ومن اتبعنا.

فرضي الله عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق، كانت تعلم بشهادة الله تعالى لها في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [2] أنها

---

(1) سورة الزخرف آية: ٤٤.

(2) سورة النور آية: ٢٦.

من أهل الجنة، ولكن المؤمن يهضم نفسه، ونظيره قول أبيها: "وُلِّيتُكم ولستُ بخيركم".

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال في هذه الآية:" هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة"[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: المنافقون.

وممن قال به:

١- الضحاك، والحسن، وقتادة، وزيد بن أسلم[٢].

القول الثاني: أصحاب المشأمة.

وممن قال به: السدي، ومجاهد، وقتادة، والحسن[٣].

القول الثالث: الجاحد.

وممن قال به: مجاهد[٤].

القول الرابع: الذي مات على كبيره ولم يتب.

وممن قال به: ابن عباس رضي الله عنهما[١].

---

(١) أخرجه الترمذي باب ومن سورة الملائكة، ح(٣٢٢). وقال: " هذا حديث غريب لا نعرفة إلا من هذا الوجه".

رموز الكنوز ٦/٢٩٢-٢٩٤.

(٢) جامع البيان ١٩/٣٧٢، وبحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والنكت والعيون٤/٤٧٣، ومعالم التنزيل ٣/٦٢٥، وزاد المسير٣/٥١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١١/٣٢٣، واللباب في علوم الكتاب١٦/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٤٩.

(٣) جامع البيان ١٩/٣٧٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣١٨٢، وتفسير مجاهد ص٥٣٢، وبحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والنكت والعيون ٤/٤٧٣، ومعالم التنزيل ٣/٦٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١١/٣٢٣، واللباب في علوم الكتاب١٦/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٤٩.

(٤) بحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والنكت والعيون ٤/٤٧٣، واللباب في علوم الكتاب١٦/١٣٩، وفتح القدير٤/٣٤٩.

القول الخامس: الذي ترجحت سيئاته على حسناته.

وممن قال به: الحسن[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- يعني أصحاب الكبائر من أهل التوحيد عن مقاتل[٣].

٢- أنه صاحب الصغائر. رواية عمر بن الخطاب، وأبو سعيد الخدري[٤].

٣- أنه الكافر. رواه عمرو بن دينار عن ابن عباسﷺ، وعكرمة، والكلبي[٥].

حاصل الدراسة:

تعددت أقوال المفسرين في المراد بالظالم لنفسه فقالوا: أنهم أهل الصغائر من هذه الأمة، وقالوا: أنهم أهل الكبائر وأصحاب المشأمة، وقالوا: أنهم المنافقون. وقالوا: أنهم أهل الكتاب، وقالوا: أنه الجاحد[٦].

والراجح ما ذكره الطبري والبغوي وابن كثير في معناه: قال الطبري: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً[٧]. فيكون المراد من ترجحت سيئاته على حسناته، فهو من صاحب الصغائر. قال البغوي: والمشهور أن المراد من جميعهم المؤمنون، وعليه عامة أهل العلم[٨]. ولدلال الآية بعدها ﴿ جَنَّتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ . فمعلوم أن هذا

---

(١) بحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والبسيط ٤٢٣/١٨، وزاد المسير٥١٢/٣، واللباب في علوم الكتاب١٣٩/١٦، وفتح القدير٣٤٩/٤.

(٢) بحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، والوسيط ٥٠٥/٣، ومعالم التنزيل ٦٢٥/٣، وزاد المسير٥١٢/٣، واللباب في علوم الكتاب١٣٩/١٦، وفتح القدير٣٤٩/٤.

(٣) تفسير مقاتل ٧٧/٣.

(٤) بحر العلوم٣/١٠٠-١٠١، وزاد المسير ٥١١/٣، واللباب في علوم الكتاب١٣٩/١٦، وفتح القدير٣٤٩/٤.

(٥) معالم التنزيل ٦٢٥/٣، وزاد المسير ٥١٢/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٢٣/١١.

(٦) النكت والعيون٤٧٣/٤.

(٧) جامع البيان ٣٧٢/١٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٢٣/١١.

(٨) معالم التنزيل ٦٢٦/٣.

وعد للمؤمنين. والله أعلم.

المناقشة والترجيح:

الراجح: العموم حيث لا نخصص، فالظالم لنفسه من ترجحت سيئاته على حسناته، وهو من هذه الأمة.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[١].

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1]

٢٠٦- مسألة: ما معنى ﴿ لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مستقر وحَدّ معلوم ينتهي سيرها إليه، وهو يوم القيامة[2].

القول الثاني: مستقرها أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها[3].

القول الثالث: تجري لوقت واحد لا تعدوه[4].

القول الرابع: مستقرها تحت العرش وهو موضع قرارها[5].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا ﴾ أي: إلى مستقر وحَدّ معلوم ينتهي سيرها إليه، وهو يوم القيامة؛ في قول مقاتل[6] وكثير من المفسرين.

وقال ابن السائب: مستقرها أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها[7].

وقال قتادة: تجري لوقت واحد لا تعدوه[8].

والصحيح في تفسيرها: ما أخرج في الصحيحين من حديث أبي ذر ﷺ قال:"

---

(1) سورة يس آية: ٣٨.

(2) تفسير مقاتل٣/٨٦، واللباب في علوم الكتاب١٦/٢١٧، وفتح القدير ٤/٣٦٩.

(3) جامع البيان ١٩/٤٣٥، ومعالم التنزيل ٣/٦٤٠، ولباب التأويل ٦/٨، واللباب في علوم الكتاب١٦/٢١٧، وفتح القدير ٤/٣٦٩.

(4) جامع البيان ١٩/٤٣٥، والنكت والعيون ٥/١٧، والبسيط ١٨/٤٨٣، وزاد المسير ٣/٥٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١١/٣٦٢.

(5) جامع البيان ١٩/٤٣٤، والبسيط ١٨/٤٨٣، والتسهيل ٣/١٦٣، وفتح القدير٤/٣٦٩.

(6) تفسير مقاتل٣/٨٦.

(7) جامع البيان١٩/٤٣٥، والنكت والعيون ٥/١٧.

(8) جامع البيان ١٩/٤٣٥ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣١٩٥.

سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا ﴾ قال: مستقرها تحت العرش"[١] [٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: مستقر وحَدّ معلوم ينتهي سيرها إليه، وهو يوم القيامة.

وممن قال به: مقاتل[٣].

القول الثاني: مستقرها أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها[٤].

وممن قال به: ابن السائب، وابن قتيبة[٥].

القول الثالث: تجري لوقت واحد لا تعدوه.

وممن قال به: قتادة[٦].

القول الرابع: مستقرها تحت العرش وهو موضع قرارها[٧].

وممن قال به:

١- ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب تفسير سورة يس، باب﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ ،ح(٤٨٠٢) ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح(١٥٩).

(٢) رموز الكنوز ٣٣٦/٦.

(٣) تفسير مقاتل٨٦/٣، واللباب في علوم الكتاب٢١٧/١٦، وفتح القدير ٣٦٩/٤.

(٤) جامع البيان ٤٣٥/١٩، ومعالم التنزيل ٦٤٠/٣، ولباب التأويل ٨/٦، واللباب في علوم الكتاب٢١٧/١٦، وفتح القدير ٣٦٩/٤.

(٥) النكت والعيون ١٧/٥، والبسيط٤٨٤/١٨، والمحرر الوجيز٤٥٤/٤، وزاد المسير ٥٢٤/٣، وروح المعاني١١/٢٣.

(٦) جامع البيان ٤٣٥/١٩، والنكت والعيون ١٧/٥، والبسيط ٤٨٣/١٨، وزاد المسير ٥٢٤/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٦٢/١١.

(٧) معالم التنزيل ٦٤٠/٣، زاد المسير ٥٢٤/٣.

٢- الطبري، والواحدي، وابن جزي الكلبي، والشوكاني[١].

واستدلوا بما يلي :

١- حديث أبي ذر ﷺ في الصحيحين قال:" سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ قال: مستقرها تحت العرش".

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جزي الكلبي: في الحديث مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها، وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبيﷺ في الحديث الصحيح[٢].

ب- قال الشوكاني: مستقرها تحت العرش؛ لأنها تذهب إلى هنالك فتسجد فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها. وهذا هو الراجح[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أن مستقرها مغربها لا تُجاوزه ولا تقصُر عنه. قاله مجاهد[٤].

٢- أن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم على غايته، وهذا هو مستقرها الزماني. حكاه ابن عيسى[٥].

٣- مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء[٦]

---

(١) جامع البيان ٤٣٤/١٩، والبسيط ٤٨٣/١٨، والتسهيل ١٦٣/٣، وفتح القدير٣٦٩/٤.

(٢) التسهيل ١٦٣/٣.

(٣) فتح القدير٣٦٩/٤.

(٤) زاد المسير ٥٢٤/٣.

(٥) عن أبي إسحاق في معاني القرآن للزجاج ٢٨٧/٤، والنكت والعيون ١٧/٥، ومعالم التنزيل ٦٤٠/٣، والكشاف ١٩/٤، ولباب التأويل ٨/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٦٢/١١.

(٦) معالم التنزيل ٦٤٠/٣، ولباب التأويل ٨/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٦٢/١١، واللباب في علوم الكتاب٢١٧/١٦، وفتح القدير ٣٦٩/٤.

حاصل الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد، قال الشيخ محيي الدين النووي: قال جماعة بظاهر الحديث. فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع. وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح.

وقالت فرقة مستقرها هو في يوم القيامة حين تكون فهي تجري لذلك المستقر، وقالت فرقة: مستقرها كناية عن غيوبها؛ لأنها تجري كل وقت إلى حد محدود تغرب فيه. وقيل: مستقرها آخر مطالعها في المنقلبين؛ لأنهما نهاية مطالعها فإذا استقر وصولها كرت راجعة، وإلا فهي لا تستقر عن حركتها طرفة عين. وقالت فرقة مستقرها وقوفها عند الزوال في كل يوم ودليل استقرارها وقوف ظلال الأشياء[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: مستقرها هو موضع قراراها تحت العرش. وهو ترجيح الرسعني، وتشهد له السنة.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[٢].

---

(١) الكشاف ١٩/٤، والمحرر الوجيز٤/٤٥٤.

(٢) جامع البيان٤٤٩/١٦، وأحكام القرآن لابن العربي ١١٣/٣، والمحرر الوجيز ٢٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٢/٢٠، ومجموع الفتاوى ٢٧/١٣، والبحر المحيط ١٢٨/١، والتسهيل ٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٥٦/٢، وفتح القدير ١٢/١، وروح المعاني ٩٦/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٩١/١.

قال تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [١]

٢٠٧- مسألة: ما هي القراءات في "يخصمون"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "يَخَصِّمُون" بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد[٢].

القول الثاني: اختلاس فتحة الخاء[٣].

القول الثالث: "يَخْصِّمون" بفتح الياء وسكون الخاء وتشديد الصاد[٤].

القول الرابع: "يَخْصمون"بفتح الياء وسكون الخاء وتخفيف الصاد[٥].

القول الخامس: "يَخِصِّمون"بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد[٦].

القول السادس: "يِخِصِّمون" بكسر الياء والخاء[١].

---

(١) سورة يس آية: ٤٩.

(٢) جامع البيان ٤٥٣/١٩، والسبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢/٢٧٠ ، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٣) السبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والنشر٢/٢٧٠ ، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٤) جامع البيان ٤٥٢/١٩، والسبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والبسيط ٤٩٦/١٨، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢/٢٧٠ ، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٥) جامع البيان ٤٥٣/١٩، والسبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والبسيط ٤٩٦/١٨، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢/٢٧٠ ، إرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٦) جامع البيان ٤٥٣/١٩، والسبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢/٢٧٠، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

قال الرسعني:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام:"يَخَصِّمُون" بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد. وروى شجاع عن أبي عمرو اختلاس فتحة الخاء. وقرأ قالون بفتح الياء وسكون الخاء وتشديد الصاد، ومثله حمزة غير أنه خفف. وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد.

وجه القراءة الأولى- **وهي أجود القراءات** - : أن الأصل: يختصمون، فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها، تنتقل بالإدغام إلى حرف هو أقوى منها، وألقيت حركة التاء على الخاء.

ووجه ما رواه شجاع من الاختلاس: أن الأصل إسكان الخاء، غير أنها حُرّكت لئلا يلتقي ساكنان، والاختلاس كافٍ في ذلك مع ما فيه من مراعاة الأصل الذي هو السكون.

ووجه الثالثة **وهي أردؤها**: لما فيه من اجتماع الساكنين مراعاة الأصل، فإنها كانت ساكنة قبل الإدغام.

ووجه الرابعة- وهي قراءة حمزة-: أنه فعل مستقبل من خَصَمَ يخصِم، على معنى: يخصِمُ بعضهم بعضاً، أو يخصِمُون مُجادِلَهم، أي: يغلبونه، وحذفُ المفعول كثير في التنزيل.

ووجه القراءة الخامسة: أنه اجتمع ساكنان بعد الإدغام كسرت الخاء ولم ينقل إليها حركة التاء.

وقرأت لعاصم من بعض طرقه:"يخصِّمون" بكسر الياء والخاء، وكسرت الخاء لالتقاء الساكنين والياء للإتباع[٢].

---

(١) السبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢٧٠/٢، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٢) رموز الكنوز ٣٤٥/٦-٣٤٦.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "يَخَصِّمُون" بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد[١].

وممن قرأ به:

١- ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام، وورش عن نافع.

٢- ابن زنجلة، والواحدي[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن زنجلة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وورش "يخصمون" بفتح الخاء، والأصل يختصمون، وطرحت فتحة التاء على الخاء وأدغمت التاء في الصاد. هذا أحسن الوجوه بدلالة قولهم رد وفر وعض[٣].

ب- قال الواحدي: وفي قوله: ﴿تَخِصِّمُونَ﴾ وجوه من القراءة، أجودها فتح الخاء مع تشديد الصاد[٤].

القول الثاني: اختلاس فتحة الخاء، وتشديد الصاد[٥].

وممن قرأ به: أبو عمرو، وقالون[٦].

القول الثالث: "يَخْصِّمون" بفتح الياء وسكون الخاء وتشديد الصاد[١].

---

(١) جامع البيان ٤٥٣/١٩، والسبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢٧٠/٢ ، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٠٠، والبسيط ٤٩٦/١٨.

(٣) حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٠٠.

(٤) البسيط ٤٩٦/١٨،

(٥) السبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والنشر٢٧٠/٢ ، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣

(٦) السبعة لابن مجاهد ص٥٤١، والتيسير ص١٨٤، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤.

وممن قرأ به: قالون، وأبي عمرو، ونافع، وأبو جعفر.

القول الرابع: "يَخْصمون"بفتح الياء وسكون الخاء وتخفيف الصاد[٢].

وممن قرأ به:

١- حمزة، ويحيى ابن وثاب، والأعمش.

٢- وروي عن أبي عمرو وقالون[٣].

القول الخامس: "يَخِصِّمون"بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد[٤].

وممن قرأ به:

١- عاصم، وابن ذكوان، والكسائي، وابن عامر، وهذه رواية خلف وغيره عن يحيى بن آدم عن أبي بكر.

٢- الفراء[٥].

ومن أقوالهم:

قال الفراء: والكسر أكثر وأجود[٦].

القول السادس: "يِخِصِّمون" بكسر الياء والخاء[١].

---

(١) جامع البيان ٤٥٢/١٩، والسبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والبسيط ٤٩٦/١٨، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢٧٠/٢ ، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٢) جامع البيان ٤٥٣/١٩، والسبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والبسيط ٤٩٦/١٨، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢٧٠/٢ ، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٣) التيسير ص١٨٤، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤.

(٤) جامع البيان ٤٥٣/١٩، والسبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢٧٠/٢، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣٧٩/٢.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣٧٩/٢.

وممن قرأ به: عاصم.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قرأ أُبي"يَخْتَصِمُون" على الأصل[٢].

حاصل الدراسة:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والأعرج وشبل وابن القسطنطين المكي يخصمون بفتح الياء والخاء وشد الصاد المكسورة، وأصلها يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت التاء الساكنة في الصاد. وقرأ نافع وأبو عمرو أيضا يَخْصِّمون بفتح الياء وسكون الخاء وشد الصاد المكسورة، وفي هذه القراءة جمع بين الساكنين ولكنه جمع ليس بجمع محض، ووجهها أبو علي، وأصلها يختصمون حذفت حركة التاء دون نقل ثم أدغمت في الصاد.

وقرأ عاصم والكسائي وابن عامر ونافع أيضاً والحسن وأبو عمرو بخلاف عنه يَخِصِّمون بفتح الياء وكسر الخاء وشد الصاد المكسورة، أصلها يختصمون عللت كالتي قبلها ثم كسرت للالتقاء.

وقرأت فرقة يِخِصِّمون بكسر الياء والخاء وشد الصاد المكسورة عللت كالتي قبلها ثم أتبعت كسرة الخاء كسرة الياء. وفي مصحف أبي بن كعب يختصمون. ومعنى هذه القراءات كلها أنهم يتحاورون ويتراجعون الأقوال بينهم ويتدافعون في شؤونهم. وقرأ حمزة يخصمون وهذه تحتمل معنيين أحدهما المذكور في القراءات، أي يخصم بعضهم بعضاً في شؤونهم. والمعنى الثاني يخصمون أهل الحق في زعمهم وظنهم كأنه قال تأخذهم الصيحة وهم يظنون بأنفسهم أنهم قد خصموا وغللوا؛ لأنك تقول خاصمت فلاناً فخصمته إذا غلبته[٣].

---

(١) السبعة ص٥٤١، والحجة لابن خالوية ص٢٩٨، والتيسير ص١٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥، والبحر المحيط ٣٢٥/٧، والدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤، والنشر٢٧٠/٢، وإرشاد العقل السليم ١٧١/٧، وفتح القدير٣٧٣/٤، وروح المعاني٣١/٢٣.

(٢) الدر المصون ٢٧٣/٩-٢٧٤.

(٣) المحرر الوجيز٤٥٧/٤.

ورجح النحاس القراءة الأولى بأنها أبينها. وانتقد الفراء على ترجيحه، قال: وزعم الفراء أن هذه القراءة أجود وأكثر، فترك ما هو أولى من إلقاء حركة التاء على الخاء، واجتلب لها حركة أخرى وجمع بين ياء وكسرة وزعم أنه أجود وأكثر وكيف يكون أكثر وبالفتح قراءة الخلق من أهل مكة وأهل البصرة وأهل المدينة[١].

والصحيح ما رجحه الطبري قال: والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه قراءات مشهورات معروفات في قرأة الأمصار، متقاربات المعاني، فبأيَّتهن قرأ القارئُ فمصيبٌ[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن كل القراءات متواترة مشهورة، عن القراء السبعة.

القاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٥.

(٢) جامع البيان ٤٥٣/١٩.

(٣) مجموع الفتاوى٣٩١/١٣، والنشر ١٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٨٩/١.

قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ ﴾ [١]

٢٠٨- مسألة: ما معنى "والصافات صفا"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يريد جماعة المؤمنين إذا صفوا في الصلاة أو القتال في سبيل الله تعالى[٢].

القول الثاني: الطير[٣].

القول الثالث: أنها الملائكة[٤].

قال الرسعني:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾ قيل: يريد جماعة المؤمنين إذا صفوا في الصلاة أو القتال في سبيل الله تعالى.

وقيل: الطير، من قوله تعالى: ﴿ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ ﴾[٥].

والصحيح: أنهم الملائكة. وهو قول ابن عباس، وابن مسعودﷺ، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وعامة المفسرين[٦].

---

(١) سورة الصافات آية: ١.

(٢) النكت والعيون ٣٦/٥، والمحرر الوجيز ٤٦٥/٤، ومفاتيح الغيب ١٠٠/٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٦١/١٥، والبحر المحيط ٣٣٧/٧، وفتح القدير ٣٨٦/٤.

(٣) الكشف والبيان١٣٨/٨، ومعالم التنزيل ٦٥٣/٣، ولباب التأويل ١٨/٦، والبحر المحيط ٣٣٧/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٧٣/١٦.

(٤) النكت والعيون ٣٦/٥، والمحرر الوجيز ٤٦٥/٤، ومفاتيح الغيب ١٠٠/٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٦١/١٥، ولباب التأويل ١٨/٦، والبحر المحيط ٣٣٧/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٧٣/١٦، وفتح القدير ٣٨٦/٤.

(٥) سورة النور آية: ٤١.

(٦) أخرجه الحاكم ٤٦٦/٢ ح(٣٦٠٧)، والطبراني في الكبير ٢١٤/٩ ح(٩٠٤١)، والطبري٤٩٢/١٩-٤٩٣،

أقسم الله تعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة، أو أجنحتها في الهواء واقفة ترتقب أمر الله عز وجل.

قال ابن عباسﷺ: يريد: الملائكة صفوفاً صفوفاً، لا يعرف كل مَلَك منهم مَنْ إلى جانبه، لم يلتفت منذ خلقه الله تعالى عز وجل[١] [٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: يريد جماعة المؤمنين إذا صفوا في الصلاة أو القتال في سبيل الله تعالى[٣].

وممن قال به: حكاه النقاش، وذكره القشيري[٤].

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [٥].

القول الثاني: الطير.

وممن قال به:

ذكره المفسرون في كتبهم، ولم يرجحه أحد[٦].

واستدلوا بما يلي :

١- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾ [١].

وابن أبي حاتم ٣٢٠٤/١٠.

(١) الوسيط ٥٢١/٣، وزاد المسير ٥٣٥/٣.

(٢) رموز الكنوز ٣٦٨/٦.

(٣) النكت والعيون ٣٦/٥، والمحرر الوجيز ٤٦٥/٤، ومفاتيح الغيب ١٠٠/٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٦١/١٥، والبحر المحيط ٣٣٧/٧، وفتح القدير ٣٨٦/٤.

(٤) النكت والعيون ٣٦/٥، والجامع لأحكام القرآن ٦١/١٥، وفتح القدير ٣٨٦/٤.

(٥) سورة الصف آية: ٤.

(٦) الكشف والبيان١٣٨/٨، ومعالم التنزيل ٦٥٣/٣، ولباب التأويل ١٨/٦، والبحر المحيط ٣٣٧/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٧٣/١٦.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۚ ﴾ [٢].

القول الثالث: أنها الملائكة [٣].

وممن قال به:

١- ابن مسعود، وابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، ومسروق، والسدي، والكلبي، ومقاتل، وهو قول الجمهور[٤].

٢- الزجاج، والطبري، وابن أبي زمنين، وابن عثيمين[٥].

واستدلوا بما يلي :

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ [٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: فأما الصافات فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء[٧].

ب- قال الشنقيطي: جماعات الملائكة، وقد جاء وصف الملائكة بأنهم صافّون،

---

(١) سورة الملك آية: ١٩.

(٢) سورة النور آية: ٤١.

(٣) النكت والعيون ٣٦/٥، والمحرر الوجيز ٤٦٥/٤، ومفاتيح الغيب ١٠٠/٢٦، والجامع لأحكام القرآن ٦١/١٥، ولباب التأويل ١٨/٦، والبحر المحيط ٣٣٧/٧، واللباب في علوم الكتاب٢٧٣/١٦، وفتح القدير ٣٨٦/٤.

(٤) جامع البيان ٤٩٢/١٩-٤٩٣، ومعاني القرآن للنحاس ٧/٦، والكشف والبيان١٣٨/٨، والنكت والعيون ٣٦/٥، والبسيط ٧/١٩، ومعالم التنزيل ٦٥٣/٣، وزاد المسير ٥٣٥/٣.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢٩٧/٤، وجامع البيان ٤٩٢/١٩، وتفسير ابن أبي زمنين ٥٥/٤، وتفسير القرآن الكريم (سورة الصافات) لابن عثيمين ص١٠.

(٦) سورة الصافات آية: ١٦٥.

(٧) جامع البيان ٤٩٢/١٩.

وذلك في قوله تعالى عنهم: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ [١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنهم عبّاد السماء، قاله الضحاك ورواه عن ابن عباسﷺ [٢].

حاصل الدراسة:

وقيل: هي الطير دليله قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾ [٣].

وقيل: الصافات جماعة الناس المؤمنين إذا قاموا صفاً في الصلاة، أو في الجهاد[٤].

وقيل: الملائكة يقفون صفوفاً. إما في السموات لأداء العبادات كما أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ [٥]. وقيل: إنهم يصفون أجنحتهم في الهواء يقفون منتظرين وصول أمر الله إليهم، ويحتمل أيضاً أن يقال معنى كونهم صفوفاً أن لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة، أو في الذات والعلية وتلك الدرجة المرتبة باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف[٦].

واللفظ يحتمل أن يعم هذه المذكورات كلها، وهو قول ابن عطية[٧].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الآية تحتمل العموم، للاستدلال كل منهم، والقول أنها الملائكة قول الجمهور. والله أعلم.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٨].

---

(١) أضواء البيان٦/٣٠١.

(٢) النكت والعيون ٥/٣٦.

(٣) سورة الملك آية: ١٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٦١، وفتح القدير ٤/٣٨٦.

(٥) سورة الصافات آية: ١٦٥.

(٦) النكت والعيون ٥/٣٦، ومفاتيح الغيب ٢٦/١٠٠.

(٧) المحرر الوجيز ٤/٤٦٥.

(٨) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل

٩/١، وروح المعاني ١٥٤/٢٨، وأضواء البيان ٣٠٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ ﴾ [١]

٢٠٩- مسألة: ما المراد "بالزاجرات زجرا"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: آيات القرآن[٢].

القول الثاني: أنها الملائكة[٣].

قال الرسعني:

﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴾ قال الربيع وقتادة: آيات القرآن.

والصحيح: أنها الملائكة، وهو قول الذين تقدم ذكرهم وعامة المفسرين.

يريد: فالزاجرات السحاب، أو فالزاجرات عن المعاصي زجراً[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: آيات القرآن، أو هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح[٥].

وممن قال به: الربيع، وقتادة[٦].

واستدلوا بما يلي: عن قتادة: في قوله: ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴾ . قال: ما زجر الله عنه

---

(١) سورة الصافات آية: ٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤٦٥/٤، والتسهيل ١٦٨/٣، ولباب التأويل ١٨/٦، واللباب في علوم الكتاب٢٧٣/١٦.

(٣) تفسير مجاهد ٥٣٩/٢، وتفسير مقاتل ٩٤/٣، وجامع البيان ٤٩٤/١٩، والنكت والعيون ٣٧/٥، ومعالم التنزيل ٦٥٣/٣، والمحرر الوجيز ٤٦٥/٤، وزاد المسير٥٣٥/٣، والتسهيل ١٦٨/٣، ولباب التأويل ١٨/٦، واللباب في علوم الكتاب٢٧٣/١٦.

(٤) رموز الكنوز ٣٦٩/٦.

(٥) المحرر الوجيز ٤٦٥/٤، والتسهيل ١٦٨/٣، ولباب التأويل ١٨/٦، واللباب في علوم الكتاب٢٧٣/١٦.

(٦) البسيط٩/١٩، وجامع البيان ٤٩٤/١٩، ومعاني القرآن للنحاس ٨/٦، وزاد المسير٥٣٥/٣، ومعالم التنزيل ٦٥٣/٣، وابن أبي حاتم ٣٢٠٤/١٠.

في القرآن[١].

القول الثاني: يعني: الملائكة تزجر السحاب وتسوقه[٢].

وممن قال به:

١- ابن عباس، وابن مسعودﷺ، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وعامة المفسرين[٣].

٢- الطبري، والشوكاني، وابن عثيمين[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: والذي أولى بتأويل الآية عندنا ما قاله مجاهد ومن قال: هم الملائكة؛ لأن الله جل ثناؤه ابتدأ القسم بنوعٍ من الملائكة، وهم الصافُّون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسماً بسائر أصنافهم أشبه[٥].

ب- قال الشوكاني: الفاعلات للزجر من الملائكة إما لأنها تزجر السحاب كما قال السدى، وإما لأنها تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصائح. وقال قتادة: المراد بالزاجرات الزواجر من القرآن وهى كل ما ينهى ويزجر عن القبيح. والأول أولى[٦].

---

(١) أخرجه الطبري١٩/٤٩٤.

(٢) تفسير مجاهد ٢/٥٣٩، وتفسير مقاتل ٣/٩٤، وجامع البيان ١٩/٤٩٤، والنكت والعيون ٥/٣٧، ومعالم التنزيل ٣/٦٥٣، والمحرر الوجيز ٤/٤٦٥، وزاد المسير٣/٥٣٥، والتسهيل ٣/١٦٨، ولباب التأويل ٦/١٨، واللباب في علوم الكتاب١٦/٢٧٣.

(٣) أخرجه الحاكم ٢/٤٦٦ ح(٣٦٠٧)، والطبراني في الكبير ٩/٢١٤ ح(٩٠٤١)، وجامع البيان ١٩/٤٩٣، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٦٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٦.

(٤) جامع البيان ١٩/٤٩٤، وفتح القدير٤/٣٨٦، وتفسير القرآن الكريم (الصافات لابن عثيمين ص١٢.

(٥) جامع البيان ١٩/٤٩٤.

(٦) فتح القدير٤/٣٨٦.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- الأمر والنهي الذي نهى الله تعالى به عباده عن المعاصي، حكاه النقاش[١].

٢- أنها قتل المشركين وسبيهم[٢].

٣- الزاجرون بالمواعظ من بني آدم كالعلماء؛ لأنهم هم الذين يزجرون أهل المعاصى[٣].

حاصل الدراسة:

الزجر في الأصل الدفع عن الشيء بتسلط وصياح. ويستعمل بمعنى: السوق والحث، وبمعنى: المنع والنهي وإن لم يكن صياح. والوصف منزل منزلة اللازم أو مفعوله محذوف أي الفاعلات للزجر أو الزاجرات ما نيط بها زجره من الأجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور، ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي بإلهام الخير وزجر الشياطين عن الوسوسة والإغواء وعن استراق السمع.

وقيل: المراد بالزاجرات آيات القرآن لتضمنها النواهي الشرعية، وقيل: كل ما زجر عن معاصي الله عز وجل[٤].

والمراد بالزاجرات الملائكة عليهم السلام عند الجمهور. واختلف في تسميتها بذلك على قولين: أحدهما: لأنها تزجر السحاب، قاله السدي. الثاني: لأنها تزجر عن المعاصي، قاله ابن عيسى[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: المراد بالزاجرات الملائكة تزجر السحاب وتسوقه. وهو ترجيح الرسعني. وهو أقرب بالآية التي قبله وبعده.

---

(١) النكت والعيون ٣٧/٥.

(٢) النكت والعيون ٣٧/٥.

(٣) التسهيل ١٦٨/٣، وفتح القدير٣٨٦/٤.

(٤) روح المعاني ٦٥/٢٣،

(٥) النكت والعيون ٣٧/٥.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[١].

(١) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [١]

٢١٠- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أهم أشد خلقاً أم من خلقنا من الأمم الماضية قبلهم، وقد أهلكنا أولئك حين كذبوا وكفروا وكانوا أشدّ منهم قوة وأعظم بطشاً[٢].

القول الثاني: أن هؤلاء الكفار خلقوا مما خلق منه الأولون فليسوا بأشد خلقاً منهم، وهذا إخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم في الخلق[٣].

قال الرسعني:

قولهم: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ تسجيلٌ عليهم بالضعف بالنسبة إلى هذه المخلوقات العظام، وتنبيهٌ لهم على عجائب قدرة من أنشاهم من تراب مجبول، ليستدلوا بأحد المقدورين على الآخر.

وقيل: المعنى: أهم أشد خلقاً أم من خلقنا من الأمم الماضية قبلهم، وقد أهلكنا أولئك حين كذبوا وكفروا وكانوا أشدّ منهم قوة وأعظم بطشاً، فما ظن هؤلاء؟

والمفسرون يقولون: نزلت هذه الآية في ركانة بن زيد بن هاشم بن عبد مناف، وأبي الأشدين كلدة.

يقال: لَزِبَ يلزُبُ لُزُوباً؛ إذا لزق.

---

(١) سورة الصافات آية: ١١.

(٢) البسيط١٩/٢٢، وزاد المسير٣/٥٣٧، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٦٨، ولباب التأويل٦/١٩.

(٣) البسيط١٩/٢٤، والوسيط٣/٥٢٢.

قال ابن عباسﷺ: من طين لاصق.

وقال قتادة: لازق.

قال الواحدي: المعنى: أن هؤلاء الكفار خلقوا مما خلق منه الأولون فليسوا بأشد خلقاً منهم، وهذا إخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم في الخلق.

وهذا عندي غير مستقيم؛ لأن الأمم الماضية كانت أحكم بُنية، وأشدّ قوة، وأعظم أجراماً، وقد نطق القرآن بأنهم كانوا أشد منهم قوة، وأعظم أجراماً، وقد نطق القرآن بأنهم كانوا أشد منهم قوة في مواضع، وإنما أراد الله تعالى تقريرهم بضعفهم بالنسبة إلى الذين من قبلهم؛ لتتضاءل أنفسهم عندهم؛ حيث يعظموا شدّة قواهم. ثم بين ضعف الجميع بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أهم أشد خلقاً أم من خلقنا من الأمم الماضية قبلهم، وقد أهلكنا أولئك حين كذبوا وكفروا وكانوا أشدّ منهم قوة وأعظم بطشاً[٢].

وهذا معنى قول ابن عباسﷺ في رواية عطاء، وحكاه ابن عيسى[٣].

القول الثاني: أن هؤلاء الكفار خلقوا مما خلق منه الأولون فليسوا بأشد خلقاً منهم، وهذا إخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم في الخلق.

وممن قال به: ذكره الواحدي[٤].

حاصل الدراسة:

الأمم الماضية كانت أحكم بُنية، وأشدّ قوة، وأعظم أجراماً، وقد نطق القرآن بأنهم

---

(١) رموز الكنوز ٦/٣٧٤-٣٧٥.

(٢) البسيط١٩/٢٢، وزاد المسير٣/٥٣٧، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٦٨، ولباب التأويل٦/١٩.

(٣) النكت والعيون٥/٤٠، والبسيط١٩/٢٢.

(٤) البسيط١٩/٢٤، والوسيط٣/٥٢٢.

كانوا أشد منهم قوة، وأعظم أجراماً، فما الذي يُؤمِّنُ هؤلاء من العذاب.

وقد نطق القرآن بأنهم كانوا أشد منهم قوة في مواضع، وإنما أراد الله تعالى تقريرهم بضعفهم بالنسبة إلى الذين من قبلهم؛ لتتضاءل أنفسهم عندهم؛ حيث يعظموا شدّة قواهم. ثم بين ضعف الجميع بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ وهذا إخبار عن تساوي الأصل في خلقهم وخلق من قبلهم؛ فمن قدر على إهلاك الأقوياء، قدر على إهلاك الضعفاء[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الأمم الماضية، كانوا أشدّ قوة وأعظم بطشاً، وإن كان أصل الخلقة واحد.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٢].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب١٦/٢٨٣، ولباب التأويل٦/١٩.

(٢) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [١]

٢١١- مسألة: ماذا يسألون عنه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عن لا إله إلا الله[٢].

القول الثاني: عما دعوا إليه من بدعة.

القول الثالث: عن ولاية علي بن أبي طالب ﷺ[٣].

القول الرابع: عن جلسائهم.

القول الخامس: محاسبون.

القول السادس: مسئولون﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ على طريق التوبيخ والتقريع لهم[٤].

قال الرسعني:

﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ قال الماوردي: فيه ستة أوجه:

أحدها: عن لا إله إلا الله. وهو قول يحيى بن سلام.

الثاني: عما دعوا إليه من بدعة. رواه أنس بن مالك مرفوعاً[٥].

الثالث: عن ولاية علي بن أبي طالب ﷺ. حكاه أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري.

---

(١) سورة الصافات آية: ٢٤.

(٢) الكشف والبيان ١٤٢/٨، ومعالم التنزيل ٦٥٧/٣، ولباب التأويل ٢٠/٦، وفتح القدير٣٩١/٤.

(٣) روح المعاني ٨٠/٢٣.

(٤) البسيط ٣٦/١٩، وزاد المسير ٥٣٩/٣، وفتح القدير٣٩١/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٠٨/١٠.

الرابع: عن جلسائهم. وهو قول عثمان بن زائدة.

الخامس: محاسبون. وهو قول ابن عباسﷺ [١].

السادس: مسئولون.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ على طريق التوبيخ والتقريع لهم[٢]. انتهى كلام الماوردي.

قلت: وهذا الوجه السادس **هو التفسير الصحيح**[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: عن لا إله إلا الله[٤].

وممن قال به:

١- روي عن ابن عباسﷺ، وهو قول يحيى بن سلام.

٢- ابن أبي زمنين، والألوسي[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن أبي زمنين: إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ عن لا إله إلا الله[٦].

ب- قال الألوسي: وأولى هذه الأقوال أن السؤال عن العقائد والأعمال، ورأس ذلك لا إله إلا الله[٧].

القول الثاني: عما دعوا إليه من بدعة.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٠٨/١٠.

(٢) النكت والعيون٥/٤٤.

(٣) رموز الكنوز ٣٧٩/٦-٣٨٠.

(٤) الكشف والبيان ١٤٢/٨، ومعالم التنزيل ٦٥٧/٣، ولباب التأويل ٢٠/٦، وفتح القدير٣٩١/٤.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين٥٨/٤، وروح المعاني ٨٠/٢٣.

(٦) تفسير ابن أبي زمنين٥٨/٤.

(٧) روح المعاني ٨٠/٢٣.

وممن رواه: أنس بن مالك مرفوعاً.

القول الثالث: عن ولاية علي بن أبي طالب ﷺ[١].

وممن رواه حكاه أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري.

القول الرابع: عن جلسائهم.

وممن قال به: عثمان بن زائدة.

القول الخامس: محاسبون.

وممن قال به: ابن عباسﷺ.

القول السادس: مسئولون ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ توبيخاً[٢].

وممن قال به: ابن عطية، وابن عثيمين[٣].

ومن أقوالهم:

قال ابن عطية: ويحتمل عندي أن يكون المعنى على نحو ما فسره بقوله: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ أي: أنكم مسئولون عن امتناعهم عن التناصر، وهذا على جهة التوبيخ في هذا الفصل خاصة، أعني الامتناع من التناصر[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- سئلوا عن أعمالهم وأقوالهم، وأفعالهم في الدنيا.

وممن روي عنه: ابن عباسﷺ، والقرظي، والكلبي. وذكره ابن جرير[٥].

---

(١) روح المعاني ٨٠/٢٣.

(٢) البسيط ٣٦/١٩، وزاد المسير ٥٣٩/٣، وفتح القدير٣٩١/٤.

(٣) المحرر الوجيز٤٦٩/٤، وتفسير القرآن الكريم (سورة الصافات) ص٦٣.

(٤) المحرر الوجيز٤٦٩/٤.

(٥) جامع البيان ٥٢٣/١٩، والكشف والبيان ١٤٢/٨، والبسيط ٣٥/١٩، ومعالم التنزيل٦٥٧/٣، وزاد المسير

واستدلوا بما يلي:

١- عن ابن مسعودﷺ عن النبي ﷺ قال: لا تزول قدماً ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم"[١].

١- عن خطايهم، قاله الضحاك[٢].

٢- سألهم خزنة جهنم ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [٣]، ونحو هذا قاله مقاتل[٤].

٣- مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله[٥].

٤- قال مقاتل: يقول للكفار ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب[٦].

٥- وقيل عن ظلم العباد[٧].

حاصل الدراسة:

﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ أي: احبسوهم عند الصراط، فالأمر من الله –عز وجل– والخطاب فيما يظهر للملائكة؛ لأن الملائكة هي التي تدبر الخلائق بأمر الله، فيقال للملائكة: قفوا هؤلاء المكذبين المشركين بالله، واحبسوهم.

والآية في الحقيقة محتملة معنيين: أنكم مسئولون عن جميع أقوالهم وأفعالهم، وعن كل الأحوال والأعمال. أو أنكم مسئولون هذا السؤال وهو ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ على طريق التوبيخ والتقريع والتهكم لهم.

٥٣٩/٣، والجامع لأحكام القرآن ٧٤/١٥، ولباب التأويل ٢٠/٦، وفتح القدير٣٩١/٤.

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن القيامة الحساب والقصاص، ح(٢٤١٦)، وقال:" هذا حديث حسن صحيح".

(٢) الكشف والبيان ١٤٢/٨، وزاد المسير ٥٣٩/٣، وفتح القدير٣٩١/٤.

(٣) سورة الملك آية: ٨.

(٤) تفسير مقاتل٩٧/٣، والبسيط ٣٥/١٩، وزاد المسير ٥٣٩/٣.

(٥) جامع البيان ٥٢٣/١٩.

(٦) مقاتل٩٧/٣، والبسيط ٣٦/١٩.

(٧) فتح القدير٣٩١/٤.

وأياً كان ففي الآية توبيخ وتهكم بهم[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنهم يسألون سؤال توبيخ وتهكم ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ ، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٢].

(١) تفسير القرآن الكريم (سورة الصافات) ص٦٣.

(٢) جامع البيان ٢٥٩/١٦، والمحرر الوجيز ١٨٠/١، ومفاتيح الغيب ١٥٤/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٣، ومجموع الفتاوى ١٤/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٩٩/١.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ﴾ [١]

٢١٢- مسألة: ما معنى: لشوباً من حميم، ومتى يشربونه؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الماء المتناهي الحرارة، يشربونه لعطشهم إذا أكلوا الزقوم[٢].

القول الثاني: يُشاب لهم الزقوم بالحميم قبل تناوله[٣].

قال الرسعني:

﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴾ أي: لخلطاً ومزاجاً ﴿ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴾ وهو الماء المتناهي الحرارة، إما أنهم يشربونه لعطشهم إذا أكلوا الزقوم، أو يُشاب لهم الزقوم بالحميم قبل تناوله.

والأول أظهر في العربية؛ لترتيبه بحرف "ثم"[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الماء المتناهي الحرارة، يشربونه لعطشهم إذا أكلوا الزقوم[٥].

وممن قال به:

١- ابن عباس رضي الله عنهما.

٢- وابن قتيبة، والواحدي، والبغوي، وابن عثيمين[٦].

---

(١) سورة الصافات آية: ٦٧.

(٢) جامع البيان ٥٥٥/١٩، وزاد المسير ٥٤٣/٣، والبسيط ٦٣/١٩-٦٤، ومعالم التنزيل ٦٦٢/٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٨٧/٢، والنكت والعيون٥٢/٥، وفتح القدير ٣٩٨/٤.

(٤) رموز الكنوز ٣٩٤/٦.

(٥) البسيط ٦٣/١٩-٦٤، واللباب في علوم الكتاب٣١٦/١٦.

(٦) جامع البيان ٥٥٥/١٩، وزاد المسير ٥٤٣/٣، والبسيط ٦٣/١٩-٦٤، ومعالم التنزيل ٦٦٢/٣، وتفسير القرآن الكريم (سورة الصافات) لابن عثيمين ص١٥٥.

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن قتيبة: أي خلطاً من الماء الحار يشربونه عليها[١].

ب- قال الواحدي: يريد أنهم إذا أكلوا الزقزم شربوا عليه الحميم، وهو الماء الحار الذي قد انتهى خيره، فيشرب الحميم في بطونهم الزقزم فيصير شوباً لهم[٢].

ج- قال البغوي: أي: خلطاً ومزاجاً، ﴿ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ أي: من ماء شديد الحرارة، يقال إنهم إذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم في بطونهم فصار شوباً لهم[٣].

القول الثاني: يُشاب لهم الزقوم بالحميم قبل تناوله[٤].

وممن قال به: الفراء، والماوردي، والشوكاني[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الماوردي: فيمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظاً لعذابهم وتشديداً لبلاتهم[٦].

ب- قال الشوكاني: أخبر سبحانه أنه يشاب لهم طعامهم من تلك الشجرة بالماء الحار؛ ليكون أفظع لعذابهم وأشنع لحالهم[٧].

حاصل الدراسة:

قال أهل اللغة: الشوب اسم عام في كل ما خلط بغيره، والشَّوْب الخَلْط والمزج،

---

(١) زاد المسير ٥٤٣/٣.

(٢) البسيط ٦٣/١٩-٦٤.

(٣) معالم التنزيل ٦٦٢/٣.

(٤) المحرر الوجيز٤٧٦/٤، وفتح القدير ٣٩٨/٤.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣٨٧/٢، والنكت والعيون٥٢/٥، وفتح القدير ٣٩٨/٤.

(٦) النكت والعيون٥٢/٥.

(٧) فتح القدير ٣٩٨/٤.

ومنه شَابَ اللبنَ يَشوبُهُ أي خَلَطَهُ وَمَزَجَهُ[١].

وما ذكره جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار في النار يأكلون من شجرة الزقوم، فيملئون منها بطونهم، ويجمعون معها: ﴿ لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ، أي: خلطًا من الماء البالغ غاية الحرارة، جاء موضحًا في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٢]. وقوله: ﴿ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ وهو شدّة العطش بحيث لا يرويها كثرة شراب الماء فهي تشرب كثيرًا من الماء، ولا تزال مع ذلك في شدّة العطش.

ووصف شرابهم أيضاً بقوله: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [٣]، ومنها: ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [٤] ولما ذكر في هذه الآية الطعام بتلك الشناعة والكراهة، وصف الشراب بما هو أشنع منه وسماه شَوْباً، أي: خَلْطاً ومَزْجاً من حميم من ماءٍ حار، فإذا أكلوا الزَّقُّومَ وشَرِبُوا عليه الحَمِيمَ فيشرب الحميم في بطونهم فيصير شوباً له.

وعطف هذه الجملة بثم لترتيب تلك الأحوال في الزمان فالمعنى أنهم يملئون البطون من شجر الزقوم وبعد ذلك يشربون الحميم، ويؤخر سقيهم زماناً ليزداد عطشهم فيزداد عذابهم[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه يشربونه لعطشهم إذا أكلوا الزقوم. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب[٦].

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣٠٧/٤.

(٢) سورة الواقعة آية:٥١-٥٥.

(٣) سورة النبأ آية: ٢٥.

(٤) سورة محمد آية: ١٥.

(٥) التسهيل١٧٢/٣، واللباب في علوم الكتاب٣١٦/١٦، وروح المعاني٩٦/٢٣.

(٦) جامع البيان٣٣٧/٦، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٢/٥، والكشاف ٢٤٥/٤، والمحرر الوجيز٣٤٠/١،

وبدائع الفوائد ٥٣٨/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٣٦٩/٢.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [١]

٢١٣- مسألة: من هم أولاد نوح وذرياتهم؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: سام-وهو أبو العرب-، ويافث-أبو الروم-، وحام-أبو الحبش-[٢].

القول الثاني: سام أبو العرب وفارس والروم، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، وحام أبو السودان من المشرق على المغرب[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ وذلك أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده.

وقيل: المعنى: هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة، وذلك أنه كان معه في السفينة أولاده الثلاثة: سام-وهو أبو العرب-، ويافث-أبو الروم-، وحام-أبو الحبش-.

قال بعض العرب يصف سوداء:

عجوزٌ من بني حام بن نوح كأن جبينها حجرُ المقام[٤]

وقيل: سام أبو العرب وفارس والروم، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، وحام أبو السودان من المشرق على المغرب.

---

(١) سورة الصافات آية: ٧٧.

(٢) لباب التأويل ٢٤/٦، وروح المعاني٩٨/٢٣.

(٣) جامع البيان ٥٦٠/١٩، والنكت والعيون ٥٣/٥، وإرشاد العقل السليم١٩٦/٧، وفتح القدير ٤٠٠/٤.

(٤) البيت لعنترة بن شداد. انظر: النكت والعيون ٥٣/٥.

والأول أصح؛ لما أخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: "سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم"[١][٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: سام-وهو أبو العرب-، ويافث-أبو الروم-، وحام-أبو الحبش-.

ذكره المفسرون في كتبهم ولم ينسبوه لأحد[٣].

واستدلوا بما يلي :

١- عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: "سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم".

القول الثاني: سام أبو العرب وفارس والروم، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، وحام أبو السودان من المشرق على المغرب[٤].

وممن قال به:

١- ابن عباس رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب.

٢- والطبري، والماوردي، وأبو السعود، والشوكاني[٥].

واستدلوا بما يلي:

١- عن أبي هريرة مرفوعً قال: قال رسول الله ﷺ ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الصافات، ح(٣٢٣١). قال الألباني حديث ضعيف. انظر: سنن الترمذي بحكم الألباني ص٧٣٠.

(٢) رموز الكنوز ٦/٣٩٥-٣٩٦.

(٣) لباب التأويل ٦/٢٤، وروح المعاني٢٣/٩٨.

(٤) معالم التنزيل٣/٦٦٣، ولباب التأويل ٦/٢٤، وروح المعاني٢٣/٩٨.

(٥) جامع البيان ١٩/٥٦٠، والنكت والعيون ٥/٥٣، وإرشاد العقل السليم٧/١٩٦، وفتح القدير ٤/٤٠٠.

والصقالبة ولا خير فيهم، وولد حام القبط والسودان[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: العرب من أولاد سام، والسودان من أولاد حام، والترك وغيرهم من أولاد يافث[٢].

ب- قال الماوردي: وكان بنوه ثلاثة: سام وحام ويافث، فالعرب والعجم أولاد سام، والروم والترك والصقالبة أولاد يافث، والسودان من أولاد حام[٣].

حاصل الدراسة:

الأكثرون على أن الناس كلهم في مشارق الأرض ومغاربها من ذرية نوح عليه السلام ولذا قيل له آدم الثاني.

ومن استدل بحديث سمرة في الترمذي هو حديث ضعيف عند الألباني، فلا يستدل به[٤].

والمشهور عند المؤرخين أن أولاد نوح - عليه الصلاة والسلام- كانوا ثلاثة: سام، وحام، ويافث، لكن لم يأتِ هذا بسنة صحيحة عن النبي ﷺ ولا في القرآن ما يدل على ذلك، فالأولى أن نقول: إن الناس بعد نوح من ذريته، وأما هذا التقسيم فيحتاج على دليل، وليس هناك دليل من كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ على ذلك، والله سبحانه وتعالى ذكر أن الأمم السابقة لا يعلمهم إلا الله، فقال جل وعلا: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٥] فإذا نفى الله علم أحد بهم إلا الله سبحانه وتعالى وجب أن يتلقى علمهم من الله

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم١٠/٣٢١٨.

(٢) جامع البيان ١٩/٥٦٠.

(٣) النكت والعيون ٥/٥٣.

(٤) روح المعاني٢٣/٩٨.

(٥) سورة إبراهيم آية: ٩.

سبحانه وتعالى لا من غيره، فنرجع إلى الوحي[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن ذرية نوح هم الذين بقوا، ومن الجائز أن يكون له ابن ثم ينقطع نسله، فلا نعلم. ولا دليل ثابت على أحد الأقوال.

القاعدة: لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة[٢].

---

(١) تفسير القرآن الكريم (سورة الصافات) لابن عثيمين ص١٨٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٥، والمحرر الوجيز ١٢٨/١، ومفاتيح الغيب ١١٥/٣، وأضواء البيان ٢٠٦/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [١]

٢١٤- مسألة: علام يعود الضمير في قوله: ﴿ شِيعَتِهِۦ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الضمير في "شيعته" يرجع إلى نوح[٢].

القول الثاني: الضمير لمحمد ﷺ[٣].

قال الرسعني:

عامة المفسرين ذهبوا إلى أن الضمير في "شيعته" يرجع إلى نوح.

وقال ابن السائب والفراء: الضمير لمحمد ﷺ[٤]. **وهو بعيد**[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الضمير في "شيعته" يرجع إلى نوح، أي: من أهل ملته ودينه، ومنهاجه، وسنته[٦].

وممن قال به:

---

(١) سورة الصافات آية: ٨٣.

(٢) النكت والعيون ٥٤/٥، وزاد المسير ٥٤٤/٣، ومفاتيح الغيب ١٢٧/٢٦، ولباب التأويل ٢٤/٦، وفتح القدير ٤٠١/٤.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٨٨/٢، وجامع البيان ٥٦٤/١٩، وبحر العلوم ١٣٧/٣، والنكت والعيون ٥٤/٥، والمحرر الوجيز٤٧٧/٤، وزاد المسير٥٤٤/٣، ومفاتيح الغيب ١٢٧/٢٦، وفتح القدير ٤٠١/٤، وروح المعاني٩٩/٢٣.

(٤) معاني القرآن الفراء٣٨٨/٢، وجامع البيان ٥٦٤/١٩، والنكت والعيون ٥٤/٥، وزاد المسير ٥٤٤/٣.

(٥) رموز الكنوز ٣٩٧/٦.

(٦) النكت والعيون ٥٤/٥، وزاد المسير ٥٤٤/٣، ومفاتيح الغيب ١٢٧/٢٦، ولباب التأويل ٢٤/٦، وفتح القدير ٤٠١/٤.

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والسدي[١].

٢- الطبري، والزجاج، وابن جزي الكلبي، وابن عثيمين[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جزي الكلبي: الشيعة الصنف المتفق فمعنى من شيعته من على دينه في التوحيد والضمير يعود على نوح وقيل على سيدنا محمد ﷺ. والأول أظهر[٣].

ب- قال القرطبي: قال الكلبي والفراء: المعنى وإن من شيعة محمد لإبراهيم، فالهاء في شيعته على هذا لمحمد عليه السلام، وعلى الأول لنوح وهو أظهر؛ لأنه هو المذكور أولاً وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان هود وصالح[٤].

القول الثاني: الضمير لمحمد ﷺ، أي: أن من شيعة محمدﷺ لإبراهيم، يقول على دينه ومنهاجه، فهو من شيعته وإن كان سابقاً له[٥].

وممن قال به: ابن السائب الكلبي، والفراء[٦].

ومن أقوالهم:

قال الفراء: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ يقول: إن من شيعة

---

(١) تفسير مجاهد٥٤٢/٢، وجامع البيان ٥٦٤/١٩، وبحر العلوم ١٣٧/٣، والبسيط٦٨/١٩، والمحرر الوجيز٤٧٧/٤.

(٢) جامع البيان ٥٦٤/١٩، ومعاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٤، ومفاتيح الغيب ١٢٧/٢٦، والتسهيل ١٧٢/٣، وروح المعاني٩٩/٢٣، وتفسير القرآن الكريم (سورة الصافات) لابن عثيمين ص١٩٠.

(٣) التسهيل ١٧٢/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٩١/١٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣٨٨/٢، وجامع البيان ٥٦٤/١٩، وبحر العلوم ١٣٧/٣، والنكت والعيون ٥٤/٥، والمحرر الوجيز٤٧٧/٤، وزاد المسير٥٤٤/٣، ومفاتيح الغيب ١٢٧/٢٦، وفتح القدير ٤٠١/٤، وروح المعاني٩٩/٢٣.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣٨٨/٢، وزاد المسير ٥٤٤/٣.

محمد لإبراهيم ﷺ[١].

حاصل الدراسة:

الضمير في قوله: "من شيعته" الأظهر أنه عائد إلى نوح عليه السلام، أي: من شيعة نوح، أي: من أهل بيته وعلى دينه ومنهاجه لإبراهيم، وإن اختلفت شرائعهما، أو اتفق أكثرهما، قالوا: وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان هود وصالح.

وهو الأظهر؛ لأنه تقدم ذكر نوح عليه السلام، ولم يتقدم ذكر النبي ﷺ فعود الضمير إلى نوح أولى[٢].

وقال الفراء: الضمير في "مِن شِيعَتِهِ" يعود على محمد ﷺ، والأعرف أن المتأخر في الزمان هو شيعة للمتقدم، وجاء عكس ذلك في قول الكميت[٣]:

وما لي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب

فجعل (آل) أحمد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعة له.

ورد الطبري والشوكاني قول الكلبي، والفراء[٤]؛ لضعفه ومخالفته للسياق[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الضمير يرجع لنوح؛ لأنه أقرب مذكور. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٦].

---

(١) معاني القرآن للفراء٢/٣٨٨.

(٢) مفاتيح الغيب ١٢٧/٢٦.

(٣) المحرر الوجيز٤/٤٧٨، والبحر المحيط٧/٣٥٠، واللباب في علوم الكتاب ٣٢١/١٦.

(٤) جامع البيان ٥٦٤/١٩.

(٥) فتح القدير ٤٠١/٤.

(٦) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب ١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [١]

٢١٥- مسألة: ما معنى: ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: من الشك[٢].

القول الثاني: من الشرك[٣].

القول الثالث: العموم[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ قال قتادة: من الشك[٥].

وقال الحسن: من الشرك[٦].

والصحيح: العموم، على معنى: جاء ربه بقلب سليم من جميع الآفات المفسدة للقلوب[٧].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: من الشك[٨].

وممن قال به: مجاهد[١].

---

(١) سورة الصافات آية: ٨٤.

(٢) النكت والعيون ٥/٥٤، والجامع لأحكام القرآن١٥/٩١، ولباب التأويل ٦/٢٤، وفتح القدير ٤/٤٠١.

(٣) النكت والعيون ٥/٥٤، وزاد المسير ٣/٥٤٤، والجامع لأحكام القرآن١٥/٩١، ولباب التأويل ٦/٢٤، وفتح القدير ٤/٤٠١.

(٤) الكشاف ٤/٥٠، والمحرر الوجيز ٤/٤٧٨، والبحر المحيط ٧/٣٥٠، وروح المعاني ٢٣/١٠٠.

(٥) النكت والعيون ٥/٥٤.

(٦) النكت والعيون ٥/٥٤.

(٧) رموز الكنوز ٦/٣٩٧.

(٨) النكت والعيون ٥/٥٤، والجامع لأحكام القرآن١٥/٩١، ولباب التأويل ٦/٢٤، وفتح القدير ٤/٤٠١.

القول الثاني: من الشرك، والمعنى: أنه سلم من الشرك فلم يشرك بالله، مخلصٍ له التوحيد[٢].

وممن قال به:

١- الحسن، وقتادة، والكلبي، ومقاتل، والسدي[٣].

٢- الزجاج، ابن أبي زمنين، والواحدي، وابن الجوزي[٤].

واستدلوا بما يلي:

١- أنه تعالى ذكر بعد هذه الكلمة إنكاره على قومه الشرك بالله: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ [٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزجاج: سليم من الشرك ومن كل دنس[٦].

ب- قال الواحدي: ويدل على أن المراد سلامته من الشرك أنه ذكر بعد إنكاره على قومه الشرك بالله[٧].

القول الثالث: العموم.

---

(١) جامع البيان ٥٦٥/١٩.

(٢) النكت والعيون ٥٤/٥، وزاد المسير ٥٤٤/٣، والجامع لأحكام القرآن٩١/١٥، ولباب التأويل ٢٤/٦، وفتح القدير ٤٠١/٤.

(٣) جامع البيان ٥٦٥/١٩، والبسيط ٦٩/١٩، ومفاتيح الغيب ١٢٧/٢٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٣/١٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٤، وتفسير ابن أبي زمنين٦٤/٤، والبسيط ٦٩/١٩، وزاد المسير ٥٤٤/٣.

(٥) سورة الصافات آية: ٨٥.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣٠٨/٤.

(٧) البسيط ٦٩/١٩.

وممن قال به: الزمخشري، وابن عطية، وأبو حيان، والألوسي[١].

واستدلوا: أن اللفظ مطلق فلا يقيد بصفة دون صفة، ويتأكد هذا بقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [٢][٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزمخشري: ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ من جميع آفات القلوب. وقيل: من الشرك، ولا معنى للتخصيص لأنه مطلق، فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها[٤].

ب- قال أبو حيان: ولا معنى للتخصيص[٥].

ج- قال الألوسي: والتعميم أولى[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أي: خالص، عن الضحاك[٧].

٢- قال عروة: لا يكون لعاناً[٨].

٤- شهادة أن لا إله إلا الله، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه [٩].

٥- يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. عن محمد بن سيرين[١٠].

---

(١) الكشاف ٥٠/٤، والمحرر الوجيز ٤٧٨/٤، والبحر المحيط ٣٥٠/٧، وروح المعاني ١٠٠/٢٣.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٥١.

(٣) مفاتيح الغيب ١٢٧/٢٦.

(٤) الكشاف ٥٠/٤.

(٥) البحر المحيط ٣٥٠/٧.

(٦) روح المعاني ١٠٠/٢٣.

(٧) بحر العلوم ١٣٧/٣، والنكت والعيون ٥٤/٥.

(٨) النكت والعيون ٥٤/٥، والجامع لأحكام القرآن ٩١/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣/١٢.

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣/١٢.

(١٠) الجامع لأحكام القرآن ٩١/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣/١٢، وفتح القدير ٤٠١/٤.

٦- القلب السليم هو الناصح لله في خلقه[١].

٧- السليم ن الغل والغش والحقد والحسد، يحب للناس ما يحب لنفسه[٢].

٨- قال الأصوليون: معناه أنه عاش ومات على طهارة القلب من كل معصية[٣].

حاصل الدراسة:

﴿ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ أي: من جميع آفات القلوب، أو من العلائق الشاغلة عن التبتل إلى الله عز وجل[٤]

وقالوا: يعني خالص من الشرك، والمعنى أنه سلم من الشرك فلم يشرك بالله، وقالوا المراد أنه عاش ومات على طهارة القلب من كل دنس من المعاصي، فيدخل فيه كونه سليماً عن الشرك وعن الشك وعن الغل والغش والحقد والحسد. وعن ابن عباسﷺ أنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه، وسلم جميع الناس من غشه وظلمه وأسلمه الله تعالى فلم يعدل به أحداً، واحتج الذاهبون إلى القول الأول بأنه تعالى ذكر بعد هذه الكلمة إنكاره على قومه الشرك بالله ، وهو قوله: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴾ [٥]. واحتج الذاهبون إلى القول الثاني بأن اللفظ مطلق فلا يقيد بصفة دون صفة، ويتأكد هذا بقوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ [٦]. ولا معنى للتخصيص[٧].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الآية للعموم، فجاء بقلب سليم من كل ما يشوب القلب من المعاصي،

---

(١) فتح القدير ٤٠١/٤.

(٢) لباب التأويل ٢٤/٦.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٣٢١/١٦.

(٤) إرشاد العقل السليم١٩٧/٧.

(٥) سورة الصافات آية: ٨٥.

(٦) مفاتيح الغيب ١٢٧/٢٦.

(٧) البحر المحيط ٣٥٠/٧.

والبراءة من الشرك، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [١]

٢١٦- مسألة: ما نوع "ما" في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "ما" مصدرية، والمعنى: والله خلقكم وعملكم[٢].

القول الثاني: "ما" موصولة، والمعنى: والله خلقكم والذي تعملونه وتنحتون من الآلهة[٣].

قال الرسعني:

فلما أقبلوا عليه قال محتجاً عليهم: ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ وبهذه الآية احتج علماء الحق على إبطال مذهب القَدَرية والجبرية بناء على أن "ما" مصدرية.

المعنى: والله خلقكم وعملكم، فأثبت كونها مخلوقة لله، وكونها من كسب العباد.

وقيل: إن "ما" موصولة، على معنى: والله خلقكم والذي تعملونه وتنحتونه من الآلهة.

وهذا الوجه أظهر؛ لوجهين:

أحدهما: أن المراد من الآية: الاحتجاج عليهم بفساد ما انتحلوه من عبادة مخلوقات الله تعالى مثلهم، بدليل قوله تعالى: ﴿ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴾ ، فلو قلنا بأنها مصدرية لم يصح هذا الاحتجاج.

---

(١) سورة الصافات آية: ٩٦.

(٢) النكت والعيون ٥٧/٥، والمحرر الوجيز٤٧٩/٤، وزاد المسير ٥٤٦/٣، والدر المصون ٣٢٢/٩، واللباب في علوم الكتاب٣٢٧/١٦.

(٣) النكت والعيون ٥٧/٥، والمحرر الوجيز٤٧٩/٤، وزاد المسير ٥٤٦/٣، والدر المصون ٣٢٢/٩، واللباب في علوم الكتاب٣٢٧/١٦.

الثاني: أن "ما" في قوله: ﴿ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ موصولة لا شك فيها، فلا يُدل بأختها عنها[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "ما" مصدرية، والمعنى: والله خلقكم وعملكم[٢].

وممن قال به: ابن كثير[٣].

ومن أقوالهم:

قال ابن كثير: وكلا القولين متلازم، والأول-مصدرية- أظهر لما رواه البخاري في كتاب "أفعال العباد" عن حذيفة مرفوعاً: "إن الله يصنع كل صانع وصنعته"[٤].

القول الثاني: "ما" موصولة، والمعنى: والله خلقكم والذي تعملونه وتنحتون من الآلهة[٥].

وممن قال به: الطبري، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والشوكاني[٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال الزمخشري: (ما) في ﴿ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ موصولة لا مقال فيها، فلا يعدل بها

---

(١) رموز الكنوز ٤٠٢/٦.

(٢) النكت والعيون ٥٧/٥، والمحرر الوجيز٤٧٩/٤، وزاد المسير ٥٤٦/٣، والدر المصون ٣٢٢/٩، واللباب في علوم الكتاب٣٢٧/١٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٦/١٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٦/١٢، وخلق أفعال العباد ٤٦/١، ورواه الحاكم في المستدرك ٨٥/١ (٨٦).

(٥) النكت والعيون ٥٧/٥، والمحرر الوجيز٤٧٩/٤، وزاد المسير ٥٤٦/٣، والدر المصون ٣٢٢/٩، واللباب في علوم الكتاب٣٢٧/١٦.

(٦) جامع البيان ٥٧٥/١٩، والبحر المحيط ٣٥٢/٧، والدر المصون ٣٢٢/٩، وفتح القدير ٤٠٢/٤.

عن أختها إلاّ متعسف متعصب لمذهبه، من غير نظر في علم البيان، ولا تبصر لنظم القرآن[١].

ب- قال أبو حيان: الظاهر أن ما موصولة بمعنى: الذي، معطوفة على الضمير في خلقكم[٢].

ج- قال السمين الحلبي: في "ما" هذه أربعةُ أوجه، أجودُها: أنها بمعنى الذي أي: وخلق الذي تصنعونه[٣].

د- قال الشوكاني: وجعلها موصولة أولى بالمقام، وأوفق بسياق الكلام[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنها استفهاميةٌ، وهو استفهام توبيخ وتحقير لشأنها أي: وأيَّ شيء تعملون؟[٥]. وقيل: استفهام انكاري[٦].

٢- أنها نافيةٌ أي: إن العمل في الحقيقة ليس لكم فأنتم لا تعملون شيئاً[٧].

حاصل الدراسة:

في "ما" هذه أربعةُ أوجه، أجودُها: أنها بمعنى الذي أي: وخلق الذي تصنعونه، فالعمل هنا التصوير والنحت نحو: عمل الصائغُ السوار أي: صاغه. ويُرجِّح كونها بمعنى الذي تقدُّمُ ما قبلها فإنها بمعنى الذي أي: أتعبدون الذي تنحِتون، والله خلقكم وخلق ذلك الذي تعملونه بالنحت. وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام

---

(١) الكشاف ٤/٥٤.

(٢) البحر المحيط ٧/٣٥٢.

(٣) الدر المصون ٩/٣٢٢.

(٤) فتح القدير ٤/٤٠٢.

(٥) المحرر الوجيز٤/٤٧٩، والدر المصون ٩/٣٢٢، واللباب في علوم الكتاب١٦/٣٢٧.

(٦) البحر المحيط ٧/٣٥٢.

(٧) المحرر الوجيز٤/٤٧٩، والبحر المحيط ٧/٣٥٢، والدر المصون ٩/٣٢٢، واللباب في علوم الكتاب١٦/٣٢٧.

والثاني: أنها مصدريةٌ أي: خلقكم وأعمالكم. وجعلها الأشعريَّةُ دليلاً على خلق أفعال العباد لله تعالى. إلا أنَّ دليل ذلك من هنا غيرُ قويّ لما تقدَّم من ظهور كونها بمعنى الذي. وقال مكي[١]: "يجب أن تكون "ما" والفعل مصدراً جيء به ليفيد أن الله خالقُ الأشياء كلَّها". وقال أيضاً:" وهذا أليقُ لقوله تعالى:" ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [٢] أجمع القراء على الإضافة، فدلَّ على أنه خالقُ الشرِّ. وقد فارق عمرو بن عبيد الناس فقرأ "من شرٌ"[٣] بالتنوين ليُثبِتَ مع الله تعالى خالقاً". وقد استفرض الزمخشري هذه المقالة هنا بكونها مصدريةً، وشنَّع على قائلها. بما يوقف عليه في كتابه[٤].

والثالث: أنها استفهاميةٌ، وهو استفهام توبيخ وتحقير لشانها أي: وأيَّ شيء تعملون؟.

والرابع: أنها نافيةٌ أي: إن العمل في الحقيقة ليس لكم فانتم لا تعملون شيئاً. وكلاهما باطل[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها موصولة أولى بالمقام وأوفق بسياق الكلام. وهو قول أهل اللغة، وترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق[٦].

---

(١) المشكل ٦١٥/٢.

(٢) سورة الفلق آية: ٢.

(٣) البحر المحيط ٣٥٢/٧.

(٤) الكشاف ٥٤/٤.

(٥) التسهيل ١٧٣/٣، والبحر المحيط ٣٥٢/٧، والدر المصون ٣٢٢/٩، واللباب في علوم الكتاب٣٢٧/١٦، وفتح القدير ٤٠٢/٤.

(٦) مشكل إعراب القرآن ٥٤٧/٢، والمحرر الوجيز١٥٤/٣، والبحر المحيط١٨٢/١، وبدائع الفوائد ٥٣٧/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٣٥/٢.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [١]

٢١٧- مسألة: ما معنى قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: سيرشدني إلى طريق الهجرة[٢].

القول الثاني: سيرشدني إلى ما فيه صلاحي وتوفيقي[٣].

قال الرسعني:

وفي قوله: ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ قولان:

أحدهما: سيرشدني إلى طريق الهجرة. وهو قول جمهور المفسرين.

الثاني: سيرشدني إلى ما فيه صلاحي وتوفيقي، **وهو الظاهر**[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: سيرشدني إلى طريق الهجرة[٥].

وممن قال به: الواحدي، والبغوي، والشوكاني[٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: والأولى أن يحمل على الإرشاد إلى طريق مُهَاجَرِهِ[٧].

ب- قال البغوي: على حيث أمرني بالمصير إليه، وهو الشام[١].

---

(١) سورة الصافات آية: ٩٩.

(٢) البسيط ٧٩/١٩، ومعالم التنزيل ٦٦٥/٣، وفتح القدير ٤٠٣/٤.

(٣) تفسير النسفي ٢٤/٤، والكشاف ٥٥/٤، وإرشاد العقل السليم١٩٩/٧.

(٤) رموز الكنوز ٤٠٣/٦.

(٥) النكت والعيون ٥٩/٥.

(٦) البسيط ٧٩/١٩، ومعالم التنزيل ٦٦٥/٣، وفتح القدير ٤٠٣/٤.

(٧) البسيط ٧٩/١٩.

ج- قال الشوكاني: سيهديني إلى المكان الذي أمرني بالذهاب إليه أو إلى مقصدي[٢].

القول الثاني: سيرشدني على ما فيه صلاحي وتوفيقي[٣].

وممن قال به: النسفي، والزمخشري، وأبو السعود[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال النسفي: سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني[٥].

ب- قال الزمخشري: سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني، كما قال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [٦] [٧].

ج- قال أبو السعود: ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ أي: إلى ما فيه صلاح ديني أو إلى مقصدي[٨].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- الهداية إلى الجنة والخلاص من النار، ويدفع هذا القول دعاؤه بالولد حيث قال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي﴾ [٩] [١٠].

٢- ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ يعني: يحفظني[١١].

---

(١) معالم التنزيل ٦٦٥/٣، وزاد المسير ٥٤٦/٣.

(٢) فتح القدير ٤٠٣/٤.

(٣) الكشاف ٥٥/٤، والتسهيل ١٧٣/٣.

(٤) تفسير النسفي ٢٤/٤، والكشاف ٥٥/٤، وإرشاد العقل السليم١٩٩/٧.

(٥) تفسير النسفي ٢٤/٤.

(٦) سورة الشعراء آية: ٦٢.

(٧) الكشاف ٥٥/٤.

(٨) إرشاد العقل السليم١٩٩/٧.

(٩) سورة الشعراء آية: ٨٣.

(١٠) النكت والعيون٥٩/٥، والمحرر الوجيز٤٨٠/٤، وزاد المسير ٥٤٦/٣، وروح المعاني ٢٣/ ١٢٧.

(١١) بحر العلوم١٣٩/٣.

٣- سيعينني[١].

٤- سيهدين فيما نويت إلى الصواب[٢].

حاصل الدراسة:

قال ابن عباسﷺ: سيرشدني[٣]. وقال الكلبي: سينجيني منهم[٤]. وقال مقاتل: سيهدين لدينه[٥]. وقول الكلبي أقرب إلى المعنى؛ لأن المراد سيهدين إلى حيث أمرني بالمصير إليه، وفي ذلك إنجاء له منهم. وقول مقاتل سيهدين لدينه فيه بعد؛ لأنه كان على الدين في ذلك الوقت، إلا أن يحمل على التثبيت على الدين والهداية. وقول ابن عباسﷺ يحتمل المعنيين: الإرشاد إلى الدين، والإرشاد إلى الطريق[٦].

ومن قال أن قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ كان بعد خروجه من النار، فليس مراده به الهجرة كما في آية أخرى، وإنما مراده لقاء الله بعد الاحتراق؛ ولأنه ظن أن النار سيموت فيها فقال هذه المقالة قبل أن يطرح في النار، فكأنه قال إني سائر بهذا العمل إلى ربي وهو سيهديني إلى الجنة نحا إلى هذا المعنى قتادة.

والأول أظهر من نمط الآية بما بعده؛ لأن الهداية معه تترتب والدعاء في الولد كذلك ولا يصح مع ذهاب الفناء[٧].

المناقشة والترجيح:

الراجح: سيرشدني إلى ما فيه صلاحي وتوفيقي، وهو ترجيح الرسعني، ومنه توفيقه في طريق الهجرة.

---

(١) بحر العلوم٣/١٣٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٩٧.

(٣) بحر العلوم٣/١٣٩، والبسيط ١٩/٧٩.

(٤) البسيط ١٩/٧٩، وزاد المسير٣/٥٤٦.

(٥) تفسير مقاتل ٣/١٠٣، وجامع البيان ١٩/٥٧٧.

(٦) البسيط ١٩/٧٩.

(٧) المحرر الوجيز٤/٤٨٠.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [١]

٢١٨- مسألة: ما هو اليقطين؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كل شجرة لا تقوم على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض[٢].

القول الثاني: القرع[٣].

القول الثالث: التين[٤].

القول الرابع: الموز[٥].

قال الرسعني:

﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴾ قال أهل اللغة: اليقطين: كل شجرة لا تقوم على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض[٦]، كالبطيخ والقثاء والحنظل، واشتقاقه من: قَطَنَ بالمكان، أي: أقام به.

قال عامة المفسرين: يعني: القرع.

وقيل: التين.

---

(١) سورة الصافات آية: ١٤٦.

(٢) جامع البيان ٦٣٣/١٩، والبسيط ١١٢/١٩، ومعالم التنزيل ٦٧٩/٣، والمحرر الوجيز٤٨٧/٤، وزاد المسير ٥٥٣/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٩/١٢، واللباب في علوم الكتاب٣٤٧/١٦، وفتح القدير٤١١/٤،

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٣٠/١٠، ومعالم التنزيل ٦٧٩/٣، والمحرر الوجيز٤٨٧/٤، ولباب التأويل ٣٧/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٤٧/١٦.

(٤) إرشاد العقل السليم٢٠٦/٧، وروح المعاني ١٤٦/٢٣.

(٥) إرشاد العقل السليم٢٠٦/٧، وروح المعاني ١٤٦/٢٣.

(٦) البسيط ١١٢/١٩، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٠٨/١، والجامع لأحكام القرآن ١٢٩/١٥، وفتح القدير ٤١١/٤، ومعاني القرآن للزجاج ٣١٤/٤، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٥٢٠/١.

وقيل: الموز.

والأول أكثر وأصح[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كل شجرة لا تقوم على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض كالبقول والقرع والحنظل والبطيخ ونحوه مما يموت من عامه[٢].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والحسن، وقتادة، ومقاتل.

٢- وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج، والمبرد، والجوهري، والألوسي[٣].

ومن أقوالهم:

قال الألوسي: كل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين والذي يكون على وجه الأرض من البطيخ والقثاء، وقيل: شجرة اليقطين هي شجرة الموز تغطى بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها، وقيل: شجرة التين. والأصح ما تقدم[٤].

القول الثاني: القرع[٥].

وممن قال به:

١- ابن مسعود، وابن عباسﷺ، وعمرو بن ميمون الأودي[١]، وسعيد بن جبير،

---

(١) رموز الكنوز ٤٣٠/٦.

(٢) لباب التأويل ٣٧/٦.

(٣) جامع البيان ٦٣٣/١٩، والبسيط ١١٢/١٩، ومعالم التنزيل ٦٧٩/٣، والمحرر الوجيز٤٨٧/٤، وزاد المسير ٥٥٣/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٩/١٢، واللباب في علوم الكتاب٣٤٧/١٦، وفتح القدير٤١١/٤،

(٤) روح المعاني ١٤٦/٢٣.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٣٠/١٠، ومعالم التنزيل ٦٧٩/٣، والمحرر الوجيز٤٨٧/٤، ولباب التأويل ٣٧/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٤٧/١٦.

ومجاهد، وعكرمة، ووهب بن منبه، وعطاء الخراساني، وهلال بن يَسَاف[٢]، وعبد الله بن طاوس، والضحاك، ، وقتادة، والسدي ، ابن زيد، ومقاتل[٣].

٢- ابن أبي زمنين، والنسفي، وابن جزي الكلبي[٤].

واستدلوا بما يلي :

١- ويدل عليه أنه قيل لرسول الله ﷺ: إنك تحب القرع، قال: أجل هي شجرة أخي يونس[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال النسفي: الجمهور على أنه القرع، وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده، وأنه أسرع الأشجار نباتاً وامتداداً وارتفاعاً[٦].

ب- قال ابن جزي الكلبي: اليقطين القرع...، وقيل: اليقطين كل شجرة لا ساق لها كالبقول، والقرع، والبطيخ، والأول أشهر[٧].

القول الثالث: التين.

وممن قال به:

---

(١) هو: عمرو بن ميمون الأودي، أبو عبد الله، توفي سنة أربع وسبعين للهجرة. انظر: الكاشف ٨٩/٢، وتقريب التهذيب ٤٢٧/١.

(٢) هو: هلال بن يساف الأشجعي، أبو الحسن، مولاهم الكوفي، تابعي، توفي بالكوفة وقد أدرك علي بن أبي طالب. انظر: مشاهير الأمصار ١٠٩/١، والكاشف ٣٤٣/٢.

(٣) تفسير مجاهد ٥٤٥/٢، وجامع البيان ٦٣٤/١٩-٦٣٦، ومعاني القرآن للنحاس ٥٩/٦، وزاد المسير ٥٥٣/٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٩/١٢.

(٤) تفسير ابن أبي زمنين٧٣/٤، وتفسير النسفي٢٨/٤، والتسهيل ١٧٦/٣.

(٥) إرشاد العقل السليم٢٠٦/٧، قال الولي العراقي: لم أقف عليه، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انظر: الفتح السماوي٩٥٧/٣.

(٦) تفسير النسفي٢٨/٤.

(٧) التسهيل ١٧٦/٣.

ذكره بعض المفسرين ولم يرجحه أحد[١].

القول الرابع: الموز.

وممن قال به:

ذكره بعض المفسرين ولم يرجحه أحد[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

قالت فرقة هي شجرة لا نعرفها سماها الله باليقطينة، وهي لفظة مأخوذة من قطن إذا أقام بالمكان[٣].

حاصل الدراسة:

اختلف الناس في اليقطينة، ومشهور اللغة أن اليقطين القرع، وقد قال أمية بن أبي الصلت في قصة يونس:

فأنبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله ألفي ضاحيا[٤]

وهو كل ما ينبسط على الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو: يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به.

والأكثرون على أنه الدباء غطته بأوراقها، والدباء هو القرع المعروف وكان النبي ﷺ يحبه وأنبتها الله تعالى مطلة عليه؛ لأنها تجمع خصالاً برد الظل والملمس وعظم الورق وأن الذباب لا يقع عليها على ما قيل. وكان عليه السلام لرقة جلده بمكثه في بطن الحوت يؤذيه الذباب ومماسة ما فيه خشونة ويؤلمه حر الشمس، ويستطيب بارد الظل فلطف الله تعالى به بذلك وذكر أن ورق القرع أنفع شيء لمن ينسلخ جلده واشتهر أن الشجر ما كان على ساق من عود فيشكل تفسير الشجرة هنا بالدباء. والصحيحُ أنها أعم، ولذلك

---

(١) إرشاد العقل السليم٧/٢٠٦، وروح المعاني ٢٣/١٤٦.

(٢) إرشاد العقل السليم٧/٢٠٦، وروح المعاني ٢٣/١٤٦.

(٣) النكت والعيون٥/٦٨، والمحرر الوجيز٤/٤٨٧.

(٤) المحرر الوجيز٤/٤٨٧.

بُيِّنَتْ بقوله: ﴿ مِّن يَقْطِينٍ ﴾ ، ويشهد له قول أفصح الفصحاء ﷺ شجرة الثوم. وإما أن يكون أنبتها عليه ذات ساق خرقا للعادة[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن اليقطين في اللغة يطلق على كل شجرة لا تقوم على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض، وخصصها الاصطلاح العرفي بأحد المعاني الحقيقة اللغوية، وهو القرع.

القاعدة: إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت العرفية[٢].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب١٦/٣٤٧، وروح المعاني ٢٣/١٤٦.

(٢) النكت والعيون ١/٣٩، والبرهان ٢١٦٧، وأضواء البيان ٧/١٣٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٤١٢.

قال تعالى: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [١]

٢١٩- مسألة: ما المراد بالمسح في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: قطع أعناقها وسوقها[٢].

القول الثاني: يمسح سوقها وأعناقها ويكشف الغبار عنها حُبّاً لها[٣].

القول الثالث: حبسها في سبيل الله وكَوَى سوقها وأعناقها بكَيّ الصدقة[٤].

قال الرسعني:

﴿ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا ﴾ أي: يمسح مِسَاحاً، أي: يضرب ضرباً، يقال: مسح علاوته، أي: ضرب عنقه[٥]. والمعنى: أقبل يضرب سوقها وأعناقها.

قال الزجاج[٦]: والسُّوق: جمع ساق، مثل قولك: دارٍ ودُور، ولم يكن عليه الصلاة والسلام ليضرب سُوقها وأعناقها إلا وقد أباح الله تعالى له ذلك؛ لأنه لا تحصل التوبة من ذنب بذنبٍ عظيم.

قال ابن عباسﷺ: يريد: قطع الرؤوس والأعناق[٧].

قال الحسن: كسف[١] عراقيبها وقطع أعناقها وقال: لا تشغليني عن عبادة ربي مرة

---

(١) سورة ص آية: ٣٣.

(٢) معاني القرآن للفراء٢/٤٠٥، وجامع البيان٢٠/٨٦، ومعاني القرآن للنحاس ٦/١١٢، والنكت والعيون٥/٩٣، وزاد المسير ٣/٥٧٢، ولباب التأويل٦/٥٥، وإرشاد العقل السليم٧/٢٢٦، والتحرير والتنوير٢٣/٢٥٨.

(٣) المحرر الوجيز٤/٥٠٤، ولباب التأويل٦/٥٥، وإرشاد العقل السليم٧/٢٢٦، وفتح القدير٤/٤٣١.

(٤) المحرر الوجيز٤/٥٠٤، ولباب التأويل٦/٥٥، وفتح القدير٤/٤٣١، والتحرير والتنوير٢٣/٢٥٨.

(٥) لسان العرب٢/٥٩٣ مادة(مسح).

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/٣٣١.

(٧) الوسيط ٣/٥٥٢.

أخرى[٢].

قال الزمخشري[٣]: أراد بالكسف: القطع، ومنه الكسف في ألقاب الزحاف في العروض. ومن قاله بالشين المعجمة فمُصَحَّف.

وهذا الذي ذكرناه من قطع أعناقها وسوقها **هو المشهور في التفسير**، وإنما فعل ذلك تقرُّباً إلى الله تعالى وكفارة ما فعل، وقد كانت الخيل مباحة في شرعهم كبهيمة الأنعام لنا.

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباسﷺ قال: كان يمسح سوقها وأعناقها ويكشف الغبار عنها حُبّاً لها[٤].

وقال قوم: حبسها في سبيل الله وكَوَى سوقها وأعناقها بكَيّ الصدقة[٥][٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: قطع أعناقها وسوقها بالسيف.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، والحسن، وقتادة، وابن السائب، والسدي، ومقاتل.

٢- الفراء، وأبي عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة، وأبي سليمان الدمشقي، ومالك بن أنس في رواية ابن وَهب، وثعلب، والشوكاني[٧].

---

(١) في الأصل: كشف. والكسف: قطع العرقوب لسان العرب ٢٩٨/٩ مادة: كسف.

(٢) أخرجه الطبري٨٦/٢٠.

(٣) الكشاف ٩٤/٤.

(٤) أخرجه الطبري٨٧/٢٠، وابن أبي حاتم ٣٢٤١/١٠.

(٥) معالم التنزيل٧٠٣/٣.

(٦) رموز الكنوز ٤٨٨/٦.

(٧) معاني القرآن للفراء٤٠٥/٢، وجامع البيان٨٦/٢٠، ومعاني القرآن للنحاس ١١٢/٦، والنكت والعيون٩٣/٥، وزاد المسير ٥٧٢/٣، ولباب التأويل٥٥/٦، وإرشاد العقل السليم٢٢٦/٧، وفتح القدير٢٥٨/٢٣، والتحرير والتنوير٢٥٨/٢٣.

واستدلوا بما يلي :

١- روى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ قال: بالسيف[١].

٢- عن الحسن قال: فكسف عراقيبها وضرب أعناقها[٢].

ومن أقوالهم:

قال الشوكاني: والقول الأول – قطع العناق والسوق- أولى بسياق الكلام[٣].

القول الثاني: يمسح سوقها وأعناقها ويكشف الغبار عنها حُبّاً لها[٤].

وممن روي به: علي بن أبي طلحة عن ابن عباسﷺ، وهذا اختيار ابن جرير، والقاضي أبي يعلى، والزهري، وابن كيسان[٥].

واستدلوا: بقول مجاهد: مسحها بيده.

ومن أقوالهم:

قال ابن جرير: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباسﷺ – جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حبا لها – أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها[٦].

القول الثالث: حبسها في سبيل الله وكَوَى سوقها وأعناقها بكَيّ الصدقة، فجعل

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط١٠٨/٧ (٦٩٩٧) وإسناده ضعيف لضعف سعيد بن بشير، وزاد المسير ٥٧٢/٣.

(٢) جامع البيان٨٦/٢٠.

(٣) فتح القدير٤٣١/٤.

(٤) المحرر الوجيز٥٠٤/٤، ولباب التأويل٥٥/٦، وإرشاد العقل السليم٢٢٦/٧، وفتح القدير٤٣١/٤.

(٥) جامع البيان٨٧/٢٠ ، والكشف والبيان ٢٠١/٨، والنكت والعيون٩٣/٥، وزاد المسير ٥٧٢/٣.

(٦) جامع البيان٨٧/٢٠.

المسح مستعاراً للتوسيم بسمة الخيل الموقوفة في سبيل الله بكي نار أو كَشط جلد[١].

وممن قال به: حكاه الثعلبي، ورجحه أبو حيان[٢].

ومن أقوالهم:

قال أبو حيان: هذا القول هو الذي يناسب مناصب الأنبياء، لا القول المنسوب للجمهور، فإن في قصته ما لا يليق ذكره بالنسبة للأنبياء[٣].

حاصل الدراسة:

بعض المفسرين على القول الأول وقد اعترضوا على القول الثاني وقالوا: أي مناسبة بين شغلها إياه عن الصلاة وبين مسح أعرافها حباً لها. وقالوا أن قوله: حباً لها لم يثبت عن ابن عباسﷺ، وحملوا قول مجاهد مسحها بيده أي: تولى ضرب أعناقها[٤].

وقالوا: إنه – عليه الصلاة والسلام – لما فاتته صلاة العصر لاشتغاله بالنظر إلى تلك الخيل استردها وعقر سوقها وأعناقها تقرباً إلَى الله تعالى، وبقي منها مائة، فالخيل التي في أيدي الناس اليوم، من نسل تلك المائة، قال الحسن: فلما عقر الخيل، أبدله الله – عزّ وجلّ – خيراً منها وأوسع وهي الريح تجري بأمره كيفْ شاء. قال ابن الخطيب: وهذا عندي بعيد لوجوه[٥]:

الأول: أنه لو كان مسح السوق والأعناق قطعاً لكان معنى فامسحوا برؤوسكم أي اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل، بل لو قيل: مسح رأسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العُنُق، أما إذا لم يُذْكَر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح العقر والذبح.

الثاني: أن القائلين بهذا القول جمعوا على سليمان – عليه الصلاة والسلام – أنواعاً من الأفعال المذمومة.

---

(١) المحرر الوجيز٤/٥٠٤، ولباب التأويل٦/٥٥، وفتح القدير٤/٤٣١، والتحرير والتنوير٢٣/٢٥٨.

(٢) الكشف والبيان ٨/٢٠١، والمحرر الوجيز٤/٥٠٤، وزاد المسير ٣/٥٧٢.

(٣) البحر المحيط٧/٣٨٠.

(٤) زاد المسير ٣/٥٧٢، والنكت والعيون٥/٩٣.

(٥) المحرر الوجيز٤/٥٠٤.

فأولها: ترك الصلاة .

وثانيها: أنه استولي عليه الاشتغال بحُبِّ الدنيا حيث نَسِيّ الصلاة وقال – عليه الصلاة والسلام – : " حُبُّ الدُّنْيَا رَأسُ كُلِّ خَطيئَةٍ ". وثالثها: أنه بعد الإتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة والإنابة البتة.

ورابعها: أنه خاطب رب العالمين بقوله: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ﴾ وهذه كلمة لا يقولها الرجل الحَصِيف إلا مع الخادم الخسيس.

وخامسها: أنه أتبع هذه المعاصي بعقر الخيل من سوقها وأعناقها وقد ' نَهَى النبي ﷺ عن ذبح الحيوان إلا لمأكلة" ؛ وهذه أنواع من الكبائر نسبوها إلى سليمان – عليه الصلاة والسلام – مع أن لفظ القرآن لم يدل على شيء منها، وخلاصتها: أن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [١]وأن الكفار لما بلغوا في السفاهة إلى هذا الحد قال الله عز وجل لمحمد – عليه الصلاة والسلام –: يا محمد اصبر على سفاهتهم، واذكر عبدنا داود، ثم ذكر عقيبه قصة سليمان فكان التقدير أنه تعالى قال لمحمد – عليه الصلاة والسلام –: يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان. وهذا الكلام إنما يليق إذا قلنا : إن سليمان – عليه[٢]الصلاة والسلام – أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى وأعرض عن الشهوات واللذات، فلو كان المقصود من قصة سليمان في هذا الموضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لائقاً.

والصواب أن نقول: إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما هو في دين محمد عليه الصلاة والسلام؛ ثم إن سليمان — عليه الصلاة والسلام – احتاج إلى الغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها، وذكر أني لا أجريها لأجل الدنيا ونصيب النفس وإنما حبها لأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله: ﴿ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾ . ثم إنه – عليه

---

(١) سورة ص آية: ١٦.

(٢) اللباب في علوم الكتاب١٦/٤١٢.

السلام – أمر بإجرائها وسيرها حتى توارت بالحجاب أي: غابت عن بصره، ثم إنه أمر الرابضين بأن يردوها فردوا تلك الخيل إليه فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها. والغرض من ذلك أمور:

الأول: تشريفاً لها وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو.

الثاني: أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يَتَّضِعُ إلى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه .

الثالث: أنه كان أعلم بأحوال الخيل ومراميها وعيوبها فكان يمسحها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم منه نسبة شيء من تلك المنكرات إلى سليمان عليه – الصلاة والسلام – والعَجَبُ منهم كيف قَبِلُوا هذه الوجوه السخيفة مع أن العقل والنقل يردها وليس لهم في إثباتها شبهة فضلاً عن حجة ؟

فإن قيل: فالجمهور فسروا الآية بتلك الوجوه.

فالجواب: أن نقول لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها لما ذكرنا، وأيضاً فإن الدلائل الكثيرة قامت على عصمة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ولم يدل على صحة هذه الحكايات دليل قاطع، ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات عن أقوام لا نلتفت إلى أقوالهم؟ والذي ذهبنا إليه قولُ الزهري وابن كيسان[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: يمسح سوقها وأعناقها ويكشف الغبار عنها حُبّاً لها.

القاعدة: القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية[٢].

---

(١) الكشف والبيان ٢٠١/٨، ولباب التأويل٥٥/٦، واللباب في علوم الكتاب ٤١٩/١٦، وفتح القدير ٤٣٢/٤، وروح المعاني١٩٣/٢٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤١٢، والمحرر الوجيز٤٥٧/٢، وأضواء البيان ٢١٦/٧، وقواعد الترجيح

عند المفسرين ١/٣٢٨.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [١]

٢٢٠- مسألة: ما محل جملة المبتدأ والخبر من الإعراب في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: في موضع الحال[٢].

القول الثاني: في موضع مفعول ثان[٣].

قال الرسعني:

﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ مبتدأ وخبر في موضع الحال، أو مفعول ثان إن كان "ترى" من رؤية القلب. **والأول أجود**[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: في محل نصب على الحال[٥].

وممن قال به: ابن عطية، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وابن عاشور[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) سورة الزمر آية: ٦٠.

(٢) البسيط١٩/٣٣٠، والكشاف ٤/١٤٢، والتبيان ٢/١١١٢، والجامع لأحكام القرآن١٥/٢٧٤، والدر المصون٩/٤٣٨، وفتح القدير٤/٤٧٢.

(٣) البسيط١٩/٣٣٠، والكشاف ٤/١٤٢، والتبيان ٢/١١١٢، والجامع لأحكام القرآن١٥/٢٧٤، والبحر المحيط٧/٤١٩، والدر المصون٩/٤٣٨، واللباب في علوم الكتاب ١٦/٥٣٦، وفتح القدير٤/٤٧٢.

(٤) رموز الكنوز ٦/٥٦٧.

(٥) البسيط١٩/٣٣٠، والكشاف ٤/١٤٢، والتبيان ٢/١١١٢، والجامع لأحكام القرآن١٥/٢٧٤، والدر المصون٩/٤٣٨، وفتح القدير٤/٤٧٢.

(٦) المحرر الوجيز٤/٥٣٩، والبحر المحيط٧/٤١٩، والدر المصون٩/٤٣٨، والتحرير والتنوير٢٤/٥٠.

أ- قال أبو حيان: الظاهر أن الرؤية من رؤية البصر، وأن ﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ جملة في موضع الحال[١].

ب- قال السمين الحلبي: العامة على رفعهما، وهي جملةٌ من مبتدأ وخبر. وفي محلِّها وجهان، أحدهما: النصب على الحال من الموصولات؛ لأن الرؤية بصريةٌ. والثاني: أنها في محل نصب مفعولاً ثانياً؛ لأن الرؤية قلبيةٌ. وهو بعيدٌ لأن تعلُّق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهرُ من تعلق القلبية بهما[٢].

القول الثاني: في محل نصب مفعول ثان.

ذكره المفسرون ولم ينسبوه لأحد[٣].

حاصل الدراسة:

﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ العامة على رفعهما، وهي جملةٌ من مبتدأ وخبر. وفي محلِّها وجهان، أحدهما: النصب على الحال من الموصولات؛ لأن الرؤية بصريةٌ، وكذا أعربها الزمخشري. والثاني: أنها في محل نصب مفعولاً ثانياً؛ لأن الرؤية قلبيةٌ. وهو بعيدٌ لأن تعلُّق الرؤية البصرية بالأجسام وألوانها أظهرُ من تعلق القلبية بهما[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح:أنها في محل نصب على الحال، وهو قول أهل اللغة، وترجيح الرسعني.
القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة[٥].

---

(١) البحر المحيط٧/٤١٩.

(٢) الدر المصون٩/٤٣٨، واللباب في علوم الكتاب ١٦/٥٣٦.

(٣) البسيط١٩/٣٣٠، والكشاف ٤/١٤٢، والتبيان ٢/١١١٢، والجامع لأحكام القرآن١٥/٢٧٤، والبحر المحيط٧/٤١٩، والدر المصون٩/٤٣٨، واللباب في علوم الكتاب ١٦/٥٣٦، وفتح القدير٤/٤٧٢.

(٤) الكشاف ٤/١٤٢، والبحر المحيط٧/٤١٩، والدر المصون٩/٤٣٨، واللباب في علوم الكتاب ١٦/٥٣٦، والتحرير والتنوير٢٤/٥٠.

(٥) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [١]

٢٢١- مسألة: إلام يرجع الضمير في قوله :﴿ بَيْنَهُم ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: بين العباد[٢].

القول الثاني: بين الملائكة[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ أي: بين العباد.

وقيل: بين الملائكة، على معنى: فضّل بينهم بتمييز درجاتهم على حسب فضائلهم.

والأول أصح[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: بين العباد. [٥]

وممن قال به:

السمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، والخازن، وابن كثير، والشوكاني[٦].

---

(١) سورة الزمر آية: ٧٥.

(٢) بحر العلوم٣/١٨٨، والبسيط ١٩/٣٤٨، ومعالم التنزيل ٤/٣١، وزاد المسير ٤/٢٨، والتسهيل ٣/٢٠٠، ولباب التأويل٦/٨٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٢/١٦٣، وفتح القدير ٤/٤٧٩.

(٣) التسهيل ٣/٢٠٠، والبحر المحيط٧/٤٢٥، وإرشاد العقل السليم٧/٢٦٥، وفتح القدير ٤/٤٧٩.

(٤) رموز الكنوز ٦/٥٨٣.

(٥) إرشاد العقل السليم٧/٢٦٥،

(٦) بحر العلوم٣/١٨٨، والبسيط ١٩/٣٤٨، ومعالم التنزيل ٤/٣١، وزاد المسير ٤/٢٨، والتسهيل ٣/٢٠٠،

ومن أقوالهم:

أ- قال السمرقندي: أي: بين الخلق، وهو تأكيد لما سبق من قوله: ﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [١] [٢].

ب- قال الواحدي: ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ بين الخلائق ناطق بالعدل[٣].

ج- قال الشوكاني: أي: بين العباد بإدخال بعضهم الجنة وبعضهم النار، وقيل: بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين أممهم بالحق، وقيل: بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب درجاتهم والأول أولى[٤].

القول الثاني: بين الملائكة[٥].

وممن قال به: أبو حيان.

ومن أقوالهم:

قال أبو حيان: والظاهر عود الضمير من بينهم على الملائكة، إذ ثوابهم، وإن كانوا معصومين، يكون على حسب تفاضل مراتبهم. فذلك هو القضاء بينهم بالحق[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قضى بينهم بعضهم لبعض[٧].

٢- بين الرسل والأمم، قاله الكلبي[١]. وقال الطبري: وقضى الله بين النبيين الذين

ولباب التأويل٦/٨٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٢/١٦٣، وفتح القدير ٤/٤٧٩.

(١) سورة الزمر آية: ٦٩.

(٢) بحر العلوم٣/١٨٨.

(٣) البسيط١٩/٣٤٨.

(٤) فتح القدير ٤/٤٧٩.

(٥) التسهيل ٣/٢٠٠، والبحر المحيط٧/٤٢٥، وإرشاد العقل السليم٧/٢٦٥، وفتح القدير ٤/٤٧٩.

(٦) البحر المحيط٧/٤٢٥.

(٧) النكت والعيون ٥/١٣٩.

جيء بهم، والشهداء وأممهما بالعدل، فأسكن أهل الإيمان بالله وبما جاءت به رسله، الجنة، وأهل الكفر به وبما جاءت به رسله، النار[٢].

حاصل الدراسة:

يجوز أن يرجع الضمير في قوله: ﴿ بَيْنَهُم ﴾ إلى العباد كلهم كالموضع الأول، وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلاّ قضاء بينهم بالحق والعدل، ويحتمل أن يرجع إلى الملائكة، على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعاً لا يكون على سنن واحد، ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم، فهو القضاء بينهم بالحق[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: عود الضمير إلى العباد كلهم، لأن الآيات كلها في الخلق والفصل بينهم.
القاعدة: إعادة الضمير على المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره[٤].

---

(١) النكت والعيون ١٣٩/٥.

(٢) جامع البيان ٢٧٢/٢٠، وفتح القدير ٤٧٩/٤.

(٣) الكشاف ١٥٠/٤، والتسهيل ٢٠٠/٣، وإرشاد العقل السليم٢٦٥/٧، وفتح القدير ٤٧٩/٤.

(٤) جامع البيان ٢٩١/١٤، والبحر المحيط ٤٥٩/٥، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وروح المعاني ٨٧/١٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٠٣/٢.

قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ ﴾ [١]

٢٢٢- مسألة: ما هو وجه فتح الميم على قراءة عيسى بن عمر؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه على لفظ الأسماء الأعجمية[٢].

القول الثاني: لالتقاء الساكنين[٣].

قال الرسعني:

قال الزجاج[٤]: فأما الميم فساكنة في قراءة القُراء كلهم، إلا عيسى بن عمر فإنه حكي عنه أنه قرأ: "حَمَ" وفتح الميم، وذلك على ضربين:

أحدهما: أن تجعل "حمٓ " اسماً للسورة، فتنصبه ولا تنونه؛ لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية، نحو: هابيل وقابيل، ويكون المعنى على قولك: اتل حمٓ يا هذا.

والأجود أن يكون فَتَحَ "حمٓ"؛ لالتقاء الساكنين، حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حرف هجاء.

وقال الزمخشري[٥]: وجه الفتح: التحريك لالتقاء الساكنين، وإيثار أخف الحركات، نحو: أين وكيف، أو النصب بإضمار "اقرأ"، ومنع الصرف للتأنيث والتعريف، أو التعريف وأنها على زنة أعجمي، نحو: قابيل وهابيل[٦].

---

(١) سورة غافر آية: ١.

(٢) الكشاف ١٥٢/٤، وزاد المسير ٣٠/٤، ومفاتيح الغيب ٢٣/٢٧، والبحر المحيط٤٢٩/٧، والدر المصون٤٥١/٩، واللباب في علوم الكتاب٣/١٧، وفتح القدير٤٨٠/٤.

(٣) الكشاف ١٥٢/٤، وزاد المسير ٣٠/٤، ومفاتيح الغيب ٢٣/٢٧، والبحر المحيط٤٢٩/٧، والدر المصون٤٥١/٩، واللباب في علوم الكتاب٣/١٧، وفتح القدير٤٨٠/٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج٣٦٥/٤.

(٥) الكشاف ١٥٢/٤.

(٦) رموز الكنوز ٥٨٦/٦.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: على لفظ الأسماء الأعجمية، نحو: هابيل وقابيل، ويكون المعنى على قولك: اتل حمّ يا هذا.

ذكره المفسرون في كتبهم ولم ينسبوه لأحد[١].

القول الثاني: فَتَحَ "حمّ"؛ لالتقاء الساكنين، حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حرف هجاء[٢].

وممن قال به: ابن الجوزي[٣].

ومن أقوالهم: قال ابن الجوزي: والأجود أن يكون فتح لالتقاء الساكنين حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حروف الهجاء[٤].

حاصل الدراسة:

قرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بفتح الميم على التحريك، وهي تحتمل وجهين، أحدهما: أنها منصوبةٌ بفعلٍ مقدرٍ أي: اقرأ حم، وإنما منعت من الصرف للعلمية والتأنيث، أو للعلمية وشبه العُجمة. وذلك أنه ليس في الأوزان العربية وزنُ فاعيل بخلاف العجمية، نحو: قابيل وهابيل. والثاني: أنها حركةُ بناءٍ تخفيفاً كأينَ وكيف[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن كلا التوجيهين صحيح ومحتمل، عند أهل اللغة. وإن كان الأقرب أن

---

(١) الكشاف ١٥٢/٤، وزاد المسير ٣٠/٤، ومفاتيح الغيب ٢٣/٢٧، والبحر المحيط٤٢٩/٧، والدر المصون٤٥١/٩، واللباب في علوم الكتاب٣/١٧، وفتح القدير٤٨٠/٤.

(٢) الكشاف ١٥٢/٤، وزاد المسير ٣٠/٤، ومفاتيح الغيب ٢٣/٢٧، والبحر المحيط٤٢٩/٧، والدر المصون٤٥١/٩، واللباب في علوم الكتاب٣/١٧، وفتح القدير٤٨٠/٤.

(٣) زاد المسير ٣٠/٤.

(٤) زاد المسير ٣٠/٤.

(٥) البحر المحيط٤٢٩/٧، والدر المصون٤٥١/٩، وروح المعاني٤٠/٢٤.

يكون لالتقاء الساكنين.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة[١].

(١) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨ ﴾ [١]

٢٢٣- مسألة: ما المراد بيوم الأزفة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يوم القيامة[٢].

القول الثاني: يوم حضور المنية[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ ﴾ وهو يوم القيامة، سمي بذلك؛ لأزوفه، وهو قربه، ومنه: ﴿ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴾ [٤].

وقيل: هو يوم حضور المنية.

والأول أصح[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: وهو يوم القيامة. وسميت القيامة بذلك لقربها يقال أزف شخوص فلان، أي: قرب غير أن فيه إشعاراً بضيق الوقت[٦].

---

(١) سورة غافر آية: ١٨.

(٢) معالم التنزيل٤/٣٩، والكشاف٤/١٦٢، وزاد المسير٤/٣٣، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٠٢، وإرشاد العقل السليم٧/٢٧٢.

(٣) زاد المسير٤/٣٣، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٠٢، وروح المعاني ٢٤/٥٨.

(٤) سورة النجم آية: ٥٧.

(٥) رموز الكنوز ٦/٦٠٠.

(٦) معالم التنزيل٤/٣٩، والكشاف٤/١٦٢، وزاد المسير٤/٣٣، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٠٢، وإرشاد العقل السليم٧/٢٧٢.

وممن قال به:

١- مجاهد، وقتادة، وابن زيد، وابن قتيبة[١].

٢- ابن عطية، والقرطبي، وابن جزي الكلبي، وابن كثير[٢].

واستدلوا: بقوله تعالى في صفة يوم القيامة: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [٣]

٢- وقوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[٤]

٣- وقوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [٥]

٤- وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [٦]

٥- ومنه قول النابغة الذبيان :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد[٧]

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن كثير: يوم الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لاقترابها[٨].

ب- قال الشوكاني: أي يوم القيامة ...وقيل: إن يوم الآزفة هو يوم حضور الموت

---

(١) المحرر الوجيز٤/٥٥٢، وروح المعاني ٢٤/٥٨.

(٢) المحرر الوجيز٤/٥٥٢، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٠٢، والتسهيل٤/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٢/١٨١.

(٣) سورة النجم آية ٥٧-٥٨.

(٤) سورة القمر آية: ١.

(٥) سورة الأنبياء آية: ١.

(٦) سورة الأحزاب آية: ٦٣.

(٧) الجامع لأحكام القرآن١٥/٣٠٢، وفتح القدير٤/٤٨٥، وأضواء البيان ٦/٣٨٠.

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٢/١٨١.

والأول أولى[١].

القول الثاني: هو يوم حضور المنية[٢].

وممن قال به : قطرب، وأبو مسلم[٣].

واستدلوا بما يلي: ١- أنه كما في قوله تعالى:﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴾ [٤]

٢- وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾ [٥]

ومن أقوالهم: قال أبو مسلم : (يوم الآزفة) يوم المنية وحضور الأجل[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن يريد بيوم الآزفة: وقت الخطة الآزفة، وهي مشارفة أهل النار دخولها، فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارّها فتلصق بحناجرهم، فلا هي تخرج فيموتوا، ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروّحوا، ولكنها معترضة كالشجا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةً سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [٧] [٨].

حاصل الدراسة:

المقصود من هذه الآية وصف يوم القيامة بأنواع أخرى من الصفات الهائلة المهيبة، ومعنى ﴿ ٱلۡأٓزِفَةِ ﴾ القريبة من أزف الشيء إذا قرب، و ﴿ ٱلۡأٓزِفَةِ ﴾ في الآية صفة لمحذوف قد علم واستقر في النفوس هوله فعبر عنه بالقرب تخويفاً والتقدير: يوم الساعة الآزفة أو

---

(١) فتح القدير٤/٤٨٥.

(٢) إرشاد العقل السليم٧/٢٧٢، وفتح القدير٤/٤٨٥.

(٣) زاد المسير٤/٣٣، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٠٢، وروح المعاني ٢٤/٥٨.

(٤) سورة الواقعة آية: ٨٣.

(٥) سورة القيامة آية: ٢٦.

(٦) روح المعاني ٢٤/٥٨.

(٧) سورة الملك آية: ٢٧.

(٨) الكشاف٤/١٦٢، وإرشاد العقل السليم٧/٢٧٢.

الطامة الآزفة ونحو هذا، فكما لو قال وأنذرهم الساعة لعلم هولها بما استقر في النفوس من أمرها فكذلك علم هنا إذا جاء بصفتها التي تقتضي حلولها واقترابها[١].

وقالوا أن المراد بيوم الآزفة: وقت الآزفة وهي مسارعتهم إلى دخول النار، فإن عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف.

وقال أبو مسلم يوم الآزفة يوم المنية وحضور الأجل، والذي يدل عليه: أنه تعالى وصف يوم القيامة بأنه: ﴿ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ ، و ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَ ﴾ ، ثم قال بعده ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ ﴾ فوجب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم.

وأيضاً هذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات بيوم الموت قال تعالى: ﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴾ [٢]، وقال: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾ [٣]، وأيضاً فوصف يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب.

وأيضاً: الصفات المذكورة بعد قوله: ﴿ ٱلۡأٓزِفَةِ ﴾ لائقة بيوم حضور الموت؛ لأن الرجل عند معاينة ملائكة العذاب يعظم خوفه، فكأن قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف، ويبقوا كاظمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من شدة الخوف ولا يكون لهم حميم ولا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف والقلق[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن يوم الآزفة هو يوم القيامة، وهو ترجيح المفسرين، ولاستدلالهم من القرآن، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٥].

---

(١) المحرر الوجيز٤/٥٥٢.

(٢) سورة الواقعة آية: ٨٣-٨٤.

(٣) سورة القيامة آية: ٢٦.

(٤) مفاتيح الغيب٢٧/٤٤، واللباب في علوم الكتاب١٧/٢٧-٢٩.

(٥) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[١]

٢٢٤- مسألة: هل الرجل المؤمن من قوم فرعون؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كان المؤمن من قوم فرعون، قد آمن بموسى، وكتم إيمانه[٢].

القول الثاني: كان المؤمن إسرائيلياً[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ قال ابن عباسﷺ: لم يكن مؤمن غيره وغير امرأة فرعون، والرجل الذي قال لموسى: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ ﴾[٤].

قال السدي ومقاتل: كان ابن عم فرعون.

وقال ابن السائب: كان اسمه عزقيل، وكان ملكاً على نصف الناس، وله الملك من بعد فرعون ... وقيل: كان المؤمن إسرائيلياً. **والأول أصح.**

وكان إيمانه بموسى. وقيل: كان مؤمناً قبل مجيء موسى.

والأول أظهر[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة غافر آية: ٢٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٦٦/١٠، وبحر العلوم١٩٥/٣، والنكت والعيون ١٥٢/٥، ومعالم التنزيل ٤١/٤، وزاد المسير ٣٥/٤، والبحر المحيط٤٤١/٧، ولباب التأويل ٩٣/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٨/١٧.

(٣) جامع البيان ٣١١/٢٠، ومعالم التنزيل ٤١/٤، وزاد المسير ٣٥/٤، والبحر المحيط٤٤١/٧، ولباب التأويل ٩٣/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٨/١٧.

(٤) سورة القصص آية: ٢٠.

(٥) رموز الكنوز ٦٠٧/٦-٦٠٨.

القول الأول: كان المؤمن قبطياً من قوم فرعون، قد آمن بموسى، وكتم إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه[١].

وممن قال به: السدي، ومقاتل، والطبري[٢].

واستدلوا: بقول السدي، ومقاتل: كان ابن عم فرعون[٣].

ومن أقوالهم:

قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السدي، من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله وقيله ما قال، وقال له: ما أُريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. ولو كان إسرائيليا لكان حرياً أن يُعاجل هذا القائل له وملئه ما قال، بالعقوبة على قوله؛ لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل؛ لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً، ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله وكف عما كان هم به في موسى[٤].

القول الثاني: كان المؤمن إسرائيلياً، وليس من آل فرعون، وجعل آل فرعون متعلقاً بقوله : ﴿ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ ، لا في موضع الصفة لرجل، كما يدل عليه الظاهر[٥].

وممن قال به: عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه[٦].

واستدلوا: بقول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه: هو رجل من بني إسرائيل يكتم إيمانه من

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٦٦/١٠، وبحر العلوم١٩٥/٣، والنكت والعيون ١٥٢/٥، ومعالم التنزيل ٤١/٤، وزاد المسير ٣٥/٤، والبحر المحيط٤٤١/٧، ولباب التأويل ٩٣/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٨/١٧.

(٢) جامع البيان ٣١١/٢٠، والنكت والعيون ١٥٢/٥، ومعالم التنزيل ٤١/٤.

(٣) جامع البيان٣١١/٢٠ ، وتفسير مقاتل ١٤٧/٣، والنكت والعيون ١٥٢/٥.

(٤) جامع البيان ٣١٢/٢٠.

(٥) جامع البيان ٣١١/٢٠، ومعالم التنزيل ٤١/٤، وزاد المسير ٣٥/٤، والبحر المحيط٤٤١/٧، ولباب التأويل ٩٣/٦، واللباب في علوم الكتاب٣٨/١٧.

(٦) البسيط ٣٨٠/١٩.

آل فرعون[١].

ويكون في هذه الآية على هذا القول تقديم وتأخير كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه[٢].

حاصل الدراسة:

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون، قال السدي: كان ابن عم فرعون، ويقال إنه الذي نجا مع موسى عليه السلام، واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً؛ لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام، ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يعاجل بالعقوبة؛ لأنه منهم. وقال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون، والذي قال ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ رواه ابن أبي حاتم وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون: ﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾[٣][٤].

وقال ابن الجوزي: الأكثرون على أنه آمن بموسى لما جاء وهو الظاهر. وقال الحسن: كان مؤمناً قبل مجيء موسى[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: كان المؤمن قبطياً من قوم فرعون، آمن بموسى، وهو ترجيح الرسعني.
القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٦].

---

(١) البسيط ٣٨٠/١٩.

(٢) معاني القرآن للزجاج٣٧١/٤.

(٣) سورة غافر آية: ٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٥/١٢.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين١٣١/٤، والنكت والعيون ١٥٢/٥، وزاد المسير ٣٥/٤.

(٦) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [١]

٢٢٥- مسألة: ما المراد بالجلود في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الجلود نفسها[٢].

القول الثاني: الأيدي والرجل[٣].

القول الثالث: الفروج[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ ﴾ **الأظهر**: أنها الجلود المعروفة.

وقيل: الأيدي والأرجل.

وقال السدي: هي الفروج.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كلا القولين[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الجلود نفسها، أو بشراتهم[٦].

وممن قال به: الماوردي، وأبو حيان، والشوكاني، والألوسي[١].

---

(١) سورة فصلت آية: ٢١.

(٢) النكت والعيون٥/١٧٦، والبحر المحيط ٤٧١/٧، وفتح القديرة٥١١/٤، وروح المعاني١١٥/٢٤.

(٣) النكت والعيون٥/١٧٦، وزاد المسير ٤٩/٤.

(٤) معاني القرآن للفراء١٦/٣، وجامع البيان ٤٠٦/٢٠، والنكت والعيون٥/١٧٦، والبسيط ٤٤٧/١٩، والمحرر الوجيز١١/٥، وزاد المسير ٤٩/٤، وفتح القديرة٥١١/٤.

(٥) رموز الكنوز ١٨/٧.

(٦) المحرر الوجيز١١/٥، وزاد المسير ٤٩/٤، ولباب التأويل١٠٩/٦.

ومن أقوالهم:

أ- قال الماوردي: جلودهم أنفسها وهو الظاهر[٢].

ب- قال أبو حيان: والظاهر أن الجلود هي المعروفة[٣].

ج- قال الشوكاني: والمراد بالجلود هي جلودهم المعروفة في قول أكثر المفسرين، وقال السدي وعبيد الله بن أبي جعفر والفراء أراد بالجلود الفروج، والأول أولى[٤].

د- قال الألوسي: ولعل إرادة الظاهر أولى[٥].

القول الثاني: الأيدي والرجل.

وممن قال به: ابن عباسﷺ[٦].

القول الثالث: كنى بها عن الفروج[٧].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، والسدي، والكلبي، والحكم الثقفي[٨]، وعبيد الله بن أبي جعفر[٩]، وابن زيد، والفراء[١٠].

واستدلوا: بقول ابن عباس رضى الله عنهما: أن المراد بشهادة الجلود: شهادة الفروج،

---

(١) النكت والعيون٥/١٧٦، والبحر المحيط ٤٧١/٧، وفتح القدير٥١١/٤، وروح المعاني١١٥/٢٤.

(٢) النكت والعيون٥/١٧٦.

(٣) البحر المحيط ٤٧١/٧.

(٤) فتح القدير٥١١/٤.

(٥) روح المعاني١١٥/٢٤.

(٦) النكت والعيون٥/١٧٦، وزاد المسير ٤٩/٤.

(٧) النكت والعيون٥/١٧٦، والبحر المحيط ٤٧١/٧، ولباب التأويل١٠٩/٦.

(٨) هو: الحكم الثقفي روى عن خاله عن ابن عباس، ولم تذكر كتب التراجم عن نسبه شيء. انظر: التاريخ الكبير٣٤٢/٢، والجرح والتعديل١٣١/٣.

(٩) هو: عبيد الله بن أبي جعفر المصري أبو بكر الفقيه أحد الأعلام عن الشعبي وأقرانه وعنه بن إسحاق والناس مات ١٣٦هـ. انظر: الكاشف٦٧٩/١، وتقريب التهذيب٣٧٠/١.

(١٠) معاني القرآن للفراء١٦/٣، وجامع البيان ٤٠٦/٢٠، والنكت والعيون١٧٦/٥، والبسيط ٤٤٧/١٩، والمحرر الوجيز١١/٥، وزاد المسير ٤٩/٤، وفتح القدير٥١١/٤.

وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى: ﴿ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ [١].

ومن أقوالهم:

قال محمد: وأصل الكلمة : أن الجلود كناية عن الفروج[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- هي الجوارح كنى بها عنها[٣].

حاصل الدراسة:

اختلف الناس ما المراد بالجلود فقال جمهور الناس هي الجلود المعروفة، وعليه أكثر المفسرين. وقيل: الأيدي والأرجل، وقيل: كنى بها عن الفروج. وقول ابن جرير أقربهم للمعنى الصحيح، قال: وهذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه في معنى الجلود وإن كان معنى يحتمله التأويل فليس بالأغلب على معنى الجلود، ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها الجلود نفسها المعروفة، وهو الظاهر من الآية، وقول أكثر المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٥].

---

(١) إرشاد العقل السليم٨/١٠.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين٤/١٤٩.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين٤/١٤٩، والبحر المحيط ٤٧١/٧.

(٤) جامع البيان ٤٠٦/٢٠.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [١]

٢٢٦- مسألة: من المراد بقوله: ﴿ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عمار بن ياسر رضي الله عنه[٢].

القول الثاني: رسول الله ﷺ[٣].

القول الثالث: عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٤].

القول الرابع: عثمان بن عفان رضي الله عنه[٥].

القول الخامس: حمزة رضي الله عنه[٦].

القول السادس: عام في كل مؤمن رضي الله عنه[٧].

قال الرسعني:

---

(١) سورة فصلت آية: ٤٠.

(٢) الكشف والبيان ٢٩٨/٨، والنكت والعيون٥/١٨٥، والمحرر الوجيز ١٨/٥، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٦٦، ولباب التأويل٦/١١٣، واللباب في علوم الكتاب١٧/١٤٥.

(٣) تفسير مقاتل٣/١٦٨، وبحر العلوم ٢١٨/٣، والنكت والعيون٥/١٨٥، وزاد المسير ٥٤/٤، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٦٦، وفتح القدير٤/٥١٩.

(٤) النكت والعيون٥/١٨٥، وزاد المسير ٥٤/٤، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٦٦، وفتح القدير٤/٥١٩.

(٥) المحرر الوجيز ١٨/٥، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٦٦، ولباب التأويل٦/١١٣، واللباب في علوم الكتاب١٧/١٤٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن١٥/٣٦٦، ولباب التأويل٦/١١٣، واللباب في علوم الكتاب١٧/١٤٥، وفتح القدير٤/٥١٩.

(٧) بحر العلوم ٢١٨/٣، والنكت والعيون٥/١٨٥، وزاد المسير ٥٤/٤، والجامع لأحكام القرآن١٥/٣٦٦، والتسهيل ١٥/٤، وفتح القدير٤/٥١٩.

﴿ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ وهو عمار بن ياسر، في قول عكرمة.

ورسول الله ﷺ، في قول ابن السائب ومقاتل.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، في قول ابن زياد.

وحكى الثعلبي: أنه عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وحكى الواحدي: أنه حمزة رضي الله عنه.

والظاهر: أنه عام في كل مؤمن وكافر[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: عمار بن ياسر رضي الله عنه [٢].

وممن قال به: عكرمة.

القول الثاني: رسول الله ﷺ.

وممن قال به: ابن السائب، ومقاتل[٣].

القول الثالث: عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٤].

وممن قال به: ابن زياد.

القول الرابع: عثمان بن عفان رضي الله عنه [٥].

---

(١) رموز الكنوز٣٦/٧.

(٢) الكشف والبيان ٢٩٨/٨، والنكت والعيون١٨٥/٥، والمحرر الوجيز ١٨/٥، والجامع لأحكام القرآن٣٦٦/١٥، ولباب التأويل١١٣/٦، واللباب في علوم الكتاب١٤٥/١٧.

(٣) تفسير مقاتل١٦٨/٣، وبحر العلوم ٢١٨/٣، والنكت والعيون١٨٥/٥، وزاد المسير ٥٤/٤، والجامع لأحكام القرآن٣٦٦/١٥، وفتح القدير٥١٩/٤.

(٤) النكت والعيون١٨٥/٥، وزاد المسير ٥٤/٤، والجامع لأحكام القرآن٣٦٦/١٥، وفتح القدير٥١٩/٤.

(٥) المحرر الوجيز ١٨/٥، والجامع لأحكام القرآن٣٦٦/١٥، ولباب التأويل١١٣/٦، واللباب في علوم الكتاب١٤٥/١٧.

وممن قال به: الثعلبي[١].

القول الخامس: حمزة ﷺ [٢].

وممن قال به:

حكاه الواحدي عن ابن عباسﷺ، ومقاتل[٣].

القول السادس: عام في كل مؤمنﷺ.

وممن قال به: ابن بحر، وابن جزي الكلبي، والشوكاني[٤].

ومن أقوالهم:

قال ابن جزي الكلبي: الذي يأتي آمناً عثمان بن عفان، وقيل: عمار بن ياسر واللفظ أعم من ذلك[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أبو بكر الصديقﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباسﷺ [٦].

٢- قيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى[٧].

٣- قيل: المؤمنون[٨].

---

(١) الكشف والبيان ٢٩٨/٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن٣٦٦/١٥، ولباب التأويل١١٣/٦، واللباب في علوم الكتاب١٤٥/١٧، وفتح القدير٥١٩/٤.

(٣) الوسيط ٣٧/٤، والبسيط٤٦٥/١٩.

(٤) بحر العلوم ٢١٨/٣، والنكت والعيون١٨٥/٥، وزاد المسير ٥٤/٤، والجامع لأحكام القرآن٣٦٦/١٥، والتسهيل ١٥/٤، وفتح القدير٥١٩/٤.

(٥) التسهيل ١٥/٤.

(٦) زاد المسير ٥٤/٤.

(٧) الجامع لأحكام القرآن٣٦٦/١٥، وفتح القدير٥١٩/٤.

(٨) البسيط٤٦٥/١٩، والجامع لأحكام القرآن٣٦٦/١٥.

حاصل الدراسة:

الاستفهام للتقرير، والغرض منه التنبيه على أن الملحدين في الآيات يلقون في النار وأن المؤمنين بها يأتون آمنين يوم القيامة، وظاهر الآية العموم اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[١] فالذي يلقى في النار الكافر والذي يأتي آمنا يوم القيامة المؤمن[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد به المؤمن، فلا دليل على التخصيص، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٣].

---

(١) فتح القدير٤/٥١٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن١٥/٣٦٦.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١)

٢٢٧- مسألة: ما هي القراءات في قوله تعالى: ﴿ عَمًى ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "عمىً" بفتح الميم(٢).

القول الثاني: "عمٍ" بكسر الميم(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى ﴾ وقرأ جماعة، منهم: ابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص: "عمٍ" بكسر الميم، وقراءة الأكثرين **أرجح**، وهي اختيار أبي عبيد؛ لقوله: ﴿ هُدٗى وَشِفَآءٞ ﴾ (٤)، فكذلك "عمى" مصدر مثلهما، قال: ولو أنهما "هادٍ وشافٍ" لكان الكسر في "عمٍ" أجود؛ ليكون نعتاً مثلهما(٥).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "عمىً" بفتح الميم على المصدر، وهي قراءة العامة.

وممن قال به: أبو عبيدة، والطبري(٦).

واستدلوا بقوله قبلها: ﴿ هُدٗى وَشِفَآءٞ ﴾ ، وهي مصدر.

---

(١) سورة فصلت آية: ٤٤.

(٢) جامع البيان ٢٠/ ٤٥٠، والدر المصون٩/٥٣٢، وفتح القدير٤/٥٢٠.

(٣) البحر المحيط ٧/٤٨١، والدر المصون٩/٥٣٢، ومختصر الشواذ لابن خالويه ص١٣٤.

(٤) سورة فصلت آية: ٤٤.

(٥) رموز الكنوز٧/٤١.

(٦) جامع البيان ٢٠/ ٤٥٠، والدر المصون٩/٥٣٢، وفتح القدير٤/٥٢٠.

ومن أقوالهم:

أ- قال أبو عبيدة: وهو الوجه لقوله: ﴿ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ ، وكذلك "عمى" هو مصدر مثلها، ولو كان "هادٍ وشافٍ" لكان الكسر في "عمٍ" أجود؛ فيكون نعتاً مثلهما[١].

ب- قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراءة الأمصار[٢].

القول الثاني: "عمٍ" بكسر الميم على وجه النعت للقرآن[٣].

وممن قرأ به: جماعة، منهم: ابن عباس، وعمرو بن العاص[٤]، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم[٥][٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قرأ عمرو بن دينار، وسليمان بن قتة[٧] عن ابن عباس رضي الله عنه بكسر الميم وفتح الياء على أنه فعل ماض. وهذه القراءة أيضا فيها استعارة[٨].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ عَمًى ﴾ العامة على فتح الميم المنونة، وهو مصدر لعَمِي يَعْمَى عَمًى، نحو: صَدِيَ يَصْدَى صَدًى وهَوِيَ يَهْوَى هَوًى. وقرأ ابن عباس، وابن عمر، وابن الزُّبير رضي الله عنهم

---

(١) البسط ٤٧١/١٩، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٩/١٥، ولم أقف عليه عند أبي عبيدة.

(٢) جامع البيان ٤٥٠/٢٠.

(٣) البحر المحيط ٤٨١/٧، والدر المصون٥٣٢/٩، ومختصر الشواذ لابن خالويه ص١٣٤.

(٤) هو: عمرو بن العاص بن وائل السهمي، هاجر في صفر سنة ثمان، عنه ابنه عبد الله ومولاه أبو قيس وأبو النهدي، توفي ليلة الفطر ٤٢ هـ. انظر: الكاشف ٨٠/٢، وتقريب التهذيب٤٢٣/١.

(٥) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو بكر وأبو خبيب أمير المؤمنين سنة ٦٤ ، ومات شهيداً في حصر الحجاج له بالبيت العتيق سنة ثلاث وسبعين. انظر: الكاشف ٥٥٢/١، وتقريب التهذيب ٣٠٣/١.

(٦) جامع البيان ٤٥٠/٢٠، والجامع لأحكام القرآن٣٦٩/١٥، وفتح القدير٥٢٠/٤.

(٧) هو: سليمان بن قته التيمي مولاهم البصري. انظر: التاريخ الكبير ٣٢/٤، والثقات ٣١١/٤.

(٨) المحرر الوجيز ٢١/٥، والدر المصون٥٣٢/٩، وفتح القدير٥٢٠/٤.

وجماعةٌ عم بكسر هنا منونة اسماً منقوصاً، وصف بذلك مجازاً. وقرأ عمرو بن دينار، ورُويت عن ابن عباسﷺ: " عَمِيَ " بكسر الميم وفتح الياء فعلاً ماضياً. وهذه القراءة مخالفة للمصحف فإن قال قائل الإسناد صحيح. قيل له: الإجماع أولى على أن الإسناد فيه شيء، وذلك أن عمرو بن دينار لم يقل سمعت ابن عباسﷺ فيخاف أن يكون مرسلاً، وسليمان بن قتة ليس بنظير عمرو بن دينار على أن يعقوب القارئ على محله من الضبط قد قال في هذا الحديث: "ما أدري أقرءوا (وهو عليهم عم) أو (وهو عليهم عمي) على أنه فعل ماض، ومع إجماع الجمع سوى من ذكرناه والذي في المصحف أن المعنى بعمى أشبه؛ لأنه قال جل وعز: ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ ﴾ فالأشبه بهذا أعمى[1].

المناقشة والترجيح:

الراجح:قراءة "عمىً" بفتح الميم على المصدر. وهي قراءة العامة، وترجيح الرسعني.
القاعدة: الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى[2].

---

(1) إعراب القرآن للنحاس٤/٦٥، والدر المصون٩/٥٣٢، واللباب في علوم الكتاب١٧/١٥١.

(2) جامع البيان ١٨/٣٤١، ومعاني القرآن للزجاج ٥/٢٩٨، وإعراب القرآن للنحاس ٥/١٧٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/١١٠.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١)

٢٢٨- مسألة: علام يعود الضمير في قوله: ﴿ قَالُوٓاْ ﴾؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المشركين(٢).

القول الثاني: الشركاء(٣).

قال الرسعني:

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعني: المشركين. وقيل: الشركاء. والأول **أظهر**(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: المشركين(٥).

وممن قال به: عطاء ومقاتل، والطبري، والبغوي، وابن جزي الكلبي، والألوسي(٦).

ومن أقوالهم:

أ- قال أبو حيان: الظاهر أن الضمير في قالوا عائد على المنادين؛ لأنهم المحدث معهم(٧).

---

(١) سورة فصلت آية: ٤٧.

(٢) جامع البيان ٤٥٦/٢٠، ومعالم التنزيل ٧١/٤، والتسهيل١٦/٤، وروح المعاني٣/٢٥.

(٣) الكشف والبيان٢٩٩/٨، والكشاف ٢٠٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٧١/١٥، وإرشاد العقل السليم ١٨/٨.

(٤) رموز الكنوز ٤٣/٧.

(٥) البسيط ٤٧٤/١٩، والكشاف ٢٠٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٧١/١٥، وإرشاد العقل السليم ١٨/٨.

(٦) جامع البيان ٤٥٦/٢٠، والكشف والبيان٢٩٩/٨، ومعالم التنزيل ٧١/٤، وزاد المسير٥٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٧١/١٥، والتسهيل١٦/٤، وروح المعاني٣/٢٥.

(٧) البحر المحيط ٤٨٢/٧.

ب- قال الشوكاني: لما عاينوا القيامة تبرءوا من الشركاء، وتبرأت منهم تلك الأصنام التي كانوا يعبدونها وقيل إن القائل بهذا هي المعبودات التي كانوا يعبدونها أي ما منا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين، والأول أولى[١].

القول الثاني: الشركاء[٢].

وممن قال به: الكلبي، والقتبي، وهو اختيار الفراء، وابن قتيبة[٣].

ومن أقوالهم:

قال القتبي: هذا قول الآلهة التي كانوا يعبدون في الدنيا[٤].

حاصل الدراسة:

يوم ينادي الله المشركين ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِى ﴾ الذين زعمتم في الدنيا أنها آلهة تشفع ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعني: الأصنام، وقيل: المشركون ويحتمل أن يريدهم جميعاً العابد والمعبود[٥]. والقول أنهم المشركين أظهر لمعنى الآية. لعودة الضمير لأقرب مذكور وهم المشركين الذين خاطبهم الله. والله أعلم.

المناقشة والترجيح:

الراجح: عودة الضمير للمشركين، وهو ترجيح الرسعني.
القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٦].

---

(١) فتح القدير٤/٥٢٢.

(٢) الكشف والبيان٨/٢٩٩، والكشاف ٤/٢٠٩، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٧١، وإرشاد العقل السليم ٨/١٨.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/٢٠، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٩٠، وزاد المسير ٤/٥٥.

(٤) بحر العلوم ٣/٢٢٠.

(٥) الكشف والبيان٨/٢٩٩، والجامع لأحكام القرآن ١٥/٣٧١.

(٦) جامع البيان ١٢/٢٤٧، والإحكام لابن حزم ٤/٤٣٥، والمحرر الوجيز ١/٤٨٥، ومفاتيح الغيب١٠/١٩، ومجموع الفتاوى ١٥/١١٢، والبحر المحيط ٢/٦، والتسهيل ٢/٩٧، والبرهان في علوم القرآن ٤/٣٩، وأضواء البيان ٣/٣٩٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٢١.

قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ ﴾ [١]

٢٢٩- مسألة: ما المشار إليه في قوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المشار إليه القرآن[٢].

القول الثاني: المشار إليه التوحيد[٣].

قال الرسعني:

قال ابن السائب: المشار إليه: القرآن.

وقال مقاتل: التوحيد.

والأجود في نظري: أن تكون الإشارة إلى ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ [٤] [٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: المشار إليه القرآن.

وممن قال به: ابن السائب[٦].

القول الثاني: المشار إليه التوحيد.

---

(١) سورة الشورى آية: ١٥.

(٢) بحر العلوم ٢٢٧/٣، والنكت والعيون ١٩٨/٥، وزاد المسير ٦٢/٤.

(٣) جامع البيان٤٨٥/٢٠، وبحر العلوم٢٢٧/٣، والنكت والعيون١٩٨/٥، والبسيط٥٠٠/١٩، ومعالم التنزيل٧٧/٤، وزاد المسير ٦٢/٤، والتسهيل١٩/٤، ولباب التأويل١١٩/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٢/١٢، وفتح القدير٥٣١/٤.

(٤) سورة الشورى آية: ١٣.

(٥) رموز الكنوز ٦٣/٧.

(٦) بحر العلوم ٢٢٧/٣، والنكت والعيون ١٩٨/٥، وزاد المسير ٦٢/٤.

وممن قال به: مقاتل، والطبري، والواحدي، والبغوي، وابن جزي الكلبي، والخازن، وابن كثير، والشوكاني[١].

ومن أقوالهم:

قال البغوي: إشارة على ما وصَّى به الأنبياء من التوحيد[٢].

حاصل الدراسة:

يقول تعالى فإلى ذلك الدين الذي شرع لكم ووصى به نوحاً وأوحاه إليك يا محمد فادع عباد الله واستقم على العمل به ولا تزغ عنه واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة.

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك في قوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ ﴾ إلى معنى فإلى هذا القرآن فادع واستقم.

والذي قال بهذا القول قريب المعنى، غير أن التوحيد أولى بتأويل الكلام؛ لأنه في سياق خبر الله جل ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد ﷺ بإقامته، ولم يأت من الكلام ما يدل على انصرافه عنه إلى غيره[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: المشار إليه التوحيد، وهو قول جمهور المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له[٤].

---

(١) جامع البيان٢٠/٤٨٥، وبحر العلوم٣/٢٢٧، والنكت والعيون٥/١٩٨، والبسيط١٩/٥٠٠، ومعالم التنزيل٤/٧٧، وزاد المسير ٤/٦٢، والتسهيل٤/١٩، ولباب التأويل٦/١١٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٢٦٢، وفتح القدير٤/٥٣١.

(٢) معالم التنزيل ٤/٧٧.

(٣) جامع البيان ٢٠/٤٨٥، وروح المعاني٢٥/٢٣.

(٤) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير ٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦ ﴾ [١]

٢٣٠- مسألة: على ماذا يعود الضمير في "له"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عود الضمير في "له" إلى الله تعالى[٢].

القول الثاني: يعود إلى النبي ﷺ[٣].

قال الرسعني:

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ ﴾ قال مجاهد: من بعد ما أسلم الناس.

وقيل: من بعد ما أقروا بالميثاق.

والأظهر عود الضمير في "له" إلى الله تعالى.

وقيل: يعود إلى النبي ﷺ.

وقيل: من بعد ما استجاب الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ دعاءه على المشركين يوم بدر[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: عود الضمير في "له" إلى الله تعالى[٥].

وممن قال به:

---

(١) سورة الشورى آية: ١٦.

(٢) المحرر الوجيز ٣١/٥، والجامع لأحكام القرآن١٤/١٦، والتسهيل ١٩/٤، وروح المعاني٢٥/٢٥.

(٣) النكت والعيون ٢٠٠/٥، والمحرر الوجيز ٣١/٥، والجامع لأحكام القرآن١٤/١٦، والتسهيل ١٩/٤، وإرشاد العقل السليم٢٨/٨.

(٤) رموز الكنوز ٦٥/٧.

(٥) المحرر الوجيز ٣١/٥، والجامع لأحكام القرآن١٤/١٦، والتسهيل ١٩/٤، وروح المعاني٢٥/٢٥.

ابن عباسﷺ، وابن زيد، والواحدي، وابن جزي الكلبي[١].

ومن أقوالهم:

قال ابن جزي الكلبي: الضمير يعود على الله أي: من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه، وقيل: يعود على الدين، وقيل: على محمدﷺ والأول أظهر وأحسن[٢].

القول الثاني: يعود إلى النبي ﷺ[٣].

وممن قال به: الزمخشري.

ومن أقوالهم:

قال الزمخشري: من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر، وأظهر دين الإسلام[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- يعود على الدين والشرع[٥].

حاصل الدراسة:

الهاء في "له" تعودُ إلى الله، أي: من بعد ما استجاب الناس لله تعالى، ووحدوه وشهدوا له بالوحدانية، أو إلى الرسول ﷺ، أي من بعد ما استجاب الله لرسوله في دعوته من أهل بدر ونصر الله المؤمنين. أو من بعدما استجاب له أهل الكتاب بأن أقروا بنبوته ﷺ واستفتحوا به قبل مبعثه.

---

(١) جامع البيان ٤٨٨/٢٠، والنكت والعيون ٢٠٠/٥، والبسيط٥٠٣/١٩، والتسهيل ١٩/٤.

(٢) التسهيل ١٩/٤.

(٣) النكت والعيون ٢٠٠/٥، والمحرر الوجيز ٣١/٥، والجامع لأحكام القرآن١٤/١٦، والتسهيل ١٩/٤، وإرشاد العقل السليم٢٨/٨.

(٤) الكشاف ٢٢٠/٤.

(٥) المحرر الوجيز ٣١/٥، والتسهيل ١٩/٤، ولباب التأويل١١٩/٦، وإرشاد العقل السليم٢٨/٨، وروح المعاني٢٥/٢٥.

وقيل: يعود لدينه وشرعه، أي: من بعد ما استجاب له الناس لدينه ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم إليه[١]. وعود الضمير لأقرب مذكور أظهر. والله أعلم.

المناقشة والترجيح:

الراجح: عود الضمير في "له" إلى الله تعالى، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن١٤/١٦، والدر المصون ٥٤٧/٩، وإرشاد العقل السليم٢٨/٨.

(٢) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب ١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [١]

٢٣١- مسألة: ما المقصود بالحسنة في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عمومها في أي حسنة كانت[٢].

القول الثاني: المودة لآل محمدﷺ[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾

الظاهر: عمومها في أي حسنة كانت.

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباسرضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ قال: المودة لآل محمد ﷺ[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: عمومها في أي حسنة كانت.

وممن قال به: الشوكاني، والألوسي[٥].

ومن أقوالهم:

قال الشوكاني: المراد بهذه الحسنة هي المودة في القربى، والحمل على العموم أولى،

---

(١) سورة الشورى آية: ٢٣.

(٢) فتح القدير٤/٥٣٤، وروح المعاني٢٥/٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن١٦/٢٤، والدر المنثور٧/٣٤٨.

(٤) رموز الكنوز ٧/٧٢.

(٥) فتح القدير٤/٥٣٤، وروح المعاني٢٥/٣٣.

ويدخل تحته المودة في القربى دخولاً أولياً[١].

القول الثاني: المودة لآل محمدﷺ[٢].

وممن قال به: ابن عباسرضي الله عنه[٣].

واستدلوا بما أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباسرضي الله عنه ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ﴾ قال: المودة لآل محمدﷺ[٤].

حاصل الدراسة:

﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ الاقتراف معنا الاكتساب، أي: يكتسب أي حسنة كانت، والكلام تذييل، وقيل: المراد بالحسنة المودة في قربى الرسول ﷺ وروي ذلك عن ابن عباس والسدي وأن الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لشدة محبته لأهل البيت. والكلام عليه تتميم ولعل الأولى حب آل الرسول عليه الصلاة والسلام من أعظم الحسنات، وتدخل في الحسنة هنا دخولاً أولياً ﴿ نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا ﴾ أي: في الحسنة ﴿ حُسْنًا ﴾ بمضاعفة الثواب عليها فإنها يراد بها حسن الحسنة[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: عمومها في أي حسنة، وحب آل محمدﷺ يدخل في الحسنة دخولاً أولياً.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٦].

---

(١) فتح القدير٤/٥٣٤.

(٢) روح المعاني٢٥/٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن١٦/٢٤، والدر المنثور٧/٣٤٨.

(٤) الدر المنثور٧/٣٤٨.

(٥) فتح القدير٤/٥٣٤، وروح المعاني٢٥/٣٣، وأضواء البيان ٧/٧٢.

(٦) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [١]

٢٣٢- مسألة: ما معنى ويستجيب الذين آمنوا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أن الفعل فيه لله[٢].

القول الثاني: أن الفعل للمؤمنين[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: يستجيب لهم، فحذف اللام، كما حذف في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ ﴾ [٤].

أو يكون المعنى: ويستجيب دعاء الذين آمنوا.

قال ابن عباسﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ قال: يشفعهم في إخوانهم، ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ ﴾ قال: يشفعهم في إخوان إخوانهم.

وقيل: المعنى: ويستجيب الذين آمنوا لله بالطاعة، جعلوا الفعل للمؤمنين. **وهو قول بعيد**؛ لأن ما قبله وبعده خبر عن الله تعالى.

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الشورى آية: ٢٦.

(٢) جامع البيان ٥٠٦/٢٠، والبسيط ٥١٥/١٩، والبحر المحيط٤٩٥/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٧٧/١٢، والتحرير والتنوير٩٢/٢٥.

(٣) زاد المسير ٦٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٦/١٦، ولباب التأويل ١٢٤/٦، والتحرير والتنوير٩٢/٢٥.

(٤) سورة المطففين آية: ٣.

القول الأول: أن الفعل فيه لله، والمعنى: يُجيبهم إذا سألوه[١].

وممن قال به:

١- روي هذا المعنى عن معاذ ابن جبل وابن عباسﷺ[٢].

٢- السدي، الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، وأبو حيان، وابن عاشور[٣].

واستدلوا بما روى قتادة عن أبي إبراهيم اللخمي ﴿ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ قال: يُشفّعون في إخوانهم ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ ﴾ قال: يُشفّعون في إخوان إخوانهم[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: والظاهر القول الأول؛ لأن ما قبله وما بعده من الأفعال مسند على الله فلذلك يستجيب وعليه دل كلام المفسرين[٥].

ب- قال ابن الجوزي: بعد ذكر القولين والأول أصح[٦].

القول الثاني: أن الفعل للمؤمنين؛ فالمعنى يُجيبونه[٧].

وممن قال به:

ذكره بعض المفسرين وأهل اللغة ولم يرجحه أحد.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦/١٦، ولباب التأويل ١٢٤/٦.

(٢) البحر المحيط٤٩٥/٧،

(٣) جامع البيان ٥٠٦/٢٠، والبسيط ٥١٥/١٩، والبحر المحيط٤٩٥/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٧٧/١٢، والتحرير والتنوير٩٢/٢٥.

(٤) جامع البيان ٥٠٧/٢٠، وزاد المسير ٦٥/٤.

(٥) البسيط ٥١٥/١٩.

(٦) زاد المسير ٦٥/٤.

(٧) زاد المسير ٦٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٦/١٦، ولباب التأويل ١٢٤/٦، والتحرير والتنوير٩٢/٢٥.

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يجوز أن يكون الموصول فاعلاً، أي: يجيبون ربهم إذا دعاهم كقوله تعالى : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [١] واستجاب كأجاب، ومنه قوله الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبُ

ويجوز أن تكون السين للطلب على بابها بمعنى: ويستدعي المؤمنون الإجابة من ربهم بالأعمال الصالحة. ويجوز أن يكون الموصول مفعولاً به والفاعل مضمر يعود على الله بمعنى: ويُجيبُ الذينَ آمنوا أي دُعَاءَهُمْ. وقيل: ثَمَّ لام مقدرة، أي: ويستجيبُ الله لِلذِينَ آمنوا، فحذفها؛ للعلم بها[٢].

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه جعل قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ ﴾ [٣] أي هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه كقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٤]والمعنى الأول أظهر لقوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ أي: يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المعنى يستجيب الله دعاء الذين آمنوا. وعليه دل كلام المفسرين[٦]، وترجيح الرسعني.

---

(١) سورة الأنفال آية: ٢٤.

(٢) الدر المصون٩/٥٥٢، واللباب في علوم الكتاب١٧/١٨٠، والتحرير والتنوير٢٥/٩٢.

(٣) سورة الزمر آية: ١٨.

(٤) سورة الأنعام آية: ٣٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٢/٢٧٧.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/٢٤، وجامع البيان٢٠/٥٠٦، وإعراب القران للنحاس ٤/٨٢، والمحرر الوجيز ٥/٣٥.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[١].

(١) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى:﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ ﴾[١]

٢٣٣- مسألة: ما معنى من طرف خفي؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: من طرف ذليل[٢].

القول الثاني: يسارقون النظر[٣].

القول الثالث: ينظرون ببعض العين[٤].

القول الرابع: ينظرون إلى النار بقلوبهم[٥].

قال الرسعني:

قال ابن عباسﷺ: "من طرف خفي": أي: ذليل.

وقال قتادة: يسارقون النظر.

وقال أبو عبيدة: ينظرون ببعض العين.

ويروى: أنهم يحشرون عُمياً فلا ينظرون إلى النار إلا بقلوبهم، وهو النظر من طرف خفي.

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الشورى آية: ٤٥.

(٢) تفسير مجاهد ٥٧٧/٢، وجامع البيان ٥٣٢/٢٠، والنكت والعيون٥/٢١٠، ومعالم التنزيل ٨٨/٤، وزاد المسير ٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٦، والبحر المحيط١٢٨/٧، وفتح القدير٥٤٣/٤.

(٣) تفسير مقاتل ١٨١/٣، وجامع البيان٥٣٢/٢٠، والنكت والعيون٥/٢١٠، والبسيط٥٣٤/١٩، ومعالم التنزيل ٨٨/٤، وزاد المسير ٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٦، ولباب التأويل١٢٨/٦، وفتح القدير٥٤٣/٤.

(٤) جامع البيان ٥٣٣/٢٠، ومعالم التنزيل ٨٨/٤، وزاد المسير ٦٩/٤.

(٥) جامع البيان ٥٣٣/٢٠، ومعالم التنزيل ٨٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٦، ولباب التأويل١٢٨/٦.

القول الأول: من طرف ذليل، وكأن معنى الكلام: من طرف قد خَفِي من ذُلِّه.

وممن قال به: العوفي عن ابن عباسﷺ، وبه قال مجاهد، والطبري، وابن كثير[١].

ومن أقوالهم:

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك، القول الذي ذكرناه عن ابن عباسﷺ ومجاهد وهو أن معناه أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، وصفه الله جل ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور فتذهب[٢].

القول الثاني: أنهم كانوا يسارقون النظر من شدة الخوف.

وممن قال به:

١- سعيد بن جبير، والقرظي، والحسن، وقتادة، والسدي، ومقاتل.

٢-ابن أبي زمنين[٣].

القول الثالث: ينظرون ببعض العين[٤].

وممن قال به: أبو عبيدة.

القول الرابع: ينظرون إلى النار بقلوبهم؛ لأنهم يحشرون عُمياً[٥].

وممن قال به: حكاه الكلبي، والفراء، والزجاج[١].

---

(١) تفسير مجاهد ٥٧٧/٢، وجامع البيان ٥٣٢/٢٠، والنكت والعيون٥/٢١٠، ومعالم التنزيل ٨٨/٤، وزاد المسير ٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٦، والبحر المحيط١٢٨/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٩٢/١٢، وفتح القدير٥٤٣/٤.

(٢) جامع البيان ٥٣٣/٢٠.

(٣) تفسير مقاتل ١٨١/٣، وجامع البيان٥٣٢/٢٠، وتفسير ابن أبي زمنين ١٧٢/٤، والنكت والعيون٥/٢١٠، والبسيط٥٣٤/١٩، ومعالم التنزيل ٨٨/٤، وزاد المسير ٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٦، ولباب التأويل١٢٨/٦، وفتح القدير٥٤٣/٤.

(٤) جامع البيان ٥٣٣/٢٠، ومعالم التنزيل ٨٨/٤، وزاد المسير ٦٩/٤.

(٥) جامع البيان ٥٣٣/٢٠، ومعالم التنزيل ٨٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٦، ولباب التأويل١٢٨/٦.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قال بعض نحويي أهل البصرة: "من" بمعنى الباء، أي: ينظرون من عين ضعيفة، قاله الأخفش[٢].

٢- وقيل: أي يفزعون أن ينظروا إليها بجميع أبصارهم لما يرون من أصناف العذاب[٣].

حاصل الدراسة:

معنى قول من طرف خفي: أي: عبارة عن الذل؛ لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة.

وقيل: أنهم يحشرون عمياً فلا ينظرون بأبصارهم وإنما ينظرون بقلوبهم واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري، وأبو حيان.

قال الزمخشري: يحشرون عمياً فلا ينظرون إلا بقلوبهم. وذلك نظر من طرف خفي. وفيه تعسف. وقال أبو حيان: وهذا التأويل فيه تكلف.

وقيل: المعنى يسارقون النظر لما كانوا فيه من الهمّ وسوء الحال، لا يستطيعون النظر بجميع العين، وإنما ينظرون من بعضها. كما ترى المصبور ينظر إلى السيف. وهكذا نظر الناظر إلى المكاره: لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المحاب[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن القول أنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم؛ لأنهم يحشرون عُمياً، غير ظاهر، وقد استبعده المفسرون وأهل اللغة، وهو قول الرسعني.

---

(١) معاني القرآن للفراء٣/٢٦، ومعاني القرآن للزجاج٤/٤٠٢، والبسيط١٩/٥٣٤، وزاد المسير ٤/٦٩.

(٢) معاني القرآن للأخفش ص٥٨٢، ومعالم التنزيل ٤/٨٨، وزاد المسير ٤/٦٩، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٤٦، ولباب التأويل٦/١٢٨، وفتح القدير٤/٥٤٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٤٦.

(٤) الكشاف٤/٢٣٥، والبحر المحيط٧/١٢٨، والتسهيل٤/٢٣، وإرشاد العقل السليم٨/٣٥، وفتح القدير٤/٥٤٣.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾[١]

٢٣٤- مسألة: لماذا خاطبوه بهذا الاسم؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: على وجه الاستهزاء منهم[٢].

القول الثاني: أن الساحر عندهم: الماهر في العلم، فأرادوا تعظيمه بذلك[٣].

القول الثالث: أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية[٤].

القول الرابع: أنهم أرادوا بالساحر غالب السحرة[٥].

قال الرسعني:

فإن قيل: هذا كلام يظهر فيه التناقض؛ لأنهم خاطبوه باسم الساحر ثم سألوه الدعاء لهم معترفين بأن له رباً يقدر على كشف ما بهم، ثم أخبروه بأنهم مهتدون؟

قلتُ: قد أجاب عنه الحسن البصري فقال: هو على وجه الاستهزاء منهم.

وهو بعيد؛ لأنه لو كان ذلك على طريقة الاستهزاء فكيف يكشف عنهم العذاب؟ ثم قوله تعالى: ﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ يفسده.

والجواب عن ذلك من وجهين:

---

(١) سورة الزخرف آية: ٤٩.

(٢) إرشاد العقل السليم٨/٤٩، وروح المعاني٢٥/٨٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩٧/١٦، والنكت والعيون٥/٢٢٩، والبسيط٢٠/٥٥، والمحرر الوجيز٥/٥٨، والكشاف٤/٢٦٠، وزاد المسير ٤/٨٠، ولباب التأويل٦/١٣٦، والبحر المحيط٨/٢٢، وإرشاد العقل السليم٨/٤٩، وفتح القدير٤/٥٥٩، وروح المعاني٢٥/٨٨.

(٤) البسيط ٢٠/٥٥، والمحرر الوجيز٥/٥٨، والبحر المحيط٨/٢٢، واللباب في علوم الكتاب١٧/٢٧٠، وروح المعاني٢٥/٨٨.

(٥) لباب التأويل٦/١٣٦، واللباب في علوم الكتاب١٧/٢٧٠.

أحدهما: أن الساحر عندهم: الماهر في العلم، فأرادوا تعظيمه بذلك. وهذا المعنى مروي عن ابن عباسﷺ.

الثاني: أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية. قاله الزجاج.

وقال ابن بحر: أرادوا: يا غالب السحرة[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: قالوه على وجه الاستهزاء[٢].

وممن قال به: الحسن البصري[٣].

القول الثاني: أن الساحر عندهم: الماهر في العلم، فأرادوا تعظيمه بذلك[٤].

وممن قال به:

١- رواه أبو صالح عن ابن عباسﷺ، وحكاه ابن عيسى، والكلبي، والجبائي.
٢- الطبري، وابن كثير[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: إن قال لنا قائل وما وجه قيلهم: يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك وكيف سموه ساحرا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب؟ قيل: إن الساحر كان عندهم معناه العالم ولم يكن السحر عندهم ذما وإنما دعوه بهذا

---

(١) رموز الكنوز ١٣٠/٧.

(٢) إرشاد العقل السليم٤٩/٨، وروح المعاني٨٨/٢٥.

(٣) النكت والعيون٢٢٩/٥، وزاد المسير ٨٠/٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٩٧/١٦، والنكت والعيون٢٢٩/٥، والبسيط ٥٥/٢٠، والمحرر الوجيز٥٨/٥، والكشاف٢٦٠/٤، وزاد المسير ٨٠/٤، ولباب التأويل١٣٦/٦، والبحر المحيط٢٢/٨، وإرشاد العقل السليم٤٩/٨، وفتح القدير٥٥٩/٤، وروح المعاني٨٨/٢٥.

(٥) جامع البيان ٦٠٩/٢٠، والنكت والعيون٢٢٩/٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣١٥/١٢، وروح المعاني٨٨/٢٥.

الاسم؛ لأن معناه عندهم كان يا أيها العالم[١].

ب- قال ابن كثير: أي العالم، وكان علماء زمانهم هم السحرة، ولم يكن السحر في زمانهم مذموماً عندهم فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم؛ لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تناسب ذلك وإنما هو تعظيم في زعمهم[٢].

القول الثالث: أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية، لأنهم استصحبوا له ما كانوا يدعون به أولاً[٣].

وممن قال به: الزجاج[٤].

القول الرابع: أنهم أرادوا بالساحر غالب السحرة، ومعناه: "يا أيها الذي غَلَبَنَا بسحره"[٥].

وممن قال به: هو معنى قول ابن بحر[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- إنهم قالوا ذلك جهلاً منهم بصفته[٧].

حاصل الدراسة:

قال الجمهور: هو خطاب تعظيم فقد كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم على السحر. وقيل: المعنى يا غالب من ساحره فسحره كخاصمه فخصمه فهو خطاب تعظيم أيضاً. وقيل: الساحر على المعنى المعروف فيه تعودوا دعاءه عليه السلام بذلك

---

(١) جامع البيان ٢٠/٦٠٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٣١٥.

(٣) البسيط ٢٠/٥٥، والمحرر الوجيز٥/٥٨، والبحر المحيط٨/٢٢، واللباب في علوم الكتاب١٧/٢٧٠، وروح المعاني٢٥/٨٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج٤/٤١٤، والنكت والعيون٥/٢٢٩، وزاد المسير ٤/٨٠، وفتح القدير٤/٥٥٩.

(٥) لباب التأويل٦/١٣٦، واللباب في علوم الكتاب١٧/٢٧٠.

(٦) النكت والعيون٥/٢٢٩.

(٧) البسيط ٢٠/٥٥.

قبل، ومقتضى مقام طلب الدعاء منه عليه السلام أن لا يدعوه به إلا إنهم لفرط حسرتهم سبق لسانهم إلى ما تعودوا به. وقيل: هو خطاب استهزاء وانتقاص دعاهم إليه شدة شكيمتهم ومزيد حماقتهم وروي ذلك عن الحسن[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: قول الجمهور، أنه خطاب تعظيم، والمراد به الماهر في العلم، فأرادوا تعظيمه بذلك.

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٢].

---

(١) الكشاف٤/٢٦٠، والبحر المحيط٨/٢٢، واللباب في علوم الكتاب١٧/٢٧٠، وروح المعاني٢٥/٨٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٣٦١-٣٦٢، والتسهيل ١/٩، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٧١.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [١]

٢٣٥- مسألة: على ماذا تعود هاء الكناية في ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: للقرآن[٢].

القول الثاني: لعيسى عليه السلام[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾ قال الحسن وسعيد بن جبير: الضمير في "وإنه" للقرآن.

وقال ابن عباسﷺ والجمهور: الضمير لعيسى عليه السلام. وهو الصحيح.

والمعنى: وإن عيسى بن مريم شرطٌ من أشراط الساعة تُعلمُ به، فسمي الشرط علماً لحصول العلم به.

وقيل: المعنى: وإنه لدليل على الساعة والبعث بما أجرى على يديه من إحياء الموتى[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: للقرآن، يدل على مجيء الساعة، أو به يعلم أحوال الساعة وأهوالها.

---

(١) سورة الزخرف آية: ٦١.

(٢) جامع البيان٢٠/٦٣١-٦٣٣، والنكت والعيون٥/٢٣٥، والبسيط ٢٠/٧٠، والمحرر الوجيز٥/٦١، وزاد المسير ٤/٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥، والتسهيل ٤/٣٢.

(٣) جامع البيان ٢٠/٦٣٤، والنكت والعيون٥/٢٣٥، والبسيط ٢٠/٧٠، والكشاف٤/٢٦٤، والمحرر الوجيز٥/٦١، وزاد المسير ٤/٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥، والتسهيل ٤/٣٢.

(٤) رموز الكنوز ٧/١٣٩.

وممن قال به: الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة[١].

واستدلوا بما يلي :

١- أنه في القرآن ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾ [٢].

٢- ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [٣].

القول الثاني: لعيسى عليه السلام.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن إسحاق[٤].

٢- البغوي، والزمخشري، والسمين الحلبي، وابن كثير، وأبو السعود، والألوسي[٥].

واستدلوا: بقراءة ابن عباس، وأبو هريرةﷺ، وقتادة:" وإنَّه لعَلَمٌ للسَّاعةِ" بفتح اللام والعين، أي: أمارةٌ وعلامة[٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال السمين الحلبي: المشهور أن الضمير لعيسى، يعني نزوله آخر الزمان[٧].

---

(١) جامع البيان٢٠/٦٣١-٦٣٣، والنكت والعيون٥/٢٣٥، والبسيط ٢٠/٧٠، والمحرر الوجيز٥/٦١، وزاد المسير ٤/٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥، والتسهيل ٤/٣٢.

(٢) سورة الأنبياء آية: ١.

(٣) سورة القمر آية: ١.

(٤) جامع البيان ٢٠/٦٣٤، والنكت والعيون٥/٢٣٥، والبسيط٢٠/٧٠، والكشاف٤/٢٦٤، والمحرر الوجيز٥/٦١، وزاد المسير ٤/٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥، والتسهيل ٤/٣٢.

(٥) معالم التنزيل ٤/١٠٤، والدر المصون٩/٦٠٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٣٢١، وإرشاد العقل السليم٨/٥٢، وروح المعاني٢٥/٩٥.

(٦) معالم التنزيل ٤/١٠٤.

(٧) الدر المصون٩/٦٠٣.

ب- قال الشوكاني: بعد ذكر الأقوال والأول أولى- لعيسى عليه السلام-[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- حديث النبي ﷺ ومنه" بُعثتُ أنا والساعةُ كهاتين"[٢].

حاصل الدراسة:

الضمير في قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ راجع إلى عيسى لا إلى القرآن، ولا إلى النبي ﷺ. وهو قول الجمهور.

ومعنى قوله: ﴿ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم، والسنة المتواترة، هو أن نزول عيسى في آخر الزمان، حياً علم للساعة أي: علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها.

وإطلاق علم الساعة على نفس عيسى، جار على أمرين، كلاهما أسلوب عربي معروف.

أحدهما: أن نزول عيسى المذكور، لما كان علامة لقربها، كانت تلك العلامة، سبباً لعلم قربها، فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب.

وإطلاق المسبب وإرادة السبب ، أسلوب عربي معروف في القرآن ، وفي كلام العرب.

والثاني من الأمرين: أن غاية ما في ذلك، أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير، وإنه لذو علم للساعة، أي وإنه لصاحب إعلام الناس، بقرب مجيئها، لكونه علامة لذلك، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، كثير في القرآن، وفي كلام العرب[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن هاء الكناية تعود لعيسى عليه السلام، وهو ترجيح الرسعني.

---

(١) وفتح القدير ٥٦٢/٤.

(٢) المحرر الوجيز٦١/٥، والتسهيل ٣٢/٤، والدر المصون ٦٠٣/٩، وفتح القدير ٥٦٢/٤.

(٣) أضواء البيان١٢٨/٧.

القاعدة: إعادة الضمير على المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره[١].

(١) جامع البيان ٢٩١/١٤، والبحر المحيط ٤٥٩/٥، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وروح المعاني ٨٧/١٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٠٣/٢.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [١]

٢٣٦- مسألة: ما هي القراءات في ﴿ لَعِلۡمٞ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "لَعِلم"، بكسر العين[٢].

القول الثاني: "لعَلَم" بفتح العين واللام[٣].

قال الرسعني:

قرأ جماعة منهم: ابن عباسﷺ، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن محيصن، وحميد:"لعَلَم" بفتح العين واللام، أي: علامة وأمارة على الساعة وكونها، أو على قربها.

والأول أوجه؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا ﴾[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "لَعِلم"، بكسر العين، وهي قراءة الجمهور[٥].

وممن قال به: الطبري[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) سورة الزخرف آية: ٦١.

(٢) إتحاف فضلاء البشر١/٤٩٦، وزاد المسير٤/٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥، والبحر المحيط٨/٢٦، وفتح القدير٤/٥٦٢.

(٣) إتحاف فضلاء البشر١/٤٩٦، وزاد المسير٤/٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥، وفتح القدير٤/٥٦٢.

(٤) رموز الكنوز ٧/١٣٩.

(٥) إتحاف فضلاء البشر١/٤٩٦، وزاد المسير٤/٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠٥، والبحر المحيط٨/٢٦، وفتح القدير٤/٥٦٢.

(٦) جامع البيان ٢٠/٦٣٤.

قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك الكسر في العين؛ لإجماع الحجة من القرأة عليه[١].

القول الثاني: "لعَلَم" بفتح العين واللام، أي أمارة وعلامة[٢].

وممن قرأ به: أبو هريرة، وابن عباس، وأبو مالك الغفاريﷺ، وزيد بن علي، ومجاهد، وأبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وقتادة، ومالك بن دينار، والكلبي، والأعمش، وحميد، وأبو رزين، وابن محيصن[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قرأ أبو نضرة، وعكرمة بفتح الفاء والعين إلا أنهما عرّفا باللام، فقرآ "للعَلَمُ" أي: للعلامة المعروفة[٤].

حاصل الدراسة:

العامَّة على "عِلم" مصدراً، جُعل عِلماً مبالغةً لما كان به يحصُلُ العِلمُ، أو لما كان شرطاً يُعلم به ذلك أُطلق عليه عِلم. وقُرئ "لَعَلَمٌ" بفتح الفاء والعين أي: لشرطٌ وعلامةٌ، وقرأ أبو نضرة[٥] وعكرمة كذلك، إلا أنهما عرّفا باللام، فقرآ "للعَلَمُ" أي: للعلامة المعروفة. وهذا خلاف للمصاحف[٦].

المناقشة والترجيح:

الراجح: قراءة الجمهور "لَعِلم"، بكسر العين، أوجه، لدلالة ما بعدها، وهي ترجيح الرسعني.

---

(١) جامع البيان ٦٣٤/٢٠.

(٢) إتحاف فضلاء البشر٤٩٦/١، وزاد المسير٨٢/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٠٥/١٦، وفتح القدير٥٦٢/٤.

(٣) معالم التنزيل ١٠٤/٤، والمحرر الوجيز٦١/٥، وزاد المسير ٨٢/٤، والبحر المحيط٢٦/٨.

(٤) المحرر الوجيز٦١/٥، والدر المصون ٦٠٣/٩، وفتح القدير٥٦٢/٤.

(٥) هو: المنذر بن مالك العبدي البصري، أدرك طلحة بن عبيد الله، وروى عن ابن عباس، وعنه حميد الطويل، توفي سنة ١٠٨هـ . انظر: تهذيب الكمال ٣٣٩/١٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٠٥/١٦، والدر المصون ٦٠٣/٩.

القاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[١].

(١) مجموع الفتاوى١٣/٣٩١، والنشر ١/١٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٨٩.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾ [١]

٢٣٧- مسألة: ما هي الليلة المباركة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ليلة القدر[٢].

القول الثاني: ليلة النصف من شعبان[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ هذا جواب اسم، والكنايةُ راجعةٌ إلى "الكتاب"، وهو القرآن، و"الليلية المباركة" ليلة القدر، في قول ابن عباسﷺ وعامة المفسرين.

وقال عكرمة: في ليلة النصف من شعبان. وهذا بعيد من وجهين:

أحدهما: أنه خلاف ما عليه عامة أهل العلم.

الثاني: أنه يناقض قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [٥].

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: الرواية عن عكرمة بذلك مضطربة[٦].

---

(١) سورة الدخان آية: ٣.

(٢) جامع البيان٢١/٥-٦، وبحر العلوم ٢٥٤/٣، والنكت والعيون٥/٢٤٤، والبسيط٢٠/٩٤، والمحرر الوجيز٥/٦٨، وزاد المسير٤/٨٧، ولباب التأويل٦/١٤٣، وفتح القدير٤/٥٧٠.

(٣) جامع البيان٢١/٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٢٨٧/١٠، والنكت والعيون٥/٢٤٤، والبسيط٢٠/٩٤، ومعالم التنزيل٤/١١١، والمحرر الوجيز٥/٦٨، وزاد المسير٤/٨٧، والجامع لأحكام القرآن ١٢٦/١٦، ولباب التأويل٦/١٤٣، وفتح القدير٤/٥٧٠.

(٤) سورة البقرة آية: ١٨٥.

(٥) سورة القدر آية: ١.

(٦) رموز الكنوز ١٥٩/٧.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ليلة القدر.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وقتادة، وابن زيد، ومقتل، ومجاهد[١].

٢- الطبري، والقرطبي، وابن كثير، واختاره الزجاج[٢].

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾.

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: عُنِي بها ليلة القدر[٣].

ب- قال ابن جزي الكلبي: وقيل معناه أنه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر وقيل يعني بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان وذلك باطل لقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ مع قوله: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [٤]

ج- قال ابن كثير: ومن قال أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النّجعة، فإن نص القرآن أنها ففي رمضان[٥].

د- قال الشنقيطي: فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة وغيره، لا شك في أنها دعوى باطلة لمخالفتها لنص القرآن الصريح.

---

(١) جامع البيان٢١/٥-٦، وبحر العلوم ٣/٢٥٤، والنكت والعيون٥/٢٤٤، والبسيط٢٠/٩٤، والمحرر الوجيز٥/٦٨، وزاد المسير٤/٨٧، ولباب التأويل٦/١٤٣، وفتح القدير٤/٥٧٠.

(٢) جامع البيان٢١/٦، ومعاني القرآن للزجاج٤/٤٢٣، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٢٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٢/٣٣٤.

(٣) جامع البيان٢١/٦.

(٤) التسهيل٤/٣٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٢/٣٣٤.

ولا شك كل ما خالف الحق فهو باطل. والأحاديث التي يوردها بعضهم في أنهم من شعبان المخالفة لصريح القرآن لا أساس لها، ولا يصح سند شيء منها، كما جزم به ابن العربي وغير واحد من المحققين. فالعجب كل العجب من مسلم يخالف نص القرآن الصريح، بلا مستند كتاب ولا سنة صحيحة[١].

القول الثاني: ليلة النصف من شعبان.

وممن قال به: عكرمة[٢].

واستدلوا: عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب"[٣].

حاصل الدراسة:

قال قتادة وابنُ زيد وأكثر المفسرين: المراد بقوله: إنا أنزلناه في ليلة مباركة هي: ليلة القدر. وقال عكرمة وطائفة: إنها ليلة البَرَاءَة وهي ليلة النصفِ مِن شعبان. واحتج الأولون بوجوه: الأول: قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ وقوله : ههنا : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾ فوجب أن تكون هي تلك الليلة المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ فقوله ههنا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾ فيجب أن تكون تلك الليلة المباركة في رمضان فثبت أنها ليلة القدر.

---

(١) أضواء البيان٧/١٧٢.

(٢) جامع البيان٢١/٥، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣٢٨٧، والنكت والعيون٥/٢٤٤، والبسيط٢٠/٩٤، ومعالم التنزيل٤/١١١، والمحرر الوجيز٥/٦٨، وزاد المسير٤/٨٧، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٢٦، ولباب التأويل٦/١٤٣، وفتح القدير٤/٥٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، ح(٧٣٩).

الثالث: قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [١] وقال ههنا: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ وقال ههنا: ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ وقال في ليلة القدر: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ ﴾ ، وإذا تقاربت الأوصاف وجب القول بأن إحدى الليلتين هي الأخرى.

الرابع: نقل محمد بن جَرير الطَّبري في تفسيره عن قتادة أنه قال: نزلت صحفُ إبراهيم في أول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه، والإنجيل لِثماني عشرة ليلةً مضت منه، والقرآن لأربعٍ وعشرينَ مضت منه، والليلة المباركة هي ليلة القدر.

الخامس: أن ليلة القدر إنما سميت بهذا الاسم لأن قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم أنه ليس قدرها وشرفها لسبب نفس الزمان؛ لأن الزمان شيء واحد في الذات والصفات، فيمتنع كون بعضه أشرف من بعض لذاته، فثبت أن شرفه وقدره بسبب أنه حصل فيه أمورٌ شريفة لها قدر عظيم، ومن المعلوم أن منصب الدين أعظم من مناصب الدنيا، وأعظم الأشياء وأشرفها منصباً في الدين هو القرآن؛ لأنه ثبت به نبوة محمد ﷺ وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل كما قال تعالى في صفته: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[٢]: وبه ظهرت درجات أرباب السعادات ودركات أرباب الشقاوات فعلى هذا لا شيء إلا والقرآن أعظم قدرا، وأعلى ذكراً، وأعظم منصبا، وحيث أطبقوا على أن ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان علمنا أن القرآن إنما أنزل في تلك الليلة[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الصواب هو القول أنها ليلة القدر، وعليه عامة المفسرين.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٤].

---

(١) سورة القدر آية: ٤.

(٢) سورة المائدة آية: ٤٨.

(٣) اللباب في علوم الكتاب١٧/٣٠٨-٣١٠.

(٤) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل

١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [١]

٢٣٨- مسألة: هل الآية محكمة أو منسوخة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الآية منسوخة بآية السيف[٢].

القول الثاني: محكمة[٣].

قال الرسعني:

﴿ فَٱرۡتَقِبۡ﴾ انتظر ما يحلّ بهم ﴿ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴾ هلاكك.

وأكثر المفسرين يقولون: هذه الآية منسوخة بآية السيف.

والصحيح: أنها محكمة، على ما سبق في نظائرها. والله تعالى أعلم[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: منسوخة بآية السيف[٥].

وممن قال به: ابن سلامة، وهبة الله البازري، والكرمي، وابن عطية[٦].

ومن أقوالهم:

---

(١) سورة الدخان آية: ٥٩.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري ص١٥٩، والناسخ والمنسوخ لابن حزم١/٥٥، والمحرر الوجيز٥/٧٨، وناسخ القرآن ومنسوخة هبة الله١/٤٩، والناسخ والمنسوخ للكرمي١/١٨٦.

(٣) المصفى من علم الناسخ والمنسوخ١/٥٢، ونواسخ القرآن١/٢٢٣.

(٤) رموز الكنوز ٧/١٨٣.

(٥) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ١/١٥٩، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ١/٥٥، والبحر المحيط٨/٣٧، ولباب التأويل٦/١٥٠.

(٦) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري ص١٥٩، والناسخ والمنسوخ لابن حزم١/٥٥، والمحرر الوجيز٥/٧٨، وناسخ القرآن ومنسوخة هبة الله١/٤٩، والناسخ والمنسوخ للكرمي١/١٨٦.

أ- قال ابن سلامة: مكية وفيها من المنسوخ آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴾ أي: فارتقب لهم العذاب إنهم مرتقبون ذلك الموت، والارتقاب ههنا الانتظار نسختها آية السيف[١].

ب- قال الألوسي: وهو منسوخ بآية السيف فلا تغفل[٢].

القول الثاني: محكمة.

وممن قال به: ابن الجوزي[٣].

ومن أقوالهم:

قال ابن الجوزي: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴾ ذكر بعضهم نسخها بآية السيف، وليس بصحيح؛ لأنه لا يتأتى في ارتقاب عذابهم ومن قتالهم[٤].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴾ ذهب جماعة من المفسرين إلى أنها منسوخة بآية السيف، ولا نرى ذلك صحيحاً؛ لأنه لا تنافي بين الآيتين وارتقاب عذابهم أما عند القتل، أو عند الموت، أو في الآخرة وليس في هذا منسوخ[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها محكمة ليست منسوخة، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها،

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري ص١٥٩، والناسخ والمنسوخ لابن حزم١/٥٥.

(٢) روح المعاني٢/١٣٧.

(٣) المصفى من علم الناسخ والمنسوخ١/٥٢، ونواسخ القرآن١/٢٢٣.

(٤) المصفى من علم الناسخ والمنسوخ١/٥٢.

(٥) نواسخ القرآن١/٢٢٣.

أو كانت في حكم المصرح بنسخها[١].

(١) جامع البيان ١٨٦/١١، والناسخ والمنسوخ للنحاس٢٠٠/١، والإحكام لابن حزم ٤٨٤/٤، والتمهيد ٣٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦، ومحاسن التأويل ٥٣٧٥/١٥، وأضواء البيان ٧٢/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٧١/١.

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ [١]

٢٣٩- مسألة: ما معنى "لا يرجون" ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: لا يخافون وقائع الله في الأمم الخالية[٢].

القول الثاني: لا يأملون ما وعد الله المؤمنين من الثواب[٣].

قال الرسعني:

الرجاء يطلق بمعنى: الخوف. فالمعنى: لا يخشون وقائع الله بأمثالهم.

وقيل: لا يأملون ما وعد الله المؤمنين من الثواب.

والأول أظهر المعنيين هاهنا[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: بمعنى: الخوف. والمعنى: لا يخشون وقائع الله بأمثالهم[٥].

وممن قال به: الكلبي، ومقاتل، والخازن، والشوكاني[٦].

واستدلوا بما يلي :

---

(١) سورة الجاثية آية: ١٤.

(٢) بحر العلوم٣/٢٦٤، والنكت والعيون ٥/٢٦٢، والكشاف٤/٢٩١، والمحرر الوجيز٥/٨٣، والجامع لأحكام القرآن١٦/١٦١، والتسهيل ٤/٣٨، وإرشاد العقل السليم ٨/٧٠.

(٣) بحر العلوم٣/٢٦٤، والكشاف٤/٢٩١، والمحرر الوجيز٥/٨٣، والجامع لأحكام القرآن١٦/١٦١، والتسهيل ٤/٣٨، وإرشاد العقل السليم ٨/٧٠.

(٤) رموز الكنوز ٧/١٩١.

(٥) بحر العلوم٣/٢٦٤، والنكت والعيون ٥/٢٦٢، والكشاف٤/٢٩١، والمحرر الوجيز٥/٨٣، والجامع لأحكام القرآن١٦/١٦١، والتسهيل ٤/٣٨، وإرشاد العقل السليم ٨/٧٠.

(٦) النكت والعيون ٥/٢٦٢، ولباب التأويل٦/١٥١، وفتح القدير٥/٦.

١- أنه كقوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [١]. أي: لا تخافون له عظمة، والمعنى: لا تخشون.

٢- الأيام يعبر بها عن الوقائع كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال مقاتل: لا يخشون مثل عذاب الأمم الخالية[٣].

ب- قال الخازن: أي: لا يخافون وقائع الله ولا يبالون بمقته[٤].

ج- قال الشوكاني: ومعنى الرجاء هنا الخوف، وقيل: هو على معناه الحقيقي، والمعنى: لا يرجون ثوابه في الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين. والأول أولى[٥].

القول الثاني: لا يأملون ما وعد الله المؤمنين من الثواب[٦].

وممن قال به:

مجاهد، وابن الجوزي[٧].

ومن أقوالهم:

أ- قيل: لا يدرون أنعم الله عليهم، أو لا[٨].

ب- قال مجاهد: لا يبالون نعم الله، أو نقم الله[٩].

---

(١) سورة نوح آية: ١٣.

(٢) سورة إبراهيم آية: ٥.

(٣) تفسير مقاتل ٢١٢/٣، والبسيط ١٣٩/٢٠.

(٤) لباب التأويل١٥١/٦.

(٥) فتح القدير٦/٥.

(٦) بحر العلوم٢٦٤/٣، والكشاف٢٩١/٤، والمحرر الوجيز٨٣/٥، والجامع لأحكام القرآن١٦١/١٦، والتسهيل ٣٨/٤، وإرشاد العقل السليم ٧٠/٨.

(٧) تفسير مجاهد٥٩١/٢، وجامع البيان ٨١/٢١، وبحر العلوم٢٦٤/٣، وزاد المسير ٩٨/٤.

(٨) زاد المسير ٩٨/٤.

(٩) تفسير مجاهد٥٩١/٢، وجامع البيان ٨١/٢١، وبحر العلوم٢٦٤/٣.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قال ابن عباسﷺ: لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه[١].

٢- لا يطمعون في نصر الله في الدنيا ولا في الآخرة، قاله ابن بحر[٢].

حاصل الدراسة:

معنى لا يرجون هنا: لا يخافون عقوبته التي أهلك بها عاداً، وثموداً، والقرون التي أهلكت قبلهم، يعني: لا يخشون مثل أيام الأمم الخالية.

وقيل: هو على معناه الحقيقي، والمعنى: لا يرجون ثوابه في الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين. وقوله:"أيام الله" معناه: أيام إنعامه ونصره وتنعيمه في الجنة.

فـ "يرجون" على هذا هي التي تتنزل منزلة يخافون، وإنما تنزلت منزلتها من حيث الرجاء والخوف متلازمان لا تجد أحدهما إلا والآخر معه مقترن[٣].

والقول أنه بمعنى الخوف، أقرب لما استدلوا به من الآيات، وهو أظهر لمعنى الآية. والله أعلم.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الرجاء يطلق على ما يقابل الخوف. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٤].

---

(١) البسيط٢٠/١٣٩، ومعالم التنزيل٤/١٢٤، واللباب في علوم الكتاب١٧/٣٥٥.

(٢) النكت والعيون ٥/٢٦٢.

(٣) بحر العلوم٣/٢٦٤، والمحرر الوجيز٥/٨٣، والتسهيل ٤/٣٨، وفتح القدير٥/٦.

(٤) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [١]

٢٤٠- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الأصنام[٢].

القول الثاني: كل من عُبدَ من دون الله من الجن والإنس والأصنام[٣].

قال الرسعني:

﴿ يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ يريد: الأصنام؛ لأن "ما" لمن لا يعقل. ويجوز أن يراد على قراءة العامة: كل من عُبدَ من دون الله من الجن والإنس والأصنام، فغلب ما يعقل.

وقيل: يجوز أن يراد الأصنام وحدها، فأجريت مجرى من يعقل لوصفهم إياها بذلك. والجائز الثاني **أظهر وأشهر في التفسير**، على أن "ما" و"من" يتعاقبان[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الأصنام[٥].

وممن قال به: البغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، وابن كثير، والشوكاني[٦].

---

(١) سورة الأحقاف آية: ٥.

(٢) معالم التنزيل ١٣١/٤، والمحرر الوجيز ٩٢/٥، وزاد المسير ١٠٣/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/١٣، وفتح القدير ١٤/٥.

(٣) الكشاف ٢٩٩/٤، والبحر المحيط ٥٦/٨، والدر المصون ٦٦٢/٩، واللباب في علوم الكتاب٣٨٠/١٧، والتحرير والتنوير ١٢/٢٦.

(٤) رموز الكنوز ٢٠٤/٧.

(٥) الكشاف ٢٩٩/٤.

(٦) معالم التنزيل ١٣١/٤، والمحرر الوجيز ٩٢/٥، وزاد المسير ١٠٣/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٧/١٣، وفتح القدير ١٤/٥.

ومن أقوالهم:

قال الشوكاني: أجرى على الأصنام ما هو للعقلاء لاعتقاد المشركين فيها أنها تعقل[١].

القول الثاني: كل من عُبدَ من دون الله من الجن والإنس والأصنام.

وممن قال به:

ذكره المفسرون في كتبهم ولم يرجحه أحد[٢].

حاصل الدراسة:

"من" في قوله: ﴿ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ ﴾ هم الأصنام وتُوقع عليهم "من" لمعاملتهم إياها معاملة العقلاء، أو لأنه أراد جميع من عُبد من دون الله. وغلَّب العقلاء، ويكون قد راعى معنى "من" فلذلك جمع في قوله: "وهم" بعدما راعى لفظها فأفرد في قوله: "يستجيب"[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الآية للعموم، فكل من عبد من دون الله من الجن والإنس والأصنام، فغلب ما يعقل، والله أعلم، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٤].

---

(١) فتح القدير ١٤/٥.

(٢) الكشاف ٢٩٩/٤، والبحر المحيط ٥٦/٨، والدر المصون ٦٦٢/٩، واللباب في علوم الكتاب٣٨٠/١٧، والتحرير والتنوير ١٢/٢٦.

(٣) البحر المحيط ٥٦/٨، والدر المصون ٦٦٢/٩، واللباب في علوم الكتاب٣٨٠/١٧، والتحرير والتنوير ١٢/٢٦.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٠/١، والمحرر الوجيز ٩٤/١، والتسهيل ٩/١، وروح المعاني ١٥٤/٢٨، وأضواء البيان ٣٠٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ ﴾ [١]

٢٤١- مسألة: من هو الشاهد في قوله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عبد الله بن سلام[٢].

القول الثاني: موسى بن عمران عليه السلام[٣].

قال الرسعني:

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ ﴾ خبروني، ﴿ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: القرآن ﴿ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ وهو عبد الله بن سلام، في قول ابن عباسﷺ والحسن ومجاهد وقتادة وعامة المفسرين[٤].

وقال سعد بن أبي وقاصﷺ: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا عبد الله بن سلام، وفيه نزلت: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ

---

(١) سورة الأحقاف آية: ١٠.

(٢) جامع البيان ١٢٦/٢١-١٣١، وتفسير ابن أبي زمنين٢٢٣/٤، والبسيط١٦٩/٢٠، والمحرر الوجيز٩٥/٥، وزاد المسير ١٠٤/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٨٨/١٦، والتسهيل٤٢/٤، وفتح القدير١٦/٥، والتحرير والتنوير٢٠/٢٦-٢١.

(٣) جامع البيان١٢٥،١٣١/٢١، والبسيط١٦٩/٢٠، ومعالم التنزيل ١٣٥/٤، والمحرر الوجيز٩٥/٥، وزاد المسير ١٠٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٨٨/١٦، والتسهيل٤٢/٤، والبحر المحيط ٥٧/٨-٥٨، وفتح القدير١٦/٥، والتحرير والتنوير٢٠/٢٦.

(٤) أخرجه مجاهد ٥٩٣/٢، والطبري١٢٥/٢١.

إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ ﴾ [١].

فـ"المِثل" على هذا: صلة، أي: شهد على صحته، وكونه من عند الله.

وقيل: المعنى: وشهد على ما يماثله في التوراة ويطابقه من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك.

وقيل: وشهد على مثل ما أقول أنه من عند الله، أو على نحو ذلك.

قال الزجاج: والأجود أن يكون على مثل شهادة النبي ﷺ ، يعني: كونه من عند الله. فيكون المقصود تقريع اليهود وتبكيتهم وإلزامهم الحجة بإسلام عالمهم وابن عالمهم وسيدهم وابن سيدهم عبد الله بن سلام.

وروى الشعبي عن مسروق قال: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام؛ لأن آل حم نزلت بمكة، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة، وإنما كانت محاجة من رسول الله ﷺ لقومه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

ومثل القرآن التوراة، فشهد موسى على التوراة، ومحمد على القرآن، وكلاهما مصدق الآخر.

فعلى هذا يكون المعنى: وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن، ومصدقة له في التوحيد والإخبار بما كان وما يكون، وناطقة بصحته ومخبرة بوجوده.

والأول أشهر وأكثر وأحسن في انتظام الكلام ومطابقة المعنى[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: عبد الله بن سلام[١].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبد الله بن سلام، ح(٣٨١٢)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن سلام، ح(٢٤٨٣).

(٢) أخرجه الطبري١٢٥/٢١.

(٣) رموز الكنوز ٢٠٩/٧.

وممن قال به: ابن عباسﷺ، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد[٢].

واستدلوا: بما قال سعد بن أبي وقاصﷺ: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا عبد الله بن سلام، وفيه نزلت: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ .

القول الثاني: موسى بن عمران عليه السلام[٣].

وممن قال به: الشعبي، ومسروق، والطبري، وابن عاشور[٤].

واستدلوا بما يلي:

عن مسروق قال: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام؛ لأن آل حم نزلت بمكة، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة، وإنما كانت محاجة من رسول الله ﷺ لقومه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل؛ لأن قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ . في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش، واحتجاجاً عليهم لنبيه ﷺ[٥].

---

(١) البسيط٢٠/١٦٩، والمحرر الوجيز٥/٩٥، والتسهيل٤/٤٢، وفتح القدير٥/١٦، والتحرير والتنوير٢٦/٢٠-٢١.

(٢) جامع البيان ٢١/١٢٦-١٣١، وتفسير ابن أبي زمنين٤/٢٢٣، وزاد المسير ٤/١٠٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٨٨.

(٣) البسيط٢٠/١٦٩، ومعالم التنزيل ٤/١٣٥، والمحرر الوجيز٥/٩٥، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٨٨، والتسهيل٤/٤٢، والبحر المحيط ٨/٥٧-٥٨، وفتح القدير٥/١٦.

(٤) جامع البيان٢١/١٣١،١٢٥، وزاد المسير ٤/١٠٥، والتحرير والتنوير٢٦/٢٠.

(٥) جامع البيان ٢١/١٣١.

ب- قال ابن عاشور: وعندي أنه يجوز أن يكون هذا إخباراً من الله لرسوله ﷺ بما سيقع من إيمان عبد الله بن سَلام فيكون هو المراد بـ (شاهد من بني إسرائيل)[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنه آمين بن يامين، قال لما أسلم عبد الله بن سلام: أنا شاهد مثل شهادته ومؤمن كإيمانه، قاله السدي[٢].

٢- هو من آمن من بني إسرائيل بموسى والتوراة، قاله الشعبي[٣].

حاصل الدراسة:

هذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر فتُوجَّه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دلَّ على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام، وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك: وشهد عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل، ﴿ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ ﴾. يعني: على مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمداً مكتوب في التوراة أنه نبيٌّ، تجده اليهود مكتوباً عندهم في التوراة، كما هو مكتوبٌ في القرآن أنه نبيٌّ[٤].

وأنكر قوم منهم الشعبي ومسروق أن يكون الشاهد عبد الله بن سلام، وقالوا: إن إسلامه كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله ﷺ بعامين، وآل ﴿ حمٓ ﴾ نزل بمكة، ثم لم يأت للآية بوجه من التأويل صحيح غير الإنكار، على أن ابن سيرين قد قال في هذه الآية: كانت تنزل الآية، فيجوز أن تكون نازلة بالمدينة وأمر أن توضع في سورة مكية[٥].

---

(١) التحرير والتنوير٢٦/٢٠-٢١.

(٢) النكت والعيون٥/٢٣٧.

(٣) النكت والعيون٥/٢٣٧، والتسهيل٤/٤٢، وفتح القدير٥/١٦، والتحرير والتنوير٢٦/٢٠-٢١.

(٤) جامع البيان ٢١/١٣١.

(٥) معاني القرآن للنحاس٦/٤٤٤، والبسيط٢٠/١٧٠، والمحرر الوجيز٥/٩٥، ومفاتيح الغيب٢٨/١٠، والجامع

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الشاهد عبد الله بن سلام للنص الصريح في صحيح البخاري أنها نزلت فيه، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[١].

لأحكام القرآن ١٨٨/١٦، والتحرير والتنوير٢٠/٢٦-٢١.

(١) جامع البيان٤٤٩/١٦، وأحكام القرآن لابن العربي ١١٣/٣، والمحرر الوجيز ٢٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٢/٢٠، ومجموع الفتاوى ٢٧/١٣، والبحر المحيط ١٢٨/١، والتسهيل ٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٥٦/٢، وفتح القدير ١٢/١، وروح المعاني ٩٦/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٩١/١.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [١]

٢٤٢- مسألة: فيمن نزلت الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أبو بكر الصديق ﷺ[٢].

القول الثاني: سعد بن أبي وقاص ﷺ[٣].

قال الرسعني:

ذهب ابن عباس ﷺ وعامة المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، ويؤيد ذلك تعذر إجرائها على العموم في كل إنسان؛ لأنه ليس كل من بلغ أربعين سنة قال: رب أوزعني، ودعا بما أخبر الله تعالى عنه في هذه الآية.

قال علي ﷺ: هذه الآية نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً.

وقال ابن عباس ﷺ في رواية عطاء عنه: نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة، فنزلوا منزلاً فيه سدرة، فقعد رسول الله ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين، فقال: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال: هذا والله نبي، وما استظل أحد بعد عيسى تحتها إلا محمد نبي الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارق

---

(١) سورة الأحقاف آية: ١٥.

(٢) البسيط٩/١٧٨، والوسيط٤/١٠٧، وأسباب النزول للواحدي ص٦٠٥-٦٠٦، ومعالم التنزيل ٤/١٣٧، وزاد المسير٤/١٠٧، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٩٤.

(٣) معالم التنزيل٤/١٣٧، وزاد المسير٤/١٠٧.

رسول الله ﷺ في أسفاره وحضوره، فلما نُبِّئ رسول الله ﷺ – وهو ابن أربعين سنة، وأبو بكر وهو ابن ثماني وثلاثون سنة– صدق رسول الله ﷺ، فلما بلغ أربعين سنة قال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾ [١]. فأجابه الله، فأعتق سبعة من المؤمنين، فكانوا يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله تعالى عليه، واستجاب له في ذريته فآمنوا. هذا كلام ابن عباس رضي الله عنه.

وقال جمهور المفسرين: لما بلغ أبو بكر أربعين سنة دعا الله تعالى بما ذكره في هذه الآية، فأجابه الله تعالى فأسلم وأسلم والداه وأولاده ذكورهم وإناثهم ولم يتفق ذلك لأحد غيره من الصحابة.

وقال الضحاك والسدي: نزلت في سعد بن أبي وقاص. وقد ذكرنا قصته في موضعها[٢]. **والصحيح: الأول**[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٤].

وممن قال به: ابن عباس، وعلي رضي الله عنهم[٥].

ومن أقوالهم:

قال علي عليه السلام: هذه الآية نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً[٦].

القول الثاني: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

---

(١) سورة النمل آية: ١٩.

(٢) في سورة العنكبوت، عند الآية: ٨.

(٣) رموز الكنوز ٢١٦/٧-٢١٨.

(٤) جامع البيان ١٤١/٢١، وفتح القدير ١٨/٥.

(٥) البسيط١٧٨/٩، والوسيط١٠٧/٤، وأسباب النزول للواحدي ص٦٠٥-٦٠٦، ومعالم التنزيل ١٣٧/٤، وزاد المسير١٠٧/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٦.

(٦) البسيط١٧٨/٩، ومعالم التنزيل ١٣٧/٤، وزاد المسير١٠٧/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١٦.

وممن قال به: الضحاك، والسدي[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنها نزلت على العموم، قاله الحسن[٢].

حاصل الدراسة:

قال ابن عباسﷺ: أجاب الله تعالى دعاء أبي بكر ﷺ فأعتق تسعة من المؤمنين، منهم بلال، وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله تعالى عليه، ودعا أيضاً فقال: "وأصلح لي في ذريتي" فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولداً إلا أمنوا جميعاً فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً، فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله ﷺ وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي ﷺ ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: نزلت في أبي بكر الصديقﷺ، وهو قول ابن عباس وعليﷺ، وترجيح الجمهور، والرسعني.

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٤].

---

(١) معالم التنزيل ١٣٧/٤، وزاد المسير ١٠٧/٤.

(٢) زاد المسير ١٠٧/٤.

(٣) الكشاف ٣٠٧/٤، وإرشاد العقل السليم ٨٣/٨.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣-٣٦٢، والتسهيل ٩/١، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٧١/١.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١)

٢٤٣- مسألة: فيمن نزلت هذه الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عبد الرحمن بن أبي بكر(٢).

القول الثاني: عبد الله بن أبي بكر(٣).

القول الثالث: نزلت في الكافر العاق(٤).

القول الرابع: في جماعة من كفار قريش(٥).

قال الرسعني:

اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية، فذهب جمهور المفسرين إلى أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه، وكان أبواه ألحّا عليه فيما دعواه إليه من الإيمان، فقال: أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم

---

(١) سورة الأحقاف آية: ١٧.

(٢) تفسير مقاتل ٣٥٣/١، وجامع البيان١٤٤/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم٣٢٩٥/١٠-٣٢٩٦، والنكت والعيون٢٧٩/٥، والبسيط ١٨٤/٢٠، ومعالم التنزيل١٣٨/٤، والمحرر الوجيز٩٩/٥، وزاد المسير١٠٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١٦، والتسهيل ٤٣/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٨/١٣.

(٣) معالم التنزيل١٣٨/٤، وزاد المسير ١٠٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨/١٣.

(٤) معالم التنزيل ١٣٨/٤، وزاد المسير ١٠٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١٦، وتفسير القرآن العظيم كثير ١٨/١٣.

(٥) النكت والعيون ٢٨٠/٥، وزاد المسير١٠٩/٤.

ما يقولون[١].

وقال مجاهد: نزلت في عبد الله بن أبي بكر الصديق[٢].

وروى عن عائشة رضي الله عنها: أنها أنكرت أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن إنكاراً شديداً[٣].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول، أخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد، عن مُوسَى بن إِسْمَاعِيلَ[٤]، حدثنا أبو عَوَانَةَ[٥]، عن أبي بِشْرٍ[٦]، عن يُوسُفَ بن مَاهَكَ[٧] قال:" كان مَرْوَانُ على الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ، فَخَطَبَ، فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بن مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايَعَ له بَعْدَ أبيه. فقال له عبد الرحمن بن أبي بَكْرٍ شيئاً، فقال خُذُوهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فلم يَقْدِرُوا عليه. فقال مَرْوَانُ: إِنَّ هذا الذي أَنْزَلَ الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ . فقالت عَائِشَةُ من وَرَاءِ الْحِجَابِ: ما أَنْزَلَ الله فِينَا شيئاً من الْقُرْآنِ، إلا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عُذْرِي"[٨]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه البخاري.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٢٩٥/١٠، والنكت والعيون ٢٧٩/٥، وزاد المسير ١٠٨/٤.

(٢) النكت والعيون ٢٨٠/٥، وزاد المسير ١٠٩/٤.

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨٩/٨: لا يصح هذا عن عائشة. قلت: الذي صح في ذلك هو ما أخرجه البخاري عن يوسف بن ماهك.

(٤) هو: موسى بن إسماعيل المنقري مولاهم، أبو سلمة التبوذكي البصري، ثقة صدوق، توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٢٩٦/١٠-٢٩٧، وتقريب التهذيب ص٥٤٩.

(٥) هو: الوضاح بن عبد الله اليشكري، مولى يزيد بن عطاء، أبو عوانة الواسطي البزاز، ثقة ثبت صدوق في الحديث، كان من سبي جرجان، ولد سنة اثنتين وعشرين ومائة، وتوفي في ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ١٠٣/١١-١٠٥، وتقريب التهذيب ص٥٨٠.

(٦) هو: بيان بن بشر الأحمسي البجلي، أبو بشر الكوفي، ثقة ثبت. انظر: تهذيب التهذيب٤٤٤/١، والتقريب ص١٢٩.

(٧) هو: يوسف بن ماهك بن هُزاد المكي، مولى قريش، ثقة عدل قليل الحديث، توفي سنة ست ومائة. وقيل قبل ذلك. انظر: تهذيب التهذيب ٣٧٠/١١، وتقريب التهذيب ص٦١١.

(٨) أخرجه البخاري كتاب التفسير، سورة الأحقاف، ح(٤٨٢٧).

وقال محمد بن زياد وغيره: كتب معاوية إلى مروان ليبايع الناس ليزيد، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقلية، أتبايعون لأبنائكم، فقال مروان: هذا الذي يقول الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ الآية. فسمعت عائشة رضي الله عنها بذلك، فغضبت وقالت: والله ما هو به، ولو شئتُ لسمّيته، ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله[١].

وقال الزجاج: قول من قال: أنها في عبد الرحمن باطل بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ ، فاعلم الله تعالى أن هؤلاء لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين وسرواتهم[٢].

والتفسير الصالح: أنها نزلت في الكافر العاقّ.

وقال الحسن البصري: نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لآبائهم[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: عبد الرحمن بن أبي بكر.

وممن قال به: ابن عباسﷺ، ومروان بن الحكم، وأبو العالية، ومجاهد، وقتادة، والسدي، ومقاتل[٤].

القول الثاني: عبد الله بن أبي بكرﷺ [٥].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ٤٥٨/٦،ح١١٤٩١، والحاكم ٥٢٨/٤ ح٨٤٨٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤٤٤/٤.

(٣) رموز الكنوز ٢٢٠/٧-٢٢٢.

(٤) تفسير مقاتل ٣٥٣/١، وجامع البيان١٤٤/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم٣٢٩٥/١٠-٣٢٩٦، والنكت والعيون ٢٧٩/٥، والبسيط ١٨٤/٢٠، ومعالم التنزيل١٣٨/٤، والمحرر الوجيز٩٩/٥، وزاد المسير١٠٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١٦، والتسهيل ٤٣/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٨/١٣.

(٥) النكت والعيون ٢٨٠/٥، وزاد المسير١٠٩/٤.

وممن قال به: ابن عباسﷺ، والسدي، وأبو العالية، ومجاهد[١].

القول الثالث: نزلت في الكافر العاق.

وممن قال به:

١- الحسن وقتادة[٢].

٢- البغوي، ابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن الجوزي: والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق[٤]

ب- قال ابن كثير:لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارّين بهما ومالهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ هذا عام في كل من قال هذا[٥].

القول الرابع: في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لآبائهم[٦].

وممن قال به: الحسن[٧].

حاصل الدراسة:

ضعّف ابن كثير في تفسيره القول أنه عبد الرحمن بن أبي بكر، وكذلك ضعفه ابن

---

(١) معالم التنزيل٤/١٣٨، وزاد المسير ١٠٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨/١٣.

(٢) معالم التنزيل ١٣٨/٤.

(٣) معالم التنزيل ١٣٨/٤، وزاد المسير ١٠٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١٦، وتفسير القرآن العظيم كثير ١٨/١٣.

(٤) زاد المسير ١٠٩/٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨/١٣.

(٦) النكت والعيون ٢٨٠/٥، وزاد المسير١٠٩/٤.

(٧) زاد المسير ١٠٩/٤.

حجر في فتح الباري، فقال: قلت: لكن نفي عائشة أن تكون في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسناداً وأولى بالقبول[١].

وقال ابن كثير: ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه[٢].

﴿ وَٱلَّذِى ﴾ في قوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ ﴾ بمعنى الذين، والآية عامة في كل عاق لوالديه مكذب بالبعث.

والدليل من القرآن على أن الذي، بمعنى الذين، وأن المراد به العموم، أن ﴿ وَٱلَّذِى ﴾ في قوله: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ ﴾ مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾

والإخبار عن لفظة الذي في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ القول بصيغة الجمع، صريح في أن المراد بالذي، العموم لا الإفراد. وخير ما يفسر به القرآن القرآن. وبهذا الدليل القرآني تعلم أن قول من قال في هذه الآية الكريمة أنها نازلة في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ليس بصحيح، كما جزمت عائشة رضي الله عنها ببطلانه.

وفي نفس آية الأحقاف هذه دليل آخر واضح على بطلانه، وهو أن الله صرح بأن الذين قالوا تلك المقالة حق عليهم القول، وهو قوله: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٣].

ومعلوم أن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم وحسن إسلامه، وهو من خيار المسلمين وأفاضل الصحابة ﷺ.

وغاية ما في هذه الآية الكريمة هو إطلاق الذي وإرادة الذين، وهو كثير في القرآن وفي

---

(١) فتح الباري٨/٥٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣/١٨.

(٣) سورة السجدة آية: ١٣.

كلام العرب؛ لأن لفظ الذي مفرد ومعناها عام لكل ما تشمله صلتها، وقد تقرر في علم الأصول أن الموصولات كالذي والتي وفروعهما من صيغ العموم[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها نزلت في الكافر العاق. وهو ترجيح الرسعني، والمفسرين.

القاعدة: إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٢].

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٣].

---

(١) أضواء البيان ٢٢٤/٧-٢٢٥.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٤٨/١، وأحكام القرآن لابن العربي ١٤٣/١، والمحرر الوجيز ٤٩٨/٢، والجامع لأحكام القرآن١٢١/٥، وفتح القدير ١٦/٤، وأضواء البيان ٢٣٠/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٤١/١.

(٣) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [١]

٢٤٤- مسألة: ما حكم مؤمني الجن؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: لا ثواب لهم سوى نجاتهم من النار[٢].

القول الثاني: التسوية بينهم وبين الإنس في الثواب والعقاب؛ لاستوائهم في التكليف[٣].

قال الرسعني:

اختلف العلماء في حكم مؤمني الجن؛ فذهب جماعة، منهم: الحسن، وأبو حنيفة، إلى أنه لا ثواب لهم سوى نجاتهم من النار.

قال الحسن: ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم.

وذهب جماعة، منهم: مالك بن أنس، وابن أبي ليلى، إلى التسوية بينهم وبين الإنس في الثواب والعقاب؛ لاستوائهم في التكليف. **وهو الصحيح.**

قال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: لا ثواب لهم سوى نجاتهم من النار.

وممن قال به: الحسن، وأبو حنيفة[٥].

---

(١) سورة الأحقاف آية: ٣١.

(٢) معالم التنزيل ١٤٨/٤، والجامع لأحكام القرآن٢١٧/١٦.

(٣) معالم التنزيل ١٤٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١٦، وفتح القدير ٢٦/٥، وأضواء البيان٢٣٦/٧.

(٤) رموز الكنوز ٢٣٨/٧.

(٥) معالم التنزيل ١٤٨/٤، والجامع لأحكام القرآن٢١٧/١٦.

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

ومن أقوالهم:

عن أبي الزناد قال: إذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن: عودوا تراباً، فيعودون تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ (١)

القول الثاني: التسوية بينهم وبين الإنس في الثواب والعقاب؛ لاستوائهم في التكليف.

وممن قال به:

١- مالك بن أنس، والشافعي، وابن أبي ليلى، والضحاك(٢).

٢- القشيري، والشوكاني، والشنقيطي(٣).

ومن أقوالهم:

أ- قال أرطأة بن المنذر: سألت ضمرة ابن حبيب: هل للجن ثواب؟ قال: نعم، وقرأ: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (٤)، قال: فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن(٥).

ب- قال الشوكاني: في هذه الآية دليل على إن حكم الجن حكم الإنس في الثواب والعقاب والتعبد بالأوامر والنواهي، وقال الحسن: ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار، وبه قال أبو حنيفة. والأول أولى(٦).

---

(١) سورة النبأ آية: ٤٠.

(٢) معالم التنزيل ١٤٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١٧/١٦، وفتح القدير ٢٦/٥، وأضواء البيان٢٣٦/٧.

(٤) سورة الرحمن آية: ٧٤.

(٥) معالم التنزيل ١٤٨/٤.

(٦) فتح القدير ٢٦/٥.

حاصل الدراسة:

هذه الآي تدل على أن حكم الجن كالإنس في الأمر والنهي والثواب والعقاب، وقال الحسن: ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار يدل عليه قوله تعالى: ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وبه قال أبو حنيفة، قال: ليس ثواب الجن إلا أن يجاروا من النار ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم.

وقال آخرون : إنهم كما يعاقبون في الإساءة يجازون في الإحسان مثل الإنس وإليه ذهب مالك والشافعي وبن أبي ليلى، وقد قال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون.

وقد قال الله سبحانه في مخاطبة الجن والإنس ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] فأمتن سبحانه على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة[2]

قال القشيري: والصحيح أن هذا مما لم يقطع فيه بشيء والعلم عند الله. قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ [3] يدل على أنهم يثابون ويدخلون الجنة؛ لأنه قال في أول الآية: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ [4] إلى أن قال ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ والله أعلم[5].

وقال الشنقيطي: هذه الآية ، يفهم من ظاهرها، أن جزاء المطيع من الجن غفران ذنوبه، وإجارته من عذاب أليم، لا دخوله الجنة.

---

(١) سورة الرحمن آية: ٤٦-٤٧.

(٢) فتح القدير ٥/٢٦.

(٣) سورة الأنعام ١٣٢.

(٤) سورة الأنعام آية: ١٣٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢١٧-٢١٨.

وقد تمسك جماعة من العلماء منهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى، بظاهر هذه الآية، فقالوا إن المؤمنين المطيعين من الجن لا يدخلون الجنة، مع أنه جاء في آية أخرى، ما يدل على أن مؤمنيهم في الجنة وهي قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ؛ لأنه تعالى بين شموله للجن والإنس ، بقوله:﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾.[1]

المناقشة والترجيح:

الراجح: التسوية بينهم وبين الإنس في الثواب والعقاب؛ لاستوائهم في التكليف. وهو ترجيح الرسعني، وجمهور المفسرين.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[2].

---

(١) أضواء البيان٧/٢٣٦.

(٢) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ ﴾ [١]

٢٤٥- مسألة: من هم الذين ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: هم المطعمون يوم بدر[٢].

القول الثاني: هم أهل الكتاب[٣].

القول الثالث: العموم[٤].

قال الرسعني:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: أعرضوا عن دين الإسلام، أو صدّوا الناس عنه.

قال ابن عباسﷺ: هم المطعمون يوم بدر.

وقيل: هم أهل الكتاب.

وقيل: بالعموم. **وهو الصحيح**[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: مشركوا قريش، وهم المطعمون يوم بدر[٦].

---

(١) سورة محمد آية: ١.

(٢) الكشاف٤/٣١٨، وزاد المسير ٤/١١٥، والبحر المحيط ٨/٧٣، وإرشاد العقل السليم٨/٩١، وفتح القدير ٥/٢٩.

(٣) الكشاف٤/٣١٨، والبحر المحيط ٨/٧٣، وإرشاد العقل السليم٨/٩١، وفتح القدير ٥/٢٩.

(٤) بحر العلوم ٣/٢٨١، والكشاف٤/٣١٨، وإرشاد العقل السليم٨/٩١.

(٥) رموز الكنوز ٧/٢٤٥.

(٦) الكشاف٤/٣١٨، وزاد المسير ٤/١١٥، والبحر المحيط ٨/٧٣، وإرشاد العقل السليم٨/٩١، وفتح القدير ٥/٢٩.

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، والكلبي، والواحدي، وابن عطية[١].

واستدلوا : بما قال ابن عباسﷺ في رواية عطاء ومجاهد: يريد مشركي قريش أهل مكة، وما فعلوا بالنبي ﷺ وأصحابه[٢].

ومن أقوالهم:

قال ابن عطية: الآية إشارة إلى أهل مكة الذين أخرجوا رسول الله ﷺ[٣].

القول الثاني: هم أهل الكتاب.

وممن قال به:

ذكره المفسرون في كتبهم ولم يرجحه أحد[٤].

القول الثالث: العموم في كل كافر[٥].

وممن قال به: ابن جزي الكلبي[٦].

ومن أقوالهم:

قال ابن جزي الكلبي: يعني كفار قريش، وعموم اللفظ يعم كل كافر كما أن قوله بعد هذا "والذين آمنوا" يعني الصحابة، وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن[٧].

---

(١) جامع البيان٢١/١٨١، وبحر العلوم ٣/٢٨١، والبسيط٢٠/٢١١، ومعالم التنزيل٤/١٥١، والمحرر الوجيز٥/١٠٩.

(٢) أخرجه الطبري٢١/١٨١، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٣.

(٣) المحرر الوجيز٥/١٠٩.

(٤) الكشاف٤/٣١٨، والبحر المحيط ٨/٧٣، وإرشاد العقل السليم٨/٩١، وفتح القدير ٥/٢٩.

(٥) بحر العلوم ٣/٢٨١، والكشاف٤/٣١٨، وإرشاد العقل السليم٨/٩١.

(٦) التسهيل ٤/٤٦.

(٧) التسهيل ٤/٤٦.

حاصل الدراسة:

المراد بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤوس كفار قريش منهم أبو جهل، والحارث بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم. وقيل: هم جميع كفار قريش، وقيل هم كفار أهل الكتاب، وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه عام في كل كافر، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٢].

---

(١) الكشاف٤/٣١٨، ولباب التأويل٦/١٧٢، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٢٤.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ﴾ [١]

٢٤٦- مسألة: ما معنى ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: حتى يضع أهل الحرب أوزارهم، وهي آلتهم وسلاحهم[٢].

القول الثاني: حتى تضع أوزار المشركين بأن يسلموا ويوحدوا الله تعالى[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ قال ابن عباسﷺ: حتى لا يبقى أحد من المشركين.

وقال مجاهد: حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام.

وقال سعيد بن جبير: حتى يخرج المسيح عليه السلام.

وقال الفراء: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم.

فالمعنى على هذا: حتى يضع أهل الحرب أوزارهم، وهي آلتهم وسلاحهم.

ومنه قول الأعشى:

وأعددتُ للحرب أوزارها رماحاً طِوالاً وخيلاً ذكوراً[٤]

---

(١) سورة محمد آية: ٤.

(٢) تهذيب اللغة (وزر) ١٦٧/١٣، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٠٩، والنكت والعيون٥/٢٩٣، وزاد المسير٤/١١٦، والمحرر الوجيز٥/١١١.

(٣) البسيط٢٠/٢٢١، ومعالم التنزيل٤/١٥٣، والمحرر الوجيز٥/١١١، وزاد المسير٤/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٩.

(٤) لسان العرب٥/٢٨٢ مادة: وزر، وتهذيب اللغة ١٣/١٦٧.

وقيل: المعنى: حتى تضع أوزار المشركين بأن يسلموا ويوحدوا الله تعالى.

والأول أصح[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: حتى يضع أهل الحرب أوزارهم، وهي آلتهم وسلاحهم[٢].

وممن قال به: سعيد بن جبير، ومجاهد، والفراء، والكلبي، وهو اختيار أبي عبيد، وابن قتيبة[٣].

واستدلوا بما يلي :

١- بقول الشاعر:

وأعددتُ للحرب أوزارها رماحاً طِوالاً وخيلاً ذكوراً[٤]

القول الثاني: حتى تضع أوزار المشركين بأن يسلموا ويوحدوا الله تعالى[٥].

وممن قال به: قتادة[٦].

حاصل الدراسة:

﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ أوزار الحرب آلاتها و أثقالها التي لا تقوم إلا بها من السلاح والكراع، وأسند وضعها إليها وهو لأهلها إسناداً مجازياً، وحتى غاية عند الشافعي لأحد الأمور الأربعة أو للمجموع، والمعنى: أنهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى أن لا

---

(١) رموز الكنوز٧/٢٥١.

(٢) زاد المسير٤/١١٦، والمحرر الوجيز٥/١١١.

(٣) تهذيب اللغة (وزر) ١٣/١٦٧، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٠٩، والنكت والعيون٥/٢٩٣.

(٤) البيت قيل للأعشى، وقيل: عمرو بن معد يكرب الزبيدي: انظر: ولسان العرب ٥/٢٨٢مادة: وزر، وتهذيب اللغة ١٣/١٦٧، والمحرر الوجيز٥/١١١.

(٥) البسيط٢٠/٢٢١، ومعالم التنزيل٤/١٥٣، والمحرر الوجيز٥/١١١، وزاد المسير٤/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٩.

(٦) المحرر الوجيز٥/١١١.

يكون مع المشركين حرباً، بأن لا تبقى لهم شوكة، وقيل: بأن ينزل عيسى عليه السلام.

وقيل: أوزارها أثامها أي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله.

فإن كان المراد الإثم، فكيف تضع الحرب الإثم والإثم على المحارب؟ وكذلك السؤال في السلاح لكنه على الأول أشد توجهاً، فيقول تضع الحرب الأوزار لا من نفسها، بل تضع الأوزار التي على المحاربين والسلاح الذي عليهم.

قال القاضي أبو محمد وظاهر الآية أنها استعارة يراد لها التزام الأمر أبداً وذلك أن الحرب بين المؤمنين والكافرين لا تضع أوزارها فجاء هذا كما تقول أنا أفعل كذا إلى يوم القيامة فإنما تريد إنك تفعله دائماً[1].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه حتى يضع أهل الحرب أوزارهم، وهي آلتهم وسلاحهم. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[2].

---

(١) بحر العلوم ٢٨٣/٣، والنكت والعيون٥/٢٩٣، والمحرر الوجيز٥/١١١، ومفاتيح الغيب ٤٠/٢٨، ولباب التأويل ١٧٤/٦، وإرشاد العقل السليم٨/٩٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٦١/١٣-٣٦٢، والتسهيل ٩/١، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٧١/١.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ (١)

٢٤٧- مسألة: من المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: لا يسألكم ربكم أموالكم(٢).

القول الثاني: ولا يسألكم محمد ﷺ أموالكم(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ قيل: المعنى: لا يسألكم ربكم أموالكم.

وقيل: المعنى: ولا يسألكم محمد ﷺ أموالكم.

والأول أظهر(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: لا يسألكم ربكم أموالكم.

وممن قال به:

ذكره المفسرون في كتبهم ولم يرجحه أحد(٥).

القول الثاني: ولا يسألكم محمد ﷺ أموالكم(٦).

---

(١) سورة محمد آية: ٣٦.

(٢) لباب التأويل٦/١٥٨، والبحر المحيط٨/٨٥، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٠.

(٣) لباب التأويل٦/١٥٨، والبحر المحيط٨/٨٥، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٠.

(٤) رموز الكنوز ٧/٢٨٢.

(٥) لباب التأويل٦/١٥٨، والبحر المحيط٨/٨٥، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٠.

(٦) لباب التأويل٦/١٥٨، والبحر المحيط٨/٨٥، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٠.

وممن قال به: ابن أبي زمنين[١].

واستدلوا بما يلي:

١- أن هذا الوجه تشهد له آيات كثيرة من كتاب الله قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [٢].

٢- وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [٣].

٣- وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴾ [٤]

ومن أقوالهم:

قال ابن أبي زمنين: ﴿ وَلَا يَسۡـَٔلَكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴾ يعني: النبيﷺ[٥].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسۡـَٔلَكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴾ في هذه الآية الكريمة أوجه معلومة عند أهل التفسير منها أن المعنى: ولا يسألكم النبي ﷺ أموالكم أجراً على ما بلغكم من الوحي، المتضمن لخير الدنيا والآخرة.

أو أن الله تعالى لا يسأل من العباد أموالهم لإيتاء الأجر عليها، بل يأمرهم بالإيمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة[٦].

المناقشة والترجيح:

الراجح: لا يسألكم ربكم أموالكم. وهو ترجيح الرسعني.

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين٤/٢٤٦.

(٢) سورة سبأ آية: ٤٧.

(٣) سورة ص آية: ٨٦.

(٤) سورة الطور آية: ٤٠.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين٤/٢٤٦.

(٦) لباب التأويل٦/١٥٨، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٠، وأضواء البيان٧/٣٩١.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[١].

(١) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ (١)

٢٤٨- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: لا يسألكم أموالكم إنما يسألكم أمواله(٢).

القول الثاني: لا يسألكم أموالكم كلها، إنما يطلب منكم ربع عشور أموالكم(٣).

قال الرسعني:

قال الماوردي: المعنى: لا يسألكم أموالكم إنما يسألكم أمواله. ويفسد هذا المعنى ما بعده.

والصحيح: أن المعنى: لا يسألكم أموالكم كلها، إنما يطلب منكم ربع عشور أموالكم(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: لا يسألكم أموالكم إنما يسألكم أمواله(٥).

وممن قال به:

ذكره لمفسرون ولم يرجحه أحد.

القول الثاني: لا يسألكم أموالكم كلها، إنما يطلب منكم ربع عشور أموالكم(١).

---

(١) سورة محمد آية: ٣٦.

(٢) النكت والعيون٥/٣٠٦، والبحر المحيط٨/٨٥.

(٣) بحر العلوم٣/٢٩١، والكشاف٤/٣٣٢، والتسهيل ٤/٥٠، ولباب التأويل٦/١٥٨، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٠، وإرشاد العقل السليم٨/١٠٢، وفتح القدير ٥/٤٢.

(٤) رموز الكنوز ٧/٢٨٣.

(٥) النكت والعيون٥/٣٠٦، والبحر المحيط٨/٨٥.

وممن قال به:

١- سفيان بن عيينة.

٢- السمرقندي، والزمخشري، وابن جزي الكلبي، وأبو السعود، والشوكاني[٢].

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا ﴾ [٣] الضمير عائد إلى الأموال[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ أي: لا يسألكم جميعها إنما يسألكم ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف[٥].

ب- قال الشوكاني: بعد ذكر الأقوال: والأول أولى- لا يأمركم بإخراجها جميعها في الزكاة وسائر وجوه الطاعات بل أمركم بإخراج القليل منها وهو الزكاة -[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

لا يسألكم أموالكم أجرا على تبليغ الرسالة كما في قوله: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [٧][٨].

حاصل الدراسة:

﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ قيل: المعنى لا يسألكم أموالكم إنما يسألكم أمواله لأنه هو

---

(١) النكت والعيون٥/٣٠٦، والبحر المحيط٨/٨٥.

(٢) بحر العلوم٣/٢٩١، والكشاف٤/٣٣٢، والتسهيل٤/٥٠، ولباب التأويل٦/١٥٨، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٠، وإرشاد العقل السليم٨/١٠٢، وفتح القدير ٥/٤٢.

(٣) سورة محمد آية: ٣٧.

(٤) لباب التأويل٦/١٥٨.

(٥) التسهيل ٤/٥٠.

(٦) فتح القدير ٥/٤٢.

(٧) سورة الفرقان آية: ٥٧.

(٨) فتح القدير ٥/٤٢.

المالك لها حقيقة، وهو المنعم عليكم بإعطائها.

وقيل: معناه لا يأمركم الله ورسوله ﷺ بإخراج جميع أموالكم في الزكاة، وسائر وجوه الطاعات، بل أمركم بإخراج القليل منها. وهو غيضٌ من فيض وهو ربع العشر من أموالكم، وهو زكاة أموالكم ترد عليكم ليس لله ولرسوله فيها حاجة؛ إنما فرضها الله تعالى في أموال الأغنياء وردها على الفقراء فطيبوا بإخراج الزكاة أنفسكم. وإلى هذا يدل عليه سياق الآية.

فقوله: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ يفيد بعمومه وسياقه معنى لا يسألكم جميع أموالكم، أي إنما يسألكم ما لا يجحِف بكم، فإضافة أموال وهو جمع إلى ضمير المخاطبين تفيد العموم، فالمنفي سؤال إنفاق جميع الأموال، فالكلام من نفي العموم لا من عموم النفي بقرينة السياق[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: لا يسألكم أموالكم كلها، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٢].

---

(١) النكت والعيون٥/٣٠٦، ولباب التأويل٦/١٥٨، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٠، وفتح القدير ٥/٤٢، والتحرير والتنوير٢٦/١٣٤.

(٢) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [١]

٢٤٩- مسألة: ما المراد بالفتح في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: فتح الحديبية[٢].

القول الثاني: فتح مكة[٣].

القول الثالث: فتح خيبر[٤].

القول الرابع: القضاء له بالإسلام[٥].

قال الرسعني:

وفي المراد بهذا الفتح أربعة أقوال: أنه فتح الحديبية. قاله أكثر العلماء[٦].

وقال البراء بن عازب: نحن نعد الفتح بيعة الرضوان[٧].

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية[٨].

وقال الشعبي: هو فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأُطعموا نخل

---

(١) سورة الفتح آية: ١.

(٢) جامع البيان ٢١/٢٣٨-٢٤٤، والنكت والعيون ٥/٣٠٩، ومعالم التنزيل ٤/١٦٦، وزاد المسير ٤/١٢٥، والتسهيل٤/٥١، ولباب التأويل٦/١٨٨، والبحر المحيط٨/٩٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٨٤، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٤، وفتح القدير٥/٤٤.

(٣) النكت والعيون ٥/٣٠٩، وزاد المسير٤/١٢٧، والتسهيل٤/٥١، والبحر المحيط٨/٩٠، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٤، والدر المنثور ٧/٥١٠.

(٤) معالم التنزيل ٤/١٦٦، وزاد المسير٤/١٢٧، والتسهيل٤/٥١، والبحر المحيط٨/٩٠، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٤، وفتح القدير٥/٤٤.

(٥) البسيط ٢٠/٢٨١، وزاد المسير٤/١٢٧، والبحر المحيط٨/٩٠.

(٦) أخرجه الطبري٢١/٢٤١-٢٤٤.

(٧) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح(٤١٥٠).

(٨) أخرجه الطبري٢١/٢٤٢، والنكت والعيون٥/٣١٠.

خيبر، وبلغ الهدي محله، وغلبت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس[١].

وقال الزهري: لم يكن فتحٌ أعظم من فتح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، واسلم في ثلاث سنين خلق كثير[٢].

أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد، حدثنا محمد قال: حدثني أحمد بن إسحاق[٣]، حدثنا عثمان بن عمر[٤]، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالكﷺ:" ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ [٥]"[٦].

وفي رواية مسلم بن أنس قال:" لما نزلت: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ مرجعه من الحديبية، وهم مخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، قال رسول الله ﷺ: لقد نزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً"[٧].

---

(١) أخرجه الطبري٢١/٢٤٤.

(٢) الوسيط٤/١٣٣، وزاد المسير ٤/١٢٧.

(٣) هو: أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر بن جندل السلمي، أبو إسحاق البخاري السرماري، كان يضرب بشجاعته المثل، وكان من الغزائين، ومن أهل الفضل والنسك مع لزوم الجهاد، مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ١/١١، وتقريب التهذيب ص٧٧.

(٤) هو: عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدي، أبو محمد، وقيل: أبو عدي، وقيل: أبو عبد الله البصري، توفي سنة تسع ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٧/١٢٩، وتقريب التهذيب ص٣٨٥.

(٥) سورة الفتح آية: ٥.

(٦) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية،ح(٤١٧٢).

(٧) أخرجه مسلم كتاب الجهاد، باب صلح الحديبية،ح(١٧٨٦).

القول الثاني: أنه فتح مكة. رواه مسروق عن عائشة[١]، وبه قال السدي[٢].

الثالث: أنه فتح خيبر. قاله مجاهد[٣].

الرابع: القضاء له بالإسلام[٤].

والذي يقتضيه النظر الصحيح والبحث المستقيم: عموم ذلك في هذه الأقوال وغيرها، وأنه بشارة للنبي ﷺ والمسلمين بما قضى الله تبارك لهم في الظهور الاستعلاء بما سيفتح عليهم من مكة وخيبر وغيرهما[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: فتح الحديبية[٦].

وممن قال به:

١- عبد الله ابن مسعود، والبراء بن عازب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك رضي الله عنهم، ومجاهد، والشعبي، والزهري[٧].

٢- الطبري، وابن جزي الكلبي، والخازن، وابن كثير، والشوكاني[٨].

واستدلوا: عن جابر رضي الله عنه؛ قال: ما كنّا نعدّ الفتح إلا يوم الحديبية[٩].

ومن أقوالهم:

---

(١) النكت والعيون٥/٣٠٩، والدر المنثور٧/٥١٠.

(٢) زاد المسير٤/١٢٧.

(٣) زاد المسير٤/١٢٧.

(٤) زاد المسير٤/١٢٧،

(٥) رموز الكنوز ٧/٢٨٨-٢٩٠.

(٦) النكت والعيون ٥/٣٠٩، والبحر المحيط٨/٩٠، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٤، وفتح القدير٥/٤٤.

(٧) جامع البيان ٢١/٢٣٨-٢٤٤، ومعالم التنزيل ٤/١٦٦، وزاد المسير ٤/١٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٨٤.

(٨) جامع البيان ٢٠/٢٣٨، والتسهيل٤/٥١، ولباب التأويل٦/١٨٨، وفتح القدير٥/٤٤.

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٨٤.

أ- قال الطبري: وأما الفتح الذي وعد الله جل ثناؤه نبيه ﷺ هذه العدة على شكره إياه عليه، فإنه الهدنة التي جرت بين رسول الله ﷺ ومشركي قريش بالحديبية[١].

ب- قال ابن كثير: المراد به صلح الحديبية، فإنه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان[٢].

ج- قال الشوكاني: والأول أرجح، ويؤيده ما ذكرناه قبل هذا من أن السورة أنزلت في شأن الحديبية[٣].

القول الثاني: فتح مكة ، وذكره بلفظ الماضي لتحققه[٤].

وممن رواه: مسروق عن عائشة رضي الله عنها، وبه قال السدي[٥].

ومن أقوالهم:

قال ابن الجوزي: قال بعض من ذهب إلى هذا: إنما وُعد بفتح مكة بهذه الآية[٦].

القول الثالث: فتح خيبر[٧].

وممن قال به: أنس بن مالكرضي الله عنه، ومجاهد، والعوفي[٨].

القول الرابع: القضاء له بالإسلام[٩].

وممن قال به: قتادة، ومقاتل، واختاره الزجاج[١٠].

---

(١) جامع البيان ٢٠/٢٣٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٨٨.

(٣) فتح القدير٥/٤٤.

(٤) التسهيل٤/٥١، والبحر المحيط٨/٩٠، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٤.

(٥) النكت والعيون ٥/٣٠٩، وزاد المسير٤/١٢٧، والدر المنثور ٧/٥١٠.

(٦) زاد المسير ٤/١٢٧.

(٧) التسهيل٤/٥١، والبحر المحيط٨/٩٠، وفتح القدير٥/٤٤.

(٨) معالم التنزيل ٤/١٦٦، وزاد المسير٤/١٢٧، واللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٤.

(٩) زاد المسير٤/١٢٧، والبحر المحيط٨/٩٠.

(١٠) البسيط ٢٠/٢٨١، وزاد المسير ٤/١٢٧.

واستدلوا بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ فجعل الفتح علة للمغفرة، والهداية للإسلام [١].

ومن أقوالهم:

قال الزجاج: حكمنا لك بإظهار دينك والنصرة على عدوك[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أن المراد فتح الروم[٣].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى:﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا ﴾ . معنى الفتح: فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذراً حتى فتحه الله عز وجل[٤].

والذي عليه الجمهور أن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية؛ لأنه فتح عظيم.

وإيضاح ذلك أن الصلح المذكور هو السبب الذي تهيأ به للمسلمين أن يجتمعوا بالكفار فيدعوهم إلى الإسلام وبينوا لهم محاسنه. فدخل كثير من قبائل العرب بسبب ذلك في الإسلام. فهو من أعظم الفتوح لكونه سبباً لقوة المسلمين وكثرة عددهم .

وليس المراد بالفتح المذكور فتح مكة، وإن قال بذلك جماعة من أهل العلم.

وذلك لأن أكثر أهل العلم على أنه الحديبية؛ ولأن ظاهر القرآن يدل عليه؛ لأن سورة الفتح هذه نزلت بعد صلح الحديبية في طريقه ﷺ راجعاً إلى المدينة.

ولفظ الماضي في قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا ﴾ يدل على أن ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنه فتح مكة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين خلاف الظاهر.

---

(١) التسهيل٤/٥١.

(٢) معاني القرآن للزجاج٥/١٩.

(٣) اللباب في علوم الكتاب١٧/٤٧٤، وفتح القدير٥/٤٤.

(٤) معالم التنزيل ٤/١٦٦.

والآية التي في فتح مكة دلت على الاستقبال لا على المضي، وهي قوله تعالى :﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ [١] [٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الذي عليه الجمهور أن المراد بهذا الفتح صلح الحديبية، ولأن سورة الفتح نزلت بعد صلح الحديبية.

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٣].

---

(١) سورة النصر آية: ١.

(٢) البحر المحيط٨/٩٠، وأضواء البيان٧/٣٩٣.

(٣) المحرر الوجيز ٢/٣٩٥، والجامع لأحكام القرآن ٧/٧٣، والبحر المحيط ٨/٩٤، والتسهيل ٤/٥٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٥٨.

قال تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (١)

٢٥٠- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ما تقدم من الجاهلية وما بعدها(٢).

القول الثاني: ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك(٣).

قال الرسعني:

المراد: ليغفر لك الله جميع ما فرط منك.

قال ابن عباسﷺ والشعبي ومقاتل وعامة المفسرين: ما تقدم من الجاهلية وما بعدها.

قال بعض العلماء: هذا على سبيل التوكيد، كما يقال: فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه.

وقيل: ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك. وفيه بعد.

أخبرنا الشيخان أحمد بن عبد الله وعلي بن أبي بكر قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا عبد الله بن أحمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف بن مطر الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا ابن عيينة قال: حدثنا زياد أنه سمع المغيرة يقول: "قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له:

---

(١) سورة الفتح آية: ٢.

(٢) جامع البيان٢١/٢٣٦، وتفسير مقاتل ٣/٢٤٤، والبسيط٢٠/٢٨٢، وزاد المسير ٤/١٢٨، والجامع لأحكام القرآن١٦/٢٦٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣/٨٨، والدر المنثور٧/٥١٢، وفتح القدير٥/٤٥.

(٣) الكشف والبيان٩/٤٢، والبسيط٢٠/٢٨٣، ومعالم التنزيل٤/١٦٧، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٦٣.

غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟"[١][٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ليغفر لك الله جميع ما فرط منك، ما تقدم من الجاهلية وما بعدها[٣].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، والشعبي، ومقاتل، وسفيان الثوري[٤].

٢- ابن جرير، والواحدي، وابن الجوزي، وابن كثير، والشوكاني[٥].

واستدلوا بما يلي :

١- حديث الصحيحين عن المغيرة قال: "قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟".

٢- روي عن ابن عباسﷺ: أي ما كان عليك من إثم الجاهلية وما تأخر مما يكون. وهذا على طريقة من جوز الصغائر على الأنبياء[٦].

٣- قال سفيان الثوري: "ما تقدم" ممّا عملت في الجاهلية، "وما تأخر": كل شيء لم تعمله. ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد[٧].

ومن أقوالهم:

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير، سورة الفتح باب قوله:" ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"، ح(٤٨٣٦)، ومسلم كتاب الجنة، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ح(٢٨١٩).

(٢) رموز الكنوز٧/٢٩١.

(٣) المحرر الوجيز٥/١٢٦.

(٤) تفسير مقاتل ٣/٢٤٤، والبسيط٢٠/٢٨٢، وزاد المسير٤/١٢٨، والجامع لأحكام القرآن١٦/٢٦٣، والدر المنثور٧/٥١٢، وفتح القدير٥/٤٥.

(٥) جامع البيان٢١/٢٣٦، والبسيط٢٠/٢٨٢، وزاد المسير ٤/١٢٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣/٨٨، وفتح القدير٥/٤٥.

(٦) الكشف والبيان٩/٤٢، ومعالم التنزيل٤/١٦٧، وزاد المسير ٤/١٢٨، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٦٢.

(٧) معالم التنزيل٤/١٦٧.

قال الشوكاني بعد ذكر الأقوال: والأول أولى – ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تأخر بعدها–[١].

القول الثاني: ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء، وما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك

وممن قال به: عطاء الخراساني[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١– قيل ما تقدم من ذنب أبيك إبراهيم وما تأخر من ذنوب النبيين من بعده[٣].

٢– قيل ما تقدم من ذنب يوم بدر ما تأخر من ذنب يوم حنين[٤].

وكلا القولين لا وجه له.

حاصل الدراسة:

واختلف في معنى قوله: ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ فقيل: ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تأخر بعدها، وهو قول عامة المفسرين.

وقال عطاء: ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك آدم وحواء وما تأخر من ذنوب أمتك وما أبعد هذا عن معنى القرآن.

وقيل ما تقدم من ذنب أبيك إبراهيم وما تأخر من ذنوب النبيين من بعده، وهذا كالذي قبله. وقيل: ما تقدم من ذنب يوم بدر ما تأخر من ذنب يوم حنين وهذا كالقولين الأولين في البعد. وقيل: لو كان ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك. وقيل غير ذلك مما لا وجه له. والأول أولى، ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة ترك ما هو الأولى،

---

(١) فتح القدير٥/٤٥.

(٢) الكشف والبيان٩/٤٢، والبسيط٢٠/٢٨٣، ومعالم التنزيل٤/١٦٧، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٦٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن١٦/٢٦٣، وفتح القدير٥/٤٥.

(٤) المحرر الوجيز٥/١٢٦، والجامع لأحكام القرآن١٦/٢٦٣، وفتح القدير٥/٤٥.

وسمى ذنباً في حقه لجلالة قدره وإن لم يكن ذنباً في حق غيره[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تأخر بعدها، وهو قول الجمهور.

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن١٦/٢٦٣، وفتح القدير٥/٤٥.

(٢) جامع البيان ٢/٢٣١، والتسهيل ١/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢/٣٥٤، وأضواء البيان ١/٣٨٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٨٨.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [١]

٢٥١- مسألة: ما المقصود بالفتح القريب في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: فتح خيبر[٢].

القول الثاني: فتح هجر[٣].

القول الثالث:فتح مكة[٤].

قال الرسعني:

﴿ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ وهو فتح خيبر، في قول قتادة والأكثرين.

وفتح هجر، في قول الحسن.

وقيل: فتح مكة.

والصحيح: الأول. فإن فتح خيبر كان عقيب انصرافهم من الحديبية، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقتسموها واتسعوا بها، فذلك قوله تعالى: ﴿ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ [٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الفتح آية: ١٨.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين٤/٢٥٤، وبحر العوم ٣/٣٠١، ومفاتيح الغيب٢٨/٨٣، واللباب في علوم الكتاب ١٧/٤٩٦، وإرشاد العقل لسليم٨/١١٠، والتحرير والتنوير٢٦/١٧٦.

(٣) الكشاف ٤/٣٤٢، والبحر المحيط٨/٩٦.

(٤) النكت والعيون ٥/٣١٦، والمحرر الوجيز٥/١٣٤، والبحر المحيط٨/٩٦.

(٥) رموز الكنوز٧/٣٠٨.

القول الأول: خيبر لقربها من الحديبية[١].

وممن قال به:

١- قتادة وابن أبي ليلى[٢].

٢- ابن أبي زمنين، والسمرقندي، والرازي، وابن عادل، وأبو السعود، وابن عاشور[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴾ يعني فتح خيبر وقيل فتح مكة، والأول أشهر، أي: جعل الله ذلك ثواباً لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة[٤].

ب- قال الشوكاني: ﴿ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴾ هو فتح خيبر عند انصرافهم من الحديبية، وقيل: فتح مكة، والأول أولى[٥].

القول الثاني: هجر.

وممن قال به: الحسن[٦].

القول الثالث: مكة.

وممن قال به:

ذكره المفسرون في كتبهم ولم يرجحه أحد[١].

---

(١) النكت والعيون٥/٣١٦، والمحرر الوجيز٥/١٣٤.

(٢) جامع البيان٢١/٢٧٨، والبحر المحيط٨/٩٦.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين٤/٢٥٤، وبحر العوم ٣/٣٠١، ومفاتيح الغيب٢٨/٨٣، واللباب في علوم الكتاب ١٧/٤٩٦، وإرشاد العقل لسليم٨/١١٠، والتحرير والتنوير٢٦/١٧٦.

(٤) التسهيل ٤/٥٤.

(٥) فتح القدير٥/٥١.

(٦) الكشاف ٤/٣٤٢، والبحر المحيط٨/٩٦.

حاصل الدراسة:

﴿ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴾ فتح خيبر، وكان عقب انصرافهم من مكة. وقيل: فتح هجر، وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمناً طويلاً. وقيل: فتح مكة، والقرب أمر نسبي؛ لكن فتح خيبر كان أقرب.

وقال تعالى عليهم بعدها: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأۡخُذُونَهَا ﴾ وهو ما أجرى الله عز وجل في أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر، وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه فتح خيبر، لأن هذا الفتح كان خاصاً بأهل الحديبية، وكان قريباً من يوم البيعة، وهو قول جمهور المفسرين وترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٣].

---

(١) النكت والعيون ٣١٦/٥، والمحرر الوجيز١٣٤/٥، والبحر المحيط٩٦/٨.

(٢) البحر المحيط٩٦/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٠٥/١٣.

(٣) جامع البيان ٢٥٩/١٦، والمحرر الوجيز ١٨٠/١، ومفاتيح الغيب ١٥٤/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٣، ومجموع الفتاوى ١٤/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٩٩/١.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١)

٢٥٢- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: شهيداً على نفسه أنه يظهر دينك(٢).

القول الثاني: وكفى بالله شهيداً أن محمداً ﷺ رسول الله(٣).

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ قال الحسن: شهيداً على نفسه أنه يظهر دينك.

وقال مقاتل: المعنى: وكفى بالله شهيداً أن محمداً ﷺ رسول الله.

والأول أوجه(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: شهيداً على نفسه أنه يظهره على الدين كله.

وممن قال به: الحسن، والطبري(٥).

ومن أقوالهم:

قال الطبري: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: أشهدَك يا محمدُ ربُّك على نفسه، أنه

---

(١) سورة الفتح آية: ٢٨.

(٢) جامع البيان٢١/٣٢٠، وزاد المسير ٤/١٣٨، والبحر المحيط٨/١٠٠.

(٣) تفسير مقاتل٣/٢٥٤، ومعالم التنزيل ٤/١٩٠، وزاد المسير ٤/١٣٨، ولباب التأويل٦/٢١٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/١٣٢، واللباب في علوم الكتاب١٧/٥١١.

(٤) رموز الكنوز٧/٣١٩.

(٥) جامع البيان٢١/٣٢٠، وزاد المسير ٤/١٣٨، والبحر المحيط٨/١٠٠.

سيُظهِرُ الدين الذي بعثك به، وحسبك به شاهداً[١].

القول الثاني: كفى بالله شهيداً أن محمداً ﷺ رسوله.

وممن قال به: مقاتل، والبغوي، والخازن، وابن كثير، وابن عادل[٢].

ومن أقوالهم:

قال البغوي: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ على أنك نبي صادق فيما تخبر[٣].

حاصل الدراسة:

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ على أنك صادق فيما تخبر وفي أنك رسول الله. وهذا في تسلية قلب المؤمنين فإنهم تأذوا من ردِّ الكفَّار عليهم العهد المكتوب وقالوا: لا نعلم أنه رسول الله فلا تكتبوا محمد رسول الله، بل اكتبوا محمد بن عبد الله، فقال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أي في أنه رسول الله[٤]. فشهادة الله أنه محمدﷺ نبي أرسله، مقتضى ذلك شهادة أنه دينه حق، وهو صادق فيما أخبر به.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الله شهيد على أن محمداً ﷺ رسوله، وعليه ينصر دينه، ويظهره.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٥].

---

(١) جامع البيان ٣٢٠/٢١.

(٢) تفسير مقاتل٢٥٤/٣، ومعالم التنزيل ١٩٠/٤، وزاد المسير ١٣٨/٤، ولباب التأويل٢١٤/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣٢/١٣، واللباب في علوم الكتاب٥١١/١٧.

(٣) معالم التنزيل ١٩٠/٤.

(٤) لباب التأويل٢١٤/٦، واللباب في علوم الكتاب٥١١/١٧.

(٥) الرسالة للشافعي ص٢٠٧،٣٤١، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٠/١، والمحرر الوجيز ٩٤/١، والتسهيل ٩/١، وروح المعاني ١٥٤/٢٨، وأضواء البيان ٣٠٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١]

٢٥٣- مسألة: لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الخطاب لجميع الناس البر والفاجر[٢].

القول الثاني: الخطاب: للكافر[٣].

القول الثالث: خطاب للنبي ﷺ[٤].

قال الرسعني:

﴿ لَّقَدْ كُنتَ ﴾ على إضمار القول، تقديره: فيقال: لقد كنت أيها الإنسان.

وقيل: الخطاب: للكافر. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه [٥].

والمعنى: لقد كنت في دار الدنيا.

﴿ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا ﴾ الذي صرت إليه، ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾ وهي الأكِنَّة الصادّة له عن النظر، ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ أي: حادٌّ ثاقب.

---

(١) سورة ق آية: ٢٢.

(٢) النكت والعيون٥/٣٤٩، والتسهيل٤/٦٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/١٩٠، وإرشاد العقل السليم٨/١٣٠، وفتح القدير٥/٧٦.

(٣) جامع البيان٢١/٤٣٤، والمحرر الوجيز٥/١٦٢، وزاد المسير٤/١٦١، والبحر المحيط ٨/١٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/١٩٠.

(٤) جامع البيان ٢١/٤٣٤، والنكت والعيون٥/٣٤٩، والتسهيل٤/٦٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/١٩٠.

(٥) أخرجه الطبري٢١/٤٣٤ ، وابن أبي حاتم ١٠/٣٣٠٩.

قال مجاهد: وذلك حين ينظر على لسان الميزان حين توزن حسناته وسيئاته[١].

وقال مقاتل: حديدٌ شاخصٌ لا يطرُف[٢].

وقال الزجاج: علمُك اليوم نافذ، لم يرد به حقيقة البصر[٣].

وقال ابن زيد: هذه الآية خطاب للنبي ﷺ، على معنى: لقد كنت في غفلة عن الرسالة والوحي، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي، فبصرك اليوم، أي: عملك في الدنيا حديد[٤].

والقول الأول أظهر وأشهر.

وتؤيده قراءة الجحدري:"لقد كنتِ" بكسر التاء، "عنكِ غطاءكِ فبصركِ" بكسر الكاف فيهنّ، على المخاطبة للنفس[٥][٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الخطاب لجميع الخلق من الجنِّ والإنس. البر والفاجر. والمعنى: كنت غافلاً عن أهوال يوم القيامة، وقيل معناه: أريناك ما كان مستوراً عنك؛ لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام[٧].

وممن قال به:

١-الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس.

---

(١) زاد المسير ١٦١/٤.

(٢) تفسير مقاتل ٢٧١/٣، وزاد المسير ١٦١/٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٥/٥.

(٤) أخرجه الطبري ٤٣٤/٢١.

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط ١٢٤/٨، والدر المصون ٢٦/١٠.

(٦) رموز الكنوز ٣٨٥/٧-٣٨٦.

(٧) النكت والعيون ٣٤٩/٥، والتسهيل ٦٤/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٠/١٣، وإرشاد العقل السليم ١٣٠/٨، وفتح القدير ٧٦/٥.

٢- الطبري، والرازي[١].

واستدلوا بقراءة الجحدري:"لقد كنتِ" بكسر التاء، "عنكِ غطاءكِ فبصركِ" بكسر الكاف فيهنّ، على المخاطبة للنفس[٢].

ومن أقوالهم:

قال الرازي: الخطاب عام، أما الكافر فمعلوم الدخول في هذا الحكم، وأما المؤمن فإنه يزداد علماً ويظهر له ما كان مخفياً عنه ،ويرى علمه يقيناً رأي المعتبر يقيناً فيكون بالنسبة إلى تلك الأحوال وشدة الأهوال كالغافل[٣].

القول الثاني: الخطاب للكافر. فيكون المعنى: لقد كنت في غفلة من هذا اليوم في الدنيا بكفرك به[٤].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، ومجاهد، والضحاك، وصالح بن كيسان في آخرين، وابن عطية[٥].

ومن أقوالهم:

قال ابن عطية: معنى قوله: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ ﴾ أي: يقال للكافر الغافل من ذوي النفس التي معها السائق والشهيد إذا حصل بين يدي الرحمن وعاين الحقائق التي كان لا يصدق بها في الدنيا ويتغافل عن النظر فيها ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـذَا ﴾ [٦].

القول الثالث: خطاب للنبي ﷺ، والمعنى: لقد كنت قبل الوحي في غفلة عما أُوحي

---

(١) جامع البيان ٤٣٥/٢١، ومفاتيح الغيب١٤٢/٢٨.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط ١٢٤/٨، والدر المصون ٢٦/١٠.

(٣) مفاتيح الغيب١٤٢/٢٨.

(٤) النكت والعيون٣٤٩/٥، وإرشاد العقل السليم١٣٠/٨، وفتح القدير٧٦/٥.

(٥) جامع البيان٤٣٤/٢١، والمحرر الوجيز١٦٢/٥، وزاد المسير١٦١/٤، والبحر المحيط ١٢٤/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٩٠/١٣.

(٦) المحرر الوجيز١٦٢/٥.

إليك، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي[١].

وممن قال به: ابن زيد[٢].

حاصل الدراسة:

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا ﴾ خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ يريد أنه كان غافلاً عما لقي في الآخرة، وقيل: هو خطاب لسيدنا محمد ﷺ، أي: كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف؛ لأنه خروج عن سياق الكلام.

قال الألوسي تعقيباً على قول ابن زيد: فقال: ولعمري أنه زعم ساقط لا يوافق السباق ولا السياق. وقال أكثر المفسرين المراد به جميع الخلق برهم وفاجرهم واختار هذا ابن جرير[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الخطاب لجميع الخلق من الجنِّ والإنس. البر والفاجر، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٤].

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٥].

---

(١) النكت والعيون٥/٣٤٩، والتسهيل٤/٦٤.

(٢) جامع البيان ٢١/٤٣٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/١٩٠.

(٣) جامع البيان ٢١/٤٣٤، والتسهيل٤/٦٤، وفتح القدير٥/٧٦، وروح المعاني ٢٦/١٨٤.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

(٥) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

قال تعالى: ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ ﴾ [١]

٢٥٤- مسألة: ما المراد "بالمقسمات"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الملائكة[٢].

القول الثاني: السحاب[٣].

القول الثالث: الكواكب السبعة.

قال الرسعني:

"المقسمات" فالمشهور عندهم: أنها الملائكة، يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به.

قال ابن السائب ومقاتل: هم أربعة: جبريل وهو صاحب الوحي والغلظة، وميكائيل وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل وهو صاحب الصور واللوح، وعزرائيل وهو قابض الأرواح.

قال الحسن: المقسمات: السحاب يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد.

وقيل: إن المقسمات: الكواكب السبعة التي أقسم الله تعالى بها فقال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ [٤] فإنها ضُمّنت أحكام العالم.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٤.

(٢) تفسير مقاتل ٢٧٥/٣، وتفسير مجاهد ٦١٥/٢، وجامع البيان ٤٨٢/٢١، ٤٨٤، والنكت والعيون ٣٦١/٥، والبسيط ٤٢٦/٢٠، ومعالم التنزيل ٢٢٧/٤، وزاد المسير ١٦٧/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٧/١٣، وإرشاد العقل السليم ١٣٦/٨، وفتح القدير ٨٣/٥.

(٣) الكشاف ٣٩٨/٤.

(٤) سورة التكوير آية: ١٥-١٦.

والصحيح: الأول[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الملائكة[٢].

وممن قال به:

١- علي، وابن عباسﷺ، ومجاهد، وابن السائب ومقاتل، وقتادة[٣].

٢- البغوي، وابن الجوزي، وابن كثير، والشوكاني، وابن عثيمين[٤].

واستدلوا بما يلي :

قام رجل إلى علي ﷺ، فقال: فما ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ ؟ قال: هي الملائكة[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن السائب: والمقسمات أربعةٌ، جبريل، وهو صاحب الوحي والغلظة، وميكائيل، وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل، وهو صاحب الصور واللوح، وعزرائيل، وهو قابض الرواح[٦].

ب- قال البغوي: ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق

---

(١) رموز الكنوز ٤٠٦/٧.

(٢) التسهيل ٦٧/٤، والمحرر الوجيز ١٧١/٥.

(٣) تفسير مقاتل ٢٧٥/٣، وتفسير مجاهد ٦١٥/٢، وجامع البيان٤٨٢،٤٨٤/٢١، والنكت والعيون ٣٦١/٥، والبسيط٤٢٦/٢٠.

(٤) معالم التنزيل ٢٢٧/٤، وزاد المسير ١٦٧/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٠٧/١٣، وفتح القدير٨٣/٥، وتفسير القرآن الكريم (سورة الذاريات) ص١١٦.

(٥) جامع البيان ٤٨٢/٢١، والمستدرك ٥٠٦/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٦) زاد المسير١٦٧/٤.

على ما أُمروا به، أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته[١].

القول الثاني: السحاب[٢].

وممن قال به: الحسن.

القول الثالث: الكواكب السبعة.

وممن قال به:

لم أجد أحد من المفسرين ذكره غير الرسعني[٣].

حاصل الدراسة:

﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾ أي: الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها، أو السحب التي يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد، وقد جوز أن يراد بالكل الرياح تنزيلاً لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فإنها كما تذر وما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجرى في الجو جرياً سهلاً وتقسم الأمطار بتصريف السحاب في الأقطار، وهو ضعيف جداً. والأول أولى[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها الملائكة، وهو المشهور عند العلماء، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[٥].

---

(١) معالم التنزيل٤/٢٢٧.

(٢) الكشاف٤/٣٩٨.

(٣) تفسير مقاتل ٣/٢٧٥، وتفسير مجاهد ٢/٦١٥، وجامع البيان٢١/٤٨٤،٤٨٢، والنكت والعيون ٥/٣٦١، والبسيط٢٠/٤٢٦، ومعالم التنزيل ٤/٢٢٧، وزاد المسير ٤/١٦٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٢٠٧، وإرشاد العقل السليم٨/١٣٦، وفتح القدير٥/٨٣.

(٤) إرشاد العقل السليم٨/١٣٦، وفتح القدير٥/٨٣.

(٥) جامع البيان١٦/٤٤٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١١٣، والمحرر الوجيز ٢/٢٤٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٦٢، ومجموع الفتاوى ١٣/٢٧، والبحر المحيط ١/١٢٨، والتسهيل ١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٥٦، وفتح القدير ١/١٢، روح المعاني ١/٩٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٩١.

قال تعالى:﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ [١]

٢٥٥- مسألة: ما هي أوجه قراءة النصب في "مثلَ"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مبنية على الفتح لإضافته إلى اسم غير متمكِّن، وهو "أنّ"[٢].

القول الثاني: أن "ما" و "مثل" اسماً واحداً، مبني على الفتح[٣].

القول الثالث: نصب مثلَ على الحال من النكرة، وهي "حق"[٤].

القول الرابع: أن يكون حالاً من المضمر المرفوع في "لحقّ"[٥].

قال الرسعني:

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر:"مثلُ" بالرفع صفة لـ"لحق"، أي: إنه لحق مثل نطقكم. وقرأ الباقون: "مثلَ" بالنصب[٦].

قال مكي[٧]: حجتهم ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون مبنياً على الفتح لإضافته إلى اسم غير متمكِّن، وهو "أن"، كما بُنِيَت "غير" لإضافتها إلى "أن" في قوله:

لم يمنع الشُّرب منها غير أن نطقت .....[١]

---

(١) سورة الذاريات آية: ٢٣.

(٢) المحرر الوجيز٥/١٧٦، ومفاتيح الغيب٢٨/١٨٠، والبحر المحيط٨/١٨٦.

(٣) المحرر الوجيز٥/١٧٦، والبحر المحيط٨/١٨٦، والدر المصون١٠/٤٩.

(٤) المحرر الوجيز٥/١٧٦، والبحر المحيط٨/١٨٦، والدر المصون١٠/٤٩.

(٥) المحرر الوجيز٥/١٧٦، والتسهيل٤/٦٩، والدر المصون١٠/٤٩.

(٦) الحجة لابن خالوية١/٣٣٢، والحجة للفارسي٢/٢١٦، والحجة لابن زنجلة ص٦٧٩، والكشف ٢/٢٨٧، والنشر ٢/٢٨٦، والإتحاف ١/٥١٦، والسبعة ص٦٠٩.

(٧) الكشف ٢/٢٨٧-٢٨٨.

الوجه الثاني: أن تجعل "ما" و"مثل" اسماً واحداً، وتبنيه على الفتح، وهو قول المازني، فهو عنده كقول الشاعر:

وتدَاعَى مِنخَراهُ بِدَمٍ مثلَ ما أثمَرَ حُمَّاضُ الجبل[٢]

فبنى "مثلاً" لما جعلها و "ما" اسماً واحداً.

الوجه الثالث: أن تنصب "مثلاً" على الحال من النكرة، وهي "حق". وهو قول الجرمي[٣].

والأحسن أن يكون حالاً من المضمر المرفوع في "لحقّ"، وهو العامل في المضمر وفي الحال، وتكون "ما" على هذا زائدة، و"مثل" مضاف إلى "أنكم" ولم يتعرّف بالإضافة لما ذكرنا أولاً، والحال من النكرة قليلٌ في الاستعمال.

وقد حكى الأخفش في قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ ﴾ [٤] أن "أمراً" الثاني حال من "أمر" الأول، وهو نكرة والأحسن أن يكون حالاً من الضمير في "حكيم" وهو بمعنى محكم[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) تتمت البيت: حمامةٌ في غُصون ذاتِ أوقالِ. والبيت أبي قيس بن الأسلت. انظر: الكتاب ٣٢٩/٢، والدر المصون ٤٧/١٠.

(٢) انظر: البيت في: اللسان (مادة: حمض)١٣٨/٧، والدر المصون ٤٨/١٠، والحجة للفارسي ٢١٦/٢، والحُمّاض: بقلة تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء، وهي من ذكور البقول (اللسان، مادة: حمض)١٣٨/٧، والدر المصون ٤٧/١٠.

(٣) هو: صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي، أخذ النحو عن الأخفش، وقرأ كتاب سيبويه عليه، ولقي يونس، وكان رفيقاً للمازني، وأخذ اللغة عن أبي زيد وطبقته، وكان ورعاً، وله تصانيف. توفي سنة ٢٢٥هـ. انظر: وفيات الأعيان٤٨٥/٢.

(٤) سورة الدخان آية:٤-٥.

(٥) رموز الكنوز٤١٨/٧-٤١٩.

القول الأول: مبنية على الفتح لإضافته إلى اسم غير متمكِّن، وهو "أن"[١].

وممن قال به: السمين الحلبي[٢].

واستدلوا بما يلي :

١- أنه كما بُنِيَت "غير" لإضافتها إلى "أن" في قوله:

لم يمنع الشُّرب منها غير أن نطقت حمامةٌ في غُصون ذاتِ أوقالِ

ومن أقوالهم:

قال السمين الحلبي: والباقون بالنصب وفيه أوجهٌ، أشهرها: أنه نعت لـ "حقٌ"، وإنما بُني لإضافته إلى غير متمكن[٣].

القول الثاني: أن "ما" و "مثل" اسماً واحداً، مبني على الفتح[٤].

وممن قال به: المازني[٥].

واستدلوا بما يلي :

١- أنه كقول الشاعر:

وتدَاعَى مِنخَراهُ بِدَمٍ مثلَ ما أثمَرَ حُمَّاضُ الجبل[٦]

---

(١) المحرر الوجيز٥/١٧٦، ومفاتيح الغيب٢٨/١٨٠، والبحر المحيط٨/١٨٦.

(٢) الدر المصون١٠/٤٧.

(٣) الدر المصون ١٠/٤٧.

(٤) المحرر الوجيز٥/١٧٦، والبحر المحيط٨/١٨٦، والدر المصون١٠/٤٩.

(٥) هو: أبو عثمان المازني النحوي اسمه بكر بن محمد بن عثمان البصري شيخ النحاة في زمانه، أخذه عن أبي عبيدة والاصمعي، وأبي زيد الأنصاري وغيرهم، وأخذ عنه أبو العباس المبرد وأكثر عنه. وللمازني مصنفات كثيرة في هذا الشأن، كان شبيهاً بالفقهاء ورعاً زاهداً ثقة مأموناً. انظر: البداية والنهاية١٠/٣٥٢، ومعجم الأدباء٢/٣٤٥.

(٦) انظر: البيت في: اللسان (مادة: حمض)٧/١٣٨، والدر المصون ١٠/٤٧، والحجة للفارسي ٢/٢١٦، والحُمّاض: بقلة تنبت أيام الربيع في مسايل الماء ولها ثمرة حمراء، وهي من ذكور البقول (اللسان، مادة: حمض)٧/١٣٨.

فبنى "مثلاً" لما جعلها و "ما" اسماً واحداً.

ومن أقوالهم:

قال المازني: ومثله: ويُحَما وهيَّما وأينَما وأنشد لحميد بن ثور:

ألا هيَّما ممَّا لقيتُ وهيّضما ... وويحاً لمن لم يدر ما هُن ويحما

قال: فلولا البناء لكان منوَّناً[١].

القول الثالث: نصب مثلاً على الحال من النكرة، وهي "حق"[٢].

وممن قال به:

١- أجازه سيبويه، والجرمي.

القول الرابع: أن يكون حالاً من المضمر المرفوع في "لحقّ" وهو العامل في المضمر، وفي الحال[٣].

وممن قال به:

١- قول الرسعني.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١-جائز أن يكون على التوكيد بمعنى: إنه لحق حقاً مثل نطقكم. كأنهم وجهوها إلى مذهب المصدر. وهذا قول ابن عاشور[٤].

٢- (مثلاً) ظرفاً فينصبونه على الظرفية، عند الكوفيين، وأبي الحسن[٥].

---

(١) الدر المصون ٤٨/١٠.

(٢) المحرر الوجيز١٧٦/٥، والبحر المحيط١٨٦/٨، والدر المصون٤٩/١٠.

(٣) المحرر الوجيز١٧٦/٥، والتسهيل٦٩/٤، والدر المصون٤٩/١٠.

(٤) جامع البيان٥٢٤/٢١، وتفسير ابن أبي زمنين٢٨٦/٤، ومفاتيح الغيب١٨٠/٢٨، وزاد المسير١٧٠/٤، والبحر المحيط١٨٦/٨، والدر المصون٤٩/١٠، والتحرير والتنوير٣٥٦/٢٦.

(٥) البحر المحيط١٨٦/٨، والدر المصون٤٩/١٠، وروح المعاني١٠/٢٧، وإملاء ما من به الرحمن٢٤٤/٢.

حاصل الدراسة:

قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، والحسن، وابن أبي إسحاق (مثلُ) بالرفع: صفة لقوله :﴿ لَحَقٌّ﴾. ورويت عن الحسن وابن أبي إسحاق والأعمش بخلاف عنهم، وباقي السبعة، والجمهور: بالنصب. وفي توجيه النصب أوجه:

قرأ الجمهور (مثلَ) بالنصب على أنه صفة حال محذوف قصد منه التأكيد. والتقدير: إنه لحق حقاً مثل ما أنكم تنطقون[١].

أو أن يكون مثل قد بني لما أضيف إلى غير متمكن وهو في موضع رفع على الصفة (لحق)، ولحقه البناء؛ لأن المضاف إليه قد يكسب المضاف بعض صفته.

أو إن (مثل) بني لكونه مع (ما) شيئاً واحداً.

أو أن تنصب (مثل) على الحال من قوله: (لحق) وهي حال من نكرة وفيه خلاف لكن جوز ذلك الجرمي.

وأما غيره فيراه حالاً من الذكر المرفوع في قوله: (لحق)؛ لأن التقدير (لحق) هو. قال ابن عطية: وفي هذا نظر[٢].

ويقرأ بالفتح وفيه وجهان أحدهما هو معرب ثم في نصبه على هذا أوجه إما هو حال من النكرة أو من الضمير فيها أو على إضمار أعنى أو على أنه مرفوع الموضع ولكنه فتح كما فتح الظرف[٣]

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن القراءة بالرفع، والقراءة بالنصب قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وتوجيه النصب عند النحويين لا يغير في معنى الآية. وقول ابن عاشور: أن يكون على التوكيد بمعنى: إنه لحق حقاً مثل نطقكم. لعله أقرب، والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير٢٦/٣٥٦.

(٢) المحرر الوجيز٥/١٧٦.

(٣) إملاء ما من به الرحمن٢/٢٤٤.

قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [١]

٢٥٦- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ فِى صَرَّةٍ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: في صيحة[٢].

القول الثاني: في جماعة[٣].

قال الرسعني:

﴿ فِى صَرَّةٍ ﴾ أي: في صيحة، ومنه: صرَّ الجُندب[٤]، وصر القلم والباب.

وقيل: في جماعة، ومنه المِصرَّاة وصُرَّة الدراهم.

والأول هو **التفسير الصحيح**[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: في صيحة[٦]

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وأبو صالح، ومجاهد، والضحاك، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وزيد بن أسلم، ومقاتل، والثوري، أبو عبيدة، وابن سابط[٧][١].

---

(١) سورة الذاريات آية: ٢٩.

(٢) جامع البيان ٥٢٨/٢١، وتفسير ابن أبي زمنين٢٨٧/٤، والكشف والبيان١١٧/٩، ومعالم التنزيل ٢٣٢/٤، وزاد المسير١٧١/٤، ولباب التأويل٢٤٥/٦.

(٣) النكت والعيون٣٧١/٥، والمحرر الوجيز١٧٨/٥.

(٤) الجُندُب: الذكر من الجراد. انظر: لسان العرب ٤٥١/٤ مادة:جدب.

(٥) رموز الكنوز٤٢٣/٧.

(٦) التسهيل ٦٩/٤.

(٧) هو: عبد الرحمن بن سابط بن أبي حميضة بن عمرو الجمحي، توفي سنة ١١٨هـ. انظر: الكاشف ٦٢٨/١،

٢- الطبري، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والبغوي، وابن الجوزي، والخازن، وابن عثيمين[٢].

ومن أقوالهم:

قال أبو عبيدة: يقال: أقبل يصطر. أي: يصوتوا صوتاً شديداً[٣].

القول الثاني: في جماعة[٤].

وممن قال به: المبرد، وابن بحر، والنحاس[٥].

واستدلوا بما يلي:

١- قال المبرد: القوم في صرة واحدة، إذا ارتفعت أصواتهم وأنشد قول مهلهل[٦]:

فلولا الريحُ أسمع أهل حجرٍ صرير البيض يُقرعُ بالذكور[٧]

حاصل الدراسة:

الصرة في اللغة: الصيحة.

وقوله: "في صرة" ثلاثة أقاويل: أحدها: الرنة والتأوه، قاله قتادة، ومنه قول الشاعر:

وشربة من شراب غير ذي نفس في صرة من تخوم الصيف وهاج

وبغية الطلب ١٠/٤٦٨١.

(١) تفسير مقاتل٣/٢٧٨، وجامع البيان ٢١/٥٢٨-٥٢٩، وزاد المسير ٤/١٧١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٢١٨.

(٢) جامع البيان ٢١/٥٢٨، وتفسير ابن أبي زمنين٤/٢٨٧، والكشف والبيان٩/١١٧، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٢، وزاد المسير٤/١٧١، ولباب التأويل٦/٢٤٥، وتفسير القرآن الكريم (سورة الذاريات) لابن عثيمين ص١٣٨.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١١٧.

(٤) التسهيل ٤/٦٩.

(٥) النكت والعيون٥/٣٧١، والمحرر الوجيز٥/١٧٨.

(٦) هو: مهلهل بن ربيعة التغلبي. انظر: نزهة الألباب في الألقاب٢/٢٠٧.

(٧) البيت ورد في ديوانه ص١٨، والأصمعيات ص١٥٥.

الثاني: أنها الصيحة، ومنه أخذ صرير الباب، ومنه قول امرئ القيس:

فألحقه بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل

الثالث: أنها الجماعة، قاله ابن بحر، ومنه المصراة من الغنم لجمع اللبن في ضرعها. وسميت صرة الدراهم فيها، قال الشاعر[١]:

رب غلام قد صرى في فقرته ماء الشباب عنفوان سنبته [٢]

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن معناها في صرخة، وصيحة، وهو الموافق للمعنى اللغوي، وقول جمهور العلماء، وترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر[٣].

---

(١) هو: الأغلب العجلي. انظر: غريب الحديث ٢/٢٤١، وجمهرة اللغة ١/٧٠.

(٢) النكت والعيون٥/٣٧١، والبسيط ٢٠/٤٥٢.

(٣) جامع البيان٦/٣٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ٥/١٣٢، والكشاف ٤/٢٤٥، والمحرر الوجيز١/٣٤٠، وبدائع الفوائد ٣/٥٣٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٣٦٩.

قال تعالى: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾ [١]

٢٥٧- مسألة: ما المراد بالكتاب المسطور؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه اللوح المحفوظ[٢].

القول الثاني: التوراة[٣].

القول الثالث: كُتبُ أعمال بني آدم[٤].

قال الرسعني:

﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباسﷺ: أنه اللوح لمحفوظ.

ويرد على هذا القول إشكال لم أرهم تعرّضوا لذكره فضلاً عن جوابه، وهو أنه وصف الكتاب بقوله: ﴿ فِى رَقٍّ ﴾ .

واللوح المحفوظ بنص ابن عباسﷺ: دُرَّةٌ بيضاء[٥].

وقال ابن السائب: هو ما كتبه الله تعالى لموسى وهو يسمع صرير القلم[٦].

والأظهر في التفسير: أن الكتاب المسطور: كتبُ أعمال بني آدم.

---

(١) سورة الطور آية: ٢.

(٢) معالم التنزيل ٢٣٧/٤، والتسهيل٧١/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٢٦/١٣، وفتح القدير٥/٩٤.

(٣) النكت والعيون٣٧٧/٥، والكشف والبيان١٢٣/٥، والجامع لأحكام القرآن ٥٩/١٧، وفتح القدير٥/٩٤.

(٤) تفسير مقاتل ٢٨٢/٣، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبةص٤٢٤، وجامع البيان٥٦١/٢١، ومعاني القرآن للزجاج٦١/٥، والكشف والبيان١٢٣/٥، والبسيط٤٧٦/٢٠، وزاد المسير ١٧٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ٥٩/١٧، وفتح القدير٥/٩٤.

(٥) أخرجه الحاكم ٥١٦/٢ ح٣٧٧١، والطبراني في الكبير٢٦٠/١٠ ح١٠٦٠٥، والطبري٥٦١/٢١.

(٦) معالم التنزيل٢٣٧/٤، والجامع لأحكام القرآن٥٩/١٧.

قال مقاتل[١]: تخرج إليهم أعمالهم يومئذ[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه اللوح المحفوظ[٣].

وممن قال به:

١- قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه [٤].

القول الثاني: التوراة[٥].

وممن قال به:

١- الكلبي[٦].

القول الثالث: كُتبُ أعمال بني آدم[٧].

وممن قال به:

١- مجاهد، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، والطبري، والواحدي[٨].

واستدلوا بما يلي:

---

(١) تفسير مقاتل ٢٨٢/٣.

(٢) رموز الكنوز٤٣٥/٧-٤٣٦.

(٣) معالم التنزيل ٢٣٧/٤، والتسهيل٧١/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٢٦/١٣، وفتح القدير٩٤/٥.

(٤) زاد المسير ١٧٥/٤.

(٥) النكت والعيون٣٧٧/٥، والكشف والبيان١٢٣/٥، والجامع لأحكام القرآن ٥٩/١٧، وفتح القدير٩٤/٥.

(٦) معالم التنزيل ٢٣٧/٤.

(٧) البسيط٤٧٦/٢٠، والتسهيل٧١/٤، وفتح القدير٩٤/٥.

(٨) تفسير مقاتل٢٨٢/٣، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبةص٤٢٤، وجامع البيان٥٦١/٢١، ومعاني القرآن للزجاج٦١/٥، والكشف والبيان١٢٣/٥، والبسيط٤٧٦/٢٠، وزاد المسير ١٧٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ٥٩/١٧، وفتح القدير٩٤/٥.

١- قوله تعالى: ﴿ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [١]

ومن أقوالهم:

قال الواحدي: والصحيح هو القول الأول-أن المراد بالكتاب ما اثبت على بني آدم من أعمالهم- لقوله تعالى: ﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾ ولم يثبت أن اللوح المحفوظ من الرق. ولا أن ما كتب لموسى كان على الرق[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- القرآن[٣].

٢- الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً، ولهذا قال: ﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾ [٤].

حاصل الدراسة:

﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴾ أي مكتوب، وفي أربعة أقاويل: أحدها: أنه الكتاب الذي كتب الله لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون. الثاني: أنه القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ. الثالث: هي صحائف الأعمال فمن أخذ كتابه بيمينه، ومن آخذ كتابه بشماله، وهو قول جمهور المفسرين. الرابع: التوراة[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها صحف وكُتبُ أعمال بني آدم، وهو قول جمهور العلماء وترجيح

---

(١) سورة الإسراء آية: ١٣.

(٢) البسيط ٢٠/٤٧٦.

(٣) زاد المسير ٤/١٧٥، والتسهيل٤/٧١، وفتح القدير٥/٩٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٢٢٦.

(٥) النكت والعيون ٥/٣٧٧، ومعالم التنزيل٤/٢٣٧، والمحرر الوجيز٥/١٨٥، والمحرر الوجيز٥/١٨٥، وإرشاد العقل السليم٨/١٤٦.

الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[١].

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٢].

(١) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

(٢) جامع البيان ٥٠٧/١٩، ومعالم التنزيل٣٥/١، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، ومفاتيح الغيب٣٤/١٠، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٣١٢/١.

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ ﴾ [١]

٢٥٨- مسألة: ما المقصود بالبيت المعمور؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: البيت الحرام[٢].

القول الثاني: بيت في السماء، يسمى: الضُّراح[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾ قال الحسن: هو البيت الحرام[٤].

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور: أنه بيت في السماء، يسمى: الضُّراح.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو على سمت البيت الحرام، حتى لو سقط لسقط عليه، يحجه كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى: الضُّراح.

والضُّراح: بالضاد المعجمة. قال ابن فارس: هو بيت في السماء.

وقال الربيع بن أنس: أنه كان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم، حتى كان زمان نوح، فأمرهم أن يحجوا إليه، فعصوه، فلما طغى الماء رُفع فجعل في سماء الدنيا حذاء البيت الحرام، وبوأ الله تعالى لإبراهيم الكعبة حيث كان[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: البيت الحرام.

---

(١) سورة الطور آية ٤.

(٢) الكشف والبيان٩/١٢٤، وزاد المسير٤/١٧٦، والتحرير والتنوير٢٧/٣٩.

(٣) جامع البيان٢١/٥٦٣-٥٦٥، والنكت والعيون٥/٣٧٨، والبسيط٢٠/٤٧٧، وتفسير مجاهد٢/٦٢٤، وتفسير مقاتل٢/٢٨٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٢٢٧.

(٤) النكت والعيون ٥/٣٧٨، وزاد المسير٤/١٧٦.

(٥) رموز الكنوز٧/٤٣٧.

وممن قال به:

١- الحسن، وابن عاشور[١].

ومن أقوالهم:

قال ابن عاشور: عن الحسن أنه الكعبة وهذا الأنسب بعطفه على الطور...، وثمة أخبار كثيرة متفاوتة في أن في السماء موضعاً يقال له: البيت المعمور، لكن الروايات في كونه المرادَ من هذه الآية ليست صريحة[٢].

القول الثاني: بيت في السماء، يسمى: الضُّراح[٣].

وممن قال به:

١- علي، وابن عباس، وأنسﷺ، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، والربيع بن أنس، ومقاتل[٤].

٢- ابن أبي زمنين، والواحدي، والبغوي، وابن عطية[٥].

واستدلوا بما يلي:

١- ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة:" ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم"[٦].

---

(١) الكشف والبيان٩/١٢٤، وزاد المسير٤/١٧٦، والتحرير والتنوير٢٧/٣٩.

(٢) التحرير والتنوير٢٧/٣٩.

(٣) الكشف والبيان٩/١٢٤، والبسيط٢٠/٤٧٧، وزاد المسير ٤/١٧٥، والجامع لأحكام القرآن١٧/٥٩، واللباب في علوم الكتاب١٨/١١٤.

(٤) جامع البيان٢١/٥٦٣-٥٦٥، والنكت والعيون٥/٣٧٨، والبسيط٢٠/٤٧٧، وتفسير مجاهد٢/٦٢٤، وتفسير مقاتل٢/٢٨٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٢٢٧.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين٤/٢٩٣، والبسيط٢٠/٤٧٧، ومعالم التنزيل ٤/٢٣٧، والمحرر الوجيز٥/١٨٦.

(٦) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح(٣٢٠٧). ومسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء من حديث مالك بن صعصعه، ح(١٦٢).

حاصل الدراسة:

﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾ ما ثبت في الصحيحين من أن البيت الذي في السماء هو البيت المعمور، مع اختلافهم على أقوال أنه في أي سماء هو؟

قالوا: أن البيت المعمور، هو بيت فوق ست سموات، ودون السابعة، يدعى الضراح، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً، وهو بحذاء البيت العتيق. قالوا: أن البيت المعمور كان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم، حتى إذا كان زمان نوح أمرهم أن يحجوا، فأبوا عليه وعصوه، فما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا، فيعمره، فبوأ الله لإبراهيم الكعبة البيت الحرام حيث كان، قاله الله تعالى :﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ الآية[١] . وقال الحسن: أن البيت المعمور هو البيت الحرام[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن البيت المعمور هو البيت الذي في السماء لما ثبت في الصحيحين وقول جمهور المفسرين وترجيح الرسعني.

القاعدة: كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد[٣].

---

(١) سورة الحج آية: ٢٦.

(٢) النكت والعيون٥/٣٧٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٤٣/١٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢١٤.

قال تعالى: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [١]

٢٥٩- مسألة: ما معنى "بأعيننا"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: بمرأى منا[٢].

القول الثاني: بأمرنا[٣].

القول الثالث: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها[٤].

قال الرسعني:

﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ أي: بمرأى منا[٥].

وقال الضحاك: بأمرنا.

وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها.

والأول أصح[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: بمرأى منا[٧].

وممن قال به:

---

(١) سورة القمر آية: ١٤.

(٢) زاد المسير ١٩٩/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٩٧/١٣، وروح المعاني٨٣/٢٧.

(٣) بحر العلوم٣٥١/٣، والبحر المحيط١٧٦/٨، وفتح القدير١٢٣/٥.

(٤) جامع البيان١٢٦/٢٢، والنكت والعيون ٤١٢/٥، ومعالم التنزيل٢٧٤/٤، والبحر المحيط١٧٦/٨، واللباب في علوم الكتاب٢٥٠/١٨، وفتح القدير١٢٣/٥، وروح المعاني ٨٣/٢٧.

(٥) معالم التنزيل ٢٧٤/٤.

(٦) رموز الكنوز ٥١٨/٧.

(٧) بحر العلوم٣٥١/٣، والنكت والعيون٤١٢/٥، وفتح القدير١٢٣/٥.

١- ابن الجوزي، وابن كثير، وأبو السعود، والألوسي[١].

واستدلوا أنه كقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [٢]

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن كثير: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ ، أي: بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا[٣].

ب- قال أبو السعود: بمرأى منا أي محفوظة بحفظنا[٤]

ج- قال الألوسي: بعد ذكره للأقوال والأول أظهر- بمرأى منا وكني به عن الحفظ، أي: تجري في ذلك الماء بحفظنا وكلاءتنا- [٥].

القول الثاني: بأمرنا[٦].

وممن قال به: الضحاك، سفيان[٧].

القول الثالث: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها.

وممن قال به:

ذكره المفسرون في كتبهم ولم يرجحه أحد[٨].

---

(١) زاد المسير ١٩٩/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٩٧/١٣، وإرشاد العقل السليم١٦٩/٨، وروح المعاني٨٣/٢٧.

(٢) سورة هود آية: ٣٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩٧/١٣.

(٤) إرشاد العقل السليم١٦٩/٨.

(٥) روح المعاني ٨٣/٢٧.

(٦) بحر العلوم٣٥١/٣، والبحر المحيط١٧٦/٨، وفتح القدير١٢٣/٥.

(٧) الكشف والبيان١٦٥/٩، والنكت والعيون ٤١٢/٥.

(٨) جامع البيان١٢٦/٢٢، والنكت والعيون ٤١٢/٥، ومعالم التنزيل٢٧٤/٤، والبحر المحيط١٧٦/٨، واللباب في علوم الكتاب٢٥٠/١٨، وفتح القدير١٢٣/٥، وروح المعاني ٨٣/٢٧.

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودَّع: عين الله عليك. وقولك اجعل هذا نصب عينيك[١].

قال السمين الحلبي: أي ملتبسة بحفظنا وهو في المعنى كقوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [٢] [٣].

٢- عن مقاتل بن سليمان: بوحينا [٤].

٣- قيل: بالأعين النابعة من الأرض [٥].

٤- قيل: بأوليائنا، يعني نوحاً عليه السلام ومن آمن معه، يقال: مات عين من عيون الله تعالى، أي: ولي من أوليائه سبحانه[٦].

٥- قال ابن جزي الكلبي: عبارة عن حفظ الله ورعيه لها[٧].

حاصل الدراسة:

قوله ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ قال الجمهور، وأهل المعاني معناه: بحفظنا وحفايتنا وتحت نظرنا لأهلها، فسمى هذه الأشياء أعينا تشبيهاً، إذ الحافظ المتحفي من البشر إنما يكون ذلك الأمر نصب عينه، وقيل: المراد من حفظها من الملائكة سماهم عيوناً، وقال الرماني وقيل أن قوله: ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ يريد العيون المفجرة من الأرض. وضعف هذا القول ابن عطية [٨].

---

(١) الكشف والبيان٩/١٦٥، ومعالم التنزيل٤/٢٧٤، واللباب في علوم الكتاب١٨/٢٥٠.

(٢) سورة طه آية: ٣٩.

(٣) الدر المصون١٠/١٣٥.

(٤) الكشف والبيان٩/١٦٥، والبحر المحيط٨/١٧٦، وفتح القدير٥/١٢٣.

(٥) البحر المحيط٨/١٧٦، واللباب في علوم الكتاب١٨/٢٥٠، وفتح القدير٥/١٢٣.

(٦) روح المعاني ٢٧/٨٣.

(٧) التسهيل٤/٨٠.

(٨) النكت والعيون٥/٤١٢، والمحرر الوجيز٥/٢١٥، والبحر المحيط٨/١٧٦، واللباب في علوم الكتاب١٨/٢٥٠، وروح المعاني ٢٧/٨٣.

المناقشة والترجيح:

الراجح:أن المراد بمرأى منا، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[١].

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/٤١٤، والمحرر الوجيز ٢/٣٧٥، ومجموع الفتاوى ٢٠/٤٧٣، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٣٨٧.

قال تعالى: ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [١]

٢٦٠- مسألة: ما هي القراءات في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَشِرُ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: القراءة بكسر الشين وتخفيف الراء.

القول الثاني: بفتح الشين وتشديد الراء

قال الرسعني:

﴿ مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ وقرأ أبو قلابة: "الأَشَرُّ" بفتح الشين وتشديد الراء[٢].

والصحيح: ما عليه عامة القرّاء؛ لثلاثة أوجه:

أحدها: أنها نُقلت بطريق التواتر الذي لا يثبت كونه قرآناً إلا به.

الثاني: أنه رام عكس قولهم عليهم، وهم إنما نسبوه إلى الأشَر لا إلى الشَّرَارة.

الثالث: أنه وإن كان أصل قولهم هو شر منه، لكنه أصل مرفوض.

وقد حكى ابن الأنباري[٣] أن العرب تقول: هو أخيَر وأشَرّ، وما أخيرَه وما أشرّه[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: القراءة بكسر الشين وتخفيف الراء.

وممن قال به:

---

(١) سورة القمر آية: ٢٦.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط ١٧٧/٨ ، والدر المصون ١٤٠/١٠.

(٣) انظر قول ابن الأنباري في: البحر المحيط ١٧٧/٨.

(٤) رموز الكنوز ٥٢٦/٧-٥٢٧.

١- عامة قراء الأمصار، والطبري، والثعلبي، وابن عادل[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندي ما عليه قرأةُ الأمصار؛ لإجماع الحُجَّةِ من القرأةِ عليه[٢].

ب- قال الثعلبي: قرأ أبو قلابة: مَن الكذاب الأشر بفتح الشين وتشديد الراء على وزن أفعل من الشر ، والقراءة الصحيحة ما عليه العامة[٣].

ج- قال ابن عادل: بفتح الشين وتشديد الراء، جَعَلَهُمَا أفعلَ تَفْضِيلٍ. وهو شاذ؛ لأنه لم يحْذف الهمزة من لفظ الخَيْرِ والشّرّ في أفعل التفضيل[٤].

القول الثاني: بفتح الشين وتشديد الراء

وممن قال به:

١- قتادة، وأبو قلابة[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قرأ أبو قيس الأودِيُّ[٦]، ومجاهد الحرف الثاني "الأُشُرُ" ثلاث ضمات. وتخريجها: على أنّ فيه لغة "أشُر" بضم الشين كحَذُر وحذَر، ثم ضُمَّت الهمزة إتباعاً لضم الشين.

---

(١) جامع البيان ١٤٠/٢٢، والكشف والبيان١٦٧/٩، والمحرر الوجيز٥/٢١٨، واللباب في علوم الكتاب١٨/٢٦٢.

(٢) جامع البيان ١٤١/٢٢.

(٣) الكشف والبيان١٦٧/٩.

(٤) اللباب في علوم الكتاب١٨/٢٦٢.

(٥) المحتسب ٢٩٩/٢، والمحرر الوجيز٥/٢١٨، والبحر المحيط١٧٧/٨، والدر المصون١٠/١٤٠، والجامع لأحكام القرآن ١٤٠/١٧، ومختصر الشواذ ١٤٨.

(٦) هو: عبد الرحمن بن ثروان الكوفي روى عن شريح القاضي. روى له الجماعة سوى مسلم توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: تهذيب الكمال ٢٠/١٧.

ونقل الكسائي عن مجاهد ضمَّ الشين وفتح الهمزة على أصلِ تيكَ اللغةِ كحَذُر[١].

٢- وقرأ أبو حيوة " الأشر" بفتح الشين، كأنه وصف بالمصدر[٢].

حاصل الدراسة:

قرأ أبو قلابة "من الكذاب الأَشَرُّ" بفتح الشين وتشديد الراء، وجعلهما أفعل تفضيلٍ وهو شاذٌّ؛ لأنه تحذف الهمزة من لفظ الخير والشر في أفعل التفضيل تقول زيدٌ خيرٌ من عمرو وشرٌّ من بكر. ولا نقول: أخيرُ ولا أشرُّ إلا في نُدور كهذه القراءة، وكقول رؤبة[٣]:

بلالُ خيرُ الناس وابنُ الأخير

وثبتت فيهما في التعجب نحو: ما أخيره وما اشره. ولا تحذف إلا في نُدور عكس أفعل التفضيل[٤]. وقراءة مجاهد بضم الشين وتخفيف الراء، قراءة شاذة[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: قراءة جمهور القراء بكسر الشين وتخفيف الراء، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة[٦].

---

(١) جامع البيان ١٤٠/٢٢، والمحرر الوجيز٥/٢١٨، والدر المصون١٠/١٤١، واللباب في علوم الكتاب ٢٦٢/١٨.

(٢) المحرر الوجيز٥/٢١٨.

(٣) الدر المصون ١٠/١٤٠، والهمع ٢٣٣/٢.

(٤) الدر المصون١٠/١٤٠.

(٥) معاني القرآن للفراء ١٠٨/٣، ومختصر الشواذ لابن خالويه ص١٤٨.

(٦) جامع البيان ٥٨٧/١٣، والمحرر الوجيز ٢٣٠/٢، وأضواء البيان ٤٢٩/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٠٤/١.

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ [١]

٢٦١- مسألة: هل السورة مكية أو مدنية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مكية[٢].

القول الثاني: مكية إلا آية[٣].

القول الثاني: مدنية[٤].

قال الرسعني:

وهي مكية في قول الحسن وعطاء ومقاتل[٥] والأكثرين، وابن عباسﷺ في رواية ابن أبي طلحة عنه[٦]، واستثنى آية وهي: ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٧] [٨].

ومدنية في قول ابن مسعود وابن عباسﷺ في رواية عطية عنه[٩].

والصحيح الأول؛ لأن النبي ﷺ قرأها على الجن الذين صرفهم الله تعالى إليه، وكان ذلك بمكة[١٠].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الرحمن آية: ١.

(٢) بحر العلوم٣/٣٥٨، والكشف والبيان٩/١٧٦، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٥١، واللباب في علوم الكتاب١٨/٢٩٠، والإتقان ١/٤٣، وفتح القدير٥/١٣١.

(٣) النكت والعيون٥/٤٢٢، والإتقان ١/٤٣، وزاد المسير٤/٢٠٥.

(٤) النكت والعيون ٥/٤٢٢، وزاد المسير٤/٢٠٥، والدر المنثور ٧/٦٨٩.

(٥) تفسير مقاتل ٣/٣٠٣.

(٦) الإتقان ١/٤٣.

(٧) سورة الرحمن آية: ٢٩.

(٨) النكت والعيون ٥/٤٢٢، وزاد المسير٤/٢٠٥، والدر المنثور ٧/٦٨٩.

(٩) النكت والعيون ٥/٤٢٢، وزاد المسير٤/٢٠٥، والدر المنثور ٧/٦٨٩.

(١٠) رموز الكنوز ٧/٥٤٣.

القول الأول: مكية.

وممن قال به:

١- عائشة، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، والحسن، وعطاء، ومقاتل[١].

٢- السمرقندي، والثعلبي، والقرطبي، وابن عادل، والسيوطي، والشوكاني[٢].

واستدلوا بما يلي :

١-عن ابن عباس رضي الله عنه: قال: نزلت سورة الرحمن بمكة[٣].

٢- لما روى عروة بن الزبير رضي الله عنه، قال: أول من جهر بالقرآن بـ" مكة" بعد النبي ﷺ ابن مسعود، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم قالت: ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعموه، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنا، فقالوا: نخشى عليك، وإنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه، فأبى ثم قام عند المقام، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ ثم تمادى بها رافعا صوته، وقريش في أنديتها، فتأملوا، وقالوا: ما يقول ابن أم عبد؟ قالوا: هو يقول: الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه، ثم ضربوه حتى أثروا في وجهه[٤].

٣- ما رواه الترمذي والحاكم عن جابر رضي الله عنه قال: لما قرأ رسول الله ﷺ على أصحابه سورة الرحمن حتى فرغ، قال: مالي أراكم سكوتاً؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم من مرة ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا ولا

---

(١) تفسير مقاتل ٣٠٣/٣، والنكت والعيون٤٢٢/٥، وزاد المسير٢٠٥/٤، والجامع لأحكام القرآن١٥١/١٧، والدر المنثور٦٨٩/٧.

(٢) بحر العلوم٣٥٨/٣، والكشف والبيان١٧٦/٩، والجامع لأحكام القرآن ١٥١/١٧، واللباب في علوم الكتاب٢٩٠/١٨، والإتقان ٤٣/١، وفتح القدير١٣١/٥.

(٣) أخرجه النحاس عن ابن عباس رضي الله عنه، ومعالم التنزيل ٢٨٣/٤، والدر المنثور٦٨٩/٧.

(٤) أخرجه ابن إسحاق في ترجمة ابن مسعود٣٩٥/٣، واللباب في علوم الكتاب٢٩٠/١٨.

بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد[١]. وقصة الجن كانت بمكة.

٤-ما أخرجه أحمد في مسنده بسند جيد عن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وفي هذا دليل على تقدم نزولها على سورة الحجر[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: وهي مكية فيما قال الجمهور من الصحابة والتابعين، عن ابن عباسﷺ هي مدنية، والأول أصح[٣].

ب- قال ابن عادل: مكية كلها في قول الحسن، وعروة بن الزبير، وعكرمة، وعطاء، وجابر. وقال ابن عباسﷺ: إلا آية منها. وقال ابن مسعود ومقاتل: هي مدنية كلها. والأول أصح[٤].

القول الثاني: مكية إلا آية.

وممن قال به: ابن عباسﷺ في رواية ابن أبي طلحة عنه[٥].

القول الثالث: مدنية.

وممن قال به: ابن مسعود، وابن عباسﷺ في رواية عطية عنه، ومقاتل[٦].

واستدلوا:

بقول ابن عباس ﷺ : "نزلت سورة الرحمن بالمدينة"[١].

---

(١) قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ٢/٥١٥ (٣٧٦٦).

(٢) الإتقان ١/٤٣.

(٣) المحرر الوجيز٥/٢٢٣.

(٤) اللباب في علوم الكتاب١٨/٢٩٠.

(٥) النكت والعيون٥/٤٢٢، والإتقان ١/٤٣، وزاد المسير٤/٢٠٥.

(٦) النكت والعيون ٥/٤٢٢، وزاد المسير٤/٢٠٥، والدر المنثور ٧/٦٨٩.

حاصل الدراسة:

سورة الرحمن الجمهور على أنها مكية وهو الصواب ويدل له ما رواه الترمذي والحاكم عن جابر. وأصرح منه في الدلالة ما أخرجه أحمد في مسنده بسند جيد عن أسماء بنت أبي بكر[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه مكية، وهو قول الجمهور، وترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٣].

---

(١) الدر المنثور ٦٨٩/٧.

(٢) اللباب في علوم الكتاب٢٩٠/١٨، والإتقان ٤٣/١.

(٣) المحرر الوجيز ٣٩٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/٧، والبحر المحيط ٩٤/٨، والتسهيل ٥٤/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٥٨/١.

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ [١]

٢٦٢- مسألة: ما المراد بالإنسان في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: آدم[٢].

القول الثاني: محمد[٣].

القول الثالث: أن الإنسان: اسم جنس[٤].

قال الرسعني:

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ قال ابن عباسﷺ وقتادة: آدم[٥].

و﴿ ٱلْبَيَانَ ﴾ : اللغات، والأسماء كلها.

وقال ابن كيسان: المراد بالإنسان: محمد ﷺ، علَّمه بيان ما كان ويكون[٦].

والصحيح: أن الإنسان: اسم جنس، وهو قول جمهور المفسرين[٧][٨].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الرحمن آية: ٣.

(٢) تفسير مقاتل ٣٠٤/٣، وجامع البيان ١٦٩/٢٢، وتفسير ابن أبي زمنين٣٢٧/٤، والكشف والبيان١٧٧/٩، والبسيط١٣٤/٢٢، ومعالم التنزيل٢٨٣/٤، وزاد المسير٢٠٥/٤، وفتح القدير١٣١/٥.

(٣) البسيط١٣٤/٢١، وزاد المسير٢٠٥/٤، والجامع لأحكام القرآن١٥٢/١٧.

(٤) البسيط١٣٤/٢٢، وزاد المسير٢٠٥/٤، والمحرر الوجيز ٢٢٣/٥، والتسهيل ٨٣/٤، والبحر المحيط ١٨٩/٨.

(٥) أخرجه الطبري١٦٨/٢٢.

(٦) زاد المسير٢٠٥/٤.

(٧) جامع البيان١٦٩/٢٢، والنكت والعيون ٤٢٣/٥.

(٨) رموز الكنوز ٥٤٤/٧.

القول الأول: آدم[١]

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، والحسن، وقتادة، والكلبي، ومقاتل، وابن أبي زمنين[٢].

القول الثاني: محمد.

وممن قال به:

١- عطاء عن ابن عباسﷺ، وابن كيسان[٣].

القول الثالث: أن الإنسان: اسم جنس[٤].

وممن قال به:

١- حكاه الزهراوي وغيره، وابن جزي الكلبي، وابن عثيمين[٥].

ومن أقوالهم:

قال ابن جزي الكلبي: قيل جنس الناس وقيل يعني آدم وقيل يعني سيدنا محمد ﷺ ولا دليل على التخصيص والأول أرجح[٦].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال، أحدها: أنه اسم جنس فالمعنى خلق الناس جميعاً. قاله الأكثرون، وساغ ذلك؛ لأن أباهم مخلوق من الصلصال. وإذا

---

(١) البحر المحيط ١٨٩/٨.

(٢) تفسير مقاتل ٣٠٤/٣، وجامع البيان ١٦٩/٢٢، وتفسير ابن أبي زمنين٣٢٧/٤، والكشف والبيان١٧٧/٩، والبسيط١٣٤/٢٢، ومعالم التنزيل٢٨٣/٤، وزاد المسير٢٠٥/٤، وفتح القدير١٣١/٥.

(٣) البسيط١٣٤/٢١، وزاد المسير٢٠٥/٤، والجامع لأحكام القرآن١٥٢/١٧.

(٤) البسيط١٣٤/٢٢، والبحر المحيط ١٨٩/٨.

(٥) زاد المسير٢٠٥/٤، والمحرر الوجيز ٢٢٣/٥، والتسهيل ٨٣/٤، وتفسير القرآن الكريم (سورة الرحمن) لابن عثيمين ص٣٠١.

(٦) التسهيل ٨٣/٤.

أريد بالإنسان آدم، فقد جاءت غايات له مختلفة، وذلك بتنقل أصله؛ فكان أولاً تراباً، ثم طيناً، ثم حمأ مسنوناً، ثم صلصالاً، فناسب أن ينسب خلقه لكل واحد منها.

والثاني: أنه آدم، وهو قول الجمهور عند أبي حيان.

والقول الثالث أنه محمد ﷺ، علمه بيان ما كان وما يكون[١].

قال الطبري: والقولان –الإنسان وآدم–كلاهما غير بعيد من الصواب؛ لاحتمال ظاهر الكلام إياهما[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الإنسان: اسم جنس، وهو قول جمهور المفسرين وترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٣].

---

(١) زاد المسير٤/٢٠٥، والبحر المحيط ٨/١٨٩، وروح المعاني ٢٧/٩٩.

(٢) جامع البيان ٢٢/١٦٩.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ [١]

٢٦٣- مسألة: ما المراد بالنجم في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "النجم" كل نبت ليس له ساق، و"الشجر" الذي له ساق[٢].

القول الثاني: "النجم" نجوم السماء، "والشجر" جميع ما نّبتّ على وجه الأرض[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَٱلنَّجۡمُ ﴾ قال ابن عباسﷺ: هو كل نبت ليس له ساق.

قال اللغويون: هو النبات الذي ينجم، أي: يطلع ليس له ساق؛ كالبقول[٤].

﴿ وَٱلشَّجَرُ ﴾ الذي له ساق.

وقال مجاهد: المراد بالنجم: نجوم السماء.

وجوّز الزجاج أن يراد: جميع ما نّبتّ على وجه الأرض، وما طلع من نجوم السماء. وقال: يقال لكل ما يطلع: قد نَجَمَ.

والأول أصح[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الرحمن آية: ٦.

(٢) تفسير مقاتل ٣٠٣/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٣٢٢/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين٣٢٥/٤، والنكت والعيون ٤٢٤/٥، وزاد المسير٢٠٦/٤، والمحرر الوجيز٢٢٤/٥، وتفسير النسفي٢٠٠/٤، ولباب التأويل ٢/٧، وروح المعاني ١٠٠/٢٧، وفتح القدير١٣٢/٥.

(٣) بحر العلوم ٣٥٨/٣، وزاد المسير ٢٠٦/٤، وتفسير النسفي٢٠٠/٤، والتسهيل٨٣/٤، وإرشاد العقل السليم ١٧٧/٨.

(٤) معاني القرآن للفراء١١٢/٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة١١٩/١، ومعاني القرآن للزجاج٩٦/٥.

(٥) رموز الكنوز٥٤٦/٧.

القول الأول: "النجم" كل نبت ليس له ساق، و"الشجر" الذي له ساق[١].

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، والفراء، والزجاج، والسدي، وسفيان، ومقاتل، وابن جبير، وأبي رزين، والبغوي، والبحر المحيط[٢].

القول الثاني: "النجم" نجم في السماء، والمراد: جميع النجوم، "والشجر" جميع ما نّبّتّ على وجه الأرض[٣].

وممن قال به:

١- مجاهد، وقتادة، والحسن، والشنقيطي، وابن عثيمين[٤].

ومن أقوالهم:

قال الشنقيطي: الذي يظهر لي صوابه أن المراد بالنجم هو نجوم السماء، والدليل على ذلك أن الله جل وعلا في سورة الحج صرح بسجود نجوم السماء والشجر، ولم يذكر في آية من كتابه سجود ما ليس له ساق من النبات بخصوصه. ونعني بآية الحج قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ ﴾[٥]. فدلت هذه الآية أن الساجد من الشجر في آية الرحمن هو النجوم السماوية المذكورة مع الشمس والقمر في سورة الحج، وخير ما

---

(١) بحر العلوم ٣٥٨/٣، والتسهيل٨٣/٤، وإرشاد العقل السليم ١٧٧/٨.

(٢) تفسير مقاتل ٣٠٣/٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٣٢٢/١٠، وتفسير ابن أبي زمنين٣٢٥/٤، والنكت والعيون ٤٢٤/٥، ومعالم التنزيل٢٨٤/٤، وزاد المسير٢٠٦/٤، والمحرر الوجيز٢٢٤/٥، وتفسير النسفي٢٠٠/٤، ولباب التأويل ٢/٧، والبحر المحيط١٨٧/٨، وروح المعاني ١٠٠/٢٧، وفتح القدير١٣٢/٥.

(٣) بحر العلوم ٣٥٨/٣، وزاد المسير ٢٠٦/٤، وتفسير النسفي٢٠٠/٤، والتسهيل٨٣/٤، وإرشاد العقل السليم ١٧٧/٨.

(٤) تفسير مجاهد٦٣٩/٢، والنكت والعيون ٤٢٤/٥، والمحرر الوجيز٢٢٤/٥، ولباب التأويل ٢/٧، وفتح القدير١٣٢/٥، وأضواء البيان٤٩٢/٧، وتفسير القرآن الكريم (سورة الرحمن) لابن عثيمين ص٣٠٣.

(٥) سورة الحج آية: ١٨.

يفسر به القرآن القرآن، وعلى هذا الذي اخترناه، فالمراد بالنجم النجوم[١].

حاصل الدراسة:

اختلف العلماء في المراد بالنجم في هذه الآية، فقال بعض العلماء: النجم هو ما لا ساق له من النبات كالبقول، والشجر هو ما له ساق، وسمي نجماً؛ لأنه نجم أي: ظهر وطلع وهو مناسب للشجر نسبة بينة.

وقال بعض أهل العلم: المراد بالنجم نجوم السماء، والنسبة التي لها من السماء هي التي للشجر من الأرض لأنها في ظاهرهما.

والظاهر أن النجم هو ما لا ساق له من النبات؛ لأنه لما ذكر تعالى ما أنعم به من منفعة الشمس والقمر، وكان ذلك من الآيات العلوية، ذكر في مقابلتهما من الآثار السفلية النجم والشجر، إذ كانا رزقاً للإنسان، وأخبر أنهما جاريان على ما أراد الله بهما، من تسخيرهما وكينونتهما على ما اقتضته حكمته تعالى[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الظاهر أن النجم هو الذي لا ساق له من النبات، يدل عليه اقترانه بالشجر، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٣].

---

(١) أضواء البيان٧/٤٩٢.

(٢) الكشف والبيان ١٧٨/٩، والمحرر الوجيز٥/٢٢٤، والتسهيل٤/٨٣، والبحر المحيط٨/١٨٧، وأضواء البيان ٤٩٢/٧.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧- ١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [١]

٢٦٤- مسألة: ما المراد بالفرش في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المراد بالفُرُش: النساء، والمعنى: مرفوعة بالجمال على نساء الدنيا، أو مرفوعة على السرر[٢].

القول الثاني: أنها الفُرُش المعروفة، أي: مرفوعة بزيادة الحشو، أو على السرر[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قيل المراد بالفُرُش: النساء، على معنى: مرفوعة بالجمال على نساء الدنيا، أو مرفوعة على السرر. ويدل عليه قوله: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ ﴾ .

والصحيح: ما عليه عامة المفسرين: من أنها الفُرُش المعروفة، أي: مرفوعة بزيادة الحشو، أو على السرر.

وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: "ارتفاعها كما بين السماء والأرض، مسيرة ما بينهما خمسمائة عام"[٤] [٥]

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الواقعة آية: ٣٤.

(٢) الكشف والبيان ٢٠٩/٩، والنكت والعيون ٤٥٤/٥-٤٥٥، وزاد المسير٢٢٣/٤، ولباب التأويل١٨/٧، والبحر المحيط ٢٠٦/٨، واللباب في علوم الكتاب٤٠٠/١٨، وإرشاد العقل السليم١٩٣/٨، وفتح القدير ١٥٣/٥، وروح المعاني١٤١/٢٧.

(٣) تفسير مقاتل٣١٤/٣، وتفسير ابن أبي زمنين٣٣٩/٤، والكشف والبيان ٢٠٩/٩، والنكت والعيون ٤٥٤/٥-٤٥٥، وزاد المسير٢٢٣/٤، ولباب التأويل١٨/٧، واللباب في علوم الكتاب٤٠٠/١٨، وإرشاد العقل السليم١٩٣/٨، وفتح القدير ١٥٣/٥، وروح المعاني١٤١/٢٧.

(٤) رموز الكنوز٦٠١/٧.

(٥) أخرجه الترمذي صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة (٢٥٤٠، ٣٢٩٤).

القول الأول: المراد بالفُرُش: النساء، والمعنى: مرفوعة بالجمال على نساء الدنيا، أو مرفوعة على السرر[١].

وممن قال به: ابن بحر، وأبو عبيدة[٢].

واستدلوا: أن الزوجة تسمى فراشاً، ومنه قول النبي ﷺ: "الوَلَدُ لِلْفرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ".

القول الثاني: أنها الفُرُش المعروفة، أي: مرفوعة بزيادة الحشو، أو على السرر[٣].

وممن قال به:

١-علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢-الطبري، ابن جزي الكلبي، وأبو حيان، وابن عثيمين[٤].

واستدلوا بما يلي:

عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ . قال:" إن ارتفاعها لكَما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام"[٥].

---

(١) الكشف والبيان ٢٠٩/٩، والنكت والعيون ٤٥٤/٥-٤٥٥، وزاد المسير٢٢٣/٤، ولباب التأويل١٨/٧، والبحر المحيط ٢٠٦/٨، واللباب في علوم الكتاب٤٠٠/١٨، وإرشاد العقل السليم١٩٣/٨، وفتح القدير ١٥٣/٥، وروح المعاني١٤١/٢٧.

(٢) النكت والعيون ٤٥٤/٥-٤٥٥، ومفاتيح الغيب ١٤٥/٢٩، والجامع لأحكام القرآن ٢١٠/١٧.

(٣) تفسير مقاتل٣١٤/٣، وتفسير ابن أبي زمنين٣٣٩/٤، والكشف والبيان ٢٠٩/٩، والنكت والعيون ٤٥٤/٥-٤٥٥، وزاد المسير٢٢٣/٤، ولباب التأويل١٨/٧، واللباب في علوم الكتاب٤٠٠/١٨، وإرشاد العقل السليم١٩٣/٨، وفتح القدير ١٥٣/٥، وروح المعاني١٤١/٢٧.

(٤) جامع البيان٣١٩/٢٢، والكشف والبيان ٢٠٩/٩، والتسهيل٨٩/٤، ولباب التأويل١٨/٧، والبحر المحيط ٢٠٦/٨، وتفسير القرآن الكريم (سورة الواقعة) لابن عثيمين ص٣٣٨.

(٥) أخرجه الترمذي صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة (٢٥٤٠، ٣٢٩٤). الجامع الصحيح سنن الترمذي ، اسم المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الوفاة: ٢٧٩ ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - - ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون
قال أبو عيسى:" هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد".

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جزي الكلبي: وفرش مرفوعة هي الأسرة وقد روى ارتفاع السرير منها مسيرة خمسمائة عام، وقيل: هي النساء وهذا بعيد[١].

ب- قال أبو حيان: وفرش: جمع فراش. ونضدت حتى ارتفعت، أو رفعت على الأسرة. والظاهر أن الفراش هو ما يفترش للجلوس عليه والنوم[٢].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم، أي: الفراش المعهُودة، وفي رفعها قولان: أحدهما: أنها مرفوعة فوق السرر، والثاني: أن رفعها زيادة حشوها ليطيب الاستمتاع بها.

والثاني: أن المراد بالفراش النساء، فهي كناية عن النساء، كما كنى عنهن باللِّباس، والعرب تسمي المرأة فراشاً وإزاراً ولباساً على الاستعارة؛ لأن الفرش محل للنساء، ودليل هذا التأويل قوله في عقبه: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ [٣].

وفي معنى رفعهن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهن رفعن بالجمال على نساء أهل الدنيا، والثاني: رفعن عن الأدناس، والثالث: في القلوب لشدة الميل إليهن[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها الفُرُش المعروفة، وهو الظاهر، وقول عامة المفسرين، وترجيح الرسعني.
القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٥].

---

(١) التسهيل٤/٨٩.

(٢) البحر المحيط ٨/٢٠٦.

(٣) سورة الواقعة آية: ٣٥.

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٤٩، وزاد المسير٤/٢٢٣، والكشف والبيان ٩/٢٠٩، واللباب في علوم الكتاب١٨/٤٠٠.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى

٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [١]

٢٦٥- مسألة: ما وجه إعراب "هو" على قراءة إثباتها؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أن يكون فصلاً لا موضع له من الإعراب، ويكون الخبر: "الغني"[٢].

القول الثاني: أن يكون "هو" مبتدأ، و"الغني": خبره، والجملة خبر "إن"[٣].

قال الرسعني:

قرأ ابن عامر ونافع:" فإن الله الغني"، بإسقاط "هو"، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام.

قال أبو علي: من قرأ "فإن الله هو" بإثبات "هو"، فإن "هو" يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون فصلاً لا موضع له من الإعراب، ويكون الخبر: "الغني".

والآخر: أن يكون "هو" مبتدأ، و"الغني": خبره، والجملة خبر "إن".

والأول أولى، بدلالة قول من حذفه؛ لأن الفصل حذفه أسهل من حيث إنه لا موضع له من الإعراب.

ومن قرأ بحذف "هو" فحجَّته: أنه حذفه اختصاراً؛ إذ كان لا موضع له من الإعراب، وحذفه لا يخلّ بالمعنى[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الحديد آية: ٢٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس٤/٣٦٦، والدر المصون ١٠/٢٥٢، وروح المعاني٢٧/١٨٨.

(٣) إعراب القرآن للنحاس٤/٣٦٦، والدر المصون ١٠/٢٥٢، وروح المعاني٢٧/١٨٨.

(٤) رموز الكنوز ٧/٦٥١-٦٥٢.

القول الأول: أن يكون فصلاً لا موضع له من الإعراب، ويكون الخبر: "الغني"[١].

وممن قال به: أبو علي، والواحدي[٢].

واستدلوا بما يلي :

قال أبو علي فـ (هو) في القراءة التي ثبت فيها لا يحسن أن يكون ابتداء؛ لأن حذف الابتداء غير سائغ[٣].

ومن أقوالهم:

قال الواحدي: قراءة العامة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ وقرأ ابن عامر (فإن الله الغني). ومن أثبت (هو) كان فصلاً، ولا يكون مبتدأ والفصل حذفه أسهل، ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب وقد يحذف فلا يخل بالمعنى[٤].

القول الثاني: أن يكون "هو" مبتدأ، و"الغني": خبره، والجملة خبر "إن"[٥].

وممن قال به: أبو حيان، والألوسي[٦].

واستدلوا: أن له وجه آخر في العربية وهو أن يجعل (هو) اسماً مبتدأ، و(الغني) خبر، فيكونا جملة في موضع رفع خبر إن ومثله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [٧][٨].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ يقرأ بإثبات (هو) بين الاسم والخبر،

---

(١) إعراب القرآن للنحاس٣٦٦/٤، والبحر المحيط ٢٢٥/٨، والدر المصون ٢٥٢/١٠، وروح المعاني١٨٨/٢٧.

(٢) البسيط٢١٣٠٩.

(٣) المحرر الوجيز ٢٦٩/٥.

(٤) البسيط ٣٠٩/٢١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس٣٦٦/٤، والبحر المحيط ٢٢٥/٨، والدر المصون ٢٥٢/١٠، وروح المعاني١٨٨/٢٧.

(٦) البحر المحيط ٢٢٥/٨، وروح المعاني١٨٨/٢٧.

(٧) سورة الكوثر آية: ٣.

(٨) الحجة لابن خالويه٣٤٢/١، وحجة القراءات لابن زنجلة٧٠٢/١.

وبطرحه، فالحجة لمن أثبته أنه جعله فاصلة عند البصريين، وعماداً عند الكوفيين ليفصل بين النعت والخبر، وله وجه آخر في العربية وهو أن يجعل (هو) اسماً مبتدأ و(الغني) خبر، فيكونا جملة في موضع رفع خبر إن.

واستحسن أبو علي كونه فصلاً فقط لا مبتدأ؛ لأن حذف المبتدأ غير سائغ. أي رجح فصليته لحذفه في القراءة الأخرى.

وقال أبو حيان أيضاً: وما ذهب إليه أبو علي ليس بشيء؛ لأنه بنى ذلك على توافق القراءتين وتركيب إحداهما على الأخرى، وليس كذلك. ألا ترى أنه يكون قراءتان في لفظ واحد، ولكل منهما توجيه يخالف الآخر، كقراءة من قرأ : ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾ [١] بضم التاء، والقراءة الأخرى: (بِمَا وَضَعَتْ) بتاء التأنيث، فضم التاء يقتضي أن الجملة من كلام أم مريم، وتاء التأنيث تقتضي أنها من كلام الله تعالى، وهذا كثير في القراءات المتواترة. فكذلك هذا يجوز أن يكون هو مبتدأ في قراءة من أثبته، وإن كان لم يرد في القراءة الأخرى، ولكل من التركيبين في الإعراب حكم يخصه.

قال الألوسي تعقيباً على قول أبو علي: وهذا مبني على وجوب توافق القراءتين إعراباً وليس بلازم[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الأول، وأن "هو" ضمير فصل لا محل له من الإعراب، ومن دواعي ترجيحه القراءة الأخرى الخالية منه.

---

(١) سورة آل عمران آية: ٣٦.

(٢) الحجة لابن خالويه١/٣٤٢، وحجة القراءات لابن زنجلة١/٧٠٢، وإتحاف فضلاء البشر١/٥٣٤، والبحر المحيط ٨/٢٢٥، والدر المصون ١٠/٢٥٢، وروح المعاني٢٧/١٨٨.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق[١].

(١) مشكل إعراب القرآن ٥٤٧/٢، والمحرر الوجيز١٥٤/٣، والبحر المحيط١٨٢/١، وبدائع الفوائد ٥٣٧/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٣٥/٢.

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [١]

٢٦٦- مسألة: ما المراد بـ"رسلنا" في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أي: بعثنا المرسلين من الأنبياء بالحجج البالغة[٢].

القول الثاني: يريد: الملائكة إلى الأنبياء[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ أي: بعثنا المرسلين من الأنبياء بالحجج البالغة، ﴿ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ وهو اسم جنس، يريد: الكتب التي جاءت بها المرسلون، والمعيّة هاهنا مثلها في قوله في الأعراف: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٤]، غير أن الوجه الذي استنبطته هناك مختص بتلك الآية.

وقال بعض العلماء:" أرسلنا رسلنا" يريد: الملائكة إلى الأنبياء، وأظن الحامل له على ذلك قوله: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ﴾ ، والأنبياء منزّل عليهم لا منزّل معهم.

والأول هو الصحيح، وهو المتبادر إلى الأفهام. والذي يدل على صحته قوله: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [٥] [١].

---

(١) سورة الحديد آية: ٢٥.

(٢) جامع البيان٢٢/٤٢٤، والبسيط٢١/٣٠٩، ومفاتيح الغيب٢٩/٢٠٩، وزاد المسير٤/٢٣٧، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٦٠، ولباب التأويل٧/٣٧، والبحر المحيط٨/٢٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٤٣٢، وفتح القدير ٥/١٧٧.

(٣) الكشاف٤/٤٧٨، وتفسير النسفي٤/٢٢٠.

(٤) سورة الأعراف آية: ١٥٧.

(٥) سورة البقرة آية: ٢١٣.

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أي: بعثنا المرسلين من الأنبياء بالحجج البالغة.

وممن قال به:

الطبري، والواحدي، والرازي، والقرطبي، والخازن، وأبو حيان، وابن كثير، والشوكاني[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: لقد أرسلنا رسُلنا بالمفصَّلات من البيان والدلائل، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان بالعدل[٣].

ب- قال الألوسي: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا ﴾ أي: من بني آدم كما هو الظاهر ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: الحجج والمعجزات[٤].

القول الثاني: يريد: الملائكة إلى الأنبياء.

وممن قال به:

١- الزمخشري، والنسفي[٥].

ومن أقوالهم:

قال النسفي: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا ﴾ يعني أرسلنا الملائكة إلى الأنبياء ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: الوحي، وقيل: الرسل الأنبياء.

---

(١) رموز الكنوز آية: ٢٥.

(٢) جامع البيان٢٢/٤٢٤، والبسيط٢١/٣٠٩، ومفاتيح الغيب٢٩/٢٠٩، وزاد المسير٤/٢٣٧، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٦٠، ولباب التأويل٧/٣٧، والبحر المحيط٨/٢٢٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٤٣٢، وفتح القدير ٥/١٧٧.

(٣) جامع البيان٢٢/٤٢٤.

(٤) روح المعاني٢٧/١٨٨.

(٥) الكشاف٤/٤٧٨، وتفسير النسفي٤/٢٢٠.

والأول أولى لقوله: ﴿ مَعَهُمُ ﴾ ؛ لأن الأنبياء ينزل عليهم الكتاب[١].

حاصل الدراسة:

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ الظاهر أن الرسل هنا هم من بني آدم، والبينات: الحجج والمعجزات. و(الكتاب) اسم جنس، و(معهم) حال مقدرة، أي: وأنزلنا الكتاب صائراً معهم، أي: مقدراً صحبته لهم؛ لأن الرسل منزلين هم والكتاب. ولما أشكل لفظ معهم على الزمخشري، فسر الرسل بالملائكة ، إلى الأنبياء بالحجج والمعجزات[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد بالرسل هم الأنبياء، وهو الظاهر من الآية، وقول جمهور المفسرين وترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٣].

---

(١) تفسير النسفي٤/٢٢٠.

(٢) البحر المحيط٨/٢٢٥.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (١)

٢٦٧- مسألة: ما اسم المجادلة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: خولة بنت ثعلبة(٢).

القول الثاني: خولة بنت مالك بن ثعلبة(٣).

القول الثالث: خولة بنت خويلد(٤).

القول الرابع: خولة بنت حكيم(٥).

القول الخامس: خولة بنت دليج(٦).

القول السادس: جميلة، امرأة أوس بن الصامت(٧).

قال الرسعني:

واسم المجادِلَة: خولةُ في قول عامة المفسرين؛ لكن اختلفوا في أبيها؛

---

(١) سورة المجادلة آية: ١.

(٢) هي: خولة بنت ثعلبة بن أصرم الأنصارية الخزرجية. ويقال لها: خويلة، بالتصغير، لها وقفة مع عمر بن الخطاب ﷺ في خلافته تناصحه وتذكره وتعظه. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧٨/٨، والإصابة ٦١٨/٧، وتقريب التهذيب ٧٤٦/١.

(٣) التسهيل ١٠١/٤، وفتح القدير ١٨١/٥.

(٤) أخرجه الطبري ٤٤٧/٢٢، والطبراني في الكبير ٢٦٥/١١ ح١١٦٨٩، وزاد المسير ٢٤٢/٤، والبحر المحيط ٢٣٠/٨، واللباب في علوم الكتاب ٥١٣/١٨.

(٥) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ٢١٣/١، والمحرر الوجيز ٢٧٢/٥، والبحر المحيط ٢٣٠/٨، واللباب في علوم الكتاب ٥١٣/١٨.

(٦) أخرجه الطبري ٤٤٦/٢٢، والبيهقي في السنن ٣٨٤/٧ ح١٥٠٣٣، وبحر العلوم ٣٩١/٣، والكشف والبيان ٢٥٣/٩، والبحر المحيط ٢٣٠/٨.

(٧) أخرجه الطبري ٤٥٤/٢٢، والكشف والبيان ٢٥٣/٩، والمحرر الوجيز ٢٧٢/٥، ولباب التأويل ٤٤٢/٧.

فقال عكرمة وقتادة: خولة بنت ثعلبة.

وبعضهم يقول: خولة بنت مالك بن ثعلبة.

وقيل: بنت خويلد.

قال الماوردي: وليس هذا بمختلف؛ لأن أحدهما أبوها والآخر جدها.

وروى خُليد بن دعلج؛ عن قتادة: أنها خولة بنت حكيم.

وقيل: بنت دليج.

وقيل: هي جميلة، امرأة أوس بن الصامت[١].

والصحيح: أنها خولة بنت ثعلبة.

قال ابن عباسﷺ وغيره: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي حرمت عليه، وكان أول من ظاهر في الإسلام أوسُ بن الصامت، ثم ندم وقال لامرأته: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فسليه، فأتته ﷺ فسألته عن ذلك، وقالت: يا رسول الله! أوس بن الصامت أبو ولدي وابن عمي وأحب الناس إليّ، وقد ظاهر مني، وقد نسخ الله سُنَنَ الجاهلية، فقال: ما أراكِ إلا قد حرمتِ عليه، فقالت: يا رسول الله! ما ذكر طلاقاً، فقال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فهتفت وشَكَت إلى الله وبَكَت، وجعلت تُراجع رسول الله ﷺ وتقول: إن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، فبينا هي في ذلك إذ تَرَبَّدَ وجهُ رسول الله ﷺ، وأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي عليه، فلما قضي الوحي قال: ادعي لي زوجك، فجاءا فتلا عليه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ وبيّن له حكم الظهار[٢].

---

(١) هو: أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ مات في خلافة عثمان وله خمس وثمانون. انظر: الطبقات الكبرى٣/٥٤٧، والإصابة ١/١٥٦، وتقريب التهذيب١/١١٦.

(٢) أخرجه الطبري٢٢/٤٤٦-٤٥٥، والطبراني في الكبير١١/٢٦٥ ح١١٦٨٩، وأخرجه البيهقي ٧/٣٨٢/٧- ٣٨٣، رواه أحمد في مسنده ٦/٤١٠، وابن ماجه في سننه المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية(١١٨)،

وقد ذكرنا فيما مضى اشتقاق الجدل.

وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة، في قول جمهور أهل النقل.

وروى خليد بن دعلج عن قتادة: أنها خولة بنت حكيم، امرأة عبادة بن الصامت.

قال الحافظ ابن عبد البر[١]: هذا وهم، وخُليد ضعيفٌ سيء الحفظ[٢]، وإنما هي امرأة أوس بن الصامت، على الاختلاف في اسم أبيها[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: خولة بنت ثعلبة[٤].

وممن قال به:

١- عمر، وعائشةرضي الله عنها، ورواه مجاهد عن ابن عباسرضي الله عنه، وعكرمة، والقرظي، وقتادة، ومقاتل[٥].

٢- ابن أبي زمنين، وابن عادل، والشوكاني[٦].

واستدلوا بما يلي :

١- أن خولة بنت ثعلبة مر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته والناس معه على حمار فاستوقفته طويلاً ووعظته ... وهو واقف يسمع كلامها فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف، فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره

والحاكم ٥٢٣/٢ وقال صحيح الإسناد.

(١) الاستيعاب١٨٣١/٤.

(٢) انظر أقوال العلماء في خُليد هذا. انظر: الكامل لابن عدي ٤٧/٣، والإصابة٦٢٠/٧.

(٣) رموز الكنوز ٤/٨-٦.

(٤) فتح القدير ١٨١/٥.

(٥) تفسير مقاتل ٣٢٩/٣، وجامع البيان٤٤٦/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٣٣٤٢/١٠، وبحر العلوم ٣٩١/٣، ومعالم التنزيل٣٣٧/٤، والمحرر الوجيز٢٧٢/٥، وزاد المسير ٢٤٢/٤، ولباب التأويل ٤٤٢/٧، والبحر المحيط٢٣٠/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٤١/١٣، واللباب في علوم الكتاب٥١٣/١٨.

(٦) تفسير ابن أبي زمنين٣٥٧/٤، واللباب في علوم الكتاب٥١٣/١٨، وفتح القدير ١٨١/٥.

لا زلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سماوات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر[١].

٢- قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول اللهﷺ[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عادل: خولة بنت ثعلبة،... وقيل: اسمها جميلة، وخولة أصح، وزوجها أوسُ بن الصَّامت أخو عبادة بن الصَّامت[٣].

ب- قال الشوكاني: قال المفسرون نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس ابن الصامت وكان به لمم[٤]، فاشتد به لممه ذات يوم فظاهر منها، ثم ندم على ذلك وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية، وقيل: هي خولة بنت حكيم، وقيل: اسمها جميلة، والأول أصح[٥].

القول الثاني: خولة بنت مالك بن ثعلبة[٦].

وممن قال به: يوسف بن عبد الله ابن سلام[٧].

القول الثالث: خولة بنت خويلد[٨].

وممن قال به: رواه عكرمة عن ابن عباسرضي الله عنه [١].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم٣٣٤٢/١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٤٢/١٣.

(٢) أخرجه بن ماجة في السنن باب الظهار، ح(٢٠٦٣)، والجامع لأحكام القرآن٢٧٠/١٧. وقال الحاكم في المستدرك، تفسير سورة المجالدة، ح(٣٧٩) :" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٣) اللباب في علوم الكتاب٥١٣/١٨.

(٤) هو: اللمم مس الجنون ورجل ملموم به لمم. انظر: العين للخليل الفراهيدي ٣٢٢/٨.

(٥) فتح القدير ١٨١/٥.

(٦) التسهيل ١٠١/٤، وفتح القدير ١٨١/٥.

(٧) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ٢٢٦/١.

(٨) التسهيل ١٠١/٤.

القول الرابع: خولة بنت حكيم[٢].

وممن قال به: عمر، وعائشةﷺ، وقتادة[٣].

القول الخامس: خولة بنت دليج[٤].

وممن قال به: أبو العالية[٥].

القول السادس: جميلة، امرأة أوس بن الصامت[٦].

وممن قال به: عائشة رضي الله عنها[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- ذكر الطبري: أن اسمها خويلة بنت ثعلبة، وقيل: خويلة بنت خويلد، وقيل: خويلة بنت الصامت، وقيل: خويلة بنت الدليج[٨].

٢- قيل: خولة بنت الصامت، عن عطية عن ابن عباسﷺ، وعن ابن إسحاق[٩].

حاصل الدراسة:

اختلف الناس في اسم التي تجادل فقال أكثر المفسرين هي خولة بنت ثعلبة، وقيل:

---

(١) أخرجه الطبري٢٢/٤٤٧، والطبراني في الكبير١١/٢٦٥ ح١١٦٨٩، وزاد المسير ٤/٢٤٢، والبحر المحيط٨/٢٣٠، واللباب في علوم الكتاب١٨/٥١٣.

(٢) التسهيل ٤/١٠١، وفتح القدير ٥/١٨١.

(٣) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة١/٢١٣، والمحرر الوجيز٥/٢٧٢، والبحر المحيط٨/٢٣٠، واللباب في علوم الكتاب١٨/٥١٣.

(٤) المحرر الوجيز٥/٢٧٢.

(٥) أخرجه الطبري٢٢/٤٤٦، والبيهقي في السنن٧/٣٨٤ ح١٥٠٣٣، وبحر العلوم ٣/٣٩١، والكشف والبيان ٩/٢٥٣، والبحر المحيط٨/٢٣٠.

(٦) التسهيل ٤/١٠١، وفتح القدير ٥/١٨١.

(٧) أخرجه الطبري٢٢/٤٥٤، والكشف والبيان ٩/٢٥٣، والمحرر الوجيز٥/٢٧٢، ولباب التأويل ٧/٤٤٢.

(٨) جامع البيان ٢٢/٤٤٦، والكشف والبيان ٩/٢٥٣، والمحرر الوجيز٥/٢٧٢.

(٩) الكشف والبيان ٩/٢٥٣، والمحرر الوجيز٥/٢٧٢، والبحر المحيط٨/٢٣٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٤٤١، واللباب في علوم الكتاب١٨/٥١٣.

خولة بنت خويلد، قال الماوردي: وليس هذا بمختلف؛ لأن أحدهما أبوها والآخر جدها، فنسبت إلى كل واحد منهما.

وقيل: خولة بنت الصامت، وقيل: خولة بنت حكيم، وقيل جميلة، وقد تصغر فيقال خويلة. قال ابن كثير: ولا منافاة بين هذه الأقوال فالأمر فيها قريب والله أعلم.

وأكثر الرواة على أن الزوج في هذه النازلة أوس بن الصامت أو عبادة بن الصامت[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المجادلة هي خولة بن ثعلبة، وهو قول الأكثرين، وهو الموافق لسبب النزول، وترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٢].

---

(١) النكت والعيون٥/٤٨٧، والمحرر الوجيز٥/٢٧٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٤٤٤، وفتح القدير ٥/١٨١.

(٢) المحرر الوجيز ٢/٣٩٥، والجامع لأحكام القرآن ٧/٧٣، والبحر المحيط ٨/٩٤، والتسهيل ٤/٥٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٥٨.

قال تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ [١]

٢٦٨- مسألة: ما عدد ما قطع المسلمون؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: قطعوا وأحرقوا ست نخلات[٢].

القول الثاني: أربعة نخلات[٣].

القول الثالث: قطعوا نخلة، وأحرقوا نخلة[٤].

قال الرسعني:

قال الضحاك: قطعوا وأحرقوا ست نخلات.

وقال مقاتل: أربعة.

وقال ابن إسحاق: قطعوا نخلة، وأحرقوا نخلة.

وقال مجاهد: إن بعض المهاجرين وقعوا في قطع النخيل ونهاهم بعضهم وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين، وقال الذين قطعوا: بل هي غيظ للعدو، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطع النخيل، وتحليل من قطعه من الإثم، فقال تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بأمره.

﴿ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ أي: ليذل اليهود، أذن في ذلك.

أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر:" أن رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الحشر آية: ٥.

(٢) النكت والعيون٥/٥٠١، وزاد المسير٤/٢٥٦، والجامع لأحكام القرآن٦/١٨، وفتح القدير٥/١٩٦.

(٣) زاد المسير٤/٢٥٦.

(٤) النكت والعيون٥/٥٠١، وزاد المسير٤/٢٥٦، والجامع لأحكام القرآن٦/١٨، وفتح القدير٥/١٩٦.

حرّق نخل بني النضير وقطع، فأنزل الله: ﴿ مَا قَطَعْتُم ﴾ الآية"[١].

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

وهانَ على سَراةِ بني لُؤي حريقٌ بالبُويرةِ مُستطير[٢]

والذي يظهر في نظري ويدل عليه ظاهر الآية والحديث والشعر ودلالة الحال: أن الذي قُطع وحُرِّقَ أكثر مما نقله أهل السير[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: قطعوا وأحرقوا ست نخلات[٤].

وممن قال به: قتادة، والضحاك[٥].

القول الثاني: أربعة نخلات.

وممن قال به: مقاتل[٦].

القول الثالث: قطعوا نخلة، وأحرقوا نخلة.

وممن قال به: ابن إسحاق[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنها نخلتان[١].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد، باب حرق الدور والنخيل، ح(٣٠٢١)، ومسلم كتاب الجهاد، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها، ح١٧٤٦.

(٢) البيت لحسان. انظر: جامع البيان ٥١١/٢٢، والنكت ولعيون ٥٠١/٥، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٨، ولسان العرب مادة(طير).

(٣) رموز الكنوز٤٦/٨-٤٧.

(٤) التحرير والتنوير٧٥/٢٨.

(٥) النكت والعيون٥٠١/٥، وزاد المسير٢٥٦/٤، والجامع لأحكام القرآن٦/١٨، وفتح القدير١٩٦/٥.

(٦) زاد المسير٢٥٦/٤.

(٧) النكت والعيون٥٠١/٥، وزاد المسير٢٥٦/٤، والجامع لأحكام القرآن٦/١٨، وفتح القدير١٩٦/٥.

حاصل الدراسة:

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا ﴾ لما نزل النبي ﷺ على حصون بني النضير وهي البويرة حين نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم أحد قطع المسلمون من نخلهم وأحرقوا، واختلفوا في عدد ذلك فقال قتادة والضحاك ست نخلات، وحكى محمد بن إسحاق أنهم قطعوا نخلة وأحرقوا نخلة، وكان ذلك عن إقرار رسول الله ﷺ أو بأمره، إما لإضعافهم بها أو لسعة المكان بقطعها، فشق ذلك عليهم فقالوا وهم يهود أهل كتاب: يا محمد ألست تزعم أنك نبي تريد الإصلاح[٢].

وظاهر الآية والحديث والشعر يدل أن الذي قُطع وحُرِّقَ أكثر من ست نخلات، ولم يرد دليل على تحديدها بعدد.

المناقشة والترجيح:

الراجح: قول الرسعني أن الذي قطع وحرق عدد كبير. لم يخصص في الآية.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٣].

---

(١) التحرير والتنوير٢٨/٧٥.

(٢) النكت والعيون٥/٥٠١، والجامع لأحكام القرآن١٨/٦، وفتح القدير٥/١٩٦، والتحرير والتنوير٢٨/٧٥.

(٣) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [١]

٢٦٩- مسألة: هل الآية محكمة أو منسوخة بآية السيف؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: منسوخة بآية السيف[٢].

القول الثاني: محكمة[٣].

قال الرسعني:

كان قتادة وابن زيد يقولان: هي منسوخة بآية السيف. **والصحيح**: أنها محكمة[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: منسوخة بآية السيف[٥].

وممن قال به: ١- قتادة، وابن زيد، وأبو عبيد القاسم بن سلام.

٢-ابن الجوزي، ابن سلامة المقري، وهبة الله البازري[٦].

واستدلوا بما يلي : ١- قال قتادة هي منسوخة بقوله تعالى:﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ

---

(١) سورة الممتحنة آية: ٨.

(٢) جامع البيان ٥٧٣/٢٢، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام٣١٨/١، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري١٧٧/١، والمحرر الوجيز ٢٩٧/٥، ونواسخ القرآن٢٣٩/١، والمصفى٥٦/١، وناسخ القرآن لهبة الله البازري٥٣/١، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/١٩، والناسخ والمنسوخ للكرمي٢٠٦/١.

(٣) جامع البيان ٥٧٤/٢٢، والجامع لأحكام القرآن ٥٩/١٨، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/١٩.

(٤) رموز الكنوز ٨٨/٨.

(٥) أضواء البيان٩١/٨،

(٦) جامع البيان ٥٧٣/٢٢، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام٣١٨/١، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري١٧٧/١، والمحرر الوجيز ٢٩٧/٥، ونواسخ القرآن٢٣٩/١، والمصفى٥٦/١، وناسخ القرآن لهبة الله البازري٥٣/١، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/١٩، والناسخ والمنسوخ للكرمي٢٠٦/١.

حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾[١][٢].

٢-قال ابن زيد: كان هذا في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال ثم نسخ[٣].

ومن أقوالهم:

قال أبو عبيد: "فكانت براءة هي الناسخة للهدنة والقاطعة للعهود والمشخصة الناس للجهاد ، بذلك وصفتها العلماء"[٤].

القول الثاني: محكمة[٥].

وممن قال به: الطبري، وحكى القرطبي وابن عادل عن أكثر المفسرين أنها محكمة[٦].

واستدلوا: بسبب نزول الآية: عن ابن الزبير ﷺ قال قدمت قتيلة بنت العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية، فقدمت على ابنتها بهدايا ضباباً وسمناً وأقطاً، فأبت أسماء أن تأخذ منها وتقبل منها وتدخلها منزلها، حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ ﴾ إلى آخر الآيتين هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

---

(١) سورة التوبة آية: ٥.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري١/١٧٧، والمصفى١/٥٦، وناسخ القرآن لهبة الله البازري١/٥٣، والناسخ والمنسوخ للكرمي١/٢٠٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٨/٥٩.

(٤) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام١/٣١٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٢٩٧، وأضواء البيان٨/٩١.

(٦) جامع البيان ٢٢/٥٧٤، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٥٩، واللباب في علوم الكتاب ١٩/٢٠.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك٢/٥٢٧.

١- قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ نسخت بقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ وهذا مما نسخ فيه العموم بتفسير الخصوص[١].

حاصل الدراسة:

للعلماء في الآية أربعة أقوال منهم من قال هي منسوخة، ومنهم من قال: هي مخصوصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا، ومنهم من قال: هي في حلفاء النبي ﷺ ومن بينه وبينه عهد لم يقضه، ومنهم من قال: هي عامة محكمة.

فممن قال هي منسوخة قتادة، قال نسخها:﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾. والقول الثاني قول مجاهد، قال: ﴿ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ الذين آمنوا وأقاموا بمكة ولم يهاجروا. والقول الثالث قول أبي صالح، قال: هم خزاعة، وقال الحسن هم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناة أن تبروهم وتقسطوا إليهم، قال توفوا لهم بالعهد الذي بينكم وبينهم.

والقول الرابع أنها عامة محكمة قول حسن بين وفيه أربع حجج:

منها: أن ظاهر الآية يدل على العموم. ومنها: أن الأقوال الثلاثة مطعون فيها؛ لأن قول قتادة إنها منسوخة رد عليه؛ لأن مثل هذا ليس بمحظور. وأن قوله جل وعز: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [٢]ليس بعام لجميع المشركين ولا هو على ظاهره.

والقول الثاني أنها مخصوصة في المؤمنين الذين لم يهاجروا مطعون فيه، لأن أول السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [٣] والكلام متصل فليس من آمن ولم يهاجر يكون عدوا لله عز وجل وللمؤمنين، والقول الثالث يرد بهذا.

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن حزم١/٦٠.

(٢) سورة التوبة آية: ٥.

(٣) سورة الممتحنة آية: ١.

فصح القول الرابع وفيه من الحجة أيضاً أن بر المؤمن من بينه وبينه نسب أو قرابة من أهل الحرب غير منهي عنه ولا محرم؛ لأنه ليس في ذلك تقوية له ولا لأهل دينه بسلاح أو كراع ولا فيه إظهار عورة للمسلمين.

والحجة الرابعة أن تفسير الآية إذا جاء عن صحابي لم يسع أحدٌ مخالفته ولا سيما إذا كان مع قوله توقيف بسبب نزول الآية. قال أبو جعفر وقد وجدنا هذا قصة أسماء ابنة أبي بكر-رضي الله عنها-.

قال أبو جعفر فقد بان ما قلناه بهذين الحديثين وبما ذكرناه من الحجج[١].

وقال ابن جرير الطبري لا وجه لادعاء النسخ؛ لأن بر المؤمنين للمحاربين سواء كانوا قرابة، أو غير قرابة غير محرم إذا لم يكن في ذلك تقوية لهم على الحرب بكراع، أو سلاح، أو دلالة لهم على عورة أهل الإسلام[٢]، ويدل على ذلك حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه محكمة، لصريح سبب النزول، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[٤].

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه[٥].

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٧١١-٧١٥.

(٢) جامع البيان ٢٢/٥٧٤.

(٣) نواسخ القرآن١/٢٣٩، والمصفى١/٥٦.

(٤) المحرر الوجيز ٢/٣٩٥، والجامع لأحكام القرآن ٧/٧٣، والبحر المحيط ٨/٩٤، والتسهيل ٤/٥٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٥٨.

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١/٢٠٠، والإحكام ٤/٤٨٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٢٨، وفتح القدير ٢/٨٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٧١.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]

٢٧٠- مسألة: متى نزلت الآية؟ و متى كانت المبايعة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: نزلت الآية يوم الفتح، وكانت مبايعة النساء بعد مبايعة الرجال[٢].

القول الثاني: نزلت الآية قبل الفتح، وكانت مبايعة النساء بعد صلح الحديبية، كل من هاجرت بايعها[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ قال المفسرون: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية[٤].

وفي هذا القول منافاة لحديث عائشة الذي رويناه آنفاً في الامتحان. ومعلوم أن امتحانهن كان قبل الفتح في هدنة الحديبية. وما أعلمُ أحداً من المفسرين لَحَظَ هذا الذي ذكرته مع حكايتهم القولين المتنافيين، غير أن حديث عائشة أصح وأثبت.

والظاهر: أن هذه الآية نزلت قبل الفتح، وأن الناقلين نزولها يوم الفتح لم يستثبتوا

---

(١) سورة الممتحنة آية: ١٢.

(٢) تفسير مقاتل ٣٥٣/٣، والكشف والبيان ٢٩٧/٩، والنكت والعيون ٥٢٤/٥، والمحرر الوجيز٢٩٩/٥، والجامع لأحكام القرآن٧١/١٨، ولباب التأويل ٨١/٧، والتسهيل ١١٦/٤، والبحر المحيط٢٥٥/٨، واللباب في علوم الكتاب٣٥/١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن٧١/١٨.

(٤) النكت والعيون ٥٢٤/٥، والوسيط٢٨٦/٤، وزاد المسير ٢٧٤/٤.

ذلك. والله أعلم[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: نزلت الآية يوم الفتح، وكانت مبايعة النساء بعد مبايعة الرجال.

وممن قال به: مقاتل، والثعلبي، والماوردي، وابن عطية، والخازن، وابن جزي الكلبي، وأبو حيان، وابن عادل[٢].

واستدلوا: بقول العلماء بالتفسير والسير: لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبلّغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقّبة متنكّرة مع النساء، فقال النبي ﷺ للنساء: أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً...)[٣].

القول الثاني: نزلت الآية قبل الفتح، وكانت مبايعة النساء بعد صلح الحديبية، كل من هاجرت بايعها[٤].

وممن قال به: عائشة رضي الله عنها.

واستدلوا: بما في الصحيحين، عن عروة، أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: " أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك كلاماً، ولا والله! ما

---

(١) رموز الكنوز٨/١٠٠.

(٢) تفسير مقاتل ٣٥٣/٣، والكشف والبيان ٢٩٧/٩، والنكت والعيون ٥٢٤/٥، والمحرر الوجيز٥/٢٩٩، والجامع لأحكام القرآن٧١/١٨، ولباب التأويل ٨١/٧، والتسهيل ١١٦/٤، والبحر المحيط٨/٢٥٥، واللباب في علوم الكتاب١٩/٣٥.

(٣) أخرجه الطبري٥٩٤/٢٢ من حديث ابن عباس، والوسيط ٢٨٦/٤-٢٨٧، قال ابن كثير ٥٣٠/١٣ بعد سياقه: وهذا أثر غريب، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

(٤) الجامع لأحكام القرآن٧١/١٨.

مسّت يده يد امرأة قط في المبايعة، ما يُبايعهن إلا بقوله: قد بايعتُك على ذلك"[١].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ قال المفسرون لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية وشرط في مبايعتهن الشرائط المذكورة في الآية، فبايعهن وهو على الصفا[٢].

وحديث عائشة في الصحيحين نص على أن المبايعة بعد هجرتهن، وهذا معلوم أنه بعد صلح الحديبية.

فقد حدث عقب الصلح الذي انعقد بين النبي ﷺ وبين المشركين في الحديبية سنة ستّ مَجيء أبي جندل بن سهيل بن عَمرو يَرسُف في الحديد، وكان مسلماً وكان موثقاً في القيود عند أبيه بمكة، فانفلت وجاء إلى رسول الله ﷺ وهو في الحديبية وكان من شروط الصلح: (أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه، رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه)، فرده النبي ﷺ إليهم.

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجرتْ أُم كلثوم هاربة من زوجها، وجاءت سبيعة الأسلمية مهاجرة هاربة من زوجها[٣]، وجاءت أُميمة بنت بشر هاربة من زوجها[٤]. وطَلَبهُن أزواجهن فجاء بعضهم إلى المدينة جاء زوج سبيعة الأسلمية يطلب ردها إليه وقال: إن طينة الكتاب الذي بيننا وبينك لم تَجف بعدُ، فنزلت هذه الآية فأبى النبي ﷺ أن يردها إليه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب (إذا جاءك المؤمنات مهاجرات)، ح(٤٨٩١)، ومسلم كتاب الإمارة، باب كيفية بيعة النساء، ح(١٨٦٦).

(٢) زاد المسير ٤/٢٧٤.

(٣) هو: صيفي بن الراهب أو مسافر المخزومي. انظر: الإصابة٧/٦٩٢.

(٤) هي: أميمة بنت بشر من بني عمرو بن عوف، كانت تحت حسان بن الدحداحة. انظر: الإصابة ٧/٥٠٨.

(٥) التحرير والتنوير٢٨/١٥٤-١٥٦.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المبايعة كانت قبل الفتح، لصريح حديث عائشة في الصحيحين، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت تاريخ نزول الآية، أو السورة فهو مرجَّح لما وافقه من أوجه التفسير[١].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٢].

---

(١) المحرر الوجيز ٣٩٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/٧، والبحر المحيط ٩٤/٨، والتسهيل ٥٤/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٥٨/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس٦٥٧/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٠/١، والمحرر الوجيز ٢١/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٥/١٢، وروح المعاني ٨٢/٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢٠٦/١.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣ ﴾ [١]

٢٧١- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: كما يئس الكفار مِن بعث مَن في القبور، أو أن يرجعوا إليهم [٢].

القول الثاني: كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة؛ لأنهم أيقنوا بالعذاب[٣].

قال الرسعني:

﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ ﴾ يعني: عَبَدَةَ الأوثان، يئسوا ﴿ مِنۡ ﴾ الموتى ﴿ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾ أن يرجعوا أحياء، فيكون على حذف المضاف، تقديره: من بعث أصحاب القبور.

قال ابن عباسﷺ: كما يئس الكفار مِن بعث مَن في القبور.

فيكون "من" على هذا القول؛ مفعول "يئس الكفار".

وقال مجاهد: كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة؛ لأنهم أيقنوا بالعذاب.

فيكون "من" على هذا القول؛ بياناً للكفار الذين قُبروا. فإن قيل: ما تقول في قول الثعلبي: كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم؟

قلتُ: ليس بمستقيم؛ لأن المؤمنين والكفار مشتركون في اليأس من رجوع

---

(١) سورة الممتحنة آية ١٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج٥/١٦١، وجامع البيان ٢٢/٦٠٣، والكشف والبيان ٩/٢٩٩، والنكت والعيون ٥/٥٢٦، والبسيط٢١/٤٢٨، ومعالم التنزيل٤/٣٨٢، والمحرر الوجيز٥/٣٠٠، وزاد المسير٤/٢٧٥، ومفاتيح الغيب٢٩/٢٦٨، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٧٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٥٣٧.

(٣) أخرجه مجاهد ٢/٦٧٠، وتفسير مقاتل٣/٣٥٤، وجامع البيان٢٢/٦٠٤، والكشف والبيان٩/٢٩٩، والنكت والعيون ٥/٥٢٦، والمحرر الوجيز٥/٣٠٠، ومفاتيح الغيب٢٩/٢٦٨، وزاد المسير ٤/٢٧٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٣/٥٣٧.

أصحاب القبور إليهم، فيكون الاقتصار على ذكر الكفار عديم التأثير. والله أعلم[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: كما يئس الكفار مِن بعث مَن في القبور. كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم.

وممن قال به: ابن عباسﷺ، والضحاك، وقتادة، والحسن، والزجاج، والثعلبي[٢].

واستدلوا: بقول ابن عباس ﷺ في قوله:﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ يعني: من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم[٣].

القول الثاني: كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة؛ لأنهم أيقنوا بالعذاب.

وممن قال به: ابن مسعود، وابن عباسﷺ، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والمقاتلان، والكلبي، ومنصور، وابن زيد، وهو اختيار ابن جرير[٤].

واستدلوا: بما عن مجاهد في قوله: ﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ قال: من ثواب الآخرة حين تبين لهم عملهن وعاينوا النار[٥].

ومن أقوالهم: قال الطبري: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة وكرامته

---

(١) رموز الكنوز ١٠٥/٨-١٠٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج١٦١/٥، وجامع البيان ٦٠٣/٢٢، والكشف والبيان ٢٩٩/٩، والنكت والعيون ٥٢٦/٥، والبسيط٤٢٨/٢١، ومعالم التنزيل٣٨٢/٤، والمحرر الوجيز٣٠٠/٥، وزاد المسير٢٧٥/٤، ومفاتيح الغيب ٢٦٨/٢٩، والجامع لأحكام القرآن ٧٦/١٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٥٣٧/١٣.

(٣) أخرجه الطبري ٦٠٣/٢٢.

(٤) أخرجه مجاهد ٦٧٠/٢، وتفسير مقاتل٣٥٤/٣، وجامع البيان٦٠٤/٢٢، والكشف والبيان٢٩٩/٩، والنكت والعيون ٥٢٦/٥، والمحرر الوجيز٣٠٠/٥، ومفاتيح الغيب٢٦٨/٢٩، وزاد المسير ٢٧٥/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٥٣٧/١٣.

(٥) أخرجه الطبري٦٠٤/٢٢.

لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا ﷺ على علم منهم بأنه لله نبي، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا فصاروا أصحاب القبور وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى صلوات الله عليه وغيره من الرسل من ثواب الله وكرامته إياهم[١].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ يحتمل وجهين، أحدهما: أن اليهود كذبت محمداًﷺ، وهم يعرفون أنه رسول الله وأنهم أفسدوا آخرتهم بتكذيبهم إياه فهم يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور، والتقييد بهذا القيد ظاهر؛ لأنهم إذا ماتوا على كفرهم كان العلم بخذلانهم وعدم حظهم في الآخرة قطعياً، يعني الكفار الذين ماتوا يئسوا من الجنة، ومن سعادة الآخرة لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها.

وقيل: يعني الأحياء من الكفار يئسوا من الأموات، وبعثهم من قبورهم كما يئس الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث من موتاهم[٢].

ووجه الطبري القول أن المراد ثواب الآخرة، قال: إنما قلنا ذلك أولى القولين بتأويل الآية؛ لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار فلا وجه لأن يخص بذلك الخبر عن الكفار وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح:أن المراد كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة؛ لأنهم أيقنوا بالعذاب.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٤].

---

(١) جامع البيان ٢٢/٦٠٥.

(٢) مفاتيح الغيب٢٩/٢٦٨، والتسهيل٤/١١٦.

(٣) جامع البيان ٢٢/٦٠٥.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

قال تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [١]

٢٧٢- مسألة: ما هي عدة الحامل المتوفى عنها زوجها؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: تنتهي عدة الحامل مطلقاً بوضع حملها[٢].

القول الثاني: الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد بأطول الأجلين[٣].

قال الرسعني:

ثم استأنف الإخبار عن عدة الحوامل فقال: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ ، مطلقات كُنَّ أو متوفّى عنهنّ. وهذا قول عمر وابنه وابن مسعود وعامة الصحابة والتابعين فمن بعدهم، والأئمة الأعلام.

ويحكى عن علي وابن عباسﷺ: أن الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد بأطول الأجلين.

والصحيح: مذهب الجمهور؛ لما أخبرنا به الشيخان الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور الكرجي، أخبرنا أحمد بن لحسن الحيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن أبيه:" أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال، فمرّ بها أبو السنابل بن بعكك فقال: قد

---

(١) سورة الطلاق آية: ٤.

(٢) جامع البيان ٥٨/٢٣، وتفسير ابن أبي زمنين٤٠٣/٤، والكشف والبيان٣٣٩/٩، والنكت والعيون ٣٣/٦، ومعالم التنزيل ٤١٨/٤، والمحرر الوجيز٣٢٥/٥.

(٣) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب سورة الطلاق، ح(٤٩٠٩)، وجامع البيان ٥٧/٢٣، والدر المنثور٢٠٣/٨.

تصنّعت للأزواج، إنها أربعة أشهر وعشر، فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله ﷺ فقال: كذب أبو السنابل، أو ليس كما قال أبو السنابل، قد حللت فتزوجي"[١]. هذا حديث متفق على صحته، أخرجاه من طرق عن الزهري. وأبو السنابل اسمه: حبة[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: تنتهي عدة الحامل مطلقاً بوضع حملها.

وممن قال به:

١- عمر، وابن عمر، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو مسعود البدري[٣]، وأبو هريرةرضي الله عنهم، وعامة الصحابة والتابعين فمن بعدهم، والأئمة الأعلام[٤].

٢- الطبري، وابن أبي زمنين، والبغوي[٥].

واستدلوا بما يلي :

١- بالحديث السابق في الصحيحين.

٢- عموم الآية.

٣- قول ابن مسعود: من شاء لاعنته، ما نزلت ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ ﴾ إلا بعد آية المتوفَّى عنها زوجُها، وقول أُمِّ سلمة: إن سبيعة وضعت بعد وفاة زوجها بأيام، فأمرها رسول الله ﷺ أن تتزوج[٦].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب (١٠)، ح(٣٩٩١)، ومسلم كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها وغيرها، بوضع الحمل، ح(١٤٨٤).

(٢) رموز الكنوز ١٦٧/٨-١٦٨.

(٣) هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، أبو مسعود البدري صحابي جليل مات قبل الأربعين وقيل بعدها. انظر: سير أعلام النبلاء٤٩٣/٢، وتقريب التهذيب٣٩٥/١.

(٤) جامع البيان ٥٥/٢٣-٥٧،

(٥) جامع البيان ٥٨/٢٣، وتفسير ابن أبي زمنين٤٠٣/٤، والكشف والبيان٣٣٩/٩، والنكت والعيون ٣٣/٦، ومعالم التنزيل ٤١٨/٤، والمحرر الوجيز٣٢٥/٥.

(٦) أخرجه البخاري(٣٩٩١)، ومسلم (١٤٨٤).

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: والصواب من القول في ذلك أنه عام في المطلقات والمتوفي عنهن؛ لأن الله جل وعز عم بقوله بذلك، فقال: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾. ولم يخصص بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفي عنها، بل عم الخبر به عن جميع أولات الأحمال.

فإن ظنَّ ظانٌّ أن قوله: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ في سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفي عنهن؛ فهو بالخبر عن حكم المطلقة أولى بالخبر عنهن وعن المتوفي عنهن، فإن الأمر بخلاف ما ظن؛ وذلك أن ذلك وإن كان في سياق الخبر عن أحكام المطلقات، فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات، بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات الأحمال المطلقات منهن وغير المطلقات، ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض، من خبر ولا عقل فهو على عمومه لما بينا[1].

ب- قال ابن عطية: وقال ابن عباس وعلي بن أبي طالبﷺ إنما هذه في المطلقات، وأما في الوفاة فعدة الحامل آخر الأجلين إن وضعت قبل أربعة أشهر وعشر تمادت إلى آخرها، والقول الأول أشهر وعليه الفقهاء[2].

القول الثاني: أن الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد بأطول الأجلين.

و يحكى عن علي، وابن عباسﷺ[3].

ومن أقوالهم:

قال ابن عباس وعلي بن أبي طالبﷺ إنما هذه في المطلقات، وأما في الوفاة فعدة

---

(1) جامع البيان ٥٨/٢٣.

(2) المحرر الوجيز٥/٣٢٥.

(3) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب سورة الطلاق، ح(٤٩٠٩)، وجامع البيان ٥٧/٢٣، والدر المنثور٨/٢٠٣.

الحامل آخر الأجلين إن وضعت قبل أربعة أشهر وعشر تمادت إلى آخرها[١].

حاصل الدراسة:

عدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه الحرة والأمة، ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها أن تتزوج، ويدل على هذا ما روي عن سبيعة الأسلمية.

فعلى هذا حكم كل من توفي عنها زوجها بأن تعتد أربعة أشهر وعشراً، ثم خصص من هذا العموم أولات الأحمال بحديث سبيعة في الصحيحين، وبعموم الآية[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الحامل المتوفى عنها زوجها عدتها وضع العمل طالت المدة أو قصرت، وهو قول عامة الفقهاء والعلماء، وترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[٣].

---

(١) المحرر الوجيز٥/٣٢٥.

(٢) لباب التأويل١/٢٣٨.

(٣) جامع البيان١٦/٤٤٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١١٣، والمحرر الوجيز ٢/٢٤٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٦٢، ومجموع الفتاوى ١٣/٢٧، والبحر المحيط ١/١٢٨، والتسهيل ١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٥٦، وفتح القدير ١/١٢، وروح المعاني ١/٩٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٩١.

قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [١]

٢٧٣- مسألة: ما إعراب (من خلق) في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: "من خلق" في محل الرفع بإسناد الفعل إليه[٢].

القول الثاني: أن يكون منصوباً، على معنى: ألا يعلم مخلوقه[٣].

قال الرسعني:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلم ما في الصدور مَن خَلَقَها، و"من خلق" في محل الرفع بإسناد الفعل إليه.

ويجوز أن يكون منصوباً، على معنى: ألا يعلم مخلوقه.

والأول أظهر[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: "من خلق" في محل الرفع بإسناد الفعل إليه[٥].

وممن قال به: ابن جزي الكلبي، وابن كثير[٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا برهان على أن الله تعالى

---

(١) سورة الملك آية: ١٤.

(٢) المحرر الوجيز٥/٣٤١، والتبيان في إعراب القرآن ١٢٣٢/٢، والتسهيل٤/١٣٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٤/١٤، وأضواء البيان٨/٢٣٧.

(٣) المحرر الوجيز٥/٣٤١، والتبيان في إعراب القرآن ١٢٣٢/٢، والبحر المحيط٨/٢٩٥، وأضواء البيان٨/٢٣٧.

(٤) رموز الكنوز ٨/٢٠٥.

(٥) المحرر الوجيز٥/٣٤١، والتبيان في إعراب القرآن ١٢٣٢/٢، وأضواء البيان٨/٢٣٧.

(٦) التسهيل٤/١٣٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٤/١٤.

يعلم كل شيء؛ لأن الخالق يعلم مخلوقاته ويحتمل أن يكون من خلق فاعلاً يراد به الخالق، والمفعول محذوف تقديره ألا يعلم الخالق خلقه، أو يكون من خلق مفعولاً والفاعل مضمر تقديره ألا يعلم الله من خلق. والأول أرجح؛ لأن من خلق إذا كان مفعولاً اختص بمن يعقل، والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل[١].

ب- قال ابن كثير: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ أي: ألا يعلم الخالق، وقيل: معناه ألا يعلم الله مخلوقه. والأول أولى لقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [٢].

القول الثاني: أن يكون منصوباً، على معنى: ألا يعلم مخلوقه[٣].

وممن قال به: أبو حيان، والشنقيطي[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال أبو حيان: والظاهر أن (من) مفعول[٥].

ب- قال الشنقيطي: أجازوا أن تكون مفعولاً والفاعل ضمير مستتر في الفعل يعلم، ذكرهما القرطبي وأبو حيان، وهو واضح ومحتمل.

ولكن الذي تشهد له النصوص أنها مفعول كما في قوله : ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٦]، ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [٧]

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٨] ومن أعمالهم ما يسرون، وما يجهرون.

---

(١) التسهيل٤/١٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤/٧٤.

(٣) المحرر الوجيز٥/٣٤١، والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٣٢، وأضواء البيان٨/٢٣٧.

(٤) البحر المحيط٨/٢٩٥، وأضواء البيان٨/٢٣٧.

(٥) البحر المحيط٨/٢٩٥.

(٦) سورة الشورى آية: ١٢.

(٧) سورة غافر آية: ١٩.

(٨) سورة الصافات آية: ٩٦.

والعلم عند الله تعالى[١].

حاصل الدراسة:

في " مَنْ خَلَقَ" وجهان: أحدهما: أنه فاعل " يَعْلَمُ " والمفعول محذوف، تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه، وهذا هو الذي عليه جمهور الناسِ.

والثاني: أن الفاعل مضمر يعود على الباري تعالى، و " مَنْ "مفعول به، أي: لا يعلم الله من خلقه. قال أبو حيَّان: "والظَّاهر أن "مَنْ" مفعول، والمعنى: أينتفي علمه بمن خلقه، وهو الذي لطف علمه ودقّ، ثم قال: وأجاز بعض النحويين أن يكون "مَنْ" فاعلاً والمفعول محذوف، كأنه قال: ألا يعلم الخالق سرَّكُم، وجهركُم، وهو استفهام معناه الإنكار[٢].

قال السمين الحلبي: وهذا الوجه الذي جعله أبو حيان هو الظاهر يَعزِيه الناس لأهل الزيغ والبدع الدافعين لعموم الخلق لله تعالى[٣].

قال ابن عطية: وتعلقهم بهذا التأويل ضعيف[٤].

وتأويل (مَنْ) في موضع نصب مردود عند مكي؛ لأنه يخرج الكلام عن عمومه ويدفع عموم الخلق عن الله عز وجل.

وما ذهب إليه مكي أولى في تفسير كلام الله تعالى، وحيث وجد وجه آخر لتفسير الآية فلا حاجة إلى مثل هذا التأويل، والله أعلم .

والعلماء من أهل السنة يرون القول الأول، وهو أن يكون (من) فاعلاً مراداً به الخالق ومفعول العلم محذوف، وكذا مفعول الخلق. والتقدير: ألا يعلم السر والجهر من خلقهما[٥].

---

(١) أضواء البيان٨/٢٣٧.

(٢) اللباب في علوم الكتاب١٩/٢٤٣.

(٣) الدر المصون١٠/٨٦.

(٤) المحرر الوجيز٥/٣٤١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/٤٧٠، ودقائق التفسير ٥/١٣، ومشكل إعراب القرآن ٢/٧٤٦، والبسيط ٢٢/٥٢.

المناقشة والترجيح:

الراجح: "من خلق" في محل الرفع، وهو قول أهل اللغة، وترجيح الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[١].

(١) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [١]

٢٧٤- مسألة: ما المراد بالرسول الكريم؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: هو محمد ﷺ[٢].

القول الثاني: جبريل عليه السلام[٣].

قال الرسعني:

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ يعني: القرآن ﴿ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ وهو محمد ﷺ، في قول جمهور المفسرين.

وقال ابن السائب: جبريل عليه السلام.

والأول أصح؛ لقوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ ﴾ والمعنى: إنه لقول رسول كريم جاء به من عند الله[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: وهو محمد ﷺ[٥].

وممن قال به: الحسن[٦].

---

(١) سورة الحاقة آية: ٤٠.

(٢) جامع البيان٢٣/٢٤٢، والكشف والبيان١٠/٣٢، والبسيط٢٢/١٨٧، ومعالم التنزيل٤/٤٦٥، وزاد المسير ٤/٣٣٣، والبحر المحيط٨/٣٢١، ولباب التأويل ٧/٤٧، وأضواء البيان٨/٢٦٢.

(٣) النكت والعيون٦/٨٦، وزاد المسير٤/٣٣٣، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٧٤، واللباب في علوم الكتاب١٩/٣٤٠، وفتح القدير ٥/٢٨٦.

(٤) رموز الكنوز٨/٢٦٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٣٦٢، والتسهيل ٤/١٤٤، والتحرير والتنوير٢٩/١٤٢.

(٦) لم يذكر من المفسرين أنه عن الحسن إلا الواحدي. انظر: البسيط ٢٢/١٨٧.

٢- الطبري، والثعلبي، الواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، وأبو حيان، والخازن، والشنقيطي[١].

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾[٢] وهم إنما نسبوا محمداً ﷺ إلى أنه شاعر، لا جبريل.

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: إن هذا القرآن لقول رسول كريم، وهو محمد ﷺ يتلُوه عليهم[٣].

ب- قال الخازن: يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد ﷺ ، وقيل: الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى إنه لرسالة رسول كريم. والقول الأول أصح؛ لأنهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وإنما وصفوا بهما محمداً ﷺ[٤].

القول الثاني: جبريل عليه السلام[٥].

وممن قال به: الحسن، وابن السائب الكلبي، ومقاتل[٦].

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[٧]

---

(١) جامع البيان٢٣/٢٤٢، والكشف والبيان١٠/٣٢، والبسيط٢٢/١٨٧، ومعالم التنزيل٤/٤٦٥، وزاد المسير ٤/٣٣٣، والبحر المحيط٨/٣٢١، ولباب التأويل ٧/٤٧، وأضواء البيان٨/٢٦٢.

(٢) سورة الحاقة آية: ٤١.

(٣) جامع البيان ٢٣/٢٤٢.

(٤) لباب التأويل ٧/٤٧.

(٥) النكت والعيون٦/٨٦، والمحرر الوجيز ٥/٣٦٢، وزاد المسير٤/٣٣٣، والتسهيل ٤/١٤٤، والتحرير والتنوير ٢٩/١٤٢.

(٦) النكت والعيون٦/٨٦، وزاد المسير٤/٣٣٣، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٧٤، واللباب في علوم الكتاب١٩/٣٤٠، وفتح القدير ٥/٢٨٦،

(٧) سورة التكوير آية: ١٩-٢٠.

حاصل الدراسة:

ذكر الله في سورة: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ مثل هذا الكلام، والأكثرون هناك على أن المراد منه جبريل عليه السلام، والأكثرون ههنا على أن المراد منه محمدﷺ، واحتجوا على الفرق بأن ههنا لما قال : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ ذكر بعده أنه ليس بقول شاعر، ولا كاهن، والقوم ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة، بل كانوا يصفون محمداً بهذين الوصفين. وأما في سورة : ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ لما قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ ثم قال بعده : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴾ [1]كان المعنى: إنه قول ملك كريم، لا قول رجيم، فصح أن المراد من الرسول الكريم ههنا هو محمدﷺ، وفي تلك السورة هو جبريل عليه السلام[2].

المناقشة والترجيح:

الراجح: المراد بالرسول هو محمد ﷺ. وهو قول المفسرين، وترجيح الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[3].

---

(1) سورة التكوير آية: ٢٥.

(2) مفاتيح الغيب١٠٣/٣٠.

قال ابن قتيبة: لم يُرد أنه قول الرسول، وإنما أراد أنه قول الرسول عن الله تعالى، في الرسول ما يدل على ذلك، فاكتفى به من أن يقول عن الله. انظر: زاد المسير ٣٣٣/٤.

(3) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ [١]

٢٧٥- مسألة: ما معنى ذي المعارج؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المصاعد[٢].

القول الثاني: هي معارج الملائكة[٣].

القول الثالث: ذي السماء، وسماها معارج؛ لأن الملائكة تعرج إليها[٤].

القول الرابع: ذي الفضائل العالية[٥].

القول الخامس: ذي الدرجات العالية، يُعطيهن من يشاء من خلقه[٦].

قال الرسعني:

قوله تعالى :﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ أي المصاعد. وقد ذكرنا فيما مضى أنه جمع: مِعْرَج.

قال مجاهد: هي معارج الملائكة.

وقال ابن عباسﷺ وابن السائب: ذي السماء، وسماها معارج؛ لأن الملائكة تعرج إليها.

---

(١) سورة المعارج آية: ٣.

(٢) التسهيل٤/١٤٦، والمحرر الوجيز٥/٣٦٥.

(٣) أخرجه الطبري٢٣/٢٥١، والكشف والبيان١٠/٣٥، والنكت والعيون٦/٩٠، والبسيط٢٢/٢٠٦، وزاد المسير ٤/٣٣٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٢٦.

(٤) الكشف والبيان١٠/٣٥، والوسيط ٤/٣٥١، ومعالم التنزيل٤/٤٦٨، والمحرر الوجيز٥/٣٦٥، ومفاتيح الغيب٣٠/١٠٨، وزاد المسير٤/٣٣٦، ولباب التأويل٧/١٤٨، وفتح القدير٥/٢٨٨.

(٥) أخرجه الطبري٢٣/٢٥٠، والكشف والبيان١٠/٣٥، والنكت والعيون٦/٩٠، والبسيط٢٢/٢٠٦، ومعالم التنزيل٤/٤٦٨، والمحرر الوجيز٥/٣٦٥، وزاد المسير٤/٣٣٦، ومفاتيح الغيب٣٠/١٠٨، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٨١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٢٦.

(٦) الكشف والبيان ١٠/٣٥، والبسيط٢٢/٢٠٥، ومعالم التنزيل٤/٤٦٨، وفتح القدير٥/٢٨٨.

وقال قتادة: ذي الفضائل العالية.

وقيل: ذي الدرجات العالية، يُعطيهن من يشاء من خلقه.

والأول أصح، ألا تراه وصف المصاعد وبُعدَ مداها فقال: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: المصاعد [٢].

وممن قال به: الحسن، وابن عطية[٣].

واستدلوا: بقول الحسن: هي المراقي إلى السماء[٤].

ومن أقوالهم:

قال ابن عطية: قيل: هي المراقى إلى السماء، وهذا أظهر؛ لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة[٥].

القول الثاني: هي معارج الملائكة.

وممن قال به: مجاهد[٦].

القول الثالث: السماوات، وسماها معارج؛ لأن الملائكة تعرج فيها من سماء على سماء.

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وابن السائب[١].

---

(١) رموز الكنوز ٨/٢٧٥-٢٧٦.

(٢) لباب التأويل٧/١٤٨.

(٣) التسهيل٤/١٤٦، والمحرر الوجيز٥/٣٦٥.

(٤) المحرر الوجيز٥/٣٦٥.

(٥) التسهيل٤/١٤٦.

(٦) أخرجه الطبري٢٣/٢٥١، والكشف والبيان١٠/٣٥، والنكت والعيون٦/٩٠، والبسيط٢٢/٢٠٦، وزاد المسير ٤/٣٣٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٢٦.

القول الرابع: ذي الرتب والفضائل العالية[٢].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، قتادة[٣].

القول الخامس: ذي الدرجات العالية، يُعطيهن من يشاء من خلقه[٤].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير[٥].

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [٦]

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قال ابن كيسان: المعارج الفتق الذي بين سمائين وأرضين[٧].

٢- قيل المعارج: مراتب نعم الله سبحانه على الخلق[٨].

٣- قيل المعارج: العظمة وقيل هي العرف[٩].

٤- ذي العظمة والعلاء[١٠].

٥- ذي الملائكة؛ لأنهم كانوا يعرجون إليه، قاله قتيبة[١١].

---

(١) الكشف والبيان١٠/٣٥، والوسيط ٤/٣٥١، ومعالم التنزيل٤/٤٦٨، والمحرر الوجيز٥/٣٦٥، ومفاتيح الغيب٣٠/١٠٨، وزاد المسير٤/٣٣٦، ولباب التأويل٧/١٤٨، وفتح القدير٥/٢٨٨.

(٢) لباب التأويل٧/١٤٨.

(٣) أخرجه الطبري٢٣/٢٥٠، والكشف والبيان١٠/٣٥، والنكت والعيون٦/٩٠، والبسيط٢٢/٢٠٦، ومعالم التنزيل٤/٤٦٨، والمحرر الوجيز٥/٣٦٥، وزاد المسير٤/٣٣٦، ومفاتيح الغيب٣٠/١٠٨، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٨١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٢٦.

(٤) جامع البيان ٢٣/٢٥١، والنكت والعيون٦/٩٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٢٦.

(٥) الكشف والبيان ١٠/٣٥، والبسيط٢٢/٢٠٥، ومعالم التنزيل٤/٤٦٨، وفتح القدير٥/٢٨٨.

(٦) سورة الزخرف آية: ٣٣.

(٧) الكشف والبيان ١٠/٣٥.

(٨) فتح القدير٥/٢٨٨.

(٩) فتح القدير٥/٢٨٨.

(١٠) النكت والعيون٦/٩٠.

(١١) النكت والعيون٦/٩٠.

حاصل الدراسة:

قال ابن قتيبة: أصل المعارج: الدرج، وهو من: عرج: إذا صعد[١].

وقال الراغب: العروج: ذهاب في صعود، والمعارج: المصاعد[٢].

وفي اللغة: عرج في السُّلَّمِ: ارتقى. والمعارج: المصاعد[٣].

ومعنى: " ذِي المعارج" ، أي: ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم؛ لأنها تصل إلى الناس على مراتب مختلفة، قاله ابن عباسﷺ وقتادة. "فالمعارج" ، مراتبُ إنعامه على الخلق. وقيل: ذي العظمة والعلو. وقال مجاهدٌ: هي معارج السماءِ. وقيل: هي السموات. قال ابن عباسﷺ: أي: ذي السموات، سمَّاها معارج الملائكةِ؛ لأن الملائكةَ تعرج إلى السماءِ، فوصف نفسه بذلك. وقيل: "المعارج" الغرف، أي: أنه ذو الغرف، أي: جعل لأوليائه في الجنة غرفاً. والمعارج: الدرجات[٤].

وقال ابن عطية: هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها المصاعد ومعارج الملائكة في السماء لدلالة الآية بعدها، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٦].

---

(١) غريب القرآن١/٥١٢، وزاد المسير ٤/٣٣٦.

(٢) المفردات ص٣٢٩ (عرج).

(٣) مختار الصحاح ص١٧٧.

(٤) اللباب في علوم الكتاب١٩/١٤٩.

(٥) التسهيل٤/١٤٦.

(٦) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير ٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴾ [١]

٢٧٦- مسألة: ما هي القراءات في قوله تعالى: ﴿ بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: بشهادتهم على الإفراد[٢].

القول الثاني: بشهاداتهم على الجمع[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴾ وقرأ حفص: "بشهاداتهم قائمون" على الجمع.

والإفراد أولى؛ لأنه مصدر[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: بشهادتهم على الإفراد[٥].

وممن قال به:

١- قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم[٦].

٢- الواحدي[٧].

---

(١) سورة المعارج آية: ٣٣.

(٢) معالم التنزيل ٤/٤٧١، والمحرر الوجيز ٥/٣٧٠، وفتح القدير ٥/٢٩٣، وأضواء البيان ٨/٢٩٥.

(٣) الحجة للفارسي٦/٣٢٢، والحجة لابن زنجلة ص٧٢٤، والكشف ٢/٣٣٦، والنشر ٢/٢٩٨، وإتحاف فضلاء البشر ص٧٧٥، والسبعة ص٦٥١، ومعالم التنزيل ٤/٤٧١، والمحرر الوجيز ٥/٣٧٠، وفتح القدير ٥/٢٩٣، وأضواء البيان ٨/٢٩٥.

(٤) رموز الكنوز ٨/٢٨٥.

(٥) معالم التنزيل ٤/٤٧١، والمحرر الوجيز ٥/٣٧٠، وفتح القدير ٥/٢٩٣، وأضواء البيان ٨/٢٩٥.

(٦) زاد المسير ٤/٣٣٩.

(٧) البسيط ٢٢/٢٣١.

واستدلوا: بقول الفراء: ويدل على قراءة التوحيد قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ [١]

ومن أقوالهم:

قال الواحدي: والإفراد أولى؛ لأنه مصدر، فيفرد كما تفرد المصادر وإن أضيف إلى الجمع، كما قال: ﴿ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [٢]

والإفراد أنسب لقوله بعده – والذين هم على صلاتهم يحافظون – وهو مجمع عليه[٣]

القول الثاني: بشهاداتهم على الجمع[٤].

وممن قرأ به: ابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم[٥].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾. قرأ حفص: "بِشَهادَاتِهِمْ "جمعاً، اعتباراً بتعدد الأنواع، والباقون: بالإفراد، أو المرادُ الجنس. قال الواحديُّ والمفسرون بعده: والإفرادُ أولى؛ لأنه مصدرٌ، فيفرد كما تفرد المصادرُ، وإن أضيف إلى الجمع كقوله: ﴿ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [٦]، ومن جمع ذهب إلى اختلافِ الشَّهاداتِ، وكثرة ضروبها، فحسن

---

(١) سورة الطلاق آية: ٢.

(٢) سورة لقمان آية ١٩.

(٣) إبراز المعاني٢/٧٠٦.

(٤) الحجة للفارسي٦/٣٢٢، والحجة لابن زنجلة ص٧٢٤، والكشف ٢/٣٣٦، والنشر ٢/٢٩٨، وإتحاف فضلاء البشر ص٧٧٥، والسبعة ص٦٥١، ومعالم التنزيل ٤/٤٧١، والمحرر الوجيز ٥/٣٧٠، وفتح القدير ٥/٢٩٣، وأضواء البيان ٨/٢٩٥.

(٥) الكشف والبيان ١٠/٤٠، وزاد المسير ٤/٣٣٩.

(٦) سورة لقمان آية ١٩.

الجمع من جهة الاختلاف[١].

قال الشنقيطي: ولا تعارض بين الأمرين فما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [٢]. [٣]

المناقشة والترجيح:

الراجح: القراءتان متواترتان فلا مرجح لأحدهما على الأخرى.

القاعدة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[٤].

---

(١) البسيط ٢٣٢/٢٢، والحجة للفارسي ٣٢١/٦-٣٢٢، واللباب في علوم الكتاب٣٧١/١٩، وروح المعاني٦٤/٢٩.

(٢) سورة فصلت آية: ٣٠.

(٣) أضواء البيان ٢٩٥/٨.

(٤) مجموع الفتاوى٣٩١/١٣، والنشر ١٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٨٩/١.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [١]

٢٧٧- مسألة: متى يكون النقر في الناقور؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: النفخة الأولى[٢].

القول الثاني: النفخة الثانية[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ أي: نُفخ في الصور. وهل المراد بذلك النفخة الأولى أو الثانية؟

فيه قولان: **أظهرهما:** أنها الثانية؛ لقوله: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ [٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: النفخة الأولى.

ذكره المفسرون في كتبهم ولم يرجحه أحد[٥].

القول الثاني: النفخة الثانية[٦].

---

(١) سورة المدثر آية: ٨.

(٢) الكشف والبيان ٦٤٨/٤، والنكت والعيون١٣٨/٦، وزاد المسير ٣٦١/٤، ومفاتيح الغيب ١٧٣/٣٠، وفتح القدير٥/٣٢٥.

(٣) الكشف والبيان ٦٤٨/٤، والنكت والعيون١٣٨/٦، وزاد المسير ٣٦١/٤، ومفاتيح الغيب ١٧٣/٣٠، وفتح القدير٥/٣٢٥.

(٤) رموز الكنوز ٣٥٤/٨.

(٥) الكشف والبيان ٦٤٨/٤، والنكت والعيون١٣٨/٦، وزاد المسير ٣٦١/٤، ومفاتيح الغيب ١٧٣/٣٠، وفتح القدير٥/٣٢٥.

(٦) الكشف والبيان ٦٤٨/٤، والنكت والعيون١٣٨/٦، وزاد المسير ٣٦١/٤، ومفاتيح الغيب ١٧٣/٣٠، وفتح القدير٥/٣٢٥.

وممن قال به: البغوي، والخازن[١].

ومن أقوالهم:

قال الخازن: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ أي: نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل وهي النّفخة الأولى، وقيل: الثانية وهو الأصح[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

أن النفخ في الصور يحتمل النفخة الأولى والثانية[٣].

حاصل الدراسة:

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ اختلفوا في الوقت الذي ينقر في الناقور، أهو النفخة الأولى أم النفخة الثانية؟ وقسم العلماء النفخ إلى ثلاث نفخات على قول، النفخة الأولى: هي نفخة الفزع التي جاءت في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٤]

والنفخة الثانية: هي نفخة الصعق.

والنفخة الثالثة: هي نفخة البعث والقيام وهما اللتان ذكرتا في قوله تعالى في سورة الزمر وغيرها: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [٥] . وهذا التقسيم هو الذي رجحه شيخ الإسلام وابن القيم وجماعة من المحققين[٦].

والقول الثاني نفختان، قال كثير من أهل العلم: إنّ النفخات اثنتان، ونفخة الصعق

---

(١) معالم التنزيل ٤/٥٠١، ولباب التأويل ٧/١٧٤.

(٢) لباب التأويل ٧/١٧٤.

(٣) التسهيل٤/١٦٠.

(٤) سورة النمل آية: ٨٧.

(٥) سورة الزمر آية: ٦٨.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى ٤/٢٦٠، ١٦/٣٥، والروح ص٣٦.

طويلة تمتد أولها فزع وآخرها صعق.

المناقشة والترجيح:

الراجح: المراد بالنقر في الناقور النفخة الثانية، لدلالة الآية التي بعدها. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له[١].

(١) جامع البيان٣/٥٠، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [١]

٢٧٨- مسألة: ما إعراب "نذيراً"؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: منصوبة على الحال[٢].

القول الثاني: تمييز من "إحدى"[٣].

القول الثالث: متعلق بقوله في أول السورة "قُم"[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ قال الزجاج: نصب "نذيراً" على الحال.

والمعنى: إنها للكبيرة في حال الإنذار.

وقال الزمخشري: "نذيراً" تمييز من "إحدى"، على معنى: إنها لإحدى الدواهي إنذاراً، كما تقول: هي إحدى النساء عفافاً.

وقيل: "نذيراً" متعلق بقوله في أول السورة "قُم"، على معنى: قُم نذيراً.

وفيه بعد[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: منصوبة "نذيراً" على الحال. والمعنى: إنها للكبيرة في حال الإنذار.

---

(١) سورة المدثر آية: ٣٦.

(٢) معاني القرآن للزجاج٥/٢٤٩، والتبيان٢/١٢٥٠، والدر المصون١٠/٥٥٢، وزاد المسير ٤/٣٦٥، وفتح القدير٥/٣٣١، وروح المعاني٢٩/١٣١، والتحرير والتنوير٢٩/٣٢٣.

(٣) الكشاف٤/٦٥٥، وفتح القدير٥/٣٣١، وروح المعاني٢٩/١٣١.

(٤) البسيط٢٢/٤٤٩، وزاد المسير٤/٣٦٥، والتبيان٢/١٢٥٠، والجامع لأحكام القرآن١٩/٨٤، والدر المصون ١٠/٥٥٢، واللباب في علوم الكتاب١٩/٥٢٩، وفتح القدير٥/٣٣١، وروح المعاني٢٩/١٣١.

(٥) رموز الكنوز٨/٣٦٨.

وممن قال به: الزجاج، وابن عاشور[١].

القول الثاني: "نذيراً" تمييز من "إحدى"، على معنى: إنها لإحدى الدواهي إنذاراً، كما تقول: هي إحدى النساء عفافاً[٢].

وممن قال به: الزمخشري[٣].

القول الثالث: متعلق بقوله في أول السورة "قُم"، على معنى: قُم نذيراً[٤].

وممن قال به: أبو علي الفارسي[٥].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

لقد ذكر السمين الحلبي أوجه أخرى كثيرة في قوله: "نذيراً"[٦].

حاصل الدراسة:

قوله: ﴿ نَذِيرًا ﴾ . فيه أوجه: أحدها: أنه تمييز من " إحدى" لما ضمنت معنى التعظيم، كأنه قيل: أعظم الكبر إنذاراً، فـ "نذير" بمعنى: "الإنذار" كالنكير بمعنى الإنكار، كأنه قيل: إنها لإحدى الدواهي إنذاراً، ومثله: هي إحدى النساء عفافاً .

الثاني: أنه" فعيل" بمعنى "مُفْعِل" وهو حال من الضمير في" إنها ". قاله الزجاج، وذُكِّرَ لأن معناه معنى العذاب أو أراد أنَّها "ذات إنذارٍ "على معنى النسب، كقولهم: امرأة طالق وطاهر. قال الحسن ﷺ: والله ما أنذرَ الخلائق بشيءٍ أدهى منها.

الثالث: أنه حال من فاعل" قُمْ " أول السورة، والمراد بالنذير: محمدٌ ﷺ أي: قُمْ

---

(١) معاني القرآن للزجاج٥/٢٤٩، والتبيان٢/١٢٥٠، والدر المصون١٠/٥٥٢، وزاد المسير ٤/٣٦٥، وفتح القدير ٥/٣٣١، وروح المعاني٢٩/١٣١، والتحرير والتنوير٢٩/٣٢٣.

(٢) فتح القدير٥/٣٣١، وروح المعاني٢٩/١٣١.

(٣) الكشاف٤/٦٥٥.

(٤) البسيط٢٢/٤٤٩، وزاد المسير٤/٣٦٥، والتبيان٢/١٢٥٠، والجامع لأحكام القرآن١٩/٨٤، والدر المصون ١٠/٥٥٢.

(٥) اللباب في علوم الكتاب١٩/٥٢٩، وفتح القدير٥/٣٣١، وروح المعاني٢٩/١٣١.

(٦) الدر المصون١٠/٥٥٢.

نذيراً للبشر، أي: مخوفاً لهم. قاله أبو علي الفارسي. وروي عن ابن عباسﷺ.

وأنكر هذا القول بعض المفسرين وأهل اللغة، كالفراء، وابن الأنباري، وأبو حيان. قال ابن الأنباري: قال بعض المفسرين: معناه يا أيُّها المدثِّر، قُم نذيراً للبشر، وهذا قبيح لطول ما بينهما[١].

وقال أبو حيان: ومن جعله متصلاً بقم في أول السورة، أو بـ: فأنذر في أول السورة، أو حالاً من الكبر، أو حالاً من ضمير الكبر، فهو بمعزل عن الصواب. قال أبو البقاء: والمختار أن يكون حالاً مما دلت عليه الجملة تقديره: عظمت نذيراً. انتهى، قال أبو حيان: وهو قول لا بأس به[٢]

وقال ابن جزي الكلبي: قيل هو حال من هذه السورة أي قم فأنذر نذيراً. وهذا بعيد. وقال الزمخشري: هو من بدع التفاسير[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه حال من الضمير في "إنها" في الآية التي قبلها، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة[٤].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب١٩/٥٢٩.

(٢) البحر المحيط٨/٣٧٠.

(٣) التسهيل٤/١٦٢.

(٤) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص٢٤٧، وجامع البيان٩/٦٠، والبحر المحيط ١/١٠٣، ومغني اللبيب ١/٧١٠، والبرهان في علوم القرآن ١/٣٠٤، وروح المعاني ١/٣٤٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦٤٥.

قال تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [١]

٢٧٩- مسألة: هل الآية قسم، أم لا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: حكمها. حكم الآية الأولى، أقسم بالنفس اللوامة[٢].

القول الثاني: لم يقسم بالنفس اللوامة[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ قال قتادة: حكمُها حكمُ الأولى.

قال الحسن: أقسم بالأولى، ولم يُقسم بالثانية.

قال الماوردي: يكون تقدير الكلام: أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة.

والصحيح: انتظامهما في سلك واحد، وأنهما قسَمان[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: حكمها. حكم الآية الأولى، أقسم بيوم القيامة، وأقسم بالنفس اللوامة.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، وقتادة[٥].

---

(١) سورة القيامة آية: ٢.

(٢) جامع البيان٢٣/٤٦٨، وبحر العلوم٣/٤٩٨، والبسيط٢٢/٤٧٢، ومعالم التنزيل٤/٥١١، والتسهيل ٤/١٦٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٩٢.

(٣) جامع البيان٢٣/٤٦٧، والنكت والعيون٦/١٥١، والبسيط٢٢/٤٧٤، والمحرر الوجيز٥/٤٠٢، وزاد المسير ٤/٣٦٨، والبحر المحيط٨/٣٧٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٩٢، وفتح القدير٥/٣٣٥.

(٤) رموز الكنوز٨/٣٧٨.

(٥) جامع البيان٢٣/٤٦٧، والنكت والعيون٦/١٥١، وزاد المسير٤/٣٦٨، وتفسير القرآن العظيم لابن

٢- الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن جزي الكلبي، وابن كثير[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوَّامة. وجعل "لا" رداً لكلام قد كان تقدمه من قوم، وجواباً لهم[٢].

ب- قال الواحدي: لا اختلاف بين المفسرين وأهل المعاني أن المراد: أقسم بيوم القيامة. وكذلك ما بعدهن، وذلك من وجهين: أحدهما: أن (لا) صلة. والثاني: أن تكون ردًّا لكلام قد سبق. وكلا الوجهين هاهنا جائز[٣].

ج- قال البغوي: والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً[٤].

القول الثاني: أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوامة.

وممن قال به:

١- الحسن.

٢- والماوردي[٥].

واستدلوا: أنه يؤيده قراءة الحسن، والأعرج أنهما قرأا: (لأقسم)[٦].

كثير١٤/١٩٢.

(١) جامع البيان٢٣/٤٦٨، وبحر العلوم٣/٤٩٨، والبسيط٢٢/٤٧٢، ومعالم التنزيل٤/٥١١، والتسهيل ٤/١٦٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٩٢.

(٢) جامع البيان٢٣/٤٦٨.

(٣) البسيط ٢٢/٤٧٢.

(٤) معالم التنزيل ٤/٥١١.

(٥) جامع البيان٢٣/٤٦٧، والنكت والعيون٦/١٥١، والبسيط٢٢/٤٧٤، والمحرر الوجيز٥/٤٠٢، وزاد المسير٤/٣٦٨، والبحر المحيط٨/٣٧٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٩٢، وفتح القدير٥/٣٣٥.

(٦) جامع البيان ٢٣/٤٦٥، والتيسير ١/٢١٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٩٢.

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ ذهب قوم إلى أنه سبحانه أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة، فيكون الكلام في (لا) هذه كالكلام في الأولى، وهذا قول الجمهور أن الله تعالى أقسم بالأمرين. وقال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة، فـ (لا) نافية، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً، ومعنى النفس اللوامة النفس التي تلوم صاحبها على تقصيره أو تلوم جميع النفوس على تقصيرها[١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن حكمها حكم الآية الأولى، وأنهما قسمان، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[٢].

---

(١) المحرر الوجيز٥/٤٠٢، وفتح القدير٥/٣٣٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٣٦١-٣٦٢، والتسهيل ١/٩، والتحبير في علم التفسير ص٣٢٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٧١.

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [١]

٢٨٠- مسألة: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: تنظر على ربها معاينة[٢].

القول الثاني: تنظر إلى ثواب ربها، على حذف المضاف، وهو رأي المعنزلة[٣].

قال الرسعني:

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال ابن عباسﷺ: يريد: إلى الله ناظرة.

وقال في رواية أخرى: تنظر إلى الله لا تُحجب عنه.

قال مقاتل: تنظر إلى ربها معاينة. وهذا قول عامة المفسرين.

ويروى عن ابن عمرﷺ ومجاهد: أن المعنى: إلى ثواب ربها ناظرة، على حذف المضاف.

قال الزمخشري: سمعتُ سَرَوِيَّةً مُسنتجديةً بمكة وقت الظهر حين يُغلق الناسُ أبوابهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول: عُيَيينتي نُويظِرة إلى الله وإليكم[٤].

وهذا لا ينفي إثبات الرؤية لله؛ لأنها ثابتة بأدلة أُخَر لا يتطرق إليها تأويل.

---

(١) سورة القيامة آية: ٢٣.

(٢) جامع البيان٢٣/٥٠٧، وتفسير مقاتل٣/٤٢٣، والكشف والبيان١٠/٨٨، والوسيط٤/٣٩٣، والبسيط٢٢/٥٠٧، ومعالم التنزيل٤/٥١٦، والمحرر الوجيز٥/٤٠٥، وزاد المسير٤/٣٧١، والتسهيل٤/١٦٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٩٨، وفتح القدير٥/٣٣٨.

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام١/٢٠٧، وغاية المرام ١/١٧٦، والنكت والعيون٦/١٥٦، والجامع لأحكام القرآن١٩/١٠٨.

(٤) الكشاف٤/٦٦٣.

والأول هو الصحيح، وإليه ذهب علماء السنة وجمهور الأمة[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: تنظر على ربها معاينة.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومقاتل، وعكرمة، والحسن، وعطية العوفي، وابن السائب الكلبي[٢].

٢- الطبري، وابن عطية، وابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، وابن كثير، والشوكاني[٣].

واستدلوا بما يلي :

١- عن أبي هُرَيْرَةَﷺ قال: قال أُنَاسٌ يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ؟ فقال: "هل تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ ليس دُونَهَا سَحَابٌ" قالوا: لا يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: "هل تُضَارُّونَ في الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ليس دُونَهُ سَحَابٌ" قالوا: لا يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: "فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يوم الْقِيَامَةِ"[٤].

٢- عن عكرمة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ : قال: تنظر إلى ربها نظراً[٥].

ومن أقوالهم:

---

(١) رموز الكنوز٨/٣٩٠.

(٢) جامع البيان٢٣/٥٠٧، وتفسير مقاتل٣/٤٢٣، والكشف والبيان١٠/٨٨، والوسيط٤/٣٩٣، والبسيط٢٢/٥٠٧، ومعالم التنزيل٤/٥١٦، وزاد المسير٤/٣٧١،

(٣) جامع البيان ٢٣/٥٠٩، والمحرر الوجيز٥/٤٠٥، وزاد المسير٤/٣٧١، والتسهيل٤/١٦٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/١٩٨، وفتح القدير٥/٣٣٨،

(٤) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، ح(٧٤٣٧، ٧٤٣٨)، ومسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح(١٨٢).

(٥) أخرجه الطبري٢٣/٥٠٧،

أ- قال الطبري: وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة، من أن معنى ذلك: أنها تنظر إلى خالقها؛ وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ[١].

ب- قال ابن الجوزي: ورؤية الله عز وجل حقٌّ لا شك فيها. والأحاديث صحيحةٌ صحاح[٢].

القول الثاني: تنظر إلى ثواب ربها، على حذف المضاف، أو تنتظر، وهو رأي المعتزلة[٣].

وممن قال به: ابن عمر رضي الله عنه، ومجاهد، وحكاه الماوردي عن عمر وعكرمة[٤].

واستدلوا: بما عن مجاهد في قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾. قال: تنتظر منه الثواب

حاصل الدراسة:

أنها تنظر على ربها، وهو اعتقاد الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام المعروفين بالإمامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة[٥].

قال ابن عبد البر: " فإن قيل: فقد روى سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: حسنة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال: تنظر الثواب. ذكره وكيع وغيره عن سفيان. فالجواب. أنا لم ندَّع الإجماع في هذه المسألة. ولو كانت إجماعاً ما احتجنا فيها إلى قول، ولكن قول مجاهد هذا مردود بالسُّنَّة الثابتة عن

---

(١) جامع البيان ٢٣/٥١٠.

(٢) زاد المسير٤/٣٧١،

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام١/٢٠٧، وغاية المرام ١/١٧٦، والنكت والعيون٦/١٥٦، والجامع لأحكام القرآن ١٩/١٠٨.

(٤) النكت والعيون٦/١٥٦، والجامع لأحكام القرآن١٩/١٠٨.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية١/٢٠٨، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/١٤٠،١٣٧، ٦/٤٣١-٤٣٥، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي٣/٥٢٠.

النبي ﷺ وأقاويل الصحابة وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور[١].

قال الأزهري: من قال: إن معنى قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ من الانتظار، فقد أخطأ؛ لأن العرب لا تقول: نظرت إلى الشيء بمعنى: انتظرته، إنما تقول: نظرن فلاناً، أي: انتظرته[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها تنظر إلى ربها، وهذا مجمع عليه من الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد[٣].

---

(١) التمهيد ١٥٧/٧-١٥٨.

(٢) تهذيب اللغة ٢٦٦/١٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٤٣/١٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢١٤/١.

قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [١]

٢٨١- مسألة: ما المراد بالأسير في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: المسجون من أهل القبلة[٢].

القول الثاني: المرأة[٣].

القول الثالث: العبد[٤].

القول الرابع: الأسير المشْرِك[٥].

قال الرسعني:

وفي الأسير أربعة أقوال: أحدها: أنه المسجون من أهل القبلة. قاله مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير. الثاني: المرأة. قاله أبو حمزة الثمالي. دليله قوله عليه السلام:" استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم". الثالث: العبد. حكاه الماوردي.

الرابع: أنه الأسير المشْرِك. قاله الحسن وقتادة. **وهو الأظهر**.

قال الحسن: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه، فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة الإنسان آية: ٨.

(٢) جامع البيان٢٣/٥٤٥، والبسيط٢٣/٣٠، ومعالم التنزيل٤/٥٢٤، وزاد المسير٤/٣٧٧،

(٣) البسيط٢٣/٣١، ومعالم التنزيل٤/٥٢٤، والمحرر الوجيز٥/٤١١، وزاد المسير٤/٣٧٧، والجامع لأحكام القرآن١٩/١٢٧.

(٤) معالم التنزيل٤/٥٢٤، وزاد المسير٤/٣٧٧.

(٥) جامع البيان،٢٣/٥٤٤، والنكت والعيون٦/١٦٦، والبسيط٢٣/٢٩، ومعالم التنزيل٤/٥٢٤، والمحرر الوجيز ٥/٤١٠، وزاد المسير٤/٣٧٧، ومفاتيح الغيب٣٠/٢١٥، والتسهيل٤/١٦٨.

(٦) رموز الكنوز٨/٤٠٩.

القول الأول: أنه المسجون من أهل القبلة[١].

وممن قال به: مجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير[٢].

القول الثاني: المرأة.

وممن قال به:أبو حمزة الثمالي[٣].

واستدلوا : بقوله ﷺ:" استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم"[٤].

القول الثالث: العبد، أو المملوك[٥].

وممن قال به: الماوردي[٦].

القول الرابع: أنه الأسير المشْرِك.

وممن قال به :

١- ابن عباسرضي الله عنه، والحسن، وقتادة

٢- وابن جزي الكلبي[٧].

واستدلوا: بما قال الحسن: "كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه، فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه"[٨].

---

(١) التسهيل٤/١٦٨.

(٢) جامع البيان٢٣/٥٤٥، والبسيط٢٣/٣٠، ومعالم التنزيل٤/٥٢٤، وزاد المسير٤/٣٧٧،

(٣) البسيط٢٣/٣١، ومعالم التنزيل٤/٥٢٤، والمحرر الوجيز٥/٤١١، وزاد المسير٤/٣٧٧، والجامع لأحكام القرآن١٩/١٢٧.

(٤) أخرجه ابن ماجه أبواب النكاح، حق المرأة على الزوج،ح(١٨٥٦)، والترمذي باب الرضاع، باب ١١، ح(١١٦٣).

(٥) معالم التنزيل٤/٥٢٤.

(٦) النكت والعيون٦/١٦٦، ومعالم التنزيل٤/٥٢٤، وزاد المسير٤/٣٧٧.

(٧) جامع البيان،٢٣/٥٤٤، والنكت والعيون٦/١٦٦، والبسيط٢٣/٢٩، ومعالم التنزيل٤/٥٢٤، والمحرر الوجيز ٥/٤١٠، وزاد المسير٤/٣٧٧، ومفاتيح الغيب٣٠/٢١٥، والتسهيل٤/١٦٨.

(٨) الكشاف٤/٦٦٩.

ومن أقوالهم:

قال ابن جزي الكلبي: بعد ذكره للأقوال في المراد بالأسير: والأول أرجح- أن الأسير الكافر بين المسلمين ففي إطعامه أجر لأنه في كل ذي كبد رطبة أجر-؛

لأنه روي أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له: أحسن إليه[١].

حاصل الدراسة:

في قوله تعالى : ﴿ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ جمع أصنافاً ثلاثة: الأول والثاني من المسلمين غالباً، أما الثالث وهو الأسير فلم يكن لدى المسلمين أسرى إلا من الكفار، وإن كانت السورة مكية إلا أن العبرة بعموم اللفظ كما هو معلوم.

وقد نقل ابن كثير عن ابن عباسرضي الله عنه: أنها في الفرس من المشركين وساق قصة أسارى بدر. واختار ابن جرير أن الأسرى هم الخدم، وقال الشنقيطي: والذي يظهر والله تعالى أعلم أن الأسارى هنا على معناها الحقيقي؛ لأن الخدم لا يخرجون عن القسمين المتقدمين اليتيم والمسكين، وهؤلاء الأسارى بعد وقوعهم في الأسر، لم يبق لهم حول ولا طول. فلم يبق إلا الإحسان إليهم[٢].

واستبعد ابن جزي القول أن المراد بالأسير المرأة[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن اللفظ على معناه الحقيقي، والمراد الأسير المشرك، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة[٤].

---

(١) التسهيل٤/١٦٨.

(٢) أضواء البيان٨/٣٩٥.

(٣) التسهيل٤/١٦٨.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/٤١٤، والمحرر الوجيز ٢/٣٧٥، ومجموع الفتاوى ٢٠/٤٧٣، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٣٨٧.

قال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ [١]

٢٨٢- مسألة: ما هو اسم ابن أم مكتوم؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: عبد الله بن عمرو[٢].

القول الثاني: عمرو بن قيس[٣].

قال الرسعني:

لا خلاف بين أهل العلم أنها نزلت فيه-ابن أم مكتوم[٤]- وكان من بني عامر بن لؤي بغير خلاف، واسم أمه أم مكتوم: عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم، واسمه: عبد الله، وقيل: عمرو، وهو **الأشهر والأكثر**[٥].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: عبد الله بن عمرو[٦].

وممن قال به: ابن إسحاق[٧].

القول الثاني: عمرو بن قيس[٨].

وممن قال به:

---

(١) سورة عبس آية ٢.

(٢) الكاشف ٤٨٧/٢، وزاد المسير٤/٤٠٠، ولباب التأويل ٢٠٨/٧، وتقريب التهذيب١/٤٢١.

(٣) التاريخ الكبير٥/٧، والكاشف ٧٦/٢، وزاد المسير٤/٤٠٠، ولباب التأويل ٢٠٨/٧، وتقريب التهذيب١/٤٢١.

(٤) توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: تقريب التهذيب١/٤٢١.

(٥) رموز الكنوز ٤٨٥/٨.

(٦) الكاشف ٤٨٧/٢، وزاد المسير٤/٤٠٠، ولباب التأويل ٢٠٨/٧، وتقريب التهذيب١/٤٢١.

(٧) التاريخ الكبير٥/٧.

(٨) التاريخ الكبير٥/٧، والكاشف ٧٦/٢، وزاد المسير٤/٤٠٠، ولباب التأويل ٢٠٨/٧، وتقريب التهذيب١/٤٢١.

مقاتل، وابن الأثير، وابن حجر، والألوسي[١].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن حجر: قيل اسمه هو: عمرو، وهو قول الأكثر[٢].

ب- قال الألوسي: والأول أكثر وأشهر- عمرو بن قيس بن زائدة -كما في جامع الأصول[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي[٤].

حاصل الدراسة:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ روي أن ابن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة واسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي، وقيل: عبد الله بن عمرو، وقيل: عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري والأول أكثر وأشهر[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه عمرو بن قيس، وهو ترجيح كتب الرجال، والرسعني.
القاعدة: علم المبهمات موقوف على النقل المحض ولا مجال للرأي فيه[٦].

---

(١) جامع الأصول ٥٦٥/٥، والإصابة ٨٧/٤، وروح المعاني ٣٩/٣٠.
(٢) الإصابة ٨٧/٤.
(٣) جامع الأصول ٥٦٥/٥، وروح المعاني ٣٩/٣٠.
(٤) معالم التنزيل ٥٥٣/٤، ولباب التأويل ٢٠٨/٧.
(٥) لباب التأويل ٢٠٨/٧، وروح المعاني ٣٩/٣٠.
(٦) مفحمات الأقران ٣٥/١، والإتقان ٣٨٤/٤، وقواعد التفسير للسبت ٧٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [١]

٢٨٣- مسألة: ما معنى أبّا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ما تأكله الأنعام[٢].

القول الثاني: الثمار الرطبة[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَأَبًّا ﴾ ما تأكله الأنعام. وهذا قول عامة المفسرين واللغويين.

قال الزجاج: الأبُّ: جميع الكلأ التي تعتلفه الماشية.

ويروى عن ابن عباسﷺ: أن الأبُّ: الثمار الرطبة. **والأول أصح**[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ما تأكله الأنعام.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، والحسن، وقتادة، ، وابن زيد.

---

(١) سورة عبس آية: ٣١.

(٢) معاني القرآن للفراء٣/٢٣٨، ومعاني القرآن للزجاج٥/٢٨٦، وجامع البيان٢٤/١٢١-١٢٣، والنكت والعيون٦/٢٠٨، والبسيط٢٣/٢٣٤، ومعالم التنزيل٤/٥٥٦، وزاد المسير ٤/٤٠٣، والتسهيل٤/١٧٩، والبحر المحيط٨/٤٢١.

(٣) جامع البيان ٢٤/١٢١، وتفسير ابن أبي حاتم١٠/٣٤٠، والكشف والبيان١٠/١٣٣، والنكت والعيون٦/٢٠٨، وزاد المسير ٤/٤٠٣.

(٤) رموز الكنوز٨/٤٩٥.

٢- والفراء، والزجاج[١]، وابن أبي زمنين، والشوكاني[٢].

واستدلوا بما يلي:

عن ابن عباسﷺ: قال: الأبُّ ما أنبتت الأرض، مما لا يأكل الناس[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال البغوي: يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس، مما يأكله الأنعام والدواب[٤].

ب- قال الزجاج: جميع الكلأ التي تعتلفه الماشية[٥].

القول الثاني: الثمار الرطبة.

وممن روي عنه: الوالبي عن ابن عباسﷺ، وعلي بن أبي طلحة[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنه كل شيء ينبت على وجه الأرض، قاله الضحاك[٧].

٢- أنه كل نبات سوى الفاكهة، وهذا ظاهر قول الكلبي[٨].

٣- أنه التبن خاصة، قال الضحاك، وهو محكي عن ابن عباسﷺ أيضاً[٩].

---

(١) معاني القرآن للفراء٣/٢٣٨، ومعاني القرآن للزجاج٥/٢٨٦، وجامع البيان٢٤/١٢١-١٢٣، والنكت والعيون٦/٢٠٨، والبسيط٢٣/٢٣٤، ومعالم التنزيل٤/٥٥٦، وزاد المسير ٤/٤٠٣، والتسهيل٤/١٧٩، والبحر المحيط٨/٤٢١.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين٥/٩٦، وفتح القدير٥/٣٨٥.

(٣) أخرجه الطبري٢٤/١٢١.

(٤) معالم التنزيل٤/٥٥٦.

(٥) معاني القرآن للزجاج٥/٢٨٦.

(٦) جامع البيان ٢٤/١٢١، وتفسير ابن أبي حاتم١٠/٣٤٠، والكشف والبيان١٠/١٣٣، والنكت والعيون٦/٢٠٨، وزاد المسير ٤/٤٠٣.

(٧) النكت والعيون٦/٢٠٨.

(٨) النكت والعيون٦/٢٠٨.

(٩) النكت والعيون٦/٢٠٨، والتسهيل٤/١٧٩، والبحر المحيط٨/٤٢١.

٤- أن رطب الثمار هو الفاكهة، ويابسها الأبّ[١].

٥- أن الأبّ ما أخلف مثل أصله كالحبوب، والفاكهة ما لم يخلف مثل أصله من الشجر[٢].

حاصل الدراسة:

والأبُّ: قيل: الأبُّ للبهائم بمنزلة الفاكهة للنَّاس. وقيل: هو مطلق المرعى. وقيل: سمي المرعى أبًّا؛ لأنه يربُّ، أي: يؤم وينتجع. وقيل: الأبّ: يابس الفاكهة لأنها تؤب للشتاء، أي تعد. وقيل: الأبُّ ما تأكله البهائمُ من العُشْبِ. قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه والحسن: الأبُّ، كل ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس، وما يأكله الآدميون، هو: "الحصيد". وعن ابن عباس وابن أبي طلحة: الأبُّ، الثِّمارُ الرَّطبةُ. وقال الضحاك: هو التِّينُ خاصَّةً. وقيل : الأب الفاكهة رطب الثمار ويابسها[٣].

والأب المرعي عند ابن عباس رضي الله عنه والجمهور، وقد توقف في التفسير أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٤].

روي عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله:" وفاكهة وأبّاً" فقال: أيّ سماء تظلني. وأي أرض تقلني: إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[٥].

روى ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفنا فما الأبُّ؟ ثم رفض عصاً كانت بيده، وقال هذا والله لعمرُ الله التكلف، وما عليك يا ابن أُم عمر أن لا تدري ما الأبُّ، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا تبين فدعوه[٦].

---

(١) النكت والعيون٦/٢٠٨، والبحر المحيط٨/٤٢١.

(٢) النكت والعيون٦/٢٠٨.

(٣) اللباب في علوم الكتاب٢٠/١٦٧.

(٤) التسهيل٤/١٧٩.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في"الكافي الشاف" ص٣١١: (راه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ، وابن عبد البر في"جامع بيان العلم"). انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٢٥٣، والدر المنثور٨/٤٢١.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في التفسير٢/٣٤٩، والطبري٢٤/١٢١، ومعالم التنزيل٤/٥٥٦.

قال ابن كثير بعد أن ساق هذه الرواية: وهذا الإسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهو محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلاّ فهو كل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض كقوله: "فأنبتنا...."[١]

المناقشة والترجيح:

الراجح: قول الجمهور أن الأب هو ما تأكله الأنعام، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤/٢٥٣.

(٢) جامع البيان ٢/٢٣١، والتسهيل ١/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢/٣٥٤، وأضواء البيان ١/٣٨٥، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٨٨.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [١]

٢٨٤- مسألة: هل الآية السابقة ناسخة، أم لا؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أن قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ناسخ لما في سورة عبس، والإنسان، والمزمل[٢].

القول الثاني: أن الآية ليست ناسخة لما قبلها، إنما هو إعلامٌ أن مشيئتهم منوطةٌ بمشيئة الله سبحانه[٣].

قال الرسعني:

ذهب جماعة من نقلةِ التفسير إلى أن قوله: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ ، وقوله في عبس: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ [٤]، وقوله في الإنسان وفي المزمل: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ [٥] منسوخ بقوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

وهذا ليس بصحيح؛ لأنه لا تنافي بين ما ادّعوه ناسخاً ومنسوخاً، وإنما هو إعلامٌ أن مَشِيَّتَهُم منُوطةٌ بمشيَّتِه سبحانه وتعالى، والأمر كذلك.

قال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاء الله لها[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

---

(١) سورة التكوير آية: ٢٩.

(٢) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة١/١٩٤،١٩٢،١٨٨، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٦٣-٦٤، وناسخ القرآن ومنسوخة للبازري١/٥٧،٤٠.

(٣) معاني القرآن للزجاج٥/٢٩٣، ومعالم التنزيل٤/٥٦٥، وزاد المسير٤/٤٠٩، والناسخ والمنسوخ للكرمي١/١٣٦، وناسخ القرآن ومنسوخة للبازري١/٥٧،٤٠.

(٤) سورة عبس آية: ١٢.

(٥) سورة الإنسان آية: ٢٩، والمزمل آية: ١٩.

(٦) رموز الكنوز٨/٥١٦.

القول الأول: أن قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ناسخ لما في سورة عبس، والإنسان، والمزمل.

وممن قال به: ابن سلامة، وابن حزم[١].

القول الثاني: أن الآية ليست ناسخة لما قبلها، إنما هو إعلامٌ أن مشيئتهم منوطةٌ بمشيئة الله سبحانه.

وممن قال به: الزجاج، والبغوي، وابن الجوزي، والكرمي[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن الجوزي: ولا أرى هذا القول صحيحاً؛ لأنه لو جاز وقوع مشيئتهم مع عدم مشيئته توجَّه النسخ، فأما إذ أخبر أنَّ مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته، فليس للنسخ وجهٌ[٣].

ب- قال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴾ زعم بعض من لا فهم له أنها نسخت بقوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وليس هذا بكلام من يدري ما يقول؛ لأن الآية الأولى أثبتت للإنسان مشيئته، والآية الثانية أثبتت أنه لا يشاء حتى يشاء الله وكيف يتصور النسخ[٤]

حاصل الدراسة:

قال ابن تيمية في قوله : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ :" أخبر أن مشيئتهم موقوفة على مشيئته، ومع هذا فلا يوجب ذلك وجود الفعل منهم إذ أكثر

---

(١) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة١/١٩٤،١٩٢،١٨٨، والناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٦٣-٦٤، وناسخ القرآن ومنسوخة للبازري١/٥٧،٤٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج٥/٢٩٣، ومعالم التنزيل٤/٥٦٥، وزاد المسير٤/٤٠٩، والناسخ والمنسوخ للكرمي١/١٣٦، وناسخ القرآن ومنسوخة للبازري١/٥٧،٤٠.

(٣) زاد المسير ٤/٤٠٩،

(٤) نواسخ القرآن لابن الجوزي١/٢٤٨،

ما فيه أنه جعلهم شائين، ولا يقع الفعل منهم حتى يشاؤوا منهم كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [١]، ومع هذا فلا يقع الفعل منهم حتى يريد من نفسه اعانتهم وتوفيقهم.

فهنا أربع إرادات: إرادة البيان، وإرادة المشيئة، وإرادة الفعل، وإرادة الإعانة. والله أعلم".[٢]

وقال الشيخ السعدي في معنى الآية: أي فمشيئته نافذة لا يمكن أن تعارض أو تمانع، وفي هذه الآية وأمثالها ردٌّ على فرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة، والله أعلم"[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الآيات في سورة عبس، والإنسان، والمزمل، محكمة ليست منسوخة، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ليست ناسخة لما قبلها، إنما هو إعلامٌ أن مشيئتهم منوطةٌ بمشيئة الله سبحانه.

القاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها[٤].

---

(١) سورة المدثر آية: ٥٥-٥٦.

(٢) دقائق التفسير ٢٧/٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٩١٤/١.

(٤) جامع البيان ١٨٦/١١، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢٠٠/١، والإحكام لابن حزم ٤٨٤/٤، والتمهيد ٣٠٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٦، ومحاسن التأويل ٥٣٧٥/١٥، وأضواء البيان ٧٢/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٧١/١.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ [١]

٢٨٥- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أي: لا تملك نفسٌ لنفسٍ كافرةٍ شيئاً[٢].

القول الثاني: أن أحداً لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً إلا بأمر الله[٣].

قال الرسعني:

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ .

قال مقاتل: يعني: لا تملك نفسٌ لنفسٍ كافرةٍ شيئاً.

والصحيح عمومه، وأن أحداً لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً إلا بأمر الله، ألا تراه يقول: ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ . والله أعلم[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أي: لا تملك نفسٌ لنفسٍ كافرةٍ شيئاً[٥].

وممن قال به: مقاتل، والسمرقندي، والخازن[٦].

---

(١) سورة الانفطار آية: ١٩.

(٢) تفسير مقاتل٨/٤٢٩، وبحر العلوم٣/٥٣٣، والبسيط٢٣/٣٠٣، ومعالم التنزيل٤/٥٦٩، ولباب التأويل ٧/٢١٨، وزاد المسير ٤/٤١٢.

(٣) جامع البيان٢٤/١٨٣، والنكت والعيون ٦/٢٢٤، وزاد المسير٤/٤١٢، والتسهيل ٤/١٨٣، وروح المعاني ٣٠/٦٦.

(٤) رموز الكنوز٨/٥٢٣.

(٥) البحر المحيط ٨/٤٢٩، وفتح القدير٥/٣٩٦.

(٦) تفسير مقاتل٨/٤٢٩، وبحر العلوم٣/٥٣٣، والبسيط٢٣/٣٠٣، ومعالم التنزيل٤/٥٦٩، ولباب التأويل ٧/٢١٨، وزاد المسير ٤/٤١٢.

القول الثاني: أن أحداً لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً إلا بأمر الله[١].

وممن قال به:

الطبري، والماوردي، وابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، والألوسي، وابن عثيمين[٢].

ومن أقوالهم:

قال ابن الجوزي: والقول على الإطلاق أصحُّ؛ لأن مُقاتِلاً فيما أحسب خاف نفيَ شفاعة المؤمنين. والشفاعةُ إنما تكون عن أمر الله وتمليكِه[٣].

حاصل الدراسة:

معنى الآية: بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه ﷺ إلى معرفته، قال: اذكر يوم لا تملك نفس من النفوس لنفس من النفوس مطلقاً لا للكافرة. فلا يملك الأمر أحدٌ إلا الله ولم يُمَلِّك أحداً من الخلق شيئاً كما ملَّكهم في الدنيا، وهذا قول جمهور المفسرين. وكان مقاتل يقول: لا تملِكُ نفسٌ لنفسٍ كافرةٍ شيئاً من المنفعة. والقول على الإطلاق أصحُّ؛ ما لم يرد نص بالتخصيص[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: عمومه، وأن أحداً لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً إلا بأمر الله، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٥].

---

(١) البحر المحيط ٤٢٩/٨، وفتح القدير٥/٣٩٦.

(٢) جامع البيان١٨٣/٢٤، والنكت والعيون ٢٢٤/٦، وزاد المسير٤١٢/٤، والتسهيل ١٨٣/٤، وروح المعاني ٦٦/٣٠، وتفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين ص٩٢.

(٣) زاد المسير٤١٢/٤.

(٤) زاد المسير٤١٢/٤، وروح المعاني٦٦/٣٠.

(٥) الرسالة للشافعي ص٢٠٧،٣٤١، وأحكام القرآن لابن العربي ٥٠/١، والمحرر الوجيز ٩٤/١، والتسهيل ٩/١، وروح المعاني ١٥٤/٢٨، وأضواء البيان ٣٠٨/٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [١]

٢٨٦- مسألة: ما هو موضع "هم" من الإعراب؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الضميران "هم" في موضع نصب[٢].

القول الثاني: الضميران "هم" في موضع رفع[٣].

قال الرسعني:

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم. فحذف الحرف الجار وأوصل الفعل، كما قال:

ولقد جَنَيتُكَ أكمُؤاً وعَسَاقِلاً .....[٤]

أي: جنيت لك هذا، كقولهم: نصحتك وشكرتك.

قال الفراء: هو من كلام أهل الحجاز ومَن جاورهم.

فعلى هذا: يكون الضميران في موضع نصب. وقيل:"هم" توكيد.

المعنى: وإذا كالَ المطففون، فيكون الضميران في موضع رفع.

---

(١) سورة المطففين آية: ٣.

(٢) معاني القرآن للفراء٣/٢٤٥-٢٤٦، ومعاني القرآن للأخفش ص٦٢٣، وجامع البيان ١٨٧/٢٤، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩٧/٥، وإعراب القرآن للنحاس٥/١٧٤، والكشف والبيان١٠/١٤٩، والنكت والعيون ٢٢٦/٦، ومعالم التنزيل٤/٥٧٢، والكشاف٤/٧٢٠، وزاد المسير٤/٤١٤، والتسهيل٤/١٨٤، والبحر المحيط ٤٣١/٨، والدر المصون١٠/٧١٧، وفتح القدير٥/٣٩٨، وروح المعاني٣٠/٦٩.

(٣) جامع البيان ١٨٧/٢٤، وتفسير ابن أبي زمنين ١٠٦/٥، والكشف والبيان١٠/١٤٩، والنكت والعيون ٢٢٦/٦، ومعالم التنزيل٤/٥٧٢، والكشاف٤/٧٢٠، وزاد المسير٤/٤١٤، والتسهيل٤/١٨٤، والبحر المحيط ٤٣١/٨، والدر المصون١٠/٧١٧، وفتح القدير٥/٣٩٨، وروح المعاني٣٠/٦٩.

(٤) صدر بيت، وعجزه: (ولقد نهيتك عن بنات الأوبر). وهو في: الخصائص ٥٨/٣، وسر صناعة الإعراب ص٣٦٦، وجمهرة اللغة ص٣٣١، واللسان٥/٢٧١ مادة(وبر)، والعين ٢٩٠/٢، والمقتضب ٤٨/٤.

والأول هو الوجه الصحيح[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: جعل الوقف على "هم"، والضميران "هم" في موضع نصب.

وممن قال به: الفراء، وأبو عبيدة، والأخفش، والطبري، والزجاج، والنحاس، والثعلبي، والماوردي، والزمخشري، وابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، وأبو حيان، والسمين الحلبي، وإليه ذهب أبو عمرو بن العلاء، وهو مذهب سيبويه[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: والصواب في ذلك عندي الوقف على "هم"؛ لأن "كالوا" و"زنوا" لو كانا مكتفيين، وكانت "هم" كلاماً مستأنفاً، كانت كتابة "كالوا" و"زنوا" بألف فاصلة بينها وبين "هم" مع كلٍّ واحدٍ منهما[٣].

ب- قال السمين الحلبي: ولا شك أن المعنى الذي ذكره الزمخشري وأراده- أن يكون الضمير منصوباً عائداً على الناس- أتمُّ وأحسن من المعنى الثاني. ورجَّح الأول سقوط الألف بعد الواو، ولأنه دالٌّ على اتصال الضمير[٤].

القول الثاني: الضميران "هم" في موضع رفع، و"كالوا" و"وزنوا" مكتفين بأنفسهما[٥].

---

(١) رموز الكنوز٨/٥٢٦-٥٢٧.

(٢) معاني القرآن للفراء٣/٢٤٥-٢٤٦، ومعاني القرآن للأخفش ص٦٢٣، وجامع البيان ١٨٧/٢٤، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩٧/٥، وإعراب القرآن للنحاس٥/١٧٤، والكشف والبيان١٠/١٤٩، والنكت والعيون ٢٢٦/٦، ومعالم التنزيل٤/٥٧٢، والكشاف٤/٧٢٠، وزاد المسير٤/٤١٤، والتسهيل٤/١٨٤، والبحر المحيط ٤٣١/٨، والدر المصون١٠/٧١٧، وفتح القدير٥/٣٩٨، وروح المعاني٣٠/٦٩.

(٣) جامع البيان ١٨٧/٢٤.

(٤) الدر المصون١٠/٧١٧.

(٥) جامع البيان ١٨٧/٢٤، وتفسير ابن أبي زمنين ١٠٦/٥، والكشف والبيان١٠/١٤٩، والنكت والعيون ٢٢٦/٦، ومعالم التنزيل٤/٥٧٢، والكشاف٤/٧٢٠، وزاد المسير٤/٤١٤، والتسهيل٤/١٨٤، والبحر

وممن قال به: عيسى بن عمر، وابن أبي زمنين[١].

حاصل الدراسة:

اختلف الناس في "هم" على وجهين، أحدهما: هو ضميرُ نصبٍ، فيكون مفعولاً به، ويعود على الناس، أي: وإذا كالُوا الناس، أو وزنوا الناس. والتقدير: وإذا كالوا لهم طعاماً أو وزنُوه لهم.

والثاني: أنه ضمير رفعٍ مؤكد للواو. والضمير عائدٌ على المطففين، ويكون على هذا قد حذف المكيل والمكيل له، والموزون والموزون له.

وقد ضعفه الزمخشري وابن جزي الكلبي من وجهين أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في كالوا ووزنوا فدل ذلك على أن هم ضمير المفعول والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود. قال ابن عطية ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجلى قال صدر الآية في المشترين فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة وقوله وإذا كالوهم أو وزنوهم في البائعين فهم الذين يخسرون المشتري[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الضميران "هم" في موضع نصب. وهو قول جمهور المفسرين وأهل اللغة، وترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق[٣].

المحيط ٤٣١/٨، والدر المصون ٧١٧/١٠، وفتح القدير ٣٩٨/٥، وروح المعاني ٦٩/٣٠.

(١) جامع البيان ١٨٧/٢٤، وتفسير ابن أبي زمنين ١٠٦/٥.

(٢) الكشاف ٧٢٠/٤، والتسهيل ١٨٤/٤، والدر المصون ٧١٦/١٠-٧١٧.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٥٤٧/٢، والمحرر الوجيز ١٥٤/٣، والبحر المحيط ١٨٢/١، وبدائع الفوائد ٥٣٧/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٣٥/٢.

قال تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [١]

٢٨٧- مسألة: ما المقصود بشاهد، ومشهود؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة[٢].

القول الثاني: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود يوم النحر[٣].

القول الثالث: الشاهد محمد ﷺ ، والمشهود يوم القيامة[٤].

القول الرابع: الشاهد هو الله تعالى، والمشهود يوم القيامة[٥].

القول الخامس: الشاهد هو الله تعالى، والمشهود بنو آدم[٦].

القول السادس:الشاهد هذه الأمة، والمشهود جميع الأمم[٧].

القول السابع: الشاهد الحفظة، والمشهود: بنو آدم[٨].

القول الثامن: الشاهد الحجر الأسود، والمشهود: الحجيج[١].

---

(١) سورة البروج آية: ٣.

(٢) جامع البيان٢٤/٢٦٤، وبحر العوم ٣/٥٤١، وتفسير ابن أبي زمنين ٥/١١٤، والنكت والعيون ٦/٢٤١، والبسيط٢٣/٣٨٠، ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، والمحرر الوجيز ٥/٤٦٠، وزاد المسير ٤/٤٢٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٨٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٠٣.

(٣) النكت والعيون ٦/٢٤١، ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير ٤/٤٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٠٣.

(٤) جامع البيان٢٤/٢٦٦، والكشف والبيان ١٠/١٦٥-١٦٦، والوسيط ٤/٤٥٨، والبسيط٢٣/٣٨٢، ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤، والطبراني في الأوسط٩/١٨٢ ح٩٤٨٢، والصغير ٢/٢٦٣ ح ١١٣٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٠٣.

(٥) جامع البيان٢٤/٢٦٩، والبسيط٢٣/٣٨٣، ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤.

(٦) ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤.

(٧) معالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤.

(٨) ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤.

القول التاسع: وشاهد في يوم القيامة، ومشهود فيه، فالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق كلهم، ومشهود: ما في ذلك اليوم من عجائبه[٢].

قال الرسعني:

وفي قوله: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ أقوال كثيرة، **أشهرها وأولاها**: ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "اليوم الموعود: يوم القيامة، والشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة". وهو مخرج في الترمذي[٣].

وإلى هذا القول ذهب علي عليه السلام، وابن عباسﷺ في بعض الروايات عنه، وهو قول أكثر المفسرين.

قال بعضهم: سمي يوم الجمعة شاهداً؛ لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، وسمي يوم عرفة مشهوداً؛ لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة.

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه قال: أخبرنا عبد الجبار بن أحمد بن محمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا أبو إسحاق المقرئ-يعني: الأستاذ الثعلبي صاحب التفسير- قال: أخبرنا الحسين بن محمد أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إبراهيم بن سهلويه، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي[٤]، حدثنا مالك بن ضيغم الراسبي[٥]، حدثنا أبو سهل المنذراني، عن خباب، عن رجل قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت: أخبرني عن شاهد

---

(١) زاد المسير ٤/٤٢٤.

(٢) الكشاف ٤/٧٣٠.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة البروج، ح٣٣٣٩، وقال: "هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعَّف في الحديث، ضعفه يحيى بن معين من قبل حفظه". والطبري ٢٤/٢٦٥.

(٤) هو: أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد الدورقي النكري البغدادي، أبو عبد الله، ولد سنة ثمان وستين ومائة، وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ١/٩، والتقريب ص٧٧.

(٥) هو: مالك بن ضيغم بن مالك الراسبي، روى عن أبيه، روى عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي. انظر: الجرح والتعديل ٨/٢١١.

ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فيوم لجمعة، وأما المشهود فيوم عرفة.

فجُزتُه إلى آخر يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود يوم النحر.

فجُزتُهما إلى غلام كأنّ وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فمحمد ﷺ، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [١]، وقال عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾ [٢].

فسألت عن الأول فقالوا: ابن عباس رضي الله عنه، وسألتُ عن الثاني فقالوا: ابن عمر رضي الله عنه، وسألت عن الثالث: فقالوا: الحسن بن علي عليهم السلام.

قلتُ: وهذا القول المروي عن الحسن بن علي رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنه.

وروى الوالبي عنه: أن الشاهد: هو الله تعالى،والمشهود: يوم القيامة.

وقال سعيد بن جبير: الشاهد: هو الله تعالى، والمشهود: بنو آدم.

وقال الحسين بن الفضل: الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: جميع الأمم. ودليله قوله: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [٣].

وقال الترمذي: الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم.

وقيل: الحجر الأسود والحجيج.

وقال صاحب الكشاف: وشاهدٍ في ذلك اليوم – يعني: يوم القيامة–، ومشهودٍ فيه، والمراد بالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق كلهم، وبالمشهود: ما في ذلك اليوم من

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٤٥.

(٢) سورة هود آية: ١٠٣.

(٣) سورة البقرة آية: ١٤٣.

عجائبه[١].

وقيل: غير ذلك، والله تعالى أعلم[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة. وعلى هذا سمي يوم الجمعة شاهداً؛ لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، وكذلك كل يوم، ويوم عرفة يوم مشهود؛ لأنه يشهد الناس فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة[٣].

وممن قال به:

علي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وابن عباس، وابن الزبيرﷺ، والحسن، وقتادة، وابن زيد[٤].

واستدلوا : بما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "اليوم الموعود: يوم القيامة، والشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة".

ومن أقوالهم:

قال الواحدي: الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة[٥].

القول الثاني: الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود يوم النحر.

وممن روي عنه:ابن عمرﷺ[٦].

---

(١) الكشاف٤/٧٣٠.

(٢) رموز الكنوز٨/٥٦٢-٥٦٥.

(٣) البسيط ٢٣/٣٨١،

(٤) جامع البيان٢٤/٢٦٤، وبحر العوم ٣/٥٤١، وتفسير ابن أبي زمنين ٥/١١٤، والنكت والعيون ٦/٢٤١، والبسيط٢٣/٣٨٠، ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، والمحرر الوجيز ٥/٤٦٠، وزاد المسير ٤/٤٢٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٨٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٠٣.

(٥) البسيط٢٣/٣٨٠.

(٦) النكت والعيون ٦/٢٤١، ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير ٤/٤٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن

القول الثالث: الشاهد محمد ﷺ ، والمشهود يوم القيامة.

وممن قال به:

رواه يوسف بن مهران عن ابن عباسرضي الله عنه، والحسن بن علي عليهم السلام، ومحمد بن علي[١].

واستدلوا بما يلي :

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾[٢].

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾[٣].

القول الرابع: الشاهد هو الله تعالى، والمشهود يوم القيامة.

وممن روي عنه: الوالبي عن ابن عباسرضي الله عنه[٤].

القول الخامس: الشاهد هو الله تعالى، والمشهود بنو آدم.

وممن قال به: سعيد بن جبير[٥].

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾[٦].

القول السادس: الشاهد هذه الأمة، والمشهود جميع الأمم.

وممن قال به: الحسين بن الفضل[١].

كثير١٤/٣٠٣.

(١) جامع البيان٢٤/٢٦٦، والكشف والبيان ١٠/١٦٥-١٦٦، والوسيط ٤/٤٥٨، والبسيط٢٣/٣٨٢، ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤، والطبراني في الأوسط٩/١٨٢ ح٩٤٨٢، والصغير ٢/٢٦٣ ح ١١٣٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٠٣.

(٢) سورة الأحزاب آية: ٤٥.

(٣) سورة هود آية: ١٠٣.

(٤) جامع البيان٢٤/٢٦٩، والبسيط٢٣/٣٨٣، ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤.

(٥) ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤.

(٦) سورة النساء آية: ٧٩.

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [٢].

القول السابع: الشاهد الحفظة، والمشهود: بنو آدم.

وممن قال به: الترمذي[٣]، وحكي عن عكرمة نحوه[٤].

القول الثامن: الشاهد الحجر الأسود، والمشهود: الحجيج.

وممن ذكره: ابن الجوزي[٥].

القول التاسع: وشاهد في يوم القيامة، ومشهود فيه، فالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق كلهم، ومشهود: ما في ذلك اليوم من عجائبه.

وممن ذكره: الزمخشري[٦].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- الشاهد: يوم التروية، والمشهود يوم عرفة.

٢- الشاهد أعضاء بني آدم، والمشهود ابن آدم.

ولمزيد من الأقوال، ذكر الواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والرازي أقوالاً كثيرة في المراد بالشاهد والمشهود[٧].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ . لم يصرح هنا من الشاهد وما المشهود، وقد

---

(١) معالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤.

(٢) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٣) هو: محمد بن علي الترمذي، وليس هو صاحب الجامع.

(٤) معالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤.

(٥) زاد المسير٤/٤٢٤.

(٦) الكشاف٤/٧٣٠.

(٧) النكت والعيون ٦/٢٤١، والبسيط٢٣/٣٨١-٣٨٣، ومعالم التنزيل٤/٥٨٦، وزاد المسير٤/٤٢٤.

ذكر الشاهد في القرآن بمعنى الحاضر، كقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [١].

وذكر المشهود بمعنى المشاهد باسم المفعول، كقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [٢].

فالشاهد والمشهود قد يكونان من المشاهدة، وذكر الشاهد من الشهادة، والمشهود من المشهود به أو عليه.

وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطراباً عظيماً، ويتلخص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولاً، يقابلها في المشهود اثنان وثلاثون قولاً.

قال أبو حيان: والذي يظهر والله تعالى أعلم: أنه من باب الشهادة؛ لأن ذكر اليوم الموعود وهو يكفي عن اليوم المشهود، بل إنه يحتاج إلى من يشهد فيه وتقام الشهادة على ما سيعرض فيه لإقامة الحجة على الخلق لا لإثبات الحق.

بينما توقف ابن جرير ولم يرجح، قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شَهِد، ومشهود شُهِد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنيّ مما يستحق أن يقال له: "شاهد ومشهود" ومثله القرطبي وابن كثير.

وقال ابن عثيمين: أن علماء التفسير ذكروا في الشاهد والمشهود عدة أقوال يجمعها أن الله أقسم بكل شاهد وبكل مشهود، والشهود كثيرون منهم محمد رسول الله ﷺ شهيداً علينا كما قال الله تعالى: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [٣] ومنهم هذه الأمة شهداء على الناس، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ

---

(١) سورة البقرة آية: ١٨٥.

(٢) سورة هود آية: ١٠٣.

(٣) سورة النساء آية: ٤١.

﴾[١]. وأعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من خير وشر كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٢]، ومنهم الملائكة يشهدون يوم القيامة، فكل من شهد بحق فهو داخل في قوله﴿ وَشَاهِدٍ ﴾ وأما ﴿ وَمَشْهُودٍ ﴾ فهو يوم القيامة وما يعرض فيه من الأهوال العظيمة كما قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾[٣]. فأقسم الله بكل شاهد وبكل مشهود[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الآية تحتمل جميع ما ذكره العلماء من أقوال، وما ورد من أدلة بعضهم، لا يخصص هذه الآية.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٥].

---

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) سورة النور آية: ٢٤.

(٣) سورة هود آية: ١٠٣.

(٤) جامع البيان٢٤/٢٧٠، والجامع لأحكام القرآن١٩/٢٨٣، والتسهيل٤/١٨٩، والبحر المحيط ٨/٤٤٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٠٣، وأضواء البيان٨/٤٧٧-٤٧٨، وتفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين ص١٢٥.

(٥) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ﴾ [١]

٢٨٨- مسألة: بماذا أقسم الله في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أقسم بالفجر، وهو انفجار الظُّلمة عن الصُّبح[٢].

القول الثاني: أقسم بصلاة الفجر[٣].

قال الرسعني:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ﴾ قال ابن فارس: الفجر: انفجارُ الظُّلمة عن الصبح، وانفجر الماء: تفتَّح[٤].

والظاهر أن القسم به، كما أقسم بالصبح في قوله: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [٥].

وقال عطية: فيه إضمار، تقديره: وصلاة الفجر.

والأول أصح[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أقسم بالفجر، وهو انفجار الظُّلمة عن الصُّبح[١].

---

(١) سورة الفجر آية: ١.

(٢) جامع البيان٢٤/٣٤٥، وبحر العلوم٣/٥٥٤، والنكت والعيون٦/٢٦٤، ومعالم التنزيل٤/٦٠٧، والكشاف٤/٧٤٩، والمحرر الوجيز٥/٤٧٦، وزاد المسير٤/٤٣٧، ومفاتيح الغيب٣١/١٤٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٣٨، والتسهيل٤/١٩٦، ولباب التأويل٧/٢٤٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٣٧، وفتح القدير٥/٤٣٢.

(٣) جامع البيان٢٤/٣٤٤، والكشف والبيان١٠/١٩١، ومعالم التنزيل٤/٦٠٧، وزاد المسير ٤/٤٣٧، ولباب التأويل٧/٢٤٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٣٧، والدر المنثور٨/٤٩٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤/٤٧٥.

(٥) سورة المدثر آية: ٣٤.

(٦) رموز الكنوز٨/٦٠٨.

وممن قال به:

١- علي، وابن عباس، وابن الزبير رضي الله عنهم، ومجاهد، وعكرمة، والسدي[٢].

٢- الطبري، والماوردي، والقرطبي، وابن جزي الكلبي، وابن عثيمين[٣].

واستدلوا بما يلي :

١- أنه أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ .

٢- عن عبد الله بن الزبير، أنه قال: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ﴾ . قال: الفجر قسمٌ أقسم الله به[٤].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: هذا قسمٌ، أقسم ربُّنا جل وعزَّ بالفجر، وهو فجر الصُّبح[٥].

ب- قال ابن جزي الكلبي: أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بالصبح، وقيل أراد صلاة الفجر، وقيل أراد النهار كله، والأول أظهر وأشهر[٦].

القول الثاني: أقسم بصلاة الفجر[٧].

وممن قال به: عطية العوفي، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه[١].

---

(١) بحر العلوم٣/٥٥٤، والكشاف٤/٧٤٩، والمحرر الوجيز٥/٤٧٦، ومفاتيح الغيب٣١/١٤٧، وفتح القدير٥/٤٣٢.

(٢) جامع البيان ٢٤/٣٤٥، ومعالم التنزيل٤/٦٠٧، وزاد المسير٤/٤٣٧، ولباب التأويل٧/٢٤٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٣٧.

(٣) جامع البيان٢٤/٣٤٤، والنكت والعيون٦/٢٦٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٣٨، والتسهيل٤/١٩٦، وتفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين ص.١٩١.

(٤) أخرجه الطبري٢٤/٣٤٥.

(٥) جامع البيان ٢٤/٣٤٤.

(٦) التسهيل٤/١٩٦.

(٧) بحر العلوم٣/٥٥٤، والكشاف٤/٧٤٩، والمحرر الوجيز٥/٤٧٦، وزاد المسير٤/٤٣٧، ومفاتيح الغيب٣١/١٤٧، وفتح القدير٥/٤٣٢.

واستدلوا: بقوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [٢].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ اختلف في المراد بالقسم بالفجر هنا، فقيل: انفجار النهار من ظلمة الليل. وقيل: صلاة الفجر.

وكلا القولين له شاهد من القرآن. أما انفجار النهار، فكما في قوله تعالى﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [٣].

وأما صلاة الفجر فكما في قوله : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ، ولكن في السياق ما يقرب القول الأول، إذ هو في الأيام والليالي: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ ، وكلها آيات زمنية أنسب لها انفجار النهار.

وذكر المفسرون اختلافهم في أي الفجر عنى هنا، فقيل بالعموم في كل يوم، وقيل: بالخصوص [٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه أقسم بالفجر، وهو انفجار الظُّلمة عن الصُّبح، لكونه أقرب للسياق، وله شاهد من القرآن، وهو ترجيح المفسرين، والرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك [٥].

---

(١) جامع البيان٢٤/٣٤٤، والكشف والبيان١٠/١٩١، ومعالم التنزيل٤/٦٠٧، وزاد المسير ٤/٤٣٧، ولباب التأويل٧/٢٤٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٣٧، والدر المنثور٨/٤٩٨.

(٢) سورة الإسراء آية: ٧٨.

(٣) سورة التكوير آية: ١٨.

(٤) مفاتيح الغيب٣١/١٤٧، وأضواء البيان٨/٥٢١.

(٥) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[١].

٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٣١٢/١.

(١) جامع البيان ٢٥٩/١٦، والمحرر الوجيز ١٨٠/١، ومفاتيح الغيب ١٥٤/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٣، ومجموع الفتاوى ١٤/٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٩٩/١.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [١]

٢٨٩- مسألة: ما معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يسري ذاهباً مدبراً[٢].

القول الثاني: يسري مقبلاً[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ والمعنى: إذا يسري ذاهباً مدبراً، كقوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [٤]، وقوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [٥].

وقال قتادة: إذا يسري مقبلاً.

والأول أصح، وعليه جمهور المفسرين، وهو اختيار الزجاج[٦].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: يسري ذاهباً مدبراً[٧].

وممن قال به: الزجاج، وابن أبي زمنين، والشوكاني [٨].

واستدلوا بما يلي :

---

(١) سورة الفجر آية:٤.

(٢) معاني الزجاج ٣٢١/٥، وتفسير ابن أبي زمنين١٢٦/٥، وفتح القدير٤٣٤/٥.

(٣) تفسير مقاتل٤٨١/٣، والكشف والبيان ١٩٤/١٠، ولباب التأويل٢٤١/٧، وفتح القدير٤٣٤/٥.

(٤) سورة المدثر آية: ٣٣.

(٥) سورة التكوير آية: ١٧.

(٦) رموز الكنوز ٦١٠/٨-٦١١.

(٧) لباب التأويل ٢٤١/٧، وفتح القدير٤٣٤/٥.

(٨) معاني الزجاج ٣٢١/٥، وتفسير ابن أبي زمنين١٢٦/٥، وفتح القدير٤٣٤/٥.

١- أنه كقوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾ .

٢- وقوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾.

ومن أقوالهم:

قال ابن جزي الكلبي: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ أي: إذا يذهب فهو كقوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾ . وقيل: أراد يسرى فيه فهو على هذا كقولهم: ليلة قائم، والمراد على هذا ليلة جمع؛ لأنها التي يسرى فيها. والأول أشهر وأظهر[١].

القول الثاني: يسري مقبلاً.

وممن قال به: قتادة، ومقاتل، وأبو العالية[٢].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- قال النخعي: أي استوى[٣].

٢- وقيل معنى يسر: يسار فيه كما يقال: ليل نائم ونهار صائم، كما في قول الشاعر:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطى بنائم[٤]

وهذا قول أكثر أهل المعاني وبهذا قال الأخفش والقتيبي وغيرهما من أهل المعاني[٥].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ ، اتفق المفسرون على المعنى: وهو سريان الليل، أي: إذا يمضى. وهذا ما يشهد له آيات التنزيل في مواضع من القرآن. وقيل: معنى يسر يسار

---

(١) التسهيل ١٩٦/٤.

(٢) تفسير مقاتل٤٨١/٣، والكشف والبيان ١٩٤/١٠، ولباب التأويل٢٤١/٧، وفتح القدير٤٣٤/٥.

(٣) فتح القدير٤٣٤/٥.

(٤) الجمل في النحو٧٣/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن٤٢/٢٠، وفتح القدير٤٣٤/٥.

فيه. وقيل: جاء وأقبل.

قال الألوسي: والظاهر أنه مجاز مرسل أو استعارة ووجه الشبه كالنهار[١].

الراجح: : يسري ذاهباً مدبراً وهو ما يشهد له التنزيل، وقول المفسرون، وترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٢].

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن٢٠/٤٢، وفتح القدير٥/٤٣٤، وروح المعاني٣٠/١٢١، وأضواء البيان ٨/٥٢٢.

(٢) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ١/٦٢١، ٩/٦٧٨، والمحرر الوجيز ٢/٢٦٦، ومجموع الفتاوى ٣/٤٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٢/١٦٧، وأضواء البيان ٧/٢٦٦، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٣٧.

(٣) جامع البيان ١٩/٥٠٧، ومعالم التنزيل١/٣٥، والمحرر الوجيز ٢/٤٥٧، ومفاتيح الغيب١٠/٣٤، والتسهيل ١/٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٣١٢.

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ [١]

٢٩٠- مسألة: بم عني بالإنسان في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: اسم جنس[٢].

القول الثاني: الحارث بن عامر بن نوفل[٣].

القول الثالث: آدم عليه السلام[٤].

القول الرابع: أبو الأشد الجمحي[٥].

القول الخامس: الوليد بن المغيرة[٦].

قال الرسعني:

قوله: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ جواب القسم، وهو اسم جنس، عند ابن عباس رضي الله عنه وعامة المفسرين.

وقال مقاتل: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه أذنب ذنباً، فاستفتى رسول الله ﷺ، فأمره أن يُكفّر فقال: لقد ذهب مالي في النفقات والكفارات منذ دخلت في دين محمد.

وقال ابن زيد: آدم عليه السلام.

---

(١) سورة البلد آية: ٤.

(٢) المحرر الوجيز٥/٤٨٤، وزاد المسير ٤/٤٤٧، والتسهيل٤/٢٠٠، وفتح القدير٥/٤٤٣، وروح المعاني٣٠/١٣٥.

(٣) تفسير مقاتل ٣/٤٨٥، والمحرر الوجيز٥/٤٨٤.

(٤) لباب التأويل٧/٢٤٨، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٣٤٢، وروح المعاني٣٠/١٣٥.

(٥) المحرر الوجيز٥/٤٨٤، وزاد المسير٤/٤٤٧، ولباب التأويل٧/٢٤٨.

(٦) الكشف والبيان١٠/٢٠٧، وزاد المسير ٤/٤٤٧.

وقال الحسن: يعني: أبا الأشدين، وهو رجل من بني جمح، كان كثير المال، شديد القوة، عظيم الخَلق، يظن لذلك أن لن يقدر عليه الله ولا يُعاقبه.

وقيل: الوليد بن المغيرة.

والصحيح: الأول، وأنه اسم جنس.

ولا منافاة بين ذلك وبين النزول على ما نُقل من السبب[١].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: اسم جنس.

وممن قال به:

ابن عباسﷺ، وابن عطية، وابن جزي الكلبي، وأبو حيان، والشوكاني، والألوسي، وابن عثيمين، وعامة المفسرين[٢].

ومن أقوالهم

أ- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ أي: يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم، وأصل الكبد من قولك كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده، وقيل: معنى في كبد واقفاً منتصب القامة، وهذا ضعيف. والإنسان على هذين القولين جنس، وقيل: الإنسان آدم عليه السلام، ومعنى في كبد على هذا في السماء. وهذا ضعيف والأول هو الصحيح[٣].

ب- قال أبو حيان: والجمهور: على أن الإنسان اسم جنس[٤].

---

(١) رموز الكنوز٨/٦٣٢.

(٢) المحرر الوجيز٥/٤٨٤، وزاد المسير ٤/٤٤٧، والتسهيل٤/٢٠٠، وفتح القدير٥/٤٤٣، وروح المعاني٣٠/١٣٥، وتفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين ص٢١٦.

(٣) التسهيل٤/٢٠٠.

(٤) البحر المحيط٨/٤٧٠.

القول الثاني: الحارث بن عامر بن نوفل[١].

وممن قال به: مقاتل[٢].

القول الثالث: آدم عليه السلام[٣].

وممن قال به:

ابن زيد، والثعلبي، والقرطبي[٤].

القول الرابع: أبو الأشد الجمحي[٥].

وممن قال به: الحسن[٦].

القول الخامس: الوليد بن المغيرة.

وممن حكاه: الثعلبي[٧].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- ابن آدم ، قاله ابن عادل[٨].

حاصل الدراسة:

المراد بالإنسان الجنس، وتعريفه تعريف الجنس فيستغرق أفراد الجنس، ولكنه استغراق عُرفي مراد به الناسُ المشركون؛ لأنهم الغالب على الناس المتحدث عنهم وذلك الغالب في إطلاق لفظ الإنسان في القرآن النازل بمكة كقوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ

---

(١) المحرر الوجيز٥/٤٨٤.

(٢) تفسير مقاتل ٣/٤٨٥.

(٣) لباب التأويل٧/٢٤٨، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٣٤٢، وروح المعاني٣٠/١٣٥.

(٤) زاد المسير ٤/٤٤٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٦٢، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٣٤٢.

(٥) المحرر الوجيز٥/٤٨٤، ولباب التأويل٧/٢٤٨.

(٦) زاد المسير ٤/٤٤٧.

(٧) الكشف والبيان١٠/٢٠٧، وزاد المسير ٤/٤٤٧.

(٨) الكشف والبيان١٠/٢٠٧، والمحرر الوجيز٥/٤٨٤.

ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [١] ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ [٢] ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴾ [٣] ونحو ذلك ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ [٤] وقيل: أريد إنسان معين، فقيل عتبة بن ربيعة أو أبو حذيفة بن الغيرة عن ابن عباسﷺ ، وقيل : أمية بن خَلَف عن مقاتل والكلبي ، وقيل : أبيّ بن خلف عن الكلبي أيضاً ، وإنما هؤلاء المسمَّوْن أعلام التضليل. قال ابن عطية: ومن حيث كان هذا غالباً على الكفّار، جاء التوبيخ في هذه الآية باسم الجنس؛ إذ يقع (كذا) بعض المؤمنين في شيء من هذا المنزع[٥].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الظاهر أن المراد جنس الإنسان مطلقاً، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[٦].

---

(١) سورة العلق آية: ٦-٧.

(٢) سورة القيامة آية: ٣.

(٣) سورة البلد آية: ٤-٥.

(٤) سورة الفجر آية: ٢٣.

(٥) التحرير والتنوير ٣٠/٣٢٦.

(٦) الرسالة للشافعي ص٣٤١، وجامع البيان ٦٢١/١، ٦٧٨/٩، والمحرر الوجيز ٢٦٦/٢، ومجموع الفتاوى ٤٣/٣، ٢٠٧-١٣/ ٢٥٢، والتسهيل٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٦٧/٢، وأضواء البيان ٢٦٦/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٣٧/١.

قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [١]

٢٩١- مسألة: ما المراد بالنفس في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يريد: نفس آدم[٢].

القول الثاني: يريد: جمع ما خلق من الجن والإنس[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ قال الحسن: يريد: نفس آدم.

وقال عطاء: يريد: جميع ما خلق من الجن والإنس. **وهو الصحيح**؛ لدلالة ما بعده من التفصيل بقوله: "قد أفلح"، "وقد خاب"عليه[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: يريد: نفس آدم.

وممن قال به:

١-مقاتل، والحسن[٥].

القول الثاني: يريد: جميع النفوس.

وممن قال به:

عطاء، وابن جزي الكلبي، والخازن، وأبو حيان، وابن عثيمين[١].

---

(١) سورة الشمس آية: ٧.

(٢) تفسير مقاتل ٤٨٨/٣، والنكت والعيون٢٨٣/٦، وزاد المسير ٤٥١/٤.

(٣) النكت والعيون ٢٨٣/٦، والوسيط٤٩٥/٤، ومعالم التنزيل ٦٢٣/٤، وزاد المسير٤٥١/٤، والتسهيل٢٠٢/٤، ولباب التأويل٢٥١/٧، والبحر المحيط٤٧/٨.

(٤) رموز الكنوز٦٤٥/٨.

(٥) تفسير مقاتل ٤٨٨/٣، والنكت والعيون٢٨٣/٦، وزاد المسير ٤٥١/٤.

واستدلوا بما يلي:

١- قوله تعالى بعدها: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ ، والآيات التي تليها.

٢- قول عطاء: جميع ما خلق من الجن والإنس[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن عطية: النفس التي أقسم بها اسم الجنس، وتسويتها إكمال عقلها ونظرها[٣].

ب- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها، فإن قيل لم نكر النفس؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله:﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [٤]والآخر أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار[٥].

حاصل الدراسة:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ : اسم جنس، ويدل على ذلك ما بعده من قوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ وما بعده. وتسويتها: إكمال عقلها ونظرها، ولذلك ارتبط به ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ ؛ لأن الفاء تقتضي الترتيب على ما قبلها من التسوية التي هي لا تكون إلا بالعقل.

وقال الزمخشري: في تنكير النفس وجه: أنه يريد نفساً خاصة من النفوس، وهي نفس آدم، وكأنه قال: وواحدة من النفوس. واستبعد هذا القول أبو حيان للأوصاف

---

(١) النكت والعيون ٦/٢٨٣، والوسيط٤/٤٩٥، ومعالم التنزيل ٤/٦٢٣، وزاد المسير٤/٤٥١، والتسهيل٤/٢٠٢، ولباب التأويل٧/٢٥١، والبحر المحيط٨/٤٧، وتفسر القرآن الكريم لابن عثيمين (جزء عم) ص٢٢٦.

(٢) النكت والعيون ٦/٢٨٣، والوسيط٤/٤٩٥، ومعالم التنزيل ٤/٦٢٣، وزاد المسير٤/٤٥١، والتسهيل٤/٢٠٢، ولباب التأويل٧/٢٥١.

(٣) المحرر الوجيز٥/٤٨٨.

(٤) سورة التكوير آية: ١٤.

(٥) التسهيل٤/٢٠٢.

المذكورة بعدها، فلا تكون إلا للجنس. ألا ترى إلى قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [١].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المراد كل نفس، لدلالة الآيات بعدها. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له[٢].

---

(١) الكشاف ٧٦٣/٤، والبحر المحيط٤٧٥/٨، واللباب في علوم الكتاب٣٦١/٢٠.

(٢) جامع البيان٥٠/٣، والمحرر الوجيز ١١/٣، ومفاتيح الغيب ١١٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٩/٩، ومجموع الفتاوى ٩٤/١٥، والتسهيل ٩/١، وفتح القدير ٤٩٧/٢، وروح المعاني ١٩٩/٧، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٢٥/١.

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ [١]

٢٩٢- مسألة: ما المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه الله عز وجل[٢].

القول الثاني: أنه الذي عقرها[٣].

القول الثالث: أنه نبي الله صالح[٤].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ أي: عاقبتَها وتبعتَها.

قرأ نافع وابن عامر:"فلا يخاف" وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون: بالواو، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والكوفة والبصرة.

والمعنى: لا يخاف الله عقبى الدمدمة أو التسوية أو الفعلة.

---

(١) سورة الشمس آية: ١٤-١٥.

(٢) جامع البيان٢٤/٤٥١-٤٥٢، والكشف والبيان ١٠/٢١٥، والنكت والعيون٦/٢٨٥، ومعالم التنزيل٤/٦٢٦، والمحرر الوجيز٥/٤٨٩، وزاد المسير٤/٤٥٢، والتسهيل٤/٢٠٢، ولباب التأويل٧/٢٥٣، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٣٦٧، وروح المعاني٣٠/١٤٦.

(٣) تفسير مقاتل٣/٤٨٩، وجامع البيان ٢٤/٤٥٢، ومعاني القرآن للزجاج٥/٣٣٣، والكشف والبيان١٠/٢١٥، والنكت والعيون٦/٢٨٥، والبسيط٢٤/٧١، ومعالم التنزيل٤/٦٢٦، والمحرر الوجيز٥/٤٨٩، وزاد المسير ٤/٤٥٢، والجامع لأحكام القرآن٢٠/٨٠، ولباب التأويل٧/٢٥٣، والبحر المحيط٨/٤٧٦، والدر المصون ١١/٢٥، وتفسير القرآن العظيم١٤/٣٧٠، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٣٦٧، والدر المنثور٨/٥٣١، وفتح القدير٥/٤٥٠، وروح المعاني٣٠/١٤٦.

(٤) النكت والعيون٦/٢٨٥، والمحرر الوجيز٥/٤٨٩، والتسهيل٤/٢٠٢، ولباب التأويل٧/٢٥٣، والبحر المحيط ٨/٤٧٦، والدر المصون١١/٢٥، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٣٦٧، وروح المعاني٣٠/١٤٦.

قال ابن عباسﷺ والحسن: لا يخاف الله من أحد تَبعَةً في إهلاكهم.

فعلى هذا القول: الواو في "ولا يخاف" حالية، والحال من الضمير المرفوع في "فسواها" أو من "فدمدم".

وقال الضحاك والسدي وابن السائب: لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع.

فعلى هذا الحال: من الضمير المرفوع في "فعقروها" أي: عقرها غير خائف، ونسب الفعل إلى الجميع؛ لرضاهم به وتماليهم عليه، أو يكون التقدير: انبعث أشقاها وهو لا يخاف.

وقال قوم: المعنى: ولا يخاف رسول الله ﷺ صالح عقباها.

فعلى هذا الحال منه. ويجوز أن تكون الواو مقحمة.

ومن قرأ بالفاء كان التقدير – على قول ابن عباسﷺ-: فسوّاها الله فلا يخاف عقباها.

وعلى قول الضحاك: فكذبوه فعقروها فلا يخاف العاقر عقباها.

وعلى القول الثالث: يكون قد تبع قول الرسول عدم خوفه من عقبى مقالته أو نذارته.

والوجه الأول: **هو الوجه الصحيح**. والله تعالى أعلم[1].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه الله عز وجل، فالمعنى: لا يخاف الله من أحدٍ تبعةً في إهلاكهم، ولا يخشى عُقبى ما صنع.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، ومجاهد، والحسن، وقتادة[1].

([1]) رموز الكنوز٨/٦٥١-٦٥٢.

٢- ابن أبي زمنين، والسمين الحلبي، وابن كثير، وابن جزي الكلبي، والشوكاني، وابن عثيمين[٢].

واستدلوا: بقول ابن عباسﷺ والحسن: لا يخاف الله من أحد تَبعَةً في إهلاكهم[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال أبو حيان: والضمير في يخاف الظاهر عوده إلى أقرب مذكور وهو ربهم، أي: لأدرك عليه تعالى في فعله بهم لا يسأل عما يفعل، وفيه ذم لهم وتعقبه لآثارهم[٤].

ب- قال السمين الحلبي: وضمير الفاعل في "يخاف" يحتمل عودُه على الرَّبِّ، وهو الأظهر، لكونه أقرب مذكور[٥].

ج- قال ابن كثير: قال ابن عباسﷺ: لا يخاف الله من أحد تبعة، وهذا القول أولى لدلالة السياق عليه[٦].

القول الثاني: أنه الذي عقرها، فالمعنى: أنه لم يخاف عُقبى ما صنع. فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إذ انبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباه.

وممن قال به:

الضحاك، والسدي، وابن السائب، مقاتل، والزجاج، وأبو علي[٧].

---

(١) جامع البيان٢٤/٤٥١-٤٥٢، والكشف والبيان ١٠/٢١٥، والنكت والعيون٦/٢٨٥، ومعالم التنزيل٤/٦٢٦، والمحرر الوجيز٥/٤٨٩، وزاد المسير٤/٤٥٢، والتسهيل٤/٢٠٢، ولباب التأويل٧/٢٥٣، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٣٦٧، وروح المعاني٣٠/١٤٦.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين٥/١٣٨، والتسهيل٤/٢٠٢، والدر المصون١١/٢٥، وفتح القدير٥/٤٥٠، وتفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين ص٢٢٩..

(٣) أخرجه الطبري٢٤/٤٥١، وابن أبي حاتم ١٠/٣٤٣٨.

(٤) البحر المحيط٨/٤٧٦.

(٥) الدر المصون١١/٢٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٣٧٠.

(٧) تفسير مقاتل٣/٤٨٩، وجامع البيان ٢٤/٤٥٢، ومعاني القرآن للزجاج٥/٣٣٣، والكشف

واستدلوا: بقول الضحاك والسدي وابن السائب: لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع[١].

القول الثالث: أنه نبي الله صالح، أي: ولا يخاف عُقبى هذه العقوبة لإنذاره إياهم[٢].

وممن قال به: الزجاج[٣].

حاصل الدراسة:

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ﴾ اختلف المفسرون في المشار إليه في الآية: فقالوا الضمير في يخاف يعود على أقرب مذكور، وهو ربهم، أي: ولا يخاف الله عقبى ما صنع بهم من الهلاك، ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم. وفيه ذم لهم واحتقار وتعقبه لآثارهم.

وقيل: الضمير في يخاف عائد على ﴿ أَشْقَىٰهَا ﴾ ، أي: انبعث لعقرها، وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه، والعقبى: خاتمة الشيء وما يجيء من الأمور بعقبه، وقد استبعد هذا القول أبو حيان لطول الفصل بين الحال وصاحبها.

وقيل: ولا يخاف صالح عقبى عقرها؛ لأنه قد أنذرهم وحذرهم، ونجاه الله تعالى حين أهلكهم. وقد استبعد هذا القول ابن جزي الكلبي[٤].

والبيان١٠/٢١٥، والنكت والعيون٦/٢٨٥، والبسيط٢٤/٧١، ومعالم التنزيل٤/٦٢٦، والمحرر الوجيز٥/٤٨٩، وزاد المسير٤/٤٥٢، والجامع لأحكام القرآن٢٠/٨٠، ولباب التأويل٧/٢٥٣، والبحر المحيط٨/٤٧٦، والدر المصون١١/٢٥، وتفسير القرآن العظيم١٤/٣٧٠، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٣٦٧، والدر المنثور٨/٥٣١، وفتح القدير٥/٤٥٠، وروح المعاني٣٠/١٤٦.

(١) أخرجه الطبري٢٤/٤٥٢-٤٥٣، وابن أبي حاتم ١٠/٣٤٣٨.

(٢) النكت والعيون٦/٢٨٥، والمحرر الوجيز٥/٤٨٩، والتسهيل٤/٢٠٢، ولباب التأويل٧/٢٥٣، والبحر المحيط ٨/٤٧٦، والدر المصون١١/٢٥، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٣٦٧، وروح المعاني٣٠/١٤٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج٥/٣٣٣، وزاد المسير٤/٤٥٢.

(٤) النكت والعيون٦/٢٨٥، والتسهيل٤/٢٠٢، والبحر المحيط٨/٤٧٦.

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن المشار إليه هو الله عز وجل، وترجيح الرسعني.

القاعدة: الأصل إعادة الضمير على أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[١].

(١) جامع البيان ٢٤٧/١٢، والإحكام لابن حزم ٤٣٥/٤، والمحرر الوجيز ٤٨٥/١، ومفاتيح الغيب ١٩/١٠، ومجموع الفتاوى ١١٢/١٥، والبحر المحيط ٦/٢، والتسهيل ٩٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٩/٤، وأضواء البيان ٣٩٤/٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢١/٢.

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [١]

٢٩٣- مسألة: ما المراد بالإنسان في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه اسم جنس.

قال الرسعني:

جواب القسم قوله: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ .

والصحيح: أنه اسم جنس[٢].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: اسم جنس[٣].

وممن قال به:

١- هذا معنى قول مقاتل[٤].

٢- الواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، وأبو السعود، والشوكاني[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال الواحدي: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ يعني آدم، وذريته[٦].

---

(١) سورة التين آية: ٤.

(٢) رموز الكنوز٨/٦٧٦.

(٣) المحرر الوجيز٥/٤٩٩، وزاد المسير٤/٤٦٤، والجامع لأحكام القرآن٢٠/١١٣، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/٤٠٨، وإرشاد العقل السليم ٩/١٧٥، وفتح القدير٥/٤٦٥، وروح المعاني٣٠/١٧٥.

(٤) البسيط٢/١٥٢.

(٥) المحرر الوجيز٥/٤٩٩، وزاد المسير٤/٤٦٤، والجامع لأحكام القرآن٢٠/١١٣، واللباب في علوم الكتاب٢٠ /٤٠٨، وإرشاد العقل السليم ٩/١٧٥، وفتح القدير٥/٤٦٥، وروح المعاني٣٠/١٧٥.

(٦) البسيط٢٤/١٥٢.

ب- قال ابن الجوزي: الصواب أنه اسم جنس، ولم يكن المراد منه إنسان باسمه، وهذا مذهب كثير من المفسرين[١].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنه كلدة بن أسيد، قاله ابن عباسﷺ[٢].

٢- الوليد بن المغيرة، قاله عطاء[٣].

٣- أبو جهل بن هشام[٤].

٤- عتبة، شيبة، حكاهما الماوردي[٥].

حاصل الدراسة:

أراد بالإنسان: الكافر، قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: كلدة بن أسيد، فعلى هذا نزلت في منكري البعث. وقيل: المراد بالإنسان آدم وذريته. فأراد الجنس، فهو شامل للمؤمن والكافر، لا مخصوص بالثاني واستدل عليه بصحة الاستثناء وإن الأصل فيه الاتصال[٦].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنه اسم جنس، وليس المراد إنسان باسمه. وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له[٧].

---

(١) زاد المسير ٤/٤٦٤.

(٢) زاد المسير ٤/٤٦٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١٣، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/٤٠٨.

(٣) زاد المسير ٤/٤٦٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١٣، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/٤٠٨.

(٤) زاد المسير ٤/٤٦٤.

(٥) زاد المسير ٤/٤٦٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١١٣، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/٤٠٨، وروح المعاني ٣٠/١٧٥.

(٧) جامع البيان ٣/٥٠، والمحرر الوجيز ٣/١١، ومفاتيح الغيب ٢٧/١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٩/٢٩، ومجموع الفتاوى ١٥/٩٤، والتسهيل ١/٩، وفتح القدير ٢/٤٩٧، وروح المعاني ٧/١٩٩، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/١٢٥.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [١]

٢٩٤- مسألة: متى تكون ليلة القدر؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول:أنها في زمن النبي ﷺ خاصة[٢].

القول الثاني: أنها باقية[٣].

قال الرسعني:

اختلفوا هل هي باقية أو كانت في زمن النبي ﷺ خاصة؟ على قولين:

والصحيح: أنها باقية[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنها في زمن النبي ﷺ خاصة، ثم رفعت[٥].

وممن حكي عنه: أبي حنيفة[٦].

القول الثاني: أنها باقية.

وممن قال به: أبو هريرة، وأبو ذر رضي الله عنهما، وجمهور المفسرين[٧].

واستدلوا بما يلي: ١-عن مرشد أو عن أبي مرشد قال: كنتُ جالساً مع أبي ذرّ عند

---

(١) سورة القدر آية: ١.

(٢) الكشف والبيان ٢٤٨/١٠، والتسهيل٢١٠/٤.

(٣) جامع البيان ٥٤٢/٢٤، والكشف والبيان ٢٤٨/١٠، وأحكام القرآن لابن العربي٤٢٨/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٠٩/١٤، واللباب في علوم الكتاب٤٢٧/٢٠، وروح المعاني١٩٥/٣٠.

(٤) رموز الكنوز٦٩٠/٨.

(٥) الكشف والبيان ٢٤٨/١٠، والتسهيل٢١٠/٤.

(٦) الكشف والبيان ٢٤٨/١٠.

(٧) جامع البيان ٥٤٢/٢٤، والكشف والبيان ٢٤٨/١٠، وأحكام القرآن لابن العربي٤٢٨/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٠٩/١٤، واللباب في علوم الكتاب٤٢٧/٢٠، وروح المعاني١٩٥/٣٠.

خُمرة الوسطى فسُئل عن ليلة القدر فقال: كنت أسأل الناس عنها رسول اللّه ﷺ قال: قلت: يا رسول اللّه ليلة القدر هل هي تكون على عهد الأنبياء -عليهم السلام-، فإذا مضوا رفعت؟ قال: "لا، بل هي إلى يوم القيامة"[١].

٢ عن عبد اللّه بن عيسى مولى معاوية قال: قلت لأبي هريرة زعموا أنّ ليلة القدر قد رفعتْ قال: كذب من قال ذلك، قال: قلت هي في كلّ شهر رمضان استقبله؟ قال: نعم[٢].

حاصل الدراسة:

اختلف العلماء والصحابة في وقتها، وأي ليلة هي، مع إجماعهم أنها من خصائص الأمة المحمدية، وأنها باقية بعد زمن النبي ﷺ ، في كل رمضان من كل سنة.

فلقد أعطيت أمةُ محمد من الفضل ما لم تعطه أمةٌ في طول عمرها، ومن أفضل ما أعطوا ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وهذا فضل لا يوازيه فضل ومنَّةٌ لا يقابلها شكر[٣].

قال مالك في الموطأ سمعت من أثق به يقول إن رسول الله أُري أعمار الأمم قبله، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألاّ يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر، وجعلها خيراً من ألف شهر[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن ليلة القدر باقية بعد زمن النبي ﷺ ، وهي من خصائص الأمة المحمدية، وهو ترجيح الرسعني.

---

(١) الكشف والبيان ٢٤٨/١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٠٩/١٤.أخرجه البيهقي في الكبرى، باب الدليل على أنها في كل رمضان، ح(٨٣٠٨).

(٢) مصنف عبد الرزاق ٢٦٦/٣، والكشف والبيان ٢٤٨/١٠.

(٣) جامع البيان ٥٤٢/٢٤، والكشف والبيان ٢٤٨/١٠، وأحكام القرآن لابن العربي٤٢٨/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٠٩/١٤، واللباب في علوم الكتاب٤٢٧/٢٠، وروح المعاني١٩٥/٣٠.

(٤) أخرجه مالك في موطئه في كتاب الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر، ح٦٩٨.

القاعدة: كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد[١].

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٣/١٣، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢١٤.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [١]

٢٩٥- مسألة: هل ليلة القدر مخصوصة بشهر رمضان؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: مخصوصة بشهر رمضان[٢].

القول الثاني: تكون في جميع السنة[٣].

قال الرسعني:

واختلفوا هل هي مخصوصة بشهر رمضان، أو تكون في جميع السنة؟ على قولين.

والصحيح: اختصاصُها بشهر رمضان[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: مخصوصة بشهر رمضان[٥].

وممن قال به:

الحسين، وأبو عمير، والجمهور من أهل العلم[٦].

واستدلوا بما يلي :

١- قوله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ [٧] وقوله تعالى: : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾.

---

(١) سورة القدر آية: ١.

(٢) الكشف والبيان ٢٤٨/١٠، وأحكام القرآن لابن العربي٤/٤٣٣، وزاد المسير٤/٤٧٠.

(٣) الكشف والبيان ٢٤٨/١٠، وأحكام القرآن لابن العربي٤/٤٣٣، وزاد المسير٤/٤٧٠.

(٤) رموز الكنوز٨/٦٩٠.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي٤/٤٣٣، وزاد المسير٤/٤٧٠.

(٦) الكشف والبيان ٢٤٨/١٠.

(٧) سورة البقرة آية: ١٨٥.

٢- عن ابن ربيعة بن كلثوم قال: قال رجل للحسين وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر أفي كل رمضان هي؟ قال: "نعم واللّه الذي لا إله إلاّ هو إنها لفي كلّ رمضان، وإنّها ليلة يفرق فيها كلّ أمر حكيم، فيها يقضى كلّ أجل وعمل، ورزق وخلق إلى مثلها"[١].

٣- وعن سعيد بن جبير عن أبي عمير أنه سئل عن ليلة القدر: أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم[٢].

القول الثاني: تكون في جميع السنة[٣].

وممن قال به:

١- إحدى الروايات عن ابن مسعودﷺ.

٢- أبو حنيفة، وابن الجوزي[٤].

واستدلوا بما يلي:

عن عبد اللّه بن عيسى مولى معاوية قال: قلت لأبي هريرة زعموا أنّ ليلة القدر قد رفعتْ قال: كذب من قال ذلك، قال: قلت هي في كلّ شهر رمضان استقبله؟ قال: نعم[٥].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن مسعودﷺ: من يُقِم الحول كلّه يصبْها[٦].

ب- وروي عن ابن مسعود أيضاً أنه قال: إذا كانت السنة في ليلة كانت العام

---

(١) الكشف والبيان ١٠/٢٤٨.

(٢) الكشف والبيان ١٠/٢٤٨.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي٤/٤٣٣.

(٤) الكشف والبيان ١٠/٢٤٨، وزاد المسير٤/٤٧٠.

(٥) الكشف والبيان ١٠/٢٤٨.

(٦) الكشف والبيان ١٠/٢٤٨.

المقبل في ليلة أُخرى[١].

حاصل الدراسة:

قال ابن العربي: في الصحيح في ليلة القدر وترجيح سبل النظر الموصلة إلى الحق منها، وذلك أنا نقول إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ فأفاد هذا بمطلقه لو لم يكن كلام سواه أنها في العام كلّه لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ فأنبأنا أنه أنزله في ليلة من العام، فقلنا من يقم الحول يصب ليلة القدر ثم نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ فأفادنا ذلك أن تلك الليلة هي ليلة من شهر رمضان، ثم أخبر في الصحيح أنها في العشر الأواخر، وتواطأت روايات الصحابة على أنها في العشر الأواخر كما قال هو، واقتضت رؤياه أنها في العشر الأواخر، وخبأها عن التعيين ليكون ذلك أبرك على الأمة في القيام في طلبها شهراً أو أياماً فيحصل مع ليلة القدر ثوابُ غيرها، فهذه سبل النظر المجتمعة من القرآن والحديث أجمع فتبصَّروها لمماً واسلكوها أمماً إن شاء الله تعالى[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أنها مخصوصة بشهر رمضان، وهو ترجيح الجمهور، والرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٣].

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[٤].

---

(١) الكشف والبيان ٢٤٨/١٠.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي٤٣٣/٤.

(٣) جامع البيان ٥٠٧/١٩، ومعالم التنزيل٣٥/١، والمحرر الوجيز ٤٥٧/٢، ومفاتيح الغيب٣٤/١٠، والتسهيل ٩/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين٣١٢/١.

(٤) جامع البيان٤٤٩/١٦، وأحكام القرآن لابن العربي ١١٣/٣، والمحرر الوجيز ٢٤٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦٢/٢٠، ومجموع الفتاوى ٢٧/١٣، والبحر المحيط ١٢٨/١، والتسهيل ٩/١، والبرهان في علوم القرآن ١٥٦/٢، وفتح القدير ١٢/١، روح المعاني ٩٦/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١٩١/١.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (١)

٢٩٦- مسألة: هل الجزاء في الآية في الدنيا أو الآخرة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: أنه يلقى ذلك في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً؛ لأن الآخرة هي دار الجزاء(٢).

القول الثاني: أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا، وجزاء حسناته في الآخرة، حتى يصير إليها وليس عليه سيئة (٣)..

قال الرسعني:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ قال الماوردي: وفي ذلك قولان:

أحدهما: أنه يلقى ذلك في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً؛ لأن الآخرة هي دار الجزاء.

والثاني: أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا، وجزاء حسناته في الآخرة، حتى يصير إليها وليس عليه سيئة. قلت: والقول الأول **هو الأصح**، وهو أشبه بسياق السورة ودلالة اللفظ. والله تعالى أعلم(٤).

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: أنه يلقى ذلك في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً؛ لأن الآخرة هي دار

---

(١) سورة الزلزلة آية: ٧-٨.

(٢) مفاتيح الغيب٣٢/٥٨، والبحر المحيط٨/٤٩٨، وفتح القدير٥/٤٨٠، وروح المعاني٣٠/٢١٢، وأضواء البيان ٩/٥٨.

(٣) مفاتيح الغيب٣٢/٥٨، والبحر المحيط٨/٤٩٨، وفتح القدير٥/٤٨٠، وروح المعاني٣٠/٢١٢، وأضواء البيان ٩/٥٨.

(٤) رموز الكنوز٨/٧٠٥.

الجزاء.

وممن قال به: ابن عباسﷺ[١].

واستدلوا: بقول ابن عباسﷺ في قوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ : ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا، إلا آتاه الله إياه؛ فأما المؤمن فيُريه حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته، وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته[٢].

القول الثاني: أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا، وجزاء حسناته في الآخرة، حتى يصير إليها وليس عليه سيئة.

وممن قال به : أنسﷺ، ومحمد بن كعب القرظي[٣].

واستدلوا بما يلي:

١- عن أنسﷺ، قال: كان أبو بكر ﷺ يأكل مع النبيﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ . فرفع أبو بكر يده، وقال: يا رسول الله، إني أُجزى بما عملت من مثقال ذرة من شرٍّ؟ فقال:"يا أبا بكر، ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذرٍّ الشرِّ، ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى تُوفَّاه يوم القيامة". وتصديق ذلك من كتاب الله: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [٤][٥].

٢- قال محمد بن كعب في هذه الآية: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من كافر يرى ثوابه في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند اللّه خير، ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من

---

(١) جامع البيان٢٤/٥٦٣، والنكت والعيون٦/٣٢١.

(٢) أخرجه الطبري٢٤/٥٦٣، والدر المنثور٨/٥٩٥، وعزاه إلى ابن المنذر، والبيهقي في البعث.

(٣) جامع البيان٢٤/٥٦٣-٥٦٨، والنكت والعيون٦/٣٢١.

(٤) سورة الشورى آية: ٣٠.

(٥) أخرجه الطبري٢٤/٥٦٥.

الدنيا، وليس له عند اللّه شر[١].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ الظاهر أن (من) للعموم المسلم والكافر، مع أن الكافر لا يرى من عمل الخير شيئاً، لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [٢] وفي حق المسلم، قد لا يرى كل ما عمل من شر، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [٣]. وعلى هذا فدلالة السياق تدل أن الجزاء يكون في الآخرة.

ومنهم من جعل الرؤية أعم مما تكون في الدنيا وما تكون في الآخرة، فالكافر يرى جزاء خيره في الدنيا وجزاء شره في الآخرة، والمؤمن يرى جزاء شره في الدنيا وجزاء خيره في الآخرة[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن ذلك يكون في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً؛ لأن الآخرة هي دار الجزاء، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[٥].

---

(١) أخرجه الطبري٢٤/٥٦٣، والكشف والبيان١٠/٢٦٥، والدر المنثور٨/٥٩٥، وعزاه إلى ابن المنذر، والبيهقي في البعث.

(٢) سورة الفرقان آية: ٢٣.

(٣) سورة النساء آية: ٤.

(٤) مفاتيح الغيب٣٢/٥٨، والبحر المحيط٨/٤٩٨، وفتح القدير٥/٤٨٠، وروح المعاني٣٠/٢١٢، وأضواء البيان٩/٥٨.

(٥) جامع البيان ١٦/٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/١٨٠، ومفاتيح الغيب ٧/١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩١، ومجموع الفتاوى ٦/١٤، وقواعد الترجيح عند المفسرين ١/٢٩٩.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [١]

٢٩٧- مسألة: على ماذا يعود الضمير في قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ ؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: يعود الضمير للإنسان[٢].

القول الثاني: يعود الضمير لله عز وجل[٣].

قال الرسعني:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ يعني: الإنسان. وقيل: الله عز وجل.

﴿ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى كنود الإنسان ﴿ لَشَهِيدٌ ﴾ . والقولان عن ابن عباسﷺ.

فإن قلنا: تعود الكناية إلى الله – وهو قول أكثر المفسرين –؛ فهو تهديد.

وإن قلنا: تعود إلى الإنسان – وهو قول ابن كيسان، **وهو أجود في نظري**؛ لما فيه من اتحاد الضمائر وانتظامها في سمط واحد –، فشهادته على ذلك: ظهور أثره عليه، وعلمه من نفسه صحة ما نُسب إليه[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: يعود الضمير للإنسان[٥].

---

(١) سورة العاديات آية: ٧.

(٢) الكشف والبيان١٠/٢٧٢، والنكت والعيون٦/٣٢٦، ومعالم التنزيل٤/٦٧١، والجامع لأحكام القرآن٢٠/١٦٢، والبحر المحيط٨/٥٠٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤/٤٣٦، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٤٦٥، وفتح القدير٥/٤٨٣.

(٣) الكشف والبيان١٠/٢٧٢، والوسيط٤/٥٤٥، ومعالم التنزيل٤/٦٧١، وزاد المسير٤/٤٨١، والتسهيل٤/٢١٤، التسهيل٤/٢١٤، ولباب التأويل ٧/٢٠٨، وفتح القدير٥/٤٨٣.

(٤) رموز الكنوز٨/٧١٣-٧١٤.

(٥) النكت والعيون٦/٣٢٦، وزاد المسير٤/٤٨١، ولباب التأويل ٧/٢٠٨.

وممن قال به:

١- ابن عباسﷺ، وابن كيسان، ومحمد بن كعب القرظي، والحسن، وقتادة[١].

٢- ابن عطية، وابن جزي الكلبي، وابن عادل، وابن عاشور[٢].

واستدلوا بما يلي :

قال محمد بن كعب القرظي: يعود الضمير على الإنسان، فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد، أي: بلسان حاله. أي: ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله[٣].

ومن أقوالهم:

أ- قال ابن جزي الكلبي: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ الضمير للإنسان، أي: هو شاهد على نفسه بكنوده، وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد، والأول أرجح؛ لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق فيجري الكلام على نسق واحد[٤].

ب- قال الشوكاني: ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أي: وإن الإنسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه به لظهور أثره عليه، وقيل: المعنى وإن الله جل ثناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد، وبه قال الجمهور. وقال بالأول الحسن وقتادة ومحمد بن كعب. وهو أرجح من قول الجمهور لقوله:﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [٥].

---

(١) الكشف والبيان١٠/٢٧٢، والنكت والعيون٦/٣٢٦، ومعالم التنزيل٤/٦٧١، والجامع لأحكام القرآن٢٠/١٦٢، والبحر المحيط٨/٥٠٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤/٤٣٦، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٤٦٥، وفتح القدير٥/٤٨٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٥١٥، والتسهيل٤/٢١٤، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٤٦٥، والتحرير والتنوير ٣٠/٥٠٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤/٤٣٦.

(٤) التسهيل٤/٢١٤.

(٥) فتح القدير٥/٤٨٣.

القول الثاني: يعود الضمير لله عز وجل[١].

وممن قال به: ابن عباسﷺ، وابن جريج، ومجاهد، وقتادة، وسفيان الثوري[٢].

واستدلوا: بقول ابن عباسﷺ: يريد: وإن الله على كفره لشهيد[٣].

حاصل الدراسة:

الظاهر عود الضمير في ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ ، أي: يشهد الإنسان على نفسه بم كان يصنع، وعلى كنوده، ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره.

وقيل: هو عائد على الله تعالى، أي: وربه شاهد عليه، وهو على سبيل الوعيد.

واختاره التبريزى فقال هو الأصح لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور قبله.

وقال أبو حيان تعليقاً عليه: ولا يترجح بالقرب إلا إذا تساويا من حيث المعنى. والإنسان هنا هو المحدث عنه والمسند إليه الكنود. وأيضاً فتناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى أولى من جعلهما لمختلفين، ولا سيما إذا توسط الضمير بين ضميرين عائدين على واحد. فإن الضمير السابق أعنى ضمير ﴿ لِرَبِّهِۦ ﴾ للإنسان ضرورة، وكذا الضمير اللاحق في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ ﴾[٤].

وقد جمع بين القولين ابن عثيمين فقال: والصواب أن الآية شاملة لهذا وهذا، فالله شهيد على ما في قلب ابن آدم، وشهيد على عمله، والإنسان أيضاً شهيد على نفسه، لكن يقر بهذه الشهادة في الدنيا، وقد لا يقر بها فيشهد على نفسه يوم القيامة كما قال

---

(١) الكشف والبيان١٠/٢٧٢، والوسيط٤/٥٤٥، ومعالم التنزيل٤/٦٧١، وزاد المسير٤/٤٨١، والتسهيل٤/٢١٤، التسهيل٤/٢١٤، ولباب التأويل ٧/٢٠٨، وفتح القدير٥/٤٨٣.

(٢) جامع البيان٢٤/٥٨٧، والنكت والعيون٦/٣٢٦، والبسيط٢٤/٢٥٣، ومعالم التنزيل٤/٦٧١، وزاد المسير٤/٤٨٢، والجامع لأحكام القرآن٢٠/١٦٢، والبحر المحيط٨/٥٠٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤/٤٣٦، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٤٦٥.

(٣) البسيط٢٤/٢٥٣.

(٤) البحر المحيط٨/٥٠٢، واللباب في علوم الكتاب٢٠/٤٦٥، وروح المعاني٣٠/٢١٨.

تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [١] [٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن الضمير عائد إلى الإنسان على حسب الظاهر الذي يقتضيه اتساق الضمائر واتحاد المتحدث عنه، وهو قول الجمهور، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها[٣].

---

(١) سورة النور آية: ٢٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين ص٢٩٧.

(٣) جامع البيان٢٤/٥٨٧، والمحرر الوجيز٥/٨، ومفاتيح الغيب٢٢/٤٦، والتسهيل٢/٧٦، وروح المعاني ٣٠/٢١٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢/٦١٣.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [١]

٢٩٨- مسألة: لمن الخطاب في الآية؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الخطاب خاص بالكفار[٢].

القول الثاني: الخطاب عام للمؤمن والكافر[٣].

قال الرسعني:

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قال الحسن: هو خاص بالكفار.

وقال قتادة: هو عام.

وهو الصحيح، فالمؤمن يُسأل عن الشكر، سأل سؤال توبيخ، والكافر يُسأل سؤال توبيخ، لم قابل النِّعَم بالكفر[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الخطاب خاص بالكفار.

وممن قال به:

١- الحسن، ومقاتل.

٢- اختاره الطيبي، والرازي[٥].

---

(١) سورة التكاثر آية: ٨.

(٢) الوسيط٤/٥٤٩، ومعالم التنزيل٤/٦٧٦، وزاد المسير٤/٤٨٦، ومفاتيح الغيب٣٢/٧٧، وإرشاد العقل السليم٩/١٩٦، وفتح القدير٥/٤٨٩، وروح المعاني٣٠/٢٢٦.

(٣) الوسيط٤/٥٤٩، وزاد المسير٤/٤٨٦، والبحر المحيط٨/٥٠٦، وفتح القدير٥/٤٨٩، وروح المعاني٣٠/٢٢٦.

(٤) رموز الكنوز٨/٧٢١.

(٥) الوسيط٤/٥٤٩، ومعالم التنزيل٤/٦٧٦، وزاد المسير٤/٤٨٦، ومفاتيح الغيب٣٢/٧٧، وإرشاد العقل السليم٩/١٩٦، وفتح القدير٥/٤٨٩، وروح المعاني٣٠/٢٢٦.

واستدلوا : بما روى أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية، قال يا رسول الله: أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير، ولحم، وبسر، وماء عذب أن تكون من النعيم الذي نسأل عنه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: إنما ذلك للكفار، ثم قرأ: ﴿ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ [١][٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال مقاتل: يعني: كفار مكة، كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيُسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، ولم يشكروا رب النعم[٣].

ب- قال الرازي: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الذي يسأل عن النعيم فيه قولان: أحدهما: وهو الأظهر أنهم الكفار[٤].

القول الثاني: الخطاب عام للمؤمن والكافر.

وممن قال به:

قتادة، وابن الجوزي، وأبو حيان، والشوكاني، والشنقيطي، وابن عثيمين[٥].

واستدلوا : بما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: "ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة" قالا: الجوع يا رسول الله قال: "وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوما" فقاما معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ : "أين فلان" قالت: يستعذب لنا من الماء، إذ جاء

---

(١) سورة سبأ آية: ١٧.

(٢) بحر العلوم٣/٥٨٩، ومفاتيح الغيب ٣٢/٧٧، وإرشاد العقل السليم٩/١٩٦.

(٣) تفسير مقاتل٣/٥١٤، والبسيط٢٤/٢٨٤، ومعالم التنزيل٤/٦٧٦.

(٤) مفاتيح الغيب٣٢/٧٧.

(٥) الوسيط٤/٥٤٩، وزاد المسير٤/٤٨٦، والبحر المحيط٨/٥٠٦، وفتح القدير٥/٤٨٩، وروح المعاني٣٠/٢٢٦، وأضواء البيان٩/٨٦، وتفسير القرآن الكريم (جزء عم) لابن عثيمين ص٣٠٩.

الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني قال : فأنطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال : كلوا من هذه وأخذ المدية فقال له رسول اللهﷺ: "إياك والحلوب" فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: "والذي نفسي بيده لتسألن عن نعيم هذا اليوم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم"[١].

ومن أقوالهم:

قال أبو حيان: الظاهر العموم في النعيم، وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب، فالمؤمن يسأل سؤال إكرام وتشريف، والكافر سؤال توبيخ وتقريع[٢].

ب- قال الشوكاني: قال قتادة إن الله سبحانه سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه وهذا هو الظاهر[٣].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

إن الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات، ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل، ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد[٤].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الذي يسأل عن النعيم فيه قولان:

أحدهما: أنهم الكفار، قال الحسن: لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار، ويدل عليه

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ح(٢٠٣٨).

(٢) البحر المحيط٨/٥٠٦.

(٣) فتح القدير٥/٤٨٩.

(٤) إرشاد العقل السليم٩/١٩٦.

حديث أبو بكر رضي الله عنه. والثاني: وهو أن ظاهر الآية يدل على ما ذكرناه؛ وذلك لأن الكفار ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره، فالله تعالى يسألهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم أن الذي ظنوه سبباً لسعادتهم هو كان من أعظم أسباب الشقاء لهم في الآخرة.

والقول الثاني: أنه عام في حق المؤمن والكافر واحتجوا بأحاديث، منها ما روى أبو هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم[١].

فعلى هذا الخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما شغله عن ذلك لظهور أن الخطاب في ألهاكم الخ للملهين، فيكون قرينة على ما ذكر، وللنصوص الكثيرة كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ [٢]و ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [٣] هذا أيضاً يحمل السؤال على سؤال التوبيخ ويدخل فيما ذكر الكفار وفسقة المؤمنين[٤].

المناقشة والترجيح:

الراجح: الخطاب عام للمؤمن والكافر، لصريح الحديث في مسلم، وهو ترجيح الرسعني.

القاعدة: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب٣٢/٧٧.

(٢) سورة الأعراف آية: ٣٢.

(٣) سورة البقرة آية: ٥٧.

(٤) روح المعاني٣٠/٢٢٦.

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس١/٦٥٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٦٠، والمحرر الوجيز ٢/٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢/٩٥، وروح المعاني ٨/٨٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين١/٢٠٦.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [١]

٢٩٩– مسألة: ما هو النعيم الذي يسأل عنه ابن آدم يوم القيامة؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: الأمن والصحة[٢].

القول الثاني: الماء البارد[٣].

القول الثالث: الغداء والعشاء[٤].

القول الرابع: الصحة والفراغ[٥].

القول الخامس: العموم في صنوف نعم الله على الآدمي[٦].

قال الرسعني:

للمفسرين في النعم أقوال كثيرة؛ قال ابن مسعودﷺ: الأمن والصحة.

وقيل: الماء البارد.

وقال الحسن: الغداء والعشاء.

وقال عكرمة: الصحة والفراغ.

---

(١) سورة التكاثر آية: ٨.

(٢) أخرجه الطبري٢٤/٦٠٣، والبيهقي في الشعب ٤/١٤٩ ح٤٦١٥، وأخرجه ابن أبي حاتم١٠/٣٤٦٠، وبحر العلوم٣/٥٨٩، والكشف والبيان١٠/٢٧٩، والنكت والعيون٦/٣٣٢، ومعالم التنزيل٤/٦٧٨، والمحرر الوجيز٥/٥١٩، وزاد المسير٤/٤٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٧٦، ولباب التأويل٧/٢٨٧، والبحر المحيط٨/٥٠٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٤٤٩.

(٣) الكشف والبيان١٠/٢٧٨.

(٤) النكت والعيون٦/٣٣٢، وزاد المسير٤/٤٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٧٦.

(٥) النكت والعيون ٦/٣٣٢، ومعالم التنزيل٤/٦٧٨، وزاد المسير٤/٤٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٧٦.

(٦) جامع البيان٢٤/٦٠٣، والبسيط٢/٢٨٦، وزاد المسير ٤/٤٨٦، والتسهيل٤/٢١٦، والبحر المحيط٨/٥٠٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٤٤٩، وفتح القدير٥/٥٤٨٩.

وقيل: غير ذلك.

والصحيح: عمومها في صنوف نِعَم الله على الآدمي.

ومنه قوله ﷺ حين أكل هو وأبو بكر وعمر رُطباً وشربوا ماء:" هذا من النعيم الذي تُسألون عنه"[١].

وفي حديث عن النبي ﷺ قال: "يقول الله عز وجل: ثلاثٌ لا أسأل عبدي عن شكرهن، وأساله عما سوى ذلك، بيتٌ يسكنه، وما يقيم به صلبه من الطعام، وما يواري به عورته من اللباس"[٢]. والله تعالى أعلم[٣].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: الأمن والصحة.

وممن قال به:

ابن مسعودرضي الله عنه، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، وسفيان[٤].

القول الثاني: الماء البارد[٥].

واستدلوا بما يلي :

عن أبو هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ : إِنَّ أَوَّلَ ما يُسْأَلُ عنه يوم الْقِيَامَةِ يَعْنِي

---

(١) أخرجه النسائي كتاب الوصايا، باب قضاء الدين قبل الميراث، ح٣٦٦٩، وأحمد ٣٣٨/٣ ح١٤٦٧٨.

(٢) أخرجه هناد في الزهد ٣١٧/١ ح٥٦٨.

(٣) رموز الكنوز٧٢٢/٨.

(٤) أخرجه الطبري٦٠٣/٢٤، والبيهقي في الشعب ١٤٩/٤ ح٤٦١٥، وأخرجه ابن أبي حاتم٣٤٦٠/١٠، وبحر العلوم٥٨٩/٣، والكشف والبيان٢٧٩/١٠، والنكت والعيون٣٣٢/٦، ومعالم التنزيل٦٧٨/٤، والمحرر الوجيز٥١٩/٥، وزاد المسير٤٨٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٧٦/٢٠، ولباب التأويل٢٨٧/٧، والبحر المحيط٥٠٦/٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٤٩/١٤.

(٥) الكشف والبيان٢٧٨/١٠.

الْعَبْدَ من النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ له أَلَمْ نُصِحَّ لك جِسْمَكَ وَنُرْوِيَكَ من الْمَاءِ الْبَارِدِ[١].

القول الثالث: الغداء والعشاء.

وممن قال به: الحسن[٢].

القول الرابع: الصحة والفراغ.

وممن قال به: سعيد بن جبير، وعكرمة[٣].

واستدلوا: بما في صحيح البخاري عنه ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"[٤].

القول الخامس: عمومها في صنوف نعم الله على الآدمي.

وممن قال به: مجاهد، والطبري، وابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، وأبو حيان، وابن كثير، والشوكاني[٥].

واستدلوا: بما قال مجاهد: عن كلِّ شيءٍ من لذة الدنيا[٦].

ومن أقوالهم:

أ- قال الطبري: الصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر أنه سائلٌ هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوعٍ من النعيم دون نوع، بل عمَّ بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعضٍ دون

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التكاثر، ح٣٣٥٨. وجامع البيان٢٤/٦٠٣.

(٢) النكت والعيون٦/٣٣٢، وزاد المسير٤/٤٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٧٦.

(٣) النكت والعيون ٦/٣٣٢، ومعالم التنزيل٤/٦٧٨، وزاد المسير٤/٤٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٧٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٧٦. أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب الصحة والفراغ، ح٦٤١٢.

(٥) جامع البيان٢٤/٦٠٣، والبسيط٢/٢٨٦، وزاد المسير ٤/٤٨٦، والتسهيل٤/٢١٦، والبحر المحيط٨/٥٠٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٤٤٩، وفتح القدير٥/٥٤٨٩.

(٦) جامع البيان٢٤/٦١٠، والكشف والبيان،١٠/٢٨٠، وزاد المسير٤/٤٨٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٤٤٩.

بعض[١].

ب- قال ابن الجوزي: والصحيح أنه عامٌّ في كل نعيم، وعامٌّ في جميع الخلق[٢].

ج- قال أبو حيان: الظاهر العموم في النعيم، وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب، فالمؤمن يسأل سؤال إكرام وتشريف، والكافر سؤال توبيخ وتقريع[٣].

د- قال ابن كثير:وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال[٤].

ومن الأقوال التي ذكرها المفسرون:

١- أنه خبز البر والماء العذب، قاله أبو أمامة[٥].

٢- أنه ملاذ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبد الله الأنصاري[٦].

٣- أنه صحة الأبدان، والأسماع، والأبصار، قاله ابن عباسﷺ[٧].

حاصل الدراسة:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أصل النعيم كل حال ناعمة من النعومة والليونة، ضد الخشونة واليبوسة، والشدائد، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[٨]. ونعم الله عديدة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا

---

(١) جامع البيان ٦١١/٢٤.

(٢) زاد المسير٤٨٦/٤.

(٣) البحر المحيط٥٠٦/٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٤٩/١٤.

(٥) زاد المسير٤٨٦/٤.

(٦) النكت والعيون٣٣٢/٦، وزاد المسير٤٨٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٧٦/٢٠.

(٧) زاد المسير٤٨٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٧٦/٢٠.

(٨) سورة النحل آية: ٥٣.

تُحۡصُوهَآ﴾ [١].

والأولى أنه يجب حمله على جميع النعم، ويدل عليه وجوه: أحدها: أن الألف واللام يفيدان الاستغراق. وثانيها: أنه ليس صرف اللفظ إلى البعض أولى من صرفه إلى الباقي، لاسيما وقد دل الدليل على أن المطلوب من منافع هذه الدنيا اشتغال العبد بعبودية الله تعالى. وثالثها: أنه تعالى قال:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [٢] والمراد منه جميع النعم من فلق البحر، والإنجاء من فرعون وإنزال المن والسلوى فكذا ههنا.

ورابعها: أن النعيم التام كالشيء الواحد الذي له أبعاض، وأعضاء فإذا أشير إلى النعيم فقد دخل فيه الكل.

والنعم أقسام فمنها ظاهرة وباطنة، ومنها متصلة ومنفصلة، ومنها دينية ودنيوية، وأما تعديدها بحسب النوع والشخص فغير ممكن، وكل ما قاله المفسرون هو من قبيل التمثيل لا الحصر[٣].

المناقشة والترجيح:

الراجح: العموم في صنوف نعم الله كلها على ابن آدم، وهذا ترجيح الرسعني.

القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[٤].

---

(١) سورة إبراهيم آية: ٣٤.

(٢) سورة البقرة آية: ٤٠.

(٣) مفاتيح الغيب٣٢/٧٨، وفتح القدير٥/٥٤٨٩، وأضواء البيان٩/٨٤.

(٤) الرسالة للشافعي ص٣٤١،٢٠٧، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠، والمحرر الوجيز ١/٩٤، والتسهيل ١/٩، وروح المعاني ٢٨/١٥٤، وأضواء البيان ٤/٣٠٨، وقواعد الترجيح عند المفسرين٢/٥٢٧.

٣٠٠- مسألة: هل ولد النبي ﷺ عام الفيل أو بعده؟

مجمل الأقوال الواردة:

القول الأول: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل[١].

القول الثاني: أن الفيل كان قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة[٢].

القول الثالث: كان عام الفيل قبل مولده ﷺ بأربعين سنة[٣].

قال الرسعني:

ذهب أكثر علماء النقل على أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل.

وروى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه: أن الفيل كان قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة.

وحكى مقاتل: أنه كان قبل مولده بأربعين سنة. **والأول أصح**[٤].

دراسة الأقوال في المسألة:

القول الأول: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل[٥].

وممن قال به:

البغوي، وابن الجوزي، وابن جزي الكلبي، الخازن، وابن كثير، أبو السعود، وهو قول

---

(١) معالم التنزيل٤/٦٨٩، وزاد المسير٤/٤٩٢، والتسهيل٤/٢١٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٤٥٥، وإرشاد العقل السليم٩/٢٠٠.

(٢) النكت والعيون٦/٣٣٨، ومعالم التنزيل٤/٦٨٩، والكشاف ٤/٨٠٤، وزاد المسير٤/٤٩٢، ولباب التأويل ٧/٢٩٥.

(٣) تفسير مقاتل ٣/٥٢٣، والنكت والعيون٦/٣٣٨، ومعالم التنزيل٤/٦٨٩، والكشاف ٤/٨٠٤، وزاد المسير ٤/٤٩٢، ولباب التأويل٧/٢٩٥.

(٤) رموز الكنوز٨/٧٣٦.

(٥) النكت والعيون٦/٣٣٨،

الأكثرين[١].

واستدلوا: بقول محمد بن إسحاق: يحدث عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل. وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم أخا بني يعمر بن ليث أأنت أكبر أم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ورفعت بي أمي على الموضع، قال: ورأيت خذق الفيل أخضر محيلاً[٢].

ومن أقوالهم:

أ- قال الخازن: والأصح الذي عليه الأكثرون من علماء السير، والتواريخ، وأهل التفسير أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ فإنهم يقولون ولد عام الفيل، وجعلوه تاريخاً لمولده ﷺ[٣].

ب- قال ابن كثير: كون رسول الله ﷺ ولد عام الفيل هو قول الجمهور[٤].

ج- قال خليفة بن خياط: والمجمع عليه أنه ﷺولد عام الفيل[٥].

القول الثاني: أن الفيل كان قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة[٦].

وممن رواه: أبو صالح عن ابن عباسﷺ، والكلبي، وعبيد بن عمير[٧].

القول الثالث: كان عام الفيل قبل مولده ﷺ بأربعين سنة[٨].

---

(١) معالم التنزيل٤/٦٨٩، وزاد المسير٤/٤٩٢، والتسهيل٤/٢١٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير١٤/٤٥٥، وإرشاد العقل السليم٩/٢٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ، ح٣٦١٩.

(٣) لباب التأويل٧/٢٩٥.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير١/٢٠٣.

(٥) السيرة النبوية ١/٢٠٣.

(٦) الكشاف ٤/٨٠٤، ولباب التأويل٧/٢٩٥.

(٧) النكت والعيون٦/٣٣٨، ومعالم التنزيل٤/٦٨٩، وزاد المسير٤/٤٩٢.

(٨) الكشاف ٤/٨٠٤، ولباب التأويل٧/٢٩٥.

وممن قال به: مقاتل[١].

حاصل الدراسة:

اختلف في مولده عليه السلام من عام الفيل قيل: أن مولده بعد أربعين سنة من عام الفيل. وقيل: بعد ثلاث وعشرين سنة منه. وقيل: أنه عام الفيل.

والذي عليه الأكثرون، والجمهور من علماء السير، أنه ولد ﷺ عام الفيل.

قال إبراهيم بن المنذر شيخ البخاري لا يشك في ذلك أحد من العلماء وعليه الإجماع. وكل ما خالفه وهمٌ، أي: من أنها كانت قبل بعشر سنين، أو بخمس عشرة سنة، أو بثلاث وعشرين سنة، أو بثلاثين سنة، أو بأربعين سنة، أو بسبعين سنة الأقوال المذكورة في كتب السير[٢].

المناقشة والترجيح:

الراجح: أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل، وهذا قول جمهور العلماء، وترجيح الرسعني.

القاعدة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٣].

---

(١) تفسير مقاتل ٥٢٣/٣، والنكت والعيون٣٣٨/٦، ومعالم التنزيل٦٨٩/٤، وزاد المسير٤٩٢/٤.

(٢) النكت والعيون٣٣٨/٦، والتسهيل٢١٧/٤، ولباب التأويل٢٩٥/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٥٥/١٤، السيرة النبوية لابن كثير٢٠١/١-٢٠٣، وروح المعاني٢٣٣/٣٠.

(٣) جامع البيان ٢٣١/٢، والتسهيل ٩/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/٢، وأضواء البيان ٣٨٥/١، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٢٨٨/١.

الخاتمة

الحمد لله على التمام، فقد اجتهدت – بما استطعت – في دراسة ترجيحات الرسعني، من خلال تفسيره (رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز) بجهد مضنٍ وعمل دؤوب، فتعايشت مع هذا الكتاب مدة من الزمن فوجدت فيه متعة البحث العلمي، فقد احتوى كتابه – رحمه الله – على أقوال المفسرين، والمحدثين، والفقهاء،والنحويين، واللغويين مع ما فيه من عناية وإلمام في المعنى، وسبب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واستشهاد بالأحاديث.

وأسأل المولى – عز وجل – أن أكون قد وفقت لهذا العمل الكبير.

ويمكنني تلخيص أهم النتائج التي وصلت إليها فيما يلي :

١- أن النظر في اختلاف العلماء، ودراسة أقوالهم، يعطي الباحث ملكة واسعة في الموازنة بين الآراء، وسبر الأقوال، ومناقشتها، ومعرفة القول الراجح بدليله، ومأخذه من قواعد الترجيح.

٢- أن الإلمام بقواعد الترجيح عند المفسرين من أهم الأسباب الموصلة إلى القول الراجح في التفسير.

٣- ليس من السهولة بمكان الوصول للقول الراجح، بل لا بد من بذل الجهد واستفراغ الوسع، وتوسيع دائرة البحث في تحليل النصوص، وتحرير مواضع النزاع، وسبر القرائن، وموازنة الأقوال.

٤- اهتم الرسعني بترجيح القول الظاهر، وهو مسلك حميد، يدل على دقة التحري والاحتراز من الوقوع في الخطأ، والقول في القرآن بلا علم.

٥- لم يكن الرسعني مجرد ناقل أو راو، في ترجيحاته في التفسير دون دراسة، بل إنه كان يعلق، ويبدي رأيه، ويرجح بينها، مورداً أحياناً الأدلة على الرأي الذي اختاره.

٦- ليس للرسعني طريقة واحدة في عرض مسائل الخلاف في التفسير. فأحياناً يورد الأقوال باستدلالاتهم، وأحياناً بلا أدلة، وتارة يذكر توجيهه للقول الراجح، وتارة يكتفي بذكر الراجح فقط.

٧- تبين لي أن الراجح من الأقوال، والصحيح منها لا يخرج في الغالب عن المشهور عند المفسرين.

٨- تفاوت المفسرين في العناية بالترجيح بين الأقوال، واختلاف طرائقهم في ذلك، فمنهم من يهتم بهذا الجانب، ويستدل ويناقش، ومنهم من يورد الأقوال دون نقد أو ترجيح، ومنهم من يرجح أحياناً، ويسكت أحياناً.

٩- لم يشتهر تفسير الرسعني كثيراً بين العلماء في عصر مؤلفه، ومن أتى بعده من المفسرين، وطلبة العلم، ولعل تأخر تحقيقه و إخراجه ساهم في ذلك في العصر الحاضر لكنه سيظل تفسيراً جديراً بالدراسة. و أوصي بالاهتمام بهذا التفسير، وتشجيع الباحثين للعناية به.

هذا والله يعلم أني بذلت الجهد والطاقة في التحري والتثبت، وهو جهد مقل، فما وفقت فيه فهو من فضل الله ونعمه، وما أخطأت فيه فهو من نفسي، وأرجو من الله العفو عما أخطأت فيه، وأن ييسر لي سبيل إصلاحه، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وينفع به المسلمين .

والحمد لله رب العالمين، وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملخص الرسالة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد قيض الله لهذه الأمة علماء أجلاء، وأئمة نجباء، فسروا آيات القرآن الكريم، وبينوا معانيه، وأظهروا أسراره وكنوزه، كلٌ بحسب علمه، وما أداه إليه اجتهاده، فتركوا لمن بعدهم ثروة علمية هائلة، تمثلت في كتبهم المشتهرة، وتداولها العلماء وطلبة العلم جيلاً بعد جيل.

وقد صنف الحنابلة كغيرهم في تفسير القرآن العظيم، وأولوه اهتماماً كبيراً، وأول من عُرف عنه التصنيف فيه هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل – رحمه الله –.

وقد تكلم أتباع الإمام أحمد – رحمه الله – في التفسير، وصنَّفوا فيه المصنفات، لكن أكثر تفاسيرهم لم يصل إلينا خبره، ومن الموجود منها: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي(٥٩٧هـ)، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري(٦١٦هـ)، وتفسير العليمي(٩٢٨هـ)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل(نيف وثمانين وثمانمائة)،وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي(١٣٧٦هـ)، وتوفيق الرحمن في دروس القرآن للشيخ فيصل آل مبارك(١٣٧٧هـ)، ومن أجل هذه التفاسير كلها وأنفعها تفسير الإمام عبد الرّازق بن رزق الله الرسعني(٦٦١هـ)، الذي قمت – بعون الله تعالى – على دراسة ترجيحاته، فأحمد الله على إتمامه.

فقد اجتهدت – بما استطعت – في دراسة ترجيحات الرسعني، من خلال تفسيره (رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز) فتعايشت مع هذا الكتاب مدة من الزمن فوجدت فيه متعة البحث العلمي، فقد احتوى كتابه – رحمه الله – على أقوال المفسرين، والمحدثين، والفقهاء، والنحويين، واللغويين مع ما فيه من عناية وإلمام في المعنى، وسبب

النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واستشهاد بالأحاديث.

وأسأل المولى – عز وجل – أن أكون قد وفقت في إبراز الصورة المثلى لهذا العمل الكبير.

ويمكنني تلخيص أهم النتائج التي وصلت إليها فيما يلي :

١- أن النظر في اختلاف العلماء، ودراسة أقوالهم، يعطي الباحث ملكة واسعة في الموازنة بين الآراء، وسبر الأقوال، ومناقشتها، ومعرفة القول الراجح بدليله، ومأخذه من قواعد الترجيح.

٢- أن الإلمام بقواعد الترجيح عند المفسرين من أهم الأسباب الموصلة إلى القول الراجح في التفسير.

٣- ليس من السهولة بمكان الوصول للقول الراجح، بل لا بد من بذل الجهد واستفراغ الوسع، وتوسيع دائرة البحث في تحليل النصوص، وتحرير مواضع النزاع، وسبر القرائن، وموازنة الأقوال.

٤- اهتم الرسعني بترجيح القول الظاهر، وهو مسلك حميد، يدل على دقة التحري والاحتراز من الوقوع في الخطأ، والقول في القرآن بلا علم.

٥- م يكن الرسعني مجرد ناقل أو راو، في ترجيحاته في التفسير دون دراسة، بل إنه كان يعلق، ويبدي رأيه، ويرجح بينها، مورداً أحياناً الأدلة على الرأي الذي اختاره.

٦- ليس للرسعني طريقة واحدة في عرض مسائل الخلاف في التفسير.

٧- تبين لي أن الراجح من الأقوال، والصحيح منها لا يخرج في الغالب عن المشهور عند المفسرين.

٨- تفاوت المفسرين في العناية بالترجيح بين الأقوال، واختلاف طرائقهم في ذلك، فمنهم من يهتم بهذا الجانب، ويستدل ويناقش، ومنهم من يورد الأقوال دون نقد أو ترجيح، ومنهم من يرجح أحياناً، ويسكت أحياناً.

٩- لم يشتهر تفسير الرسعني كثيراً بين العلماء في عصر مؤلفه، ومن أتى بعده من المفسرين، وطلبة العلم، ولعل تأخر تحقيقه و إخراجه ساهم في ذلك في العصر

الحاضر لكنه سيظل تفسيراً جديراً بالدراسة. و أوصي بأحقية هذا التفسير بالعناية، وتشجيع الباحثين للعناية به.

ومن أبرز المزايا التي ترسم الصورة الواضحة لهذا التفسير في النقاط التالية:

١- اهتمامه بما يتعلق بالعقيدة وانتصاره لمذهب أهل السنة.

٢- اهتمامه بالتفسير بالرواية وإكثاره منه حتى ما تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه من حديث عن النبي ﷺ،بأسانيد متصلة إلى رسول الله ﷺ،أو أثر عن الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم.

٣-عنايته بآيات الأحكام، ولا يُطنب القول فيها، ويذكر الآراء المختلفة حولها، مع سرد الأدلة لكل رأي.

٤- اعتماده على أمهات كتب التفسير ونقله لآراء جهابذة العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء وأهل اللغة.

٥- أن له تحقيقات علمية نافعة وجمعاً بين أقوال أهل العلم.

٦- تتبعه لأقوال بعض المفسرين واعتراضاتهم، والجواب عن هذا الاعتراض.

٧-عنايته بذكر الفصول المتنوعة فيما يرى أن له تعلقاً بالآية وكأنه يرى أن هذه الفصول ليست من باب التفسير إنما هي من باب تمام الفائدة، والحق أنها فصول علمية نافعة.

٨- اعتناؤه بذكر بعض علوم القرآن كأسباب النزول وبيان الناسخ والمنسوخ ، والقراءات.

٩- ومن أهم السمات التي تميز بها تفسير الرسعني وضوح الأسلوب وحسن الصياغة مع مراعاة الإيجاز وحسن الترتيب بعيداً عن لغة التعقيد والغموض.

١٠- يذكر الشواهد الشعرية وأقوال العرب للتدليل على صحة المعاني التي أوردها.

* ومن أبرز المآخذ التي أخذت عليه:

١- جمع الرسعني أقوال العلماء في تفسير الآية الواحدة أو جزء منها، مع ترجيحه لبعض الأقوال وذكر الأدلة في ذلك – أحياناً- وتركه بعض الأقوال دون عزو لقائلها أو مخرجها، أو لم يبين ضعف أدلتها، وهذا مما قد يؤخذ عليه في تفسيره.

٢- نقل الرسعني أحياناً عن مصادر لم يحددها بالاسم، أو أنه غاب عن ذهنه المصدر الذي حفظ منه هذه المعلومة.

هذه بعض المآخذ التي تنسب للإمام الرسعني، ولا يعني هذا أن الكتاب ليس له قيمة علمية بل هو من الكتب القيمة.

والحمد لله رب العالمين ، وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

Abstract

In the name of Allah most gracious most merciful, in Whom we seek refuge and from Whom we ask for forgiveness; I testify that there is no God but Allah and that prophet Muhammad is His messenger.

Hence, God Blessed us, Muslims, with great Ulama and most notable scholars who had interpreted the verses of The Holy Qur'an, demystified its meanings and thus made its treasures of meanings accessible by everyone, each according to his knowledge and the results of his studiousness. They left for their successors a vast body of knowledge namely their famous volumes and narratives which were and continues to be of great value and validity for both Ulama and scholars a generation after the other. The Hanbalis had composed in the field as others had had. They were dedicated to this task and amongst them the first to be known as textual interpreter was Imam Ahmad Bin Hanbal may he rest in peace.

The Imam's followers, moreover, wrote and composed volumes in Holy Qura'an's Interpretation yet most of their narratives never came to our hands. Those we know existed are mere drops in the sea of those lost or unknown. Of the books we know there are: *Zad Al-Maseer Fe Elm A'tafseer* by Ibn Al-Jawzi (٥٩٧ Hijri), *Atebyan Fe E'rab Al-Qura'an* by Al-Akbary (٦١٦ Hijri), *Tafseer Al-Aulaimi* (٩٢٨ Hijri), *Alablab Fe Ulum Al-Ketab* by Ibn Adel (٨٨٠s Hijri), *Tayseer Al-Kareem Al-Rahman Fe Tafseer Kalam Al-Manan* by Sheik Abdul-Rahman Asaadi (١٣٧٦ Hijri), Tawfeeq Al-Rahman Fe Doroos Al-Qura'an by Sheik Faisal Aal-Mubarak (١٣٧٧ Hijri), and of the most dignified- valuable interpretations is Imam Abdul-Razaq Bin Rizq Arrasa'ani's Weigh Ins (٦٦١ Hijri) which I

investigated and by Allah's Guidance conducted.

I exerted with diligence all my effort (as much as I could) to study Arrasa'ani's Weigh ins through his interpretation *Rumooz Al-Kunooz Fe Tafseer Al-Kitab Al-Aziz*. I took a journey for a period of time founding in which the indulgence and pleasures of scientific research, for his book contains interpretation, Hadith, and Jurisprudence scholars's sayings , linguists and grammarians, too. With its special consideration to the meaning, occasion of revelation (of verses), abrogating and abrogated Hadiths, the modes of oral recitation, and his citing of Hadiths.

Hoping to God I succeeded in viewing this great exegetic work in the best light.

The results I concluded to are the following:

١- Looking closely at the wide scope of Ulama's diverse opinions and studying them provides the researcher with a good sense of judgment that enables her/him to scrutinize, discuss in length and weigh in opinions by its evidences and the rule upon which it is founded.

٢- Being Familiar with the rules of weighing in opinions and sayings for interpreters, is crucial to reaching a conclusive judgment about opinions in Qura'anic interpretation.

٣- It is never easy to reach a conclusive predominant opinion or saying, therefore it is imperative to exert oneself and expand the circle of research in textual analysis, to explore evidences, and balance opinions.

٤- Arrasa'ani takes great care to weigh in the the explicit sayings which is a good approach that shows his meticulousness to avoid slipping into frailty and error or putting forward rootless claims to Qura'an.

٥- Arrasa'ani is not a reporter or a historical narrator in his weigh ins for he studies, comments, puts forward his opinions and occasionally distinguishes the predominant of which by means of giving evidences.

٦- Arrasa'ani has no single method in presenting problematic issues.

٧- I arrived at a conclusion that the predominant and rightful opinions are rarely at odds with the well established and famous opinions of interpreters.

٨- Interpreters vary in their attention to weighing in sayings and opinions, their methods thus vary; Some take care to discuss and provide evidences, others present an array of sayings without scrutinizing or weighing in of which. Yet another group weigh in a set of opinions at times and at other times neglect to do so and simply keep silent.

٩- Arrasa'ani's interpretation did not achieve much fame back in its time, neither the era of its author's succeeding scholars; Most probably the delay in investigating it contributed to its obscurity until the present time. However it still is an interpretation worth studying, thus I recommend it for its eligibility to study,

urging scholars to pay much attention to it.

Most notable traits that depict the full picture of this book can be summarized in the following:

١- his great care of the issue related to Faith and his advocacy of the Sunni teachings : (Mathhab Ahel Assunna W Al-Jama'a).

٢- His great care to interpret through means of citing Hadiths to the extent that almost no page of his book vacant of a validated Hadith of the prophet or a an incident passed on about the prophet (peace be upon him) by his companions or their companions.

٣- His great care of legislative jurisprudence verses, elaborating on which, presenting the array of various opinions and listing the evidences of each.

٤- His reliance on established reference books in Qura'anic interpretation, and quoting of opinions of genius interpretation, Hadith and Jurisprudence Ulama, and Arabic Linguists.

٥- He has valuable scientific investigations, and a tendencies to synthesize scholars' sayings.

٦- His exploration of some interpreters's sayings and interceptions, and his answers to these interceptions.

٧- His attendance to supplement with various sections, of what he deems related to the verse, as if he judges them to be complementary to the benefit

although not quite related to interpretation; In actuality they are valuable scientific sections.

٨- His attendance to some of the Qura'anic Sciences in his book, such as Occasion of Revelation (of verses), abrogating and abrogated Hadiths, Modes of Oral Recitation.

٩- One of the most important traits that distinguishes Arrasa'ani's Interpretation is its intelligibility, summary, gracefulness of style and arrangement, and avoidance of linguistic ambiguity and complexity.

١٠- He mentions poetic excerpts from Arabic poetry to demonstrate the validity of the meanings he provides.

On the other hand, the most notable shortcomings of it are:

١- Arrasa'ani sums up the Ulama's interpretations of one Qura'anic verse or a part of it while weighing in some sayings and providing evidences occasionally, and neglecting to assign the interpretation to its sayer or its citer, or in other cases neglecting to disclaim the feebleness of its evidences.

٢- Arrasa'ani quotes from sources that he does not specifically name, or perhaps his memory deprived him of recalling.

These are some of the shortcomings that are brought forth about Imam Arrasa'ani, yet they do not blemish the value of this Interpretation, it is evidently one of the valuable books in its field.

Praise be to Allah ,The Lord of the worlds. Peace and Blessings of Allah be upon our Prophet Muhammed, his kinship and companions.

الفهارس العامـة

١- فهرس الآيات القرآنية.
٢- فهرس الأحاديث النبوية.
٣- فهرس الآثار
٤- فهرس الأبيات الشعرية
٥- فهرس غريب الألفاظ والمصطلحات.
٦- فهرس الأعلام.
٧- فهرس الفرق، والمذاهب، والأماكن، والبلدان.
٨- ثبت المصادر والمراجع.
٩- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية.

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
البقرة	٢	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾	١٨٥	١١١٢-١٢٩٤-١٣٢٠
البقرة	٢	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾	٦٥	٢٤٨-٣٩٤
البقرة	٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ﴾	١٧٤	٩٣
البقرة	٢	﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾	٢٨١	١٤٥
البقرة	٢	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِنَ ﴾	١٨٠	١٨٥
البقرة	٢	﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ ﴾	٢٣٦	٢١٩
البقرة	٢	﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ ﴾	١٧٧	٢٧٣
البقرة	٢	﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾	١٤٧	٣٠١
البقرة	٢	﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾	١٠٢	٣٠٥
البقرة	٢	﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾	٥٥	٣٧١
البقرة	٢	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾	٥٦	٣٧١
البقرة	٢	﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾	٨٧	٣٧٣
البقرة	٢	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾	٢١٩	٤١٧
البقرة	٢	﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾	٨٨	٤٨٣
البقرة	٢	﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	٢٥	٤٩٥
البقرة	٢	﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾	٢٢١	٥٢٣
البقرة	٢	﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾	٢٨١	٥٦٢
البقرة	٢	﴿ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ﴾	١٣٣	٦٢٢
البقرة	٢	﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ ﴾	١٤٦	٦٢٧

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
البقرة	٢	﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾	٢٠١	٧٢٩
البقرة	٢	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾	١٧٨	٧٣٢
البقرة	٢	﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾	٢٣٧	٧٣٣
البقرة	٢	﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا ﴾	١٩٨	٨٧٤
البقرة	٢	﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾	١٢٨	٨٩٥
البقرة	٢	﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	٢١٣	١٢١٧
البقرة	٢	﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	١٢٩٠
البقرة	٢	﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾	١٨٥	١٢٩٣
البقرة	٢	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ ﴾	١٤٣	١٢٩٥
البقرة	٢	﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾	٥٧	١٣٣٣
البقرة	٢	﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ ﴾	٤٠	١٣٣٨
آل عمران	٣	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾	٩٦	٨٥٣-٨٧٠-٨٨١
آل عمران	٣	﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾	٢٣	١٠٣
آل عمران	٣	﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ ﴾	١٢٤	١٠٦
آل عمران	٣	﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾	١٨١	١٥٥-١٥٩
آل عمران	٣	ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾	٣٤	٧٧
آل عمران	٣	﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾	٣٤	٧٤-٧٧
آل عمران	٣	﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾	٤٢	٧٧
آل عمران	٣	﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ ﴾	٢١	٨٧
آل عمران	٣	﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ ﴾	١٢٢	١٠١

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
آل عمران	٣	﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ ﴾	١٢٠	١٠٢
آل عمران	٣	﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ ﴾	١٢٥	١٠٦
آل عمران	٣	﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾	١٦٧	١٥٠
آل عمران	٣	﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا ﴾	١٦٨	١٥٠
آل عمران	٣	﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾	٦٠	٣٠١
آل عمران	٣	﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾	٥٥	٣٠٥
آل عمران	٣	﴿ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴾	١٤٥	٥١٢
آل عمران	٣	﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ ﴾	١٣٥	٥٣٧
آل عمران	٣	﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ ﴾	١٧٣	٥٨٣
آل عمران	٣	﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ﴾	١٤٨	٧٢٤
آل عمران	٣	﴿ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ ﴾	١٩٢	٨٢٤
آل عمران	٣	﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ﴾	١١٩	٨٦٦
آل عمران	٣	﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾	٣٦	١٢١٦
النساء	٤	﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ ﴾	١٧٦	١٧٦-١٩٢
النساء	٤	﴿ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا ﴾	٢٠	٦٦
النساء	٤	﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾	٣٧	١٥٨
النساء	٤	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾	٥٨	١٧٤
النساء	٤	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾	٦٥	١٧٥
النساء	٤	﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ لَسۡتَ ﴾	٩٤	١٧٥
النساء	٤	﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾	١١	١٨٣

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
النساء	٤	﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ ﴾	١٢	١٩٣
النساء	٤	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ﴾	١٦٦	٢٠٧
النساء	٤	﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ ﴾	٢٥	٢١٣
النساء	٤	﴿ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ ﴾	٢٥	٢١٥
النساء	٤	﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ﴾	٢٥	٢١٤
النساء	٤	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾	٢٣	٢٢٣
النساء	٤	﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ ﴾	٢٤	٢١٨
النساء	٤	﴿ وَلَا تَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾	١٢٣	٢٦١
النساء	٤	﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾	٥٦	٦٦٨
النساء	٤	﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ﴾	٨٢	٦٨٣
النساء	٤	﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾	٧٩	١٢٩٢
النساء	٤	﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾	٤١	١٢٩٤
النساء	٤	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ﴾	٤	١٣٢٥
المائدة	٥	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾	٦٠	٢٤٨
المائدة	٥	﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ ﴾	٦	٣٠٤
المائدة	٥	﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾	١١٦	٦٧٤
المائدة	٥	﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾	٦٧	٦٨٤
المائدة	٥	﴿ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾	٩٥	٨٨٥
المائدة	٥	﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾	٤٨	١١١٥
الأنعام	٦	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾	٦٨	٢٥٢
الأنعام	٦	﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ ﴾	٧٩	٣٢٢

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الأنعام	٦	﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾	١٢٤	٤١٢
الأنعام	٦	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾	٣٣	٤٨٢
الأنعام	٦	﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾	١٦٠	٧٢٢
الأنعام	٦	﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ ﴾	٣٦	١٠٩٥
الأنعام	٦	﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾	١٣٢	١١٤١
الأعراف	٧	﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ ﴾	١٦٦	٢٤٨-٣٩٤
الأعراف	٧	﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾	١٢	١٢٩
الأعراف	٧	﴿ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾	٢٥	١٣٤
الأعراف	٧	﴿ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾	١٣٧	٣٦٦
الأعراف	٧	﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾	١٣٨	٣٨١
الأعراف	٧	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾	١٧٢	٣٩٩
الأعراف	٧	﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾	٤٤	
الأعراف	٧	﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾	١٢٧	٧٤٧
الأعراف	٧	﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ ﴾	٦٩	٨٩٩
الأعراف	٧	﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾	١٥٧	١٢١٧
الأعراف	٧	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾	٣٢	١٣٣٣
الأنفال	٨	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾	٩	١٠٧-١١٠-١١١٤
الأنفال	٨	﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾	٣٢	٦٩
الأنفال	٨	﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ﴾	٦٠	١٧٠
الأنفال	٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٢٠	٤٢٧

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الأنفال	٨	﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	١٨	٤٢٩
الأنفال	٨	﴿ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾	١٤	٤٣١
الأنفال	٨	﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٩	٤٣١
الأنفال	٨	﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾	١	٤٣٨
الأنفال	٨	﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا ﴾	٢٤	١٠٩٥
التوبة	٩	﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن ﴾	١١٤	٦٥٦
التوبة	٩	﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا ﴾	٣٥	١٤٤
التوبة	٩	﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾	٦٢	٤٣٨
التوبة	٩	﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾	٧٨	٤٥٥
التوبة	٩	﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١١٢	٤٩٢
التوبة	٩	﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾	٢١	٤٩٥
التوبة	٩	﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾	١١٤	٨٠٩
التوبة	٩	﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن ﴾	١١٣	٨١٠
التوبة	٩	﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ ﴾	١١٥	٨١٠
التوبة	٩	﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	٥	١٢٣٠
هود	١١	﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾	١٢	٣٠٢
هود	١١	﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ﴾	٨٧	٣٩٤
هود	١١	﴿ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾	١٦	٥٠٨
هود	١١	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾	٣٦	٥١٣
هود	١١	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ ﴾	٤٢	٥١٩
هود	١١	﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ ﴾	٤٦	٥١٩

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
هود	١١	﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾	٩١	٥٢٩
هود	١١	وَلله غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ﴾	١٢٣	٥٤١
هود	١١	﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ ﴾	٧٣	٩٧٦
هود	١١	﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	٣٧	١١٩٣
هود	١١	﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ ﴾	١٠٣	١٢٩٠
يوسف	١٢	﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾	٥٢	٣٥٨
يوسف	١٢	﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ ﴾	٧	٥٤٥
يوسف	١٢	﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾	٨٤	٥٤٧
يوسف	١٢	﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ ﴾	٣٢	٥٦٨
يوسف	١٢	﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ ﴾	٢٤	٥٦٧
يوسف	١٢	﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ﴾	٢٦	٥٦٩
يوسف	١٢	وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا ﴾	٣٢	٥٦٨
يوسف	١٢	﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِ ۖ ﴾	٣٣	٥٦٨
يوسف	١٢	﴿ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾	٤٣	٥٦٩
يوسف	١٢	﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾	٤٥	٥٧٥
يوسف	١٢	﴿ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	٤٦	٥٧٥
يوسف	١٢	﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾	٨٩	٦١٠
يوسف	١٢	﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	١٠٠	٦٢١
الرعد	١٣	﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ ﴾	٣٣	٥٦٢
الرعد	١٣	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾	٢	٦٥٣
إبراهيم	١٤	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	٩	٦٥٣-١٠٢٩

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
إبراهيم	١٤	﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾	٦	٦٦٧
إبراهيم	١٤	﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾	٥	١١٢١
إبراهيم	١٤	﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾	٣٤	١٣٣٨
الحجر	١٥	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾	٩	٢٧٧
الحجر	١٥	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾	٩٧	٣٠٢
الحجر	١٥	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا ﴾	٤٧	٣٢٥
الحجر	١٥	﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ ﴾	٣	٦٧٩
الحجر	١٥	﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾	٦	٦٨٥
الحجر	١٥	﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ﴾	٢٠	٦٩١
النحل	١٦	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾	٩٨	٣٠٤
النحل	١٦	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾	١٢٤	٦٧٤
النحل	١٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ﴾	٣٦	٧٠٠
النحل	١٦	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ﴾	٥٠	٧٠٦
النحل	١٦	﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾	٨٢	٧٢٠
النحل	١٦	﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾	٥٣	١٣٣٧
الإسراء	١٧	﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا ﴾	١٨	٥٠٨
الإسراء	١٧	﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾	٦٤	٥٤١
الإسراء	١٧	﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ﴾	٣٢	٥٦٢
الإسراء	١٧	﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾	٩	٩٣٦
الإسراء	١٧	﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ ﴾	١٣	١١٨٧

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الإسراء	١٧	﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾	٧٨	١٢٩٨
الكهف	١٨	﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾	١٠٥	٣١٤
الكهف	١٨	﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾	٢٩	٥٤٢
الكهف	١٨	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۖ ﴾	٢٣	٧٦٣
الكهف	١٨	﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾	٦٣	٧٦٣
الكهف	١٨	﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا ﴾ .	٢٩	٧٦٤
الكهف	١٨	﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾	٤٣	٧٧٣
الكهف	١٨	﴿ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ ﴾	٥٦	٧٨٤
الكهف	١٨	﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾	٨٢	١١١٥
مريم	١٩	﴿ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾	١٠	٨٧
مريم	١٩	﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾	٣٣	١٣٤
مريم	١٩	﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾	٦٢	٣٣٩
مريم	١٩	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ ﴾	٦٨	٨٢٧
مريم	١٩	﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾	٣٥	٩٢٦
طه	٢٠	﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ﴾	٩٦	٣٧٧
طه	٢٠	﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾	٨٨	٣٧٩
طه	٢٠	﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	١٤	٧٦٣
طه	٢٠	﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾	٣٩	١١٩٤
الأنبياء	٢١	﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾	١	١١٠٢-١٠٦٤
الأنبياء	٢١	﴿ وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾	٩١	٧٧

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الأنبياء	٢١	﴿ ٱلَّتِىٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾	٩١	٢١٤
الأنبياء	٢١	﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِى بَٰرَكۡنَا فِيهَا ﴾	٧١	٣٦٦
الأنبياء	٢١	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾	١٠١	٨٢٤
الأنبياء	٢١	ثُم نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾	٦٥	٨٤٧
الأنبياء	٢١	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ﴾	٥١	١٠٣٦
الحج	٢٢	﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾	٢٦	٨٧٠-١١٩١
الحج	٢٢	﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٦٥	٦٣١٦٣٧
الحج	٢٢	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	١٤	٨٦٦
الحج	٢٢	﴿ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا ﴾	٣٦	٨٨٩
الحج	٢٢	﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِى ﴾	١٨	١٢٠٧
المؤمنون	٢٣	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾	٥	٢٢٥
المؤمنون	٢٣	﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾	٦	٢٢٤
المؤمنون	٢٣	﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾	٧	٢٢٥
المؤمنون	٢٣	﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ ﴾	٤١	٩٠١
النور	٢٤	﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ ﴾	٢٤	١٢٩٥-١٣٢٩
النور	٢٤	﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ﴾	٢	١٩٦-١٩٩-٩٠٩
النور	٢٤	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ﴾	٢٣	٢٠٤
النور	٢٤	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ﴾	٥٥	٣٦٣
النور	٢٤	﴿ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ ﴾	٣١	٥٢٦
النور	٢٤	﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾	١٦	٩٢٦

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
النور	٢٤	﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ ﴾	٥٩	٩١٧
النور	٢٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ﴾	٢٧	٩١٨-٩٣٠
النور	٢٤	﴿ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾	٤١	١٠٠٦
النور	٢٤	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم ﴾	٢٦	٩٩٢
الفرقان	٢٥	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾	٦٣	٤١٧
الفرقان	٢٥	﴿ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾	٧٠	٦٧٣
الفرقان	٢٥	﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾	٥٧	١١٥٣
الفرقان	٢٥	﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ ﴾	٢٣	١٣٢٥
الشعراء	٢٦	﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ﴾	٣٥	٣٥٨
الشعراء	٢٦	﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾	٣٦	٣٦٠
الشعراء	٢٦	﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ﴾	٢١٦	٤٨٨
الشعراء	٢٦	﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٨٦	٨١٠
الشعراء	٢٦	﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾	٦٢	١٠٤٤
الشعراء	٢٦	﴿ رَبِّ هَبْ لِى ﴾	٨٣	١٠٤٤
النمل	٢٧	﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾	١٩	١١٣١
النمل	٢٧	﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾	٨٧	١٢٥٩
القصص	٢٨	﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ ﴾	١٩	٩٤٧
القصص	٢٨	﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾	٢٠	١٠٧١
العنكبوت	٢٩	﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ ﴾	٦٤	٧٢٩
لقمان	٣١	﴿ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى ﴾	١٦	١٤٦

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
لقمان	٣١	﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾	١٠	٦٣٠
لقمان	٣١	﴿ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾	١٩	١٢٥٦
السجدة	٣٢	﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ ﴾	١٢	٦٧٤
السجدة	٣٢	﴿ وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾	١٣	١١٣٧
الأحزاب	٣٣	﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٤٧	٤٩٥
الأحزاب	٣٣	﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ ﴾	٣٤	٩٧٣
الأحزاب	٣٣	﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبٗا ﴾	٦٣	١٠٦٧
الأحزاب	٣٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا ﴾	٤٥	١٢٩٠
سبأ	٣٤	﴿ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	٢٦٣-١٣٣١
سبأ	٣٤	﴿ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا ﴾	١٨	٣٦٦
سبأ	٣٤	﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ ﴾	٥١	٦٧٤
سبأ	٣٤	﴿ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡ ﴾	٤٧	١١٥٠
فاطر	٣٥	﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾	٢٤	٩٣٥
يس	٣٦	﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن ﴾	٨٢	٣٣٨
يس	٣٦	﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا ﴾	٣٨	٧٠٤
الصافات	٣٧	﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾	٥٥	٧٧٣
الصافات	٣٧	﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾	١٦٥	١٠٠٨
الصافات	٣٧	﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾	٢٥	١٠١٨
الصافات	٣٧	﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴾	٨٥	١٠٣٥
الصافات	٣٧	﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	٩٦	١٢٤٥

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
ص	٣٨	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٨٢	٥٦٨
ص	٣٨	﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	١٧	٧٣٧
ص	٣٨	﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾	١٦	١٠٥٢
ص	٣٨	﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ ﴾	٨٦	١١٥٠
الزمر	٣٩	﴿ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾	٦٨	٣٧١-١٢٥٩
الزمر	٣٩	﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٤٦	٧٠
الزمر	٣٩	﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ ﴾	٥	٣٤٣
الزمر	٣٩	﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	٧٢٣
الزمر	٣٩	﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾	٦٥	٩٦٧
الزمر	٣٩	﴿ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾	٦٩	١٠٦٢
الزمر	٣٩	﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ ﴾	١٨	١٠٩٥
غافر	٤٠	﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ﴾	٥١	٢٦١-٨٦٧
غافر	٤٠	﴿ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾	١٥	١٠٧٠
غافر	٤٠	﴿ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ﴾	١٦	١٠٧٠
غافر	٤٠	﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾	٢٦	١٠٧٣
غافر	٤٠	﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾	١٩	١٢٤٥
فصلت	٤١	﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾	٤٠	٥٤١-٧٧٠
فصلت	٤١	﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ ﴾	٣٦	٤٠٢
فصلت	٤١	﴿ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾	٣٠	٤٩٢
فصلت	٤١	﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ ﴾	٤٢	٦٨٣
فصلت	٤١	﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾	٤١	٦٨٥

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
فصلت	٤١	﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾	١١	٧٠٥
فصلت	٤١	﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ ﴾	٥٣	٧٠٥
فصلت	٤١	﴿ هُدٗى وَشِفَآءٞ ﴾	٤٤	١٠٨١
فصلت	٤١	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾	٣٠	١٢٥٧
الشورى	٤٢	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾	١٣	١٠٨٦
الشورى	٤٢	﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾	١٢	١٢٤٥
الشورى	٤٢	﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ ﴾	٣٠	١٣٢٤
الزخرف	٤٣	﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾	٤٤	٩٩٢
الزخرف	٤٣	﴿ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴾	٣٣	١٢٥٣
الدخان	٤٤	﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾	٤	١١٠٦-١١٧٨
الجاثية	٤٥	﴿ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ ﴾	٢٣	١٤٠
الجاثية	٤٥	﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗ ﴾	٢٨	٨١٨
محمد	٤٧	﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾	١٥	١٠٢٥
محمد	٤٧	﴿ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا ﴾	٣٧	١١٥٣
الفتح	٤٨	: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ ﴾	١٧	٢٠٢
الفتح	٤٨	﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ ﴾	٥	١١٥٦
الفتح	٤٨	﴿ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا ﴾	١٩	١١٥٥
ق	٥٠	﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾	٣٨	٣٣٩
الطور	٥٢	﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴾	٤٠	١١٥٠
الطور	٥٢	﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾	٣	١١٨٨
النجم	٥٣	﴿ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ۝٥٧ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٥٧-	١٠٦٧

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
القمر	٥٤	﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾	١	١٠٦٤-١١٠٢
الرحمن	٥٥	﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾	٧٤	١١٤٠
الرحمن	٥٥	﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾	٤٦	١١٤١
الرحمن	٥٥	﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٢٩	١١٩٩
الواقعة	٥٦	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴾	٥١	١٠٢٥
الواقعة	٥٦	﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾	٨٣	١٠٦٩
الواقعة	٥٦	﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾	٣٥	١٢١١
الحديد	٥٧	﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٢٩	١٢٨
الحديد	٥٧	﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ ﴾	٧	١٥٩
الحديد	٥٧	﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ ۚ ﴾	١٥	٢٠٧
المجادلة	٥٨	﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾	١٩	٧٦٣
الحشر	٥٩	﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾	٨	٤٧٩
الممتحنة	٦٠	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	٤	٨٠٨
الممتحنة	٦٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى ﴾	١	١٢٣١
الصف	٦١	﴿ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾	٤	١٠٠٧
الطلاق	٦٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ ﴾	١	٢٢١
الطلاق	٦٥	﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾	٢	١٢٥٦
التحريم	٦٦	﴿ ٥٢٣ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ ﴾	١٠	٥١٩
الملك	٦٧	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾	١٩	١٠٠٨
الملك	٦٧	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾	٨	١٠٢١
الملك	٦٧	﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾	٢٧	١٠٦٩

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الحاقة	٦٩	﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾	٤١	١٢٤٩
نوح	٧١	﴿ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾	١٧	٧٩٥
نوح	٧١	﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾	١٣	١١٢١
الجن	٧٢	﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾	٩	٦٩٢
الجن	٧٢	﴿ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾	٨	٦٩٤
المزمل	٧٣	﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾	١٨	٨٤٢
المدثر	٧٤	﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن ﴾	٥٥	١٢٨٢
المدثر	٧٤	﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴾	٣٤	١٢٩٦
المدثر	٧٤	﴿ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾	٣٣	١٣٠٠
القيامة	٧٥	﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾	١٦	٦٨٥
القيامة	٧٥	﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾	٢٦	١٠٦٩
الواقعة	٧٥	﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ ﴾	٨٣	١٠٧٠
القيامة	٧٥	﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾	٣	١٣٠٦
الإنسان	٧٦	﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾	٢٤	٢٩٠
الإنسان	٧٦	﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾	٢١	٨٢٧
الإنسان	٧٦	﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾	٢٩	١٢٨٠
النبأ	٧٨	﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾	٢٥	١٠٢٥
النبأ	٧٨	﴿ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًۢا ﴾	٤٠	١١٤٠
عبس	٨٠	﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾	١٢	١٢٨٠
التكوير	٨١	﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾	١٥-١٦	١١٧٤

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
التكوير	٨١	﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾	١	١٢٥٠
التكوير	٨١	﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾	٢٥	١٢٥٠
التكوير	٨١	﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩	١٢٤٩
التكوير	٨١	﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾	٢٨	١٢٨٠
التكوير	٨١	﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾	١٧	١٣٠٠
التكوير	٨١	﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾	١٤	١٣٠٨
الانفطار	٨٢	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾	١٠-١١	٥٦٢
الانفطار	٨٢	﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ ﴾	١	٨٤٢
المطففين	٨٣	﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ ﴾	٣	١٠٩٣
الفجر	٨٩	﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾	٢٣	١٣٠٦
البلد	٩٠	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن ﴾	٤-٥	١٣٠٦
الشمس	٩١	﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾	٨	١٢٩٨
الشمس	٩١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾	٩	١٢٨٩
العلق	٩٦	﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾	١٥	٥٧٠
العلق	٩٦	﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾	٦	١٣٠٦
القدر	٩٧	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾	١	٦٨٥-١١١٢
القدر	٩٧	﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّنْ ﴾	٤	١١١٥
القدر	٩٧	﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾	٥	١١١٥
العاديات	١٠٠	﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ ﴾	٨	١٣٢٩

السورة	رقمها	الآية	رقمها	الصفحة
الكوثر	١٠٨	﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾	٣	٥٢٥-١٢١٤
الكافرون	١٠٩	﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ ﴾	١-٣	٤٨٩
النصر	١١٠	﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾	١	١١٦٠
المسد	١١١	﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾	١	٥٢٣
الفلق	١١٣	﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾	٢	١٠٤٢
الناس	١١٤	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾	١-٤	٧٦٣

فهرس الأحاديث النبوية.

طرف الحديث	الصفحة
... أيام الله نعماؤه وبلاؤه	٦٥٥
أتتني امرأة بدرهم، وزوجها بعثه النبي ﷺ في بعث	٥٣٦
أتتني امرأة تبتاع تمراً، فقلت: إن في البيت تمراً أطيب منه،	٥٣٦
اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها	٨٢٤
أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت	٣٣٣
إذا كان يوم القيامة يدعى برجل جمع القرآن،	٥٠٧
إذا نعِس أحدكم وهو يصلي فليرقُد حتى يذهب عنه النوم	٢٣٥
استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم".	١٢٧٢
اسق ثم أرسل إلى جارك،	١٦٧
اطلبني عند الحوض	٣١١
ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات	١٦١
أما إن ربك يحب الحمد	٩٤٢
أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس	٤١٢
آمن شعره وكفر قلبه".	٤٠٣
إن ارتفاعها لكَما بين السماء والأرض،	١٢١٠
أن الجذع حنّ إليه حتى نزل إليه فاحتضنه فسكت	٧٠٧
أن الجذع حنّ إليه حتى نزل إليه فاحتضنه فسكت	٧٤٠
أن الذي تولى كِبره: عبد الله بن أبيّ	٩١٦
أن الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا	٤٩٥
إن الله بعث محمداً بالحق وانزل عليه الكتاب	١٩١
إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا	١١١٤

إن الله يصنع كل صانع وصنعته	١٠٣٨
طرف الحديث	**الصفحة**
إن الله ينشئ السحاب، فينطق أحسن المنطق.	٦٤١
أن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له: اركبها	٨٨٥
أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله! أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثها بَعَثها	٧٨٦
أَنَّ النبي ﷺ قال: يا جِبْرِيلُ! ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا	٨١٤
إِنَّ أَوَّلَ ما يُسْأَلُ عنه يوم الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ من النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ له أَلَمْ	١٣٣٦
إن جبريل نزل على النبي ﷺفقال له النبي ﷺ: (ما هذا يا جبريل)	٤١٦
أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة	٥٣٥
أن رجلاً أقام سلعة له في السوق،	٨٧
أَنَّ رَجُلاً من الأَعْرَابِ أتى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْشُدُكَ اللَّهَ	٩١٠
أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير وقطع،	١٢٢٦
أن رسول الله ﷺ قال: "ارتفاعها كما بين السماء والأرض،	١٢٠٩
أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية	١٢٣٤
أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر	٢١٣
أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال	١٢٤٠
أن صفوان بن أمية بعثه بِلَبن وجِدّايَةٍ	٩١٨
إن عجزتم عن الليل أن تُكابدوه، وعن العدو أن تُجاهدوه، فلا تعجزوا	٧٨٠
إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي، قال: "إلى أقربهما منك بابا	٢٣٠
إنكن أكثر أهل النار	٥٨٦
إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه لم يظهر عليه جبار	٨٧٩
إنما يرثني كلالة	١٨٢

أنه اثنا عشر ألف أوقية	٥٢
أنه ألفٌ ومائتا أوقية	٥١
طرف الحديث	**الصفحة**
أنه ألف ومائتا دينار	٥٢
أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مائة	٩١١
أنه ملك موكّل بالسحاب	٦٣٩
أنه يستعيذ منه فيقول له مالهُ: لِمَ تستعذ مني؟	١٤٦
أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله".	٧٨٠
أنهم قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم	٣٢٧
إني لأعرفُ حجراً كان يُسلِّم عليّ بمكة	٧٠٤
إني لأعرفُ حجراً كان يُسلِّم عليّ بمكة قبل أن أُبعث	٧٤٠
أول ما خلق الله القلم"	٥٠٢
أين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على الصراط	٦٦٤
بُعثتُ أنا والساعةُ كهاتين	١١٠٨
البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة	٩٠٩
بينما النبي ﷺ جالس في نفر من أصحابه من الأنصار، إذ رمي بنجم	٦٩٢
تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة	١٢٢٣
تقول النار للمؤمن يوم القيامة:	٨٢٤
تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار	٦٦٤
ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفاً	١١٩٠
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: عن أخي استطلقَ بطنه فقال: اسقه	٧١٢
جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا	٣١٦
جنبوا مساجدكم الصبيان والمجانين	٢٣٣

الجيران ثلاثة؛ جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقاً، وجار له حقان	٢٢٩
حُبُّ الدُّنْيَا رَأسُ كُلِّ خَطيئَةٍ	١٠٥٤
خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً	١٨٩
طرف الحديث	**الصفحة**
خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود	٩٧١
خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: "ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة	١٣٣١
دَخَلْتُ على النبي ﷺ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ من بَنِي تَمِيمٍ	٥٠٣
دخلت مسجد رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت: أخبرني عن شاهد	١٢٩٠
رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها	١٦٠
رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه	١٦١
الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب،	٦٤٠
سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ قال: مستقرها تحت العرش	٩٩٧
سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم	١٠٢٦
سمعت رسول الله ﷺ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون	١٢٠١
شَكَوْنَا إلى رسول اللَّهِ ﷺ، وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له	٤٢٧
صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر	٢٣٤
الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة	٢٤٧
عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ قال: بالسيف	١٠٥٢
غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض	٢٥٣

قال أُنَاسٌ يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ؟	١٢٦٨
قال رسول اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ عليه السلام:" ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا؟ فَنَزَلَتْ	٨١٤
قال يا رسول الله: أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان	١٣٣١
قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً فما لنا؟	١١٥٣
طرف الحديث	**الصفحة**
قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك	١١٥٨
قام فِينَا النبي ﷺ يوماً، فذكر الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُ	١٣٤
قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه	٧٣٢
قدمت قتيلة بنت العزي على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق	١٢٣٠
قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر	٢٢٣
قيل لرسول الله ﷺ إنك تحب القرع، قال: أجل هي شجرة أخي يونس	١٠٤٧
كان بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ من الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي	٨٣
كان بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ من الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي	٨٦
كان مَثَلُ أخيك كمثل الذي آتاه الله آيته فانسلخ منها	٤٠٦
كان مَرْوَانُ على الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ، فَخَطَبَ، فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بن مُعَاوِيَةَ	١١٣٣
كانت النجوم لا يرمي بها، فلما بُعث النبي ﷺ كان أحدهم لا يقعد مقعده إلا رُمي بشهاب	٦٩١
كتب معاوية إلى مروان ليبايع الناس ليزيد، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقلية	١١٣٣
كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر	٩٤٢
كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً،	٧٣٩

كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس	٧٠٧
كيف نقع على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن	٢٠٦
لا تزول قدماً ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه	١٠٢٠
لا يصلين أحدكم وهو حاقن	٢٣٦
لقد نزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً	١١٥٣
طرف الحديث	**الصفحة**
لكل غادر لواء يوم القيامة	١٣٦
لم يبق من النبوة إلا المبشرات.	٤٩٣
لم يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إلا ثَلَاثَةٌ	٧٤
لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يُرابط فيه،	١٦٣
لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكر	٩٦٠
لما قرأ رسول الله ﷺ على أصحابه سورة الرحمن حتى فرغ، قال: مالي أراكم سكوتاً؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً،	١٢٠٠
لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب	٤٤١
لَمَّا كانت اللَّيْلَةُ التي أُسْرِىَ بي	٧٤
لما نزلت: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً،	٢٥٣
اللهم أيُنا كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة	٤٢٩
اللهم قنعني بما رزقني وبارك لي فيه	٧٢٨
اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً	٩٧٢
ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس	٤١٦
ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا عبد الله بن سلام	١١٢٤

ما من مسلم يردّ عن عرض أخيه، إلا كان حقاً على الله	٩٥٥
ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد فيدخل النار إلا تحلّة	٨٢٤
ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عند النبي ﷺ	١٦٧
ما نزلت سورة النساء	١٦٨
ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً،	٤١٤
ما وضع في الميزان شيءٌ أثقل من حسن الخلق".	٣١٠
مَن آتاه مالاً فلم يُؤدِّ زكاته مُثِّل له ماله شجاعاً أقرع	١٤٦
طرف الحديث	**الصفحة**
من اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ	٨٤
من اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ	٨٦
من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم	٨٦
من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر،	١٦٣
من سُئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجامٍ	١٥٣
من شاء لا عنته، ما نزلت ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ ﴾ إلا بعد آية المتوفَّى عنها زوجُها،	١٢٤١
من فَارَقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ وهو بريء من ثَلاَثٍ دخل الْجَنَّةَ	١٣٥
مَن قُتِلَ لَهُ قَتيلٌ، فهو بِخَيْرِ النَّظرينِ: إمَّا أن يُقتلَ، وإمَّا أن يُفْدَى	٧٣٥
من نسي صلاة فلْيُصَلِّها إذا ذكرها	٧٦٤
من يعمل سُوءاً يُجز به في الدنيا	٢٥٤
نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة	٨٩١
نحن نعد الفتح بيعة الرضوان	١١٥٢
نزلت هذه الآية فينا	٩٢
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة	١٣٣٦
هجر النبي ﷺ نساءه فلم يدخل عليهن شهراً	٢٢٢

هذا من النعيم الذي تُسألون عنه	١٣٣٥
هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة	٩٩٣
هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له	٤٩٢
واغد يا أنيس إلى امرأة هذا	١٩٤
وأهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد: أليس نساؤه من أهل بيته؟	٩٧٢
الوَلَدُ لِلْفرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ".	١٢١٠
ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث،	١٠٢٦
طرف الحديث	**الصفحة**
ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل. وسأل عثمان بن عفان قباث	١٣٤٠
يا رسول الله أصبت منها ما دون أن أمسها	٥٣٥
يا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا	٤٤٣
يا رسول الله! الرجل يعمل لآخرته ويحبه الناس	٤٩٣
يا علي! ألا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتهن؟	٦٧٩
يأيها الناس! إني قد كنت أذنتُ لكم في الاستمتاع من النساء	٢١٣
يبسطها ويمدّها مد الأديم"	٦٦٥
يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقُرْصَة نقي	٦٦٤
يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار	٣٢١
يُصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة،	٣٠٦
يقول الله عز وجل: ثلاثٌ لا أسأل عبدي عن شكرهن، وأساله عما سوى ذلك	١٣٣٥
اليوم الموعود: يوم القيامة، والشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة".	١٢٩٠

فهرس الآثار

الأثر	الصفحة
﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ نسختها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ﴾	٢١٤
﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ قال ابن عباس وقتادة: كان أعمى	٥٣٠
﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ قال الضحاك: بأمرنا.	١١٩٢
﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ : النفاق.	١٩٨
﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ قال ابن عباس: يريد: الشرك	١٩٨
الأبُّ ما أنبتت الأرض، مما لا يأكل الناس	١٢٧٨
أبطا الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال: لعلّي أبطات	٨١٤
أجاب الله تعالى دعاء أبي بكر ﷺ فأعتق تسعة من المؤمنين	١١٣١
الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا	٨٧٥
اجعلوا سجودكم لله خالصاً دون ما سواه من الآلهة	٣١٣
أحياهم الله له بأعيانهم وآتاه مثلهم في الدنيا	٨٥٩
أخذ المشركون بأستار الكعبة قبل خروجهم على بدر	٤٢٦
أخوة يوسف أسروا شأنه، وكتموا أن يكون أخاهم	٥٥٣
أدركنا الذين سألوا رسول الله ﷺ الحملان فقالوا: ما سألناه	٤٧١
آدم عليه السلام.	١٣٠٣
إذا دخل أهل الجنة قالوا: ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار؟	٨٢٥
إذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن: عودوا تراباً، فيعودون تراباً،	١١٤٠
إذا كانت السنة في ليلة كانت العام المقبل في ليلة أُخرى	١٣٢١
إذا يسري مقبلاً.	١٣٠١
أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله	٨٦١
أصحاب الأعراف رجال صالحون	٣٢٦

الأثر	الصفحة
أقبل تُبَّع يريد هدم البيت،	٨٧٩
ألف مثقال ذهب أو فضة	٥٥
أمد الله المسلمين بخمسة آلاف من الملائكة	١٠٠
أمد الله المسلمين يوم بدر بألف، ثم زادهم فصاروا ثلاثة آلاف	١٠٠
أمدّهم الله بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف	٩٨
أمره بهذا، ثم نسخه فأمره بجهادهم	٤٨٩
الأمن والصحة.	١٣٣٤
أمنسوخة﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ﴾ قال: لا والله	٩٢٩
أن أبا بكر سئل عن قوله:" وفاكهة وأبّاً" فقال: أيّ سماء تظلني.	١٢٧٩
إن إخوة يوسف لما طرحوا يوسف في الجب ورجعوا،	٥٥٩
أن الأبُّ: الثمار الرطبة	١٢٧٧
أن الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد بأطول الأجلين.	١٢٤٠
أن الرعد ملّكٌ يسوق السحاب	٦٣٩
أن الشاهد: هو الله تعالى،والمشهود: يوم القيامة.	١٢٩١
إن الشهب لا تقتل؛ ولكن تحرق وتخبل وتجرح،	٦٨٩
أن الفيل كان قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة.	١٣٣٩
أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب	١٩٤
أن الله تعالى بعث ملكاً، فكتب في وجه المرأة	٥٦٧
إن الله تعالى عدهم، حتى انتهى إلى السبعة،	٧٥٩
إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم	٩٣٢
أن المراد بشهادة الجلود: شهادة الفروج،	١٠٧٤
أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد	٩٩
أن النبي ﷺ سأل جبريل عن هذه الآية، فقال: لا أدري حتى	٤١٣

أسأل	
الأثر	**الصفحة**
إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوها،	٣٢١
إن بعض المهاجرين وقعوا في قطع النخيل ونهاهم بعضهم	١٢٢٦
أن خولة بنت ثعلبة مر بها عمر بن الخطاب ﷺ في خلافته	١٢٢٢
إن شاء قتل، وإن شاء عفى، وإن شاء أخذ الدية	٧٣٣
أن عمر غرب ربيعة بن أمية بن خلف في الخمر إلى خيبر فلحق	٩١١
إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بألسنتها	٢٦٣
إن مريم تكلمت في صباها كما تكلم المسيح	٧٣
أن مقدار كل يوم من الستة: ألف سنة	٣٣٢
أن موسى -عليه السلام- لما قصد حرب الجبارين	٤٠١
أن ناساً يقولون نسخت، والله ما نسخت؛ ولكنها مما تهاون به	٩٣٠
أنزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ:	٩٧٣
أنزله الله وحفظه من أن يزيد الشيطان فيه باطلاً أو يسقط منه	٦٨٤
إنما عوقب بذلك؛ لأن الملائكة شافهته بذلك مشافهة	٨٠
إنما نزلت في أهل الكتاب وبخلهم ببيان ما علمهم الله من أمر	١٥٠
أنه اثنا عشر ألف درهم	٥٤
أنه ألف ومئتا دينار	٥٤
أنه سبعون ألف دينار	٥٤
أنه سئل عن ليلة القدر: أفي كل رمضان هي؟ قال: نعم	١٣٢١
أنه كان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم،	١١٨٧
أنه لما صعد الصفا جعل يهتف ببطون قريش كلها قائلاً: يابني فلان	٤٤٢
أنه من مدينة الجبارين، من الكنعانيين	٤٠١

الأثر	الصفحة
أنها الصلوات الخمس.	٧٨٠
أنها الكلام الطيب.	٧٨٠
أنها جميع أعمال الحسنات.	٧٨٠
أنها نزلت في الأحبار الذين كتموا صفة النبي ﷺ	١٤٦
أنها نزلت في عبد الله بن أُبَيّ بن سلول حين رمى	٢٥٠
أنهم أولاد الزنا	٣٢٥
إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين	٣١٩
أول شيء خلق العرش.	٥٠٢
أول من جهر بالقرآن بـ" مكة" بعد النبي ﷺ ابن مسعود،	١٢٠٠
أي ما كان عليك من إثم الجاهلية وما تأخر مما يكون	١١٥٩
أيامه: نِعَمه	٦٥٤
الآية في نبي من الأنبياء بعثه الله	٤٠٩
أيسبِّحُ هذا الخوان؟ فقال: قد كان مرة يسبح	٧٣٨
بُعث نوح لأربعين سنة، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً	٩٥٢
بوقائعه في الأمم	٦٥٣
بيِّنة من الله عز وجل أنزلها، يطلبُها ولِيُّ المقتول، العقل، أو القود	٧٣٤
تبدل الأرض بأرض بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطيئة	٦٦٣
تبدل بأرض من فضة	٦٦٣
تبدل بخبزة بيضاء، فيأكل المؤمن من تحت قدميه	٦٦٣
تبدل ناراً	٦٦٣
تبديلها اختلاف أحوالها، فمرةً كالمهل ومرةً كالدِّهان	٦٦٤
تبديلها تكور شمسها وتناثر نجومها	٦٦٣

الأثر	الصفحة
تبديلها طيِّها كطي السجل للكتاب	٦٦٤
تجري لوقت واحد لا تعدوه	٩٩٦
تجعل من ذهب	٦٦٣
تصعد الشياطين أفواجاً تسترق السمع، قال: فينفرد المارد منها	٦٨٩
تصير السماوات جناناً ويصير مكان البحر النار	٦٦٨
تصير جناناً	٦٦٣
تنظر إلى الله لا تُحجب عنه.	١٢٦٧
تنظر إلى ربها معاينة	١٢٦٧
تنظر إلى ربها نظراً	١٢٦٨
تهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها	٢٢١
توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكِفَّتان	٣٠٧
ثلاث آيات من القرآن قد ترك الناس العمل بهن،	٩٣١
ثمانون ألف درهم، أو مائة رطل من الذهب	٥٤
ثمانية آلاف مثقال	٥٥
ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم.	١١٣٨
جعل يكلّم الناس بيده	٧٦
جعلنا لوليه سلطاناً ينصره وينصفه في حقه	٧٣٣
الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون	١١٣٨
حتى لا يبقى أحد من المشركين.	١١٤٥
حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام.	١١٤٥
حتى يخرج المسيح عليه السلام.	١١٤٥
حدث المسلمون يوم بدر أن كُرز بن جابر المحاربيَّ يمد المشركين	١٠٩
حديدٌ شاخصٌ لا يطرُف	١١٦٨

الحسنة: لا إله إلا الله، و"السيئة": الشرك	٢٩٢
الحمّى حظ كل مؤمن من النار	٨٢٥
خواره: حفيف الريح فيه	٣٧٣
الأثر	**الصفحة**
خوفهم عذابه وعقوبته ونقمته	٥٠٠
ذكر الله أهل بيتين صالحين، ورجلين صالحين	٦٩
ذكر لنا والله أعلم أنه عوقب؛ لأن الملائكة شافهته	٨٠
ذي الفضائل العالية.	١٢٥١
رأى جبريل صورة يعقوب عاضّاً على أصبعه،	٥٦٢
رأى رسول الله ﷺ ليلة المعراج جبريل عليه السلام	٩٨٤
رأى صورة يعقوب، فقال: يا يوسف، تعمل عمل الفجار	٥٦٥
ربا لسانه في فيه حتى ملأه ثم أطلقه الله	٧٩
سابقنا أهل جهادنا، ومقتصدنا أهل حضرنا، وظالمنا أهل بدونا.	٩٩٢
سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له	٩٩٢
سأل ربه أن يُريه الميزان، فلما رآه غشي عليه	٣٠٧
سألت ابن عباس رضي الله عنه عن المتعة: أسفاح هي أم نكاح؟ قال	٢١٦
سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	٦٢٣
الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: جميع الأمم.	١٢٩١
الشاهد: هو الله تعالى، والمشهود: بنو آدم.	١٢٩١
الشجرة تُسبِّح، والأسطوانة تُسبِّح.	٧٣٨
شهادة أن لا إله إلا الله،	١٠٣٤
شهيداً على نفسه أنه يظهر دينك.	١١٦٥

صاحب الميزان يوم القيامة جبريل، فيقول له ربه: زِن بينهم	٣٠٧
الصادقين: مع علي وأصحابه	٤٧٧
الصحة والفراغ.	١٣٣٤
ضعيفاً: مهيناً ذليلاً	٥٣٠
الضمير في "وإنه" للقرآن.	١١٠٦
الأثر	**الصفحة**
الظالم لنفسه": الذي ترجَّحَت سيئاته على حسناته	٩٩٢
عاهدوا الله قبل الخندق وبعد بدر حين سمعوا ما أعطى الله تعالى	٩٦٢
علمت أن التقي ذو نهية	٨٠٧
على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح	٥٠٣
عن عائشة: أن ذلك خطأ من الكاتب	٢٦٣
عن علي ﷺ قال بينا أنا أمتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة	١١٠
عن كلِّ شيءٍ من لذة الدنيا	١٣٣٦
الغداء والعشاء.	١٣٣٦
الفجر قسمٌ أقسم الله به	١٢٩٨
فخرج حافياً حاسراً يعدو، ومعه سبعةُ أرغفةٍ لم يستوف أكلها	٦٢٠
الفقه والعقل، والإصابة في القول في غير نبوة	٩٦٠
فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة؟	٣٩٢
فما ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ ؟ قال: هي الملائكة	١١٧٢
فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من كافر يرى ثوابه في نفسه وأهله	١٣٢٤
في العسل شفاء من كل داء	٧١٢
في ليلة النصف من شعبان	١١١٢
فينا أهل بدر نزلت	٣٢٠

قاتلهم الله إني ما أفتيت بإباحتها على الإطلاق	٢١٦
قال أبو جهل يوم بدر قبل القتال:	٤٢٥
قال رجل للحسين وأنا أسمع: أرأيت ليلة القدر أفي كل رمضان	١٣٢١
قال قتادة: يسارقون النظر.	١٠٩٩
قال: أهله بأعيانهم	٨٦٠
قال: هي مكة ونزول إسماعيل بها	٨٥٤
الأثر	**الصفحة**
قال: يُشفّعون في إخوانهم	١٠٩٦
قامت إلى صنم لها في البيت فسترته بثوب،	٥٦٥
قد علم الله أن في بني هاشمٍ الفقراء، فجعل لهم الخمس	٤٤٢
قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس	٤١٦
قرابة رسول الله ﷺ وهم الذين لا تحل لهم الصدقة	٤٤٤
قطعوا نخلة، وأحرقوا نخلة.	١٢٢٧
قطعوا وأحرقوا ست نخلات.	١٢٢٧
قلت لأبي هريرة زعموا أنّ ليلة القدر قد رفعتْ قال: كذب	١٣٢١
كان أبو بكر رضي الله عنه يأكل مع النبيﷺ، فنزلت هذه الآية	١٣٢٤
كان أخاه لأبيه وأمه،	٣٧٨
كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي	١٢٢١
كان العجل إذا خار سجدوا	٣٧٣
كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية والأمارة بعد مشافهة	٧٦
كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم	٤٤٧
كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين	١٢٧١
كان رسول الله ﷺ يُؤتى بالغنيمة، فيقسمها على خمسة،	٤٣٨
كان يفتي بإباحتها،	٢١٢

كان يمسح سوقها وأعناقها ويكشف الغبار	١٠٥١
كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات، فلما ولد عيسى منعت	٦٩٢
كانت الصدقة حلالاً للأنبياء عليهم السلام	٦٠٨
كانت امرأتُه ولدت له سبع بنين وسبع بنات	٨٥٩
كانوا ثمانية،	٧٥٩
كانوا خمسة وعشرين صفّاً، كل ألف ساحر صف	٨٣٣
الأثر	**الصفحة**
كسف عراقيبها وقطع أعناقها	١٠٥٠
كُلُّ شيء يسبح بحمده، حتى الثوب والطعام وصرير الباب	٧٣٧
كل هذا قد عرفنا فما الأبُّ؟ ثم رفض عصاً كانت بيده	١٢٧٩
الكلالة كل من لم يرثه أب أو ابن أو أخ فهو عند العرب كلالة	١٨٥
كلهم من أهل الجنة، السابق مضى على عهد رسول الله ﷺ	٩٩٢
كلهم من هذه الأمة	٩٩٢
كم من جبَّار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى	٨٧٩
كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة؛ لأنهم أيقنوا	١٢٣٧
كما يئس الكفار مِن بعث مَن في القبور	١٢٣٧
كنا نقول: نحن هم، فأبى علينا قومنا وقالوا: قريش كلها ذوو قربى	٤٤٠
كنت أرى أن الكلالة: مَن لا ولد له، وأنا أستحي أن أخالف	١٧٩
كنتُ جالساً مع أبي ذرّ عند خُمرة الوسطى فسُئل عن ليلة القدر	١٣٢١
كي توقنون بالبعث، وتعلمون أنه لا إله غيري.	٦٣٤
كيف لا يحزن المؤمن وقد حُدّث عن الله أنه وارد جهنم	٨٢٤
لا تسمعوهما الأذى بعد التوبة أن الله كان تواباً رحيماً،	١٩٢

لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت	١٩٠
لا يبالون نعم الله، أو نقم الله	١١٢٠
لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع.	١٣١٣
لا يخاف الله من أحد تَبعَةً في إهلاكهم.	١٣١١
لا يخشون مثل عذاب الأمم الخالية	١١٢٠
لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه	١١٢١
لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة، ودعاهم ثلاثمائة سنة	٩٥٢
لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره	٧٢١
الأثر	**الصفحة**
لقد كنت في غفلة عن الرسالة والوحي،	١١٦٨
لكم في هذه الهدايا منافع بعد ايجابها،	٨٨٨
لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يُرابط فيه	١٦١
لم يكن للقوم ستور ولا حجاب فكان الخدم والولائد يدخلون	٩٣٢
لم يكن مؤمن غيره وغير امرأة فرعون	١٠٧٠
لما أخبرهم عز وجل على لسان نبيه ما لقي به شهداء بدر من	١١٤
لما جمع الله بين يوسف ويعقوب،	٥٨٨
لما رأت جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد	٨٠٧
لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله تعالى أن يؤذن	٨٧٠
لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا	١٢٣٤
لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ :"كيف يا رب؟	٤١٤
الله سمّاكم المسلمين من قبل نزول القرآن في الكتب السالفة	٨٩٤
اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة،	٢١٢
لو نعلم أنا واجدون معكم قتالاً، لو نعلم مكان قتالٍ لاتبعناكم	١٤٢

ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي	٨٢٤
ليت شعري ما فُعل بهؤلاء الذين قالوا:	٣٩٠
ليس الذي تذهبون إليه، إنما هو في أزواج النبي ﷺ خاصة	٩٧٣
ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق	٤١٤
ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار،	١١٤٠
ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا	١٣٢٤
ما بشر الله به في كتابه من جنته	٤٩٣
ما تقدم: ممّا عملت في الجاهلية، وما تأخر: كل شيء لم تعمله.	١١٥٩
ما زجر الله عنه في القرآن	١٠١٠
الأثر	**الصفحة**
ما سألوه الدواب ما سألوه إلا النعال	٤٧١
ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية	١١٥٢
ما نزل من الكتب قبل القرآن	٦٧١
المرادُ اليهود والنَّصارى	٥١٠
المراد بالنجم: نجوم السماء.	١٢٠٦
المراد به الزكاة المفروضة، فإن لم يتهم بترك أداء الزكاة فالأولى	٦٤٩
مستقرها أبعد منازلها في الغروب	٩٩٦
المقسمات: السحاب يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد.	١١٧١
مِلء مسك ثورٍ	٥٢
الملاحة في العينين	٩٨٤
من المدينة إلى بدر	٤٢١
من بعد ما أسلم الناس.	١٠٩٠
من ثواب الآخرة حين تبين لهم عملهن وعاينوا النار	١٢٣٨
من شاء الله فليؤمن، ومن شاء الله فليكفر	٧٧٠

من طرف خفي": أي: ذليل	١٠٩٩
من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا	١٢٣٨
من يُقِم الحول كلّه يصبْها	١٣٢١
المودة لآل محمد ﷺ	١٠٩٣
الناس رجلان: مؤمن وجاهل، فأما المؤمن	٤١٣
نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى، ولم ينزل بعدها آية	٢١٥
نزلت سورة الرحمن بمكة	١٢٠٠
نزلت سورة النساء بالمدينة	١٦٩
نزلت في أبي بكر الصديق، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ	١١٢٩
الأثر	**الصفحة**
نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمدﷺ ونبوته	١٥٠
نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف	١٣٠٣
نزلت في الذين كتموا صفة النبي ﷺ من اليهود	٨٤
نزلت في المرائين بأعمالهم	٥٠٦
نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت وهبت نفسها	٩٧٨
نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لآبائهم	١١٣٤
نزلت في زينب بنت جحش وأخيها عبد الله، وكانا ابني عمة	٩٧٧
نزلت في سعد بن أبي وقاص.	١١٣٠
نزلت في عبد الله بن أبي بكر الصديق	١١٣٣
نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي -ﷺ- إلى الإسلام،	٨٦٥
نزلت في مانعي الزكاة	١٤٦
نزلت في نفر من أسد وغطفان	٨٦٣
نزلت هذه الآية في عليٍّ، وأبي بكر،	٣٢٠
نسختها الآية التي في بني إسرائيل	٥١٣

نسختها الحدود	١٩٣
هذه الآية نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً.	١١٣٠
هل للجن ثواب؟ قال: نعم،	١١٤٠
هلكت الفرقتان ونجت النَّاهية،	٣٩١
هم أربعة: جبريل وهو صاحب الوحي والغلظة	١١٧١
هم المطعمون يوم بدر.	١١٤٢
هم أهل العقبة، وكانوا سبعين رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ	٩٦٢
هم سبعة نفر	٧٥٩
هو المال الكثير بعضه على بعض	٥٣
الأثر	**الصفحة**
هو أن يأكل حلالاً ويلبس حلالاً	٧٢٨
هو خاص بالكفار.	١٣٣٠
هو رجل كان في بني إسرائيل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له	٤٠٤
هو رجل من بني إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون	١٠٧٢
هو على سمت البيت الحرام، حتى لو سقط لسقط عليه	١١٨٧
هو عمران بن مايان وليس هو بعمران أبو موسى وبينهما ألف	٦٩
هو كل نبت ليس له ساق.	١٢٠٦
هي الأعمال الصالحة، لا إله إلا الله، استغفر الله،	٧٨٠
هي المراقي إلى السماء	١٢٥٢
هي محكمة وليست بمنسوخة، ولكنها مما تهاون الناس بها.	١٧٢
والله ما أنذرَ الخلائق بشيءٍ أدهى منها	١٢٦٢
والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاء الله لها	١٢٨١
والله ما نزلت في عبد الله بن سلام؛ لأن آل حم نزلت بمكة،	١١٢٥

والله ما نُسخت، ولكنها مما تهاون به الناس	١٧٢
وذلك أنهم غابوا من بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة	٩٦٣
وذلك حين ينظر على لسان الميزان حين توزن حسناته وسيئاته	١١٦٨
وساق لها عشرة دنانير وستين درهماً، وخماراً وملحفة، ودرعاً وإزارا	٩٧٧
وقف علينا سائل من بني بكر فقال: من ينصُرُني نصره الله	٨٦٤
وقولوا لهن هجرا من القول	٢٢٢
وكفى بالله شهيداً أن محمداً ﷺ رسول الله.	١١٦٥
وهو الذي مات على كبيرة لم يتب منها.	٩٩٢
يا خال أخبرني عن قصتكم يوم أحد	٩٣
الأثر	**الصفحة**
يا معشر الأنصار! إن الله يقول	٤٧٧
يُتلى فيها كتابه	٩٢٢
يحرق ويجرح ويخبل ولا يقتل	٦٨٨
يريد مشركي قريش أهل مكة،	١١٤٢
يريد يكون ذلك في ستر وكتمان	٧٥١
يريد: الصلوات الخمس والزكاة.	٦٤٩
يريد: الملائكة صفوفاً صفوفاً، لا يعرف كل مَلَك منهم	١٠٠٧
يريد: النشوز وسوء الخلق	٩٦٦
يريد: النضر بن الحارث وجداله في القرآن	٧٨٥
يريد: إلى الله ناظرة.	١٢٦٧
يريد: جميع ما خلق من الجن والإنس.	١٣٠٧
يريد: حقاً أنهم في الآخرة هم الأخسرون	٥١٦
يريد: قطع الرؤوس والأعناق	١٠٥٠

يريد: وإن الله على كفره لشهيد	١٣٢٨
يشفعهم في إخوانهم	١٠٩٥
يعني محمدا ﷺ يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب	٩٣
يعني: أبا الأشدين، وهو رجل	١٣٠٣
يعني: قبل أن يسميها صاحبها هدياً	٨٨٥
يعني: لا تملك نفسٌ لنفسٍ كافرةٍ شيئاً.	١٢٨٤
يعود الضمير على الإنسان، فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه	١٣٢٧
يقول للكفار ما لشركائكم لا يمنعونكم من العذاب	١٠٢٠
ينظرون ببعض العين.	١٠٩٩

فهرس الأبيات الشعرية

بيت الشعر	الصفحة
..... وأكسبني مالاً وأكسبته أجرا	٥١٥
..... عيشي ولا تومي بأن تماتي	١٢٨
أبوك الذي أجدي عليَّ بنصره فانصب عنّي بعده كُلّ قائل	٨٦٤
إذا جاء ضيفٌ جاء للضيفِ ضيفَنٌ فأودى بما يُقرى الضيوفُ الضيافن	٥٢٦
إذا دخل الشهر الحرام فودِّعي بلاد تميم وانصُري أرض عامر	٨٦٤
أربّ يبول الثعلبا برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب	٤٨٦
أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد	١٠٦٦
ألا ابلغا عني على ذات بيننا لؤياً وخُصّا من لؤيٍّ بني كعب	٤٨٣
ألا رُبَّ مولودٍ وليس له أبٌ وذي ولدٍ لم يلدهُ أبوان	٦٧٨
ألا هيَّما ممَّا لقيتُ وهيّضما ووبحاً لمن لم يدر ما هُن ويحما	١١٧٧
إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم	٦٢٧
إن يوم الحساب يومُ عظيم شابَ فيه الصغيرُ يوماً ثقيلا	٤٠٣
أنكرتُ بعدك ما قد كنتُ أعرفهُ ما الناسُ بعدك يا مرداس بالناسِ	٦٦٣

إني وأسطار سطران سطرا	لقائل يا نصرَ نصرٍ نصرا	٨٦٧
باد هواكَ صبرتَ أم لم تصبرا جَرَى	وبُكاك إن لم يجر دمعكَ أو	٥٧٢
بيت الشعر		**الصفحة**
بأنا وجدنا في الكتاب محمّداً	نبياً كموسى خط في أول الكتب	٤٨٣
بجيش تضل البلق في حجراته	ترى الأكم فيه سجدا للحوافر	٧٠٦
بُنَيَّتِي يَا أَسْعَدَ الْبَنَاتِ	عِيشي ، وَلاَ نأمَنُ انْ تَمَاتِي	١٢٨
ترى جُثوتَينِ من تُرابٍ عليهما	صفائح صُمٌّ من صفيحٍ مُنضَّدِ	٨٢٠
تصدق علينا يا ابن عفان واحتسب لياليا	وأمر علينا الأشعري	٦١٠
تُعيّرني أمي رجالٌ ولا أرى	أخا كرمٍ إلا بأن يتكرّما	٤٠٥
تكلم في المهد النبي محمد	ويحيى وعيسى والخليل ومريم	٧٣
جريمةُ ناهضٍ في رأس نيق	ترى لعظام ما جمعت صليبا	٥١٦
حصانٌ رزانٌ ما تُزنّ بريبة الغوافل	وتُصبح غرثي من لُحوم	٩١٥
ربِّ إن تعف والمعافاة ظني	أو تعاقب فلم تعاقب بريّا	٤٠٣
رب غلام قد صرى في فقرته	ماء الشباب عنفوان سنبته	١١٨٢

رُبّما أوفيتُ في عَلَمٍ	ترفعن ثوبي شمالاتُ	٦٧٣
رُبّما تجزعُ النفوسُ من الأمر	له فُرجَةٌ كحلِّ العُقال	٦٧٣
عجوزٌ من بني حام بن نوح	كأن جبينها حجرُ المقام	١٠٢٥
عند ذي العرش تُعرضون عليه	يعلم الجهر والسرار الخفيا	٤٠٣
فألحقه بالهاديات ودونه	جواحرها في صرة لم تزيل	١١٨٢
بيت الشعر		**الصفحة**
فالسابق انصبه بفعل أضمرا	حتماً موافق لما قد أظهرا	٨٥٧
فإن تُمسِ مهجورَ الفناء فرُبما	أقام به بعد الوفود وفودُ	٦٧٩
فإن كان ما قد قيل عني قلته أناملي	فلا رفعت سوطي إليّ	٩١٥
فأنبت يقطينا عليه برحمة	من الله لولا الله ألفي ضاحيا	١٠٤٨
فانقضَّ كالدُّرِّي يتبعُهُ	نقعٌ يثورُ تخالُهُ طُنُبا	٦٩٢
فلما رأى الحجاج جرد سيفه	أسر الحروري الذي كان أضمرا	٨٣٩
فلما شراها فاضت العين عبرة	.....	٥٦٠
فلولا الريحُ أسمع أهل حجرٍ	صرير البيض يُقرعُ بالذكور	١١٨١
قنواء في حرتيها للبصير بها	عتق مبين وفي الخدين تسهيل	٨٨٢

كأنه كوكب في إثر عِفرِيةٍ	مسوَّمٌ في سواد الليل مُنقَضِب	٦٩٢
كلُّ عيش وإن تطاول دهراً	صائرُ مرةً إلى أن يزولا	٤٠٣
لا تعدمي الدهر شغار الجازر	للضيف والضيف أحق زائر	٥٢٧
لا يبعدن قومي الذين همُ	سمُّ العُداة وآفةُ الجُزر	٢٦٢
لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى	ونمت وما ليل المطى بنائم	١٣٠١
لك الحمدُ والنعماءُ والفضلُ ربنا	ولا شيء أعلى منك جداً وأمجد	٤٠٣
لم يمنع الشُّرب منها غير أن نطقت أوقالِ	حمامةٌ في غُصون ذاتِ	١١٧٥
بيت الشعر		**الصفحة**
ليتني كنتُ قبلُ ما قد بدا لي	في قلال الجبال أرعى الوعولا	٤٠٣
مليكٌ على عرشِ السماء مُهيمنٌ	لعزتِه تعنُو الوجوه وتسجدُ	٤٠٣
مهذبة قد طيب الله خيمها وباطل	وطهَّرها من كل شين	٩١٥
النازلين بكلِّ مُعتركٍ	والطيبون معاقد الأُزر	٢٦٣
نزلتم منزل الأضياف منّا	فعجلنا القرى أن تشتمونا	٥٢٨
نسب تتابع كابراً عن كابر	كالرمح أنبوباً على أنبوب	١٨٠
وأعددتُ للحرب أوزارها	رماحاً طِوالاً وخيلاً ذكوراً	١١٤٥

وإنّ الذي قد قيل ليس بلائطٍ ماحل	بها الدهر بل قولُ امرئ بي	٩١٥
وإن خفت يوماً أن يلجَّ بك الهوى	فإن الهوى يكفيكه مثلُه صبرا	٨٠٥
وأنّ عليه في العباد محبّة	ولا خير ممن خصّه الله بالحبِّ	٤٨٣
وإياك والميتات لا تقربنَّها فاعبدا	ولا تعبد الشيطان والله	٥٧٣
وأيام لنا غرر طوال	عصينا الملك فيها أن ندينا	٦٥٤
وتدَاعَى مِنخَراهُ بِدَمٍ	مثلَ ما أثمَرَ حُمَّاضُ الجبل	١١٧٥
وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى مُجِيبُ	فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ	١٠٩٨
وذاتُ حَليلٍ أنكحتها رِمَاحُنا	حلالٌ لَمِن يبني بها لم تُطلّق	٢٠٤
ورثتم قناة المجد، لا عن كلالة وهاشم	عن ابنَيْ مناف عبد شمس	١٨١

بيت الشعر		الصفحة
وشريتُ بُرداً ليتني	من بعد بُردٍ كنتُ هامه	٥٥٩
وصلِّ على حين العشيَّاتِ والضُّحى	ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا	٥٧٣
وطفل عليه مر بالأمة التي	يقال لها تزني ولا تتكلم	٧٣
وعيرتني بنو ذبيان وهبته	وهل عليّ بأن أخشاك من عار	٤٠٥

ولا تبك ميتا بعد ميت أحبه	عليّ وعباس وآل أبي بكر	٦٩
ولقد جَنَيتُكَ أكمُؤاً وعَسَاقِلاً	ولقد نهيتك عن بنات الأوبر	١٢٨٦
ولقد طعنتُ أبا عُيينةَ طعنةً	جرمت فزارةُ بعدها أن يغضبوا	٥١٦
ولو أن هذا الموت يقبلُ فديةً	شريتُ أبا زيدٍ بما ملكت يدي	٥٦٠
وما الناسُ بالناس الذين عهدتهم	ولا الدار بالدار الذي كنت أعرف	٦٦٢
وما لي إلا آل أحمد شيعة	ومالي إلا مشعب الحق مشعب	١٠٣١
وماشطة في عهد فرعون طفلها	وفي زمن الهادي المبارك يختم	٧٣
ومبريء جريح ثم شاهد يوسف	وطفل لذي الأخدود يرويه مسلم	٧٣
ومن يَفتقِر منّا يعش بحُسامِه	ومن يفتقِر من سائر الناس يسأل	٦٠٩
وهانَ على سَراةِ بني لُؤي	حريقٌ بالبُويرةِ مُستطير	١٢٢٧
يُعيّرني بالدَّين قومي وإنما	تديّنت في أشياء تُكسبهم حمدا	٤٠٦
يوم نأتي الرحمن وهو رحيم	إنه كان وعده مأتيا	٤٠٣
بيت الشعر		**الصفحة**
يوم نأتيه مثل ما قال فرداً	ثم لا بد راشداً وغويًّا	٤٠٣

فهرس غريب الألفاظ والمصطلحات.

الألفاظ	الصفحة
الإكليل	١٧٩
أمتح	١١٠
أوطاس	٢٠٦
البلاذر	٧٨
الجُندُب	١١٨٠
الجون	٦٧٩
الحل	٦٤٤
الحُمّاض	١١٧٤
رسلها	٨٨٣
زبيبتان	١٤٧
سمجة	٤٠٤
شجاعاً أقرع	١٤٧
ضغابيس	٩١٩
الفالج	٨٧٩
القرون	٨٩٨
كسف	١٠٤٩
لمم	١٢٢٣
المتعة	٢١١
المخاريق	٦٤٠
المخلب	٢٧٥
مُستوفِزين	٨١٩
المسك	٥٢

الألفاظ	الصفحة
الناهل	٦٧٩
النيقة	٧٥١
وجِدّايَةٍ	٩١٥

فهرس الأعلام

م	الاسم	الصفحة
١-	إبراهيم بن أدهم	٤٧١
٢-	ابن أبي إسحاق	٩٢٧
٣-	ابن أبي زمنين	٥٨
٤-	ابن أبي نجيح	٨٨٠
٥-	ابن الأنباري	٥٦
٦-	ابن الجوزي	٧٣
٧-	ابن الحصري	٢٠
٨-	ابن السائب	٥٥
٩-	ابن السراج	٦١
١٠-	ابن العربي	١٤٧
١١-	ابن القيم	٢٧
١٢-	ابن بحر	٢٨٨
١٣-	ابن تيمية	٣٧
١٤-	ابن جبير	٢٠٤
١٥-	ابن جزي الكلبي	٢٦
١٦-	ابن حجر	٧٥
١٧-	ابن حزم	١٧٥
١٨-	ابن حميد	٩٧٠
١٩-	ابن دريد	٥١
٢٠-	ابن زيد	٢٠٥
٢١-	ابن سابط	١١٨١
٢٢-	ابن سعد الزهري	٤٧٤

٢٣-	ابن شجرة	٦٦٨
٢٤-	ابن عابس	٥٣٨
٢٥-	ابن عادل	٩٢
٢٦-	ابن عاشور	٥٥
٢٧-	ابن عبد البر	١٨٦
٢٨-	ابن فارس	١٨٤
٢٩-	ابن فورك	١١٧
٣٠-	ابن قتيبة	٢٠٥
٣١-	ابن قدامة	١٩٢
٣٢-	ابن كثير	٥٦
٣٣-	ابن كيسان	٤٠٨
٣٤-	أبو البقاء	١٢١
٣٥-	أبو الجوزاء	٩٢٧
٣٦-	أبو الحسن الحراني	٣٠٥
٣٧-	أبو الدرداء	٤٩٤
٣٨-	أبو الشيخ	٣٦٣
٣٩-	أبو الضحى	٢٢٢
٤٠-	أبو العاص بن الربيع	٥٢٣
٤١-	أبو العالية	١٩٨
٤٢-	أبو العباس الأصم	١٨٩
٤٣-	أبو القاسم الكعبي	١٣٨
٤٤-	أبو القاسم الكناني	٣٠٥
٤٥-	أبو القاسم بن رواحة	٣١٨
٤٦-	أبو اليسر الأنصاري	٥٣٥

٤٧-	أبو أمامة بن ثعلبة	٨٥
٤٨-	أبو بزة	٤٢١
٤٩-	أبو بشر	١١٣٢
٥٠-	أبو بكر الخازن	١٨٩
٥١-	أبو بكر السجستاني	٥٦
٥٢-	أبو بلال مرداس الخارجي	٦٦٢
٥٣-	أبو جعفر الباقر	٤٦٣
٥٤-	أبو حنيفة	٤٦٢
٥٥-	أبو ذر	٤٩٦
٥٦-	أبو رزين	٢٣٤
٥٧-	أبو روق	٤٠٨
٥٨-	أبو زرعة	١٨٩
٥٩-	أبو سعيد الخدري	٢٠٤
٦٠-	أبو سليمان الدمشقي	٢٤٦
٦١-	أبو صالح	٥٤
٦٢-	أبو طاهر الأصفهاني	٣٠٥
٦٣-	أبو عامر بن صيفي	٤٠٠
٦٤-	أبو عبد الرحمن السلمي	٧٩
٦٥-	أبو عبد الله الرازي	٣٠٥
٦٦-	أبو عبيدة	٥٢
٦٧-	أبو عوانة	١١٣٢
٦٨-	أبو قلابة	٢٠٥
٦٩-	أبو قيس الأودِيُّ	١١٩٧
٧٠-	أبو مالك	٧٢٩

٧١-	أبو مجلز	٣٢٦
٧٢-	أبو مسعود البدري	١٢٤١
٧٣-	أبو مسلم	٤٠٩
٧٤-	أبو موسى الأشعري	١٧٣
٧٥-	أبو نضرة	١١١١
٧٦-	أبو هريرة	٥٢
٧٧-	أبو همام الوليد بن شجاع	٩٧١
٧٨-	أبو وائل	٦٩
٧٩-	أبو يحيى الحماني	٩٧٠
٨٠-	أُبي بن خلف	٧٨٥
٨١-	أبي بن كعب	٥١
٨٢-	أبي صالح	٢٩١
٨٣-	أحمد بن إبراهيم الدورقي	١٢٩٠
٨٤-	أحمد بن إسحاق	١١٥٣
٨٥-	أحمد بن حنبل	٣٣٦
٨٦-	الأخفش	١١٥
٨٧-	الأخفش الصغير	٢٧٣
٨٨-	إسحاق ابن راهوية	٤٦٢
٨٩-	الأشعث بن قيس	٨٥
٩٠-	الأصبغ بن علقمة	٩٧٠
٩١-	الأعمش	٦٩
٩٢-	الألوسي	٥٧
٩٣-	أم سلمة	٩٧٣
٩٤-	أم كلثوم	٩٧٧

٩٥-	أمية بن أبي الصلت	٤٠٠
٩٦-	أميمة بنت بشر	١٢٣٥
٩٧-	الأوزاعي	٤٤٢
٩٨-	أوس بن الصامت	١٢٢٧
٩٩-	إياس بن معاوية	٦٣٣
١٠٠-	البازري	٢١٣
١٠١-	البراء بن عازب	٤٩٥
١٠٢-	البغوي	٨٠
١٠٣-	البيضاوي	٧٣
١٠٤-	التبريزي	٣١٦
١٠٥-	ثعلب	٢٨٢
١٠٦-	الثعلبي	٧٧
١٠٧-	الثوري	٤٦٢
١٠٨-	جابر بن عبد الله	٩١
١٠٩-	الجبائي	٣٦٣
١١٠-	جبير بن نفيل	٧٩
١١١-	الجرمي	١١٧٥
١١٢-	الجصاص	٢٠٥
١١٣-	جعفر بن أبي طالب	٢٣٥
١١٤-	الجوهري	٤٥٣
١١٥-	حذيفة بن حسيل	٣٢٦
١١٦-	الحسن البصري	٥٢
١١٧-	الحسن بن صالح	٤٧٠
١١٨-	الحسن بن علي بن عفان	٩٧٠

١١٩-	الحسن بن محمد	٤٣٦
١٢٠-	الحسين بن القاسم الكوكبي	٤٠٤
١٢١-	حطان الرقاشي	١٩٠
١٢٢-	الحكم الثقفي	١٠٧٥
١٢٣-	حميد بن عبد الرحمن	٥٦٤
١٢٤-	الحوفي	٦٤٥
١٢٥-	الحيري	١٨٩
١٢٦-	الخازن	٧٣
١٢٧-	خالد بن معدان	٨٢٥
١٢٨-	خباب	٤٢٦
١٢٩-	خصيف	٢٢٢
١٣٠-	الخليل	٦١
١٣١-	خولة بنت ثعلبة	١٢٢٠
١٣٢-	الدنبلي	٣٠٥
١٣٣-	ذر بن عبد الله	٨١٤
١٣٤-	الرازي	٥٦
١٣٥-	الربيع بن أنس	٥٣
١٣٦-	الربيع بن سليمان	١٨٩
١٣٧-	رؤبة بن العجاج	٧٩٨
١٣٨-	الزجاج	٥٦
١٣٩-	زكريا بن زائدة	٩٧١
١٤٠-	الزمخشري	٥٨
١٤١-	الزهري	٩١
١٤٢-	زيد بن أرقم	٣٣٥

١٤٣-	زيد بن أسلم	١٦١
١٤٤-	سبرة الجهني	٢١٣
١٤٥-	السدي الكبير	٥٤
١٤٦-	سراقة	٤٤٥
١٤٧-	سعيد بن المسيب	٥٤
١٤٨-	سليمان بن حرب	٨٢٣
١٤٩-	سليمان بن قتة	١٠٨٥
١٥٠-	سماك بن حرب	٨٣٦
١٥١-	السمين الحلبي	١٣١
١٥٢-	سيبويه	٦١
١٥٣-	السيوطي	٦٢
١٥٤-	شرحبيل بن سعد	٣٢٧
١٥٥-	الشعبي	٢٧٧
١٥٦-	الشوكاني	١٥٦
١٥٧-	صالح بن موسى القرشي	٩٧٠
١٥٨-	صفية بنت شيبة	٩٧١
١٥٩-	الضحاك	٥٤
١٦٠-	الطبرسي	٣٩٣
١٦١-	الطبري	٥٥
١٦٢-	طرفة بن العبد	٨٢٠
١٦٣-	طعمة بن أبيرق	١٦٦
١٦٤-	العاص بن وائل	٥٢٣
١٦٥-	عاصم الجحدري	٢٦٨
١٦٦-	عاصم بن أبي النجود	٥٣

١٦٧-	عبادة بن الصامت	٤٩٤
١٦٨-	عبد الرحمن المزني	٣٢٧
١٦٩-	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	٤٨٩
١٧٠-	عبد الرحمن بن عوف	٩١
١٧١-	عبد الصمد بن عبد الوارث	٤٩٣
١٧٢-	عبد العزيز الكناني	٣٢٩
١٧٣-	عبد القادر الرهاوي	٣٠٥
١٧٤-	عبد الله بن أبي أوفى	٨٧
١٧٥-	عبد الله بن الزبير	١٠٨٥
١٧٦-	عبد الله بن ثعلبة	٤٢٨
١٧٧-	عبد الله بن سلام	٣٣٥
١٧٨-	عبد الله بن عمر	٥٣
١٧٩-	عبد الله بن عمرو	٤٩٤
١٨٠-	عبد الله بن مسعود	٦٩
١٨١-	عبد الملك بن محمد	٤٩٣
١٨٢-	عبد الوهاب بن الصلت	١٨٩
١٨٣-	عبيد الله بن أبي جعفر	١٠٧٥
١٨٤-	عثمان بن طلحة	١٦٦
١٨٥-	عثمان بن عمر	١١٥٣
١٨٦-	عروة بن الزبير	٤٢٨
١٨٧-	عزرة	٢٠٧
١٨٨-	عطاء الخرساني	٤٢٦
١٨٩-	عطاء بن أبي رباح	٤٩٤
١٩٠-	عطاء بن السائب	٧٩

١٩١-	عكرمة	٢٢٩
١٩٢-	عكرمة بن خالد المخزومي	٨٧١
١٩٣-	علي بن الحسن	٢٩١
١٩٤-	علي بن صالح	٤٧٠
١٩٥-	علي بن عيسى	٤٥٦
١٩٦-	عمر بن ذر	٨١٤
١٩٧-	عمران بن حصين	٨٥
١٩٨-	عمران بن حطان الخارجي	٦٦٢
١٩٩-	عمران بن ماثان	٦٨
٢٠٠-	عمرو بن أبي سلمة	٦٢٣
٢٠١-	عمرو بن العاص	١٠٨٥
٢٠٢-	عمرو بن غزية الأنصاري	٥٣٨
٢٠٣-	عمرو بن ميمون	٦٦٦
٢٠٤-	عمرو بن ميمون الأودي	١٠٤٦
٢٠٥-	العوفي	٥٤
٢٠٦-	عون بن أبي شداد	٩٥٢
٢٠٧-	عيسى بن عمر الثقفي	٢٦٨
٢٠٨-	غالب بن سليمان	٨٢٤
٢٠٩-	الفارعة	٤٠٦
٢١٠-	الفراء	٥٦
٢١١-	الفرزدق	١٨١
٢١٢-	الفضل بن ناصر	٤٤١
٢١٣-	القاسم بن أبي بزة	٢٩١
٢١٤-	القاسم بن محمد	٢١٣

-٢١٥	القاسمي	٥٨
-٢١٦	قتادة	٥٤
-٢١٧	القتبي	٢٨٧
-٢١٨	قطرب	٤٥٤
-٢١٩	قيس بن سعد	٤٩٤
-٢٢٠	كثير النواء	٣٢٠
-٢٢١	كثير بن زياد	٨٢٤
-٢٢٢	الكرجي	١٨٩
-٢٢٣	الكسائي	٢٨٢
-٢٢٤	كعب الأحبار	٣٣٦
-٢٢٥	الليث بن سعد	٣٠٥
-٢٢٦	المازني	١١٧٦
-٢٢٧	مالك بن أنس	٢٧٨
-٢٢٨	مالك بن دينار	٢٦٧
-٢٢٩	مالك بن ضيغم	١٢٩٠
-٢٣٠	المبارك	٧٣
-٢٣١	مجاهد	٥٦
-٢٣٢	محمد بن عباد بن جعفر	٤٢١
-٢٣٣	محمد بن كعب القرظي	٢٩١
-٢٣٤	المروزي	١٩٩
-٢٣٥	مصعب بن شيبة	٩٧١
-٢٣٦	معاذ بن جبل	٥٣
-٢٣٧	معاوية بن أبي سفيان	٥٠٧
-٢٣٨	المفضل	١٢١

٢٣٩-	مقاتل بن حيان	٢٢٩
٢٤٠-	مقاتل بن سليمان	٥٨
٢٤١-	المقدام بن معدي كرب	٧٣٩
٢٤٢-	مُقسم	٢٢١
٢٤٣-	مكحول	٢٠٥
٢٤٤-	المنجوفي	٣٢٨
٢٤٥-	مهاجر الكلاعي	٩٨٢
٢٤٦-	المهدوي	٤٤٧
٢٤٧-	مهلهل	١١٨١
٢٤٨-	موسى بن إسماعيل	١١٣٢
٢٤٩-	موسى بن طلحة	٥٣٧
٢٥٠-	موسى بن عقبة	٤٧٤
٢٥١-	ميمون بن مهران	٢٢٩
٢٥٢-	نافع بن جبير	٤٩٤
٢٥٣-	نافع بن زيد الحميري	٥٠٥
٢٥٤-	نبهان التمار	٥٣٣
٢٥٥-	النحاس	٥٨
٢٥٦-	النخعي	٢٠٥
٢٥٧-	النسفي	٧٣
٢٥٨-	النضر بن الحارث	٧٨٥
٢٥٩-	نوف الشامي	٢٣٠
٢٦٠-	النيسابوري	٧٩
٢٦١-	هلال بن يساف	١٠٤٧
٢٦٢-	واثلة بن الأسقع	٩٧٣

٢٦٣-	الواحدي	٥٨
٢٦٤-	وهب بن منبه	٦٧
٢٦٥-	يحيى الجزار	٤٣٦
٢٦٦-	يحيى بن أبي كثير	٢٥٤
٢٦٧-	يحيى بن بكير	٣٠٥
٢٦٨-	يحيى بن زكريا بن أبي زائدة	٩٧١
٢٦٩-	يحيى بن عباد	٤٤٦
٢٧٠-	يحيى بن معاذ الرازي	٢٣٤
٢٧١-	يزيد بن معاوية	٦٦٣
٢٧٢-	يعلى بن مُنيّة	٨٢٤
٢٧٣-	يمان بن رباب الخرساني	٣٩٢
٢٧٤-	يوسف بن ماهك	١١٣٢
٢٧٥-	يوسف بن مهران	٩٥٢
٢٧٦-	يونس العبدي	١٨٩

فهرس الفرق، والمذاهب، والأماكن، والبلدان

المكان	الصفحة
رأس عين	٨
نهر الشريعة	٩
سنجار	١٩
أوطاس	٢٠٩
النسطورية	٧٤٩
اليعقوبية	٧٤٩
قديد	٨٧٤

ثبت المصادر والمراجع

١- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي(ت ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٣- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب دار الفكر، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٤- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥- أحكام القرآن، محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٦- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد (ت ٤٥٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٧- الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تحقيق: العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي.

٨- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٩- أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، السكوفي، المروزي، الدينوري (ت ٢٧٦م)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السعادة، مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٦٣م.

١٠- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد

العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٢- أسباب نزول القرآن، أبي الحسن علي بن احمد بن مجد الواحدي، رواية بدر الدين أبي نصر بن عبد الله الأرغياني، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، الطبعة الأولى، الرياض،١٤٢٦هـ.

١٣- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا،محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

١٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

١٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

١٦- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

١٧- أسرار البلاغة، الجرجاني (ت ٤٧١هـ).

١٨- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

١٩- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٠- أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل، محمد بن إسماعيل

الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، تحقيق: القاضي حسين بن أحمد السياغي، والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٢١- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٢٢- إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، دار الفرقان، الأردن، الطبعة السادسة، ١٤٢٧هـ.

٢٣- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٢٤- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

٢٥- إكمال الأعلام بتثليث الكلام، محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٦- الإمام الرسعني الحنبلي وتفسيره رموز الكنوز، د.محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٧- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.

٢٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩هـ.

٢٩- البحر الزخار(مسند البزار) ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٠- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٣١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

٣٢- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٣- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي أبو الوليد (ت ٥٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٤- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.

٣٥- البرصان والعرجان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(٢٥٥هـ).

٣٦- برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر الوادي آشي الأصل التونسي مولدا وقراراً (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد محفوظ، دار المغرب الاسلامي، أثينا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٣٧- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٣٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة

العصرية، لبنان، صيدا.

٣٩- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٠- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٢- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

٤٣- تاريخ المدينة المنورة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ)، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٧هـ.

٤٤- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥- تأويل مشكل القرآن، لبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

٤٦- التبصرة في أصول الفقه، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي أبو إسحاق (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٤٧- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

٤٨- التبيان في أقسام القرآن، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن

أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١ هـ)، دار الفكر.

٤٩- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت٨١٥هـ)، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٥٠- الترغيب والترهيب لقوام السنة، أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني (٥٣٥هـ)، دار الحديث، القاهرة.

٥١- التحبير في علم التفسير، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فنحي عبد القادر فريد، دار العلوم الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٥٢- تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)، يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥٣- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٢٨٤هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٥٤- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥- تحفة الفقهاء، علاء الدين السمرقندي (ت ٥٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٦- التحقيق في أحاديث الخلاف، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٧- التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ)، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٥٨- تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٥٩- ترجيحات ابن القيم واختياراته في التفسير، محمد القحطاني، رسالة

دكتوراه.

٦٠- التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ)، تحقيق: د. أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦١- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ.

٦٢- تفسير البيضاوي، البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، دار الفكر، بيروت.

٦٣- تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي،وجلال الدين السيوطي، تم تخريج أحاديثه وتصحيحه بالمركز العلمي بدار السلام، علق عليه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام،الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٦٤- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي (ت٣٦٧هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

٦٥- تفسير الضحاك، تحقيق: محمد شكري أحمد الزاويتي، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٦٦- تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦، دار إحياء الكتب العربية.

٦٧- تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، خرج أحاديثه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٦٨- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م.

٦٩- تفسير القرآن العزيز، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت

٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٧٠- تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٧١- تفسير القرآن الكريم، أصوله وضوابطه، ا.د. علي بن سليمان العبيد، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.

٧٢- تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٧٣- تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي(ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧٤- التفسير القيم، للإمام ابن القيم(٧٥١هـ)، جمعه: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٥- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٧٦- تفسير سفيان الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله (ت ١٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٧٧- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٧٢٨ هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٧٨- تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج (ت ١٠٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية،

بيروت.

٧٩- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٨٠- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر (ت ٦٢٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨١- تكملة إكمال الإكمال، محمد بن علي الصابوني (ت ٦٨٠هـ).

٨٢- التلخيص في أصول الفقه، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (٤٧٨هـ)، تحقيق: عبد الله جولم النبالي، وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٨٣- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين، المعروف بابن الفوطي (٧٢٣هـ)، تحقيق: د. مصطفى جواد، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم.

٨٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٨٥- تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٨٦- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٨٧- تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت،

الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٨٨- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٨٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

٩٠- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ.

٩١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الطبعة الأولى، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية: القاهرة، ١٤٢٢هـ .

٩٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ.

٩٣- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الشعب، القاهرة.

٩٤- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي (ت ٣٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ.

٩٥- الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د . فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.

٩٦- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت.

٩٧- جمهرة الأمثال، الشيخ الأديب أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٩٨- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى.
٩٩- جوامع السيرة، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ).
١٠٠- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١٠١- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد (ت ٧٧٥هـ)، مير محمد كتب خانه، كراتشي.
١٠٢- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد عرفه الدسوقي (ت ١٢٣٠هـ) ، تحقيق: محمد عليش، دار الفكر، بيروت.
١٠٣- حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، ابن عابدين(ت ١٢٥٢هـ)، دار الفكر للطباعة والنش ، بيروت، ١٤٢١هـ.
١٠٤- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
١٠٥- الحجة للقراء السبعة، أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، أحمد يوسف الدّقّاق، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٠٦- الحلل في شرح أبيات الجمل، أبو محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ)، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٠٧- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم

البيطار (ت١٣٣٥هـ).
١٠٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
١٠٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
١١٠- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني (ت بعد ٣٢٩ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، حلب، بيروت، الطبعة الخامسة،١٤١٦ هـ.
١١١- الدر المختار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.
١١٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي(٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.
١١٣- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
١١٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
١١٥- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي.
١١٦- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
١١٧- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٨- ديوان الخرنق بنت بدر، الخرنق بنت بدر.
١١٩- ديوان المتنبي، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت.
١٢٠- ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
١٢١- ديوان أوس بن حجر، أوس بن حجر.
١٢٢- ديوان ذي الرُّمّه، اعتنى به وخرج غريبه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
١٢٣- ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد شكور أمرير الميادیني، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١٢٤- ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، محمد بن أحمد الفاسي المكي أبو الطيب (ت ٨٣٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
١٢٥- ذيل مرآة الزمان، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ).
١٢٦- رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر (ت ٤٢٨هـ)، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٢٧- رسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
١٢٨- الرسالة، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٥٨هـ.
١٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء

التراث العربي، بيروت.

١٣٠- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، الإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي(ت٥٨١هـ)، ومعه السيرة النبوية للإمام عبد الملك بن هشام،علق عليها وقدم لها: الشيخ عمر عبد السلام السلامي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ.

١٣١- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ.

١٣٣- الزهد، هناد بن السري الكوفي (ت ٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٣٤- زهر الآداب وثمر الألباب، أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، تحقيق: أ.د يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٣٥- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٣٦- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي (ت ١١١١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٣٧- سنن أبي داود، تصنيف ابي داود سليمان بن الأشعث

السجستاني(٢٧٥هـ)، حكم على أحاديث وآثاره وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

١٣٨- سنن ابن ماجة، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بـ(ابن ماجه) حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٣٩- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

١٤٠- سنن الترمذي بحكم الألباني، اعتنى به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.

١٤١- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٤٢- سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور (ت ٢٢٧هـ)، تحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار العصيمي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٤٣- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.

١٤٤- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٤٥- السيرة النبوية لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ).

١٤٦- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري

المعافري أبو محمد (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٤٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي(ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٤٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، سوريا، ١٤٠٥هـ.

١٤٩- شرح أدب الكاتب، أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (٥٤٠هـ)، الطبعة بدون.

١٥٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، أبو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، وزارة الشئون الإسلامية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٤هـ.

١٥١- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري(٣٢٨هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

١٥٢- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار (ت ٩٧٢ هـ)، تحقيق: د. محمد الزحيلي، د. نزيه حماد، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.

١٥٣- شرح المعلقات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، تحقيق: لجنة التحقيق في الدار العالمية، الدار العالمية، ١٩٩٣م.

١٥٤- شرح ديوان المتنبي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي،

النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ).

١٥٥- شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٥٦- شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

١٥٧- شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٥٨- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ.

١٥٩- صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمود فاخوري، د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٦٠- الضعفاء الصغير، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

١٦١- الضعفاء والمتروكين، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٦٢- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

١٦٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن

السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٦٤- الطالع السعيد، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة باعلى السعيد، كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي الشافعي (٧٤٨هـ)، مطبعة الجمانية، مصر، ١٣٣٩هـ.

١٦٥- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٦٦- طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

١٦٧- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (ت١٠١٠هـ).

١٦٨- طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق: خليل الميس، دار القلم، بيروت.

١٦٩- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري(ت٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، إحسان عباس، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

١٧٠- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (ت القرن الحادي عشر)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٧١- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

١٧٢- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

١٧٣- العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

١٧٤- العجاب في بيان الأسباب، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٧٥- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: زكريا علي يوسف.

١٧٦- العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. أحمد بن علي بن سير المباركي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ.

١٧٧- العظمة، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني أبو محمد، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٧٨- عقود الجمان في شعراء هذا الزمان لابن الشعار (٤/٣١ب،٣٨أ).

١٧٩- العقيدة الواسطية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بم مانع الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

١٨٠- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٨١- غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ.

١٨٢- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ).

١٨٣- غيث النفع في القراءات السبع، لأبي الحسن علي بن سالم بن محمد

النوري الصفاقسي (ت١١١٨هـ)، تحقيق: صالح بن غرم الله بن محمد الزهراني، رسالة دكتوراه، أم القرى.

١٨٤- الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

١٨٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

١٨٦- الفتح السماوي، المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض.

١٨٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٨٨- الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا (ت ٥٠٩ هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

١٨٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد (ت ٥٤٨هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٩٠- الفصول في الأصول، أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٩١- فضائل القرآن للقاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم البغدادي (ت٢٢٤هـ).

١٩٢- الفهرست ، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٩٣- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق:

علي محمد بن يعوض الله، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

١٩٤- القصص القرآني بين الآباء والأبناء، عماد زهير حافظ، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ.

١٩٥- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي (ت ١٠٣٣هـ)، تحقيق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم، الكويت، ١٤٠٠هـ.

١٩٦- قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٩٧- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

١٩٨- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ).

١٩٩- كتاب الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي (ت٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٠٠- كتاب العظمة، أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان أبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٢٠١- كتاب المغازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

٢٠٢- كتاب سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)،

تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٠٣- كتاب شرح أشعار الهذايين، أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكَّريِّ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعه: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٠٤- كتاب غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ١٤١٦هـ.

٢٠٥- الكتب الستة (موسوعة الحديث الشريف)، إشراف ومراجعة: فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الطبعة الثالثة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ .

٢٠٦- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت ١١٦٢هـ)، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٢٠٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، (ت١٠٦٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٠٨- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت٣٥٥هـ) تحقيق: د. محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ.

٢٠٩- الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٢١٠- كنز الوصول إلى معرفة الأصول، علي بن محمد البزدوي الحنفي (٣٨٢هـ)، مطبعة جاويد بريس، كراتشي.

٢١١- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد

السيوطي أبو الفضل (ت٩١١هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت.

٢١٢- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد ٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

٢١٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٢١٤- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

٢١٥- اللمع في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢١٦- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثالثة،١٤٢١هـ.

٢١٧- المبسوط، شمس الدين السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٢١٨- مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ).

٢١٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٢٠- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعرء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٢١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٢٢- المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت

٦٠٦هـ)، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

٢٢٣- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٢٢٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (ت ٧١٠هـ).

٢٢٥- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن بدران الدمشقي، صححه وعلق عليه عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.

٢٢٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: جمال عيتاني دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٢٧- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٢٨- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي(٣٠٧هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق.

٢٢٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.

٢٣٠- مسند السراج، محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج الثقفي النيسابوري (٣١٣هـ)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري إدارة العلوم الأثرية، فيصل أباد، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٣١- مسند الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٢- المسودة في أصول الفقه، شهاب الدين أبو العباس الحنبلي الحرّاني الدمشقي .ت: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الكتاب العربي،

بيروت.

٢٣٣- مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق:م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.

٢٣٤- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

٢٣٥- المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: د. صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٣٦- المعارف، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

٢٣٧- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي(ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر و د. عثمان جمعه ضُميرية و سليمان مُسلّم الحرش، الإصدار الثاني، الطبعة الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض، ١٤٢٣هـ .

٢٣٨- معالم الحجاز، عاتق ابن غيث البلادي، دار مكة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٢٣٩- معاني القرآن للأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة وتحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٤٠- معاني القرآن وإعرابه، أبي إسحاق إبراهيم بن السري (الزجاج)، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٤١- معاني القرآن، أبي زكريا يحي بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي،

ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ.

٢٤٢- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٢٤٣- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٢٤٤- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

٢٤٥- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة.

٢٤٦- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٢٤٧- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الثانية،١٤٢٠هـ.

٢٤٨- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٤٩- المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٥٠- المغازي ، أبو عبد الله محمد بنن عمر الواقدي(٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،

١٤٢٤هـ.

٢٥١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

٢٥٢- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد (ت ٦٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٥٣- مفاتيح التفسير، معجم شامل لما يهم المفسر معرفته من أصول التفسير وقواعده ومصطلحاته ومهماته، أ.د. أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٢٥٤- مفحمات الإقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ)، تحقيق: إياد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٢٥٥- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

٢٥٦- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

٢٥٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، دار الفكر، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٥٨- الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.

٢٥٩- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حمّاد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ.

٢٦٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت

٧٤٨هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٢٦١- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي(٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الرياض.

٢٦٢- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٦٣- الناسخ والمنسوخ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر (ت ٣٣٩هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٦٤- الناسخ والمنسوخ، قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب (ت ١١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

٢٦٥- الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة بن نصر المقري (ت ٤١٠هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٦٦- الناسخ والنسوخ، قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب (ت ١١٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٦٧- النشر في القراءات العشر، للإمام العلامة محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف لجزري (٨٣٣هـ)، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى.

٢٦٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٦٩- نظم العقيان في أعيان الأعيان، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: فيليب حتي.

٢٧٠- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧١- نهاية الإقدام في علم الكلام، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢٧٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٧٣- نوازل الزكاة دراسة فقهية تأصيلية لمستجدات الزكاة، د. عبد الله بن منصور الغفيلي، دار الميمان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٢٧٤- نواسخ القرآن، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٧٥- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٢٧٦- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي أبو نصر (ت٣٩٨هـ)، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٧٧- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٧٨- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)،

تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٧٩- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

٢٨٠- وفيات قوم من المصريين ونفر سواهم من سنة ٣٧٥، إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال أبو إسحاق، تحقيق: محمود بن محمد الحداد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٨١- الوفيات، محمد بن رافع السلامي أبو المعالي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: صالح مهدي عباس، د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.	٢
ثانياً: أهداف البحث.	٢
ثالثاً: مجال البحث وحدوده.	٣
رابعاً: الدراسات السابقة.	٣
خامساً: خطة البحث.	٣
سادساً: منهج البحث.	٥
التمهيد	٧
أ- حياته الشخصية(اسمه ونسبه-كنيته ولقبه ونسبته-ولادته- أسرته)	٧
ب- حياته العلمية(نشأته وطلبه للعلم-رحلاته- شيوخه- تلاميذته- مؤلفاته-ثناء العلماء على المؤلف- وفاته)	١٠
التعريف بكتاب رموز الكنوز	١٩
اسم الكتاب-نسبة الكتاب للمؤلف-قيمة الكتاب العلمية-عناية العلماء بكتاب "رموز الكنوز"- منهج المؤلف في كتابه "رموز الكنوز"-	
القسم الثاني: منهج الإمام الرسعني في الترجيح	٢٣
الفصل الأول:	٢٤
المبحث الأول: تعريف الترجيح	
الترجيح في اللغة	٢٤
الترجيح عند الأصوليين	٢٤
الترجيح عند المفسرين	٢٤
المبحث الثاني: أهمية الترجيح	٢٦
المبحث الثالث: شروط الترجيح	٢٨

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع: صيغ الترجيح عند الرسعني	٣٠
الفصل الثاني: وجوه الترجيح عند الرسعني	٣٥
المبحث الأول: الترجيح بدلالة القرآن	٣٦
المبحث الثاني: الترجيح بدلالة السنة	٣٧
المبحث الثالث: الترجيح بدلالة الأثر	٤٠
المبحث الرابع: الترجيح بالإجماع وقول الأكثرين	٤١
المبحث الخامس: الترجيح بدلالة اللغة العربية	٤٢
المبحث السادس: الترجيح بدون ذكر سبب	٤٤
المبحث السابع: الترجيح بدلالة السياق	٤٦
المبحث الثامن: الترجيح بدلالة القواعد الأصولية	٤٧
القسم الثاني: دراسة ترجيحات الرسعني في تفسيره(رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز)	٥٠
١- ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤)	٥١
٢- ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ (آل عمران:٢٦)	٦٠
٣- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (آل عمران:٣٣)	٦٧
٤- ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ ﴾ (آل عمران:٣٧)	٧٢
٥- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ﴾ (آل عمران:٤١)	٧٦
٦- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (آل عمران:٧٧)	٨٣
٧- ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ (آل عمران ١٢١)	٩٠
٨- ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ ﴾ (آل عمران:١٢٤)	٩٧
٩-﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٢٥	١٠٧
١٠-﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ ﴾ (آل عمران: ١٤٣)	١١٤

الموضوع	الصفحة
١١-﴿ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ ﴾ (آل عمران ١٥٣)	١٢٠
١٢- ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ ﴾ (آل عمران: ١٥٧)	١٢٤
١٣- ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ ﴾ (آل عمران:١٦٠)	١٣٠
١٤-﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ ﴾ (آل عمران:١٦١)	١٣٤
١٥-﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ ﴾ (آل عمران:١٦٧)	١٤٠
١٦- ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:١٨٠)	١٤٦
١٧-﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (آل عمران١٨٧)	١٥٥
١٨-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ (آل عمران:٢٠٠)	١٦٠
١٩- مسألة: هل سورة النساء مكية أو مدنية؟	١٦٦
٢٠-﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ (النساء: ٨)	١٧٢
٢١-﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ ﴾ (النساء:١٢)	١٧٨
٢٢-﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ النساء:١٦	١٨٨
٢٣-﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ النساء:١٨	١٩٨
٢٤-﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ النساء:٢٤	٢٠٣
٢٥-﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ ﴾ النساء: ٢٤	٢١١
٢٦-﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾ النساء: ٣٤	٢٢٠
٢٧-﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا ﴾ النساء:٣٥	٢٢٦
٢٨-﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ النساء:٣٦	٢٢٨
٢٩-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ النساء:٤٣	٢٣٣
٣٠- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا ﴾ النساء:٤٧	٢٣٩

٣١-﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ النساء:٦٣	٢٤٣
الموضوع	**الصفحة**
٣٢-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٩٤	٢٤٦
٣٣-﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا ﴾ النساء:١١٢	٢٥٠
٣٤-﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ النساء: ١٢٣	٢٥٣
٣٥- ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ النساء:١٥٧	٢٥٧
٣٦- ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ النساء ١٦٢	٢٦٢
٣٨-﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ ﴾ الأنعام ١٤٢	٢٧١
٣٩-: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ ﴾ الأنعام: ١٤٥	٢٧٥
٤٠-﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ ﴾ الأنعام: ١٤٦	٢٨١
٤١-﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا ﴾ الأنعام: ١٥٤	٢٨٥
٤٢- ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾ الأنعام: ١٦٠	٢٩٠
٤٣-﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾ الأعراف:٢	٢٩٤
٤٤-﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا ﴾ الأعراف: ٤	٢٩٨
٤٥-﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ ﴾ الأعراف: ٨	٣٠٥
٤٦- ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ الأعراف: ٢٩	٣١٣
٤٧-﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ ﴾ الأعراف: ٤٣	٣١٨
٤٨- ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ ﴾ الأعراف: ٤٦	٣٢٤
٤٩-﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ الأعراف: ٥٤	٣٣٤
٥٠-﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ الأعراف: ٥٤	٣٣٨
٥١- ﴿ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ﴾ الأعراف:٥٧	٣٤١
٥٢- ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾ الأعراف: ٨٠	٣٤٦

الموضوع	الصفحة
٥٣-﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ الأعراف:٨٦	٣٤٩
٥٤-﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ الأعراف:١١٠	٣٥٣
٥٥-﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الأعراف: ١٢٩	٣٥٧
٥٦-﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ الأعراف:١٣٧	٣٦٠
٥٧-﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ الأعراف:١٤٣	٣٦٥
٥٨-﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ ﴾ الأعراف: ١٤٨	٣٦٩
٥٩-﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا ﴾ الأعراف: ١٤٨	٣٧٢
٦٠-:﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ ﴾ الأعراف:١٥٠	٣٧٨
٦١- ﴿ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الأعراف: ١٥٢	٣٨١
٦٢-﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ الأعراف:١٦٣	٣٨٥
٦٣-﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ الأعراف:١٦٥	٣٨٩
٦٤-﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ الأعراف:١٧٥	٣٩٦
٦٥-﴿ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ الأعراف:١٧٥	٤٠٠
٦٦-﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف:١٩٩	٤١٢
٦٧-﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الأنفال: ٥	٤٢٠
٦٨-﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ الأنفال: ١٩	٤٢٥
٦٩- ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال: ١٩	٤٣١
٧٠-﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ الأنفال: ٤١	٤٣٥
٧١-﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الأنفال: ٤١	٤٤٠
٧٢-﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ الأنفال:٤٨	٤٤٥
٧٣-﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٦	٤٤٩

الموضوع	الصفحة
٧٤-﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ التوبة٣٧	٤٥٢
٧٥- ﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ ﴾ التوبة: ٤٦	٤٥٥
٧٦-﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ التوبة: ٤٧	٤٥٨
٧٧-﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ التوبة: ٦٠	٤٦١
٧٨-﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ﴾ التوبة:٨٦	٤٦٦
٧٩-﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ ﴾ التوبة: ٩٢	٤٦٩
٨٠-﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ ﴾ التوبة: ١٠٢	٤٧٣
٨١-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ التوبة: ١١٩	٤٧٦
٨٢-﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ ﴾ يونس:٣٦	٤٨٢
٨٣-﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ ﴾ يونس:٤١	٤٨٨
٨٤-﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ يونس:٦٤	٤٩٢
٨٥-﴿ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ﴾ يونس:١٠٢	٤٩٩
٨٦- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ﴾ هود: ٧	٥٠٢
٨٧-﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ هود:١٥	٥٠٦
٨٨-﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ هود:١٥	٥١٢
٨٩-﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ هود:٢٢	٥١٥
٩٠-﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ هود:٤٠	٥١٩
٩١-﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾ هود:٧٨	٥٢٣
٩٢-﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾ هود:٧٨	٥٢٦
٩٣-﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ ﴾ هود:٩١	٥٣٠
٩٤-﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ هود:١١٤	٥٣٥

الموضوع	الصفحة
٩٥-﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴾ هود١٢١	٥٤١
٩٦-﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا ﴾ يوسف:٤	٥٤٥
٩٧-﴿ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ ﴾ يوسف:١٩	٥٤٧
٩٨-﴿ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ ﴾ يوسف:١٩	٥٥١
٩٩--﴿ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ ﴾ يوسف:١٩	٥٥٥
١٠٠- ﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖۚ ﴾ يوسف:٢٠	٥٥٨
١٠١-﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ ﴾ يوسف: ٢٤	٥٦٢
١٠٢- ﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ يوسف:٣٢	٥٧٢
١٠٣-﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ يوسف: ٤٤	٥٧٦
١٠٤-﴿ فَسۡـَٔلَهُۥ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ ﴾ يوسف:٥٠	٥٨٠
١٠٥- ﴿ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ﴾ يوسف: ٥١	٥٨٣
١٠٦-﴿ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ يوسف ٦٢	٥٨٧
١٠٧- ﴿ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ ﴾ يوسف: ٦٢	٥٩٠
١٠٨- ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ﴾ يوسف: ٦٥	٥٩٦
١٠٩- ﴿ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ﴾ يوسف:٦٥	٥٩٩
١١٠- ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾ يوسف:٧٨	٦٠١
١١١-﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ ﴾ يوسف:٨٢	٦٠٤
١١٢-﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ يوسف:٨٨	٦٠٨
١١٣- ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ ﴾ يوسف:٩٠	٦١٢
١١٤- ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ يوسف:٩٢	٦١٥
١١٥-﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ ﴾ يوسف:٩٤	٦١٩

الموضوع	الصفحة
١١٦-﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾ يوسف:٩٩	٦٢٢
١١٧- ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ الرعد:١	٦٢٦
١١٨-﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ الرعد:٢	٦٣١
١١٩-﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ الرعد:٢	٦٣٦
١٢٠- ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ ﴾ الرعد:١٣	٦٣٩
١٢١-﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ الرعد:١٨	٦٤٤
١٢٢-﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الرعد:٢٢	٦٤٨
١٢٣-﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ ﴾ إبراهيم:٥	٦٥٢
١٢٤-﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ إبراهيم:٤١	٦٥٨
١٢٥-﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ ﴾ إبراهيم:٤٨	٦٦١
١٢٦-﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ ﴾ الحجر:١	٦٧٠
١٢٧-﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾ الحجر:٢	٦٧٣
١٢٨-﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ﴾ الحجر:٢	٦٧٨
١٢٩-﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ الحجر:٩	٦٨٣
١٣٠-﴿ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾ الحجر:١٨	٦٨٨
١٣١-﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ الحجر:١٩	٦٩٨
١٣٢-﴿ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾ الحجر:١٨	٦٩١
١٣٣- ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ النحل:٣٩	٧٠١
١٣٤-﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ النحل:٤٩	٧٠٤
١٣٥-﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ النحل:٤٩	٧٠٩
١٣٦-﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ ﴾ النحل:٦٩	٧١٢

الموضوع	الصفحة
١٣٧-﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ النحل:٦٩	٧١٧
١٣٨-﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾ النحل:٨١	٧٢١
١٣٩-﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ النحل:٩٦	٧٢٤
١٤٠- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ النحل:٩٧	٧٢٧
١٤١-﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ الإسراء:٣٣	٧٣٣
١٤٢- ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ الإسراء:٤٤	٧٣٧
١٤٣-﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ الإسراء:١٠١	٧٤٣
١٤٤- ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ ﴾ الإسراء:١٠٣	٧٤٧
١٤٥- ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ﴾ الكهف:١٩	٧٥٠
١٤٦-﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ الكهف:٢٢	٧٥٤
١٤٧-﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ الكهف:٢٢	٧٥٨
١٤٨-﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ الإسراء:٢٤	٧٦٢
١٤٩-﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾ الكهف:٢٥	٧٦٧
١٥٠-﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الكهف:٢٩	٧٧٠
١٥١-﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ الكهف:٤٢	٧٧٥
١٥٢-﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الكهف:٤٦	٧٧٩
١٥٣- ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ الكهف:٥٤	٧٨٥
١٥٤-﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ الكهف:٦٣	٧٨٩
١٥٥-﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ الكهف:٧١	٧٩٣
١٥٦-﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ الكهف:٩٤	٧٩٦
١٥٧-﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ الكهف:٩٧	٨٠٠

الموضوع	الصفحة
١٥٨- ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ ﴾ الكهف:١٠٩	٨٠٤
١٥٩- ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ مريم:١٨	٨٠٧
١٦٠-﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ ﴾ مريم:٤٧	٨١٠
١٦١-﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ ﴾ مريم:٦٤	٨١٤
١٦٢-﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ ﴾مريم:٦٨	١٨٨
١٦٣-﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ مريم:٧١	٨٢٣
١٦٤-﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ ﴾ طه:٧٤	٨٢٩
١٦٥-﴿ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ ﴾ طه:٦٤	٨٣٢
١٦٦- ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞۚ ﴾ طه:٨٨	٨٣٥
١٦٧- ﴿ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ﴾ الأنبياء:٣	٨٣٨
١٦٨-﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ الأنبياء:٥٦	٨٤١
١٦٩- ﴿ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴾ الأنبياء:٥٨	٨٤٤
١٧٠- ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنبياء:٦٤	٨٤٨
١٧١-﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء:٧١	٨٥٢
١٧٢-﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ الأنبياء:٧٤	٧٥٦
١٧٣-﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ ﴾ الأنبياء:٨٤	٨٥٩
١٧٤-﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ الحج:١٥	٨٦٣
١٧٥-﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا ﴾ الحج:٢٧	٨٧٠
١٧٦- ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾ الحج:٢٨	٨٧٤
١٧٧-﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ ﴾ الحج:٢٩	٨٧٨
١٧٨- ﴿ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ الحج:٣٣	٨٨٥

الموضوع	الصفحة
١٧٩- ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الحج:٣٦	٨٨٩
١٨٠- ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ الحج:٧٨	٨٩٤
١٨١- ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ المؤمنون:٣١	٨٩٨
١٨٢-﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ المؤمنون:٩٦	٩٠٢
١٨٣-﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون:١١٥	٩٠٦
١٨٤-﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ النور:٢	٩٠٩
١٨٥-﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ النور:١١	٩١٤
١٨٦-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ النور:٢٧	٩١٨
١٨٧-﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ النور:٣٦	٩٢٢
١٨٨- ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ النور:٥١	٩٢٥
١٨٩-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ النور:٥٨	٩٢٩
١٩٠-﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ الفرقان:١	٩٣٤
١٩١-﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان:٦٣	٩٣٨
١٩٢-﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ النمل:٥٩	٩٤٢
١٩٣- ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ القصص:١٨	٩٤٥
١٩٤- ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا ﴾ القصص:٣٤	٩٤٨
١٩٥-﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ العنكبوت:١٤	٩٥١
١٩٦-﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ الروم:٤٧	٩٥٥
١٩٧-﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ لقمان:١٢	٩٥٩
١٩٨-﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ الأحزاب:١٥	٩٦٢
١٩٩-﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ الأحزاب:٣٠	٩٦٦

الموضوع	الصفحة
٢٠٠- ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الأحزاب:٣٣	٩٦٩
٢٠١-﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾ الأحزاب:٣٦	٩٧٧
٢٠٢-﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾ سبأ:٤٨	٩٨١
٢٠٣-﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ فاطر:١	٩٨٣
٢٠٤- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ فاطر:٣	٩٨٩
٢٠٥-﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾ فاطر:٣٢	٩٩١
٢٠٦-﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ﴾ يس:٣٨	٩٩٦
٢٠٧-﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ يس:٤٩	١٠٠٠
٢٠٨- ﴿ وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ ﴾ الصافات: ١	١٠٠٦
٢٠٩-﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ ﴾ الصافات:٢	١٠١٠
٢١٠- ﴿ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ ﴾ الصافات: ١١	١٠١٤
٢١١- ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الصافات: ٢٤	١٠١٧
٢١٢- ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ الصافات:٦٧	١٠٢٣
٢١٣- ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الصافات:٧٧	١٠٢٥
٢١٤-﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ الصافات: ٨٣	١٠٢٩
٢١٥-﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ الصافات: ٨٤	١٠٣٢
٢١٦-﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٦	١٠٣٧
٢١٧-﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ الصافات:٩٩	١٠٤١
٢١٨- ﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الصافات:١٤٦	١٠٤٥
٢١٩- ﴿ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ ص:٣٣	١٠٥٠
٢٢٠-﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الزمر:٦٠	١٠٥٦

الموضوع	الصفحة
٢٢١-﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ الزمر:٧٥	١٠٥٩
٢٢٢-﴿ حمٓ ۝١ ﴾ غافر: ١	١٠٦٢
٢٢٣-﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأٓزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ ﴾ غافر:١٨	١٠٦٥
٢٢٤- ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ غافر:٢٨	١٠٧٠
٢٢٥-﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ ﴾ فصلت:٢١	١٠٧٤
٢٢٦-﴿ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾؟ فصلت: ٤٠	١٠٨٠
٢٢٧-﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ ﴾ فصلت:٤٤	١٠٨٤
٢٢٨-﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ ﴾ فصلت:٤٧	١٠٨٧
٢٢٩- ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ ﴾ الشورى: ١٥	١٠٨٩
٢٣٠-﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ ﴾ الشورى: ١٦	١٠٩١
٢٣١-﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ ﴾ الشورى:٢٣	١٠٩٤
٢٣٢-﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الشورى:٢٦	١٠٩٦
٢٣٣-:﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾ الشورى: ٤٥	١٠٩٩
٢٣٤- ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ الزخرف:٤٩	١١٠٣
٢٣٥-﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ ﴾ الزخرف:٦١	١١٠٧
٢٣٦-﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ ﴾ الزخرف:٦١	١١١٠
٢٣٧-﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾ الدخان:٣	١١١٢
٢٣٨-﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩ ﴾ الدخان: ٥٩	١١١٦
٢٣٩-﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ الجاثية: ١٤	١١١٨
٢٤٠- ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ ﴾ الأحقاف:٥	١١٢٣
٢٤١- ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ ﴾ الأحقاف: ١٠	١١٣٥

الموضوع	الصفحة
٢٤٢-﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً ﴾ الأحقاف:١٥	١١٢٨
٢٤٣- ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ الأحقاف:١٧	١١٣١
٢٤٤-﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾ الأحقاف:٣١	١١٣٧
٢٤٥-﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ محمد:١	١١٤١
٢٤٦-﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ محمد: ٤	١١٤٤
٢٤٧- ﴿ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴾ محمد:٣٦	١١٤٧
٢٤٨-﴿ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴾ محمد:٣٦	١١٤٩
٢٤٩- ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا ﴾ الفتح:١	١١٥٢
٢٥٠-﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ ﴾ الفتح:٢	١١٥٨
٢٥١- ﴿ لَّقَدۡ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ ﴾ الفتح:١٨	١١٦٢
٢٥٢-﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ الفتح:٢٨	١١٦٥
٢٥٣-﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِى غَفۡلَةٍ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾ ق:٢٢	١١٦٧
٢٥٤-﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ ﴾ الذاريات:٤	١١٧١
٢٥٥- ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ الذاريات:٢٣	١١٧٤
٢٥٦- ﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا ﴾ الذاريات:٢٩	١١٨٠
٢٥٧- ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴾ الطور:٢	١١٨٣
٢٥٨-﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ ﴾ الطور:٤	١١٨٩
٢٥٩- ﴿ تَجۡرِى بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ القمر:١٤	١١٩٢
٢٦٠-﴿ سَيَعۡلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴾ القمر:٢٦	١١٩٦
٢٦١-﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ الرحمن:١	١١٩٩
٢٦٢- ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ الرحمن: ٣	١٢٠٣

الموضوع	الصفحة
٢٦٣-﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ الرحمن:٦	١٢٠٦
٢٦٤-﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ الواقعة:٣٤	١٢٠٩
٢٦٥-﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ الحديد:٢٤	١٢١٣
٢٦٦-﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الحديد:٢٥	١٢١٧
٢٦٧-﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ المجادلة:١	١٢٢٠
٢٦٨-﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا ﴾ الحشر:٥	١٢٢٦
٢٦٩-﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ الممتحنة:٨	١٢٢٩
٢٧٠-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ الممتحنة: ١٢	١٢٣٣
٢٧١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ الممتحنة:١٣	١٢٣٧
٢٧٢- ﴿ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ الطلاق:٤	١٢٤٠
٢٧٣-﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ الملك:١٤	١٢٤٤
٢٧٤-﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ الحاقة:٤٠	١٢٤٨
٢٧٥-﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ المعارج:٣	١٢٥١
٢٧٦-﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾ المعارج:٣٣	١٢٥٥
٢٧٧-﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴾ المدثر:٨	١٢٥٨
٢٧٨- ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ المدثر:٣٦	١٢٦١
٢٧٩-﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ القيامة:٢	١٢٦٤
٢٨٠-﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة:٢٣	١٢٦٧
٢٨١-﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان:٨	١٢٧١
٢٨٢-﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ عبس:١	١٢٧٥
٢٨٣-﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ عبس:٣١	١٢٧٧

الموضوع	الصفحة
٢٨٤- ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ التكوير:٢٩	١٢٨١
٢٨٥-﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ الانفطار:١٩	١٢٨٤
٢٨٦-﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾ المطففين:٣	١٢٨٦
٢٨٧-﴿ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ﴾ البروج:٣	١٢٨٩
٢٨٨-﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ﴾ الفجر:١	١٢٩٧
٢٨٩-﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ الفجر:٤	١٣٠٠
٢٩٠-﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ البلد:٤	١٣٠٣
٢٩١-﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ الشمس:٧	١٣٠٧
٢٩٢-﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴾ الشمس:١٥	١٣١٠
٢٩٣-﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ التين:٤	١٣١٤
٢٩٤- ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ القدر:١	١٣١٧
٢٩٥- ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ القدر:١	١٣٢٠
٢٩٦-﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾ الزلزلة: ٧	١٣٢٣
٢٩٧- ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴾ العاديات:٧	١٣٢٦
٢٩٨- ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ التكاثر:٨	١٣٣٠
٢٩٩-﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ التكاثر:٨	١٣٣٤
٣٠٠- هل ولد النبي ﷺ عام الفيل أو بعده؟	١٣٣٩
الخاتمة	١٣٤٢
ملخص الرسالة	١٣٤٤
الفهارس العامة	١٣٥٢
فهرس الآيات القرآنية	١٣٥٣

الموضوع	الصفحة
فهرس الأحاديث النبوية	١٣٧١
فهرس الآثار	١٣٧٩
فهرس الأبيات الشعرية	١٣٩٣
فهرس غريب الألفاظ والمصطلحات.	١٣٩٩
فهرس الأعلام	١٤٠١
فهرس الفرق، والمذاهب، والأماكن، والبلدان.	١٤١٤
ثبت المصادر والمراجع.	١٤١٤
فهرس الموضوعات	١٤٤٢